المزامير

يقدم لنا تاريخ شعب بني إسرائيل مدارس فكرية مختلفة ساعدتنا على معرفة الله. فسفر أيوب قادنا إلى إحدى هذه المدارس الفكرية، وبسط أمامنا مناقشات عن الله وتدبيرات عنايته. أما سفر المزامير فإنه يدخل بنا إلى الأقداس، ويأخذنا بعيدا عن الحوار مع السياسيين والفلاسفة، أو من يحبون المناقشات في هذا العالم، ويقودنا إلى الشركة مع الله، فيرفع قلوبنا ويجتذبها إليه حتى نكون معه فوق الجبل.

أولا: عنوان السفر: إنه يسمى سفر المزامير الذي ورد ذكره في لوقا ٢٤: ٤٤. ويسميه العبرانيون سفر التهليلات أي سفر التسبيح؛ إذ أن هذا موضوع معظم المزامير. لكن المزامير كلمة عامة تعني المؤلفات المنظومة المناسبة لاستخدامها في الترنيم، وقد تكون تاريخية، أو تعليمية، أو ابتهالية توسلية، أو تمجيدية. ومع أن الترنيم هو تعبير عن الفرح، إلا أن غرض الترنيمات هو تنشيط الذاكرة، والتعبير عن كل العواطف الأخرى بما فيها الفرح. فقد كان لدى المرنم تأملات حزينة، كما كان لديه تأملات مفرحة. فقصد الله من ترنيم المزامير متعدد الأغراض، إذ تقودنا ليس فقط لتمجيد الله بل أيضا لكي نعلم وننذر بعضنا بعضا «وأنتم بكل حكمة معلمون ومنذرون بعضكم بعضا، بمزامير وتسابيح وأغاني روحية، بنعمة، مترنمين في قلوبكم للرب» (كو ٣: ١٦). والسفر معروف باسم سفر المزامير كما جاء على لسان الرسول بطرس (أع ١: ٢٠) وهو عبارة عن مجموعة من المزامير الموحى بها من الله.

ثانيا: مَنْ كتب هذا السفر؟

لاشك أن خلف هذا السفر وحي روح الله المبارك. فهي ترانيم روحية علمها لنا الروح القدس. أما مَنْ كتب معظم هذه المزامير فهو داود بن يسى المعروف باسم «مرنم إسرائيل الحلو» (٢صم ٢٣: ١). وهناك بعض المزامير التي لم يكتب اسمه في عنوانها، إلا أنه يشار إليها في أماكن أخرى على أنه كاتبها مثل المزمور الثاني (انظر أع ٤: ٢٥؛ مز ٩٦؛ ١٠٥؛ ١أخ ١٦). وهناك مزمور واحد ذُكر صراحة أنه مزمور لموسى (مز ٩٠). كما أن هناك مزامير أخرى كتب عليها أنها مزامير لآساف «وقال حزقيا الملك والرؤساء للاويين أن يسبحوا الرب بكلام داود وآساف الرائي» (٢أخ ٢٩: ٣٠). ويبدو أن بعض المزامير كتبت بعد زمان داود بمدة مثل مزمور ١٣٧، وكان ذلك أثناء السبي البابلي. لكن الجزء الأكبر من السفر كتبه داود نفسه.

ثالثا: غرض السفر: من الواضح أن هدف السفر هو:

(١) مساعدة المؤمنين في حياتهم الروحية، وإضرام العواطف المقدسة في نفوسهم، مما ندين به لله خالقنا ومليكنا المحسن إلينا. فسفر أيوب يساعدنا على رؤية المبادئ الأساسية للكمال الإلهي والعناية الإلهية، أما سفر المزامير فيساعدنا على التجاوب مع كمال الله وعنايته في صلواتنا وتسبيحاتنا واعترافنا بالاعتماد الكامل عليه. قد نجد في بعض أجزاء الكلمة المقدسة أن الله متعالٍ جدا بالنسبة للإنسان، وأنه سيد كلي

السلطان. أما سفر المزامير فيبين لنا أن هناك طرقا يمكن بها أن نعيش في شركة مع الله في مختلف أحوال الحياة الإنسانية.

(٢) تقدير امتيازات وعظمة ديانتنا، التي أعلنها لنا الله بأقوى وأفضل صورة؛ حتى يمكننا أن ننصح العالم باتباعها. ولا نجد في المزامير إلا القليل جدا من الناموس الطقسي. ومع أن الذبائح والتقدمات استمرت لعدة أجيال، إلا أنه يشار إليها في هذا السفر على أن الله لا يسر بها (مز ٤٠: ٦؛ ٥١: ١٦) وأنها ستنتهي في الوقت المناسب. أما كلمة الله وشريعته التي تحتوي على التزامات أخلاقية وتعهدات أبدية، نجد في السفر تعظيما وتمجيدا لها. والمسيح هو تاج ومركز الديانة المعلنة، وأساس وحجر الزاوية في البناء المبارك. فيشار إليه إما رمزيا، أو نبويا في المزامير التي تتكلم عن آلامه وتمجيده بعد ذلك، وملكوت الله الذي سيسود على العالم.

رابعا: استخدام هذا السفر: كل الكتاب المقدس نافع لكي ينير أفهامنا، لكن هذا السفر له استخدام خاص؛ فهو يوصل لنا الحياة الروحية، والقوة والدفء المقدس في عواطفنا.

(١) إنه يستخدم في الترنيم. لا نعلم بالضبط قواعد الشعر العبري، لكننا نستطيع تطويع هذه المزامير لقواعد الشعر في كل لغة حتى يمكن ترنيمها لتعزية الكنيسة. إن الشعر الموجود في المزامير شعر إلهي غني في معانيه، ومكتوب بعناية حتى أنه لا يبلى أبدا.

(٢) من المفيد أن يقرأه خدام المسيح؛ لأنه يشتمل على حقائق ممتازة، وقواعد لكل ما هو صالح، وما هو شرير.

(٣) يمكن لكل الأتقياء أن يقرأوه ويتأملوا فيه. فاختبارات المرنم لها فائدة كبيرة لتوجيهنا، وتحذيرنا وتشجيعنا. وفي بعض المزامير نجد حوارا بين الله ونفسه مما يعرفنا ماذا نتوقع من الله، وماذا يتوقع الله منا، وماذا يتطلبه ويتقبله بنعمته. كما أن التعبيرات التي يستخدمها المرنم لها فائدة كبيرة لنا؛ فبواسطتها يعين الروح القدس ضعفاتنا في صلاتنا. وعندما نتعود على استخدام مزامير داود فإننا سنجد في أي صلاة نرفعها أمام عرش النعمة كلمات مناسبة وبلا لوم نخاطب بها الله. وقد نختار مزمورا معينا في أحد الأيام ومزمورا آخر في اليوم التالي، ثم نفكر في كل آية ونتوسع في الأفكار التي جاءت فيها، ثم نرفع توسلاتنا لله بنفس التعبيرات التي في المزمور. كما أن المزامير لا تساعدنا فقط في فترات تعبدنا، فتعلمنا كيف نسبح الله ونمجده، لكنها تعلمنا كيف نقوِّم طريقنا بشكل مناسب حتى يرينا الله في النهاية خلاصه (مز ٥٠: ٢٣).

لقد كانت المزامير نافعة للعبادة في العهد القديم، لكنها أكثر نفعا لنا نحن الذين نعيش بعد مجيء المسيح. فكما أخذت الذبائح الموسوية بعدا جديدا وصارت جلية في ضوء إنجيل المسيح، الذي رفع عنا البرقع، هكذا أيضا المزامير؛ لذا إن قرأنا المزامير في ضوء الصلوات التي كتبها الرسول بولس في رسائله، والترانيم الجديدة التي في سفر الرؤيا، فإننا سنحسن فهم هذا العمل الرائع.

المزمور الأول

هذا المزمور تعليمي عن الخير والشر، يضع أمامنا الحياة والموت، البركة واللعنة، حتى نسلك الطريق الصحيح الذي يؤدي إلى السعادة، ويجنبنا ذلك الطريق الذي لابد وأن تكون آخرته البؤس والهلاك.

وهذا المزمور يبين لنا:

أولا: قداسة الإنسان التقي وسعادته (ع ١– ٣).

ثانيا: الخطية والبؤس اللذان تتسم بهما حياة الشرير (ع ٤ و٥).

ثالثا: أساس كل حالة وأسبابها (ع ٦).

عدد ١ – ٣

يبدأ المرنم بصفات الشخص التقي وحالته.

أولا: الرب يعرف بالاسم الذين هم له، غير أننا يجب أن نعرفهم بصفاتهم. وسمة الرجل التقي توضحت هنا على أساس القواعد التي يختارها بالنسبة لسلوكه.

(١) الرجل التقي (ع ١): «لم يسلك في مشورة الأشرار...». هذه الناحية من صفاته ذكرت أولا، لأن الابتعاد عن الشر هو بداية الحكمة. يرى الأشرار من حوله، والعالم مليء بهم. وقد وصفوا هنا بثلاث صفات: «الأشرار»، و«الخطاة» و«المستهزئين». فهم في البداية أشرار، طرحوا عنهم مخافة الله. فحين ينحون جانبا الخدمات الدينية، يصبحون «خطاة»، أي أنهم يتمردون علانية على الله. فالإهمال يمهد للخطأ، وبهذا يتقسى القلب وأخيرا يصبحون من «المستهزئين». أي أنهم يتحدون علانية كل ما هو مقدس، يستهزئون من الديانة ويسخرون من الخطية. الكلمة التي ترجمت «الأشرار» تعني غير المستقرين، ولا يقصدون غاية معينة، ولا يلتزمون بقاعدة معينة في سلوكهم، ولكنهم تحت إمرة كل شهوة، ورهن إشارة كل إغراء، وهذه الأمور تخزن قلب كل تقي، وهو لا يفعل كما يفعلون؛ فهو «لم يسلك في مشورة الأشرار»، ولا يتخذ معاييره على أساس مبادئهم، ولا يتصرف نتيجة لتبادل الآراء معهم. ثم أنه لا يقف «في طريق الخطاة»، وهو يتجنب أن يعمل كما يعملون، فطريقهم لن يكون طريقه. وكذلك هو لا يجلس «في مجلس المستهزئين»، وهو لا يشترك في مؤامرات لاكتشاف الطرق والوسائل التي تدعم مملكة الشيطان وتساعد على تقدمها.

(٢) والتقي يعمل ما هو حسن ويتمسك به، ويخضع لإرشاد كلمة الله، ويلم بها (ع ٢). وكل المسرورين بوجود الله، يجب أن يكونوا أيضا مسرورين تماما لوجود الكتاب المقدس، الذي هو إعلان إلهي عن مشيئته، وأن الطريق الوحيد إلى السعادة فيه. «وفي ناموسه يلهج نهارا وليلا». وأن نلهج في كلمة الله، هو أن نحدث أنفسنا بالأشياء العظيمة التي تتضمنها الكلمة، مع استخدام العقل، وبفكر ثابت، حتى نتأثر بشكل مناسب بهذه الأشياء، ونختبر مذاقها وقوتها في قلوبنا.

ثانيا: أُعطي تأكيدا بسعادة الإنسان التقي. ذلك أن الله يباركه وهذه البركة تجعله سعيدا. والصلاح والقداسة ليسا هما الطريق إلى السعادة فحسب (رؤ ٢٢: ١٤)، بل هما السعادة عينها، ولو افترضنا أنه ليس ثمة حياة بعد هذه الحياة، فمع ذلك نجد أن التقي رجل سعيد يلتزم بطريق واجبه. «فيكون كشجرة»، شجرة مثمرة مزدهرة. والبركة الإلهية لها نتائج حقيقية. فالرجل التقي زُرع بواسطة نعمة الله. وهذه الأشجار كانت بالطبيعة أشجار زيتون برية، وستستمر على هذا النحو، إلى أن تطعم من جديد، وهكذا تزرع بقوة من الأعالي. ولا يمكن أن تنمو شجرة طيبة من تلقاء نفسها، فهي «غرس الرب»، ولذلك يلزم أن يتمجد فيها (إش ٦١: ٣). فقد غُرس الإنسان بواسطة النعمة التي سميت هنا «مجاري المياه»، ومن هذه يتلقى الإنسان التقي القوة والنشاط من نبع متجدد، ولكن ذلك يتم بطرق خفية غير ملحوظة. وإنه يتوقع من أولئك الذين يتمتعون بمراحم النعمة، أن يمتثلوا لمقاصد هذه النعمة ويكونوا مثمرين سواء من الناحية الذهنية أو من ناحية نزعتهم في هذه الحياة. «وورقها لا يذبل». أما بالنسبة لأولئك الذين لا يثمرون سوى أوراق فحسب في عملهم، دون أي ثمر طيب، فحتى أوراقهم هذه سوف تذبل. غير أنه إذا ملكت كلمة الله في القلب، فهذا من شأنه أن يجعل عملهم مورقا، والأوراق التي تتكون على هذا النحو لن تذبل أبدا.

عدد ٤ – ٦

أولا: ذُكرت هنا أوصاف الأشرار (ع ٥). بصفة عامة: هم على النقيض من الأبرار، سواء من ناحية سمتهم أو حالتهم، هم لا ينتجون ثمرا سوى عنب سدوم الذي يبطل الأرض. في حين أن الأبرار بصفة خاصة يشبهون أشجارا مثمرة نافعة لها قيمتها. فالأشرار «كالعصافة التي تذريها الريح»، أخف نوعيات العصافة، الأتربة التي يريد صاحب الأرض أن يتخلص منها لأنه لا يُرجى منها أية فائدة.

ثانيا: ذُكر مصير الأشرار (ع ٥): «لا تقوم الأشرار في الدين»، أي أنهم سيوجدون مذنبين. ولن يقوموا «في جماعة الأبرار». فلن يكون للأشرار مكان في هذه الجماعة. فلن يدخل أورشليم الجديدة ما هو نجس أو دنس. والمراؤون في هذا العالم، إذ يتخفون تحت ستار مهنة مقبولة، قد يستطيعون النفاذ إلى جماعة الأبرار، دون أن يكتشفهم أو يزعجهم هناك أحد، إلا أنه إذا كان في الإمكان خداع خدام المسيح، إلا أنه يستحيل خداع المسيح.

ثالثا: السبب الذي ذُكر لاختلاف حالة كل من الأبرار والأشرار (ع ٦). فالرب راضٍ عن طريق الأبرار بل ويظهر سروره لذلك، ومن ثم فإنهم نتيجة رضاه عليهم وكرمه، سينجحون وتكون خاتمتهم سعيدة، ولكنه غاضب من طريق الأشرار، وكل ما يفعلونه يسبب غضبه؛ ولذلك ستهلك وسوف يهلكون معها. عند ترنمنا بهذه الأعداد، واستخدامها في صلواتنا، ليتنا نسلم أنفسنا لخوف مقدس من نصيب الأشرار، وباهتمام تقوي بأن نعمل على إرضاء الله في كل شيء، راجين نعمته بكل قلوبنا.

المزمور الثاني

وكما أن المزمور السابق كان مزمورا أخلاقيا، بيَّن لنا واجبنا، فإن هذا المزمور كرازي، يعرفنا بمخلصنا، وباستخدام مملكة داود كرمز (حيث أن الله هو الذي عينها، وقوبلت بكثير من المعارضة، ولكنها سادت أخيرا). فقد تم التنبؤ من خلالها بملكوت المسيح (المسيا) ابن داود. وقد فُسر هذا المزمور على أنه يتحدث عن المسيح وذلك في أعمال ٤: ٢٧؛ ١٣: ٣٣؛ عبرانيين ١: ٥.

ويخبرنا الروح القدس هنا بالآتي:

أولا: المعارضة التي ستواجه ملكوت المسيح (ع ١– ٣).

ثانيا: صد هذه المعارضة وتأديبها (ع ٤ و٥).

ثالثا: إقامة ملكوت المسيح، على الرغم من هذه المعارضة (ع ٦).

رابعا: تثبيته وترسيخه (ع ٧). وعد باتساعه ونجاحه (ع ٨ و٩).

خامسا: نداء ونصيحة للملوك والرؤساء أن يجعلوا من أنفسهم الرعايا الطائعين لهذا الملكوت (ع ١٠– ١٢).

أو إننا على هذا النحو نجد هنا:

(١) تهديدات أعلنت ضد مناوئي ملكوت المسيح (ع ١– ٦).

(٢) وعد قُطع للمسيح نفسه، رأس هذا الملكوت (ع ٧– ٩).

(٣) نصيحة للجميع أن يهتموا بمصالح هذا الملكوت (ع ١٠– ١٢).

عدد ١ – ٦

نجد هنا معركة عظيمة جدا تدور حول ملكوت المسيح، وهي دائرة بين جهنم والسماء، وميدانها الأرض.

أولا: المقاومة العنيفة التي ستوجَّه للمسيح وملكوته (ع ١– ٣). وكان من المتوقع أن مثل هذه البركة العظيمة لهذا العالم، لابد وأنها كانت ستلقى كل ترحيب وقبول. ولم يسبق على الإطلاق أن وجهت أية أفكار لأية شيعة من الفلاسفة، أو قوات لأي ملك، بمثل هذه المقاومة البالغة العنف التي واجهت تعليم المسيح وملكوته. فالرؤساء والشعب، البلاط والبلاد، أحيانا تكون لهم مصالح متضاربة، إلا أنهم تضافروا هنا ضد المسيح. وعلى الرغم من أن مملكته ليست من هذا العالم، ولا يقصد بها بأي حال أن تضعف مصالحهم، إلا أن ملوك الأرض ورؤساءها قاموا على الفور يحملون السلاح ضدها. كما حدث بالنسبة للفلسطينيين ورؤسائهم، فشاول وأتباعه، الحزب المعارض هبَّ مع قادته يقاومون اعتلاء داود العرش. هكذا فعل هيرودس وبيلاطس والأمم واليهود، كل هؤلاء بذلوا كل ما في وسعهم ضد المسيح واهتمامه

بالناس (أع ٤: ٢٦). فقد قاموا معا «على الرب وعلى مسيحه»، أي ضد التدين بصفة عامة، والمسيحية بصفة خاصة. والذي أسس ديانتنا المقدسة دعي هنا «مسيحه» (مسيح الرب)، أو المسيح (المسيا)، وذلك بمعرض الإشارة إلى مسح داود ليكون ملكا. وكانت المعارضة ضده بغيضة وحاقدة للغاية. فقد تآمروا، وتملكهم الغيظ وأخذوا يصرون على أسنانهم لما حل بهم من غيظ بسبب إقامة ملكوت المسيح. كانت معارضة متعمدة وسياسية. لقد «تآمر» الرؤساء معا، أي أنهم دبروا سبلا لإخماد المصالح المتزايدة لملكوت المسيح. وكانت مقاومة تتسم بالإصرار والعناد. لقد قاوموا المسيح وتحدوا كل منطق. لقد «تآمر» الرؤساء معا، لكي يساعدوا ويشجعوا بعضهم بعضا. كانوا سيرضون لو تحققت أفكارهم عن ملكوت الله والمسيح بأنه سيخدم ويدعم سيطرتهم. فإذا كان الرب ومسيحه سيجعلونهم أغنياء وعظماء في العالم فسوف يرحبون بهما، ولكن إذا كانا سيكبحان شهواتهم الفاسدة فقد قالوا «لا نريد أن هذا يملك علينا» (لو ١٩: ١٤). والمسيح عنده «قيود» و«ربط»، لكنها ربط لإنسان عنده منطق سليم، و«ربط المحبة» التي تعمل من أجل صالحنا. ولماذا يعارض الناس الدين سوى لأنهم تبرموا من قيوده والتزاماته؟ فسوف يقطعون قيود الضمير الملزمة لهم وربط وصايا الله. وقد تم مناقشتهم منطقيا هنا فيما يتعلق بهذا الخصوص (ع ١). وما السبب في أنهم عملوا هذا؟ فهم لا يستطيعون أن يقدموا سببا معقولا لمعارضتهم ملكوتا عادلا، مقدسا، وكريما كهذا. وليس بمقدورهم أن يأملوا في تحقيق أي نجاح في مقاومتهم مثل هذه المملكة القوية. فسوف تذهب جهودهم أدراج الرياح، فبعد أن يعملوا أسوأ ما يريدون، سيكون للمسيح في العالم كنيسة مجيدة منتصرة. فهي مبنية على الصخر «وأبواب الجحيم لن تقوى عليها».

ثانيا: الانتصار العظيم الذي تحقق على جميع قوى هذه المعارضة العنيفة. فالراحة التامة التي لنا في الله هي تعزيتنا في ظل كل قلق يساور عقولنا. فقد يلقي بنا على الأرض، أو في البحر، لكنه جالس في السماوات، حيث أعد عرشه للدينونة.

(١) محاولات أعداء المسيح تدعو إلى السخرية: «الساكن في السماوات يضحك، الرب يستهزئ بهم». كجماعة من الحمقى.

(٢) الله يعاقبهم بما يستحقون (ع ٥). على الرغم من أن الله يحتقرهم باعتبار أنه لا حول لهم ولا قوة، إلا أنه كان غاضبا وعن حق منهم. والأعداء يغضبون، ولكنهم لا يستطيعون أن يضايقوا الله. وإقامته ملكوت ابنه على الرغم منهم، يشكل أعظم مضايقة يمكن أن تواجههم.

(٣) من المؤكد أنهم قهروا، وخابت جميع مشورتهم (ع ٦): «فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي». فيسوع المسيح ملك، ولقد سر الله أن يدعوه «ملكي». لأنه هو الذي عينه، وأوكل إليه إدارة هذه المملكة، وكذلك الدينونة. هو ملك لأنه محبوب الآب، ابنه، ابنه الحبيب الذي سر به. والمسيح لم يأخذ مجده لنفسه، ولكنه دعي إليه. وإذ دعي إلى هذا المجد، فقد أكد له «أما أنا فقد مسحت ملكي»، أقمته. ولنا أن نرنم بهذه الأعداد بفرح مقدس، نشعر بالنصرة في يسوع المسيح باعتباره الضامن العظيم الذي عهدت إليه هذه السلطة، نصلي ونحن على قناعة راسخة بالتأكيد الذي أعطي هنا: «أبانا الذي في السماوات... ليأت ملكوتك»، ليأت ملكوت ابنك الحبيب.

عدد ٧ – ٩

لنسمع هنا ما قاله المسيح نفسه عن ملكوته.

أولا: أقيم ملكوت المسيح على أساس قرار أبدي من قبل الله الآب. ولم يكن هذا قرارا مباغتا، ولم يأت نتيجة تجربة، بل جاء نتيجة مشورات الحكمة الإلهية.

ثانيا: ثمة إعلان بهذا القرار، صدر من أجل قناعة أولئك الذين دعوا وأمروا بأن يسلموا أنفسهم كرعايا لهذا الملك، ولكي لا يكون هناك عذر لأولئك الذين يرفضون أن يملكوه عليهم. والمسيح هنا له حق شرعي مزدوج في ملكوته.

(١) حقه في الميراث (ع ٧): «أنت ابني. أنا اليوم ولدتك». وقد اقتبس كاتب رسالة العبرانيين هذا العدد في عبرانيين ١: ٥ لكي يثبت أن للمسيح اسما أفضل من الملائكة، ولكنه ورثه (عب ١: ٤). فهو

ابن الله، ولذلك فهو من نفس طبيعة الله، وفيه كل ملء اللاهوت، والحكمة والقدرة والقداسة المطلقة. وعلى هذا الأساس نقبله كملك، لأن «الآب يحب الابن وقد دفع كل شيء في يده» (يو ٣: ٣٥؛ انظر أيضا يوحنا ٥: ٢٠). وبصفته الابن فهو الوارث لكل شيء، وإذ خلق الله به العالمين، فإنه يسهل الاستدلال من ذلك، على أنه به أيضا يحكم، لأنه الحكمة الأزلية والكلمة الأزلي– بعد قيامته مباشرة بدأ عمله الشفاعي في مملكته وعندئذ قال: «كل شيء قد دفع إليَّ».

(٢) حقه في الملكية الشاملة (ع ٨ و٩). على الابن أن يقوم بوظيفة الشفيع، وبناء على ذلك، فسوف يكون له مجد وسلطان ملكية شاملة. فالآب سيعطي ليس نصف المملكة، لكن المملكة نفسها. وقد وُعد هنا بأن سيعطى «الأمم ميراثا»، ليس اليهود فقط، بل والأمم أيضا. ثمة جزء عظيم من العالم الوثني تقبلوا الإنجيل حين كُرز به لأول مرة، وسوف يُستكمل هذا أيضا حين تصير «ممالك العالم لربنا ومسيحه» (رؤ ١١: ١٥). وسوف يكون ملكوتا منتصرا، وسوف «تحطمهم (أي الذين يقاومون ملكوتك) بقضيب من حديد» (ع ٩). وقد تحقق هذا بشكل جزئي، حين دمرت الإمبراطورية الرومانية أولئك اليهود الذين أصروا على عدم الإيمان بالمسيح وأظهروا العداء لإنجيله. كما تحقق هذا أيضا في دمار قوى الوثنية، حين جاء الوقت لترسيخ المسيحية، إلا أن هذا لن يتحقق بشكل كامل إلا بعد أن تبطل «كل رياسة وكل سلطان وكل قوة» (١كو ١٥: ٢٤)، (انظر مزمور ١١٠: ٥ و٦). وبالترنم والصلاة بهذا، نحن نعطي مجدا للمسيح باعتباره ابن الله الأزلي، وسيدنا الحقيقي، ويجب أن نتعزى بهذا الوعد، ونناشد الله على أساسه بأن تتوسع مملكة المسيح وتترسخ وتنتصر على كل معارضة.

عدد ١٠– ١٢

التطبيق العملي لتعليم الإنجيل فيما يختص بملكوت المسيح، وذلك عن طريق النصح والتحذير لملوك الأرض وقضاتها. فقد سمعوا أنه من العبث معارضة ملكوت المسيح، ولذلك عليهم أن يكونوا حكماء وذلك بأن يخضعوا له. فذاك الذي لديه القدرة على دمارهم يبين أنه لا يسر بهلاكهم، ولذلك ينصحهم عن كيفية إسعاد أنفسهم (ع ١٠). وما قيل لهم قيل للجميع. وقد نصحنا هنا بالآتي:

أولا: أن يوقروا الله ويخشوه (ع ١١). وهذا هو الواجب العظيم للتدين الطبيعي. ويتعين علينا أن نخدم الله في كل فرائض عبادتنا، وذلك بخوف مقدس. علينا أن نفرح في الله، ولكن برعدة. ويجب أن يتم خلاصنا «بخوف ورعدة» (في ٢: ١٢).

ثانيا: نرحب بالمسيح يسوع ونخضع له (ع ١٢)، وهذا هو أعظم الفرائض في المسيحية.

(١) الأمر الذي صدر في هذا الخصوص: «قبِّلوا الابن». وقد دعي المسيح «الابن» لأنه هكذا أُعلن عنه (ع ٧): «أنت ابني»، فهو ابن الله في الأزل، وعلى هذا الأساس، يجب علينا أن نعبده. وقد عبر عن واجبنا نحو المسيح هنا بشكل مجازي «قبِّلوا الابن»، ليس بقبلة غاشة، مثلما قبله يهوذا، بل بقبلة الإيمان. بقبلة المحبة والإخلاص: «قبِّلوا الابن»، ادخلوا معه في عهد صداقة، وليكن عزيزا غاليا لديكم، أحبوه كثيرا جدا أكثر من كل شيء، أحبوه بإخلاص، أحبوه كثيرا جدا كتلك التي غفر لها كثيرا، وكعلامة على ذلك قبّلت قدميه (لو ٧: ٣٨). وبقبلة الولاء والإخلاص اخضعوا لملكوته، «احملوا نيري عليكم».

(٢) الأسباب التي تدعو إلى تنفيد هذا الأمر:

أ. الهلاك المؤكد الذي سيحيق بنا إذا ما رفضنا المسيح: «قبِّلوا الابن»، لأنكم لو لم تفعلوا هذا ستبيدون، افعلوا ذلك «لئلا يغضب».

ب. السعادة التي من المؤكد أن تكون من نصيبنا إذا ما قدمنا أنفسنا للمسيح. طوبى لجميع المتكلين عليه، الذين في يوم الغضب اتخذوا منه ملجأ وحصنا، ففي الوقت الذي خارت فيه قلوب الآخرين بسبب الخوف، تراهم يرفعون رؤوسهم من الفرح. وإذ نترنم بهذا، ونصليه، يجب أن تمتلئ قلوبنا بخوف مقدس من الله، غير أنه في الوقت ذاته يجب أن تعمر قلوبنا بثقة مفرحة في المسيح، الذي عن طريق وساطته بمقدورنا أن نعزي ونشجع أنفسنا، وبعضنا بعضا.

المزمور الثالث

مزمور لداود حينما هرب من وجه أبشالوم ابنه

كما أن المزمور السابق، من خلال ما يرمز إليه رفع مقام داود، وضح لنا الكرامة الملكية للفادي، فإن هذا المزمور باتخاذه محنة داود مثلا، يبين لنا السلام والأمن اللذين يتمتع بهما المفديون في ظل الحماية الإلهية. وإذ طُرد داود الآن من قصره، ومن المدينة الملكية، المدينة المقدسة، على يد ابنه المتمرد أبشالوم، فإنه:

أولا: يشكو إلى الله من أعدائه (ع ١ و٢).

ثانيا: يثق في الله إلهه ويشجع نفسه به، على الرغم من ذلك (ع ٣).

ثالثا: يتذكر الرضا الذي غمره نتيجة استجابة الله الكريمة لصلواته، واختباره صلاح الله نحوه (ع ٤ و٥).

رابعا: ينتصر على مخاوفه (ع ٦)، وعلى أعدائه (ع ٧).

خامسا: يعطي المجد لله، ويعزي نفسه بالخلاص والبركات الإلهية التي ينعم الله بها على جميع شعبه بكل تأكيد (ع ٨).

عدد ١ – ٣

عنوان هذا المزمور، ومزامير أخرى كثيرة يشبه مفتاحا معلقا على الباب، استعدادا لفتحه. فحين نعرف المناسبة التي كتب فيها المزمور، نستطيع تفسيره بشكل أفضل.

• كان داود في حزن بالغ حين صعد، أثناء هربه، إلى جبل الزيتون. ولقد بكى كثيرا، وهو يغطي وجهه، ويسير حافي القدمين، ومع ذلك فإنه في ظل هذه الظروف كتب هذا المزمور المعزي. كان يبكي ويصلي، ويبكي ويرنم، ويبكي وهو واثق. فهل هناك من أبتلي بأولاد عاقين متمردين؟ هكذا كان حال داود، ومع ذلك، فلم يحل ذلك دون فرحه في الله، ولم يبعده عن الترانيم المقدسة.

• كان في خطر عظيم، فالمؤامرة ضده أُحكم وضعها، والجماعة التي كانت تسعى للقضاء عليه كانت رهيبة، وكان ابنه نفسه على رأسها. وعلى هذا بدت أحواله في ذروة الضيق، ومع ذلك فإنه في ظل هذه الظروف زاد تمسكه بالله وانتفع من هذا. فالمخاطر والمخاوف يجب أن تقربنا إلى الله، لا أن تبعدنا عنه.

• كان في ذلك الحين يواجه قدرا كبيرا من الاستفزازات من قبل أولئك الذين كان يتوقع منهم خيرا كثيرا، ومن ابنه، الذي كان متسامحا معه، ومن رعاياه الذين كان يمثل بركة عظيمة لهم.

• كان يعاني من خطيته في موضوع أوريا، وكان هذا هو الشر، والخطية، التي بسببها عاقبه الله بالسيف الذي لا يفارق بيته (٢صم ١٢: ١١). ومع ذلك، لم يحمله هذا على أن يفقد ثقته في قوة الله وصلاحه، ولم ييأس من معونته. فحتى حزننا بسبب الخطية، لا يجب أن يحول دون فرحنا في الله أو رجائنا فيه.

• بدا وكأنه جبان لفراره من أبشالوم، وتركه مدينته الملكية، قبل أن يحارب معركة واحدة من أجلها، ومع ذلك، فإن هذا المزمور يوضح لنا أنه كان ممتلئا بالشجاعة الحقة النابعة من ثقته في الله. وفي هذه الأعداد الثلاثة نراه يلتجئ إلى الله. وهل هناك مكان آخر بمقدورنا الذهاب إليه، سوى إلى الله، حين يحزننا أي شيء أو يخيفنا؟

أولا: وإذ صوَّر محنته في عددي ١ و٢، نراه يلتفت حوله، كما لو كان يأخذ فكرة عن معسكر أعدائه. وكان داود يستأسر مشاعر رعاياه، بشكل لم يسبقه إليه أي ملك آخر، ومع ذلك، نراه هنا، وعلى حين غرة يفقد تأييدهم. فقد قاموا ضده، وقصدوا أن يضايقوه، ولكن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد: فقد قالوا عنه إنه «ليس له خلاص». كانت لديهم فكرة بغيضة وشريرة عن متاعبه، مثلما فعل أصحاب أيوب، إذ انتهوا إلى أنه مادام عبيده ورعاياه قد تخلوا عنه على ذلك النحو، ولم يساعدوه، فلابد أن الله قد نبذه وتخلى عن قضيته، ولذلك يجب أن يُنظر إليه، على اعتبار أنه رجل مراء وشرير. لقد حاولوا أن يفقدوه ثقته في الله ويدفعوه إلى اليأس من انتظار أي عون منه. «يقولون لنفسي» «أين إلهك» (قارن مزمور ١١: ١؛ ٤٢: ١٠). لقد توجه داود لله، وأخبره بما قاله أعداؤه له. لقد قالوا: إنك لن تخلصني، لكن إذا كان الأمر كذلك يا رب، فإنني قد هلكت. يقولون لنفسي «ليس له خلاص بإلهه». لكنك يا رب تقول لنفسي «خلاصك أنا» (مز ٣٥: ٣)، وأنك ستستجيب لي، وفي الوقت المناسب ستسكتهم. ولقد أضاف إلى شكواه هذه كلمة «سلاه». والبعض ينسبونها إلى الموسيقى التي كانت

ترنم بها المزامير أيام داود، وآخرون يربطونها بالمعنى، وأنها تذكرة بطلب وقفة رزينة. «سلاه» بمعنى لاحظ هذا، أو توقف هنا، وتأمل قليلا. كما يقولون هم هنا «ليس له خلاص بإلهه. سلاه».

ثانيا: وإذ يجاهر داود باتكاله على الله (ع ٣)، نراه هنا، حين قال أعداؤه « ليس له خلاص بإلهه» يصرخ بيقين عظيم: «أما أنت يا رب فترس لي»، لكي تحميني من كل جانب، مادام أعدائي يحيطون بي، أنت «مجدي ورافع رأسي». وإذا كان بمقدور شعب الله أن يرفعوا رؤوسهم بفرح، حتى في أحلك الظروف، عالمين أن كل الأمور تعمل معا للخير بالنسبة لهم، فإنهم يعترفون بأن الله هو الذي يرفع رؤوسهم، وأنه الذي يعطيهم مبررا للفرح، وقلوبا لتفرح.

عدد ٤ – ٨

وإذ حفَّز داود نفسه– نتيجة مضايقات أعدائه له– لكي يتمسك بالله إلهه، فقد حصل على تعزية من التطلع إلى أعلى، في الوقت الذي لو تطلع فيه حوله، فلن يرى شيئا سوى كل ما يثبط همته، ولكنه هنا يسترجع الماضي بذكريات بهيجة، ثم يتطلع للمستقبل بتوقعات مفرحة لنتيجة سعيدة عندما ينتهي قريبا الموقف المظلم الذي يحيط به الآن.

أولا: لقد اختبر داود مصاعب جمة، وكثيرا ما أحزنته وأذلته، لكنه مع ذلك وجد في الله كل الكفاية.

(١) كثيرا ما كانت تدفعه متاعبه إلى الصلاة، وفي خضم كل ما صادفه من مصاعب وأخطار، أعطي القدرة على أن يعترف بالله، وأن يرفع قلبه وصوته إليه: «بصوتي إلى الرب أصرخ».

(٢) كان دائما يجد الله مستعدا للاستجابة إلى صلواته: «فيجيبني من جبل قدسه»، من السماء، المكان المرتفع المقدس، من تابوت العهد على جبل صهيون، الذي اعتاد أن يستجيب منه لكل الذين يطلبونه. لقد مُسح المسيح ملكا «على صهيون» الجبل المقدس (مز ٢: ٦)، وبواسطة المسيح الذي يسمعه الآب دائما، تُسمع صلواتنا.

(٣) كان دائما يشعر بالأمن والراحة في ظل الحماية الإلهية (ع ٥): «أنا اضطجعت ونمت»، هادئا رابط الجأش، «استيقظت» منتعشا «لأن الرب يعضدني».

أ. هذا ينطبق على المراحم العادية لكل ليلة، التي يجب أن نقدم من أجلها الشكر منفردين، ومع عائلاتنا كل صباح.

ب. ويبدو أن المقصود هنا هو الهدوء العجيب، والسكينة التي تتمتع بها روح داود، في خضم الأخطار المحدقة به. وإذ استودع نفسه ومشاكله لدى الله بالصلاة، وإذ كان واثقا من حمايته، فمن ثم كان قلبه ثابتا، يغمره السلام.

(٤) كثيرا ما كان الله يكسر شوكة أعدائه ويكبح حقدهم «لأنك ضربت كل أعدائي على الفك» (ع ٧)، فقد أخرسهم الله، وجعل كلامهم ينتهي إلى لا شيء.

ثانيا: تأمل الثقة التي يُنظر بها إلى الأخطار التي كان لا يزال يتوقعها.

(١) تلاشت كل مخاوفه (ع ٦): «لا أخاف من ربوات» الأعداء الذين من الخارج، أو المتمردين من الداخل «المصطفين عليَّ من حولي». وحين قال داود– في فراره من أبشالوم– لصادوق الكاهن أن يرجع تابوت الله، كان يتحدث متشككا في نتيجة متاعبه الراهنة، وكتائب متذلل قال: «فهأنذا فليفعل بي حسبما يحسن في عينيه» (٢صم ١٥: ٢٦). أما الآن، فكمؤمن قوي، نراه يتكلم بثقة، ولم يكن يداخله أي خوف بالنسبة لما يواجهه من أحداث.

(٢) كانت صلاته حية ومشجعة (ع ٧). كان يؤمن بأن الله مخلصه، ومع ذلك صلى، أو بالأحرى من أجل ذلك صلى قائلا: «قم يا رب. خلصني يا إلهي».

(٣) انتصر إيمانه. كان قد استهل المزمور يشكو من قوة أعدائه وحقدهم، ولكنه يختتمه متهللا بقوة إلهه ونعمته، وأصبح يرى الآن أن الذين معه أكثر من الذين عليه (ع ٨). وهو هنا يبني ثقته على حقين عظيمين.

أ. «للرب الخلاص»، له قوة ليخلصني مهما كان الخطر بالغا.

ب. وأن الرب يبارك شعبه، فهو قادر لا أن يخلصهم فقط، بل إنه يؤكد مقاصده الكريمة نحوهم. فهو– في

كلمته- أعلن بركة لشعبه، ونحن ملتزمون بأن نؤمن أن البركة طبقا لذلك تحل عليهم، على الرغم من عدم وجود علامات مرئية لنتائجها.

المزمور الرابع

لإمام المغنين على ذوات الأوتار. مزمور لداود

كان داود واعظا، والكثير من مزاميره تعليمية وعملية كما أنها تعبدية. والجزء الأكبر من هذا المزمور يأتي على هذا النحو، ونجد هنا:

أولا: يستهل داود المزمور بصلاة قصيرة (ع ١) وقد أخذت صلاته طابع الوعظ.

ثانيا: وجّه كلامه لبني البشر، ثم إنه:

(١) باسم الله يوبخهم لإساءتهم إلى الله والضرر الذي ألحقوه بنفوسهم (ع ٢).

(٢) وضح لهم سعادة الأتقياء، لكي يشجعهم على أن يكونوا متدينين (ع ٣).

(٣) يدعوهم إلى إعادة النظر في طرقهم (ع ٤).

ثالثا: ينصحهم بأن يعبدوا الله ويتكلوا عليه (ع ٥).

رابعا: يشير إلى اختباراته التي لمس فيها عمل نعمة الله معه.

عدد ١ - ٥

يعرفنا عنوان المزمور بأن داود إذ كتبه بإلهام من الله لكي تستخدمه الكنيسة، فقد سلمه لإمام المغنين. ونجد وصفا خاصا بنظام المغنين، وتشكيل طبقاتهم العديدة. كل جماعة فيها لها رئيس، ونصيب كل منها من العمل نجده في ١أخبار ٢٥.

أولا: يوجه داود كلامه إلى الله (ع ١). وكل ما يسر الله من صلواتنا، وكل الاستجابات التي يرى في مسرته أن يجيب عليها، لا يجب أن تُنسب إلى استحقاقنا، بل إلى رحمته وحدها- وأفضل مناشدة نرفعها إلى الله هي قولنا: استمع لي من أجل رحمتك. وثمة أمران آخران يناشد داود الله على أساسهما:

(١) أنت «إله بري»، لست فقط إله بار، بل إنك الذي أوجدت فيَّ ميولي البارة، والتي بنعمتك عملت هذا الخير الذي فيَّ، فجعلتني بارا، وعلى هذا «استجب لي».

(٢) سبق أنك «في الضيق رحبت لي»، أرحت قلبي بفرح مقدس، وعزيته في محنتي، أرحت حالتي بأن أخرجتني من محنتي، لذلك «تراءف عليَّ واسمع صلاتي»، لأنك إله، ليس عندك تغيير، ودائما تكمل العمل الذي بدأته.

ثانيا: يوجه كلامه إلى بني البشر، من أجل إقناع وتجديد أولئك الذين لا يزالون غرباء عن الله، والذين ليس لديهم المسيا ابن داود ليملك عليهم.

(١) يحاول إقناعهم بحماقة بُطْلهم (ع ٢)، أنتم تخطون من قدر أنفسكم لأنكم «بشر» (الكلمة تشير إلى الإنسان باعتباره مخلوقا نبيلا). ضعوا في الاعتبار كرامة طبيعتكم، ولا تتصرفوا هكذا بحماقة لا تليق بكم. أنتم تسيئون إلى خالقكم وتحولون مجده عارا. والذين يدنسون اسم الله القدوس، الذي يسخرون من كلمته ووصاياه، بينما يدعون أنهم يعرفونه، إلا أنهم بعملهم ينكرونه، ويفعلون ما ترسخ في قلوبهم حتى يكون مجده عارا. إنكم تعتمدون على ما سوف يثبت أخيرا أنه بطل وكذب- فالذين يحبون العالم، ويطلبون الأرضيات، يحبون الباطل ويسعون وراء الكذب.

(٢) وضح لهم النعمة التي اختص الله بها الأتقياء، والحماية الخاصة التي ينعمون بها، والمزايا الرائعة التي أعطيت لهم (ع ٣). وإذا أعثروا «أحد هؤلاء الصغار» المؤمنين بالمسيح (مت ١٨ : ٦) فإنهم سيهلكون. والله يعتبر أن من يمسهم يمس حدقة عينه، وسوف يجعل مضطهديهم يعرفون ذلك إن عاجلا أو آجلا. يقول الرب إنهم سيكونون خاصتي في ذلك اليوم الذي أنتقي فيه جواهري. «اعلموا أن الرب قد ميَّز تقيه»، وكذلك ليعرف الأشرار ذلك، وليعرفوا كيف أنهم يؤذون أولئك الذين يحميهم الله.

(٣) يحذرهم ضد الخطية، ويحضهم على أن يرتعدوا ويخافوا وأن يبتعدوا عنها (ع ٤): «ارتعدوا ولا تخطئوا» (اغضبوا ولا تخطئوا). من بين الوسائل الجيدة لمنع الخطية، والحفاظ على خوف مقدس، أن تكونوا جادين وتواظبون على أن تفحصوا قلوبكم: «تكلموا في قلوبكم»، فلديكم الكثير لتقولوه لها- وبمقدوركم أن تتكلموا معها في أي وقت- فلا تسكتوا. والرجل الذي يحسن التفكير لديه فرصة طيبة لأن يكون حكيما وتقيا. اختر وقتا تتاح لك

فيه عزلة، اعمل ذلك حين تكون مضطجعا وأنت متيقظ على فراشك. وقبل أن تتوجه للنوم ليلا (وهذا نفسه ما أوصى به بعض معلمي الوثنيين): افحص ضميرك على ضوء ما عملته في ذلك اليوم، ولاسيما ما أخطأت فيه، حتى تتوب عنه. وحين تستيقظ ليلا، فكر في الله، والأمور المتعلقة بسلامك.

(٤) نصحهم بأن يهتموا بعمل واجبهم (ع ٥): «اذبحوا ذبائح البر». ولا يجب أن نكف عن عمل الشر فقط، بل نتعلم أن نعمل حسنا. بأن نذبح له «ذبائح». قدموا له أولا نفوسكم، وأفضل ذبائحكم، ولتكن جميع عباداتكم صادرة من قلب مستقيم، ولتكن جميع صدقاتكم ذبائح بر. مجدوه، باتكالكم عليه وحده، وليس على غناكم أو على ذراع بشر، ثقوا في عنايته الإلهية، ولا تستندوا على فهمكم، بل ثقوا في نعمته، ولا تتكلوا على بركم الذاتي أو كفايتكم.

عدد ٦– ٨

أولا: الرغبة الحمقاء لمن يتكلون على العالم: «كثيرون يقولون من يرينا خيرا». من سيجعلنا نرى خيرا؟ أما الخير الذي يقصدونه (ع ٦) فقد أشير إليه في (ع ٨)، إنه زيادة حنطتهم وخمرهم. فكل ما كانوا يرغبونه هو زيادة في غنى هذا العالم، حتى يتيح لهم زيادة التمتع بالملذات الحسية. إنهم يطلبون الخير الذي يُرى، ولا يبدون أي اهتمام بالأشياء التي لا تُرى، والتي تتعلق بالإيمان فقط. وكما أنه علينا أن نعبد إلها لا يُرى، هكذا أيضا علينا أن نطلب الأشياء التي لا تُرى (٢كو ٤: ١٨). ونحن بعين الإيمان ننظر إلى أبعد ما نستطيع أن نراه بعين الحواس. كل ما يريدونه هو خير مادي، خير في الوقت الراهن، خير جزئي، طعام جيد وشراب جيد، تجارة جيدة، وممتلكات واسعة، ولكن ما قيمة هذه كلها، دون إله صالح وقلب مستقيم؟ وأي نفع يمكنه أن يفي بحاجة معظم الناس، غير أن النفس البارة ليست هكذا، لأنه لا تشبعها سوى نعمة الله.

ثانيا: الاختيار الحكيم الذي يفضله الأبرار. لقد اشترك داود والعدد القليل من الرجال الأتقياء– الذين ظلوا على ولائهم له– في هذه الصلاة: «ارفع علينا نور وجهك يا رب». لقد اتفق هو وأصحابه على اختيار نعمة الله لأنهم رأوا فيها سعادتهم، فهذه بحسب حساباتهم أفضل من الحياة وكل ما فيها من ملذات. ومع أن داود يتحدث عن نفسه فقط في عددي ٧ و٨، إلا أنه في هذه الصلاة يتحدث عن الآخرين أيضا، وهذا واضح من صيغة الجمع «علينا»، وقد علمنا المسيح أيضا أن نصلي قائلين: «يا أبانا...». وجميع القديسين يأتون إلى عرش النعمة في نفس الرحلة، فهم متحدون معا في هذا، وكلهم يرغبون في نعمة الله، على اعتبار أنها خيرهم الأساسي. ويجب أن نلتمسها للآخرين كما نلتمسها لأنفسنا، لأنه في نعمة الله كفاية لنا جميعا، ولن تقل نعمتنا إطلاقا نتيجة مشاركة الآخرين لنا فيها. وهذا هو ما يفرح قلوبهم أكثر من أي شيء آخر (ع ٧): «جعلت سرورا في قلبي». حين يضع الله نعمة في القلب، فإنه يجعل «سرورا» فيه، يضع فرحا داخليا راسخا وحقيقيا: «بسلامة اضطجع» (إذ أتمتع بيقين نعمتك)، «لأنك أنت يا رب منفردا في طمأنينة تسكنني». وحين يأتي لينام، نوم الموت، فإنه حينئذ، ومع سمعان الشيخ البار ينطلق بسلام (لو ٢: ٢٩)، إذ أنه متأكد من أن الله سيتسلم روحه. وهو يستودع كل شئونه بين يدي الله، ويشعر براحة إذ يترك النتيجة لله.

المزمور الخامس

لإمام المغنين على ذوات النفخ. مزمور لداود

هذا المزمور يشكل صلاة– موجهة بكل خشوع إلى الله– في وقت كان المرنم فيه يعاني محنة أليمة نتيجة حقد أعدائه.

أولا: يقيم داود مراسلة بينه وبين الله، إذ يعد أن يصلي، ويمني نفسه بأن الله سيستمع إليه (ع ١– ٣).

ثانيا: يعطي المجد لله، ويعزي نفسه بقداسة الله (ع ٤– ٦).

ثالثا: يعلن قراره بأنه سيتمسك بالعبادة الجمهورية لله (ع ٧).

رابعا: قام بالصلاة..

(١) لأجل نفسه، حتى يرشده الله ويهديه (ع ٨).

(٢) ضد أعدائه، لكي يهلكهم الله (ع ٩ و١٠).

(٣) من أجل شعب الله كله، لكي يعطيهم الله فرحا ويحفظهم سالمين (ع ١١ و١٢).

عدد ١ – ٦

في هذه الأعداد يصلي داود إلى الله:

أولا: باعتبار أنه إله يسمع الصلاة، كما كان شأنه منذ أن بدأ الناس يدعون اسم الرب، ومع ذلك فهو لا يزال مستعدا لسماع الصلاة كما هو عهده دائما. وقد لقبه داود هنا بقوله: «يا رب» (ع ١، ٣)، الرب الكائن في ذاته، والمكتفي بذاته، الذي نحن ملزمون بعبادته، وبقوله: «ملكي وإلهي» (ع ٢)، الذي عاهدته بولائي له، والذي وضعت نفسي تحت حمايته باعتباره ملكي. نحن نؤمن بأن الله الذي نصلي إليه هو ملك وهو إله، وأقوى سند في الصلاة هو أن ننظر إليه باعتباره ملكنا وإلهنا.

(١) ما يصلي داود من أجله هنا، قد يشجع إيماننا وآمالنا في كل ما نصلي لله من أجله. «لكلماتي أصغ يا رب». وقد لا يستمع الناس لنا، أو ربما لا يستطيعون ذلك. فأعداؤنا متغطرسون، ومن ثم لن يسمعوا لنا، وأصدقاؤنا بعيدون لا يستطيعون سماعنا. لكن الله رغم علوه، ومع أنه في السماء، إلا أنه يستطيع أن يسمعنا، وهو مستعد لذلك «تأمل صراخي». صلوات داود لم تتضمن كلماته فقط، بل وتأملاته أيضا. فالتأمل والصلاة يجب أن يتلازما (مز ١٩: ١٤).

(٢) ويعد داود هنا بأربعة أمور، وهذا ما ينبغي علينا نحن أن نعمله:

أ. وعد بأن يصلي، وأن يجعل من الصلاة شغله الشاغل. والتأكيدات التي يعطيها الله لنا عن استعداده لسماع صلواتنا، يجب أن تشدد عزمنا على أن نحيا ونموت مصلين.

ب. وأن يصلي «بالغداة». صلاة الصباح من واجباتنا، فنحن نكون في أفضل حالة للصلاة، حينما نكون في أفضل حالاتنا من حيث الحيوية والهدوء، بعد أن نكون قد نعمنا بالراحة نتيجة نومنا أثناء الليل، ومن ثَم استعدنا نشاطنا، وقبل أن ننغمس في عملنا اليومي. وفي هذه الحالة نحن أحوج ما نكون إلى الصلاة.

ج. وأنه سيركز في صلاته: «أوجِّه صلاتي»، وكما يوجه الرامي سهمه إلى الهدف بكل دقة وثبات، علينا نحن أيضا أن نكون هكذا حينما نوجه صلاتنا إلى الله. ولتكن أولى طلباتنا «ليتقدس اسمك» (أي مجد اسمك)، وهنا علينا أن نكون على ثقة من تلقي نفس الاستجابة الكريمة التي أعطيت للمسيح نفسه: «مجدت وأمجد أيضا».

د. وأنه سينتظر بصبر الاستجابة في سلام: «وأنتظر». سأهتم بصلاتي و«أسمع ما يتكلم به الله الرب» (مز ٨٥: ٨؛ انظر أيضا حبقوق ٢: ١)، حتى إذا أعطاني ما طلبت أكون من الشاكرين، وإذا لم يعطني إياه– أو إذا تأنى– فسأواصل صلاتي وانتظر، ولن أكِلَّ.

ثانيا: يذكر داود أنه إله يكره الخطية (ع ٤– ٦) إن الله الذي نتعامل معه إله رؤوف ورحيم، وأيضا طاهر ومقدس. ومع أنه مستعد لسماع الصلاة، غير أنه إذا كنا نحب الخطية ونخبئها في قلوبنا، فإنه لن يستمع لصلواتنا (مز ٦٦: ١٨). فالله لا يسر بالشر، حتى ولو كان مستترا تحت عباءة الدين. ولذلك فعلى الذين يسرون بالخطية أن يعرفوا أن الله لا يسر بهم. والذين لا يسر بهم سوف يهلكون، ولاسيما بالنسبة لنوعين من الخطاة، ذكر هنا أن مصيرهم هو الهلاك، وهم: الحمقى الذين يخادعون في كلامهم أو يكذبون، والذين هم مخادعون. وكذلك الذين يتسمون بالقسوة: «رجل الدماء» حيث «يكرهه الرب»، لأن عدم الإنسانية ليست أقل بغضا بالنسبة لإله الرحمة، الذي تسره الرحمة.

عدد ٧– ١٢

يقدم داود في هذه الفقرة ثلاثة أوصاف. وصفا لنفسه، ولأعدائه، ولجميع شعب الله، ويلحق كل وصف بصلاة من أجل من وصفهم.

أولا: يتحدث عن نفسه ثم يصلي من أجل نفسه (ع ٧ و٨).

(١) يصمم أن يكون قريبا من الله وعبادته.

أ. أن يعبد الله، ويقدم له الإجلال، ويعطيه المجد المستحق لاسمه.

ب. وأن يعبده علانية: «أدخل بيتك»، ديارك، لكي أسجد لك هناك مع غيري من العابدين الأوفياء. وكان داود كثير الاستغراق في العبادة السرية، فكثيرا ما كان يصلي وحده منفردا (ع ٢ و٣)، ومع ذلك

كان يحرص بصفة دائمة على حضور الصلاة في بيت الرب.

ج. وأن يعبده بوقار، شاعرا بالمسافة غير المحدودة التي تفصل بين الله والإنسان.

د. أن يحصل على التشجيع من العبادة، من الله نفسه وليس من أحد سواه. ورحمة الله يجب أن تكون دائما أساس رجائنا، ومصدر فرح في كل شيء نعمله معه.

(٢) يصلي بحرارة من أجل أن يحفظه الله دائما بنعمته، ويهديه إلى طريق عمل واجبه (ع ٨): «اهدني إلى برك بسبب أعدائي»- ارشدني إلى عمل برك عند مواجهة أعدائي لي، (بحسب ترجمة أخرى)- الذين يترصدونني لكي يعوقوني، ويتحينوا أية فرصة للإيقاع بي.

ثانيا: تحدث عن أعدائه، وصلى ضدهم (ع ٩ و١٠). سبق أن تحدث في آية ٦ عن كراهية الله لرجل الدماء والغش. وهو يقول: ها هي يا رب صفات أعدائي، فأفواههم عامرة بالغش، ولا يمكن الوثوق بهم لأنه «ليس في أفواههم صدق». وهم بسبب خطاياهم يستحقون الهلاك، وهناك ما يكفي رفض الله لهم تماما: «بكثرة ذنوبهم طوِّح بهم»، الأمر الذي ملأوا به مكيال آثامهم، وأصبح الأمر مهيأ لهلاكهم. وقد كانت حجته هي: «لأنهم تمردوا عليك». ولو كانوا أعدائي فقط، لسامحتهم عن طيب خاطر، لكنهم تمردوا على الله وعلى سلطانه وكرامته، فهم يعارضون حكمه، ولن يعرفوا للتوبة طريقا، ولن يعطوه مجدا، وعلى ذلك فإني بكل جلاء أتنبأ بهلاكهم. صلاته من أجل هلاكهم لم تأتِ وليدة رغبة في الانتقام، بل بروح النبوة تنبأ أن كل الذين يتمردون على الله، لاشك أنهم سيهلكون بواسطة ما يحيكونه من مؤامرات.

ثالثا: تحدث عن شعب الله، وصلى من أجلهم، واختتم كلامه عنهم بثقته في أنهم سينالون بركة. وهؤلاء هم الصديقون (ع ١٢): لأنهم يحتمون بالله، وكلهم ثقة في قوته وكفايته التامة، ويغامرون بكل شيء متكلين على وعده، وهم واثقون من حمايته لهم. لتعطهم أن يبتهجوا بك، أعطهم ما يبهجهم، وأعطهم قلوبا يبتهجون بها، املأهم فرحا، فرحا عظيما لا ينطق به. ليت كل المؤهلين لأن يكون لهم نصيب في مواعيد الله أن يكون لهم نصيب في صلواتنا، و«النعمة مع جميع الذين يحبون ربنا يسوع المسيح في عدم فساد (بإخلاص)». إنهم آمنون في ظل حماية نعمتك، وأنت تباركهم، والترس في الحرب لا يحمي إلا جانبا واحدا، لكن نعمة الله تعد بالنسبة للقديسين دفاعا يحميهم من كل جانب، مثل السياج الذي سيج به أيوب، كان من كل جانب، حتى إنهم، ماداموا يحفظون أنفسهم تحت الحماية الإلهية فهم في أمان تام، ويجب أن يكونوا راضين تماما.

المزمور السادس

لإمام المغنين على ذوات الأوتار على القرار
مزمور لداود

كان داود نبيا باكيا مثل إرميا، وهذا المزمور إحدى مراثيه: كتب في وقت محنة عظيمة داخليا وخارجيا. أحزين أحد؟ أمريض أحد بينكم؟ فليرنم هذا المزمور. وهو يبدأ المزمور بشكاوى حزينة، ولكنه يختتمه بتسابيح مفرحة.

ويشكو داود هنا من ثلاثة أمور:

- مرضه جسديا.
- انزعاجه ذهنيا.
- الإهانات التي يوجهها له أعداؤه نتيجة ذلك. ونجده في هذا المزمور.

أولا: يطرح شكاواه أمام الله، لكي يتفادى غضبه، ويلتمس منه بحرارة أن يعيد نعمته عليه (ع ١- ٧).

ثانيا: كان على ثقة من أنه سيتلقى استجابة حلول السلام، في وقت قريب، حتى يرضى تماما (ع ٨- ١٠). هذا المزمور يشبه سفر أيوب.

عدد ١- ٧

هذه الأعداد تتحدث بلغة قلب تذلل حقا تحت تأديبات الله، وعن روح منكسر حزين تحت وطأة محن كبيرة.

أولا: إنه يعرض أمام الله المتاعب التي ألمت به. ويطرح شكواه أمامه. فإلى أين يذهب الطفل بشكاواه إلا إلى أبيه؟ وداود يشكو هنا من مرض وألم في جسمه (ع ٢): «لأن عظامي قد رجفت» فقد مس المرض عظمه ولحمه على غرار ما حدث مع أيوب. كما يشكو من متاعب نفسية: «ونفسي قد ارتاعت

جدا». وهذا ما يؤلمه بأكثر من ألم عظامه. وإنه لأمر محزن بالنسبة لأي إنسان أن يتألم جسديا ونفسيا في آن واحد. «يا رب فحتى متى؟» وعلينا- في مثل هذه الحالات- أن نلجأ إلى الله الحي فهو الطبيب الوحيد الذي يستطيع شفاء الجسد والعقل، ولا نلجأ إلى الأشوريين، ولا إلى إله عقرون.

ثانيا: تأثير متاعبه عليه. كانت متاعبه شديدة الوطأة عليه: «تعبت في تنهدي». وكان لداود من الشجاعة والفهم ما يحملانه على ألا يحزن بسبب أية محنة خارجية. غير أنه حين اشتدت وطأة الخطية على ضميره هنا بدأ يحزن ويتألم سرا، بل إن نفسه أبت أن تتعزى. والتائبون الصادقون يبكون وهم في عزلتهم. وكان داود يستسلم لحزنه ليلا وهو على فراشه يتفحص قلبه، ولم يكن أحد يشهد حزنه سوى ذاك الذي يرى في الخفاء. لقد خرج بطرس خارجا وغطى وجهه وبكى. ولقد كلَّت عين داود بسبب أعدائه، الذين كانت تفرحهم آلامه، وكانوا يسيئون تفسير سبب بكائه.

ثالثا: الالتماسات التي رفعها إلى الله في هذه الحالة المحزنة التي تدعو إلى الشفقة والرثاء. أما أكثر ما كان يخشاه فهو غضب الله. ولذلك صلى قائلا (ع ١): «يا رب لا توبخني بغضبك»، على الرغم من أني أستحقه، أو «ولا تؤدبني بغيظك». وهو يستطيع أن يتحمل التوبيخ والتأديب بشكل جيد، إذا أشرق الله بنوره عليه في ذات الوقت، وأعطاه بروحه القدرة على إدراك الفرح والبهجة الناشئين عن محبته وتعطفه. أما آلام جسده فبمقدوره أن يتحملها إذا ما شعر بتعزية في نفسه. أما الخير الأعظم الذي يتمناه، والذي سيعد بالنسبة له استعادة كل خير، فهو نعمة الله والصداقة معه. فهو يصلي من أجل أن يرحمه الله ويتحنن عليه. وأن يغفر له الله خطاياه. وأن يستخدم الله قوته من أجل خلاصه: «اشفني يا رب» (ع ٢)، «نج نفسي» (ع ٤). وأن يكون في سلام معه: «عد يا رب»، اقبلني في رحمتك ثانية، وتصالح معي. وهذا هو ما يحفظ- بصفة خاصة- الإنسان الداخلي، أيا كان ما يحدث بالنسبة للجسد: «يا رب نج نفسي».

رابعا: الحجج التي استند إليها لتدعيم التماساته، لا ليحرك الله، بل ليحرك نفسه. استند إلى بؤسه «نج نفسي»، وإلى رحمة الله «من أجل رحمتك»، وإلى تمجيد الله (ع ٥): «لأنه ليس في الموت ذكرك».

عدد ٨- ١٠

يا له من تغيير إلى الأفضل ذاك الذي نجده هنا. فذاك الذي كان يئن ويبكي، معتبرا أنه ليس ثمة أمل (ع ٦ و٧)، نراه هنا يتكلم على أحسن حال.

أولا: يميز نفسه عن الأشرار وفاعلي الإثم، ويحصن نفسه ضد إهاناتهم (ع ٨): «ابعدوا عني يا جميع فاعلي الإثم». ذلك أن فاعلي الإثم كانوا يغيظونه، ويضايقونه، ويسخرون منه قائلين: أين هو إلهك. حيث كانوا يفرحون إذ يرونه في حالة من الكآبة والقنوط. أما الآن فقد كانت له القدرة على الرد على أولئك الذين كانوا يوبخونه، ذلك أن الله عزى نفسه وسوف يتم خلاصه في القريب. أما الآن: «ابعدوا عني»، فلن أصغي إطلاقا لمشوراتكم، أنتم تريدونني أن ألعن الله وأموت، غير أنني سأباركه وأعيش. وإذ عمل الله أشياء عظيمة من أجلنا فيجب أن يدفعنا هذا إلى التفكير فيما يجب علينا نحن أن نعمله من أجله.

ثانيا: أكد لنفسه أن الله كان، وسوف يكون دائما متسامحا غفورا معه، على الرغم من لمحات الغضب التي كان يعاني منها عندئذ. وهو واثق من استجابة كريمة لصلاته التي يرفعها إلى الله الآن. ومع أنه كان لايزال يتكلم، إلا أنه كان يدرك أن الله يسمعه، وعلى هذا فكان يقول بروح المنتصر: «لأن الرب قد سمع» (ع ٨)، ومرة ثانية (ع ٩): «سمع الرب». على ذلك استدل أن جميع صلواته الأخرى ستلقى هذه الاستجابة المواتية: «سمع الرب تضرعي»، ومن ثَم فإنه «يقبل صلاتي».

ثالثا: إنه يصلي من أجل توبة أعدائه ومضطهديه، أو هلاكهم (ع ١٠).

(١) يمكن أن يؤخذ هذا العدد بالفعل على أنه صلاة من أجل توبتهم: ليخزوا جميعا لمعايراتهم لي. ليتضايقوا من أنفسهم (شأن كل من يتوبون حقا) لحماقتهم، ليتك ترجعهم إلى حالة عقلية أفضل مما

هم عليه الآن.

(٢) إذا لم يتوبوا، فتعد هذه نبوة عن ارتباكهم وهلاكهم. فسوف «يخزون ويرتاعون جدا»، وهذا عدل بالنسبة لهم. لقد فرحوا حينما رأوا داود في ألم (ع ٢ و٣)، وعلى ذلك- وكما يحدث عادة- يرتد الشر عليهم، فسوف يرتاعون هم أيضا.

المزمور السابع

شجوية لداود غناها للرب بسبب كلام كوش البنياميني

يبدو من عنوان هذا المزمور أنه كتب للإشارة بصفة خاصة إلى الاتهامات الخبيثة التي وجهت لداود ظلما من قِبل بعض أعدائه.

وإذ ظُلم على هذا النحو فإنه:

أولا: التجأ إلى الله من أجل نعمته (ع ١ و٢).

ثانيا: ناشد الله أن يظهر براءته (ع ٣- ٥).

ثالثا: صلى إلى الله لكي يدافع عنه، ويحكم له على ظالميه (ع ٦- ٩).

رابعا: عبَّر عن ثقته في أن الله سيفعل هذا (ع ١٠- ١٦).

خامسا: وعد بأن يعطي لله مجد خلاصه (ع ١٧).

عدد ١- ٩

الشجوية هي ترنيمة أو مزمور (وقد استخدمت هذه الكلمة بهذا المعنى هنا وفي حبقوق ٣: ١ فقط)- وهي ترنيمة ارتجالية (كما يقول البعض)، حيث نجد اختلافات في أجزائها العديدة من ناحية الموضوع والإنشاء، وقد وضعت معا بشكل متكلف- ويقول آخرون إنها ترنيمة شجية وبهيجة جدا. لم يكتبها داود فحسب، بل ترنَّم بها هو نفسه للرب بطريقة تعبدية مخلصة للرب، وهي تتعلق بأقوال أو أعمال كوش البنياميني، أي أن لها علاقة بأحد أقرباء شاول ويدعى كوش، والذي كان من أعداء داود الألداء، والذي تسبَّب في وقوع مشاكل بينه وبين شاول. وإذ ظُلم داود على هذا النحو، فمن ثَم التجأ إلى الرب، ولم تنزعج روحه نتيجة لذلك، بل ولم يتحرك وتر صاخبا في قيثارته. وهكذا ليت الإهانات التي تأتينا من الناس تثير فينا روح العبادة لله، بدلا من أن تثير آلامنا.

أولا: وضع نفسه تحت حماية الله (ع ١): «يا رب... خلصني... ونجني» من قوة وحقد «كل الذين يطردونني»، حتى لا ينفذون إرادتهم ضدي. وهو يناشد الله على أساس:

(١) علاقته بالله: أنت يا رب «إلهي»، فإلى من التجأ إلا إليك؟

(٢) ثقته فيه: يا رب خلصني لأني أتكل عليك، وليس على ذراع بشر، لأنك أنت ملجأي.

(٣) غضب أعدائه وحقدهم، والخطر الوشيك الذي كان معرضا له حيث كانوا سيبتلعونه: نجني يا رب وإلا هلكت، لأن عدوي سيفترسني، كما يفترس الأسد فريسته.

(٤) فشل جميع المعاونين الآخرين: تفضل يا رب ونجني، لأنه «لا منقذ» غيرك (ع ٢).

ثانيا: عرض بكل خشوع براءته واحتجاجه ضد كل ما اتهم به، وهو يلتجئ إلى الله ذاكرا لعنات فظيعة يلحقها الله- فاحص القلوب- به، إذا لم يجده بريئا من اتهاماتهم (ع ٣- ٥). ولم يكن أمام داود أية محكمة على الأرض يمكن أن يلجأ إليها. ولكن كانت له محكمة السماء، حيث القاضي العادل، الذي بمقدوره أن يدعوه إلهه. لقد اتهم بأنه يدبر مؤامرة دنيئة ضد شاول لخلعه عن العرش والقضاء على حياته. الأمر الذي أنكره داود تماما. فلم يتآمر داود على حياة شاول- ولقد رتبت العناية الإلهية أن يقع شاول تحت رحمته، وكان هناك مع داود من كانوا يودون قتله، إلا أن داود منعهم، وذلك حين قطع داود طرفا من جبته (١صم ٢٤: ٤)، وبعد ذلك حين أخذ رمحه (١صم ٢٦: ١٢) وذلك ليثبت أنه كان بمقدوره قتل شاول، غير أنه لم يفعل. وإذا كان داود مذنبا (ع ٥): «فليطارد عدو نفسي» حتى الموت، وليحط من اسمي بعد موتي: «وليحط إلى التراب مجدي». بهذا الحلف، أو هذه اللعنة، يؤكد داود هنا على إعلان براءته.

ثالثا: بعد شهادة ضميره هذه فيما يتعلق ببراءته، صلى إلى الله بكل خشوع أن يدافع عنه ضد ظالميه، وكان يدعم كل التماس بحجة صحيحة.

(١) يصلي لكي يظهر الله غضبه ضد أعدائه:

إنهم يا رب غاضبون عليَّ ظلما وافتراء، فلتغضب عليهم بعدل، ولتعرفهم أنك هكذا (ع ٦): «قم يا رب بغضبك» إلى كرسي الدينونة «على سخط مضايقيّ».

(٢) يصلي لكي يدافع الله عنه: «انتبه لي» (استمع إلى قضيتي). وهو يصلي (ع ٧) قائلا: «فعد فوقها إلى العلى» وفي ترجمة أخرى (فتحكمها من منصة القضاء العالية)، حتى يعترف بشكل شامل أن السماء ذاتها تعترف بقضية داود وتدافع عنها. ولقد صلى ثانية (ع ٨): «اقض لي» أي أصدر حكما لصالحي. «الرب يدين الشعوب» (ع ٨) إن هذا موقعه، وهذا وعده «الله هو القاضي» (مز ٧٥: ٧)، ولذلك «اقض لي يا رب». سوف يؤول ذلك بالأكثر إلى مجد الله، وبناء شعبه وتعزيتهم، إذا ما دافع الله عنه. لتدع «مجمع القبائل يحيط بك»، اعمل ذلك من أجلهم، حتى يقدموا لك التسابيح والعبادة في ديار بيتك.

(٣) يصلي بصفة عامة من أجل تجديد الخطاة وتثبيت القديسين (ع ٩): «لينته شر الأشرار وثَبِّت الصدِّيق». ونجد هنا أمرين يجب على كل واحد منا أن يرغبهما ويأمل فيهما:

أ. دمار الخطية، أي أن تنتهي بالنسبة لنا وللآخرين. وهذا هو الذي يجب أن يريده ويصلي من أجله كل الذين يحبون الله ومن أجله يكرهون الخطية.

ب. استمرار البر: ولكن «ثَبِّت الصدِّيق». وكما نصلي من أجل أن يرجع الشرير عن شره ويصبح بارا، هكذا نصلي أيضا من أجل أن يصير الصديقون أفضل.

عدد ١٠ – ١٧

وإذ أودع داود طلباته لدى الله بالصلاة، واعترافه بكل خشوع بأمانته، فإنه– إذا جاز التعبير– استصدر حكما على أساس هذه المناشدة، وذلك بإيمانه بكلمة الله، وتأكيدها بشأن سعادة البار وسلامته، والهلاك الأكيد للأشرار الذين يواصلون شرهم دونما توبة.

أولا: كان داود على ثقة من أنه سيجد في الله حاميه القوى ومخلصه العظيم، والمدافع عن براءته وظلمه (ع ١٠): «ترسي عند الله»، فالله ترس يعطي تأكيد الأمان والحماية لكل الذين هم له– وقد بنى داود هذه الثقة على أمرين:

(١) النعمة الخاصة التي يعطيها الله لكل المخلِصين: «مخلص مستقيمي القلوب»، ولذلك يحفظهم لملكوته السماوي، فهو يخلصهم من متاعبهم الراهنة، طالما أن في هذا خيرا لهم.

(٢) الاحترام العام الذي يكنه للعدل والحق: «الله قاض عادل»، وهو يؤيد أية قضية عادلة، ويحفز كل إنسان مستقيم على مناصرتها، وسوف يحميه. «الله قاض عادل»، لا يعمل البر هو نفسه فحسب، بل يهتم أن يعمل بنو الإنسان البر أيضا، وسوف ينتقم ويعاقب كل ظلم.

ثانيا: لم يكن عنده شك فيما يتعلق بهلاك كل ظالميه، مهما كان عدد من لا يتوبون ولا يعطون مجدا لله. لقد ذكر مصيرهم هنا من أجل صالحهم، حتى أنهم إذا كان ممكنا– قد يتوقفون عن عداوتهم، أو قد يكون ذلك من أجل تشجيعه هو، حتى لا يخاف منهم، أو يحزن لنجاحهم وازدهارهم إلى حين. والله يغضب على الأشرار حتى وهم في أسعد أوقاتهم وأوج نجاحهم. وهلاك الأشرار يمكن منعه عن طريق توبتهم، وهذا هو الشرط: «إن لم يرجع» عن طريق شره، ما لم يرجع عن عداوته لشعب الله، هنا يتوقع أنه في ذلك سيكون هلاكه. غير أنه إذا رجع، فقد أشير هنا إلى أن خطيته ستغفر، وتنصلح كل أحواله. وهكذا نجد أنه حتى التهديد بالغضب جاء مع تلميحات كريمة بالرحمة. ذلك أنه فيما يعد الله أدوات الموت، فإنه في غضون ذلك يعطي الخطاة تحذيرات في حينها عن الخطر الذي هم فيه، ويعطيهم فرصة للتوبة ومنع هذا الخطر. وهو بطيء العقاب، وهو يصبر علينا لأنه لا يريد أن يهلك أحد. ومن بين كل الخطاة، فقد وُضِع الظالمون كأول أهداف الغضب الإلهي، أكثر مما هو الحال بالنسبة لغيرهم. لقد عيَّن الله سهامه. لقد وضعوا الله في موقف التحدي، غير أنهم لم يستطيعوا أن يجعلوا أنفسهم بعيدا عن متناول دينونته. سوف يدمرون أنفسهم (ع ١٤– ١٦). لقد وصف الخطاة هنا، بأنهم يتعبون لهلاك أنفسهم. فعقل الخاطئ وأسلوبه يجعلانه يوصف بأنه «حمل تعبا»، واحتال على ذلك ببراعة فائقة، فقد أحسن

وضع المؤامرة، وجعلها قريبة منه. فقلب الخاطئ مع أهوائه يولدان خيالات «ولد كذبا». لقد تحمل الآلام ليلد المؤامرات الخبيثة التي كان يحملها ضد شعب الله. ولكن ماذا حدث لتلك المؤامرات الخبيثة حين مولدها ضد شعب الله؟ جاءت كذبا، كانت غشا ضد نفسه، وبمثابة كذبة. فالرجل يتعب كثيرا ويجهد نفسه ليحفر هوة، وبعد ذلك يقع فيها ويهلك. وهذا ما ينطبق بحق- وإلى حد ما- بالنسبة لجميع الخطاة فهم يعدون هلاكهم بأنفسهم، وذلك لأنهم يعدون أنفسهم للهلاك.

المزمور الثامن

لإمام المغنين على الجتية. مزمور لداود

هذا المزمور يعد تأملا خاشعا في مجد الله وعظمته. فهو يبدأ وينتهي بنفس الإقرار بسمو اسم الله وجلاله. وإثباتا لمجد الله يذكر صاحب المزمور أمثلة عن صلاحه للإنسان، لأن صلاح الله هو مجده. ويجب أن يتمجد الله:

أولا: لإعلانه عن نفسه وعن اسمه العظيم (ع ١).

ثانيا: لاستخدامه أضعف البشر لخدمة مقاصده (ع ٢).

ثالثا: لجعله الأجرام السماوية نافعة للإنسان (ع ٣ و٤).

رابعا: لأنه أعطى الإنسان السيادة على جميع المخلوقات في عالمنا هذا، وبهذا أنقصه قليلا عن الملائكة (ع ٥- ٨). وقد طُبق هذا المزمور في العهد الجديد على المسيح وعمل الفداء الذي حققه، والكرامة التي أعطاها له بنو البشر (ع ٢)، بمقارنة ما جاء في متى ٢١: ١٦، والكرامة التي أضفاها هو على بني البشر، سواء في اتضاعه، حين أُنقص قليلا عن الملائكة، وفي ارتفاعه، حين كلل بالمجد والكرامة (قارن عددي ٥ و٦ مع ما جاء في عبرانيين ٢: ٦- ٨؛ ١كو ١٥: ٢٧).

عدد ١ و٢

شرع المرنم هنا يعطي لله المجد المستحق لاسمه. ويعبر داود هنا عن إعجابه بأمرين:

أولا: كيف أن الله أظهر مجده بنفسه وبكل وضوح (ع ١). لقد وجه داود كلامه إلى الله بكل اتضاع ووقار، باعتباره سيده، وسيد شعبه: «أيها الرب سيدنا». وإذا كنا نؤمن أن الله هو السيد، يجب أن نقر ونعترف أنه سيدنا.

(١) كيف يسطع مجد الله متلألئا حتى في هذا العالم السفلي: «ما أمجد اسمك في كل الأرض». فأعمال الخليقة، والعناية الإلهية تثبت وتعلن للعالم كله أن هناك كائنا غير محدود. فليس ثمة كلام، أو لغة سوى صوت اسم الله، يُسمع فيها، أو ربما يُسمع.

(٢) كيف أنه يسطع بأكثر إشراقا في العالم العلوي: «حيث جعلت جلالك فوق السماوات».

أ. الله أمجد وأسمى من أنبل الخلائق، ومن أولئك الذين هم يسطعون إلى أقصى حد.

ب. في حين أننا، على هذه الأرض، لا نسمع سوى اسم الله السامي، ونسبحه، فإن الملائكة والأرواح المباركة في السماء يرون مجده، ويسبحونه، ومع ذلك فهو أمجد حتى من جميع تسبيحاتهم وتمجيداتهم.

ج. وحين ارتفع الرب يسوع إلى يمين الله، الذي هو بهاء مجد الله، ورسم جوهره، جعل الله مجده فوق السماوات، فوق كل الرياسات والسلاطين.

ثانيا: كيف يعلنه بقوة بواسطة أضعف مخلوقاته (ع ٢): «من أفواه الأطفال والرضع أسست حمدا»، أكملت تسبيحا، تسبيح قوتك (مت ٢١: ١٦). وهذا ما يشير إلى مجد الله:

(١) في مملكة الطبيعة. العناية التي يوليها الله للأطفال الصغار (حين يولدون في العالم ويكونون أضعف من كل الحيوانات) الحماية الخاصة التي تولى لهم، والتدبير الذي أعدته الطبيعة لهم، يجب الاعتراف من قبل كل واحد منا بأن ذلك يرجع إلى مجد الله، وأن في هذا مثالا عظيما لقوته وصلاحه، ولاسيما وأننا جميعا انتفعنا بهذه العناية.

(٢) في مملكة العناية الإلهية. في التحكم والسيطرة على العالم السفلي (الأرض) فإنه يستخدم الأطفال.

(٣) في مملكة النعمة، ملكوت المسيا، وهنا تنبأ بها الرسل الذين كان ينظر إليهم كمجرد أطفال «إنسانان عديما العلم وعاميان» (أع ٤: ١٣)، أو كأناس محتقرين ومرذولين، وبجهالة كرازتهم ستسقط مملكة الشيطان كما سقطت أسوار أريحا بصوت أبواق الكباش.

لقد سُمي الإنجيل ذراع الرب وقضيب قوته. وقد رُسم هذا ليصنع العجائب، ليس من فم الفلاسفة أو الخطباء، أو السياسيين أو رجال الدولة، بل من مجموعة من الصيادين الفقراء. ونحن نسمع الأطفال يصرخون «أوصنا لابن داود»، في حين أن الكهنة والفريسيين لم يعترفوا به. وأحيانا تظهر نعمة الله بأعجوبة في الأطفال الصغار «لمن يعلِّم معرفة، ولمن يُفهِم تعليما. أللمفطومين عن اللبن، للمفصولين عن الثدي» (إش ٢٨: ٩). وأحيانا تعمل قوة الله على حدوث أمور عظيمة في كنيسته من خلال أدوات ضعيفة ومستبعدة.

عدد ٣ - ٩

يواصل داود هنا تعظيم مجد الله بأن يعدد الكرامات التي أضفاها على الإنسان، ولاسيما لابن الإنسان المسيح يسوع. ونزول نعمة الله تتطلب تسبيحنا تماما مثل ارتفاع المجد الإلهي. ومما تجدر ملاحظته هنا:

أولا: ما الذي قاده إلى الإعجاب بنعمة الله التي نزلت متطوعة على الإنسان، إن ذلك مرده تأمله في بهاء الأجرام السمائية وتأثيرها، والتي نشاهدها بحواسنا (ع ٣): «إذا أرى سماواتك» وهنا بصفة خاصة «القمر والنجوم». ومن واجبنا أن نتأمل السماوات. فنحن نراها، ولا نستطيع إلا أن نراها. وعن طريق ذلك- ومن بين أمور أخرى- تميَّز الإنسان على البهائم، من ناحية أنه، فيما خُلقت البهائم لكي تنظر إلى أسفل، إلى الأرض، فقد خُلق الإنسان منتصبا لكي ينظر إلى أعلى صوب السماء. «السماوات سماوات للرب» (مز ١١٥: ١٦)، لأنها عمل أصابعه. لقد خلقها وبكل سهولة. وامتداد السماوات لم يكن في حاجة إلى أي ذراع ممدودة، فقد تم ذلك بكلمة، فلم يكن ذلك سوى «عمل» أصابعه. وحتى أصغر الأنوار، القمر والنجوم، تُظهر مجد أبي الأنوار وقوته، وتمدنا بمادة للتسبيح. لم يكتف الله بأن خلقها بل كوَّنها (ونظَّم مدارها، كما في ترجمة أخرى). الترتيبات الإلهية للسماوات لا يمكن تغييرها على الإطلاق. حين نتأمل كيف يسطع مجد الله في العالم العلوي، فلنا أن نتعجب حقا من ناحية أنه يأخذ في حسبانه مخلوقا لا أهمية له كالإنسان. وحين نتأمل الفائدة العظيمة للسماوات بالنسبة للإنسان على الأرض، فلا يسعنا سوى أن نقول: «فمن هو الإنسان» حتى تثبت له كل نظم الأجرام السماوية وعينك عليه وعلى نفعه، وأن تؤخذ في الحسبان تعزيته وراحته في خلق أنوار السماء وتوجيه حركاتها!

ثانيا: كيف عبر عن هذا الإعجاب (ع ٤): «فمن هو الإنسان» (إنسان خاطئ، ضعيف، بائس، مخلوق ينساك دائما وينسى واجبه نحوك) حتى تذكره على هذا النحو، وحتى تهتم به وبأعماله وشئونه، حتى إنك عند خلق العالم وضعته في اعتبارك. ومن هو «ابن آدم حتى تفتقده» كما يهتم الصديق بصديقه، وتسر بأن تتكلم معه وتشغل نفسك بأمره!

(١) بالنسبة للبشر بصفة عامة. ومع أن الإنسان دودة (أي ٢٥: ٦)، ومع ذلك يهتم الله به، ويعطف عليه عطفا كثيرا، والإنسان، قبل كل المخلوقات في هذا العالم السفلي، هو المفضل لدى العناية الإلهية، وهو أعز المخلوقات عندها. ولنا أن نتأكد أنه له الأسبقية على جميع ساكني هذا العالم، لأنه أُنقص «قليلا عن الملائكة» (ع ٥)، وهو هكذا بالفعل لأنه بجسده متحد مع الأرض ومع البهائم التي تهلك، أما نفسه وهي الروح الخالدة فهي أقرب إلى الملائكة المقدسين، حتى إنه يمكن القول بحق أنه أنقص «قليلا عن الملائكة» من ناحية الترتيب. إنه ينقص قليلا عن الملائكة لفترة وجيزة، وذلك أثناء الفترة التي تكون فيها نفسه الثمينة حبيسة بيت من طين، لكن أبناء القيامة سيكونون مثل الملائكة (لو ٢٠: ٣٦)، ولن يكونوا بعد أقل منهم. وقد وهب الإنسان ملكات وقدرات نبيلة: «وبمجد وبهاء تكلله». وعقل الإنسان هو إكليل مجده، ليته لا يدنسه بسوء استخدامه، أو يخسر هذا الإكليل بالتصرف ضد أحكام العقل. وقد وضع الله كل شيء تحت قدمي الإنسان، حتى يخدم نفسه، ليس نتيجة كده فقط، بل من نتاج وحياة المخلوقات الأدنى منه. وقد وضعت كلها تحت أمره، والواقع أنها جُعلت كلها «تحت قدميه». وقد ذُكر بنوع خاص بعضا من هذه المخلوقات الأدنى (ع ٧ و٨)، وليس فقط «الغنم والبقر»، والتي يعتني بها الإنسان، ويدبر لها ما تحتاجه، بل «وبهائم البر»، وكذلك حيوانات البحر، نعم.. تلك

المخلوقات ومعظمها بعيدة عن الإنسان مثل «طيور السماء وسمك البحر»، والتي تعيش في مجال آخر، وتمر دون أن تُرى عبر ممرات البحار. للإنسان طرقه لصيد هذه الحيوانات، على الرغم من أن الكثير منها أقوى منه، كما أن منها ما هو أسرع منه.

(٢) ولكن هذه الآية تشير بطريقة خاصة إلى يسوع المسيح. وقد تعلمنا أن نفسرها على أساس ذلك (عب ٢: ٦– ٨) فهناك، لكي يبرهن الرسول على سيادة المسيح وسلطانه في السماء والأرض، يبين أنه ذلك الإنسان، ابن الإنسان الذي أشير إليه في هذا المزمور، والذي كلله الله «بمجد وبهاء»، وسلطه على أعمال يديه ولدينا من الأسباب التي تدعونا إلى أن نقيِّم أنفسنا بكل تواضع على ضوء ذلك، وأن نعجب شاكرين بنعمة الله في هذا الأمر.

أ. بأن يسوع المسيح أخذ طبيعة الإنسان، وهو بذلك وضع نفسه، لمدة قليلة (هكذا فسرها الرسل) وضع أقل من الملائكة، وذلك حين أخذ على عاتقه أن يظهر في الهيئة كعبد، وجعل نفسه كلا شيء.

ب. وأنه، في هذه الطبيعة، رُفع لكي يكون رب الكل. لقد رفعه الله الآب، لأنه وضع نفسه، وكلله «بمجد وبهاء». المجد الذي كان له قبل تأسيس العالم. لقد وضعت كل المخلوقات تحت قدميه، وحتى أثناء فترة تجسده، أعطى بعض دلالات سلطانه عليها، مثلما فعل حين أمر الريح والبحر فأطاعاه.

المزمور التاسع

لإمام المغنين. على موت الابن. مزمور لداود

في هذا المزمور:

أولا: يحمد داود الرب لأنه دافع عن قضيته، وأعطاه النصرة على أعداء بلاده (ع ١– ٦)، وهو يدعو الآخرين لينضموا معه ويشاركوه في ترانيم تسبيحه (ع ١١ و١٢).

ثانيا: يصلي إلى الله لكي يعطيه فرصة أخرى لتسبيحه (ع ١٣ و١٤، ١٩ و٢٠). وهو يشعر بالنصرة ليقينه من أن الله يدين العالم بالاستقامة (ع ٧ و٨)، ويحمي شعبه المظلوم (ع ٩ و١٠، ١٨)، وأنه سيُهلك أعداءه وأعداء شعبه البغيضين (ع ١٥– ١٧).

عدد ١– ١٠

عنوان هذا المزمور يضفي بعض الشكوك حول المناسبة التي كتب فيها. وهو على نغمة «موت الابن»، الأمر الذي حمل البعض على الاعتقاد بأنه يشير إلى موت جليات، وآخرون يقولون إلى نابال، وهناك من يقولون إن الإشارة هي لأبشالوم. غير أني أميل إلى الاعتقاد بأنها إشارة إلى لحن ما، أو إلى آلة موسيقية، يرنم هذا المزمور عليها، وأن الأعداء هم الفلسطينيون وبعض الأمم المجاورة (٢صم ٥: ٨).

أولا: يحمد داود الله لمراحمه، وللأمور العظيمة التي عملها مؤخرا له ولمملكته (ع ١ و٢). والفرح المقدس هو حياة الحمد والشكر، كما أن الحمد والشكر هما لغة الفرح المقدس: «أفرح وأبتهج بك». فانتصارات الفادي يجب أن تكون انتصارات المفديين (انظر رؤيا ١٢: ١٠؛ ١٥: ٣ و٤؛ ١٩: ٥).

ثانيا: يعترف بقوة الله العظيمة والتي لا يستطيع أعتى أعدائه وأقواهم مقاومتها أو الوقوف أمامها بأي شكل (ع ٣). فقد اضطروا إلى التراجع. وعند رجوعهم إلى الخلف يسقطون ويهلكون، فحتى تقهقرهم سيكون فيه هلاكهم، ولن يستطيعوا أن ينقذوا أنفسهم سواء بالفرار أو بالقتال. فوجود الرب ومجد قوته، كافيان لهلاك أعدائه وأعداء شعبه. وقد تحقق هذا حين قال المسيح عبارة واحدة «أنا هو»، فإذا بأعدائه قد «رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض» (يو ١٨: ٦).

ثالثا: يعطي لله مجد بره، إذ دافع عنه (ع ٤): «أقمت حقي ودعواي»، أي دعواي العادلة، و«جلست على الكرسي قاضيا عادلا».

رابعا: يسجل بفرح انتصارات إله السماء على كل قوى الجحيم وضمن تسبيحاته هذه الانتصارات (ع ٥): «انتهرت الأمم»، أعطيتهم دلائل حقيقية على غضبك منهم: «أهلكت الشرير». لقد دفنتهم في عالم النسيان.

خامسا: يتهلل عندما قام الله ضد أعدائه (ع ٦) «وهدمت مدنا». وإما أن يكون المعنى هو: أنت أيها العدو خربت مدننا، على الأقل من حيث عزمكم أو تصوركم، وإما: أنت يا الله هدمت مدنهم بالخراب

الذي جلبته على بلادهم.

سادسا: عزى نفسه والآخرين في الله، وكان يجد سرورا إذ يتفكر فيه.

(١) حين يتفكر في أبديته. فنحن لا نرى شيئا أبديا على هذه الأرض، فحتى المدن القوية تدفن في النفايات وتنسى، «أما الرب فإلى الدهر يجلس» (ع ٧).

(٢) وإذ يفكر في سيادته وسلطانه وفي الدينونة: «ثبت... كرسيه» ثبته بحكمته غير المحدودة، وبمشورته التي لا تتغير.

(٣) وإذ يفكر في عدله وبره في جميع إدارته لمملكته. «وهو يقضي للمسكونة» (كل الأشخاص، وكل الخلافات)، «ويدين الشعوب (سيقرر مصيرهم سواء في هذا العالم، أو في الحالة المستقبلية) بالاستقامة» بدون أية استثناءات.

(٤) بتفكيره في النعمة الخاصة التي أعطاها الله لشعبه والحماية الخاصة التي يوليها لهم. «ويكون الرب ملجأ للمنسحق»، فهو يدبر للمنسحق مكانا عاليا، وحصينا، وذلك «في أزمنة الضيق».

(٥) مع أفكار القناعة وراحة الفكر التي هي من نصيب أولئك الذين يتخذون الله ملجأ لهم (ع ١٠): «ويتكل عليك العارفون اسمك»، كما فعلت أنا، وحينئذ سيكتشفون، كما حدث بالنسبة لي، أنك «لم تترك طالبيك». وكلما عرفنا الله بشكل أفضل، زاد اتكالنا عليه. والذين يعرفونه كإله ذي حكمة غير محدود، تزيد ثقتهم فيه: «فإذا قلت إنك لست تراه فالدعوى قدامه فاصبر له» (أي ٣٥: ١٤)، والذين يعرفونه كإله ذي قوة قادرة سوف يتكلون عليه حينما تخذلهم ثقتهم في البشر ولا يجدون أمامهم شيئا آخر يمكنهم الوثوق فيه (٢أخ ٢٠: ١٢). وأولئك الذين يعرفون فيه إلها غير محدود في نعمته وصلاحه سوف يثقون فيه حتى وإن قتلهم (أي ١٣: ١٥). والذين يعرفون فيه إلها لا يتزعزع حقه وأمانته سيفرحون بوعده، ويجدون فيه راحتهم. والذين يعرفونه كأبي الأرواح، والآب السرمدي، سيأتمنونه على نفوسهم حتى النهاية.

عدد ١١- ٢٠

أولا: بعد أن حمد داود الرب بنفسه، نراه يدعو الآخرين لكي يحمدوه هم أيضا بدورهم (ع ١١): «رنموا للرب الساكن في صهيون». وكما أن مقره الخاص بمجده هو في السماء، فإن مقره الخاص بنعمته هو في كنيسته، التي ترمز إليها صهيون. ليت أولئك الذين يعاملون شعب الله بوحشية ودون هوادة يلحظون بصفة خاصة عدالة الله في الانتقام لدم شعبه إسرائيل من الفلسطينيين وجيرانهم الأشرار، الذين شنوا الحرب عليهم وعاملوهم بوحشية بالغة (ع ١٢).

ثانيا: بعد أن حمد داود الله لمراحمه السابقة، وإنقاذه له مرات عديدة، نراه هنا يصلي بحرارة لكي يدافع الله أيضا عنه، لأنه لم يرَ بعد أن كل الأشياء جعلت تحت قدميه. «ارحمني يا رب». فليس لديَّ إلا البؤس، وليس لي أي استحقاق أبرر به نفسي، ولا ينبغي لي إلا أن اعتمد على رحمتك فقط من أجل خلاصي. «انظر مذلتي من مبغضيَّ»، واعمل معي بحسب صلاحك. واختباراته السابقة للمنافع التي أغدقها الله عليه، وتوقعه استمرارها الآن. حملته على القول: «يا رافعي» فأنت الذي تستطيع ذلك، وكما عملت في الماضي، ستفعل ذلك، لأنه من مميزاتك التي تتفرد بها أنك تستطيع أن ترفع شعبك «من أبواب الموت» ولم نُذل إلى هذا الحد إطلاقا، ولم نقترب إلى الموت إطلاقا بحيث لا يستطيع الله أن يرفعنا. فإذ كان قد خلصنا من الموت الروحي الأبدي، فهذا يشجعنا على أن يكون لنا رجاء بأنه في كل شدائدنا سيكون نعم العون لنا. وهنا يرمي داود بكل إخلاص إلى الترنم بحمد الله حين تكمل انتصاراته (ع ١٤).

ثالثا: يتنبأ داود بالإيمان، ويتحدث عن الهلاك الأكيد لكل شعب شرير، سواء في هذا العالم أو في العالم الآتي. والله ينفذ الدينونة عليهم متى فاض كيل إثمهم، لأنهم يسقطون في الهوة التي حفروها بأنفسهم (مز ٧: ١٥). فالسكارى يقتلون أنفسهم، والمبذرون يحولون أنفسهم إلى متسولين، والمشاكسون يجلبون لأنفسهم الأذى. في هذه الدينونات نجد أن «غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم». فالأشرار «يرجعون إلى الهاوية» (كما

يساق الأسرى إلى السجن)، بل وكذلك «كل الأمم الناسين الله». ونسيان الله هو سبب كل الشرور التي يرتكبها الأشرار.

رابعا: يشجع داود شعب الله على انتظار خلاصه، على الرغم من أنه قد يتأخر طويلا (ع ١٨). فالمحتاجون يأتي عليهم وقت يعتقدون- كما يعتقد الآخرون- أنهم منسيون، ويتلاشى توقعهم العون من الله. لكن الذي يؤمن لا يتسرع، «لأن الرؤيا بعد إلى الميعاد، وفي النهاية تتكلم» (حب ٢: ٣). وبمقدورنا أن نتخذ من هذا أساسا بأنه ليس ثمة شك أن شعب الله لن ينسى إلى الأبد، بل ولن يخيب رجاؤهم الذي قام على مواعيد الله.

خامسا: ويختتم المزمور بصلاة بأن يذل الله المتكبرين، ويكسر شوكة المفترين، ويدمر مؤامرات كل الأشرار من أعداء كنيسته: «قم يا رب» (ع ١٩)، استخدم قوتك، خذ كرسيك، وواجه كل المتغطرسين المتبجحين من أعداء اسمك وشعبك. «لا يعتز الإنسان»، لتضع كرامتك في الاعتبار، ولا تسمح لأناس ضعفاء هالكين بأن ينتصروا ضد ملكوت ومقاصد الله القوي الأبدي. هل يستطيع الإنسان الهالك أن يقف أمام الله ويقوى على خالقه؟ إنه لأمر مرغوب فيه جدا، لاسيما لمجد الله وسلام الكون ورفاهيته، أن يعرف الناس أنهم مجرد بشر، وأنهم مخلوقون يعتمدون على الله، وأن مصيرهم الموت، وأنهم سيقدمون لله حسابا.

المزمور العاشر

الترجمة السبعينية ضمت هذا المزمور مع المزمور التاسع وجعلتهما مزمورا واحدا، لكن النسخة العبرية جعلته مزمورا قائما بذاته، ثم أن مجاله وأسلوبه يوضحان أنهما مختلفان.

وفي هذا المزمور:

أولا: يشكو داود من ظلم الأشرار، ويلاحظ تواني الله في الوقوف ضدهم (ع ١- ١١).

ثانيا: يصلي إلى الله متضرعا أن يسارع إلى نجدة شعبه، ويعزي نفسه بأن الله سيفعل ذلك في الوقت المناسب (ع ١٢- ١٨).

عدد ١- ١١

يكشف داود في هذه الأعداد عن:

أولا: محبة عظيمة لله ونعمته، ذلك أن ما يشكو منه بحرارة من أن الله يحتجب في وقت الشدة (ع ١): «يا رب لماذا تقف بعيدا؟» وكأنه غير مهتم بالإهانات التي تلحق باسمه، والأذى الذي يصيب شعبه، فقد اكتشف أن شكواه هذه مردها أننا نحكم بحسب الظاهر، ذلك أننا نتيجة عدم إيماننا نقف بعيدا جدا عن الله، ثم نشكو من أن الله قد ابتعد عنا بعيدا.

ثانيا: كراهية عظيمة ضد الخطية. فهو يرى الظالمين ويحزن، ويدهش، ويقدم لأبيه السماوي تقريرا عن شرهم. الكلام الغاضب الذي يتضمن هجاء وقدحا في حق الأشرار، شره أكثر من نفعه، فإذا كان لنا أن نتحدث عن شرهم، فليقتصر ذلك على حديثنا إلى الله في الصلاة، لأنه وحده الذي يستطيع أن يغيرهم إلى الأفضل. وهذا العرض المستفيض لشرهم ملخص هنا في الكلمات الأولى (ع ٢): «في كبرياء الشرير يحترق المسكين»، حيث وجَّه لهم اتهامان هما الكبرياء والظلم، وقد جاء الظلم وليد الكبرياء. والطغيان سواء في الدولة أو في الكنيسة مرجعه الكبرياء. وإذ بدأ صاحب المزمور هذا الوصف نرى هنا كلامه يتضمن صلاة موجزة، أو صلاة بين قوسين. دعهم «يؤخذون»- كما يحدث كثيرا بالنسبة للمتكبرين- «بالمؤامرة التي فكروا بها» (ع ٢). فالخاطئ بكل تعجب يتباهى بقوته ونجاحه. فهو «يفتخر بشهوات نفسه»، يتفاخر بأن بمقدوره أن يفعل ما يريد. وهو بعجرفته يناقض دينونة الله، وهو أمر- نثق أنه يجيء طبقا للحق، لأن «الخاطف يجدف». ونرى هنا كيف أن الله والناس كل منهما يختلف عن الآخر بالنسبة لرأيه في الأشخاص: فالله يبغض من يشتهون ما لدى غيرهم، الذين يجعلون المال إلههم ويعبدونه. فالله ينظر إلى أمثال هؤلاء على أنهم أعداؤه، ويقطع صلتهم به. «محبة العالم عداوة لله». لكن الطغاة المتعجرفين يباركونهم، كما أنهم «يرتضون بأقوالهم» (مز ٤٩: ١٣). مثل هذا الإنسان في عجرفته ينبذ أقوال الله. «كل أفكاره أنه لا إله» (ع ٤)، فلا موضع لله في جميع أفكاره. ومرجع هذا الشر وعدم الإيمان هو

الكبرياء. فالناس لن يطلبوا الله لأنهم يعتقدون أنهم ليسوا في حاجة إليه، فأيديهم تكفيهم. وهذا الإنسان بكل عجرفة يستهين بوصايا الله وأحكامه (ع ٥): «تثبت سبله في كل حين». أخبره بدينونات الله التي ستحيق بهؤلاء الذين يواصلون انتهاكاتهم، فتراه لن يقتنع بأن هناك أية حقيقة في ذلك «عالية أحكامك فوقه»، ولذلك تراه يعتقد بأنها مجرد أعباء، وبكل غطرسة يثير المتاعب في تحد، وهو على ثقة من استمرار ازدهاره (ع ٦): «قال في قلبه»، وهو سعيد بفكره، «لا أتزعزع»، لدي خيرات لسنين طويلة، «من دور إلى دور بلا سوء»، مثل بابل التي قالت «إلى الأبد أكون سيدة» (إش ٤٧: ٧؛ انظر أيضا رؤيا ١٨: ٧). الذين يعتقدون أنهم أبعد ما يكونون عن الهلاك هم أقرب الناس إليه. ولإشباع غرورهم وطمعهم، ومعارضة لله وحياة التقوى، نراهم عدوانيين للغاية بالنسبة لكل من هم حولهم. إنهم خبثاء وفي غاية التهور (ع ٧): «فمه مملوء لعنة». وهم زائفون وخائنون للغاية. مثل عيسو، ذلك الصياد الماكر «يجلس في مكمن الديار في المختفيات يقتل البري» (ع ٨)، وليس ذلك مرجعه أنه في خجل مما يعمله (ولو أظهر بادرة من الخجل لكان هناك أمل في أنه قد يتوب)، كذلك لم يلجأ إلى هذا لخوفه من غضب الله، لأنه يتخيل أنه لن يتعرض لأية محاسبة (ع ١١)، بل لأنه خائف لئلا يؤدي اكتشاف خططه إلى فشلها. وأولئك الذين يتمتعون بالسلطان عليهم أن يحموا البريء ويعطفوا على المساكين، ومع ذلك فإن هؤلاء سيدمرون أولئك الذين كان من الواجب أن يكونوا حماة لهم. ولكن ما الذي يستهدفونه؟ «يكمن ليخطف المسكين... يجذبه في شبكته»، بمعنى إيقاع المساكين تحت سلطانهم، ليس بغية تجريدهم فقط، بل لقتلهم. فهم يسعون وراء حياتهم الثمينة. وهم يظلمون المساكين من شعب الله، الذين يحملون لهم كراهية قاتلة، من أجل ذاك الذي هم له والذي يحملون صورته. «يكمن في المختفى كأسد» متعطش للدماء، ويتغذى على فريسته مسرورا. «يكمن في المختفى» كما تفعل الحيوانات المفترسة، حتى تصبح فريستها في متناول يدها. وهذا ما يشير إلى أن الطبيعة الدنيئة للمضطهدين والظالمين يمكنها أن تفعل أي شيء مهما كان وحشيا لإتمام مقاصدهم الشريرة. وما كان بوسعهم أن ينتهكوا كل قوانين العدالة والخير نحو الإنسان لو لم يكونوا من البداية طرحوا عنهم كل إحساس بالدين، وقاموا يتمردون على أقدس مبادئه. الواضحة التي لا لبس فيها: «قال في قلبه: إن الله قد نسي».

عدد ١٢ – ١٨

في عرضه السابق لقسوة وشر الظالمين، اتخذ داود من ذلك ذريعة يناشد الله على أساسها.

أولا: ما الذي يصلي من أجله؟

(١) أن يتدخل الله بنفسه في الأمر (ع ١٢): «قم يا رب. يا الله ارفع يدك». اظهر وجودك وعنايتك الإلهية في شئون هذا العالم السفلي. «قم يا رب» لكي تربك أولئك الذين قالوا عنك «حجب وجهه».

(٢) وأنه بمقدوره أن يدافع عن شعبه: «لا تنس المساكين» الفقراء، الذين أجبروا أن يزدادوا فقرا، ولا تنس أيضا المساكين بالروح. ذلك أن ظالميهم يقولون في تبجحهم إنك نسيتهم، وهم، في يأسهم، قد يقولون ذلك. نرجوك يا رب، أظهر لهم أن كليهما مخطئ في قوله.

(٣) إنه سيتدخل ضد ظالميهم (ع ١٥): «احطم ذراع الفاجر»، جرده من قوته «حتى لا يملك الفاجر ولا يكون شركا للشعب» (أي ٣٤: ٣٠).

ثانيا: ما الذي يستند إليه في هذه الالتماسات لتشجيع إيمانه؟

(١) استند إلى الإهانات البالغة التي وجهها هؤلاء الظالمون المتغطرسون إلى الله نفسه (ع ١٣): «لماذا أهان الشرير الله؟» لقد فعل ذلك لأنه «قال في قلبه لا تطالب»، فلن يستدعينا الله إطلاقا لمحاسبتنا على ما نعمله، وبهذا فقد أهانوا الله البار بإهانة بالغة ليس هناك ما هو أبشع منها. «لماذا أهان الشرير الله» على هذا النحو؟ السبب مرده أنهم لا يعرفونه. ولماذا سمح لهم أن يهينوا الله؟ هذا لأن يوم الحساب لم يأتِ بعد.

(٢) استند إلى معرفة الله بشر وإثم هؤلاء الظالمين (ع ١٤).

(٣) استند إلى اتكال المظلومين عليه: «إليك

يسلم المسكين أمره»، كل واحد منهم يفعل هكذا، أنا واحد منهم. إنهم يتركون أنفسهم معك (بحسب ترجمة أخرى). لا يملون عليك أمرا بل يسلمون بحكمتك ومشيئتك. فهم رعاياك المطيعون، الذين وضعوا أنفسهم تحت حمايتك، ولذا ابسط حمايتك عليهم.

(٤) يستند إلى العلاقة التي يسر الله بأن تكون بيننا وبينه.

أ. باعتباره إلها عظيما. «الرب ملك إلى الدهر والأبد». لتعط يا رب الذين يقدمون ولاءهم وثناءهم لك باعتبارك ملكهم أن يتمتعوا بسلطانك وأن يجدوا فيك ملجأ لهم.

ب. كإله صالح. فهو «معين اليتيم» (ع ١٤). معين من ليس لهم معين، وهناك الكثيرون ممن يريدون إيذاءهم.

(٥) يستند إلى اختبار كنيسة الله وشعبه عن استعداد الله للدفاع عنهم: «بادت الأمم من أرضه»، الباقون من الكنعانيين، والأمم السبع المتعصبة، الذين ظلوا لمدة طويلة كأشواك في جنب إسرائيل، سيبيدون نهائيا، وفي هذا تشجيع لنا يدفعنا إلى الرجاء في أن الله وبنفس الطريقة سوف يكسر ذراع الإسرائيليين الظالمين، لأنهم- في بعض النواحي- أسوأ من الوثنيين.

لقد سمع الله واستجاب لصلواتهم (ع ١٧): «تأوه الودعاء قد سمعت يا رب»، وهو لا يقول إطلاقا لمتضرع في محنة، لقد ذهب مسعاك هباء. ولماذا لا نأمل في استمرارية وتكرار العجائب والنعم التي أخبرنا بها أبونا السماوي؟ فأنت أنت لم تتغير، وقوتك ووعدك، وعلاقتك بشعبك هي هي، وأعمال النعمة فيهم هي هي، فلماذا إذا لا نأمل أن ما كان سوف يكون، وسيستمر إلى الأبد، الله الذي يسمع الصلاة. وهو يهيئ القلب للصلاة بأن يثير فيه رغبات مقدسة، ويقوي إيماننا، يثبت رغباتنا، ويرفع من مشاعرنا النبيلة وبعد ذلك يتفضل بنعمته ويقبل الصلاة، سوف يدافع عن قضية المظلومين، ويقضي لليتيم والمظلوم ويعلن براءتهم، ويعيد تعزيتهم، ويعوضهم عن كل خسارة وضرر، وسوف يضع نهاية لغضب الظالمين وحماقتهم. ونرى هنا كيف يستخف صاحب المزمور الآن بقوة ذلك الظالم المتعجرف الذي كان يصفه في هذا المزمور. إنه مجرد «إنسان من الأرض»، إنسان خرج من الأرض (بحسب معنى الكلمة)، ولذلك فهو إنسان عادي وضعيف. فما هو إلا «إنسان يموت ومن ابن الإنسان الذي يُجعل كالعشب» (إش ٥١: ١٢). فالذي يحمينا هو رب السماء، والذي يضطهدنا ليس سوى رجل من الأرض.

المزمور الحادي عشر

لإمام المغنين. لداود

في هذا المزمور نرى مجاهدة داود وانتصاره على تجربة شديدة في عدم الثقة بالله. ومن المفترض أن هذا المزمور كُتب عندما بدأ داود يشعر بمقدار الغيظ الذي يحمله شاول نتيجة حسده له. وتسديد الرمح عليه عدة مرات، وقد نصحوه بسبب ذلك أن يغادر المملكة، ولكنه قال لا «على الرب توكلت» لذلك فهو سيحفظ حياتي.

وهنا نلاحظ:

أولا: كيف يعبِّر عن التجربة وكيف يتعامل معها (ع ١ و٢).

ثانيا: كيف يضع الإجابة لها ويسكتها بإدراكه سلطان الله وعنايته (ع ٤)، ورعايته للسالكين بالاستقامة، وغضبه المذخر للأشرار (ع ٥- ٧).

وفي أوقات الخوف العام، وعندما تكون الإهانات الموجهة للكنيسة من أعدائها مؤثرة وذات صيغة تهديدية، يكون من المفيد أن نتأمل في هذا المزمور.

عدد ١ - ٣

أولا: لقد قرر داود أن يجعل اتكاله على الله «على الرب توكلت» (ع ١). وقبل أن يعطي صاحب المزامير تقريرا عن التجربة التي كان يمر بها في عدم الثقة بالله، فإنه يقرر بتصميم بالثقة الكاملة فيه والتي سيواصل حياته بها حتى الموت.

ثانيا: إن استياؤه من الإغواء بالهروب في اتجاه عكسي. «كيف تقولون لنفسي اهربوا إلى جبالكم كعصفور» لكي أكون آمنا هناك بعيدا عن متناول الصياد. ويمكن أن يؤخذ هذا القول:

(١) كنصيحة جاءت من أصدقائه المتخوفين،

والذين يتمنون له الخير بقلبهم. وعندما وجدوا كيف أن شاول يطلب حياته بحقد ضغطوا عليه بكل الطرق أن يهرب:

أ. لأنه لم يكن في أمان في موقعه الذي كان فيه (ع ٢) فهم يقولون انظر «هوذا الأشرار يمدون القوس». إن شاول وآلات شره يطلبون حياتك، وأن استقامة قلبك لن تنجيك.

ب. أو لأنه لم يعد ذو فائدة في موقعه الحالي لأنهم يقولون «إذا انقلبت الأعمدة» (كما حدث لسوء إدارة أجهزة شاول) إذ كانت الحياة المدنية وأجهزة الحكم منفصلتين وبلا رابط (مز ٧٥: ٣؛ ٨٢: ٥) فماذا ستفعل بصلاحك لكي تصلح المظالم.

(٢) أو يمكن أن يؤخذ القول كمادة سخرية يسخر بها أعداؤه من إعلاناته عن ثقته بالله. وبكل كبرياء يدعونه أن يقرر في أي موقع يقف الآن. فأنت تقول الرب صخرتي. وقد أخذ داود هذا في اعتباره حينما رد عليهم سخريتهم في العددين التاليين ما يلي:

أ. فهو يشكو من الحقد من أولئك الذين يسيئون إليه «لأنه هوذا الأشرار يمدون القوس، فوقوا السهم في الوتر» (ع ٢). يخبرنا (مز ٦٤: ٣) عن طبيعة هذه الأسهم وهي كلماتهم المرة التي يبغون من خلالها أن يثبطوا ثقته ورجاءه في الله.

ب. وداود هنا يقاوم التجربة باستياء مهذب (ع ٣). إن مبادئ الدين هي الأساسيات التي يبنى عليها الإيمان والرجاء للأبرار.

عدد ٤ – ٧

يقولون أن اهتزاز الشجرة يجعل جذورها تتعمق في الأرض وبدرجة أسرع. إن محاولة أعداء داود أن يضعفوا من اتكاله على الله جعله يتمسك بشدة بمبادئه الأولى. أما الذي كان يهزه ويؤثر في إيمانه، وإيمان الكثيرين، ما كان يراه من نجاح وازدهار الأشرار بطرقهم الشريرة، والضيق والمحن التي يعانيها الناس الأفاضل. وكأن هذا الفكر الشرير: يوحي بأنه لا فائدة في أن نخدم الله. ولكن حتى تخمد وتخجل كل هذه الأفكار فيجب أن نعتبر:

(١) أن هناك إله في السماء «الرب في هيكل قدسه». لأنه ولو أننا لا نراه، إلا أنه يرانا.. إنه في هيكل قدسه أي في كنيسته.. إنه إله العهد والشركة مع شعبه.

(٢) إن هذا الإله يحكم العالم. إن الله ليس فقط مسكنه في السماء بل عرشه أيضا، كما جعل تسلطه على الأرض (أي ٣٨: ٣٣). دعنا بالإيمان نرى الله على عرشه في مملكته على عرش مجده معطيا الشريعة، ومعطيا الحركة والهدف لكل البشرية. نراه على عرش القضاء وعلى عرش النعمة حيث يتقدم شعبه بجرأة لنوال الرحمة والنعمة. إننا لا نجد إذًا أي سبب يثبط همتنا نتيجة كبرياء وقوة مضطهدينا. أو أي ضيقة تحيط بالأبرار.

(٣) إن هذا الإله يعرف جيدا حقيقة شخصية كل إنسان فهو يلاحظ بني آدم وعيناه تمتحنهم. إنه لا يراهم فقط بل ينظر إلى دواخلهم فهو يعرف ليس فقط كل ما يقولونه أو يفعلونه، ولكن أيضا ما يفكرون فيه، وما ينوون عمله مهما تظاهروا.

(٤) إن كل ما سُمح من أسى لشعبه الطيب كان لامتحانهم، وبالتالي فهو لصالحهم (ع ٥). الله يمتحن أولاده، ولكن في النهاية يحسن إليهم (تث ٨: ١٦).

(٥) مهما انتعشت وطالت فترة ازدهار المضطهدين الظالمين لفترة معينة، فإنهم سيهبطون ويفنون إلى الأبد من جراء غضب الله، «أما الشرير ومحب الظلم فتبغضه نفسه». إن ازدهارهم بعيد كل البعد عن أن يكون له علاقة بمحبة الله والتي يسيئون استعمالها فتجعلهم هدفا لكراهيته لهم. وهو الذي لا يكره شيئا من صنع يديه، فهو يكره أولئك الذين يسيئون إلى أنفسهم، «يمطر على الأشرار فخاخا، نارا وكبريتا». وهنا نجد استعارة مزدوجة تدل على عدم إمكانية تجنب الأشرار للقصاص. وسيفاجئهم هذا القصاص مثل المطر المفاجئ غير المتوقع– وفي هذا إشارة إلى تدمير سدوم وعمورة.

(٦) أنه بالرغم من أن الناس الأمناء يمكن أن يداسوا، إلا أن الله سيقبلهم ويميزهم. وهذا هو السبب في أن الله سيتعامل بشدة مع الظالمين، ومن يضطهدون أولاده. لأن هؤلاء الذين يضطهدونهم ويظلمونهم لهم مكانة خاصة عنده، لأن من يمسهم «يمس

حدقة عينه» (زك ٢: ٨) فهو ينظر إليهم بنعمته. والمستقيمون يرون وجهه. وهو كأب حنون ينظر إليهم بكل سرور، وهم كأطفال مطيعون يشعرون بالبهجة ويكتفون برضاه عليهم. إنهم يسيرون في نور الرب.

المزمور الثاني عشر

لإمام المغنين على القرار. مزمور لداود

من المفترض أن داود كتب هذا المزمور في عهد الملك شاول عندما ساد الانحلال على حياة التقوى مما جعله يشكو لله بكل مشاعره لأنه هو نفسه عانى من خيانة أصدقائه المزيفين، ومن أعدائه المتحالفين ضده.

أولا: وهو يترجى المساعدة من الله لأنه لا يوجد أحد من الناس يمكن أن يثق فيه (ع ١ و٢).

ثانيا: وهو يتنبأ بهلاك أعدائه المتكبرين الذين يهددونه (ع ٣ و٤).

ثالثا: كما يؤكد لنفسه وللآخرين أن الأمور مهما بدت سيئة حاليا (ع ٨) فإن الله سيحفظ ويصون لنفسه شعبه الخاص (ع ٥، ٧) وبالتأكيد سيحقق مواعيده لهم (ع ٦).

عدد ١ – ٨

يمدنا هذا المزمور بالأفكار الطيبة للأوقات الصعبة.

أولا: دعنا نرى هنا ما الذي يجعل الأوقات صعبة، ومتى يقال عنها كذلك: فندرة الأموال، وتردي التجارة، والخراب الناتج عن الحروب، كلها تجعل الأوقات صعبة، ولكن الكتاب يعطي أسبابا أخرى مختلفة للأوقات الصعبة «ستأتي أزمنة صعبة» (٢تي ٣: ١) لأن الشر سيزداد. وهذا هو الشيء الذي يشكو منه داود. فالأوقات تكون صعبة:

(١) عندما يكون هناك انحلال عام في الاحترام والولاء بين الناس عندما ينقرض التقي وينقطع «الأمناء من بني البشر». انظر كيف وصفت هاتين الشخصيتين «التقي والأمين». وحيث لا توجد سياسة ثابتة فلا توجد تقوى حقيقية. إن الأتقياء هم رجال أمناء رجال ثابتون كما يطلق عليهم أحيانا. لقد هيأوا عقولهم لأن يكونوا أمناء لله وللناس ويقال هنا أنهم غير موجودين، وأنهم انقرضوا. أولئك الذين كانوا أتقياء وأمناء أبعدوا. أما الباقون الذين تركوا فقد فقدوا أصلهم الطيب ولم يعودوا إلى ما كانوا عليه.

(٢) عندما يحقد الناس لدرجة أن يتآمروا على جيرانهم مسببين لهم أذى شديد، ومع ذلك فلهم قدر كبير من الفساد يغطون به مؤامراتهم بقدر معقول من الصداقة المهينة. (وهكذا يكذب كل واحد على جيرانه). وهكذا «يتكلمون بالكذب كل واحد مع صاحبه بشفاه ملقة». إنهم يقبِّلون ثم يقتلون. وهذه هي الصورة الكاملة للشيطان. خليط من الخبث والكذب. وهكذا تكون الأيام سيئة عندما لا يكون هناك إخلاص نتعامل به.

(٣) تكون الأوقات صعبة جدا عندما يصل الأشرار المتكبرون إلى مثل هذه الدرجة من الانحلال حتى يقولون: «بألسنتنا نتجبر. شفاهنا معنا» على مصدر الفضيلة «من هو سيد علينا» سواء لقمعنا أو لمحاسبتنا (ع ٤). إن قول «شفاهنا معنا» ادعاء كاذب لأنه من صنع فم الإنسان وبيد من تكون أنفاسه، ومن يمتلك الهواء الذي يتنفسه، وكأن الله ليس لديه أي سلطان لأن يأمرهم أو يحاكمهم. فقالوا «من هو سيد علينا؟» مثلما قال فرعون سابقا (خر ٥: ٢).

(٤) عندما يضطهد الفقير والمحتاج ويتعرض للإساءة ويعامل بغرور، فإن الأزمنة تكون سيئة جدا. وهذا ما تضمنه العدد الخامس، أن الله يلاحظ «اغتصاب المساكين... صرخة البائسين».

(٥) عندما يسود الشر ويصبح سافرا تحت حماية وتشجيع المسئولين فإن الأزمنة تكون سيئة للغاية (ع ٨). عندما يُكرم الفاسد بين الناس في مواقع الثقة والقوة فإن «الأشرار يتمشون (يختالون)»، يختالون في كل مكان. عندما يتحكم الشرير يعاني الشعب ويتألم.

ثانيا: عندما تكون الأوضاع بهذا السوء إننا نتعزى عندما نفكر:

(١) أن لنا إلها نذهب إليه ومنه نسأل ونتوقع منه إنصافنا عن كل مظالمنا وهنا يبدأ بـ (ع ١) «خلص يا رب لأنه قد انقرض التقي» لقد جاء الوقت يا سيد أن تعمل.

(٢) أن الله بالتأكيد سيصفي حساباته مع الأشرار والمتكبرين، وسيعاقب ويكبح عجرفتهم. إن الإنسان لا يمكن أن يكتشف زيف المنافقين ولا أن يحط من تشامخ المتغطرسين الذين يتكلمون بكبرياء، لكن «يقطع الرب جميع الشفاه الملقة» (ع ٣). والبعض يترجمها كصلاة: لعل الله يقطع هذه الشفاه المضلة الكاذبة.

(٣) أن الله في الوقت المناسب سيحرر شعبه المقهور، ويحميهم من الخطط الخبيثة للذين يضطهدونهم «الآن أقوم يقول الرب» (ع ٥). عندما يكون المضطهدون في قمة كبريائهم وغطرستهم عندما يقولون «من هو سيد علينا»، حينئذ يأتي وقت الله ليعرفوا قدرهم، وأن الله فوقهم. عندما يكون المقهورين في أعمال بؤسهم ويأسهم، فهنا يأتي الوقت ليظهر الله لهم. مثلما حدث لإسرائيل عندما كانوا في قمة الضيق، وكان فرعون في قمة رفعته. «الآن أقوم يقول الرب» وأضعهم في أمان وأخلصهم. ليس فقط أحفظهم، ولكن أعيدهم إلى رخائهم السابق. «ثم أخرجتنا إلى الخصب» (مز ٦٦: ١٢). لذلك شعب الله لن يخسر شيئا نتيجة معاناته.

(٤) أن الإنسان مع كونه مخادع، لكن الله أمين «كلام الرب كلام نقي» (ع ٦). ليس فقط كلام حق بل كلام نقي. مثل الفضة إذا عوملت في كور أو في بوتقة.

(٥) أن الله سيحفظ أتقياءه المختارين لنفسه مهما كانت الأيام شريرة (ع ٧) «أنت يا رب تحفظهم. تحرسهم من هذا الجيل إلى الدهر» وفي أوقات الارتداد العام يعرف الرب خاصته، وسيكون لديهم القدرة أن يحفظوا كمالهم.

المزمور الثالث عشر

لإمام المغنين. مزمور لداود

يتناول هذا المزمور قضية النفس المتروكة ثم شفاءها. ولا يظهر في أي مناسبة تم كتابة هذا المزمور، ولكن على العموم:

أولا: فإن داود يشكو في حزن أن الله قد تخلى عنه وتأخر في نجدته (ع ١ و٢).

ثانيا: وهو يصلي بحرارة إلى الله أن ينظر إلى حالته ويعزيه (ع ٣ و٤).

ثالثا: وهو يؤكد لنفسه استجابة الله له بالسلام. ولذلك فهو يختم المزمور بالفرح والانتصار لأنه يختم بأن يؤكد أن تحريره سيكون في أحسن صورة (ع ٥ و٦).

عدد ١ – ٦

في هذا المزمور يسكب داود- في بلية- نفسه أمام الله.

أولا: كم هو طيب للنفس المضطربة أن تجد تنفسا لأحزانها، وخاصة عندما تفعل ذلك عند عرش النعمة. حيث نتأكد من وجود من يتألم لآلام أولاده، عندئذ نجد الجرأة في الاقتراب بالإيمان. وهناك نجد الحرية في التكلم. لقد ظن داود أن الله نسيه. ولا يعني ذلك أن الإنسان الصالح يمكنه أن يشك في علم الله بكل شيء، وصلاح الله وأمانته. ولكنه تعبير ناتج عن خوف يملك نفسه، ولكنه إذا ما جاء نتيجة اشتياق لنعمة الله فإن الله سيتغاضى عن هذا الخطأ ويغفره مهما كان ذلك الشك مشينا إذا اعتذر الإنسان عنه وتاب مرة أخرى. لقد كان داود محملا بالهموم التي ملأت تفكيره. إني أتصارع مع أفكاري وأشعر أني يائس، وبلا صديق يمكن أن أثق فيه. كل يوم أجعل هموما في نفسي. إن خبز الأسى يكون أحيانا هو الخبز اليومي للقديسين. فكان سيدنا نفسه رجل الأحزان، وقد أضيف إلى أحزانه إهانات أعدائه. وفي عتابه لله يقول «إلى متى يا رب تنساني؟» هل إلى الأبد؟ إنها تجربة عامة أنه إذا ما استمر الضيق طويلا نظن أنه سوف يستمر للأبد. والكآبة تنقلب بعد ذلك إلى يأس. وأولئك الذين افتقدوا البهجة لمدة كبيرة يصبحون أخيرا بلا أمل.

ثانيا: إن شكاوى داود تحرك صلواته (ع ٣ و٤) يجب ألا نسمح لأنفسنا أن نتقدم بأي شكاوى إلى الله إلا المناسب منها، وما يدفعنا أن نجثو أمامه. انظر إليَّ، انظر إلى حالتي، استجب لشكواي وأنر عيني.. قوِّ إيماني. لأن الإيمان هو عين النفس والذي به ترى ما هو فوق. وترى ما هو وراء الأشياء التي تُرى. يا رب اجعلني قادرا أن أنظر إلى ما وراء مشاكلي الحالية، وأن أتوقع نتائج طيبة منها. لو لم تستنر عيناه سريعا فإنه

سيهلك «أنام نوم الموت». لا يمكن أن أعيش تحت وطأة كل هذا الحزن. إن ذلك سيشبع كبرياء عدوي، وسيقول: لقد هزمته.. لقد وصلت إلى اليوم الذي سأكون فيه قاسيا عليه وعلى إلهه.

ثالثا: ثم تحولت صلواته بسرعة إلى تسبيح «يبتهج قلبي بخلاصك. أغني للرب» (ع ٥ و٦). يا له من تغيير مفاجئ الذي نجده هنا في أسطر قليلة. في أول المزمور نجد داود مبتئسا، مضطربا وعلى استعداد أن يغرق في حزن ويأس. ولكن في نهايته نجده مبتهجا بإلهه ومرتفعا ومستفيضا في الحمد له. انظر إلى قوة الإيمان والصلاة. وكم هو طيب أن نكون قريبين من الله. في المحن أثق في محبة الله التي لا تخذلني ولم يحدث أبدا أنها خذلتني. حتى في أعماق أحزاني هذه عندما تكون حروب في الخارج ومخاوف في الداخل، فإني مع ذلك أثق في محبة الله التي لا تسقط أبدا. وهي بمثابة مرساة عند هبوب العواصف العاتية. حتى عندما تتقاذفني الأمواج، لا تنقلب سفينتي، ولا أزال واثقا من محبتك التي لا تسقط أبدا. إن إيمان داود برحمة الله يملأ قلبه بالفرح في خلاصه. لأن الفرح والسلام يأتيان عن طريق الإيمان (رو ١٥: ١٣). «تؤمنون به، فتبتهجون بفرح...» (١ بط ١: ٨). أغني للرب، أغني عندما أتذكر ما صنعه الله لي في الماضي. ومع أني لن أستعيد السلام الذي كان لي، إلا أني سأموت وأنا أمجد الله عن هذا السلام الذي نلته. لقد تعامل الله معي بجود في الماضي. وسيكون له كل المجد لذلك. ومع ذلك فإن مسرته أن يتعامل معي الآن. سأغني على أمل ما سيصنعه لي أخيرا. واثقا أن كل شيء سينتهي على خير الآن وإلى الأبد.

المزمور الرابع عشر

لإمام المغنين. لداود

لا يظهر في أية مناسبة كُتب هذا المزمور. البعض يقولون أن داود كتبه عندما كان مضطهدا من شاول، والبعض الآخر يقول إنه كُتب عندما تمرد عليه أبشالوم ولكنها تكهنات ليس هناك ما يؤكدها ويجعلنا نبرر صلتها بهذا المزمور. عندما استشهد الرسول بولس بهذا المزمور في رسالته إلى رومية ٣: ١٠، لكي يثبت أن اليهود والأمم جميعهم تحت الخطية (ع ٩) وأن كل العالم مدان أمام الله (ع ١٩).

فإن هذا يقودنا لفهم هذا المزمور كوصف لفساد وطبيعة الإنسان في كل المزامير من المزمور الثالث حتى هذا المزمور (ماعدا الثامن) فإن داود يشتكي أولئك الذين يكرهونه ويضطهدونه، ويهينونه، ويسيئون إليه. وهو هنا يتتبع كل الينابيع المرة حتى يصل إلى المصدر وهو الفساد العام للطبيعة. ويرى أنه ليس أعداؤه فقط هم الفاسدون بل كل بني الإنسان.

وهنا:

أولا: إدانة عالم شرير (ع ١).

ثانيا: يقدم الدليل على هذا الاتهام (ع ٢ و٣).

ثالثا: تعنيف جاد للخطاة وخاصة فاعلي الإثم (ع ٤- ٦).

رابعا: صلاة بإيمان لخلاص إسرائيل وتوقع استجابة سارة لها (ع ٧).

عدد ١ - ٣

إن الخطية هي مرض الإنسانية، وهي تبدو هنا ضارة ووبائية.

أولا: انظر كم هي ضارة في شيئين:

(١) الازدراء الذي تبديه تجاه تمجيد الله. إذ أن خلف كل الخطايا هناك نوع من الإلحاد الفعلي. «قال الجاهل في قلبه ليس إله». أحيانا ما نجرب عندما نفكر ونقول: بالتأكيد لم يوجد كثير من الإلحاد والتجديف كما هو موجود في أيامنا هذه. ولكننا نرى أن الأيام السابقة لم تكن أفضل. إن الخاطئ هو من يقول في قلبه ليس إله. إنه ملحد. فكونه ليس متأكدا من وجود إله، لذلك فهو على استعداد أن يعتقد أنه لا يوجد إله. إنه غبي.. إنه جاهل وغير حكيم وهذه علامة على ذلك. إنه شرير ومجدف وهذا هو السبب في ذلك.

(٢) إنها شائنة تحط من طبيعة الإنسان! إن الخطاة فاسدون. فسدوا تماما عما كان عليه الإنسان في حالته البريئة الأولى «قد... فسدوا» (ع ٣). إنهم فاسدون حقا؛ لأنهم لا يفعلون شيئا صالحا لله. لا يعطونه أية كرامة ولا يفعلون لأنفسهم أي معروف حقيقي. إنهم يفعلون كثيرا من الأذى. إن أعمالهم وضيعة، لأنه هكذا كل الأعمال الشريرة، وكل هذا نتيجة قولهم: «ليس إله». لأن أولئك الذين «يعترفون بأنهم يعرفون الله، ولكنهم بالأعمال ينكرونه، إذ هم

رجسون غير طائعين، ومن جهة كل عمل صالح مرفوضون» (تي ١: ١٦).

ثانيا: انظر كم هو مُعدٍ هذا المرض، وكيف أنه أصاب كل الجنس البشري. لقد شهد الله نفسه بذلك (ع ٢ و٣) «الرب من السماء أشرف على بني البشر» (لقد ألقى نظرة على كل بني البشر). والسؤال هو: هل يوجد من بينهم بعض من يفهمون أنفسهم جيدا؟ ما هي واجباتهم، وما هي اهتماماتهم، ويفتشون عن الله ويضعونه أمامهم؟ ماذا كانت نتيجة هذا التساؤل؟ (ع ٣) نتيجة بحثه اكتشف أن «الكل قد زاغوا» وشمل هذا الارتداد كل العالم «ليس ولا واحد». ودام ذلك حتى عملت نعمة الله المجانية تغييرا. عندما خلق الله العالم نظر إلى عمله فرأى أن كل شيء كان حسنا جدا (تك ١: ٣١). ولكن بعد فترة من الزمن نظر إلى عمل الإنسان فرأى أن «أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم» (تك ٦: ٥).

عدد ٤ – ٧

يسعى صاحب المزامير في هذه الأعداد:

أولا: أن يقنع الخطاة بشر وخطر الطريق الذي يسلكونه مهما كانوا واثقين من أنفسهم في هذا الطريق. وهو يظهر لهم ثلاثة أمور ربما لا يريدون أن يروها وهي: شرورهم، حماقتهم، والخطر الذي يمثلونه:

(١) شرورهم: وهذا يمكن شرحه في أربع وقائع.

أ. إنهم فاعلو إثم. ويجدون لذة في ذلك مثلما يجد أي إنسان لذة في عمل يقوم به.

ب. إنهم يلتهمون شعب الله بكل النهم الذي يأكلون به الخبز؛ لأنهم حقيقة يكرهون الله إلههم. إن الإساءة للآخرين مثل الطعام والشراب لمن يضطهدون الآخرين.

ج. إنهم لا يلجأون إلى الله. فماذا يُنتظر إذًا من الخير ممن يعيشون بلا صلاة؟

د. لقد أفسدوا خطط الفقراء وعيروهم لأنهم جعلوا الله ملجأهم، كما عير الأعداء داود (مز ١١: ١).

(٢) جهلهم وغباوتهم: لن يتعلموا.

(٣) خطرهم: (ع ٥) هناك خافوا خوفا. كانت هناك شواهد للظالمين المتكبرين القساة الذين صنعوا رعبا لأنفسهم وكل من حولهم.

ثانيا: وهو يسعى أن يعزي أبناء الله إذ أنه حاضر معهم «لأن الله في الجيل البار» (ع ٥) وهو يحميهم «لأن الرب ملجأه» (ع ٦). عندما أبعد داود بواسطة أبشالوم وشركائه المتمردين كان يعزي نفسه مؤكدا أن الله سيعيده من أسره في الوقت المناسب. ولكن من المؤكد أن هذا الأمل كان يبدو بعيدا بعض الشيء. ففي بداية المزمور نرى أنه يبكي على الفساد العام للإنسانية، وفي هذه النظرة السوداوية لذلك، يتمنى الخلاص الذي سيجيء في ملء الزمان من صهيون، الخلاص من الخطية، الخلاص العظيم الذي سيأتي مع الفادي المتوقع مجيئه من صهيون، «سيخرج من صهيون المنقذ ويرد الفجور عن يعقوب» (رو ١١: ٢٦).

المزمور الخامس عشر

مزمور لداود

إن الغرض من هذا المزمور القصير الرائع، هو أن يبين لنا الطريق إلى السماء. وأن يقنعنا أنه إذا أردنا أن نكون سعداء يجب أن نكون مقدسين وأمناء. والرب يسوع الذي هو نفسه الطريق، والذي فيه يجب أن نسلك كأنه طريقنا قد أظهر لنا أيضا نفس الطريق المذكور هنا في إنجيل متى ١٩: ١٧: «إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا».

وفي هذا المزمور:

أولا: يأتي السؤال (ع ١) ليرشدنا ويحثنا على أن نبحث عن الطريق.

ثانيا: كما تأتي الإجابة على هذا السؤال في بقية المزمور لتوصي بالسير في هذا الطريق (ع ٢– ٥).

ثالثا: وبالتأكيد الذي نجده في نهاية المزمور عن الأمن والسعادة لأولئك الذين يحفظون هذه الوصايا، نجد التشجيع للسير في هذا الطريق.

عدد ١ – ٥

أولا: في عدد ١ نجد تساؤلا هاما له وزنه يتعلق بشخصية المواطن من شعب الله «يا رب من ينزل في

مسكنك؟». دعني أعرف من سيذهب إلى السماء. لا أعني من هو بالاسم (فالله وحده يعرف خاصته) ولكن أريد أن أعرف أوصافهم. أي نوع من الناس أولئك الذين ستقبلهم وتتوجهم ببركات مميزة أبدية. إن هذا التساؤل يهمنا جميعا. يا رب ماذا تريدني أن أكون وأن أفعل حتى أسكن في جبل «قدسك» (لو ١٨: ١٨؛ أع ١٦: ٣٠).

(١) لاحظ لمن وجَّه هذا التساؤل؟ إنه موجَّه لله نفسه.

(٢) كيف تم التعبير عنه بلغة العهد القديم؟

أ. عن طريق مسكن الله يمكن أن نفهم معاناة الكنيسة. فقد كانت خيمة الاجتماع وقت موسى مناسبة لحياة الصحراء فكانت متواضعة ويسهل التنقل بها. هناك كان يتراءى الله وهناك كان يتقابل مع شعبه كما في القديم في خيمة الشهادة (خيمة الاجتماع).

ب. وعن طريق الجبل المقدس يمكن أن نفهم انتصارات الكنيسة. فهو جبل صهيون والذي سيبنى عليه الهيكل بواسطة الملك سليمان. إنه يهمنا أن نعرف من سيسكن هناك. حتى نؤكد لأنفسنا أنه سيكون لنا مكان هناك.

ثانيا: إنه جواب محدد وبسيط لهذا التساؤل المحدد عمن يسكن في صهيون.

(١) إنه الشخص المخلص الكامل في عبادته. «السالك بالكمال» طبقا لما جاء في شرط العهد في (تك ١٧: ١) «سر أمامي وكن كاملا» (وهي نفس الكلمة المستعملة هنا)، وعندئذ ستجد في الله كل الكفاية. إنه فعلاً يعيش طبقا لما ينادي به، صادق في قلبه ويمكنه أن يثبت ذلك أمام الله. باستقامة في كل ما يفعل. ربما تكون عينه ضعيفة، ولكنها تنظر في اتجاه واحد، وله أخطاؤه بلا شك ولكنه لا يغش. إنه «إسرائيلي... لا غش فيه» (يو ١: ٤٧؛ انظر أيضا ٢ كورنثوس ١: ١٢). فالديانة ليست إلا إخلاصا.

(٢) إنه شخص أمين ذو ضمير حي وعادل في كل معاملاته. مخلص ومنصف مع كل من يتعامل معهم. يفعل ما هو حق. وهو يعلم أنه لا يمكن أن يكون هناك صفقة صالحة أو منجية تبنى على الكذب، وأن من يظلم صاحبه ولو بتصرف مقبول يثبت أخيرا أنه جلب أكبر الضرر على نفسه.

(٣) إنه شخص يسعى لعمل كل ما في قدرته من خير لجيرانه، مع حرصه على عدم إيذاء أي شخص. وهو، بصفة خاصة، يحافظ على سمعة جيرانه (ع ٣). إنه يفترض الصلاح في الجميع وأنه لا يوجد أحد شرير. وإذا أخبر عن سوء خلق أحد جيرانه، أو إذا أُخبر عن قصة تدل على سوء خلق شخص، فإنه بقدر استطاعته سيفند هذا ويدحضه، وإن لم يستطع فسيحفظ هذه الأخبار دفينة في صدره ولن يبوح بها لأحد. إن محبته تستر كثرة من الخطايا.

(٤) إنه شخص يقيِّم الناس بحسب فضائلهم وتقواهم وليس بحسب مكانتهم في المجتمع (ع ٥). إنه لا يقلل من شأن تقوى إنسان لأنه فقير أو متواضع الحال، لكنه يكرم خائفي الرب. إنه يحسب أن التقوى الحقيقية، أينما وجدت، تكرم الإنسان، وتضيء وجهه، أكثر مما تفعله الثروة أو الفطنة أو الاسم المشهور بين الناس. لذا فهو يكرم هؤلاء.

(٥) إنه شخص يضع دائما أفضلية الضمير الصالح على أي اهتمام عالمي أو أي منفعة أو مصلحة أيا كانت، لذلك فهو لو وعد وأقسم أن يعمل شيئا ما، ثم تبين له بعد ذلك أن ما وعد به سيؤذيه ويضر بمصلحته وممتلكاته، فإنه سيظل متمسكا بوعده، يحلف للضرر ولا يغير (ع ٤).

(٦) إنه شخص لا يرغب في أن تكون زيادة ثروته على حساب ممارسات غير عادلة (ع ٥). فضته لا يعطيها بالربا، ولا يرغب في أن تكون راحته على حساب تعب الآخرين. صحيح أنه لا يكون كسرا لقانون العدل أن المقرض يشارك المقترض في الأرباح التي حققها من الأموال التي اقترضها منه، أو كما يفعل أن مالك الأرض عندما يطلب الإيجار من المستأجر، وذلك لأن الأموال، يمكن تنميتها عن طريق المهارة والعمل، تماما مثل الأرض. ولكن أي مواطن في صهيون سوف يقرض الفقير طواعية حسب طاقته، ولن يكون قاسيا عند استرداد حقوقه من هؤلاء الذين نالوا القليل من الدخل، لا يأخذ رشوة على البريء. وإذا عمل في مجال العدالة العامة، فإنه لن يفعل شيئا يضر بقضية الحق، مهما كان المقابل.

ثالثا: يختتم المزمور بالتصديق على شخصية مواطن صهيون. إنه مثل جبل صهيون نفسه الذي لا يمكن أن يتزحزح. كل عضو حقيقي حي في الكنيسة، مبني على الصخر، مثله مثل الكنيسة نفسها، التي لن تقدر أبواب الجحيم عليها. والذي يصنع هذا لا يتزعزع أبدا.

المزمور السادس عشر

مذهبة لداود

إن كان هذا المزمور فيه شيء يخص داود، فإنه فيه الكثير الذي يخص السيد المسيح. إنه يبدأ بتلك العبارات عن عبادة يمكن أن تنطبق على حياة السيد المسيح، ثم يختتم باليقين التام عن قيامته، مما لا ينطبق إلا على السيد المسيح، وحده وعليه فقط، ولا يمكن أن تفهم أنها عن داود. وهذا ما لاحظه الرسولان بطرس وبولس (أع ٢: ٢٤؛ ١٣: ٣٦).

أولا: يتحدث داود بلغة كل المسيحيين الحقيقيين مجاهرا بثقته في الله (ع ١). وبرضاه عنه (ع ٢) وبتعاطفه مع رجال الله (ع ٣)، وبتمسكه بالعبادة الحقه لله.

ثانيا: إنه يتحدث عن نفسه كمثال للسيد المسيح، لذا فهو يتحدث لغة السيد المسيح نفسه، الذي يعبِّر عنه باقي المزمور بكل وضوح (أع ٢: ٢٥- ٢٨). إنه يتحدث عن:

(١) الحضور الخاص لله مع المخلِّص في خدمته وفي وقت آلامه (ع ٨).

(٢) النظرة المستقبلية للمخلِّص، عن قيامته، وعن المجد الذي سوف يتبعها، والتي جعلته يقوم بمهمته بكل سرور (ع ٩- ١١).

عدد ١ - ٧

هذا المزمور معنون بكلمة «مذهبة»، والتي يترجمها البعض «المزمور الذهبي» حيث أن قيمته تفوق الذهب الخالص، لأنه يتحدث بوضوح عن السيد المسيح وعن قيامته، الذي هو الكنز المخفي في حقل العهد القديم.

أولا: داود هنا يهرب لاجئا إلى حماية الله: «احفظني يا الله»! إما من الموت أو بصفة خاصة من الخطايا التي أنا معرض باستمرار للسقوط فيها، لأني عليك، عليك أنت وحدك، أنا توكلت.. هذه العبارة ممكن تطبيقها على السيد المسيح الذي صلى قائلا: يا أبتاه أحفظني من هذه الساعة، وهو واثق في الله الذي سوف يخلصه.

ثانيا: إنه يدرك عظمة تكريس نفسه للرب كإله له (ع ٢) «قلت للرب أنت سيدي» ولهذا سأضع كل ثقتي فيه. أدوناي معناها سندي وقوتي.. قوة قلبي.

ثالثا: لقد كرس نفسه لتمجيد الله بخدمة قديسيه (ع ٢ و٣): إني أقدم خدمتي لا إليك فقط بل إلى قديسيك أيضا. لو كان الله لنا، فإننا إكراما لخاطره يجب أن نقدم خدمتنا إلى الذين هم له، إلى القديسين الذين في الأرض، لأن كل ما نفعله من أجلهم سيسره، كما لو كان قد عمل من أجله، طالما أنه أقامهم تلاميذ له. هؤلاء الذين تجددوا بنعمة الله، وتكرسوا لتمجيد اسم الله، هم القديسين الذين في الأرض. إن مسرة السيد المسيح بالقديسين الذين في الأرض، رغم ضعفهم وسقوطهم المتكرر، وهذا سبب قوي يدعونا أن نحذو حذوه (يو ١٧: ١٩).

رابعا: إنه يتنصل من عبادة كل الآلهة الغريبة ومن كل من له صلة بعبدة الأوثان (ع ٤). إنه يرى مصيرهم مسطورا أمامه «تكثر أوجاعهم» وذلك بالحكم الذي جلبوه على أنفسهم من الإله الحقيقي الذي تخلوا عنه، أيضا بسبب خيبة أملهم في الآلهة الغريبة التي مالوا إليها. «لا أسكب سكائبهم من دم»، ليس فقط لأن الإله الذي تقدم له الذبائح هو إله غير حقيقي، ولكن لأن تقدماتهم بربرية. أما على مذبح الله، ولأن الدم كان يجب أن يقدم ككفارة، فإن الشرب منه كان محرما، أما تقدمات السكيب فقد كانت من الخمر. أما هنا فالشيطان وصف لأتباعه أن يشربوا من دم الذبائح ليعلمهم قساوة القلب. البعض من الناس يرون إمكانية تطبيق هذه الأعداد أيضا على السيد المسيح من حيث طبيعة الذبيحة التي قدمها (لم يكن دم تيوس أو عجول هو الذي قُدم حسب الشريعة، لم يرد أي ذكر لهذا، بل الذي قُدم هو دمه).

خامسا: إنه يكرر أن عظمة الاختيار الذي اختاره، حيث جعل الله نصيبه وقسمته (ع ٥)، هو الذي أدخل الراحة إلى نفسه (ع ٦)، وأعطى مجدا لله (ع ٧)، وأصبحت السماء هي الميراث. فهي مكان

إقامتنا ومكان راحتنا وبقائنا الدائم، وننظر إلى العالم على أننا لا نملك فيه شيئا فهو ليس أكثر من محطة تقع في طريق رحلتنا. وعندما نثق فيه للحصول على هذا النصيب «أنت قابض قرعتي»، أنت الذي حسب وعدك بذلت ذاتك من أجلي، سوف تجعل بنعمتك وعدك ثمينا لي. «حبال وقعت لي في النعماء». الذين جعلوا الرب نصيبهم هم الذين يقولون هذا. ماذا يمكن أن يرغبوا فيه أكثر من هذا؟ «ارجعي يا نفسي إلى راحتك»، ولا تتطلعي إلى شيء آخر. هؤلاء الذين ألقيت قرعتهم في أرض النور، في وادي الرؤى. حيث كان الرب معروفا ومعبودا لديهم على هذا الأساس سبب يدعوهم للقول «حبال وقعت لي في النعماء»، بل والذي يدفعهم أكثر لهذا القول أنه ليس لديهم أرض عمانوئيل فقط بل أيضا حب عمانوئيل. «أبارك الرب الذي نصحني»، والنصيحة هي أن أجعله قسمتي وسعادتي. مادامت سعادتنا فيه، فيجب أن نباركه لأجل هذا. الرب أعطاني النصح بكلمته وبروحه، وقلبه أيضا (أي أفكاره) علمني في الليل، حيث الهدوء والوحدة والانعزال عن العالم، عندئذ لم يشعر ضميره (أيضا قلبه كما في إرميا ١٧: ١٠). بالراحة تجاه الاختيار الذي صنعه فقط، بل وأيضا لأنه أرشده أو نصحه بخصوص واجباته النابعة من اختياره هذا. كل هذا يمكن تطبيقه على السيد المسيح، الذي جعل الله قسمته، وسر بهذه القسمة، حيث جعل مجد أبيه هو غاية مراده. ونحن أيضا يمكن أن نطبق هذا على أنفسنا، وذلك بترنيم هذا المزمور، أو بتجديد اختيارنا لله كإله لنا وبالرضا والخضوع المقدس.

عدد ٨- ١١

كل هذه الأعداد استشهد بها الرسول بطرس في عظته الأولى بعد حلول الروح القدس في يوم الخمسين (أع ٢: ٢٥- ٢٨). حيث يخبرنا صراحة أن داود النبي يتحدث في هذه الأعداد عن السيد المسيح بصفة عامة وعن قيامته المقدسة بصفة خاصة.

وهذا هو ما يمكن قبوله هنا عن التقوى الخاصة لداود، وعاطفته المخلصة نحو الله، ولكنه في هذا السمو المقدس نحو الله والسماء، قد حُمل بروح النبوة أبعد من إدراك نفسه وحالتها ليتنبأ بمجد المسيا. ويمدنا العهد الجديد بالمفتاح الذي يدخلنا إلى أسرار هذه السطور.

أولا: هذه الأعداد يجب تطبيقها على السيد المسيح، الذي يتحدث النبي عنه بهذه الصورة، مثلما فعل الكثير من أنبياء العهد القديم «إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح والأمجاد التي بعدها» (١ بط ١: ١١) وهذا هو موضوع النبوة هنا.

(١) أنه ينبغي أن يتألم ويموت، فعندما يقول «جسدي أيضا يسكن مطمئنا». فهذا يتضمن أنه يجب أن يسلم جسده لا للموت فقط بل للدفن أيضا، وأن يظل لفترة من الوقت تحت سلطان الموت.

(٢) أنه بطريقة عجيبة سيتقوى بقوة إلهية أثناء آلامه وموته، وأنه لن يتزعزع إلى أن يقول «قد أكمل». إن قلبه سيفرح وروحه ستبتهج لأنه ماضٍ في طريقه ليس فقط بثبات بل بفرح، وقد قصد بكلمة تبتهج روحه (يبتهج لسانه) كما جاء في أعمال ٢: ٢٦. إن هناك أسبابا ثلاثة حملته على هذا الفرح:

أ. الاحترام الذي يكنه لمشيئة أبيه والمجد لما قد عمله «جعلت الرب أمامي في كل حين».

ب. الثقة التي له في وجود أبيه معه أثناء آلامه «لأنه عن يميني» أي المعونة حاضرة عندي وقريبة مني وقتما أحتاجها.

ج. الرجاء الذي كان له عن النتيجة المجيدة لآلامه «من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب» (عب ١٢: ٢) لقد رقد على الرجاء، وهذا ما جعل رقاده مجيدا (إش ١١: ١٠)، انظر يوحنا ١٣: ٣١ و٣٢.

(٣) أنه سينقذ من آلامه، وسينقذ من سلطان الموت بقيامة مجيدة.

(٤) أنه سيعوض بوفرة عن آلامه بالسرور الموضوع أمامه «تعرفني سبيل الحياة» (ع ١١)، وتقود حياتي في وادي ظل الموت. ولكونه واثقا من هذا فإنه عندما أسلم روحه قال: «يا أبتاه في يديك أستودع روحي». وقبلها قال: «مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك».

ثانيا: السيد المسيح لكونه رأس الجسد (الكنيسة) فإن غالبية هذه الأعداد، يمكن تطبيقها على كل المسيحيين المرشدين والمتقوين بروح المسيح ليرنموا هذه

الأعداد، بعد إعطاء المجد للمسيح، وبذا يمكننا أن نتشجع وأن نحض أنفسنا على الفضيلة. كما أن كل من يموت من المسيحيين يمكنه، مثل المسيح الذي مات، أن يسلم جسده- بفرح وبرجاء أكيد في قيامة مجيدة. «جسدي أيضا يسكن مطمئنا».

المزمور السابع عشر

صلاة لداود

كان داود في ضيق شديد وخطر كبير سببه له خبث وشر أعدائه، لذلك فهو في هذا المزمور، يتقدم مصليا إلى الله، ملجأه الأمين الذي اختبره، حيث يسعى ليجد مأوى لديه.

أولا: يخبر الله من جهة استقامته (ع ١- ٤).

ثانيا: يصلي لله ليظل مساندا له في استقامته، ويحفظه من حقد أعدائه (ع ٥- ٨، ١٣).

ثالثا: يقدم شخصية الأعداء ملتمسا من الله أن يحفظه (ع ٩- ١٢، ١٤).

رابعا: يطمئن نفسه بالرجاء في مستقبل سعيد (ع ١٥).

عدد ١ - ٧

هذا المزمور هو صلاة، إذ يوجد وقت للتسبيح ووقت للصلاة. وقد وجد داود نفسه مضطهدا، من جهة شاول الملك على الأرجح، لذلك فقد قدم صلاته لله في هذه الأعداد، بطريقتين، طريقة الالتماس «اسمع يا رب للحق. أنصت إلى صراخي... من قدامك يخرج قضائي» إنه يتضرع «أصغ إلى صلاتي»، «أمل أذنيك إليّ. اسمع كلامي» (ع ١، ٦). لقد كان داود مخلصا ولم يكن منافقا لله في صلاته «من شفتين بلا غش»؛ لأن الصلاة الغاشة تكون عديمة الثمر. «أنا دعوتك» (ع ٦)، ولذلك يا سيدي «اسمع كلامي» الآن.

ومما لاشك فيه أننا سنختبر قمة الراحة لو أتت الضيقات، في وقت دوران عجلة الصلاة، لأننا سنتقدم بجرأة عندئذ نحو عرش النعمة. لقد تشجع داود بإيمانه لأنه توقع أن الله سيستجيب صلاته «لأنك تستجيب لي يا الله. أمل أذنيك إليّ».

أولا: إنه يرفع دعواه إلى مملكة السماء «اسمع يا رب للحق». لأن شاول غير عطوف ومتعصب ولن يسمع له. يا سيدي «من قدامك يخرج قضائي» (ع ٢). لقد حكم الناس بأن أظل مطاردا مرفوضا كفاعل شر. يا إلهي إنني اتضرع إليك من جهتهم. ورغم أن الإخلاص لا يرهب الفحص والتدقيق، إلا أن هذه ليست طريقتك يا إلهي، إنني حسب ما يعنيه مضمون عهد النعمة أقول «عيناك تنظران المستقيمات. جربت قلبي». إنه يعلم أن الرب قد اختبره بواسطة ضميره الذي هو صوت الله في أعماقه «نفس الإنسان سراج الرب» (أم ٢٠: ٢٧). بهذا اختبره الله، وتعهد قلبه ليلا، خاصة عندما فحص داود قلبه على فراشه، كما اختبره الله حينما واتته الفرصة مرة ومرات، لأن يقتل شاول، إلا أنه كان له قرار ثابت ضد كل خطايا اللسان، أنا تحفظت وعقدت العزم على أساس نعمة الله أن «لا يتعدى فمي». لقد كان داود حريصا على أن يحجم عن الأفعال الخاطئة وعن الكلمات الخاطئة (ع ٤) «من جهة أعمال الناس».. الأعمال العادية الخاصة بشئون الحياة عامة.. «فبكلام شفتيك أنا تحفظت من طرق المعتنف». وقد يفهم البعض من هذه الأعداد أنها تخص داود بصفة خاصة لأنه هو نفسه لم يرغب في القضاء على شاول الملك عندما وقع في قبضته. ولكننا يمكننا أن نفهم بشكل عام أن داود حفظ نفسه من الأفعال الشريرة وحاول، حسب مقتضيات واجبه، أن يحفظ الآخرين أيضا منها.

ثانيا: كان مطلبه أن يختبر عمل الله الصالح في حياته كبرهان، ومؤهل للوصول إلى إرادة الله الصالحة من نحوه، وهي النعمة والسلام من الله الآب.

(١) إنه يصلي من أجل عمل نعمة الله فيه (ع ٥): «تمسكت خطواتي بآثارك».. إنني بنعمتك حفظت نفسي من طرق المعتنف، وبنفس النعمة جعلت نفسي أسير في إثر خطواتك.

(٢) إنه يصلي من أجل العلامات التي تدل على مراحم الله نحوه «يا مخلص المتكلين عليك بيمينك» (ع ٧).. بقوتك أنت التي لا تحتاج إلى عون من آخر.. الذين يجدون لديك ملجأ لهم من أعدائهم. هؤلاء الذين يثقون في الله لهم أعداء كثيرون ولكن لهم صديق واحد قادر أن يتعامل معهم جميعا. إن

هذه الآية تُقرأ في ترجمة أخرى هكذا: «يا مخلص المتكلين عليك من المتعالين ضد يمينك».. إن أعداء القديسين هم المتمردون على الله وعلى يمينه.. «مَيِّز مراحمك».. ادخر حبك الكبير لي، لا تؤخر عني رحمتك، كن رحيما بي، لأنك اعتدت أن تفعل هذا لكل محبي اسمك القدوس.

عدد ٨- ١٥

أولا: ما الذي يصلي داود من أجله. هذه الصلاة تعد نبوة عن حفظ المسيح من كل المتاعب والمصاعب التي تعرض لها في حالة إذلاله، كما أنها نموذج للمسيحيين بأن يعهدوا إلى الله حفظ نفوسهم، واثقين في أنه سيأتي بهم بسلام إلى ملكوته السماوي. وهو يصلي من أجل:

(١) أن يحفظ هو نفسه (ع ٨): «احفظني»، خبئني في مكان حيث لا يجدونني، وحيث لا يهاجمونني فيه. خلص نفسي، ليس فقط تخلص حياتي الزائلة من الموت، بل روحي الخالدة من الخطية. يصلي لكي يحفظه الله كما يحفظ الإنسان حدقة عينه، والتي حوطت عليها الطبيعة بشكل عجيب، وعلمتنا كيف نحافظ عليها. وإذا ما حافظنا على شريعة الله كحدقة عينه (أم ٧: ٢) فلنا أن نتوقع أن الله سيحفظنا هكذا أيضا، لأنه قيل فيما يتعلق بشعبه إن «من يمسكم يمس حدقة عينه» (زك ٢: ٨). ويصلي من أجل أن يحفظه الله بنفس المحبة التي تجمع بها الدجاجة صغارها تحت جناحيها. وقد استخدم الرب يسوع هذا التشبيه المجازي في متى ٢٣: ٣٧. «بظل جناحيك استرني»، حيث أحظى بالأمن والدفء. أو لعلها تشير بالأحرى إلى أجنحة الكروبيم التي تظلل عرش النعمة (غطاء التابوت)، لتأخذني تحت حماية تلك النعمة المجيدة التي يتفرد بها إله إسرائيل. ثم يصلي داود أيضا لكي يحفظه الله من الأشرار، في هذا العالم.

(٢) لكي يحبط الله كل خطط عدوه التي ترمي إما إلى جره إلى الخطية، أو إلى إيقاعه في المتاعب (ع ١٣): «قم يا رب»، دافع عني، خيِّب رجاءه، واجعله يصغر في عينيّ نفسه نتيجة خيبة أمله. وفيما كان شاول يضطهد داود، كثيرا ما كان يخطئ فريسته، في الوقت الذي كان يعتقد أنه متأكد من أنه قد تمكن منه. وكيف خاب رجاء أعداء المسيح نتيجة لقيامته، بعد أن اعتقدوا أنهم نجحوا في مراميهم حين قتلوه على الصليب.

ثانيا: وبغية تشجيع إيمانه في هذه التوسلات، فقد استند إلى:

(١) حقد أعدائه وشرهم: «أعدائي بالنفس»، أعداء ضد النفس (بحسب معنى الكلمة). فهم فاسقون، وقحون، متغطرسون (ع ١٠): «قلبهم السمين قد أغلقوا»، انغلقوا حول أنفسهم، واغتروا نتيجة مجدهم وقوتهم وغناهم، ومن ثَم استهانوا بالله، ونحدوا أحكامه (مز ٧٣: ٧؛ أي ١٥: ٢٧). وهم الآن «يكتنفونني» (ع ٩). فهم يراقبوننا، ومصرين على إلحاق الأذى بنا، وقد عقدوا العزم على ذلك، ولن يتهاونوا في أية فرصة تلوح لهم لتحقيق غرضهم. ثم إن قائدهم (وهو شاول) يتميز بصفة خاصة بالوحشية وسفك الدماء (ع ١٢): «مثله مثل الأسد» الذي يعيش على فريسته، ولذلك تراه يتلهف عليها. هذا ما ينطبق تماما على شاول، الذي سعى وراء داود «على صخور الوعول» (١صم ٢٤: ٢)، وفي «برية زيف» (١صم ٢٦: ٢)، حيث اعتادت الأسود أن تكمن لفريستها.

(٢) سيطرة الله عليهم، ليتحكم فيهم ويكبح جماحهم. «قم يا رب... نج نفسي من الشرير بسيفك»- والله يستطيع استخدام سيفه وقتما يشاء، وهو لا يتحرك إلا بإذنه، ثم إنه يضعه في غمده بعد أن ينهي مهمته. «بيدك يا رب» تؤدب شعبك وتحملهم على أن يشعروا بغضبك.

(٣) ازدهارهم المادي (ع ١٤). فهم أناس «من أهل الدنيا» يحركهم روح العالم، بمحبة ثروة هذا العالم ومسرته. و«نصيبهم في حياتهم»، وقد حققوا في هذا العالم رخاء وازدهارا. و«بذخائر تملأ بطونهم». وقد سميت أشياء هذا العالم «ذخائر»، لأن لها تقدير واعتبار ليس لإشباع بطونهم فقط بل أيضا لإشباع نفوسهم. ولكن بالمقارنة مع البركات الأبدية، فما هذه الذخائر سوى نفاية. والذين يتلذذون بها كل يوم تمتلئ بطونهم بهذه الذخائر، ولكنها لا تفيد شيئا سوى أن تملأ البطون فقط (١كو ٦: ١٣)، ولكنها

لن تشبع النفس. إن لديهم عائلات عديدة، والكثير مما يخلفونه لها: «يشبعون أولادا»، ولديهم ما يكفي هؤلاء جميعا، و«يتركون فضالتهم لأطفالهم».

(٤) يستند إلى اتكاله على الله باعتباره نصيبه وسعادته. هؤلاء نصيبهم في هذه الحياة، أما بالنسبة لي (ع ١٥)، فلست واحدا منهم. لست أمتلك سوى القليل من هذا العالم. وحين تستيقظ النفس، عند الموت، وتقوم من رقاد الجسد، وحين يقوم الجسد- في القيامة- من رقاد القبر، فسوف تشمل البركة ثلاثة أمور:

أ. رؤية الله ومجده في الحال: «انظر وجهك»، ليس كما في هذا العالم، لكن عبر مرآة معتمة.

ب. مشاركته في شبهه. «إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو».

ج. رضا تام ينتج عن كل هذا: «أشبع» شبعا فائضا بهذا.

المزمور الثامن عشر

لإمام المغنين. لعبد الرب داود الذي كلم الرب بكلام هذا النشيد في اليوم الذي أنقذه فيه الرب من أيدي كل أعدائه ومن يد شاول

هذا المزمور وجدناه من قبل في حياة داود النبي في سفر صموئيل الثاني الأصحاح ٢٢. تلك كانت الصيغة الأولى له؛ هنا نجده مجددا، معدلا قليلا، وملائما لخدمة الكنيسة. إنه صلاة شكر لداود من أجل إنقاذ الله له عدة مرات. أسلوب المزمور الشعري جميل جدا، والصور فيه جريئة، والتعبيرات رائعة. وكل كلمة فيه صحيحة وذات مغزى، لكن روح الورع فيه يفوق النظم بكثير. والإيمان الطاهر، والحب، والفرح، والتسبيح، والرجاء، نجد هذه الأمور هنا حية، نشطة، ومحلقة:

أولا: ينتصر داود بالرب (ع ١- ٣).

ثانيا: يمجد إنجازات الرب لخلاصه (ع ٤- ١٩).

ثالثا: يشعر بالراحة من جهة نزاهته وتبرير الله له (ع ٢٠- ٢٨).

رابعا: يعطي المجد للرب على كافة إنجازاته (ع ٢٩- ٤٢).

خامسا: يشجع نفسه بتوقع ما سوف يعمله الرب لأجله (ع ٤٣- ٥٠).

عدد ١- ١٩

هذا المزمور ذكر من قبل (٢صم ٢٢: ١)، ونعرف هنا فقط أن المزمور كان لإمام المغنين، أو لقائد المرتلين، لأغاني الهيكل. هنا يدعى داود عبد الرب كما كان يدعى موسى. إنه تكريم له أن يكون خادما للرب أكثر من أن يكون ملكا لمملكة عظيمة، وهكذا حسبها هو نفسه (مز ١١٦: ١٦): «آه يا رب، لأني عبدك».

أولا: يفرح داود في الرب، وبعلاقته به: الكلمات الأولى من المزمور «أحبك، يا رب يا قوتي» تأتي في المقدمة لتشرح مجال المزمور ومضمونه أن الولع بالمحبوب هو متعة الحبيب. إنه يلمس هذا الوتر، ويعزف على القيثارة مفعما بالسرور (ع ٢): الله الرب هو إلهي «الرب صخرتي وحصني ومنقذي» هو كل احتياجي ومشتهاي في ضيقي.

ثانيا: يخصص نفسه لتمجيد أعمال الله لخلاصه ليزداد تأثره عند عودته للتسبيح.

(١) بقدر ما كان الخطر الذي نجونا منه وشيك الوقوع ومهددا لنا بقدر ما شعرنا برحمة الخلاص- لقد تذكر داود كيف انهال عليه أعداؤه حتى قال عنهم: «سيول الهلاك».

(٢) كلما ازداد إلحاحنا على الرب من أجل خلاصنا، وكانت الاستجابة مباشرة لصلواتنا، كان ذلك أدعى أن نكون شاكرين. وهكذا كان خلاص داود (ع ٦). كان داود رجل صلاة، وعرف أن الله إله سامع للصلاة.

(٣) كلما كان تدخل الله لنجاتنا عجيبا عظم شأن إنقاذه لنا. وإنقاذ الله لداود عدة مرات كان إعلانا عن وجوده وسجاياه الممجدة والتي وصفها داود وصفا عظيما (ع ٧- ١٦). وفي حالات الإنقاذ نجد جهدا قليلا من الإنسان لكن كثيرا من الله. ارتعشت أسس الجبال (ع ٧)، كما فعل قديما بجبل سيناء. أظهر غضبه وسخطه ضد الأعداء ومضطهدي شعبه. «لأنه غضب» (ع ٧). صعد دخان غضبه (ع ٨)، ونار من فمه. أظهر استعداده ليدافع عن قضية شعبه ويصنع خلاصا لأجلهم؛ لأنه «ركب على كروب وطار»، للحفاظ على الحق وللتفريج عن عبيده المكروبين (ع ١٠). لا عائق أمامه ولا معارضة في طريقه.

«هفَّ على أجنحة الرياح»، ركب على الغمام لمعونة شعبه ورغم ارتفاعه فوق السماوات أظهر رأفته عندما سمع شكوى داود: «طأطأ السماوات ونزل» (ع ٩). ولم يرسل ملاكا، لكنه جاء بنفسه، كمتضايق وسط ضيقات شعبه، «جعل الظلمة ستره حوله»، أمر النور أن يشرق على الظلمة من أجل شعبه (إش ٤٥: ١٥). «جعل الظلمة ستره» (ع ١١) مجده غير مرئي ولا نعلم الطريق الذي يسلكه، وحتى حينما يأتي نجاهنا بمعاملات الرحمة؛ وحتى لو كانت مقاصده سرية، فهي صالحة؛ لأنه، بالرغم من أنه يخفي ذاته، فهو إله إسرائيل، المخلص. ومن بهاء وجوده «عبرت سحبه» (ع ١٢).

(٤) كلما عظمت الصعوبات التي تقع في طريق الخلاص زادت عظمة ذلك الخلاص. من أجل نجاة داود، فانشقت المياه حتى انكشفت أعماق المياه؛ وانشقت الأرض حتى ظهرت أسسها (ع ١٥). لقد انتشل من مياه عميقة وكثيرة (ع ١٦). مثل موسى الذي حدث معه ذلك حرفيا وسمي موسى لأنه منتشل من الماء. فقد حدث هذا رمزيا مع داود. كان أعداؤه أشداء جدا؛ لأنهم أصابوه في يوم بليته (ع ١٨). لكن، وسط ضيقاته، كان الرب سنده، لكي لا يغرق. لاحظ أن الله لا يكتفي بنجاة شعبه من ضيقاتهم في الوقت المناسب، بل يعضدهم أيضا ويحملهم ليخرجوا منها.

(٥) ومما يجعل هذا الخلاص عظيما على وجه الخصوص تلك الراحة التي كانت ثمرته. «أخرجني إلى الرحب» إلى مكان متسع، ليس فقط لأتمكن من الحركة بل لكي أتمالك قواي. أنقذني لأنه سر بي ليس لصلاح فيَّ، ولكن من أجل مراحمه ومشيئته الصالحة. في ترنيمنا لهذا المزمور يمكننا أن نطبقه على المسيح ابن داود. فقد أحاطت به أحزان الموت، تضرع في ضيقته (عب ٥: ٧)، جعل الله الأرض تهتز وترتعد، والصخور تشققت، وأقامه إلى الرحب، لأنه سر به لقيامه بتأدية المهمة.

عدد ٢٠ – ٢٨

أولا: يحس داود بالراحة عندما يتأمل كيف عاش نزيها، ويبتهج لشهادة ضميره عنه أنه سار في طريق الله بإخلاص وليس بالحكمة البشرية (٢كو ١: ١٢)، ولعل نجاته دليل على ذلك، ولذا كانت نجاته سبب تعزية عظيمة له. وقد دلت نجاته على براءته في أعين الناس كما برأته من الخطايا والجرائم التي ألصقت به زورا. وهذا ما يقول عنه «يكافئني الرب حسب بري» (ع ٢٠، ٢٤). لقد أكد الناس له شهادة ضميره عنه وهذا ما يسترجعه بكل سرور (ع ٢١– ٢٣). بالرغم من أننا نعي الكثير من العثرات التي نعثر فيها وبالخطوات التي خطوناها في اتجاهات خاطئة. إلا أننا إذا رجعنا إلى نفوسنا عن طريق التوبة، وسرنا في طريق الحق، فلا يمكن تفسير ذلك على أنه خطوة ابتعاد؛ إذ أنها خطوة في سبيل الاقتراب من الله. لقد وضع داود وصايا الله نصب عينيه «جميع أحكامه أمامي» (ع ٢٢).

ثانيا: ينتهز هذه المناسبة ليضع شرائع حكم الله وقضائه، لكي ما نعرف ليس فقط ما يتوقعه منا الله، بل نتوقعه نحن منه (ع ٢٥ و٢٦). هؤلاء الذين يرحمون الآخرين سيجدون رحمة من الله (مت ٥: ٧). حيثما يجد الله إنسانا مستقيما، فإنه يكون بالنسبة له إلها بارا.

ثالثا: هكذا يعزي الله المتضعين: «تخلص الشعب البائس»، الذين أسيء إليهم وتحملوا بصبر، كما يزعج المتكبرين. تنزل متشامخي العيون، الذين يطمحون إلى العلو، ويتوقعون لأنفسهم أمورا عظيمة، وينظرون باحتقار وبازدراء إلى المسكين والتقي. تحفظ مصباحي مضيئا، لكي تتجدد وتطيب نفسي الحزينة، ولا تتركني كئيبا. تضيء مصباحي لأعمل، وتعطيني فرصة لأخدمك وأهتم بملكوتك بين الناس.

عدد ٢٩– ٥٠

أولا: يسترجع داود، بامتنان الأشياء العظيمة التي فعلها الله له. عندما نتجه لشكر الله من أجل إحدى مراحمه فإن هذا يجب أن يقودنا لتذكر المراحم الكثيرة التي أحاطت بنا، والتي تتبعنا، كل أيام حياتنا. قد ساهمت أمور كثيرة في تقدم داود، وهو يعترف بيد الله العاملة فيها جميعا، ليعلمنا أن نفعل مثله.

(١) لقد أعطاه الله كل مهارة وفهم في شئون

الحرب، التي لم يتعلمها أو يتدرب عليها، ونبوغه هذا قاده أكثر إلى الموسيقى، والشعر، وحياة التأمل «الذي يعلم يديَّ القتال» (ع ٣٤).

(٢) أعطاه الله قوة جسدية للقيام بعمله وتحمل مشقة الحرب «الإله الذي يمنطقني بالقوة» (ع ٣٢، ٣٩) للدرجة التي يمكنه فيها من أن يكسر قوسا من النحاس (ع ٣٤)، فعندما يكلف الله أشخاصا بعمل فإنه يؤهلهم تماما له.

(٣) على هذا المثال منحه الله سرعة عظيمة، لا ليهرب من أعدائه بل لينقض عليهم «الذي يجعل رجلي كالإيل» (ع ٣٣). «توسع خطواتي تحتي» (ع ٣٦) لكن مع أن الذين يخطون خطوات واسعة عرضة للانزلاق، أما أنا فلم تنزلق قدماي.

(٤) جعله الله جريئا للغاية إذا وقف في طريقه جيش، لا يجري أمامه. إن كان هناك حائط فإنه يتخطاه (ع ٢٩). إن كانت هناك متاريس وحصون فإنه يتسلقها، وبمعونة الإله ثبّت قدميه على مرتفعات الأعداء (ع ٣٣).

(٥) حماه الله، وحفظه سالما، وسط أعظم المخاطر. «تجعل لي ترس خلاصك» (ع ٣٥)، وقد أحاط بي من كل جانب. بهذا تخلصت من مخاصمات الناس الذين ينوون تدميري (ع ٤٣). وبوجه خاص من الإنسان الظالم (ع ٤٨). ذلك هو شاول، الذي رماه بالرمح أكثر من مرة.

(٦) أنجح الله كل خططه: وهو الذي جعل طريقه كاملا (ع ٣٢)، وكانت يده اليمنى هي التي ترفعه (ع ٣٥).

(٧) أما الذين تركهم الله فبسهولة يقهرون: «أسحقهم كالغبار قدام الريح» (ع ٤٢). أما الأبرياء فإنه ينتقم لهم (ع ٤٧). إن الذين يحبهم يرفعهم بكل تأكيد فوق أعدائهم (ع ٤٨).

(٨) رفعه الله إلى العرش، فلم ينقذه ويحفظ حياته فقط، بل كرمه وجعله عظيما (ع ٣٥): تنازلت لتجعلني عظيما، أو لقد جعلتني تأديباتك ووصاياك عظيما. هكذا فإن الدروس النافعة التي تعلمها داود في ضيقته، قد أعدته للقوة والكرامة، تلك التي كانت مُعدة له. وتقليله من قدر نفسه ساعد كثيرا على زيادة عظمته.

ثانيا: يتطلع داود باتضاع وعبادة خشوعية للمجد الإلهي وللكمال، ويسعى بتسبيحه لتمجيد الله، وتعظيمه (ع ٤٦). فهو يبارك الله ويرفعه.

(١) كإله حي: «حي هو الرب» (ع ٤٦). إن آلهة الأمم آلهة ميتة، لكن الله حي، وهو حي إلى الأبد، وهو لا يخزي من يثق فيه. ولأنه حي، وحي إلى الأبد فإنهم سيحيون كذلك؛ لأنه هو حياتهم.

(٢) الإله الكامل: «الله طريقه كامل» (ع ٣٠)، فهو ليس كاملا في ذاته فقط بل إن طريقه أيضا كامل. وما يبدأ في عمله يقدر أن يكمله.

(٣) الإله الأمين: «ناموس الرب كامل» ويقول داود: لقد اختبرته فلم يخذلني. في اختبار داود عن العناية الإلهية، يلاحظ إتمام الله لوعوده له، مما يجعله يشعر بحلاوة هذه العناية، ويمجد المواعيد.

(٤) الإله المدافع والمحامي عن شعبه: وجد داود نفسه يقول له: «إله خلاصي» (ع ٤٦). بقوته ونعمته خلصت. بقوته ونعمته أنا ما أنا وأرجو خلاصي، وليس خلاصي وحدي، فهو «ترس... لجميع المحتمين به» (ع ٣٠). يحميهم ويحفظهم جميعا إنه قادر ومستعد أن يفعل ذلك.

ثالثا: داود ينظر للأمام، برجاء وثقة في أن الله مازال يعمل الصلاح لأجله، وهو نفسه يعد أعداءه بأنه سيخضعهم بالتمام، وأن حكمه يجب أن يمتد حتى أن شعبا لم يعرفه يخضع له (ع ٤٣). «من سماع الأذن يسمعون لي. بنو الغرباء يتذللون لي» (ع ٤٤). وسيستمر نسله إلى الأبد في المسيا الذي تنبأ بأنه سوف يأتي من نسله. «الصانع رحمة لمسيحه» (ع ٢٠)، ولداود نفسه الممسوح من إله يعقوب، ولنسله إلى الأبد.

المزمور التاسع عشر

لإمام المغنين. مزمور لداود

يوجد كتابان ممتازان نشرهما الله من أجل إرشاد وتقويم بني البشر: يتعامل هذا المزمور مع كليهما، وينصح بدراستهما.

أولا: كتاب الخليقة، الذي نقرأ فيه بسهولة عن سلطان الله الخالق (ع ١– ٦).

ثانيا: الكتاب المقدس، الذي يعرفنا إرادة الله التي تتعلق بواجباتنا. وهو يرينا سمو وفائدة ذلك الكتاب (ع ٧- ١١)، ومن ثَم يعلمنا كيف نستفيد منه (ع ١٢- ١٤).

عدد ١ - ٦

من الأشياء التي تُرى كل يوم في العالم بأجمعه يقودنا المرتل في تلك الأعداد إلى تفهم أمور الله غير المرئية، الذي يشرق مجده ساطعا في السماوات المنظورة وفي تكوينها وجمالها، ونظام وتأثير الأجرام السماوية. هذا الدليل على القوة الإلهية لا يقدم فقط برهانا على حماقة الملحدين الذين يرون أنه توجد سماء وبالرغم من ذلك يقولون: «لا يوجد إله». الذين يرون النتيجة لكنهم ينكرون صانعها وعلة وجودها. بل لإظهار حماقة عابدي الأوثان أيضا، وبطلان تصوراتهم، الذين بالرغم من أن السماوات تعلن مجد الله، إلا أنهم يمجدون أنوار السماء التي كان يجب أن تقودهم لإعطاء المجد لله وحده، أبي الأنوار.

أولا: ماذا تخبرنا المخلوقات؟ إنها تنفعنا من عدة وجوه، لكن من أهم فوائدها أنها «تحدث بمجد الله»، وتظهر صنعة يديه (ع ١). فهي تكشف بوضوح عن نفسها، بأنها من عمل يدي الله؛ لأن كل تعاقب وكل حركة لابد أن يكون لها صانع، فلا يمكنها أن تصنع نفسها؛ ولا يمكن أن تحدث بالصدفة عن طريق تصادم الذرات، فهذا محال، وهو فرض هزلي، وليس معقولا. من ثم لابد أن يكون لها خالقا، وأن يكون عقلا أبديا، حكيما بلا محدودية، قديرا وصالحا. من سمو العمل يمكننا بسهولة أن نستدل على الكمال المطلق لصانعها العظيم، ومن بهاء السماوات نصل إلى أن الخالق هو نور. فامتدادها الشاسع يدل على غير محدوديته، وعلوها يدلنا على سلطانه وسموه، وتأثيرها على الأرض يخبر عن سيطرته، وعنايته، وإحساناته للعالم: والكل يعلن سلطان القادر على كل شيء.

ثانيا: ما هي بعض تلك الأشياء التي تفصح عنه؟

(١) الجَلَد والسماوات: المتسع الفسيح للهواء والفضاء، ومسارات الكواكب والنجوم الثابتة. وهنا نرى امتياز الإنسان على الحيوانات؛ ذلك أن الحيوانات جُبلت لتنظر لأسفل، حيث هناك تذهب نفوسها. أما الإنسان فقد جُبل منتصبا، لينظر إلى فوق؛ لأن روحه تذهب بعد قليل إلى فوق، وأفكاره الآن يجب أن تعلو.

(٢) التعاقب الثابت والمنتظم للنهار والليل «يوم إلى يوم يذيع كلاما وليل إلى ليل يبدي علما» (ع ٢). إنها تتحدث عن الإله الذي فصل بين النور والظلمة أولا. وهو لا يمجد نفسه فقط، بل يبهجنا، بهذا الدوران المستمر، لأنه، كما أن ضوء الصباح يصاحب أعمال النهار، هكذا يناسب هدوء الليل وظلمته الراحة والسكينة؛ فكل نهار وكل ليل يعلن عن صلاح الله، وإذ يشهد عن الله يُسلِّمان الشهادة ليوم آخر وليل آخر، لتقول نفس القول.

(٣) يعمل ضوء وتأثير الشمس، بطريقة خاصة، على إعلان عظمة الله؛ لأنها خلافا لكافة الأجرام السماوية هي الأكثر ظهورا، والبادية للعيان بالنسبة لنا، والأكثر نفعا لهذا العالم الأرضي إذ لولا تلك الأجرام لأصبح هذا العالم الأدنى سجن مظلم كلية وصحراء بالكامل. في السماوات «جعل للشمس مسكنا»، لذلك تدعى الأجرام السماوية ضيوف السماء، ومن ثم يليق أن يقال أنها تسكن في خيام، شأنها في ذلك شأن سكنى الجنود في ثكناتهم. لم تُخلق الخليقة المقدسة لتكون بلا عمل، بل لتطل علينا (على الأقل كما تبدو لأعيننا) من أقصى السماوات، وتجعل دورانها من هناك إلى النقطة المقابلة، ومن هناك (لإكمال دورانها اليومي) لنفس النقطة ثانية؛ وهذا يتم بمثابرة وثبات حتى أنه يمكننا بالتأكيد التنبؤ بالساعة والدقيقة التي تشرق فيها الشمس على مكان ما، في أي نهار آتٍ. وبهذا اللمعان الذي تظهر به تبدو كعريس خارج من حجلته يرتدي أغلى الثياب، ومُهندَم كأبدع ما يمكن أن تصنعه الأيدي، وهو يبدو سعيدا. ويجعل الجميع من حوله مسرورين أيضا. هذا الانشراح الذي تبديه في دورتها من أجل خدمة الإنسان مثل الجبار الذي يجري في حلبة السباق.

ثالثا: لمن هذا الإعلان عن مجد الله؟ يعمل لكافة أنحاء العالم (ع ٣ و٤): «لا قول ولا كلام لا يسمع صوتهم. في كل الأرض خرج منطقهم وإلى أقصى المسكونة كلماتهم»؛ لإعلان السلطان الأبدي

لإله الطبيعة. ليس لها كلام أو لغة. بل يُسمع صوتها، وكل الوعاظ الخالدين تحدثهم بلغاتهم، فيمكنهم أن يسمعوا هؤلاء المتكلمين الخالدين يتحدثون إلى كل واحد بلغته الخاصة عن أعمال الله العجيبة.

عدد ٧- ١٤

كثيرا ما يظهر مجد الله (الذي هو صلاحه للإنسان) في أعمال الخلق، لكنه يظهر بالأكثر في الإعلان الإلهي.. الأسفار المقدسة باعتبارها أساس واجبنا نحو الله وتوقعاتنا منه، لهي أكثر نفعا وفائدة لنا من النهار أو الليل، من الهواء الذي نتنفسه أو من ضوء الشمس.

أولا: يقدم المرنم شرحا لمميزات كلمة الله وفوائدها، في ست جمل (ع ٧- ٩). في كل منها يتكرر اسم الرب (يهوه). هنا نجد ست صفات مختلفة لكلمة الله تعبر عن الإعلان الإلهي كله من وصايا، ومواعيد، والإنجيل بوجه خاص.

(١) ناموس الرب كامل: شرائعه خالية تماما من أي فساد، مملوءة بالكامل بكل ما هو صالح. ملائمة كلية لأجل الهدف الذي جعلت لأجله (٢تي ٣: ١٧). لا شيء يمكن إضافته لها، ولا شيء يمكن حذفه منها. نافعة لإنعاش نفوسنا ولتردنا إلى أنفسنا ثانية، وإلى إلهنا، وإلى واجبنا نحوه.

(٢) شهادات الرب صادقة: إنها ينبوع حقيقي للتعزيات الحية، ومنبع مؤكد للآمال الدائمة. إنها «تصير الجاهل حكيما» يهتم بنفسه وأبديته. وهؤلاء البسطاء المتواضعون المعترفون بجهالتهم، والراغبون في التعلم تجعلهم كلمة الله حكماء (مز ٢٥: ٩).

(٣) وصايا الرب مستقيمة: تتفق تماما مع القوانين الأبدية ومبادئ الخير والشر. ولأنها حق فإنها تفرح القلب. والناموس كما أوضحه المسيح باعث للفرح؛ وحين يكون مكتوبا في قلوبنا، فإنه يضع أساسا للفرح الدائم، وذلك بردنا إلى ذهننا الصائب.

(٤) أمر الرب طاهر ينير العينين: إنه الوسيلة الطبيعية التي يستخدمها الروح لينير العينين؛ لأنه يعيدنا إلى النظر وإدراك خطيتنا وشقائنا، ويقودنا في طريق الواجب.

(٥) خوف الرب نقي يطهر طرقنا (مز ١١٩: ٩): وهو ثابت إلى الأبد، انقضى زمان الناموس الطقسي، لكن ناموس مخافة الله باقٍ كما هو. الزمن لن يبدل الطبيعة الأدبية للخير والشر.

(٦) «أحكام الرب (جميع وصاياه، وضعت بحكمة مطلقة) حق، عادلة كلها»: هذه الأحكام تُكوِّن وحدة واحدة.

ثانيا: يعبر داود عن تقديره العظيم لكلمة الله، ومنافعها العظيمة له وما يرجوه منها (ع ١٠ و١١). يقدر داود وصايا الله ويراها أغلى من كافة ثروات العالم. فكل ذهب الأرض، أرضي. أما النعمة فهي صورة السماوي. الذهب للجسد فقط والاهتمامات الزمنية، لكن النعمة فهي تخص النفس والاهتمامات الأبدية. عندما نقبل كلمة الله بالإيمان نجدها حلوة للنفس، أحلى من العسل، وقطر الشهاد. اللذات الحسية خادعة، نتخم بها سريعا، لكنها لا تُشبع؛ لكن تلك الملذات التي نحصل عليها من الدين فهي ضرورية ومشبعة، ولا خطر من الاستزادة منها. كلمة الله كلمة تحذير لبني البشر. توجد مكافأة للوصايا، ليس فقط لمن انتهى من حفظها بل لمن يحفظها. فهناك مكافأة عظيمة حاليا للطاعة في خضوع.

ثالثا: سمو كلمة الله:

(١) ينتهز المرنم الفرصة ليتأمل خطاياه نادما عليها؛ لأنه «بالناموس معرفة الخطية» (رو ٣: ٢٠). و«الناموس مقدس والوصية مقدسة وعادلة وصالحة» (رو ٧: ١٢) لكن «السهوات من يشعر بها؟» أنا لا أستطيع، فمن يقدر؟ من خلال عدل الناموس الإلهي يتعلم أن يسمي أخطاءه خطايا. فكل تعدٍ على الوصية هو خطأ، وانحراف عن الوصية التي يجب أن نسلك بموجبها. فالله يعرف عن شرورنا أكثر جدا مما نعرفه عن أنفسنا.

(٢) ينتهز المرنم الفرصة ليتوسل إلى الله ليبرئه من الخطية. وإذ يجد نفسه غير قادر على تحديد جميع تفاصيل تعدياته، يصرخ «من الخطايا المستترة أبرئني». فمع أنها مستترة إلا أنها ليست خافية على الله. وهي ليست مستترة عن العالم فقط، لكنها مستترة عن المرنم نفسه. وإذ صلى أن تُغفر له خطايا ضعفه، يصلي

أيضا أن يحفظه الله من الخطايا المتعمدة (ع ١٣). ثم يتوسل قائلا: «حينئذ أكون كاملا وأتبرأ من ذنب عظيم». هذا ما يصف به الخطية المتعمدة، إذ لا توجد ذبيحة مقبولة تكفر عنها (عد ١٥: ٢٨- ٣٠).

(٣) ينتهز داود المناسبة باتضاع فيرجو قبول الله لأفكاره وعواطفه (ع ١٤)، ثم يتوسل إلى الرب أن يقبل أعماله. كانت خدمته عبارة عن «أقوال فمه وفكر قلبه"، أي مشاعره الطاهرة يقدمها للرب. وكان اهتمامه أن تكون مقبولة لدى الله؛ لأنه إذا كانت خدمتنا غير مقبولة عند الله فما فائدتها إذا؟

المزمور العشرون

لإمام المغنين. مزمور لداود

هذا المزمور عبارة عن صلاة، أما المزمور الذي يليه فهو مزمور شكر للملك.

ونلاحظ في هذا المزمور:

أولا: ما الذي يلتمسونه من الله للملك (ع ١- ٤).

ثانيا: اليقين الذي على أساسه يتقدمون بالتماساتهم. الناس فرحون (ع ٥) والملك (ع ٦) وكلاهما معا (ع ٧ و٨). وهكذا يختتم بصلاة لله من أجل الجميع (ع ٩).

عدد ١- ٥

صلاة داود هذه أُطلق عليها «مزمور لداود»، وهو يناسب من يطلبون من أصدقائهم أن يصلوا من أجلهم أن يخبروهم على وجه الدقة ما الذي يريدون أن يطلبوه لهم من الله.

أولا: ما الذي تم الاتفاق على أن يطلبوه للملك من الله. «ليستجب لك الرب في يوم الضيق» (ع ١)، «ليكمل الرب كل سؤلك» (ع ٥). لقد اعتاد داود على أيام من الفشل والمتاعب والإحباط والارتباك. فلا التاج الذي على رأسه، أو النعمة التي في قلبه استثنياه من هذه المتاعب. ويجب أن نرحب بصلوات الآخرين من أجلنا، ليس لكي تحل محل صلواتنا، بل لتؤيد صلواتنا من أجل أنفسنا. «ليرفعك اسم إله يعقوب»، بأن يجعلك بعيدا عن متناول أيدي أعدائك. والعون الذي من قدسه، هو أعذب الرحمات (ع ٢). «ليذكر كل تقدماتك ويستسمن محرقاتك» (ع ٣)، أو ليرسل نارا تحولها إلى رماد، أي: ليعطك الرب النصر، والنجاح اللذين طلبتهما منه بالصلاة والمحرقات، وأن يعطيك دليلا على قبوله المحرقة كما كان يفعل دائما بأن يضرم فيها نارا من السماء. كما أننا نعرف أنه قَبِل ذبائحنا الروحية، إذا ما أشعل بروحه القدوس في نفوسنا نار التقوى المقدسة، والمحبة الإلهية، وبهذا يجعل قلوبنا تلتهب داخلنا. «ليعطك حسب قلبك». وهذا ما يمكنهم بالإيمان أن يصلوا من أجله، لأنهم كانوا يعرفون أن داود كان رجلا حسب قلب الله، ولن يطلب شيئا إلا ما يسر الله.

ثانيا: ما الثقة التي كانت لهم في أنهم سيتلقون إجابة تملأهم سلاما عن هذه الالتماسات سواء بالنسبة لأنفسهم، أو بالنسبة لملكهم الطيب (ع ٥): «نترنم بخلاصك».. فنحن الذين من الرعايا سنفرح لحفظ ملكنا وازدهاره: «وباسم إلهنا نرفع رايتنا». هذه الصلوات التي رفعت من أجل داود هي نبوات عن المسيح ابن داود. وقد استجيبت بشكل كامل فيه. لقد قام بعمل فدائنا، وشن حربا على قوى الظلام، وفي يوم الضيق- حين كانت نفسه حزينة إلى أقصى درجة- سمعه الرب: «وسُمع له من أجل تقواه» (عب ٥: ٧) وأرسل له «عونا من قدسه».

عدد ٦- ٩

أولا: أحس داود بالفرح والانتصار لأن له مكانا في صلوات شعبه الطيب (ع ٦): «الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه»، لأنه حرك قلوب بني يعقوب لكي يصلوا من أجله. وهو «يستجيبه من سماء قدسه»، والتي كان قدس الهيكل رمزا لها (عب ٩: ٢٣)، ومن العرش الذي أعده في السماء، الذي كان يرمز إليه عرش النعمة (غطاء التابوت). وسوف يسمعه «بجبروت خلاص يمينه»، ليس برسالة، أو بالكلام، بل بيمينه، بقوة يمينه المخلصة. وسوف يحمل الجميع على أن يعرفوا أنه يسمعه من خلال الأعمال التي يعملها لأجله.

ثانيا: يفرح شعبه منتصرا بالله ولعلاقتهم به،

وإعلانه عن نفسه لهم. وأبناء هذا العالم يتكلون على الأسباب الثانوية، ويعتقدون أن كل شيء على ما يرام إذا ما سارت هذه الأمور معهم على وجه حسن، وهم يتكلمون على «المركبات»، و«الخيل». وكلما زادت الأعداد التي يدفعون بها إلى ميدان القتال زادت ثقتهم في النصر في حروبهم، ولكن شعب الله يقول: ليس لدينا مركبات أو خيل نتكل عليها، بل ولا نريدها، وحتى إذا كانت متوافرة عندنا، فإن نجاحنا يقوم على أساس أننا «اسم الرب إلهنا نذكر». فالذين اتكلوا على مركباتهم وخيلهم «جثوا وسقطوا»، وكانت مركباتهم وخيلهم أبعد ما تكون من أن تنقذهم، بل إنها ساعدت على غرقهم وجعلهم فريسة سهلة للغزاة (٢ صم ٨: ٤). أما نحن الذين نتكل على اسم الرب إلهنا، فلم يقتصر الأمر على أننا «قمنا» وصمدنا فحسب، بل «وانتصبنا»، وهاجمنا العدو وانتصرنا عليهم.

ثالثا: اختتموا صلاتهم من أجل الملك بطلب الخلاص: «يا رب خلص» (ع ٩). ويمكن أن نأخذ هذا العدد باعتباره صلاة، بأن الله لن يبارك الملك فقط، بل «يا رب خلص»، أعطه النجاح، ولكنه أيضا سيجعله بركة لهم، و«يستجب لنا.. في يوم دعائنا». الذين ينالون خيرا من قضاتهم يتعين عليهم أن يصلوا من أجلهم- لأنهم مثل سائر المخلوقات- يكونون بالنسبة لنا ما أرادهم الله أن يكونوه (وليس أكثر).

المزمور الحادي والعشرون

لإمام المغنين. مزمور لداود

كما أن المزمور السابق كان صلاة من أجل أن يحمي الله الملك ويهبه النجاح، فإن هذا المزمور يتضمن شكرا للنجاح الذي أنعم به الله عليه.

وقد تعلموا هنا:

أولا: أن يهنئوه على انتصاراته، والمجد الذي حققه (ع ١- ٦).

ثانيا: أن يثقوا في قوة الله لإكمال دحر أعداء مملكته (ع ٧- ١٣).

عدد ١- ٦

يتكلم داود هنا معلنا أن فرحه إنما هو بقوة الله وبخلاصه وليس بقوة جيوشه أو انتصارها. وهو يوجِّه رعاياه هنا أيضا لكي يشاركوه فرحه، ويعطوا لله كل مجد الانتصارات التي حققها. وقد هنَّأوا الملك على أفراحه: «يفرح الملك»، وهكذا نفرح نحن أيضا. لقد قدموا لله كل الحمد من أجل هذه الأشياء التي كانت سبب فرح الملك: «شهوة قلبه أعطيته... لأنك تتقدمه ببركات خير». ويعترف صاحب المزمور هنا أن هذه البركات أعطيت قبل توقعها. وحين تأتي بركات الله بأسرع وبأكثر مما نتخيل، وحين تعطى قبل أن نصلي من أجلها، بل وحتى قبل أن نكون مستعدين لها، بل وفي الواقع حينما كنا نتوقع العكس، هنا يمكن أن يقال بحق، أنه أعطاها لنا مقدما، لأنه كان يتوقع أننا سنطلبها. «وضعت على رأسه تاجا من إبريز»، وحفظته هناك في الوقت الذي حاول أعداؤه الإحاطة به. وحين توجه لمهمة خطيرة «حياة سألك فأعطيته»، ليس ذلك فحسب بل أعطيته أيضا «طول الأيام إلى الدهر والأبد». لم تطل حياته أكثر مما توقع فقط، بل أكدت له أبدية سعيدة مستقبلا، واستمرار مملكته في المسيح الذي سيأتي من نسله: «عظيم مجده»، وهو يفوق إلى حد بعيد مجد كل ملوك الأمم المجاورة، وذلك بالخلاص الذي صنعته من أجله وبواسطته. والمجد الذي يطمح إليه كل إنسان تقي هو أن يرى خلاص الرب. وقد أعطاه الله سعادة أن يكون مصدر كل بركة للبشرية «جعلته بركات إلى الأبد» (ع ٦). لقد جعلته بركة دائمة وشاملة للعالم، فيه تباركت، وسوف تتبارك جميع قبائل الأرض. نلاحظ هنا كيف أن روح النبوة تصاعد بصفة تدريجية حتى وصل إلى أمر يتفرد به المسيح، لأنه ليس أحد غيره تبارك إلى الأبد، ناهيك عن كونه بركة إلى الأبد.

عدد ٧- ١٣

وبعد أن علَّم صاحب المزمور شعبه أن ينظروا بفرح وحمد لما سبق أن عمله الله له ولهم، يعود هنا ويعلمهم أن يتطلعوا إلى المستقبل بإيمان وصلاة، وذلك لما سيعمله الله أيضا لهم: «يا رب بقوتك يفرح الملك» (ع ١)، ولذلك نحن من الشاكرين، «الملك يتوكل على الرب» (ع ٧)، ولذلك فإن هذا يشجِّعنا قطعا. ففرح المسيح ملكنا وثقته، هما أساس

كل فرحنا وثقتنا.

أولا: كانوا على ثقة من رسوخ مملكة داود. «وبنعمة العلي» وليس بسبب استحقاقه أو قوته «لا يتزعزع».

ثانيا: هم واثقون من دمار كل أعداء مملكة داود الحقودين الذين لا يعرفون طريق التوبة. والنجاح الذي بارك به الله ذراعي داود، كان إلى ذلك الحين عربون الراحة التي سيعطيها له الله، حيث سيخلصه من كل أعدائه المحيطين به. لقد كرهوا داود لأن الله اختصه لنفسه، وكرهوا المسيح لأنهم كرهوا النور، كان داود والمسيح مكروهين دونما سبب، وفيهما كرهوا الله (يو ١٥: ٢٣، ٢٥). وعلى الرغم من أنهم «نصبوا عليك شرا. تفكروا بمكيدة»، فقد تظاهروا بأنهم يحاربون داود فقط، غير أن عداوتهم كانت ضد الله نفسه. فالذين استهدفوا أن يخلعوا داود عن العرش، كانوا في واقع الأمر، يحاولون خلع الألوهية عن الرب. لقد «تفكروا بمكيدة. لم يستطيعوها» (ع ١١). فحقدهم بلا فاعلية، وتآمرهم باطل (مز ٢: ١). وسوف يتم اكتشافهم «تصيب يدك جميع أعدائك» (ع ٨). وعلى الرغم من أنهم بكل براعة يتخفون تحت ستار التظاهر بالصداقة، ومع أنهم اختلطوا مع رعايا هذا الملكوت بشكل لا يمكن أن تميزهم عن غيرهم من الأمناء، وعلى الرغم من هربهم من العدالة ولجوئهم إلى أماكنهم الخفية، إلا أن يدك ستجدهم أينما كانوا «تبيد ثمرهم.. وذريتهم» (ع ١٠).

ثالثا: واستنادا إلى هذه الثقة يلتمسون من الله أن يدافع أيضا عن مسيحه (ع ١٣)، وأن يدافع عنه بقوته هو، بتدخله بصفة مباشرة باعتباره رب الجنود وأبو الأرواح.

المزمور الثاني والعشرون

لإمام المغنين على أيلة الصبح. مزمور لداود

روح المسيح، التي كانت في الأنبياء، تشهد في هذا المزمور، بشكل واضح تماما، وعلى نحو من التفصيل، كما هو الحال في أي موضع في العهد القديم «بالآلام التي للمسيح والأمجاد التي بعدها» (١ بط ١: ١١). لا ريب أن داود يتحدث عنه هنا، وليس عن نفسه أو عن أي إنسان آخر. وكثير مما جاء هنا طبق بشكل صريح على المسيح في العهد الجديد، بل إنه كله يمكن أن يطبق عليه، وبعضه يجب أن يُفهم على أنه يُقصد به المسيح فقط.

أولا: عن إذلال المسيح (ع ١– ٢١).

(١) يشكو، ولكنه يمزج التعزيات بشكاواه. فهو يشكو (ع ١ و٢)، ولكنه يعزي نفسه ثانية (ع ٣– ٥)، ثم يعود ويشكو (ع ٦– ٨)، لكنه يرجع ويعزي نفسه (ع ٩ و١٠).

(٢) يشكو، ويخلط شكواه بالصلاة، ثم يشكو من قوة وسخط أعدائه (ع ١٢ و١٣، ١٦، ١٨)، ومن ضعفه البدني ووهنه (ع ١٤ و١٥، ١٧)، ولكنه يصلي بألا يبتعد الله عنه (ع ١١، ١٩)، وأنه سينقذه ويخلصه (ع ١٩– ٢١).

ثانيا: عن رفعة المسيح، وأن يكون عمله من أجل مجد الله (ع ٢٢– ٢٥)، ومن أجل خلاص وفرح شعبه (ع ٢٦– ٢٩)، ومن أجل استمرار مملكته (ع ٣٠، ٣١). وعند ترنمنا بهذا المزمور يجب أن نركز أفكارنا علي المسيح.

عدد ١– ١٠

أولا: شكوى حزينة من تخلي الله عنه (ع ١ و٢).

(١) يمكن أن تنطبق هذه الأعداد على داود، أو على أي واحد من أولاد الله، يخشى أن يكون الله قد تخلى عنه، وتركه دونما معونة، ودون أن يسمعه، ومع ذلك يدعوه مرارا وتكرارا. «إلهي»، ويواصل صراخه نهارا وليلا بكل حرارة يطلب عودته إليه برحمته. وأكبر محنة بالنسبة للقديسين هي أن يشعروا بأنهم مهجورون روحيا. والذي يصرخ قائلا: إلهي لماذا أنا مريض؟ لماذا أنا فقير؟ سوف يقدم لنا سببا في أنه شخص متبرم ودنيوي. ولكن القول: «لماذا تركتني» ؟ إنما يعبر عن لغة قلب أقام سعادته على أساس نعمة الله. وعندما نريد يقين الإيمان ينبغي أن نعيش حياة الالتصاق بالإيمان. ومهما يحدث، فالله صالح، وهو إلهي.

(٢) غير أن هذا يجب أن يؤخذ على أنه يشير إلى المسيح، ذلك أنه في مستهل شكواه سكب نفسه أمام الله حين كان على الصليب (مت ٢٧: ٤٦)، ويعتقد البعض أنه كرر المزمور كله، وإن لم يكن

بصوت مسموع فلعله فعل ذلك سرا. فالمسيح- في آلامه صرخ بكل حرارة إلى أبيه «في النهار» على الصليب، و«في الليل» حين كان في خضم آلامه النفسية في جثسيماني. غير أن المسيح، إذ جعل نفسه خطية لأجلنا، واتساقا مع هذا، جعله الله تحت هذه الانطباعات المذكورة هنا من ناحية استيائه وغضبه الشديد على الخطية فقد سر الرب «بأن يسحقه بالحزن» (إش ٥٣: ١٠).

ثانيا: التعزيات التي تعزى بها في هذا الخصوص (ع ٣- ٥): «وأنت القدوس الجالس» (مع أنك أنت القدوس الذي أقمت عرشك.. بحسب ترجمة أخرى)، فلم تكن ظالما، أو غير أمين، أو قاسيا في أي من تدبيراتك. ومع أنك لم تسرع فورا إلى نجدة شعبك في محنته، إلا أنك تحبهم، كما أنك أمين بالنسبة لعهدك معهم، ولم تسكت على جور مضطهديهم (حب ١: ١٣). لأنك الجالس وسط تسبيحات شعبك، وقد سررت بأن تعلن مجدك ونعمتك وحضورك بصفة خاصة مع شعبك في المقدس. وهناك كنت دائما على استعداد لأن تتقبل ولاءهم، وقد قلت عن خيمة الاجتماع «هذه هي راحتي إلى الأبد». وعلى الرغم من أن الله يبدو لفترة وجيزة وكأنه يصم آذانه عن سماعنا، إلا أنه يسر للغاية بتسبيحات شعبه، حتى إنه في الوقت المناسب يعطيهم سببا لتغيير نغمتهم: «ارتجي الله لأني بعد أحمده» (مز ٤٢: ٥). فهو يتعزى من اختبارات القديسين في الأجيال السابقة عن فائدة الإيمان والصلاة «عليك اتكل آباؤنا. اتكلوا فنجيتهم» (ع ٤) ولذلك فإنك في الوقت المناسب سوف تنقذني، لأنه ما من أحد وضع فيك رجاءه وأصابه الخزي، وما من أحد طلبك وكان ذلك دون جدوى. ولا تزال أنت هو هو لم تتغير.

ثالثا: جدد الشكوى من محنة محزنة أخرى وهي معايرة الناس واحتقارهم له. وطبعا هذه شكوى ليست مريرة كالشكوى السابقة من ترك الله له. غير أنه كما لمست تلك نفسا شفوقة رحيمة، فإن هذه بدورها لمست نفسا كريمة، في جزء حساس للغاية (ع ٦- ٨). والإنسان في أفضل حالاته، ما هو إلا دودة، لكن ذلك الإنسان صار دودة «لا إنسان». ولو لم يجعل نفسه دودة، لما أمكن أن يداس بالأقدام كما حدث معه. وقد هوجم كإنسان شرير، كمجدف، ومنتهك السبت، وكسكير، وكنبي كذاب، وعدو لقيصر، وكحليف لرئيس الشياطين. وقد احتقره الشعب باعتباره تافها وحقيرا، لا يستحق أن يولى أي اهتمام. بلدته حقيرة، وأقاربه من المهنيين الفقراء، ليس من بين أصدقائه من هو من بين الحكام أو الفريسيين، بل كلهم من الرعاع- وقد لقي الهزء كشخص سخيف، وكإنسان لا يخدع الآخرين فحسب، بل يخدع نفسه أيضا. وكثيرا ما كان داود يوبخ لثقته في الله، ولكن هذا تم حرفيا وعلى نحو كامل في آلام المسيح: «اتكل على الرب فلينجه».

رابعا: التشجيع الذي أخذه بالنسبة لهذا أيضا (ع ٩ و١٠). الناس يحتقرونني، لكنك «أنت جذبتني من البطن». ثم إن داود وغيره من الأتقياء، من أجل توجيهنا، كثيرا ما شجعوا أنفسهم بأن الله ليس فقط إله آبائهم (انظر آية ٤)، بل هو إله طفولتهم، الذي يعتني بهم منذ الصغر، وفور ولادتهم، وعلى ذلك، فلن يخيب رجاؤهم إطلاقا. وذاك الذي أحسن إلينا ونحن في حالتنا اليائسة التي لا فائدة منها، لن يتخلى عنا، بعد أن ربانا ونشأنا وأعطانا القدرة على خدمته. ولنر الأمثلة المبكرة على عناية الله ورعايته لنا: «عليك أُلقيت من الرحم»، وإلا لمتنا هناك، أو اختنقنا عند الولادة. ثم جعلتني اتكل عليك. أي أنك اهتممت بتدبير ما يعولني، وحميتني من الأخطار التي تعرضت لها، الأمر الذي شجعني على أن أضع رجائي فيك طوال حياتي. فبركة الغذاء بالرضاعة، فضلا عن أنها تتوج بركات الرحم، فإنها عربون بركات لحياتنا كلها، ومن المؤكد أن الذي أطعمنا في ذلك الحين لن يدعنا نتضور جوعا (أي ٣: ١٢). «عليك أُلقيت من الرحم»، ولعل هذه إشارة إلى ختانه في اليوم الثامن من ولادته، فقد كرسه والداه عندئذ، وقدماه لله، إله العهد، لأن الختان كان ختم العهد، وهذا شجعه على الثقة في الله. وفي اختبارنا لصلاح الله بصفة دائمة منذ ذلك الحين، والذي تمثل في سلسلة دائمة متواصلة من أعمال حفظه وإعالته لنا، فإنك كنت «أنت إلهي». تدبر احتياجاتي، وتراقبني من أجل ما هو خير لي «من بطن أمي»، أي منذ ولادتي في هذا العالم حتى يومنا هذا. وهذا ما ينطبق على ربنا يسوع،

الذي رتبت العناية الإلهية بتجسده وولادته وأولته عناية فريدة، حين ولد في مزود للبقر، وتعرض في الحال لحقد هيرودس، واضطر للهروب إلى مصر.

عدد ١١ – ٢١

أولا: هنا نجد المسيح يتألم. وكثيرا ما كان داود في الواقع، محاطا بالأعداء، ويواجه الأعداء، ولكن كثيرا من التفاصيل التي ذُكرت هنا لا يمكن أن تنطبق على داود، ولذلك لابد وأنها تشير إلى المسيح وهو في خضم إذلاله.

(١) هجره أصحابه: «لا تتباعد عني، لأن الضيق قريب. لأنه لا معين»، ليس هناك من يسانده (ع ١١). لقد داس المعصرة وحده، لأن كل تلاميذه تركوه وهربوا.

(٢) أهين وأحاط به جميع أعدائه، والذين بسبب قوتهم وغضبهم شُبهوا «بثيران... أقوياء باشان» (ع ١٢)، فهكذا كان رؤساء الكهنة والشيوخ الذين اضطهدوا المسيح، وآخرون ممن شبهوا بالكلاب (ع ١٦)، حيث كانوا يتسمون بالقذارة والشراهة، والذين كانوا لا يدخرون وسعا في إيذائه والإساءة إليه. وكانت هناك جماعة من الأشرار يكيدون له (ع ١٦)، ذلك أن رؤساء الكهنة اجتمعوا معا، لكي يتدارسوا السبل والوسائل التي بها يلقون القبض على المسيح. لقد أحاطوا بي من كل جانب (ع ١٦)، كان اجتماعهم مخيفا وينذر بالخطر (ع ١٣): «فغروا عليَّ أفواههم»، لكي يبينوا لي أنهم سيبتلعونني.

(٣) يتحدث عن صلبه. وقد وصف طريقة موته كما وقعت، على الرغم من أنه لم يسبق أن استخدم اليهود هذه الطريقة: «ثقبوا يدي ورجلي» (ع ١٦) والتي سمرت على خشبة اللعنة.

(٤) يتحدث هنا عن موته (ع ١٤ و١٥)، مات في ألم رهيب، لأنه كان يجب عليه أن يقدم ترضية عن الخطية: «كالماء انسكبت... صار قلبي كالشمع... يبست مثل شقفة قوتي، ولصق لساني بحنكي، وإلى تراب الموت تضعني»، وأصبحت على أهبة الاستعداد لأهبط إلى القبر، لأنه ليس شيء أقل من ذلك يمكنه أن يرضي العدالة الإلهية. لقد رهنت حياة الخاطئ، وعلى ذلك يجب أن تكون حياة الذبيحة فدية لها. وحكم الموت الذي صدر ضد آدم جاء على النحو التالي: «إلى تراب تعود». ولذلك فإن المسيح، إذ «أطاع حتى الموت»، استخدم هنا تعبيرا مماثلا: «وإلى تراب الموت تضعني».

(٥) لقد عروه. وخزي العُري كان النتيجة المباشرة للخطية، وعلى ذلك جُرد ربنا يسوع من ثيابه حين صلب، حتى يكسينا بثوب بره، وحتى لا يظهر خزي عرينا. وقد ذكر لنا هنا:

أ. كيف بدا جسده حين تعرى: «أُحصي كل عظامي» (ع ١٧). «وهم ينظرون ويتفرسون في». لقد اندهش المشاهدون والمارون، وعوض أن يظهروا شفقة عليَّ، كانوا مسرورين حتى من هذا المشهد الحزين.

ب. ماذا عملوا بثيابه التي نزعوها عنه (ع ١٨): «يقسمون ثيابي بينهم» جزءا لكل جندي، «وعلى لباسي»، الرداء الذي بدون خياطة «يقترعون». وقد تم هذا بحذافيره (يو ١٩: ٢٣ و٢٤). وعلى الرغم من أن هذا لا يعد مثالا كبيرا على آلام المسيح، إلا أنه يعد مثالاً عظيما على تحقق نبوات الكتاب فيه. وهكذا كان المكتوب، ولذلك «كان ينبغي أن المسيح يتألم».

ثانيا: والمسيح– أثناء آلامه النفسية– صلى لكي تعبر عنه الكأس. وصلاة داود هنا كانت ترمز إلى صلاة المسيح. ولقد خاطب الله بقوله: «يا قوتي» (ع ١٩). وصلى إليه قائلا: «لا تتباعد عني» (ع ١١)، ومرة ثانية «أما أنت يا رب فلا تبعد» (ع ١٩). كان هناك أناس، غير مبالين بمحنتي، أما أنت يا رب، فلا تفعل هكذا. أما الله فقد «سمع له من أجل تقواه» (عب ٥: ٧)، وأعطاه القدرة على أن يواصل عمله. ويطلق صاحب المزمور هنا على نفسه «وحيدتي» «نفسي... وحيدتي». ليس لي سوى نفس واحدة أهتم بها، ولذلك يكون عاري عظيما إذا ما أهملتها. وهو يصلي لكي ينقذه الله «من السيف»، السيف المشتعل بغضب الله، والذي يتحرك في كل اتجاه. «أنقذ من السيف نفسي». يا رب على الرغم من أني أفقد حياتي، أعطني ألا أخسر محبتك. أنقذ نفسي «من يد الكلب»، و«من فم الأسد». وربما كان يشير بهذه العبارات إلى الشيطان، العدو القديم. أنقذني يا رب من أن أنهزم أمام رعبه. وقد التمس قائلا: سبق لك أن أنقذتني «من قرون بقر الوحش»، لقد أنقذتني

منه استجابة لصلاتي، فهل أنقذنا الله «من قرون بقر الوحش» حتى لا نجرح؟ ليت هذا يشجعنا على أن يحدونا الأمل في أن ننقذ من فم الأسد، حتى لا يمزقنا. وقد استجيبت صلاة المسيح هذه، لأن الآب لم يدعه يرى فسادا، بل إنه في اليوم الثالث أقامه من تراب الموت، الأمر الذي يعد مثالا على عظم نعمة الله عليه بأكثر مما لو كان قد ساعده على النزول من على الصليب، لأنه في هذه الحالة كان سيعاق عن إكمال مهمته، في حين أن قيامته توجت عمله.

عدد ٢٢- ٣٠

وكما أن الكلمات التي استهلت بها الشكوى استخدمها المسيح نفسه على الصليب، كذلك أيضا انطبقت أولى كلمات النصرة بكل وضوح عليه (عب ٢: ١٢)، وجعلت كلماته هو: «أخبر باسمك إخوتي، وفي وسط الكنيسة أسبحك». وثمة خمسة أمور ذكرت هنا عن الترضية التي قدمها المسيح بآلامه وعن نصرته:

أولا: سيكون له كنيسة في العالم. وهذا ما أشير إليه هنا، من أنه «يرى نسلا» (إش ٥٣: ١٠). وبواسطة إعلان اسم الله، وبالكرازة بالإنجيل في وضوحه ونقائه، سوف يتأثر كثيرون ويأتون إليه، وإلى الله من خلاله. والذين يدعون على هذا النحو سيرتبطون به بعلاقة وثيقة جدا وغالية باعتبارهم إخوته، وليس المؤمنون اليهود فحسب بل كذلك والذين من الأمم، والذين أصبحوا ورثة معهم في نفس الجسد (عب ٢: ١١). وإخوته هؤلاء يجب أن يدمجوا في كنيسة عظيمة، مثل كنيسة عالمية، كل العائلة التي أسماها، والتي فيها يجمع «أبناء الله المتفرقين إلى واحد» (يو ١١: ٥٢؛ انظر أيضا أفسس ١: ١٠)، كما أنهم يجب أيضا أن يتحدوا في مجتمعات أصغر، كأعضاء في ذلك الجسد العظيم. وهؤلاء يجب أن ينظر إليهم باعتبارهم من ذرية يعقوب وزرع إسرائيل (ع ٢٣)، ورغم كونهم من الأمم إلا أن بركة إبراهيم تحل عليهم (غل ٣: ١٤). ولقد سميت كنيسة الإنجيل «إسرائيل الله» (غل ٦: ١٦).

ثانيا: يجب أن يكرم الله، ويمجد بشكل عظيم بالمسيح، وبواسطة هذه الكنيسة. وهو هنا يتنبأ مسرورا بالآتي:

(١) سيتمجد الله بواسطة الكنيسة التي ستجتمع إليه. وكل من يتقون الرب سوف يسبحونه (ع ٢٣)، بل وكل إسرائيلي حقيقي (انظر مزمور ١١٨: ٢- ٤؛ ١٣٥: ١٩ و٢٠).

(٢) ويتمجد الله في الفادي وفي عمله. ولذلك قيل عن المسيح «في وسط الجماعة أسبحك». وكل تسبيحاتنا يجب أن تركز على عمل المسيح.

ثالثا: وسوف تجد النفوس المتواضعة التقية كل شبعها وسعادتها فيه (ع ٢٦). والذين يصلون كثيرا سوف يشكرون كثيرا: «يسبح الرب طالبوه»، لأنهم بواسطة المسيح على يقين من أنهم سيجدونه، وعلى رجاء هذا فلديهم سبب لتسبيحه، حتى فيما هم يطلبونه. والنفوس التي كرست له ستسعد إلى الأبد معه: «تحيا قلوبكم إلى الأبد».

رابعا: كنيسة المسيح، ومعها ملكوت الله بين الناس، سوف يمتدان إلى «كل أقاصي الأرض» (ع ٢٧). وفيما كان اليهود لمدة طويلة الشعب الوحيد الذي يؤمن بالله، نجد الآن أن كل أقاصي الأرض ينبغي أن يأتوا إلى الكنيسة، وإذ هُدم الحائط المتوسط، فيجب قبول الأمم. وقد جاءت النبوة هنا بأنهم سيتجددون «تذكر وترجع إلى الرب». والتأمل الجاد هو الخطوة الأولى، وهي خطوة جيدة، نحو التجديد الحقيقي. علينا أن نتأمل ثم نرجع. فالابن الضال رجع أولا إلى نفسه، وبعد ذلك إلى أبيه. ثم يجب قبولهم في الشركة مع الله وفي الاجتماعات التي تتعبد له: «وتسجد» قدامه، لأنه «في كل مكان يقرب لاسمي بخور» (ملا ١: ١١؛ انظر أيضا إشعياء ٦٦: ٢٣)، ذلك «لأن للرب الملك» (ع ٢٨).

(١) مملكة الطبيعة هي للرب، وعنايته الإلهية تحكم بين الأمم.

(٢) مملكة النعمة هي للمسيح الرب، وهو، باعتباره الوسيط، تعين حاكما بين الأمم، ورئيسا على كل شيء خاص بكنيسته. النبيل والحقير، الغني والفقير، العبد والحر، كل هؤلاء يتقابلون في المسيح. وكثيرون من العظماء سيقدمون فروض الولاء

للمسيح: «أكل وسجد كل سميني الأرض». كما أن الفقراء أيضا سيقبلون إنجيله: «قدامه يجثو كل من ينحدر إلى التراب»، وكذلك الجالسون في التراب (مز ١١٣: ٧)، والذين بالكاد يستطيعون أن يحفظوا الحياة والنفس معا، هؤلاء جميعا سوف يجثون أمام الرب يسوع، الذي يعتبر أنه شرف له أن يكون ملك الفقير والمسكين (مز ٧٢: ١٢). وإذ ندرك أننا لا نقدر أن نحفظ نفوسنا، فإنه من الحكمة، الناشئة عن طاعة الإيمان أن نستودع نفوسنا ليسوع المسيح، الذي يستطيع أن يخلصها ويحفظها حية إلى الأبد.

خامسا: كنيسة المسيح هذه، ومعها ملكوت الله بين الناس. يجب أن يستمرا كل الدهور. «الذرية تتعبد له». سوف تكون هناك بقية كافية لأن تحفظ الميراث «يخبر عن الرب الجيل الآتي»، وسوف يكون بالنسبة لهم، كما كان بالنسبة للذين من قبلهم. «ويخبرون ببره شعبا سيولد» وسيقومون في يومهم، ليس للمحافظة على فضيلة الجيل الذي انتهى فحسب، بل لعمل ما فيه خير نفوس الجيل الآتي، فسوف ينقلون إليهم إنجيل المسيح.

وفي ترنمنا بهذا يجب أن نفرح باسم المسيح، ونبتهج بالكرامة التي يوليها له آخرون، ولأننا متيقنون بأنه سيكون ثمة شعب يسبحونه على الأرض فيما نسبحه نحن في السماء.

المزمور الثالث والعشرون

مزمور لداود

مزمور يترنم به المسيحيون الأتقياء، وسوف يبقى– طالما بقي العالم– مصدر سرور وشبع بالغين.

أولا: يقول كاتب المزمور هنا أن هناك علاقة بينه وبين الله باعتباره راعيه (ع ١).

ثانيا: يسرد اختباره عن حسنات الله التي عملها من أجله باعتباره راعيه (ع ٢ و٣، ٥).

ثالثا: ومن هذا يستنتج أنه لن يعوزه شيء من الخير (ع ١)، وأنه لن يخاف شرا (ع ٤)، وأن رحمة الله لن تتركه أو تتخلى عنه إطلاقا، ولذلك عقد العزم على ألا يترك الله أو يتخلى عن واجبه من نحوه (ع ٦). وكما رأينا في المزمور السابق المسيح الذي قدم نفسه حتى الموت عن خرافه، نراه هنا يقدم لنا المسيحيين وهم ينعمون بفوائد العناية والمحبة التي يوليها لهم ذلك الراعي الصالح والعظيم.

عدد ١ – ٦

أولا: لأن الله راعيه، استدل على أنه لن يعوزه أي شيء من الخير الذي يحتاجه (ع ١). وقد جاء وقت كان داود نفسه راعيا، وقد اختير من «حظائر الغنم» (مز ٧٨: ٧٠ و٧١)، ولذلك عرف بالخبرة الرعاية والمحبة التي يوليها الراعي الصالح لقطيعه. وتذكر كيف كانت حاجة قطيعه إلى راعٍ، وقد حدث أن خاطر ذات مرة بحياته لكي ينقذ خروفًا. ولذلك فهو بهذا يصور عناية الله بشعبه، ويبدو أن مخلصنا كان يشير إلى هذا حينما قال: «أنا هو الراعي الصالح» (يو ١٠: ١١). فهو يأخذ خرافه إلى حظيرته. وواجبنا أن نعرف صوت الراعي ونتبعه. وحين اعتبر داود أن الله راعيه، استطاع بكل ثقة أن يقول «فلا يعوزني شيء». وما جاء هنا تلميحا أكثر مما جاء تصريحا: «فلا يعوزني شيء»، بل سيدبر لي كل ما أحتاجه، وإذا لم يتوافر لي كل ما أرغبه، فسوف أدرك أنه إما أن ما أطلبه لا يناسبني، أو أنه لن ينفعني، أو أنني سأناله في الوقت المناسب.

ثانيا: ومن قيام الله بعمل الراعي الصالح، استنتج المرنم أنه لا داعي أن يخاف شرا. رغم المخاطر، والمصاعب العظيمة التي قد تواجهه (ع ٢– ٤). ونرى فيما يلي سعادة القديسين باعتبارهم غنم مرعى الله.

(١) فهم في مكان جيد، ويعطون كل احتياجاتهم: «في مراعٍ خضر يربضني». وتعزياتنا واحتياجاتنا في هذه الحياة نأخذها من يد الله الصالحة، ونأخذ خبزنا اليومي منه باعتباره أنه أبونا السماوي. والفيض العظيم ليس إلا مراعٍ جافة بالنسبة للشرير، الذي لا يتلذذ إلا بما يشبع شهواته، أما بالنسبة للإنسان التقي، الذي تذوق صلاح الله في كل مسراته، فمع أنه ليس لديه سوى القليل من هذا العالم، إلا أن هذا القليل هو مراعٍ خضر (مز ٣٧: ١٦؛ أم ١٥: ١٦ و١٧). فالله يجعل قديسيه يربضون، ويعطيهم هدوءا وقناعة، ومهما كان نصيبهم، ترى نفوسهم تربض مستريحة فيه، وهذا ما يجعل في نظرهم كل مرعى أخضر.

(٢) يتم إرشادهم، وقيادتهم على أفضل وجه. «إلى مياه الراحة يوردني». والذين يطعمون من صلاح الله، يجب عليهم اتباع توجيهاته، فهو يوجه عيونهم، إلى الطريق، وقلوبهم لمحبته. والله لا يدبر لشعبه الطعام والراحة فقط، بل وكل ما ينعشهم ويسرهم. والله يقود شعبه، ليس إلى المياه الراكدة العفنة القذرة، ولا إلى البحر المضطرب، ولا إلى المياه المتدفقة الهادرة، بل إلى المياه اللطيفة الهادئة، لأن المياه الجارية الهادئة تتوافق تماما مع النفوس التي تتدفق نحو الله، في هدوء. «يهديني إلى سبل البر»، في طريق واجبي، وهو في هذه الناحية يرشدني بكلمته ويوجهني عن طريق الضمير فضلا عن عنايته الإلهية. وطريق الواجب هو في الواقع ألطف طريق. ونحن لا نقدر أن نسير في هذه الطرق ما لم يقودنا الله إليها، ويقودنا أيضا فيها.

(٣) يقدم لهم العون على أفضل وجه حين يعانون من أي شيء. «يرد نفسي». فحين اضطرب داود بعد ارتكابه إحدى الخطايا، وحين أرسل له ناثان بعد خطية أخرى ليقول له: «أنت هو الرجل»، رد الله له نفسه. وعلى الرغم من أن الله قد يسمح لشعبه بالوقوع في الخطية، إلا أنه لن يسمح لهم بأن يظلوا واقعين فيها. وبعد أن اختبرت صلاح الله بالنسبة لي على هذا النحو طوال أيامي، في ست شدائد وفي سبع، فلن أفقد ثقتي فيه إطلاقا، حتى ولو واجهتني أشد الأخطار «أيضا إذا سرت في وادي ظل الموت» أي على الرغم من أن خطر الموت يهددني، وعلى الرغم من أني في خضم هذه الأخطار العميقة مثل الوادي، إلا أنني مطمئن. غير أنه حتى لو افترض أنني في محنة، فإن هناك أربع كلمات تخفف من الذعر. فما هذا إلا «ظل» الموت، ليس فيه خطر حقيقي، فظل الثعبان لا يلسع، ولا ظل السيف يقتل. كما أنه «وادي» ظل الموت، وهو عميق حقا، بل ومظلم وقذر، لكن الأودية مثمرة، ولذلك فالموت نفسه يولد تعزيات لشعب الله. والأمر ليس سوى «سير" في هذا الوادي، تمشية لطيفة. إنها سير فيه، ولن يفقدوا في هذا الوادي، بل يصلون بسلام إلى «جبال الأطياب» (نش ٨: ١٤) على الجانب الآخر منه. وليس ثمة شر فيه بالنسبة لأولاد الله، لأن الموت لا يقدر أن يفصلنا عن محبة الله. فالموت يقتل الجسد، غير أنه لا يستطيع أن يمس النفس. والراعي الصالح لن يرشد خرافه عبر هذا الوادي فقط، بل يوصلهم بسلام. ووجوده سوف يعزيهم «أنت معي». وكلمته وروحه يعزيانه: عصاه وعكازه. وهذه إشارة إلى عصا الراعي التي تمر تحتها الغنم أثناء عدها (لا ٢٧: ٣٢)، أو العصا التي يستخدمها الراعي في طرد الكلاب التي تزعج الخراف.

ثالثا: من العطايا الصالحة التي يهبها له الله من جوده، استدل على ثبات رحمة الله واستمرارها (ع ٥ و٦). «ترتب قدامي مائدة»، لقد أعطيتني طعام الراحة وكل ما أحتاج إليه سواء بالنسبة للجسد أو للروح، وسواء بالنسبة للزمن الحاضر أو للأبدية. رتبت مائدة، عليها كأس مملوء، وطعام لإشباع الجوع، وشراب لإرواء العطش.. «كأسي ريا» وهذا يكفي لي ولأصدقائي أيضا. «مسحت بالدهن رأسي». سبق أن قال: «فلا يعوزني شيء»، أما الآن فيتكلم بمزيد من الإيجابية: «إنما خير ورحمة يتبعانني كل أيام حياتي». لقد ارتفعت آماله وقوي إيمانه، وذلك عن طريق الاختبار. سوف «يتبعانني»، مثلما تبعت المياه التي من الصخرة إسرائيل في البرية. وسوف يتبعانني «كل أيام حياتي» حتى إلى المنتهى، لأن الذين أحبهم الله أحبهم إلى المنتهى، ومن المؤكد أنهما سوف يتبعانني. ولما كان الخير والرحمة يتبعانني كل أيام حياتي على هذه الأرض، ففي النهاية، سأنتقل إلى عالم أفضل «وأسكن في بيت الرب إلى مدى الأيام»، أسكن في بيت أبينا، هناك في السماء حيث توجد منازل كثيرة.

المزمور الرابع والعشرون

لداود. مزمور

هذا المزمور يتكلم عن ملكوت يسوع المسيح.

أولا: ملكوت عنايته، الذي به يحكم العالم (ع ١ و٢).

ثانيا: ملكوت نعمته، الذي به يحكم في كنيسته.

(١) بخصوص رعايا هذا الملكوت، وسمتهم (ع ٤، ٦)، وميثاقهم (ع ٥).

(٢) بخصوص الملك في هذا الملكوت، ونداءات للجميع لكي يدخلوه (ع ٧- ١٠).

عدد ١ و٢

أولا: ليس لنا أن نعتقد أن السماوات فقط هي للرب، وأن هذه الأرض، لكونها صغيرة جدا، ولا تشكل سوى جزءا صغيرا من الخليقة، ومن ثَم فهي مهملة، ولا يبالي بها الله. كلا، فإنه حتى هذه الأرض للرب أيضا.

(١) حين أعطى الله الأرض لبني البشر، احتفظ لنفسه بملكيتها، ولم يعطها لهم إلا كمستأجرين: «للرب الأرض وملؤها». فالمناجم وثمار الأرض، وكل وحوش الوعر والمواشي الرابضة على آلاف التلال، أراضينا وبيوتنا، وكل ما ينتج من هذه الأرض باستخدام مهارة الإنسان وجهده، كل هذه جميعها هي للرب. والواقع أن هذه الأمور ينظر إليها في ملكوت النعمة على اعتبار أنها كلا شيء، لأنها باطل الأباطيل، لا تفيد النفس شيئا، أما في ملكوت العناية: «ملآنة الأرض من غناك»، وكذلك «هذا البحر الكبير الواسع الأطراف».

(٢) هذا الجزء المسكون من الأرض (أم ٨: ٣١) هو له، من ناحية معينة «المسكونة وكل الساكنين فيها». بل إننا نحن، لا نملك أنفسنا، لا نملك أجسادنا، ولا أرواحنا.

ثانيا: والأرض ملكه بلا منازع «لأنه على البحار أسسها وعلى الأنهار ثبتها» (ع ٢). فقد خلقها وهيأها لنفع الإنسان. والمادة له لأنه خلقها من العدم وشكلها، خلقها طبقا لمشوراته الأزلية وأفكاره هو، وهو يحافظ على استمراريتها. فقد «أسسها» وثبتها، ولذلك فعلى الرغم من أنه «دور يمضي ودور يجيء»، فالأرض قائمة (جا ١: ٤)، وتدبيره الإلهي هذا يعد خليقة مستمرة (مز ١١٩: ٩٠).

عدد ٣- ٦

ومن هذا العالم وملئه، ارتفعت تأملات صاحب المزمور فجأة إلى الأمور العظيمة لعالم آخر، أساسه ليس على البحار أو على الأنهار.

أولا: الأرض هي موطئ قدمي الله، وسنمكث نحن البشر هنا لفترة قصيرة، وعما قريب لابد وأن ننطلق من هنا، و«من يصعد إلى جبل الرب؟» من الذي سيذهب إلى السماء بعد ذلك، وكضمان لهذا له شركة مع الله الآن؟ والنفس التي تعرف وتتأمل في طبيعتها وأصلها وخلودها، تراها بعد أن رأت الأرض وملأها، تبقى غير قانعة وتتساءل: ما الذي يجب عليَّ أن أفعله لأصعد إلى ذلك المكان المرتفع، إلى ذلك الجبل، حيث يسكن الرب حتى أقيم في ذلك الموضع المقدس السعيد، الذي يلتقي فيه الرب بشعبه.

ثانيا: وللإجابة على هذا التساؤل، نجد أن سمات شعب الله الخاص، الذين ستكون لهم شركة معه في النعمة والمجد. هم الذين يحفظون أنفسهم من كل أعمال الخطية. وهم أصحاب الأيادي الطاهرة. والأيادي التي ترفع إلى أعلى في الصلاة يجب أن تكون طاهرة، لا يعلق بها أي أثر من مكسب ظالم، أو أي شيء آخر ينجس الإنسان ويسيء إلى الله القدوس. إنهم الذين عقدوا العزم على أن يكونوا أنقياء من الداخل، كما يبدو مظهرهم من الخارج. والقلب النقي هو القلب المخلص الذي تطهر بالإيمان، والذي يتناغم مع صورة الله ومشيئته (انظر متى ٥: ٨). وهم الذين لا تتعلق قلوبهم بالأشياء التي في هذا العالم، وليس من بينهم من «يحمل نفسه إلى الباطل». كما أنهم يتعاملون بأمانة سواء مع الله أو مع الناس. وهم شعب من المصلين (ع ٦): «هذا هو الجيل الطالبه الملتمسون وجهك». وفي كل جيل توجد بقية من أمثال هؤلاء، أناس يتسمون بهذه الصفات. والواجب علينا هو أن نصعد إلى جبل الرب. نحن في حاجة إلى أن نبذل ما في وسعنا في سبيل ذلك، كأولئك الذين يسعون وراء ذلك بكل جد وكد. وتراهم ينضمون إلى شعب الله لكي يطلبوا الله معهم. هم يطلبون وجه الله كما فعل يعقوب، لذا دعي اسمه «إسرائيل»، ذلك لأنه جاهد مع الله وقدر، وطلبه ووجده. ونلاحظ أن بولس عقب تجديده مباشرة «حاول أن يلتصق بالتلاميذ» (أع ٩: ٢٦)، «وجهك يا يعقوب» (وجهك يا إله يعقوب، كما في ترجمة أخرى). وسوف ينعمون بالسعادة الحقيقية إلى الأبد. ويتبررون ويتقدسون. وهذه هي البركات الروحية في السماويات والتي سينالونها، ومن بينها البر، وهو نفس الشيء الذي كانوا جياعا وعطاشا إليه (مت ٥: ٦). وسوف ينالون الخلاص، لأن الله نفسه سيكون إله خلاصهم.

عدد ٧- ١٠

وما يقال مرة، يقال مرة ثانية، وهذه التكرارات أمر شائع في الترانيم. فالدخول مرة ومرات أمر مطلوب بالنسبة لملك المجد، ويجب فتح الأبواب، والمداخل أمامه. «من هو هذا ملك المجد. الرب القدير الجبار الرب الجبار في القتال... رب الجنود» (ع ٨، ١٠).

أولا: هذا الدخول الرائع الذي وصف هنا ربما يشير إلى إحضار تابوت العهد إلى الخيمة التي أقامها له داود، أو إلى الهيكل الذي بناه سليمان له، ذلك أنه حين أعد داود المواد اللازمة لبنائه، كان من اللائق له أن يعد مزمورا بمناسبة تكريسه. وقد سميت الأبواب «الأبواب الدهريات»؛ لأنها كانت ستعمر لزمان طويل أكثر من باب خيمة الاجتماع الذي لم يكن سوى ستارة. وهكذا يجب أن نرحب بالله وذلك من خلال كلمته ووصاياه. فالأبواب والمداخل يجب أن تفتح على مصراعيها أمامه.

ثانيا: وليس من شك في أنها تشير إلى المسيح، الذي كان تابوت العهد وغطاؤه (عرش النعمة) يرمز إليه. ويمكننا تطبيق ذلك على صعود المسيح إلى السماوات والترحيب الذي لقيه هناك. فقد كان يتعين أن تفتح له أبواب السماء آنذاك، هذه الأبواب التي كان يجب أن توصف فعلا بأنها «الأبواب الدهريات». فقد وجدها فادينا مغلقة، غير أنه إذ صنع بدمه كفارة عن الخطية حصل على حق الدخول «إلى الأقداس» (عب ٩: ١٢)، وكشخص له سلطان، طلب الدخول، وليس لنفسه فقط، بل ولنا أيضا، لأنه كباكورة لنا، دخل وفتح ملكوت السماوات أمام كل المؤمنين. ويمكننا أن نطبق هذا الكلام على دخول المسيح إلى نفوس البشر بكلمته وروحه، حتى يصبحوا هياكل له. ووجود المسيح فيهم، يماثل وجود تابوت العهد في خيمة الاجتماع، أي أنه يقدسهم. «هأنذا واقف على الباب وأقرع» (رؤ ٣: ٢٠). والمطلوب هو فتح أبواب القلوب ومداخلها أمامه، لا كمن يفتح ليسمح لضيف بالدخول، بل كممتلكات تعطى لمالكها الشرعي. وهذا هو نداء الإنجيل ودعوته، أن نسمح للرب يسوع المسيح، ملك المجد، بأن يدخل نفوسنا، ونرحب به قائلين أوصنا «مبارك الملك الآتي».

المزمور الخامس والعشرون

لداود

هذا المزمور عامر بالمحبة الخالصة نحو الله للتعبير عن الرغبة المقدسة لشكر الله على محبته ونعمته الفائضة والإيمان الحي بوعود الله. وبمقدورنا أن نتعلم منه.

أولا: ما معنى الصلاة (ع ١، ١٥).

ثانيا: ما الذي يجب أن نصلي من أجله: مغفرة الخطايا (ع ٦ و٧، ١٨)، التوجيه نحو عمل الواجب (ع ٤ و٥)، رحمة الله (ع ١٦)، الخلاص من متاعبنا (ع ١٧ و١٨)، حفظنا من أعدائنا (ع ٢٠ و٢١)، وخلاص كنيسة الله (ع ٢٢).

ثالثا: ما الذي يمكن أن نستند إليه في الصلاة؛ ثقتنا في الله (ع ٢ و٣، ٥، ٢٠ و٢١)، محنتنا وحقد أعدائنا (ع ٧١، ٩١)، إخلاصنا (ع ٢١).

رابعا: ما أثمن الوعود التي عندنا لتشجعنا في صلاتنا، وتلك الخاصة بالإرشاد والتعليم (ع ٨ و٩، ١٢) فائدة العهد (ع ١٠)، والسعادة الناجمة عن الشركة مع الله (ع ١٣ و١٤).

عدد ١- ٧

اعترافات داود من ناحية ما يطلبه من الله واتكاله عليه. كثيرا ما يبدأ داود مزاميره بمثل هذه الاعترافات، وليس ذلك لكي يحرك مشاعر الله، بل ليحفز نفسه.

أولا: يعترف برغبته نحو الله: «إليك يا رب أرفع نفسي» (ع ١). وعند عبادتنا لله يجب أن نرفع نفوسنا إليه. والصلاة هي رفع النفس إلى الله- «ارفعوا قلوبكم»: كانت هذه العبارة تستخدم قديما في الدعوة إلى الصلاة.

ثانيا: يعلن اتكاله على الله (ع ٢): «يا إلهي عليك توكلت». ويشهد له ضميره أنه ليس له ثقة في نفسه، أو في أي مخلوق. وهو يسعد نفسه بإعلانه هذا بثقته في الله: «فلا تدعني أخزى» نتيجة ثقتي فيك، ولا تسمح بأن تهتز هذه الثقة نتيجة مخاوفي، ولا تسمح بأن يخيب رجائي في النهاية فيما اتكلت عليك بشأنه. لكن يا رب احفظ ما استأمنتك عليه. احفظ نفسي و«ليخز الغادرون بلا سبب»، أو باطلا، وكلما كانت التجربة التي تجذب الناس إلى الخطية

ضعيفة، كان الفساد قويا. فالذين يرتكبون الخطية بهدف ارتكابها فقط هم أسوأ الخطاة.

ثالثا: يلتمس إرشادا من الله بالنسبة إلى طريق الواجب (ع ٤ و٥). ونراه هنا يصلي إلى الله من حين لآخر لكي يعلمه: «علمني» وهو يطلب أن يتعلم لا كلمات رقيقة أو أفكارا رائعة بل عرفني: طرقك، سبلك، حقك، كل الطرق التي تسلكها للاتجاه نحوي هي «رحمة وحق» (ع ١٠). والطرق التي تريدني أن أسير فيها نحوك «طرقك يا رب عرفني. سبلك علمني». وعندما نكون في شك أو حيرة، يجب أن نصلي إلى الله بحرارة لكي يوضح لنا ما الذي يريدنا أن نعمله. «دربني» وعلمني «لأنك أنت إله خلاصي». وإذا خلصنا الله، فسوف يعلمنا ويقودنا. فذاك الذي يعطي الخلاص، سيعطي التعليم. «إياك انتظرت اليوم كله». ومن أين يجب على العبد أن يتوقع الإرشاد إلا من سيده، ومن ينتظر اليوم كله؟

رابعا: يستند إلى رحمة الله غير المحدودة، ولا يدَّعي أن له استحقاقا في ذاته (ع ٦): «اذكر مراحمك يا رب»، ومن أجل مراحمك هذه، ارشدني وعلمني، «لأنها منذ الأزل هي».

خامسا: يتلهف على مغفرة خطاياه (ع ٧): «لا تذكر خطايا صباي». اذكر مراحمك يا رب (ع ٦) والتي تتكلم عني أمامك، ولا تذكر خطاياي. وحين يغفر الله الخطية، لا يعود يذكرها بعد، الأمر الذي يشير إلى غفران مطلق، فهو يغفر وينسى.

عدد ٨- ١٤

أولا: امتزجت مواعيد الله هنا بصلوات داود. ويلاحظ أنه كانت ثمة التماسات كثيرة في الجزء السابق من المزمور، وسوف نجد المزيد في الجزء الأخير، أما هنا- في منتصف المزمور- فنراه يستغرق في تأمل المواعيد. ومواعيد الله ليست فقط أفضل أساس للصلاة، حيث تعرفنا ما نصلي من أجله، بل تعد بمثابة استجابة حاضرة للصلاة. ليتنا نرفع صلواتنا على أساس الوعد، وعندئذ يمكن أخذ الوعد على أنه نتيجة الصلاة، وعلينا أن نثق في أن الصلاة قد سُمعت لأن الوعد سيتحقق. غير أننا نجد التماسا واحدا في وسط المواعيد، يبدو وأنه جاء مباغتا، وكان يجب أن يتبع (ع ٧). وهو ما جاء في عدد ١١ «اغفر إثمي». وهو يدعم هذا الالتماس بحجة مزدوجة: «من أجل اسمك يا رب اغفر إثمي لأنه عظيم»، ولذلك اعتبر نفسي قد هلكت ما لم تتدخل رحمتك التي لا نهاية لها للعفو عني. ولنستعرض فيما يلي المواعيد العظيمة التي تضمنتها هذه الأعداد:

ثانيا: ثمة أمران يصادقان على كل هذه المواعيد ويؤكد أنها:

(١) كمالات طبيعة الله. ومن المعروف أننا نقدر قيمة الوعد بحسب شخصية من يقطعه. ولذلك فإننا نعتمد على مواعيد الله، لأن «الرب صالح ومستقيم»، ولذلك سيفي بمواعيده.

(٢) اتفاق كل ما يقوله ويعمله مع كمالات طبيعته (ع ١٠): «كل سبل الرب (أي كل مواعيده وجميع أعمال عنايته) رحمة وحق» فهي مثله صالحة ومستقيمة.

ثالثا: ماهية هذه المواعيد:

(١) أن الله سيعلمهم ويوجههم في طريق عمل واجبهم. وقد شدد على ذلك إلى أبعد الحدود، لأن ذلك يشكل استجابة لصلوات داود (ع ٤ و٥): «طرقك يا رب عرفني. سبلك علمني». ويتعين علينا أن نركز أفكارنا على تلك المواعيد التي تناسب حالتنا الراهنة.

أ. وسوف «يعلم الخطاة الطريق»، لأنهم خطاة، لذا فهم في حاجة إلى التعليم. وحين يرغبون في التعليم، فسوف يعلمهم طريق المصالحة مع الله، والطريق إلى سلام راسخ للضمير، والطريق إلى الحياة الأبدية.

ب. «يدرب الودعاء»، أي أولئك الذين لا يتكلون على ذواتهم، ويرغبون أن يتعلموا، وقد عقدوا العزم بكل أمانة على أن يتبعوا الإرشاد الإلهي. وهؤلاء سوف يدربهم «في الحق»، أي حسب ما تقضي به الكلمة المكتوبة.

ج. «الإنسان الخائف الرب. يعلمه طريقا يختاره»، إما في الطريق الذي يختاره الله، أو الطريق الذي يختاره الإنسان التقي. والأمران سيان، لأن الذي يتقي الله يختار الأشياء التي تسره.

(٢) يجعلهم الله راضين قانعين (ع ١٣): «نفسه في الخير تبيت» (أو: يبيت في صلاح). والذين يكرسون أنفسهم لتقوى الله، ويسلمون أنفسهم لله لكي يعلمهم، سوف يكونون من القانعين.

(٣) سوف يعطيهم ونسلهم الكثير مما في هذا العالم بحسب ما لخيرهم، «ونسله يرث الأرض». وسوف يكون حال أولادهم أفضل بعد مماتهم نتيجة صلواتهم.

(٤) سيقبلهم الله في سر الشركة معه (ع ١٤): «سر الرب لخائفيه». ذلك أنهم يفهمون كلمته، لأنه «إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم، هل هو من الله» (يو ٧: ١٧).

عدد ١٥ – ٢٢

وإذ تشجع داود نتيجة المواعيد التي كان يتأملها، فقد اختتم المزمور كما بدأه باعترافه باتكاله على الله وأشواقه تجاهه.

أولا: طرح أمام الله بكل صراحة الحالة المفجعة التي كان فيها. كانت قدماه في الشبكة، ممسوكتين بشدة ومعرقلة، وعلى ذلك عجز عن تخليص نفسه من مشاكله (ع ١٥)، إذ أنه «وحدٌ ومسكين» (ع ١٦). وقد وصف داود نفسه بأنه بائس ووحيد، لأنه لم يكن يعتمد على عبيده وجنوده، بل كان يعتمد بشكل تام على الله، كما لو أنه لم يكن يتوقع أي مساعدة أو عون من أي مخلوق. لقد تضاعفت مشاكله وضيقات قلبه «أفرج ضيقات قلبي» (ع ١٧)، فقد كان يزداد كآبة وألما نفسيا.

ثانيا: عبر عن اتكاله على الله في هذه المحن (ع ١٥): «عيناي دائما إلى الرب». والذين عيونهم دائما إلى الرب لن تمكث أقدامهم في الشبكة طويلا. يكرر هنا اعترافه بأنه يتكل على الله «لا أخزى لأني عليك توكلت» (ع ٢٠)، وأنه لا ينتظر شيئا إلا منه «لأني انتظرتك» (ع ٢١).

ثالثا: يصلي بحرارة إلى الله من أجل الغوث والعون: «يا رب اغفر إثمي»، «واغفر جميع خطاياي». من الجدير بالملاحظة أنه بالنسبة لمحنته، لم يطلب من الله أكثر من أن ينظر إليه: «انظر إلى ذلي وتعبي»، واعمل ما تشاء بالنسبة لهما. أما بالنسبة لخطيته، فلم يطلب أقل من المغفرة الكاملة: «اغفر جميع خطاياي». كان في حالة مزعجة فصلى قائلا: «من شدائدي أخرجني». لست أرى سبيلا للخلاص، ولكن بمقدورك أن توجد طريقا. وهو يستند إلى رحمة الله: «ارحمني». ومهما كانت استحقاقات الناس عظيمة جدا فإنهم سيهلكون، لو لم يتعاملون مع إله مراحمه غير محدودة. وهو يتضرع على أساس بؤسه، الذي جعله أهلا لرحمة الله. كما ذكر ظلم أعدائه: انظر يا رب مدى قسوتهم، وخلصني من أيديهم. كما يذكر أيضا استقامته (ع ١٩، ٢١). وعلى الرغم من اعترافه بإثمه أمام الله، إلا أنه مع ذلك فإنه بالنسبة لأعدائه، كانت له شهادة ضميره بأنه لم يظلمهم في شيء. والإخلاص هو أفضل ضمان في أسوأ الأوقات. «يا الله، افدِ إسرائيل من كل ضيقاته». لقد تضخمت متاعب داود، وكان يلتمس من الله بحرارة أن يخلصه منها، ومع ذلك، لم ينس المتاعب التي تكتنف كنيسة الله.

المزمور السادس والعشرون

لداود

يضع داود نفسه في هذا المزمور في امتحان أمام ضميره وأمام الله وهو في الحالتين يستند إلى كماله (ع ١ و٢).

ولإثبات ذلك يتذرع بالآتي:

أولا: تقديره الدائم لله ولنعمته (ع ٣).

ثانيا: كراهيته المتأصلة للخطية والخطاة (ع ٤ و٥).

ثالثا: محبته الصادقة لوصايا الله واهتمامه بها (ع ٦– ٨). وإذ أثبت أمانته على هذا النحو فإنه:

(١) يطلب ألا يُجمع مع الأشرار (ع ٩ و١٠).

(٢) يلقي بنفسه على رحمة الله ونعمته، وقد صمم على التمسك بشدة بكماله ورجائه في الله (ع ١١ و١٢).

عدد ١ – ٥

من المحتمل أن يكون داود قد كتب هذا المزمور حين كان شاول يتآمر عليه، حيث كان يشوه سمعته،

ويتهمه زورا بجرائم كثيرة. وداود في هذا الوضع يرمز إلى المسيح، الذي كان الناس يعيرونه. وفيما يلي ما فعله داود إزاء هذه الحالة:

أولا: لجأ إلى حكم الله العادل (ع ١): «اقض لي يا رب». كن قاضيا بيني وبين من يتهمونني. ولم يستطع أن يبرر نفسه ضد تهمة الخطية، بل إنه يعترف بأن إثمه عظيم، وأنه سيهلك لو لم يغفر له الله برحمته الواسعة غير المحدودة، غير أنه بمقدوره أن يبرر نفسه ضد تهمة الرياء. وإنه لمما يعزي كل أولئك المخلصين في تدينهم أن الله نفسه شاهد على إخلاصهم.

ثانيا: يسلم نفسه لفحص الله الذي لا يخطئ (ع ٢): «جربني يا رب وامتحني»، كما يمحص الذهب ليرى ما إذا كان نقيا أم لا؟ لقد كان داود مخلصا في عبادة إلهه حتى إنه تمنى لو كانت له نافذة في صدره، حتى ينظر أي شخص إلى قلبه ويعرف حقيقته.

ثالثا: دافع عن إخلاصه بكل وقار (ع ١): «لأني بكمالي سلكت»، وكان مسلكي يتفق مع إيماني، فهما يتطابقان. والبراهين على استقامته وأمانته شجعته على أن يثق في الله باعتباره القاضي العادل: «وعلى الرب توكلت بلا تقلقل». والذين يخلصون في ديانتهم بمقدورهم أن يثقوا في الله، وأنهم لن يتعرضوا لأي تقلقل، بمعنى أنهم لن يرتدوا عن ديانتهم.

(١) كان يقدر الله ونعمته بصفة دائمة (ع ٣): «لأن رحمتك أمام عيني». وكان يحكم نفسه بكلمة الله التي اتخذها دستورا له: «وقد سلكت بحقك»، أي طبقا لناموسك، لأن ناموسك حق.

(٢) لم يكن له شركة مع أعمال الظلمة غير المثمرة، ولا مع من يأتون بهذه الأعمال (ع ٤ و٥). والاهتمام البالغ بتفادي الصحبة السيئة لا يعد دليلا على كمالنا فحسب، بل يعد وسيلة طيبة لمحافظتنا على أمانتنا. «لم أجلس مع أناس السوء. ومع الماكرين لا أدخل». وصحبة أناس السوء تمثل خطرا بالغا ينبغي تحاشيه بالابتعاد عنهم. والأشرار يتظاهرون بصداقة أولئك الذين يبغون الإيقاع بهم في شراكهم، وهم ماكرون حين يتكلمون حسنا لا يجب تصديقهم. وعلى الرغم من أنه في بعض الأحيان لم يكن يستطيع أن يتفادى وجوده في صحبة الأشرار، لكنه لم يكن يشاركهم أو يسير في مسلكهم، ولم يكن يتخذ من هؤلاء أصدقاء له. «أبغضت جماعة الأثمة» أو معشر الخبثاء، بحسب الترجمة اللاتينية. وكما أن الأخيار في صحبتهم، يفيدون بعضهم بعضا ويعطون القدرة على أن يكثروا من الأعمال الحسنة، هكذا الأشرار في تجمعهم، يفسدون بعضهم بعضا، ويكثرون من عمل الشر والأذى.

عدد ٦ – ١٢

أولا: يذكر داود –كدليل آخر على استقامته– المحبة العظيمة التي يكنها لفرائض الله وأحكامه.

(١) كان حريصا للغاية عند استعداده لممارسة الفرائض المقدسة: «أغسل يديَّ في النقاوة». وفي استعدادنا للقيام بواجباتنا المقدسة فليس علينا أن نحاول أن نبرئ أنفسنا فقط من تهمة الرياء، وأن ندافع عن براءتنا منها (الأمر الذي رُمز إليه بغسل الأيدي) (تث ٢١: ٦)، بل يجب علينا أيضا أن نهتم اهتماما بالغا بأن نطهر أنفسنا بتجديد توبتنا.

(٢) كان دؤوبا وجادا للغاية في مراعاتها: «فأطوف بمذبحك»، ويشير بهذا إلى عادة الكهنة، الذين– أثناء تقديم الذبيحة– كانوا يطوفون حول المذبح، ولعل مقدمي الذبائح كانوا أيضا يفعلون ذلك من على مسافة معينة، بالإشارة إلى مثابرتهم وجديتهم لما يعمل، وأدائهم لواجب حضور العبادة.

(٣) في كل حفظه لفرائض الله كان يستهدف مجد الله.

(٤) كان يعمل ذلك بفرح: «يا رب أحببت محل بيتك» (ع ٨). (خيمة الاجتماع). التي سررت أن تعلن فيها وجودك بين شعبك، وتتقبل عبادتهم «موضع مسكن مجدك».

ثانيا: بعد أن قدم داود أدلة كماله، رفع صلوات حارة يلتمس فيها ألا يلقى مصير الأشرار (ع ٩ و١٠). «لا تجمع مع الخطاة نفسي»، ذلك أنهم «رجال الدماء»، الذين يتعطشون لسفك الدم، وارتكبوا هذا الإثم العظيم مرارا وتكرارا. هم يرتكبون الأذى بصفة دائمة ولا يكفون عنه. وعلى الرغم من أنهم يتكسبون من شرهم (يمينهم ملآنة رشوة، أخذوها

ليعوجوا القضاء)، إلا أن ذلك يزيد حالتهم سوءا، لأنه «ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟» كان داود يخشى أن يلقى مصيرهم.

ثالثا: بثقة مقدسة وبكل خشوع يستودع داود نفسه لنعمة الله (ع ١١ و١٢): «أما أنا (وبغض النظر عما يفعله الآخرون) فبكمالي أسلك». وهو يصلي من أجل أن تمكنه نعمة الله من عمل ذلك، وتشجعه على هذا الأمر: «افدني (من أيدي أعدائي) وارحمني» في حياتي ومماتي. وهو يغبط نفسه على ثباته: «أقام على صخرة رجلي. ثبت خطواتي»، فلن أعثر، ولن أسقط. وهو يمني نفسه بأنه على الرغم من أنه قد يكون الآن مطرودا من المشاركة في الفرائض العامة، إلا أنه واثق من أنه ستتاح له فرصة تمجيد الله في وسط شعبه.

المزمور السابع والعشرون

لداود

يعتقد البعض أن داود كتب المزمور قبل اعتلائه العرش، وفيما كان في خضم متاعبه، ولعل ذلك كان بمناسبة وفاة والديه، غير أن اليهود يعتقدون أنه كتبه بمناسبة الخلاص العجيب الذي تحقق له بنجاته من سيف رجل عملاق، حيث أنقذه أبيشاي منه (٢صم ٢١: ١٦ و١٧). ولعله لم يكتبه في أية مناسبة خاصة، غير أن المزمور يعبر بشكل رائع عن المشاعر النابعة من نفوس تقية ورعة تتعلق بالله في كل الأحوال ولاسيما في وقت الشدة.

أولا: بسالة داود وشجاعته وإيمانه (ع ١– ٣).

ثانيا: الطاعة التي أظهرها في الشركة مع الله والفائدة التي اختبرها نتيجة ذلك (ع ٤– ٦).

ثالثا: رغبته في الالتصاق بالله وطمعه في فضله ونعمته (ع ٧– ٩، ١١ و١٢).

رابعا: توقعاته من الله، والتشجيعات التي يعطيها للآخرين لكي يجعلوا رجاءهم عليه (ع ١٠، ١٣ و١٤).

عدد ١– ٦

أولا: كيف أن داود بإيمان حي يشعر بالنصرة في الله ويمجد اسمه القدوس.

(١) «الرب نوري». ولقد أطلق رعايا داود عليه «سراج إسرائيل» (٢صم ٢١: ١٧). وكان حقا نورا ساطعا، ولكنه يعترف بأنه يضيء كالقمر، بنور مستعار، فالنور الذي يسطع به الله عليه، يعكسه هو عليهم «الرب نوري».

(٢) وهو «خلاصي»، الذي فيه أشعر بالأمن، وبواسطته سأحصل على الخلاص.

(٣) وهو «حصن حياتي»، فليس هو حامي حياتي المعرضة للخطر فحسب، بل هو قوة حياتي الهشة الضعيفة.

ثانيا: كيف أنه بشجاعة فائقة غير هيابة ينتصر على أعدائه، فلا قوة تعادل قوة الإيمان. فإذا كان الله معه، من يستطيع أن يكون عليه: «ممن أخاف».. «ممن أرتعب؟» لقد قام عليه أعداؤه «ليأكلوا» لحمه، كانوا يستهدفون ذلك، وعلى ثقة من أن هذا أقل ما يستطيعون عمله، لكنهم عثروا. لقد ضربهم فسقطوا «عثروا وسقطوا»، لقد دب فيهم الارتباك، وتملكهم الضعف، ومن ثَم لم يستطيعوا مواصلة غرضهم. وعلى الرغم من كثرة عددهم كانوا بمثابة «جيش»، ومع أنهم نزلوا عليَّ كجيش ضد رجل واحد إلا أنه «لا يخاف قلبي». ولا تستطيع الجيوش أن تضرنا إذا قام رب الجنود بحمايتنا. والواقع أنه مع يقيني هذا، بأن الله معي، فإني على ثقة من أنه سوف «يخبئني» (ليس في حصون عين جدي، ١صم ٢٣: ٢٩)، بل «في مظلته»، وحينئذ «يرتفع رأسي على أعدائي»، وليس ذلك حتى يعجزوا عن الوصول إليَّ بل لكي أفرح بأني استطعت التغلب عليهم.

ثالثا: كيف يصلي بحرارة بالغة من أجل دوام الشركة مع الله في فرائضه المقدسة (ع ٤).

(١) ما الذي يرغبه؟ «أن أسكن في بيت الرب». في ديار بيت الله يسكن الكهنة، وكان داود يتمنى لو أنه واحد منهم. وكل أبناء الله يرغبون السكنى في بيت الله، وأين يسكنون خلاف ذلك، فهل نأمل أن يكون حمد الله بركة أبديتنا؟ إذًا يجب أن نجعل حمد الله شغلنا الشاغل من الآن.

(٢) كيف أنه يتلهف على هذا؟ «واحدة سألت من الرب وإياها ألتمس». وإذا كان له أن يلتمس شيئا واحدا من الله، فهو يلتمس هذه الطلبة، لأن هذا ما

كان يرنو إليه قلبه أكثر من أي شيء آخر. وهو يرغب أن يسكن في بيت الرب بغية أن ينظر «إلى جمال الرب»، ويتفرس «في هيكله». كان يعرف شيئا عن جمال الرب، فقداسته هي جماله (مز ١١٠: ٣)، كما أن صلاحه هو جماله (زك ٩: ١٧). وتناغم جميع سماته يشكل جمال طبيعته. ويعرف داود أن المتاعب لن تصل إليه في بيت الله. ونعلم أن يوآش، وهو من نسل داود، خُبئ في بيت الرب ست سنوات، وهناك، لم يحفظ فقط من القتل بالسيف، بل حفظ كي يعتلي العرش (٢مل ١١: ٣). لقد رؤي أن الهيكل مكان آمن يلوذ به نحميا (نح ٦: ١٠). ومع ذلك فسلامة المؤمنين ليست في جدران الهيكل، بل في إله الهيكل وفي عزاء شركتهم معه.

عدد ٧- ١٤

يعبر داود في هذه الأعداد عن الآتي:

أولا: رغبته في الشركة مع الله، وذلك ما عبر عنه في كثير من تضرعاته وإذ لم يكن بمقدوره الآن الصعود إلى بيت الرب، إلا أنه مع ذلك، وفي أي مكان تواجد فيه، يستطيع أن يجد سبيلا إلى عرش النعمة وذلك بالصلاة: «استمع يا رب. بصوتي أدعو»، ليس بقلبي فحسب، بل كشخص متحمس «بصوتي» أيضا. وإذا ما صلينا وآمنا فإن الله سوف يسمع ويستجيب. ويركز داود أفكاره على دعوة الله له إلى عرش نعمته: «لك قال قلبي قلت اطلبوا وجهي»، لقد فكر مليا في ذلك، ثم أخذ يعظ به نفسه ويردده في ذهنه (وهذا أفضل وعظ، أن تسمع مرتين ما يقوله الله مرة واحدة). «لك قال قلبي قلت اطلبوا وجهي» أو «عنك قال قلبي اطلبوا وجهه». بعد أن يتأمل بعمق في هذا يصل إلى قرار تقوي: «وجهك يا رب أطلب». ذلك أن الله يفتح يده فيشبع «كل حي رضى» (مز ١٤٥: ١٦)، غير أن نور وجهه فقط هو الذي يشبع رغبة الإنسان (مز ٤: ٦- ٧). وهو يعترف بأنه كان يستحق غضب الله عليه، ولكنه يلتمس أنه مهما أدبه الله، إلا أنه لن يطرحه من قدام وجهه: «فلا ترفضني ولا تتركني»، لا تنزع مني عمل قوتك فيَّ، لأني في هذه الحالة سأصبح عاجزا، ولا تحجب علامات رضاك عني، لأنك لو فعلت هذا، لن أجد راحة أو تعزية: «علمني يا رب طريقك»، أعطني أن أفهم مغزى تدبيراتك الإلهية من جهتي، حتى لا أسيء فهمها، بل أسير باستقامة، ولا أعملها مترددا، بل أكون واثقا مما أعمله. وهو يلتمس أن يهديه الله «في سبيل مستقيم بسبب أعدائي» (أو بسبب من يراقبونه). «لا تسلمني إلى مرام مضايقي». لا تسمح لهم يا رب بتحقيق غرضهم، لأنهم يقصدون حياتي، ولست أملك ما أدافع به عن نفسي في مواجهتهم، سوى سلطانك على ضمائرهم، ذلك «لأنه قد قام عليَّ شهود زور» الذين يهدفون إلى أكثر من مجرد تدمير سمعتي، لأن كل منهم بالنسبة لي «نافث ظلم»، وهم يتعطشون إلى دمي.

ثانيا: يعبر عن اتكاله على الله، وعلى الرغم من أن «أبي وأمي قد تركاني»، وهم أقرب وأعز الأحباء في العالم، الذين كنت أتوقع منهم أعظم عون بحسب المنطق، فإنه في حالة موتهما، أو وجودهما بعيدا عني، أو عجزهما عن مساعدتي في وقت حاجتي، أو إذا ما تقسيا عليَّ، أو لم يعودا يعيراني أي اهتمام، ومن ثَم لن يساعداني في وقت أكون فيه لا حول لي ولا قوة مثل أي يتيم مسكين فقد أباه وأمه، هنا أعلم بأن الرب سوف «يضمني». كان يؤمن بأن يرى «جود الرب في أرض الأحياء»، ولو لم يفعل لخار تحت وطأة محنته. والذين يسيرون بالإيمان في صلاح الرب، فإنهم في الوقت المناسب سيسيرون وهم يرون جود الرب. إن ما يعزيه ليس أنه سوف يرى أرض الأحياء بقدر ما أنه سيرى جود الرب فيها لأن في هذا أعظم تعزية للنفس التقية. والأرض التي يمكن أن يطلق عليها بحق «أرض الأحياء» إنما هي في السماء. فهذه الأرض التي نحيا فيها هي أرض الأموات. وليس هناك شيء مثل الرجاء القائم على الإيمان بالحياة الأبدية بمقدوره حمايتنا من أن نخور أمام كل مصائب هذه الحياة الحاضرة. وفي غضون ذلك يقول لنفسه أو لكل من أصحابه «ليتشدد وليتشجع قلبك»، وفي هذه القوة «انتظر الرب» بالإيمان والصلاة، وبخضوع خاشع لمشيئته. وأقول لك: «انتظر الرب». وأيا كان ما تفعله، لا تتهاون في انتظارك للرب. والذين ينتظرون الرب يكون لديهم ما يدفعهم إلى أن يتشجعوا.

المزمور الثامن والعشرون

لداود

الجزء الأول من هذا المزمور يشكل صلاة لقديس يعاني من صراع ومحنة (ع ١– ٣)، وقد أضيف إليها المصير الذي ينتظر أعداء الله المعاندين (ع ٤ و٥). أما الجزء الأخير من المزمور فهو صلاة شكر لقديس منتصر، حيث خلصه الله من محنته (ع ٦– ٨)، أضيف إليه صلاة نبوية من أجل جميع رعية الله الأمناء المخلصين (ع ٩).

عدد ١ – ٥

داود متحمس للغاية في الصلاة.

أولا: يصلي من أجل أن يتكرم الله ويسمعه ويستجيب له، إذ إنه في محنته صرخ إليه (ع ١ و٢): «إليك يا رب أصرخ. يا صخرتي» (وهذه إشارة إلى إيمانه بقوة الله)، كشخص متحمس، إذ إنه سوف ينهار ما لم يسرع الله بمعونته في حينها. لأنك إذ رأيت أن «تسكت عني»، ولم تظهر لي علامات رضاك فسوف «أشبه الهابطين في الجب» (أي أنني رجل ميت، ضاع وهلك). فلو لم يكن الله صديقي لضاع رجائي وفقدت كل عون. إني «أرفع يديَّ إلى محراب قدسك»، الذي أتوقع أن ألقى منه إجابة تعطيني سلاما أي قدس الأقداس الذي وراء الحجاب، حيث كان يوضع تابوت العهد وعرش النعمة. وقيل إن الله يسكن هناك بين الكروبيم، ومن هناك كان يتكلم إلى شعبه (عد ٧: ٨٩). وكان ذلك رمزا للمسيح، فإليه يجب أن نرفع عيوننا وأيدينا، لأنه بواسطته يأتينا كل خير من الله.

ثانيا: يصلي لكي لا تكون له أية علاقة بمصير الأشرار. يا رب إني أحضر إلى محراب قدسك «لا تجذبني مع الأشرار ومع فعلة الإثم» (ع ٣). يا رب، لا تتركني أتكل على ذاتي، ولا تتركني أستخدم وسائل الغش والخيانة من أجل سلامتي، كما يستخدمونها هم من أجل القضاء عليَّ.

ثالثا: يستمطر دينونات الله العادلة على فاعلي الإثم (ع ٤): «أعطهم حسب فعلهم». وهذه ليست لغة الغضب والانتقام، بل وليست غير متناغمة مع واجب الصلاة من أجل أعدائنا. ولكنه يريد أن يظهر كيف أنه أبعد ما يكون عن الإذعان لفاعلي الإثم. وإذا لم تتم التوبة عن الخطأ الذي ارتكب، فمن المؤكد أنه سيأتي يوم للحساب، حين يحاسب الله كل إنسان يصر على الاستمرار في أعماله الشريرة، حيث يحاسبهم على أساسها. إنها نبوة تتحدث بصفة خاصة عن هلاك المخربين: «المخاطبين أصحابهم بالسلام والشر في قلوبهم. أعطهم حسب فعلهم وحسب شر أعمالهم».

رابعا: يتنبأ بهلاكهم لاحتقارهم الله ويده (ع ٥): «لأنهم لم ينتبهوا إلى أفعال الرب ولا إلى أعمال يديه»، التي من خلالها أعلن نفسه للبشر وتكلم معهم. وسوف «يهدمهم» في هذا العالم، وفي العالم الآخر، «ولا يبنيهم» ثانية. لماذا يتشكك الناس في وجود الله، أو صفاته، أليس لأنهم لا يولون الاهتمام الواجب لأعمال يديه التي تعلن مجده، والتي من خلالها تُرى بوضوح أعماله غير المنظورة؟

عدد ٦– ٩

أولا: داود يقدم الشكر لله. ولقد صلى داود بالإيمان (ع ٢): «استمع صوت تضرعي»، وبنفس الإيمان يقدم الشكر لله (ع ٦)؛ لأن الله «سمع صوت» تضرعه. والذين يصلون بإيمان يفرحون في الرجاء. وما تحصل عليه بالصلاة يجب أن تقابله بالشكر.

ثانيا: ويشجع نفسه على الرجاء في أن الله سيكمل كل شيء يتعلق به. وهذا هو أسلوب الحصول على السلام. ليتنا نبدأ بالحمد فهذا متاح لنا: «عليه اتكل قلبي»، اتكل على قوته ومواعيده، ولم يضع ذلك سدى، «فانتصرت»، وكثيرا ما كنت ألقى العون، ليس فقط الذي أعطاه لي الله في الوقت المناسب، عند اتكالي عليه، بل إن مجرد اتكالي عليه كان فيه عون كبير، وحفظني من الانهيار (مز ٢٧: ١٣)، «ويبتهج قلبي» (ع ٧).

ثالثا: يبتهج بالاهتمام الذي يبديه جميع الأتقياء نحو الله في المسيح (ع ٨): «الرب عز» لشعبه، وليس لي فقط، بل هو عز لكل مؤمن. هذه هي شركتنا مع كل القديسين، أن الله هو عزهم كما أنه عزنا، والمسيح هو ربنا كما أنه ربهم (١كو ١: ٢).

رابعا: يختتم المزمور بصلاة وجيزة وإن كانت شاملة من أجل كنيسة الله (ع ٩). لقد صلى من أجل إسرائيل لا لأنهم أهله (خلص شعبك وبارك ميراثك)، مع أنهم كذلك فإنه يقول لله «شعبك». فميراث الله هو شعبه. أما الذي يلتمسه لهم من الله فهو:

(١) أن يخلصهم من أعدائهم.

(٢) يباركهم بكل خير.

(٣) أن يكون راعيهم. يوجه مشوراتهم وأعمالهم الوجهة الصحيحة، ويهيمن على مصالحهم من أجل خيرهم. يطعمهم، ويحكم عليهم، يقيم لهم رعاة، وحكاما، يقومون بمهامهم بحكمة وفهم.

(٤) وأن يحملهم «إلى الأبد»، يحملهم في متاعبهم وشدائدهم، وأن يعمل ذلك ليس فقط من أجل الذين كانوا يعيشون في جيله فحسب، بل من أجل شعبه في كل جيل آت، بل وحتى النهاية.

المزمور التاسع والعشرون

مزمور لداود

من المحتمل أن يكون تخمينا صائبا ذاك الذي يقول بأن داود كتب هذا المزمور أثناء عاصفة شديدة، وبروق وأمطار، وأن المزمور الثامن كان تأملا في ليلة مقمرة، والمزمور التاسع عشر في صباح يوم مشمس.

أولا: يطلب من عظماء العالم أن يقدموا لله مجدا (ع ١ و٢).

ثانيا: لإقناعهم بصلاح ذلك الإله الذي عليهم أن يعبدوه، وقد ذكر قوته في الرعد والبرق والأمطار الرعدية (ع ٣– ٩)، سيادته المطلقة على العالم (ع ١٠)، ونعمته الخاصة لكنيسته (ع ١١).

عدد ١– ١١

أولا: طلب بأن يقدم عظماء العالم فروض الولاء والطاعة للإله العظيم. وكل قصف للرعد يفسره داود على أنه نداء موجه له وللملوك الآخرين بأن يقدموا مجدا للإله العظيم. «يا أبناء الله» (ع ١)، يا أبناء الله، يا من تمتلكون قوة «قدموا للرب» مرة ثانية وثالثة اعترافكم بمجده وقوته، وأي مجد أو عز ائتمنكم عليه قدموه له، واستخدموه من أجل كرامته وفي خدمته. قدموا له تيجانكم، ضعوها عند قدميه، أعطوه صولجاناتكم، وسيوفكم، ومفاتيحكم، ضعوا كل شيء في يده، حتى وأنتم تستخدمونها فإنكم تفعلون ذلك من أجل اسمه ومدحه. وما قيل هنا لأبناء الله، قيل للجميع: «اسجدوا للرب»، وهذه خلاصة الإنجيل الأبدي وجوهره (رؤ ١٤: ٦ و٧). العبادة الحقة هي أن نقدم «للرب مجد اسمه» (ع ٢)، «اسجدوا للرب في زينة مقدسة» اعبدوه، ليس باعتباره مخيفا دونما حدود وعلى ذلك يجب مخافته أكثر من الجميع، بل باعتباره لطيفا دون حدود، ومن ثَم يجب أن يكون موضوع المحبة والفرح أكثر من الجميع، ويجب علينا بصفة خاصة أن نركز على جمال قداسته. فهناك جمال في القداسة، وهذا ما يضفي على جميع أعمال العبادة جمالا مقبولا.

ثانيا: سبب قوي لطلبه هذا.

(١) كفايته في ذاته، وهذا ما يشير إليه اسمه «يهوه» «أهيه الذي أهيه»، أي «الرب»، اللقب الذي تكرر هنا ما لا يقل عن ثماني عشرة مرة في هذا المزمور الصغير، حيث تكرر مرتين في كل عدد، ماعدا ثلاثة أعداد، وورد مرة واحدة في عددين من هذه الأعداد الثلاثة.

(٢) سيادته على كل شيء. يوضح صاحب المزمور هنا سيادة الله:

أ. في مملكة الطبيعة: في النتائج العجيبة للأسباب الطبيعية، وعمليات قوى الطبيعة. فرب المجد هو الذي يرعد (ع ٣). وكل من يسمع الرعد يعترف بأن «صوت الرب بالجلال» (ع ٤). لأنه لو كان صوته على هذا النحو المخيف، فكيف تكون ذراعه؟ ذلك أن «صوت الرب» في الرعد كثيرا ما يكون، مكسر الأرز، حتى أرز لبنان المعروف بأنه أقوى النوعيات وأعظمها. البعض يقول إن المقصود هو الرياح العنيفة التي تهز الأرز، وتمزق قممها. والزلازل أيضا تهز الأرض نفسها، وهي التي تنمو عليها الأشجار، وتهتز «لبنان وسريون» وسريون يطلق على جبل حرمون، كما أن «برية قادش» تزلزل أيضا وبنفس الطريقة (ع ٨)، فالأشجار تهتز نتيجة الرياح، والأرض بسبب الزلازل. والبعض يقول إن المقصود هو الممالك المجاورة الغازية التي كانت تحارب إسرائيل وتعارض داود، مثل الآراميين، الذين

تجاور بلادهم غابة لبنان، والأموريين الذين يتاخمون جبل حرمون، والموآبين والعمونين المتاخمين لبرية قادش. وكم اشتعلت النيران بسبب البروق، ولذلك فقد قيل هنا عن صوت الرب في الرعد أنه «يقدح لهب نار». والرعب الناجم عن الرعد يحمل الأيل على أن تلد قبل موعدها، ويعتقد البعض أن ذلك يكون بأكثر سهولة عنها في الحالات الأخرى. وقد قيل هنا إن صوت الرعد «يكشف الوعور»، أي أنه يرعب الحيوانات المفترسة الموجودة في الغابة حتى أنها تغادر عرينها، والأدغال التي تختبئ فيها، وبهذا يتم اكتشافها.

ب. في مملكة العناية (ع ١٠): يجب أن يسبح الله باعتباره حاكم عالم الشر. «الرب بالطوفان جلس ويجلس الرب ملكا إلى الأبد». وكل فيضانات هذا العالم السفلي وهيجانه وثوراته، لا تؤثر إطلاقا على راحة أو مشورات العقل الأزلي، فقد جلس «ملكا إلى الأبد»، ولا يمكن لأي شيء مهما كان أن يضع نهاية لملكه. فإدارة مملكته تتناغم مع مشوراته الأزلية، وتتمشى مع مقاصده الأبدية.

ج. في مملكة النعمة: هنا يتلألأ مجده بأكثر إشراق. «وفي هيكله»، حيث يحضر شعبه إعلاناته الإلهية عن نفسه، وعن فكره، ويستقبلونه بتسبيحاتهم «الكل قائل مجد»، «يحمدك يا رب كل أعمالك ويباركك أتقياؤك» فقط، ويتحدثون عن مجده في أعماله (مز ١٤٥: ١٠). فهو يعطي عزا لشعبه ليحصنهم ضد كل شرير، وليؤهلهم لكل عمل صالح. وهو «يبارك شعبه بالسلام». والسلام بركة عظيمة لا تقدر قيمتها، والله مستعد أن يعطيها لكل شعبه.

المزمور الثلاثون

مزمور أغنية تدشين البيت. لداود

هذا مزمور شكر لله من أجل المرات الكثيرة التي خلص الله فيها داود، وكُتب بمناسبة تدشين البيت.

أولا: يحمد الله من أجل إنقاذه (ع ١– ٣).

ثانيا: وهو يطلب من الآخرين أن يحمدوه أيضا (ع ٤ و٥).

ثالثا: يلوم نفسه لشعوره السابق بالأمن (ع ٦ و٧).

رابعا: يتذكر الصلوات والشكاوى التي سبق أن قدمها أثناء محنته (ع ٨– ١٠). وهو يحفز نفسه بها ليكون شاكرا جدا لله للتغيير الراهن (ع ١١ و١٢).

عدد ١– ٥

كان عملا حميدا من جانب اليهود الأتقياء، أنهم حينما يبنون بناء جديدا كانوا يدشنونه للرب (تث ٢٠: ٥)، على الرغم من أن ذلك لم يُطلب منهم صراحة، إلا أنه كان عملا مقبولا، وقد فعل داود ذلك حين بنى بيته وامتلكه. والبيوت التي نسكنها، حين ندخلها لأول مرة يجب أن تدشن لله، كمقادس صغيرة. وينبغي أن نسلم أنفسنا، وعائلاتنا، وكل شئوننا لقيادة الله ونصلي من أجل حضوره وبركته.

أولا: داود نفسه يقدم الشكر لله من أجل المرات التي خلصه فيها. (ع ١) «أعظمك يا رب». وأعظم اسمك وأحمدك لأنك أصعدتني وانتشلتني. لقد «استغثت بك»، وأنت لم تسمعني فحسب، بل «شفيتني»، شفيت الجسم العليل، وشفيت الفكر المنزعج القلق، وشفيت شئون المملكة من ربكتها واضطرابها. لقد فقد داود كل حيلة ووسيلة، وكان على شفا حفرة القبر، وعلى أهبة الاستعداد للهبوط إلى الهاوية، ومع ذلك أنقذتني و«أحييتني» (ع ٣). والحياة التي تُنقذ من الموت يجب أن تقضى في تمجيد إله حياتنا.

ثانيا: يدعو الآخرين للانضمام إليه في تسبيح الله: «رنموا للرب يا أتقياءه، واحمدوا ذكر قدسه»، لأن القداسة هي سمته عبر كل الأجيال. إنها لعلامة طيبة أن نشترك في قداسته وإذا استطعنا أن نبتهج من القلب، نقدم الشكر له كلما جاء ذكرها. لقد وجدنا أنه «للحظة غضبه». وعلى الرغم من أننا نستحق غضبه الأبدي، وأن يظل غاضبا علينا حتى يهلكنا، وألا يتصالح معنا على وجه الإطلاق، إلا أنه مع ذلك «للحظة غضبه» (ع ٥). فإذا كان «عند المساء يبيت البكاء» فإننا على ثقة من عودة نور الصباح، وبالتالي نحن نثق أن الفرح والتعزيات ستعود إلى شعب الله بعد وقت وجيز، ذلك أن عهد النعمة راسخ تماما مثل عهد النهار. و«حياة في رضاه» أي كل الخير في رضاه. إنها حياة النفس، حياة روحية، وعربون الحياة الأبدية.

عدد ٦– ١٢

يذكر داود هنا ثلاث حالات مختلفة مرت به على التوالي، وتصرفات قلبه من ناحية الله في كل حالة منها.

أولا: «في طمأنينتي»، حين كنت أتمتع بصحة جيدة، وأراحني الله من جميع أعدائي، قلت «لا أتزعزع إلى الأبد»، ولم تكن تساورني إطلاقا أية مخاوف من أية مخاطر مهما كانت. اعتقد أن نجاحه راسخ كالجبال: «يا رب برضاك ثبت لجبلي عزا» (ع ٧). ولم ينظر إلى نجاحه على أنه السماء (كما يفعل أهل العالم الذين يجعلون سعادتهم في نجاحهم)، بل كجبله، فهو وإن ارتفع لكنه على الأرض.

ثانيا: على حين غرة وقع في مشكلة، وعندئذ صلى إلى الله، وتضرع بكل حماسة طالبا الخلاص والعون. لقد اهتز جبله، واهتز هو معه، وثبت أنه حينما كان يشعر بالأمن، أنه كان أبعد ما يكون عن ذلك: «حجبت وجهك فصرت مرتاعا» في الفكر، والجسم وفي كل حالتي. وإذا حجب الله وجهه، فلابد أن يرتاع الإنسان التقي، حتى وإن لم تلحق به أية كارثة أخرى، فحين تغرب الشمس لابد وأن يقبل الليل، فالقمر وكل النجوم لا يمكنها أن تجعل الليل نهارا. وحين اهتز جبله رفع عينيه فوق الجبال. أمنزعج أحد فليصلِ قائلا: «إليك يا رب أصرخ». ويبدو أن المحنه جعلت صلواته أكثر حرارة. «ما الفائدة من دمي؟» ملمحا إلى أنه مستعد للموت عن طيب خاطر إذا كان في ذلك أية خدمة حقيقية لله أو لبلاده (في ٢: ١٧)، ولكنه لا يستطيع أن يرى أية فائدة تنجم عن موته على فراش المرض، مثلما كان يمكن أن يحدث لو كان قد مات على فراش المجد. «هل يحمدك التراب؟» والنفس التي تقدست، والتي تعود إلى الله سوف تواصل حمده؟ غير أن التراب الذي يعود إلى التراب لن يحمده أو يعلن حقه.

ثالثا: في الوقت المناسب خلصه الله من متاعبه وأعاده إلى حالة ازدهاره السابقة. فقد استجيبت صلواته «حولت نوحي إلى رقص لي» (ع ١١). ولكن كيف كانت حالته الذهنية الناجمة عن التغيير السعيد الذي طرأ على أحواله؟ ما الذي يقوله الآن؟ يخبرنا عن هذا في آية ١٢. فقد تحولت شكاواه إلى ترنيم: «إلى الأبد أحمدك» وهكذا يجب أن نتعلم أن نكيف أنفسنا مع تدابير الله المختلفة.

المزمور الحادي والثلاثون

لإمام المغنين. مزمور لداود

من المحتمل أن يكون داود قد كتب هذا المزمور أثناء فترة اضطهاد شاول له، ذلك أن بعض فقراته تتناغم بصفة خاصة مع نجاته بأعجوبة عند «قعيلة» (١ صم ٢٣: ١٣)، ثم في «برية معون» حين كان شاول على أحد جانبي الجبل، وكان هو على الجانب الآخر، وبعد ذلك في برية «عين جَدي». وكانت كلماته هنا خليطا من الصلوات والتسابيح، وإعلان ثقته في الله.

أولا: يعلن داود فرحا ثقته في الله، وبنفس هذه الثقة يصلي لكي يخلصه الله من متاعبه الراهنة (ع ١– ٨).

ثانيا: كان يشكو من الحالة التي يرثى لها، والتي كان عليها، ويواصل الصلاة أن يتفضل الله ويدافع عنه ضد ظالميه (ع ٩– ١٨).

ثالثا: يختتم المزمور وهو يحمد الله فرحا، ويمجده، ثم يشجع نفسه والآخرين على الثقة فيه (ع ١٩– ٢٤).

عدد ١– ٨

يجب أن يتلازم الإيمان مع الصلاة.

أولا: كان داود في محنته يصلي إلى الله بحرارة بالغة لكي يساعده وينقذه. كان يصلي لكي يتفضل الله، ليس في رحمته فحسب، بل وفي بره أيضا، ويخلصه كقاضٍ عادل يفصل بينه وبين مضطهديه الظالمين. ويصلي صاحب المزمور أن يخلصه الله على نحو من السرعة، حتى لا ينجم عن تأخير خلاصه لمدة طويلة أن يخور إيمانه. «كن لي صخرة حصن»، صخرة ثابتة منيعة كحصن شكلته الطبيعة، و«بيت ملجأ»، قلعة أقيمت بمهارة، وكل ذلك «لتخليصي». ولكن «تهديني وتقودني» (ع ٣). والذين يصرون على أن يتبعوا إرشاد الله، عليهم أن يصلوا بإيمان ليعطيهم الله ذلك.

ثانيا: في هذه الصلاة يمجد الله من خلال اعترافه المتكرر بثقته فيه واتكاله عليه. «عليك يا رب توكلت»،

ليس على نفسي، أو على أي شيء أمتلكه، أو على أي بشر. «لا تدعني أخزى»، لا تدعني أيأس من الخير الذي وعدت به. «لأن صخرتي ومعقلي أنت»، وذلك بعهدك معي وبإيماني وقبولي ذلك العهد، وعلى هذا «كن لي صخرة حصن» (ع ٢). وإذا كان الله قوتنا، فلنا أن نأمل في أنه سيضع فينا قوته، ويستخدم قوته من أجلنا. «في يدك أستودع روحي» (ع ٥). ويجب أن ننظر إلى داود هنا على اعتبار أنه في محنة ومتاعب. وكان اهتمامه الأكبر ينصب على نفسه، وعلى روحه (الجزء الأفضل في كيانه)، ومتاعبنا الجسدية يجب أن تزيد اهتمامنا بأنفسنا. كثيرون يعتقدون أنهم فيما يرتبكون وتأخذهم الحيرة بالنسبة لشئونهم الدنيوية، فلهم العذر إذا ما أهملوا ما يتعلق بنفوسهم، في حين أنه كلما زادت الأخطار التي تكتنف حياتنا ومصالحنا الدنيوية، يجب أن يزداد اهتمامنا بنفوسنا، نقتني نفوسنا في الوقت الذي لا نقدر فيه على أن نقتني أي شيء آخر (لو ٢١: ١٩). وهو يرى أن أفضل ما يستطيع أن يعمله لنفسه هو أن يستودعها في يد الله. لقد صلى بأن يخرج من شبكة المتاعب المادية (ع ٤)، غير أنه لم يُصر على ذلك (لتكن مشيئة الله)، بل نراه وقد أسقط في الحال هذا الالتماس، ويستودع الروح، الإنسان الداخلي، في يد الله. يا رب، أيا كان ما يحدث لجسدي، لتعمل على أنه يكون الأمر خيرا بالنسبة لنفسي.

ثالثا: ينكر أي تحالف مع أولئك الذين يتكلون على ذراع بشر (ع ٦): «أبغضت الذين يراعون أباطيل كاذبة» أي الوثنيون الذين يترجون معونة من آلهة كاذبة، الأمر الذي يعد بُطْلا وبهتانا.

رابعا: كان يعزي نفسه برجاء في الله، وكان لا يجد في هذا قناعة فقط، بل وسرورا أيضا (ع ٧).

خامسا: شجع نفسه بهذا الرجاء، نتيجة اختباراته التي لمسها أخيرا. «لأنك نظرت إلى مذلتي»، بحكمة لتوجد الخلاص المناسب لها، وبمحبتك تتنازل إلى الحالة المتدنية لعبدك. «وعرفت في الشدائد نفسي»، بمحبتك واهتمامك البالغ. «ولم تحبسني في يد العدو»، بل جعلتني في حرية «في الرحب»، حتى أستطيع أن أتحرك من أجل سلامتي (ع ٨).

عدد ٩ – ١٨

في الأعداد السابقة لجأ داود إلى عدل الله، أما هنا فنراه يناشد رحمته، ويناشده على أساس ما يعانيه من بؤس شديد، الأمر الذي جعل حالته تستحق فعلا هذه الرحمة.

أولا: الشكوى التي يقدمها بسبب متاعبه ومحنته (ع ٩): «ارحمني يا رب لأني في ضيق» وأحتاج إلى رحمتك. وقد جعلته متاعبه رجل أحزان. ولنا أن نخمن من المظهر العام لداود، وجمال وجهه، وميوله الموسيقية، ومن مبادراته الجريئة في باكر أيامه، أن مزاجه العام كان يتسم بالمرح والثبات، وأنه يميل إلى أن يكون مبتهجا، وألا تهزمه المتاعب، ومع ذلك نراه هنا يكاد يبكي ويذرف الدموع، ويكاد يذوب في تأوهه. ولقد تأثر جسمه بالأحزان التي تملكت فكره (ع ١٠): «ضعفت بشقاوتي قوتي وبليت عظامي». وكان أصحابه قساة وتخلوا عنه. كان «رعبا» لمعارفه «الذين رأوني خارجا هربوا عني» (ع ١١). لقد نسوه «مثل الميت» (ع ١٢)، وكانوا ينظرون إليه باحتقار «مثل إناء مُتلف». أما أصدقاء وقت السعة والسرور فالعالم مليء بهم، ولكنهم يهربون إذا ما ساءت الأحوال. وكان أعداؤه ظالمين في انتقادهم له. «عند كل أعدائي صرت عارا وعند جيراني»، وهكذا «سمعت مذمة من كثيرين». وكل واحد كان معه حجر ليقذفه به، و«الخوف مستدير بي».

ثانيا: ثقته في الله وسط هذه المتاعب. كل ما حوله بدا حالكا كئيبا، وهدد بأن يدفعه إلى اليأس: «أما أنا فعليك توكلت يا رب» (ع ١٤) وبهذا حفظ من السقوط. لقد شوه أعداؤه سمعته بين الناس، ولكنهم لم يستطيعوا أن يحرموه تعزيته في الله، وذلك لعجزهم أن يفقدوه ثقته فيه. «إلهي أنت»، لقد اخترتك إلها لي، وقد وعدت أن تكون لي إلها. «في يدك آجالي» أي أوقاتي. وإذا جمعنا بين هاتين الناحيتين تصبح التعزية كاملة. وإذا كانت أوقات حياتنا بين يدي الله، فبمقدوره أن يساعدنا، وإذا كان هو إلهنا فسوف يساعدنا، وما الذي يمكنه أن يثبط عزيمتنا إذا؟

ثالثا: تضرعاته إلى الله في إيمان وثقة. إن أي فرصة في حياتنا هي في يد الله، وعلى هذا فإنه يعرف

كيف يختار أفضل الأوقات لخلاصنا، ويتعين علينا أن نقبل الانتظار لذلك الوقت. وحين وقع شاول تحت رحمة داود في الكهف قال الذين من حوله: «هوذا اليوم» الذي يخلصك فيه الرب (١صم ٢٤: ٤)، ولكن داود رد قائلا: كلا، لم يأت الوقت لخلاصي الذي يتم دون أن أرتكب خطية، وسوف انتظر إلى ذلك الحين، لأنه الوقت الذي يعينه الله، وهذا هو أحسن الأوقات. ولقد صلى بصفة خاصة من أجل إسكات أولئك الذين يوبخونه ويفترون على شعب الله (ع ١٨): «لتبكم شفاه الكذب، المتكلمة على الصديق بوقاحة، بكبرياء واستهانة». ويسود الاعتقاد بأنهم كانوا يظنون أنه ليس ثمة خطية أن تقولوا كذبة متعمدة إذا كان من شأن ذلك أن تعرض رجلا طيبا للكراهية أو الاحتقار «اسمع يا إلهنا، لأننا قد صرنا احتقارا» (نح ٤: ٤).

عدد ١٩– ٢٤

أولا: اعتراف داود بجود الله نحو شعبه بصفة عامة (ع ١٩ و٢٠). فالله جواد بالنسبة للجميع، لكنه بصفة خاصة، جواد لإسرائيل. والذين يهتمون بهذا الجود وصفوا بأنهم يتقون الله، ويثقون فيه، كما يقفون برعدة أمام عظمته ويتكلون على نعمته. وذكر أن هذا الجود هو الذي «ذخرته لخائفيك. وفعلته للمتكلين عليك». فهناك الكثير في البنك، وهناك ما يكفي في اليد. وهذا الجود يُعطى في واقع الأمر وفاءً للوعد لكل الذين يتكلون عليه. وإذا لم نُعطَ ما هو مذخر لنا في كنوز العهد الأبدي، فالخطأ يرجع لنا، لأننا لا نؤمن. والله– بطريقة خاصة– هو حامي شعبه (ع ٢٠): «تسترهم». والقديسيون هم الذين يسترهم الله. ونرى هنا الدفاع الذي يتمتعون به: «تسترهم بستر وجهك»، «تخفيهم في مظلة». وتدبيرات الله تجعلهم في أمان من حقد أعدائهم. ولدى الله طرق كثيرة لسترهم. وحين حاول البعض القبض على باروخ وإرميا نجد أن «الرب خبأهما» (إر ٣٦: ٢٦).

ثانيا: شكر داود لله بسبب ما صنع معه من جود بصفة خاصة (ع ٢١ و٢٢): «قد جعل عجبا رحمته لي»، وفاقت كل ما توقعته. فالمراحم الخاصة تستدعي شكرا خاصا. كانت تداخله المخاوف، غير أن الله كان أفضل له من مخاوفه وعلى اكلرغم من أن إيمانه ضعف، إلا أن وعد الله لم يخذله: «سمعت صوت تضرعي» من أجل كل هذا. وهو يذكر هنا عدم إيمانه لكي يبرز عظمة أمانة الله، الأمر الذي يظهر روعة محبته وعطفه العجيب.

ثالثا: يقدم النصح والتشجيع لجميع القديسين (ع ٢٣ و٢٤): «أحبوا الرب يا جميع أتقيائه». ومن سمات الأتقياء أنهم يحبون الله فعلا، ومع ذلك يجب أن تستمر دعوتهم لمحبته، لكي يحبوه أكثر، وبشكل أفضل، وأن يقدموا براهين محبتهم. وهو يريدهم أن يضعوا رجاءهم في الله (ع ٢٤): «لتتشدد ولتتشجع قلوبكم»، لتثقوا في أنه مهما كانت المصاعب أو الأخطار التي قد تواجهكم، فإن الله الذي تثقون فيه سيقوي قلوبكم نتيجة هذه الثقة.

المزمور الثاني والثلاثون

لداود. قصيدة

ومع أن هذا المزمور لا يتحدث عن المسيح إلا أن به قدرا كبيرا من بشارة الإنجيل. فنجد هنا موجزا:

أولا: لنعمة الإنجيل في غفران الخطية (ع ١ و٢)، وفي الحماية الإلهية (ع ٧)، والتوجيه الإلهي (ع ٨).

ثانيا: عن الواجب الذي يفرضه الإنجيل. الاعتراف بالخطية (ع ٣– ٥)، والصلاة (ع ٦)، أن نحكم أنفسنا جيدا (ع ٩ و١٠)، وأن نفرح في الرب (ع ١١). ولعله كُتب لكي يترنموا به في يوم الكفارة.

عدد ١– ٦

سمي هذا المزمور قصيدة، والبعض يقول إن المقصود بالكلمة التي ترجمت قصيدة هو اسم النغمة التي وضع عليها، والتي سيرنم بها. إنه مزمور يقدم لنا بعض التعاليم والتوجيهات، وليس لدينا شيء نحتاج فيه إلى توجيهات أكثر من فهم معنى البركة الحقيقية– ما الذي يتعين علينا عمله لنكون سعداء. وسعادتنا– بصفة عامة– تقوم على أساس نعمة الله، وليست على أساس غنى هذا العالم، أي على أساس البركات الروحية. وحين قيل هنا: «طوبى للذي غفر إثمه»، فإن المعنى هو: «هذا هو أساس سعادته: هذه

هو الامتياز الجوهري الذي تنبع منه كل مقومات سعادته الأخرى».

أولا: بخصوص طبيعة مغفرة الخطية.

(١) إنها مغفرة الإثم. فالخطية هي التعدي على الناموس. وعند توبتنا يُغفر هذا التعدي، أي أن التزام العقوبة التي نقع تحتها قد ألغي، «رُفع» (كما في ترجمة أخرى)، حيث إنه بمغفرتها نستريح من حمل، هو في الواقع حمل ثقيل.

(٢) إنها ستر للخطية، كما يُستر العري، حتى لا يظهر خزينا (رؤ ٣: ١٨). وحين تغفر الخطية، فإنها تستر بثوب بر المسيح.

(٣) إنها ليست إلصاق تهمة الإثم، أو وضعها في حساب مديونية الخاطئ. فقد نسب بر المسيح لنا، وصرنا نحن «بر الله فيه»، ولم يحسب علينا إثمنا؛ ذلك أن الله وضع عليه «إثم جميعنا» وجعله «خطية لأجلنا».

ثانيا: بالنسبة لأولئك الذين غفرت خطاياهم يقول: «ولا في روحه غش». لم يقل «إثم» لأنه من ذا الذي يعيش ولا يعمل خطية، بل «غش»، ذلك أن الخاطئ الذي غفر إثمه هو الذي لم يتصنع أمام الله توبته وإيمانه. «لما سكت بليت عظامي». والذين يمكن أن يقال عنهم أنهم سكتوا، أنهم الذين يكبتون إحساسهم بالدينونة، والذين حين يضطرون لرؤية شر خطيتهم والخطر المحدق بهم بسببها، يهدئون أنفسهم بأن يكفوا عن التفكير فيها ويحولون أفكارهم إلى شيء آخر، والذين لا يريدون أن يزيحوا عن ضمائرهم ما يثقلها وذلك باعترافهم بإثمهم وتوبتهم عنه، والذين يفضلون أن يعانوا في إثمهم عن أن يتبعوا الوسيلة التي عينها الله لاتباعها لإراحة نفوسهم.

ثالثا: بخصوص الطريق الصحيح والوحيد لسلام الضمير. لقد تعلمنا هنا أن نعترف بخطايانا، حتى تُغفر وهذا هو السبيل الذي سلكه داود: «أعترف لك بخطيتي» ومن ثَم لم أعد «أكتم إثمي» (ع ٥).

رابعا: استعداد الله لمغفرة خطايا الذين يتوبون حقا عنها: «قلت أعترف للرب بذنبي»، وفي الحال «رفعت أثام خطيتي»، وأعطيتني تعزية المغفرة في راحة ضميري، وفي الحال وجدت راحة لنفسي. هكذا رأى والد الابن الضال ابنه العائد «وإذ كان لم يزل بعيدا»، أسرع إليه بالقبلة التي ختمت على الغفران. «لهذا يصلي لك كل تقي». وكل الأتقياء هم من المصلين وفور أن آمن بولس نقرأ عنه «هوذا يصلي» (أع ٩: ١١). وأولئك المخلصون في صلاتهم والذين يقضون فترات كثيرة مصلين سوف يجنون فائدة ذلك حين تواجههم أية متاعب، فمن المؤكد أنه «عند غمارة المياه الكثيرة»، والتي تهدد بالخطر، فإياهم «لا تصيب».

عدد ٧- ١١

أولا: يتكلم داود إلى الله، ويعلن ثقته فيه وما يتوقعه منه (ع ٧): «أنت ستر لي»، وحين ألجأ إليك بالإيمان فسوف أجد كل الأسباب التي تحملني على أن أكون قانعا، وأحسب أنني بعيد عن متناول أي شر حقيقي. «من الضيق تحفظني»، تحفظني من لسعته، ومن ضرباته، طالما كان في ذلك خير لي. سوف «تحفظني» من هذه المتاعب التي كنت أعانيها «لما سكت» (ع ٣). وبعد أن يغفر الله خطايانا، فإنه إذا ما تركنا لأنفسنا، نغرق في الدين ثانية، كما كان شأننا دائما، ومن ثَم، فإنه عندما نتعزى بالغفران، علينا أن نهرع إلى نعمة الله كي تحفظنا من الرجوع إلى حماقتنا ثانية. إنك لن تحفظني فحسب، بل «بترنم النجاة تكتنفني». وكما أنه «يصلي لك كل تقي» معي، فمن ثَم سيشاركونني في تقديم الشكر لك.

ثانيا: حوَّل كلامه إلى بني البشر. وإذ آمن هو نفسه، فعلى ذلك يبذل كل ما في وسعه لكي يُثبت إخوته (لو ٢٢: ٣٢)، سوف «أعلمك»، وأعلم كل من يريد ذلك «أرشدك الطريق التي تسلكها» (ع ٨). وحين تاب سليمان أصبح في الحال «الجامعة» (جا ١: ١)، «أنصحك. عيني عليك». والبعض يطبق هذا على إرشاد الله وتوجيهه. غير أنه يجب بالأحرى أن يؤخذ على أنه لأولئك الذين كان يعلمهم، مثل أولاده وعائلته: «أنصحك. عيني عليك»: سأعطيك أفضل نصيحة أقدر عليها، ثم أراقبك لأعرف ما إذا كنت قد قبلتها أم لا. ويجب على المرشدين الروحيين أن يكونوا مراقبين. ونجد هنا تحذيرا للخطاة ألا يكونوا عنيدين يصعب توجيههم: «لا تكونوا كفرس أو بغل بلا فهم» (ع ٩). إنه لمن كرامتنا وسعادتنا أن يكون لنا

فهم وأن نقاد بالعقل والمنطق. وحيثما وجدت النعمة المجددة الكابحة، لن يكون هناك حاجة إلى شكيمة أو لجام. وسبب هذا التحذير هو أن طريق الخطية لابد وأن ينتهي بالحزن (ع ١٠). ونجد هنا كلمة تعزية للقديسين. فقد أكد لهم أنهم إذا ما وثقوا في الرب والتصقوا به «فالرحمة تحيط» بهم.

المزمور الثالث والثلاثون

هذا مزمور حمد. والمرنم هنا:

أولا: يطلب من الصديقين أن يحمدوا الرب (ع ١– ٣).

ثانيا: يمدنا بما يجب التسبيح من أجله.

(١) لعدله وصلاحه وحقه، وهذا ما يظهر في كلمته وفي جميع أعماله (ع ٤ و٥).

(٢) لقوته التي تظهر في خليقته (ع ٦– ٩).

(٣) لسيادة أعمال عنايته في حكم العالم (ع ١٠ و١١، ١٣– ١٧).

(٤) للنعمة التي اختص بها مختاريه (ع ١٢، ١٨– ٢٢).

عدد ١– ١١

أولا: رغبته العظيمة في حمد الله وتسبيحه. فرح مقدس يعم القلب والنفس التي تسبح الله (ع ١): «اهتفوا أيها الصديقون بالرب»، بهذا اختتم المزمور السابق، وبه يستهل هذا المزمور. والحمد والشكر لله هو فرح مقدس (ع ٢): «احمدوا الرب»، امتدحوه، أعطوه المجد المستحق لاسمه. والترانيم الروحية هي التعبير المناسب لشكر الله وحمده (ع ٣): «غنوا له أغنية جديدة»، أفضل ما لديكم. وثمة قاعدة طيبة لهذا الواجب: «أحسنوا العزف بهتاف»، ليكن ترنيمكم أفضل ما صدر عن فكركم وقلبكم، لتفعلوا ذلك بذكاء وبذهن صاف، بمحبة من كل القلب. وثمة سبب وجيه لهذا الواجب، لأنه «بالمستقيمين يليق التسبيح».

ثانيا: الأفكار السامية التي تدور بذهنه عن الله، كمالاته غير المحدودة (ع ٤ و٥). لقد أعلن الله لنا عن ذاته.

(١) في كلمته، حيث جاءت هنا لتشير إلى جميع الإعلانات الإلهية، وكل ما تكلم به الله للإنسان في أوقات عديدة وبطرق متباينة.

(٢) في كل «صنعه»، الذي صنعه «بالأمانة». فالصورة في كل أعمال الله تتفق تماما مع الأصل العظيم، فالخطة موضوعة في العقل الأزلي، ولا تختلف في حرف واحد. ولقد عمد الله أن يظهر في أعماله أنه إله العدالة الثابتة: «يحب البر والعدل». وهو إله لا ينفذ كرمه: «امتلأت الأرض من رحمة الرب»، أي من دلائل رحمته وصورها. والتأثيرات الرحيمة التي تتلقاها الأرض من فوق، والثمار تنتج بسبب ذلك، والتدبير الذي وضع بالنسبة للإنسان والحيوان، والبركات العامة التي تباركت بها كل أمم الأرض، من الواضح أنها تعلن أنه قد «امتلأت الأرض من رحمة الرب» في أكثر الأماكن ظلاما، أو برودة، أو حرارة، أو أكثر الأماكن جفافا، وفي الجهات الصحراوية التي ما كانت تخطر لنا على بال. ويا له من أمر مؤسف، أن هذه الأرض التي عُمرت على هذا النحو بجود الله، تخلو من حمده وتسبيحه، وأنه من بين الأعداد الغفيرة التي تحيا على كرمه وجوده نرى قليلين هم الذين يمجدونه.

ثالثا: إيمانه بقوة الله القاهرة، التي يثبتها خلق العالم. نحن نؤمن بالله، وعلى ذلك يجب أن نحمده باعتباره الآب القوي القادر على كل شيء. خالق السماوات والأرض. وهكذا تعلمنا هنا أن نحمده ونسبحه.

(١) الله خلق العالم، كما خلق كل شيء.

أ. كيف كان ذلك بكل سهولة: فكل الأشياء خلقت «بكلمة الرب»، «وبنسمة فيه»، وهكذا خلق الله الآب العالم، كما أنه يحكمه ويفتديه بابنه وروحه. «لأنه قال فكان»، كان هذا كافيا، ولم يكن الأمر يتطلب المزيد. بالنسبة للناس القول شيء والعمل شيء آخر، ولكن الأمر ليس هكذا بالنسبة لله.

ب. كيف تم ذلك بكل فاعلية: «فإلى الأبد تثبت». فما يعمله الله إنما يعمله لقصد ما، ومقاصده «إلى الأبد تثبت».

(٢) ماذا خلق؟ خلق كل الأشياء، غير أن ما ذكر هنا هو:

أ. «السماوات» و«كل جنودها» (ع ٦). السماوات المرئية، الشمس والقمر والنجوم، التي هي جنودها. السماوات العليا، والملائكة التي هي جنودها.

ب. المياه وكنوزها (ع ٧). لقد غُطيت الأرض في بداية الأمر بالمياه، وبعد ذلك إذ هو «يجمع... أمواه اليم» أي مياه البحر التي يجمعها ككومة لتظهر اليابسة، ومع ذلك لم يدعها لتستمر ككومة، لكنه «يجعل اللجج في أهراء».

(٣) ما الذي نستخلصه من كل هذا (ع ٨): «لتخشَ الرب كل الأرض ومنه ليخف كل سكان المسكونة» وليمجدوه جميعا (مز ٩٥: ٥- ٦).

رابعا: قناعته بسيادة الله وسلطانه (ع ١٠ و١١). تعال وانظر بعين الإيمان فترى الله على عرشه.

(١) إحباطه مؤامرات أعدائه: «الرب أبطل مؤامرة الأمم».

(٢) إتمامه كل مقاصده: «أما مؤامرة الرب فإلى الأبد تثبت». وعبر كل دورات الزمن، لم يغير الله تدابيره إطلاقا، بل إنه في كل حدث- حتى ذاك الذي نراه يدعو إلى الدهشة البالغة- تتحقق فيه مشورة الله الأزلية.

عدد ١٢ - ٢٢

أعطوا الله مجدا:

أولا: لعنايته العامة بكل بني الإنسان:

(١) فهو يرى جميع بني البشر، بل ويرى قلوبهم أيضا، ويعرف جميع ما يحدث ويدور في نفوسهم، مما لا يعرفه أحد سواهم، ولكن الله يعرف ذلك أكثر مما يعرفونه هم أنفسهم (ع ١٣ و١٤). وهو لا يكتفي بأن ينظرهم بل إنه يرى «جميع بني البشر»، (يدقق النظر إليهم، بحسب ما تترجم الكلمة المستخدمة هنا أحيانا).

(٢) «المصور قلوبهم جميعا». لقد خلق روح كل إنسان في داخله. ولذلك دُعي «أبو الأرواح». فالفنان الذي اخترع الساعة يمكنه أن يعرف كل ما يتعلق بكل ترس فيه. ويستخدم داود هذه الحجة ويطبقها على نفسه (مز ١٣٩: ١، ١٤)، وبمعنى آخر هو يوفق أجزاءها، مثل تروس الساعة، والتي على الرغم من أنها مختلفة الأشكال والأحجام والحركات، ومع ذلك وضعت كلها معا، وذلك لتخدم جميعها هدفا واحدا، وهكذا الأمر أيضا بالنسبة لقلوب الناس وميولها، فمهما تباينت وبدت وكأنها تتنافر، إلا أنه يتم التحكم فيها جميعا لخدمة الهدف الإلهي، الذي هو هدف واحد. وكل قوى الخليقة تعتمد على الله، وبدونه ليس لها أهمية ولا نفع على الإطلاق (ع ١٦ و١٧). وقوة الجيش لا تفيد شيئا بدون الله. «كثرة الجيش» لا يمكنها أن تنقذ قادته ما لم يجعلها الله أمنا لهم. وقوة العملاق لا تعد شيئا بدون الله. كما أن «الجبار لا يُنقذ بعظم القوة»، حين يأتي اليوم المعين لسقوطه. ليت القوي لا يفتخر بقوته، بل لنثبت أنفسنا في الرب إلهنا. وقوة الفرس لا تعد شيئا بدون الله (ع ١٧): «باطل هو الفرس لأجل الخلاص». كان يُعتمد في الحروب على الخيل اعتمادا كبيرا في ذلك الحين، حيث كانت لها أهمية كبيرة، ومع ذلك منع الله ملوك إسرائيل من أن يحصلوا على أعداد كبيرة من الخيل (تث ١٧: ١٦) حتى لا تغريهم بالاتكال عليها، وبهذا تضعف ثقتهم في الله. لقد «عرقب داود جميع خيل المركبات» التي للآراميين (٢صم ٨: ٤)، أما هنا فهو يعرقب جميع الخيل في العالم كله، وذلك بإعلانه أن الفرس يشكل أملا خائبا للخلاص في يوم المعركة.

ثانيا: علينا أن نمجد الله لنعمته الخاصة. «طوبى للأمة التي الرب إلهها». إنها لحكمة من جانبهم أن اتخذوا الرب إلها لهم. وإنه لمن سعادتهم أنهم الشعب الذي اختاره الله ميراثا له، وحيث يحميهم، وينميهم ويستثمر فيهم كما يفعل الإنسان بالنسبة لميراثه (تث ٣٢: ٩). والله ينظر إلى جميع البشر بعين المراقبة، ولكنه ينظر إلى الذين يتقونه بعين النعمة والمحبة. أما الذين يتكلون على الدروع والجيوش، وعلى المركبات والخيل، فيهلكون لخيبة توقعاتهم. أما شعب الله فهو آمن تحت حمايته، لأنه ينجي من الموت أنفسهم حين يبدو أنه لم تتبق سوى خطوة واحدة بينه وبينهم. فإذا لم يكن قد خلص الجسد من الموت الزمني إلا أنه سوف يخلص النفس من الموت الروحي الأبدي. ومهما حدث فإن نفوسهم ستحيا وتسبحه، إما في هذا العالم أو في عالم أفضل. فإنه «يستحييهم في

الجوع». وحينما تفشل الوسائط المرئية، فإن الله سيدبر بطريقة أو بأخرى وسيلة لإعالتهم. ويجب علينا أن نتمثل لأعمال عنايته ونكيف أنفسنا معها. وينبغي أن تنتظر نفوسنا الرب (ع ٢٠). ويتعين أن نتكل على الله ونأمل في رحمته. وهذا هو الاتكال «على اسمه القدوس» (ع ٢١). وعلينا أن نفرح به (ع ٢١). توقعاتنا من الله لا يجب أن تحل بدلا من اتكالنا عليه، بل تزيده وتشجعه، ولذلك يختتم المزمور بصلاة موجزة ولكنها شاملة: «لتكن يا رب رحمتك علينا»، أعطنا دائما أن نتعزى وننتفع بها، ليس بحسب استحقاقنا، بل «حسبما انتظرناك»، أي طبقا للوعد الذي قطعته لنا في كلمتك، وبحسب الإيمان الذي خلقته فينا بروحك ونعمتك.

المزمور الرابع والثلاثون

لداود عندما غيّر عقله قدام أبيمالك فطرده فانطلق

كُتب هذا المزمور في مناسبة معينة، وهذا ما يظهر في عنوانه.

أولا: يشكر الله لما اختبره هو وآخرون من صلاحه (ع ١– ٦).

ثانيا: يشجع كل الأتقياء على أن يثقوا في الله (ع ٧– ١٠).

ثالثا: يقدم لنا جميعا نصائح طيبة، وأن نحافظ على أداء واجبنا نحو الله ونحو الإنسان (ع ١١– ١٤).

رابعا: وليدعم هذه النصيحة الطيبة يطرح أمامنا الخير والشر، البركة والنعمة (ع ١٥– ٢٢).

عدد ١– ١٠

وإذ اضطر داود للهرب من بلاده، حيث أصبح في خطر بالغ نتيجة غضب شاول الشديد عليه، لجأ إلى أقرب ملاذ له وكان ذلك في أرض الفلسطينيين. وهناك سرعان ما اكتشف حقيقة شخصيته ثم جيء به إلى محضر الملك، الذي هو «أبيمالك» (لقبه)، ولئلا يعامل كجاسوس، تظاهر بالجنون لكي يطرده أخيش على اعتبار أنه شخص مقيت، عوض أن يعتبره خطرا عليه. وبهذه الحيلة هرب من قبضة شخص كان من المرجح أن يسيء معاملته. وحتى أثناء تعرضه للخطر كان قلبه راسخا، يثق في الله، حتى أنه كتب هذا المزمور الرائع الذي يحوي الكثير مما يشير إلى نفس هادئة رزينة بشكل لا نجده في أي مزمور آخر في السفر كله، وثمة شيء يلفت الانتباه أيضا في تركيبه، حيث ابتدأ كل عدد فيه بحرف وبحسب ترتيبه في الحروف الهجائية العبرية (وإذا جمعت أوائل حروف أبياتها كونت اسما أو جملة).

أولا: يحفز داود نفسه ويشجعها على أن تحمد الله: «أبارك الرب في كل حين»، وفي كل الأحوال. «دائما تسبيحه في فمي» سوف يسبحه من كل القلب: «بالرب تفتخر نفسي»، تفتخر بصلتي به واهتمامي بشخصه، وتوقعاتي منه.

ثانيا: يطلب من الآخرين أن يشاركوه في هذا. وهو يتوقع ذلك منهم (ع ٢): «يسمع الودعاء»، عن خلاصي، وعن شكري لله «فيفرحون». وليس بمقدورنا أن نزيد من عظمة الله، أو نزيده علوا لأنه كلي العظمة والرفعة، غير أنه إذا ما عبدناه على اعتبار أنه ليس لعظمته حدود، وأنه أعلى من أي علو، فإنه في مسرته يرى هذا تعظيما له ورفعة. وهذا ما ينبغي أن نعمله معا. فالتسبيح لله يكون في أحلى حالاته إذا ما كان جماعيا. ولقد وجد داود الله إلها سامع الصلوات (ع ٤): «طلبت إلى الرب»، في شدتي أنشد نعمته وألتمس عونه «فاستجاب لي». أجاب سؤالي في الحال «ومن كل مخاوفي أنقذني»، سواء من الموت الذي كنت أخشاه، أو من القلق والانزعاج اللذين نجما عن الخوف. الجانب الأول حققه لي بعنايته الإلهية التي تعمل من أجلنا، أما الجانب الثاني فبواسطة نعمته العاملة فينا، لتسكت مخاوفنا وتهدئ النفوس القلقة. وكثيرون غيره «نظروا» إلى الله بالإيمان والصلاة «واستناروا» (ع ٥). فقد أنعشهم ذلك، وعزاهم بشكل رائع، ولنتأمل في حنة، التي بعد أن صلت «مضت... في طريقها وأكلت ولم يكن وجهها بعد مغيرا». والذين أشير إليهم هنا ارتفعت توقعاتهم. «ووجوههم لم تخجل» وذلك بسبب ثقتهم في الله. «هذا المسكين صرخ...»، وهو شخص واحد، وضيع ولا أهمية له، لا يلقى احتراما من أي إنسان، ولا يهتم به أحد، ومع ذلك وجد ترحيبا من عرش النعمة مثل داود أو أي من أتقيائه: «والرب استمعه»،

أخذ علما بحالته، وصلواته «ومن كل ضيقاته خلصه» (ع ٦). و«ملاك الرب (جوقة من الملائكة، كما يقول البعض) حال حول خائفيه (كحراسة خاصة حول الملك) وينجيهم». وداود يريدنا أن نشاركه أفكاره الطيبة والحسنة عن الله (ع ٨): «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب». وصلاح الله يتضمن الجمال والود الذي يتسم بهما شخصه، والرحمة والكرم اللذين تفيض بهما عنايته الإلهية ورحمته. وهو يريدنا أن نشاركه في قراره أن يطلب الرب ويعبده، وأن يعيش في تقواه (ع ٩): «اتقوا الرب يا قديسيه». «اتقوا الرب»، أي اعبدوه، اخلصوا في واجبكم نحوه من جميع النواحي، ولا تخافوه وتتجنبوه، بل اتقوه واطلبوه (ع ١٠). ولكي يشجعنا على مخافة الله وطلبه جاء الوعد هنا أن الذين يفعلون هذا، حتى في هذا العالم الفقير فإنه «ليس عوز لمتقيه». وسوف تتوافر لهم النعمة الكافية لدعم حياتهم الروحية (٢كو ١٢: ٩؛ مز ٨٤: ١١)، أما بالنسبة لهذه الحياة، فستقدم لهم يد الله ما هو ضروري لإعالتهم، ذلك باعتباره أباهم السماوي، فسوف يعطيهم الطعام المناسب. وأية تعزيات أخرى يرغبون فيها، ستكون لهم، طالما رأت حكمة الله أن في ذلك خيرا لهم، وما ينقصهم في شيء سيعوض لهم في آخر. وما لا يريده الله لهم، سيعطيهم نعمة أن يكونوا قانعين بدونه، ومن ثم لن يريدوه (تث ٣: ٢٦). لقد كان لدى بولس ما يفيض عن حاجته لأنه تعلم أن يكون قانعا (في ٤: ١١، ١٨).

عدد ١١ – ٢٢

في الجزء الأخير من هذا المزمور يتعهد داود بتعليم الأبناء، ولا يبدو إن كان له في ذلك الحين أي أولاد، ولكنه يعلم أبناء شعبه، ولذلك دعا إلى اجتماع لهم (ع ١١): «هلم أيها البنون استمعوا إليَّ»، اتركوا اللعب، واسمعوا ما سوف أقوله لكم، ولا تنصتوا لي فحسب، بل اهتموا بما أقوله وأطيعوه. لقد تعهد أن يعلمهم «مخافة الرب»، وهذه تتضمن كل واجبات الديانة.

أولا: يفترض أننا جميعا ننشد السعادة (ع ١٢): «الإنسان الذي يهوى الحياة».

ثانيا: يصف الطريق الحقيقي والوحيد المؤدي إلى السعادة سواء في هذا العالم أو العالم الآتي (ع ١٣ و١٤).

(١) يجب أن نتعلم أن نلجم ألسنتنا، وأن نحرص على ما نقوله، وألا ننطق بالباطل، حتى لا نسيء إلى الله أو إلى قريبنا: «صن لسانك عن الشر وشفتيك عن التكلم بالغش».

(٢) ينبغي أن نكون صادقين ومخلصين في كل ما نقوله، وألا نكون ذوي لسانين.

(٣) يتعين أن نحيد عن الشر، وعن الأعمال الشريرة وعن الناس الأشرار.

(٤) ليس بكافٍ ألا نعمل الشر في العالم، بل يجب أن نجتهد في أن نكون نافعين، وأن نعيش لتحقيق القصد من وجودنا.

(٥) علينا أن نطلب «السلامة» ونسعى وراءها، مستعدين أن ننكر ذواتنا إلى درجة كبيرة، سواء من ناحية المكانة أو المنفعة وذلك من أجل السلام.

ثالثا: هنا نجد الحياة والموت، الخير والشر، البركة واللعنة، معروضة أمامنا بكل وضوح، حتى نختار الحياة فنحيا (انظر إش ٣: ١٠ و١١).

(١) ويل للأشرار، ذلك أن «شر الشرير عليه يكون»، مهما تمنوا السعادة في طرقهم. ذلك أن «وجه الرب ضد عاملي الشر» (ع ١٦)، و«الشر يميت الشرير» (ع ٢١). لابد من أنهم سيموتون ميتة بائسة، سواء ماتوا على فراش الذل أو على فراش الكرامة. وكلمة «الشر» الواردة هنا، والذي يميت الشرير، هي نفس الكلمة (في حالة المفرد) والواردة في آية ١٩، والتي قُصد بها «بلايا الصديق»، وذلك للإشارة إلى أن الصديقين قد يصادفون متاعب كثيرة، ومع ذلك فإنها لا تلحق بهم ضررا، لأن الله «من جميعها» ينجيهم، وفي حين أن الأشرار قد تصادفهم متاعب قليلة، وربما لا تصادفهم سوى محنة واحدة، ومع ذلك فإن هذه المحنة الواحدة تكون سبب خرابهم التام. فمحنة واحدة مع لعنة تهلك، في حين أن محنا كثيرة مع بركة، لا ينجم عنها ضرر بل في واقع الأمر يتولد عنها نفع وفائدة.

(٢) ومع ذلك فإن «بر البار عليه يكون». فجميع

الصديقين هم تحت رعاية الله الخاصة وحمايته. و«عينا الرب نحو الصديقين» (ع ١٥)، ليوجههم ويرشدهم، وليحفظهم. والوالدان المغرمان بطفلهما لن يدعاه يبعد عن ناظريهما، وليس من بين أولاد الله من هو بعيد عن عينه. «أولئك صرخوا والرب سمع». يسمعهم كما تسمع الأم الحنون صراخ رضيعها، ولو كان غيره لما اهتمت به. وهو لا يهتم فقط بما نقوله، بل هو مستعد للإسراع إلى نجدتنا (ع ١٨): «قريب هو الرب من المنكسري القلوب» ويخلصهم. وهو قريب منهم لغرض طيب. «يحفظ جميع عظامه»، وليس نفسه فحسب، بل وجسده أيضا، وليس جسده بصفة عامة. وصاحب القلب المنكسر لن تُكسر له عظمة من عظامه، لأن داود نفسه اكتشف ذلك، إذ أنه حين كان منكسر القلب قال: «فتبتهج عظام سحقتها» (مز ٥١: ٨، ١٧). «كثيرة هي بلايا الصديق»، ذكر داود، وكل ذله (مز ١٣٢: ١). ولقد تعهد الله بإنقاذ الصديقين وخلاصهم: «ومن كل شدائدهم أنقذهم» (ع ١٧، ١٩)، فهو يخلصهم (ع ١٨)، ولذلك، وعلى الرغم من أنهم قد يقعون في متاعب، إلا أنها لن تؤدي إلى أذيتهم.

المزمور الخامس والثلاثون

مزمور لداود

في هذا المزمور يناشد داود قاضي السماوات والأرض العادل ليحرسه من أعدائه الذين يكرهونه ويضطهدونه. ومن المفترض أن شاول وزمرته هم المعنيون هنا، لأن أكبر صراعات داود كانت معهم.

أولا: يشكو إلى الله من الأذى الذي ألحقوه به.

ثانيا: يدافع عن نفسه ببراءته، وأنه لم يسبق له أن استفزهم على الإطلاق (ع ٧، ١٩)، بل على النقيض من ذلك حاول بذل الكثير ليرضيهم (ع ١٢– ١٤).

ثالثا: يصلي إلى الله ليحميه وينقذه.

رابعا: يتنبأ بهلاك ظالميه (ع ٤– ٦، ٨).

خامسا: يمني نفسه بأنه على الرغم من ذلك سيرى أوقاتا أفضل (ع ٩ و١٠)، ويعد الله بأنه في ذلك الحين سيداوم على حمده وتسبيحه (ع ١٨، ٢٨).

عدد ١– ١٠

أولا: داود يعرض حالته على الله، حيث وضح غضب ظالميه، وحقدهم عليه. فقد اضطهدوه بعداوة لا تعرف هوادة، و«يطلبون» نفسه (ع ٤)، ولا يمكن لأقل من ذلك أن يشفي غليل أفكارهم الدموية.

ثانيا: يلجأ إلى الله مستندا على أمانته وعدالة قضيته. ولو كان أحد من مواطنيه هو الذي ظلمه، لكان قد لجأ إلى الملك، كما فعل الرسول بولس حين لجأ إلى قيصر، ولكن مادام الذي يضطهده هو الملك، فلم يكن أمامه سوى أن يلجأ إلى الله الذي هو ملك ملوك الأرض وقاضيهم: «خاصم يا رب مخاصميَّ» (ع ١).

ثالثا: كانت صلاته إلى الله بغية أن يثبت في هذه المحاكمة براءته له ومن أجله. فهو يصلي لكي يقاتل الله مقاتليه، حتى يُعجِّزهم عن إلحاق الأذى به، ويُفشِّل مؤامراتهم ضده. وإذا كان الله صديقنا، فلا يهمنا من هم أعداؤنا.

رابعا: تطلعه إلى دمار أعدائه، الأمر الذي يصلي من أجله، ولم يكن ذلك بدافع الحقد أو الانتقام. (ع ٤– ٦) البعض يفهمونها بأنهم سوف يرتبكون ويحملون على العودة. هذا يمكن أخذه على أنه صلاة من أجل توبتهم، لأن كل الذين يتوبون يتعرضون للخزي بسبب خطاياهم، ومن ثم يرجعون عنها: «ليكونوا مثل العصافة قدام الريح»، كأشرار لا يستطيعون الوقوف أمام دينونات الله. «ليكن طريقهم ظلاما وزلقا».

خامسا: توقعه لخلاصه، ذلك أنه إذ استودع قضيته لدى الله فلم يكن يساوره شك في ذلك (ع ٩ و١٠). كان يأمل أن ينال تعزية ذلك: «أما نفسي فتفرح» ليس بالنسبة لراحتي وسلامتي، بل «بالرب»، وفي نعمته، وفي وعده، «وتبتهج بخلاصه» طبقا لوعده. وقد وعد بأنه في حالة ذلك سيكون الفضل والمجد لله (ع ١٠): «جميع عظامي تقول يا رب من مثلك».

عدد ١١– ١٦

يتهم داود أعداءه هنا بأمرين شريرين هما: شهادة

الزور ونكران الجميل.

أولا: الشهادة الزور (ع ١١). حين أراد شاول أن يتهم داود بالخيانة، حتى يصبح مجرما طريد القانون فإذا «شهود زور يقومون»، وهم مستعدون لأن يحلفوا على أي شيء، وعما لم أعلم يسألونني. وهذا الظلم الذي لحق بداود كان رمزيا، وقد تحقق في ابن داود، الذي قام عليه شهود زور (مت ٢٦: ٦٠).

ثانيا: نكران الجميل. إذا وصفت إنسانا بأنه ناكر للجميل، فإنك تكون قد وصمته بأسوأ الصفات. وهذا ما ينطبق على أعداء داود (ع ١٢): «يجازونني عن الخير شرا». كان يستحق كل خير، ليس من قبل الجماهير بصفة عامة، بل من هؤلاء الأشخاص بالذات الذين هم الآن ألد أعدائه. ولعله كان من المعروف في ذلك الحين من هم الذين يقصدهم داود بهذا الكلام، ولعله كان يقصد شاول نفسه.

(١) كيف أنه كان يعلمهم بكل ود ومحبة أثناء محنهم (ع ١٣ و١٤). وكان يصلي من أجلهم. وكان مع صلواته يذلل نفسه سواء من ناحية طعامه (كان يصوم، على الأقل عن الطعام اللذيذ)، وكذلك في ملبسه، حيث كان يلبس المسوح، وبهذا كان يعبر عن حزنه، ليس من أجل محنتهم فقط، بل من أجل خطيتهم، لأن هذا كان مظهر التائب ومسلكه. كما أن صومه كثف من صلاته. وكان يستغرق في عبادته حتى أنه لم يكن يجد شهية للطعام، بل وما كان يتيح لنفسه وقتا لتناول الطعام.

(٢) كيف كان مسلكهم نحوه يتسم بالوقاحة، كما أن عداوتهم تتسم بالوحشية، بل وأسوأ من الوحشية (ع ١٥ و١٦): «ولكنهم في ظلعي فرحوا واجتمعوا». و«حرقوا» على داود «أسنانهم». وجعلوا من محنته حديثهم وقام عليه كل الساخرين المرائين في ولائمهم، وصارت حالته أغنية للسكارى. وكثيرا ما يكون هذا المصير الصعب لأفضل الناس. وكان تلاميذ المسيح موضع سخرية العالم.

عدد ١٧ - ٢٨

أولا: يصف داود ظلم وحقد ووقاحة مضطهديه والتي فاقت كل حد، واتخذ من ذلك حجة لدى الله كسبب دعاه إلى أن يلتمس حمايته منهم، فهم «يبغضونني بلا سبب»، والواقع أنهم يكرهونه لأسباب كان من الأولى أن تدفعهم إلى أن يحبوه ويكرموه. وقد اُقتبس هذا، وطُبق على المسيح وقيل إنه تحقق فيه (يو ١٥: ٢٥): «أبغضوني بلا سبب». «لأنهم لا يتكلمون بالسلام»، وإذا ما قابلوه، لم يكونوا يحيونه بتحية السلام كما تفرض عليهم واجبات اللياقة. لقد كانوا مثل إخوة يوسف الذين «لم يستطيعوا أن يكلموه بسلام» (تك ٣٧: ٤). «فغروا عليَّ أفواههم». لقد اتخذوا موقف العداء من كل الأتقياء الذين استمروا في مناصرة داود (ع ٢٠): «وعلى الهادئين في الأرض يتفكرون بكلام مكر» لكي يفتروا عليهم ويدمروهم. وقد استنجد بالله ضدهم. الله الذي له النقمة، ويستند إلى معرفته (ع ٢٢): «قد رأيت يا رب». وهو يناشد عدالة الله: «استيقظ وانتبه إلى حكمي» ولتطرح قضيتي في محكمتك (ع ٢٣): «اقض لي». أصدر حكمك في هذا الالتماس «حسب عدلك»، الذي تتميز به طبيعتك وحكمك «يا رب إلهي» (ع ٢٤).

ثانيا: يصلي إلى الله بحرارة لكي يتفضل ويدافع عنه وعن أصحابه، وأن يقف الله إلى جانبه، ولا يقف متفرجا (ع ١٧): «يا رب إلى متى تنظر. استرد نفسي من تهلكاتهم»، إنهم يتآمرون عليها، أنقذ «نفسي».. نفسي «وحيدتي» من الأشبال. ونفسي هي وحيدتي، ولذلك فإنه عار عظيم إن أهملتها وأعظم خسارة إذا ما خسرتها، إنها وحيدتي ومن ثَم يجب أن تكون حياتي الغالية، ويتعين أن أحميها بكل عناية وأدبر لها احتياجاتها. إن نفسي هي التي تتعرض للخطر يا رب، فتفضل وأنقذها. وهو يرغب أن تعلن براءته حتى يخجلوا من الافتراءات التي كالوها له، وحتى يتأكد ما فيه صالحه إلى درجة تحملهم على الشعور بالخزي من تآمرهم ضده وتوقعهم لهلاكه، الأمر الذي إما أن يؤدي إلى خزيهم، وهي خطوة تجاه إصلاحهم، وإما سيكون من نصيبهم التعاسة الأبدية. وعلى الرغم من الوسائل التي اتبعوها لتشويه صورة داود، وحمله على أن يكون شخصية مقيتة، وإخافة الشعب من الاعتراف به، إلا أنه كان هناك البعض ممن آمنوا بقضيته العادلة، وكان يصلي من أجلهم:

«ليهتف ويفرح المبتغون حقي، وليقولوا دائما: ليتعظم الرب المسرور بسلامة عبده».

ثالثا: الرحمة التي يأمل أن يحصل عليها بالصلاة، يعد بأن يسبح الله عليها طوال حياته: «أحمدك» باعتبارك الذي حققت خلاصي (ع ١٨)، «ولساني يلهج بعدلك»، عدالة أحكامك واستقامة تدبيراتك الإلهية.

المزمور السادس والثلاثون

لإمام المغنين. لعبد الرب داود

أولا: شناعة الخطية، وكيف أنها مؤذية (ع ١– ٤).

ثانيا: صلاح الله وإحسانه العظيم:

(١) لجميع مخلوقاته على وجه العموم (ع ٥ و٦).

(٢) لشعبه بصفة خاصة (ع ٧– ٩). تشجع صاحب المزمور بهذا لكي يصلي لأجل جميع القديسين (ع ١٠)، ولنفسه بصفة خاصة من أجل سلامته (ع ١١)، وليفرح بالسقوط الأكيد لأعدائه (ع ١٢). وإذا ما حدث نتيجة ترنيمنا لهذا المزمور أن تأثرت قلوبنا بشكل كاف بكراهية الخطية، وقناعتنا بمحبة الله وعطفه، نكون قد ترنمنا به بنعمة وفهم.

عدد ١– ٤

في عنوان المزمور وصف داود بأنه «عبد الرب»، فلماذا في هذا المزمور بالذات وليس في أي مزمور آخر، فيما عدا عنوان مزمور ١٨. ليس من سبب يمكن ذكره لذلك، لكنه كان عبدا لله، ليس باعتبار أن كل رجل تقي هو عبد لله، بل هو كذلك باعتباره ملكا، وباعتباره نبيا. وفي هذه الأعداد، يصف داود شر الأشرار، الخطية في أسبابها وفي سماتها، في جذورها وفي فروعها.

أولا: هنا أساس المرارة، التي منها يأتي كل شر: «معصية الشرير»، كما وصفت بعد ذلك في عددي ٣ و٤ «في داخل قلبي (تحملني على أن أستنتج في نفسي) أن ليس خوف الله أمام عينيه». ذلك أنه لو كان في قلبه خوف الله لما كسر وصاياه وانتهك عهوده معه، لو كان لديه أي خشية لعظمته أو خوف من غضبه. «لأنه مَلَّق نفسه لنفسه»، أي أنه فيما يواصل عمل الخطية، يعتقد أنه يتصرف بذكاء وبشكل جيد لنفسه، وإما أنه لا يرى أو أنه لا يريد أن يعترف بشر ممارساته الشريرة وخطرها. هو يسمي الشر خيرا والخير شرا، أما انغماسه في الفسوق، فهو يسميه حريته الشخصية التي من حقه. أما خداعه فيدَّعي أنه ذكاء وحصافة. أما اضطهاده شعب الله، فيقول عنه إنه جزء ضروري من العدالة.

ثانيا: فيما يلي الفروع الملعونة التي نبتت من جذر المرارة هذا. الخاطئ يتحدى الله. «كلام فمه إثم وغش»، فهو يحتال لعمل الخطأ، ويغطيه تحت ذرائع منمقة تبدو له مقبولة. وبهذا يطفئ ومضات الفضيلة، ويربك معتقداتها، وتنتهي بداياتها الطيبة إلى لا شيء. «كف عن التعقل، عن عمل الخير». «يتفكر بالإثم على مضجعه». والذين يتوقفون عن عمل الخير، يشرعون في عمل الشر. وإذ يعملون الشر بأنفسهم، تراهم لا يكرهون فعل الآخرين للشر على الإطلاق. «لا يرفض الشر»، بل على النقيض من ذلك يسر به، ويشعر بالسعادة أن يرى الآخرين أشرارا مثله.

عدد ٥– ١٢

وبعد أن تلفت داود حوله بحزن على إثم الأشرار، نراه هنا يتطلع بارتياح إلى صلاح الله.

أولا: تأملاته في نعمة الله.

(١) الكمالات السامية للطبيعة الإلهية. «يا رب في السماوات رحمتك». ومهما بلغ العالم من سوء، علينا ألا نفكر السوء في الله وفي تدبيراته، بل علينا أن ننتهز الفرصة، وعوض أن نتشكك في نقاء الله، كما لو أنه يشجع الخطية، علينا أن نتأمل بإعجاب في صبره، وأنه يتحمل ويتأنى كثيرا على أولئك الذين بكل وقاحة يغيظونه، ومع ذلك نراه يشرق بشمسه عليهم. فهو إله حق لا يتغير: «أمانتك إلى الغمام». وأمانة الله ترتفع عاليا جدا، ومن ثَم فهي لا تتغير مع الطقس، لأنها تصل إلى السماء فوق السحب، وأعلى من مستوى التغييرات التي تطرأ على المنطقة السفلى. فهو إله لا يمكن أن يُشكك أحد في عدله وإنصافه. «عدلك مثل جبال الله»، ثابت وصلب.

إله حكمته وفكره لا يستقصيان: «وأحكامك لجة عظيمة»، لا يمكن سبر غورها بأية مقاييس أو معايير للفهم البشري المحدود.

(٢) الاهتمام العظيم لعناية الله وإحساناته: «الناس والبهائم تخلص يا رب» أي تنقذهم، ولا تكتفي بأن تحميهم من الأذى، بل تمدهم بكل ما يحتاجونه لإعالتهم.

(٣) النعمة التي يخص بها الله القديسين.

أ. سمتهم: مفتونون بنعمة الله الواسعة: «ما أكرم رحمتك يا الله. فبنو البشر في ظل جناحيك يحتمون».

ب. ميزتهم: «يروون من دسم بيتك»، يُعطون احتياجاتهم، وتحقق رغباتهم بكرم عظيم. والنفس التقية، على الرغم من أنها لاتزال تريد المزيد من الله، إلا أنها لا ترغب في أي شيء إطلاقا قدر رغبتها في الله نفسه. «ولكني قد استوفيت كل شيء واستفضلت» (في ٤: ١٨). وسوف يكون فرحهم مستديما: «ومن نهر نعمك تسقيهم». وهناك نعم هي من المسرات الإلهية حقا. إنها «نعمك»، لا تأتي منك فقط على اعتبار أنك معطيها، بل وتنتهي إليك باعتبارك موضوعها ومركزها. وهناك نهر لهذه النعم، تراه دائما مملوءا وعذبا وفائضا. والملذات الحسية هي ماء آسن فاسد، أما ملذات الإيمان فتراها دائما نقية ورائعة، لامعة كبلور (رؤ ٢٢: ١). وإذ تتركز سعادتهم في الله نفسه، فمن ثَم، فإن لهم ينبوع حياة، منه تتدفق أنهار النعم المشار إليها في آية ٨ يجدون فيه النور الكامل، كما يجدون فيه الحكمة والمعرفة والفرح، وكلها متضمنة في هذا النور: «بنورك نرى نورا». بمعرفتك في نعمة، ورؤياك في مجد، يتوافر لنا ما يناسب ويشبع بفيض مفاهيمنا. وذلك النور الإلهي الذي يسطع في الإنجيل، ولاسيما في وجه المسيح، نور العالم، فيه كل الحق. وفي شركتنا الآن معك، وبنعمتك التي تهبها لنا وبمحبتنا الخالصة التي نحبك بها، يكون قد تحقق لنا كل الخير الذي نبغيه.

ثانيا: تتضمن هذه الفقرة صلوات داود، وتشفعاته، وأفراحه المقدسة القائمة على هذه التأملات.

(١) يتشفع من أجل كل الأتقياء (ع ١٠).

أ. الذين يصلي من أجلهم هم الذين يعرفون الله- «المستقيمي القلب» الذين يخلصون في تدينهم، والأمناء بالنسبة لله والناس.

ب. البركة التي يلتمسها لهم في محبة الله ورحمته (علامة نعمته عليهم) وبره (الذي هو عمل نعمته فيهم).

(٢) يصلي من أجل نفسه، ملتمسا أن يحفظه الله في استقامته وتعزيته (ع ١١) «لا تأتني رجل الكبرياء»، لتعثرني أو تدوسني: «ويد الأشرار» (الممتدة ضدي) «لا تزحزحني»، سواء عن نقائي واستقامتي، عن طريق أي تجربة، أو عن سلامي وتعزيتي، وذلك بواسطة أي متاعب.

المزمور السابع والثلاثون

لداود

هذا المزمور ما هو إلا عظة، عظة رائعة ونافعة، وهي ليست موجهة إلى نواحي عبادتنا (كغالبية المزامير)، بل تتناول سلوكنا، ولا تتضمن أي شيء عن الصلاة والتسبيح، بل كلها تعاليم، فهو مزمور تعليمي، وتعد شرحا لبعض من أصعب الأصحاحات في سفر العناية الإلهية، نجاح الأشرار، واضطهاد الأبرار.

وقصد النبي من هذا المزمور:

أولا: أن يمنعنا من التبرم لنجاح الأشرار في طرقهم الآثمة (ع ١، ٧ و٨).

ثانيا: ويقدم لنا أسبابا قوية لعدم تبرمنا من نجاحهم.

(١) لطبيعة الأشرار التي تميل إلى الافتراء (ع ١٢، ١٤، ٢١، ٣٢). وذلك على الرغم من ازدهارهم، والطبيعة النبيلة للأبرار (ع ٢١، ٢٦، ٣٠ و٣١).

(٢) بسبب الدمار والخراب الذي سيحيق بالأشرار في القريب (ع ٢، ٩ و١٠، ٢٠، ٣٥، ٣٦، ٣٨)، وخلاص الأبرار وحمايتهم الأكيدة من جميع مؤامراة الأشرار البغيضة (ع ١٣، ١٥، ١٧، ٢٨، ٣٣، ٣٩ و٤٠).

(٣) بالنظر إلى الرحمة الخاصة التي يحتفظ بها الله لجميع الأتقياء، ومحبته التي يبديها نحوهم (ع ١١، ١٦، ١٨ و١٩، ٢٢- ٢٥، ٢٨ و٢٩، ٣٧).

ثالثا: يصف علاجات ناجحة لخطية حسد الأشرار على نجاحهم، وتشجيعات عظيمة لاستخدامها (ع ٣- ٦، ٢٧، ٣٤).

عدد ١ – ٦

أولا: حذرنا هنا من التذمر لنجاح الأشرار وازدهارهم (ع ١ و٢): «لا تغر»، «ولا تحسد». ولنا أن نفترض أن داود قال هذا الكلام لنفسه أولا. وأفضل وعظ يمكن أن يلقى قبولا ونجاحا لدى الآخرين، هو الوعظ الذي نعظ به أنفسنا أولا. وإذا ما تطلعنا للعالم سنراه مليئا بالأشرار وفاعلي الإثم الذين ينجحون ويزدهرون. وحين ننظر داخلنا نجد أنه قد استولت علينا رغبة في التبرم من هذا الوضع، ونميل إلى حسدهم. ونحن ميالون إلى التذمر على الله، كما لو كان يقسو على العالم وعلى كنيسته بسماحه أن يحيا أمثال هؤلاء الناس، وأن يزدهروا ويسودوا بالشكل الذي هم عليه. ونحن نميل إلى أن نحسد الحرية التي يتمتعون بها في الحصول على الثروة، وربما بوسائل غير شرعية، وانغماسهم في شهواتهم الدنيئة، وترانا نتمنى لو نطرح عنا قيود الضمير ونفعل أيضا مثلهم. ولكن عندما نتطلع إلى المستقبل بعين الإيمان، فلن نجد سببا لحسد الأشرار على نجاحهم، ذلك أن خرابهم وشيك وأنهم يسمنون بسرعة من أجل ذلك (ع ٢). إنهم يزدهرون، ولكن مثل العشب، الذي لا يحسده أحد ولا يتبرم منه أحد. سيذبلون سريعا من تلقاء أنفسهم. والنجاح الخارجي أمر زائل، وهكذا الحياة نفسها التي تنحصر فيه.

ثانيا: ننصح هنا بأن نحيا حياة الاتكال على الله، فهذا ما سيحفظنا من التذمر على نجاح فاعلي الإثم، وإذا ما عملنا ما هو صالح لنفوسنا، فلن نجد مبررا لحسد الذين يعملون ما يسيء إلى نفوسهم. ونجد هنا ثلاثة مبادئ رائعة، وثلاثة وعود ثمينة:

(١) يجب أن نضع في الله رجاءنا من ناحية عمل واجبنا، وعندئذ يكون لنا أساس مريح في هذا العالم (ع ٣). والمطلوب هو: «اتكل على الرب وافعل الخير». ولا ينبغي أن نقرر الاتكال على الله ثم نعيش كما يحلو لنا. ولقد وعدنا بأن الله سيدبر لنا احتياجاتنا في هذا العالم: «اسكن الأرض وارعَ الأمانة». ستعطى سكنا؛ سكنا هادئا، وإعالة مريحة: «وارعَ الأمانة»، البعض يترجمها: سوف تطعم بالإيمان، كما قيل إن العادلين يعيشون بالإيمان، وكم هي عيشة رائعة تلك التي تحيا على المواعيد الإلهية.

(٢) يجب أن نجعل الله بهجة قلوبنا، وبعد ذلك سننال رغبات قلوبنا (ع ٤). وقد أمرنا أن نفعل الخير (ع ٣)، ثم بعد ذلك نتلذذ بالله، وهذه ميزة بقدر ما هي واجب. ذلك الواجب المبهج مرتبط بوعد: «فيعطيك سؤل قلبك». لم يعد الله بتلبية كل شهوات الجسد، بل أن يعطي كل رغبات القلب، وكل ما تهفو إليه النفس. ولكن ما هي رغبات قلب الإنسان التقي، إنها تتمثل في معرفة الله ومحبته والعيش له، وأن نرضيه ونسعد برضاه.

(٣) يجب أن يكون الله مرشدنا، وأن نخضع في كل شيء لإرشاده، وعندئذ سنجد أن جميع شئوننا، حتى تلك التي تبدو معقدة ومشوشة للغاية، قد تحسنت (ع ٥ و٦). والواجب سهل للغاية، وإذا ما أديناه على نحو صحيح، سيجعلنا راضين «سلم للرب طريقك»، قدم طريقك للرب «ألق على الرب همك فهو يعولك» (مز ٥٥: ٢٢؛ انظر أيضا أمثال ١٦: ٣؛ ١ بطرس ٥: ٧)، اكشف طريقك للرب (بحسب الترجمة السبعينية)، أي أنه عن طريق الصلاة اطرح قضيتك، وكل همومك بشأنها، أمام الرب، وبعد ذلك ثق في أنه سيأتي بها إلى نتيجة طيبة، مع قناعة كاملة بأن كل ما يعمله الله إنما هو حسن. علينا أن نتبع العناية الإلهية، ولا نحاول إرغامها، أو نحاول أن نملي إرادتنا على الله الحكمة الأزلية، بل نسلم بها. والوعد لذيذ للغاية: «وهو يُجري»، أيا كان ما سلمته له، وإن لم يكن بحسب مفهومك، إلا أنه سيأتي بحسب ما يرضيك. سوف يجد الوسائل التي يخلصك بها من شدتك، ويزيل مخاوفك، ويحقق لك مقاصدك، بالشكل الذي ترضاه: «ويخرج مثل النور برك وحقك مثل الظهيرة» (ع ٦). أي أنه سيعمل على أن يظهرك أمام الجميع على أنك رجل أمين، ويكفيك هذا شرفا. وإذا عملنا على أن نحتفظ بضمير صالح، فإنه بوسعنا أن نترك الأمر لله بأن يهتم بحسن سمعتنا.

عدد ٧ – ٢٠

أولا: وفي ضوء المبادئ السابقة:

(١) لنهيئ أنفسنا بالإيمان في الله: «انتظر الرب واصبر له» (ع ٧)، أي تكيف مع كل ما يعمله الله وتقبله، وكن على قناعة تامة بأنه سيجعل كل الأشياء

تعمل من أجل خيرنا، على الرغم من أننا لا نعرف الكيفية أو الطريق الذي سيعمل به ذلك. لتصمت أمام الرب (هذا هو معنى الكلمة) ليس صمت العناد بل الخضوع.

(٢) علينا ألا نفقد رباطة جأشنا نتيجة ما نراه في هذا العالم: «ولا تغر من الذي ينجح في طريقه»، والذي على الرغم من أنه رجل شرير، ومع ذلك نراه يفلح ويحقق الغنى والعظمة في هذا العالم. وإذا بدأ قلبك يثور على ذلك، لتخمد حماقتك، و«كف عن الغضب» (ع ٨). «واترك السخط»؛ لأنه لا يؤدي إلا إلى الشر. لا تحسدهم على ازدهارهم، لئلا تقع في إغواء مجاراتهم وانتهاج نفس الطريق الشرير الذي اتبعوه لكي يثروا ويرتقوا، أو تتخذ سبيلا يائسا لتتجنبهم، وتتفادى قوتهم.

ثانيا: تكرار الأسباب السابقة.

(١) الأتقياء ليس لديهم ما يبرر حسدهم للأشرار على غناهم الدنيوي. «لأن عاملي الشر يُقطعون» وذلك بضربة مباغتة من ضربات العدل الإلهي، ويحدث لهم ذلك وهم في ذروة نجاحهم. وحالة الأتقياء- حتى في هذه الحياة- هي من جميع الوجوه أفضل وأكثر قبولا من حالة الأشرار (ع ١٦). فالقليل الذي للصديق خير من ثروة أشرار كثيرين (انظر أمثال ١٥: ١٦ و١٧؛ ٢٨: ٦) لأن هذا القليل جاء من يد أفضل، ومن يد محبة خاصة، وليس من مجرد العناية الإلهية العادية. «والذين ينتظرون الرب»، إذ يتكلون عليه، ويرجونه، ويتوقعون منه «هم يرثون الأرض»، كعلامة على نعمته الراهنة عليهم، وكعربون لأشياء أفضل يدخرها لهم في العالم الآخر. «أما الودعاء فيرثون الأرض». وقد جعل مخلصنا هذا وعدا في الإنجيل، وتأكيدا للتطويبات التي أعلنها للودعاء (مت ٥: ٥)، «ويتلذذون في كثرة السلامة» (ع ١١)، هذا السلام الذي لا يستطيع العالم أن يعطيه (يو ١٤: ٢٧)، وسوف يبتهجون فيه. «الرب عارف أيام الكَمَلة» (ع ١٨). وهو يوليهم اهتماما خاصا، ويهتم بكل ما يعملونه، وبكل ما يحدث لهم. وهو يحسب أيام خدمتهم، ولن يذهب عمل يوم واحد دون مكافأة. «وميراثهم إلى الأبد يكون». وقتهم على الأرض يحسب بالأيام سرعان ما تنقض والله يعلم أمرهم، ويعطيهم بركات كل يوم في يومه، غير أنه لم يقصد إطلاقا أن يقتصر ميراثهم في إطار هذه الأيام. كلا، لأن هنا يجب أن يكون نصيب النفس الخالدة، وعلى ذلك يتعين أن يدوم بدوامها وسوف يستمر مواكبا لطول الأبدية نفسها: «وميراثهم إلى الأبد يكون»، وليس المقصود هنا ميراثهم على الأرض، بل الميراث الذي لا يفسد، ولا يفنى، المحفوظ في السماء لأجلهم.

(٢) ليس لدى الناس الأفاضل سبب ليغتاظوا للنجاح الوقتي لمخططات الأشرار ضد العدالة.

أ. ستنتهي مكائدهم بخزيهم (ع ١٢ و١٣). حقا «الشرير يتفكر ضد الصديق». فالأشرار متكبرون يتسمون بالوقاحة، لكن الله يحتقر كل محاولاتهم على اعتبار أنها فاشلة خائبة، والناس في أيامهم الآن، أما يوم الله فسيعطي دينونة حاسمة!

ب. ستؤدي مؤامراتهم إلى خرابهم (ع ١٤ و١٥). «قد سلوا السيف ومدوا قوسهم»، وكل هذه الاستعدادات العسكرية اتخذت ضد الضعفاء، «المسكين والفقير»، وضد الأتقياء «المستقيم طريقهم». ولقد كان عدلا أن يرتد عليهم حقدهم: «سيفهم يدخل في قلبهم».

ج. والذين لا يقطعون على حين غرة، سوف يتعطلون عن الإيذاء «قسيهم تنكسر»، وعلى ذلك لن يقدروا أن يواصلوا مؤامراتهم (ع ١٧).

عدد ٢١- ٣٣

أولا: ما هو المطلوب منا لكي نحقق السعادة. وإذا كان الله قد باركنا فإنه:

(١) يجب أن نلتزم بأن نعطي كل ذي حق حقه، لأن الشرير «يستقرض ولا يفي» (ع ٢١). إن أول شيء طلبه منا الرب إلهنا هو أن نكون عادلين وألا نظلم أحدا.

(٢) يتعين علينا أن نكون مستعدين لعمل الخير ومساعدة الآخرين، لأن هذا مثال عن صلاح الله للصديق، إنه أعطاه القدرة على أن يكون عطوفا، وأن يعمل الخير. ولذلك فإنه من دلائل صلاح الإنسان البار أن قلبه يتناسب مع حالته: «فيترأف ويعطي» (ع ٢١)، «اليوم كله يترأف ويقرض»، وأحيانا يكون في الإقراض رحمة حقيقية تساوي العطاء.

(٣) علينا أن نترك خطايانا، وأن ننخرط في ممارسات التقوى الحقيقية (ع ٢٧): «حد عن الشر وافعل الخير».

(٤) يجب أن نزيد من أحاديثنا الحسنة، ويجب علينا أن نستخدم ألسنتنا في تمجيد الله وبناء الآخرين. إنه من بين سمات الإنسان التقي أن فمه «يلهج بالحكمة» (ع ٣٠). ومن فيض القلب الصالح يتكلم الفم بما هو حسن ونافع للبنيان.

(٥) يجب أن تخضع إرادتنا بصفة تامة لمشيئة الله وكلمته (ع ٣١): «شريعة إلهه في قلبه»، وباطلا ندَّعي أن الله هو إلهنا ما لم نقبل شريعته في قلوبنا، ونخضع أنفسنا لأحكامها.

ثانيا: ما الذي تأكد لنا كمثال على سعادتنا وتعزيتنا إذا ما امتثلنا لهذه الشروط:

(١) ننال بركة الله، وسوف تكون هذه البركة هي نبع ولذة وضمان جميع تعزياتنا ومسراتنا الزمنية (ع ٢٢): «لأن المباركين منه» يتمتعون ببركة أبوية كما هو حال جميع الصديقين، فإنه نتيجة ذلك «يرثون الأرض»، أرض كنعان، مجد الأراضي كلها.

(٢) الله سيوجه أعمالنا وشئوننا، وينظمها بحيث تعمل من أجل مجده (ع ٢٣): «من قبل الرب تتثبت خطوات الإنسان وفي طريقه يُسَر». فالله يحفظ خطوات الإنسان التقي، وليس طريقه بوجه عام فحسب بكلمته المكتوبة، بل يحفظ بصفة خاصة خطواته، وذلك بهمسات ضميره، التي تقول له: هذا هو الطريق.. سر فيه. وهو لا يريه دائما طريقه من على بعد، بل يقوده فيه خطوة فخطوة، كما يقاد الأطفال، وبذلك يجعله بصفة مستمرة معتمدا على إرشاده.

(٣) يحفظنا الله من الهلاك نتيجة سقطاتنا في الخطية أو في المتاعب (ع ٢٤): «إذا سقط لا ينطرح». ويمكن أن ينهار الإنسان التقي نتيجة غلطة ما، غير أن نعمة الله تنتشله للتوبة، ولذلك لا ينطرح إلى غير رجعة. ومع أنه قد يفقد بهجة خلاص الله لفترة، إلا أنه مع ذلك سوف يسترد إليه، لأن الله سيمسك بيده، ويحيطه بروحه. فالأصل أنه سيحفظ حيا، فالورقة تذبل شتاء لكن سيأتي بعد الشتاء الربيع.

(٤) لن تعوزنا ضرورات إعالتنا في هذه الحياة (ع ٢٥): «كنت فتى وقد شخت»، وبين كل التغييرات التي شاهدتها في حالة الناس الخارجية وملاحظاتي عنهم «لم أر صديقا تخلي عنه» من قِبل الله والإنسان. وهناك أمثلة قليلة عن صديقين، أو عائلاتهم، فمن وصلت حالتهم إلى الفقر المدقع، مثلما يحدث مع كثيرين من الأشرار الذين يوصلهم شرهم إلى مثل هذه الحال. البعض يأخذ هذا الوعد على أن المقصود به بصفة خاصة هم المحسنون الذين يجودون بسخاء على الفقراء، وللإشارة إلى أن داود لم يلاحظ إطلاقا أن أي إنسان قد وصل إلى حالة الفقر نتيجة إحساناته.

(٥) لن يتخلى الله عنا، بل إنه برحمته سيحمينا في أوقات الشدة أو المحن (ع ٢٨): «الرب يحب الحق»، وهو يسر بأن يعمل هو نفسه الحق، كما يسر بأولئك الذين يتبعونه.

(٦) ستكون لنا إقامة مريحة في هذا العالم، وإقامة أفضل حين نرحل عنه. وسوف نسكن «إلى الأبد» (ع ٢٧)، ولن تُقطع مثل «نسل الأشرار» (ع ٢٨). كما أننا سنرث «الأرض» التي يعطيها لنا الرب إلهنا، ونسكنها «إلى الأبد» (ع ٢٩). أما على هذه الأرض فلن نسكن إلى الأبد، كما لا يوجد مدينة باقية. لأنه في السماء فقط توجد المدينة التي لها الأساسات، التي يسكن فيها الأبرار إلى الأبد، وتكون مسكنهم الأبدي.

(٧) لن نكون فريسة لخصومنا الذين يسعون لهلاكنا (ع ٣٢ و٣٣).

عدد ٣٤– ٤٠

الخاتمة التي وضعها المرنم لهذه العظة:

أولا: الواجب الذي يدعونا إليه لا يزال كما هو (ع ٣٤): «انتظر الرب واحفظ طريقه». وإذا ما أخلصنا في حفظ طريق الله، بمقدورنا أن ننتظره بفرح وأن نسلمه طريقنا، وسوف نجده سيدا صالحا بالنسبة لعبيده العاملين، وكذلك بالنسبة لعبيده المنتظرين.

ثانيا: الأسباب التي تدعو إلى تنفيذ هذا الواجب هي ذاتها الأسباب التي استند إليها في الهلاك الذي اختص به الأشرار، والخلاص الذي من نصيب

الأبرار.

(١) بؤس الأشرار في النهاية، بالرغم من الازدهار الذي قد يحققونه إلى حين: «عقب الأشرار ينقطع» (ع ٣٨)، ولا يمكن أن يكون حسنا ذاك الذي ما من شك في أنه سينتهي إلى هذه الدرجة من السوء. «أما الأشرار فيبادون جميعا» (ع ٣٨). وفي هذا العالم يعاقب الله أحد الخطاة، هنا أو هناك، من بين كثيرين لكي يكون عبرة وتحذيرا، غير أنه في يوم الدينونة سوف يكون هناك دمار عام لجميع الخطاة، ولن ينجو واحد منهم.

(٢) مباركة الأبرار أخيرا. والذين يحفظون طريق الله لهم أن يتيقنوا أنه في الوقت المناسب يرفعهم ليرثوا «الأرض» (ع ٣٤)، فسوف يرقيهم إلى مكان في المساكن السمائية، حيث الكرامة والمجد والثروة الحقيقية، في أورشليم الجديدة ليرثوا تلك الأرض الجيدة، أرض الموعد، التي كانت كنعان رمزا لها، وسوف يرفعهم فوق كل احتقار وفوق كل خطر. ليت الناس جميعا يلاحظون «الكامل» وينظرون «المستقيم». لاحظوه وانظروا ما يصير إليه، وستجدون أن «العقب لإنسان السلامة» و«خلاص الصديقين فمن قِبَل الرب»، فهو من عمل الرب. فسوف «ينجيهم»، ولن يحفظهم آمنين فقط، بل وسعداء أيضا «لأنهم احتموا به».

المزمور الثامن والثلاثون

مزمور لداود للتذكير

هذا واحد من مزامير التوبة، وهو عامر بالحزن والشكوى من بدايته حتى نهايته. وخطايا داود وبلواه هي سبب حزنه وموضوع شكاواه.

وهو يشكو من:

أولا: غضب الله عليه وخطيته التي أثارت غيظ الله ضده (ع ١– ٥).

ثانيا: مرضه الجسدي (ع ٦– ١٠).

ثالثا: قسوة أصدقائه (ع ١١). الأذى الذي لحقه من أعدائه، على الرغم من سلوكه الحسن نحوهم، إلا أنه اعترف بخطاياه ضد الله (ع ١٢– ٢٠). وأخيرا، يختتم المزمور بشكاوى حارة إلى الله يلتمس حضوره وعونه (ع ٢١ و٢٢).

عدد ١– ١١

عنوان هذا المزمور هو «للتذكير». وهكذا جاء أيضا عنوان المزمور السبعون الذي كتبه أيضا في يوم بليته.

أولا: يسعى– عن طريق الصلاة– أن يصرف غضب الله عنه، وسخطه عليه خلال محنته (ع ١): «يا رب لا توبخني بسخطك». ومهما وبخنا الله وأدبنا، فإن ذلك لا يتأتى في سخط وغضب، لأن هذا سيكون بمثابة الأفسنتين والمرارة في محنتنا وبؤسنا. الذين يريدون أن ينجوا من غضب الله يجب عليهم أن يصلوا من أجل ذلك بأكثر مما يصلون من أجل أية محنة ظاهرية، وأن يكونوا قانعين بأن يتحملوا أية محنة جسدية مادامت آتية من الله ومتسقة مع محبته.

ثانيا: ينوح بمرارة نتيجة تأثيرات غضب الله على نفسه (ع ٢): «لأن سهامك قد انتشبت فيَّ». وهو يشكو من أن غضب الله هو الذي جلب عليه المتاعب الجسدية التي كان يعاني منها (ع ٣): «ليست في جسدي صحة من جهة غضبك». فمرارته تسللت إلى ذهنه، وأثرت في جسده، ولم يكن هذا أسوأ ما في الأمر، بل سببت أيضا جزع قلبه، الأمر الذي أنساه شجاعته كجندي، ومكانته كملك، وكل بهجة مرنم إسرائيل الحلو، وكان من نتيجة ذلك أن قلبه أخذ يئن بشدة (ع ٨).

ثالثا: اعترف بأن خطيته سببت كل متاعبه، وكان يئن تحت وطأة الإثم بأكثر مما يفعل بالنسبة لأي أمر آخر (ع ٣). وهو يشكو من أنه ليس في جسده صحة، وذلك «من جهة غضبك»، فهو الذي أضرم النار التي تشتعل بهذه الوحشية، غير أنه في كلماته التالية، يبرر الله في هذا، وألقى باللوم كله على نفسه. «من جهة خطيتي»، لقد استحققت هذا، ومن ثَم جلبت على نفسي هذه المتاعب. ولقد أدبتني آثامي. ولذلك فإن الخطية هي ما يشكو منه هذا الرجل التقي أكثر من أي شيء آخر. فهي حمل شديد الوطأة (ع ٤): «لأن آثامي قد طمت فوق رأسي»، مثل المياه التي تطمو فوق شخص سقط فيها وفي سبيله إلى الغرق، أو كحمل ثقيل على رأسي، يضغط عليَّ بشدة إلى أسفل، وبأكثر مما أستطيع أن أتحمله، أو أظل تحته. إنها تمنع الناس من التحليق إلى أعلى والتقدم للأمام. «أنتنت،

قاحت حُبر ضربي» (كما تتقرح الجروح في الجسد وتنتن، لعدم تضميدها والعناية بها) وكل ذلك «من جهة حماقتي». والخطايا ما هي سوى جروح (تك ٤: ٢٣) أليمة مهلكة. وأي قرح بسيط إذا ما أهمل، يمكن أن تكون له عواقب وخيمة، وهكذا الحال أيضا بالنسبة لخطية بسيطة استهين بها وتركت بلا توبة.

رابعا: يبكي على حاله بسبب محنته، ويهدئ من حزنه بأن ينفس عنه، ويطرح شكواه أمام الرب.

(١) لقد اضطرب فكره، وكان ضميره يعذبه، ولم يكن يجد في نفسه راحة، ومن يستطيع أن يحتمل نفسا جريحة. لقد «انحنيت إلى الغاية. اليوم كله ذهبت حزينا» (ع ٦).

(٢) كان مريضا ضعيف الجسد، وكان ظهره يعاني من ألم شديد، أو قرحة، أو التهاب (البعض يعتقد أنها كانت حمرة خبيثة، مثل التي أصابت حزقيا)، وليست في جسده «صحة»، ومثل أيوب حيث ضربت القروح جسده كله. والمرض يروض أشد الأجسام وأقوى النفوس.

(٣) كان أصدقاؤه قساة عليه (ع ١١): «أحبائي وأصحابي يقفون تجاه ضربتي» (وهم الذين كانوا يجدون مسرة في صحبته أثناء سعادته). حتى أقاربه، الذين تربطهم به صلة القربى «وقفوا بعيدا».

خامسا: كان في وسط آلامه يعزي نفسه بأن الله يعرف أحزانه وصلواته (ع ٩): «يا رب أمامك كل تأوهي». أنت تعرف ما أريد وما الذي يجب أن يتوافر لدي: «وتنهدي ليس بمستور عنك». أنت تعرف وطأة الهموم التي أئن تحتها والبركات التي أئن في طلبها.

عدد ١٢ – ٢٢

أولا: يشكو داود من قوة وحقد أعدائه الذين يبدو أنهم لم يستغلوا ضعف جسده واضطراب فكره لإهانته فحسب، بل اتخذوها فرصة لأذيته. كان لديه الكثير جدا مما يقوله ضدهم، الأمر الذي يعرضه أمام الله باتضاع كالسبب الذي يدعو الله أن يدافع عنه، كما جاء (في مزمور ٢٥: ١٩): «انظر إلى أعدائي» ذلك أنهم ماكرون خبثاء. «نصبوا شركا... يلهجون بالغش»، وهم في هذا لا يعرفون كللا أو مللا، فهم يفعلون ذلك «اليوم كله». وهم في غاية الوقاحة والشر: «عندما زلت قدمي»، وحين أرتكب أي خطأ، أو أتخذ خطوة غير صحيحة يتكبرون عليَّ، ويفرحون لذلك. وهم ليسوا ظالمين فحسب، بل وناكري الجميل أيضا. «يبغضونني ظلما» (ع ١٩). لم أحاول أذيتهم على الإطلاق، «المجازون عن الخير بشر» (ع ٢٠). وكم صنعت معهم من خير، كنت أتوقع أن يقابلوه بامتنان، ولكنهم «بدل محبتي يخاصمونني» (مز ١٠٩: ٤). ثم إنهم «يقاومونني لأجل اتباعي الصلاح». لقد أبغضوه، ليس فقط بسبب شفقته عليهم، بل أيضا بسبب إخلاصه لله وطاعته، وهم يكرهونه لأنهم كرهوا الله، وكل من يحمل صورته.

ثانيا: يفكر وهو مرتاح البال، في سلوكه الهادف للسلام المتسم بالتقوى، رغم كل الأذى والإهانات التي لحقت به. وإذا كان بمقدورنا أن نتمسك بقوة بأمانتنا وسلامنا، على الرغم من كل ما يلحق بنا، فمن الذي يستطيع أن يلحق بنا الأذى، وهذا هو ما فعله داود هنا. فقد احتفظ برباطة جأشه، ولم يتكدر نتيجة أي من السلوك الحاقد وما قيل عنه وما عمل ضده (ع ١٣ و١٤): «وأما أنا فكأصم. لا أسمع». وكان داود في هذا يرمز إلى المسيح، الذي كان كنعجة صامتة أمام جازيها، «الذي إذ شتم لم يكن يشتم عوضا»، وكلاهما كانا قدوة لنا ألا نقابل شتيمة بشتيمة. لقد ظل قريبا من الله بالإيمان والصلاة. ثم إن أصحابه الذين كان من المفروض أن يعترفوا بفضله ويقفوا إلى جانبه، وأن يظهروا كشهود له، وقفوا بعيدا، وفارقوه (ع ١٠). ولكن الله هو الصديق الذي لا يخذلنا أبدا إذا ما وضعنا عليه رجاءنا. «أنت تستجيب يا رب».

ثالثا: نراه هنا يندب حماقته وضعفه «لأني موشك أن أظلع» (ع ١٧). وهذا يمكن أن يشرح على أفضل وجه بتفكير كهذا الذي أقدم عليه المرنم إذ أخذ يتأمل حالته في موقف مماثل (مز ٧٣: ٢ و٣): «أما أنا فكادت تزل قدماي... إذ رأيت سلامة الأشرار». وهكذا هنا أيضا: «لأني موشك أن أظلع»، وأكاد أقول: «حقا قد زكيت قلبي باطلا وغسلت بالنقاوة يدي». والأتقياء إذ يستغرقون دائما في أحزانهم فإن فرصة سقوطهم تكون أكبر، ولكنهم إذا وضعوا الله دائما

أمامهم، فإنهم سيستطيعون الصمود. وعلى الرغم من أنه استطاع أن يبرر نفسه أمام الناس، غير أنه أمام الله سيحكم على نفسه ويدينها (ع ١٨): «لأنني أخبر بإثمي»، ولا أخفيه، «وأغتم من خطيتي» ولا أحاول الاستهانة بها. وهذا ما ساعده على أن يظل صامتا تحت التوبيخات الإلهية، وتعييرات الناس.

رابعا: اختتم المزمور بصلاة حارة يطلب من الله أن يسانده (ع ٢١ و٢٢): «لا تتركني يا رب»، على الرغم من أن أصدقائي تركوني، وعلى الرغم من أنني أستحق أن تطردني فلا تبعد عني إذ كما أن قلبي غير المؤمن يخشى أنك ستفعل ذلك.

المزمور التاسع والثلاثون

لإمام المغنين. ليدوثون. مزمور لداود

يبدو أن داود كان في محنة عظيمة حين كتب هذا المزمور، لأنه كانت ثمة صعوبة ما في أن يستجمع نفسه حتى يأخذ هذه النصيحة الطيبة التي سبق أن أعطاها لآخرين (ع ٣٧) بأن يجدوا راحتهم في الرب، وينتظروه بصبر ودونما تذمر.

أولا: يتحدث عن المعركة التي كانت دائرة في صدره بين النعمة والفساد، وبين الغضب والصبر (ع ١– ٣).

ثانيا: يتأمل في وهن الإنسان وفنائه ويصلي إلى الله أن ينير عقله بالنسبة لهذا الموضوع (ع ٤– ٦).

ثالثا: يناشد الله مغفرة خطاياه، وإزالة محنه، وأن يطيل حياته إلى أن يصبح مستعدا للموت (ع ٧– ١٣).

عدد ١ – ٦

يستجمع داود هنا ذكرياته بخصوص أعمال قلبه خلال محنه، ثم يسجلها كتابة.

أولا: يتذكر العهود التي قطعها مع الله. حين نواجه تجربة الخطية في أي وقت ينبغي أن نتذكر العهد الذي قطعناه ضد هذه الخطية التي نحن على وشك ارتكابها.

(١) تذكر أنه قطع على نفسه عهدا بأن يكون حريصا في سيره (ع ١): «قلت أتحفظ لسبيلي». وبعد أن عقدنا العزم على أن نتحفظ في سبلنا فإنه ينبغي علينا– في جميع الظروف– أن نُذكِّر أنفسنا بعزمنا هذا.

(٢) تذكر أنه تعاهد على وجه الخصوص ضد خطايا اللسان. والأمر ليس بالسهولة التي نعتقدها من ناحية ألا نخطئ بالفكر، إلا أنه إذا ما طرأ على ذهنه فكر شرير، فهو يضع يده على فمه ليخمده، حتى لا يذهب إلى أبعد من ذلك: «أحفظ لفمي كمامة». وإذا جعلنا الانتباه عادة عندنا، فإن ذلك سيكون لجاما للذهن، والحرص في العمل والممارسة هو اليد الممسكة بهذا اللجام، وسوف يضع كمامة عليه مثلما توضع على فم الكلب الشرس المتوحش الذي يؤذي الناس، وبعزم ثابت معين يمكن كبح الفساد، فلا يندلع على الشفاه وبذلك نقمعه. وحين كان في صحبة الأشرار كان يحرص على ألا يقول شيئا من شأنه أن يقسي قلوبهم أو يعطيهم فرصة للتجديف.

ثانيا: وتمشيا مع هذه الوعود بذل محاولة تطلبت منه جهدا شاقا لكي يلجم لسانه (ع ٢): «صمت صمتا، سكت عن الخير». ولكن ما عسانا أن نقول بالنسبة لسكوته حتى «عن الخير؟» إني أميل إلى القول إن ذلك يرجع إلى ضعفه، لأنه قد لا يقول شيئا، ومع ذلك يتعرض للخطر.

ثالثا: كلما قل كلامه، زاد تفكيره، وزاد انفعاله: «فتحرك وجعي. حمي قلبي في جوفي» (ع ٣). ذلك أن بإمكانه أن يلجم لسانه، ولكنه ليس بوسعه أن يسيطر على انفعاله. ومما هو جدير بالذكر أن أولئك المتذمرين غير القانعين، لا ينبغي عليهم أن يفكروا سريعا، لأنهم فيما يسمحون لأفكارهم أن تتركز حول أسباب الكارثة، فإن نار تذمرهم تتغذى بوقود فتزداد اشتعالا وعنفا. ولذلك إذا كان لنا أن نمنع الأذى الناجم عن غضب مطلق العنان، علينا أن نجبر كسر الأحزان التي جاءت وليدة أفكار لا سيطرة لنا عليها.

رابعا: وحين تكلم، أخيرا، كان كلامه في الصميم: «تكلمت بلساني». وإني أميل ألا أفهم من هذا أنه غيَّر قصده الحسن، بل أراد إصلاح خطئه عندما تمادى أكثر من اللازم. لقد سكت عن الخير. أما الآن فإنه لن يظل صامتا على هذا النحو بعد.

(١) صلى إلى الله لكي يحمله على أن يدرك حقيقة قصر الحياة، وأنها غير مضمونة، وأن الموت

قريب (ع ٤): «عرفني يا رب نهايتي ومقدار أيامي كم هي». ولم يقصد بهذا قوله عرفني يا رب إلى متى سأعيش، ومتى سأموت. ولكن قوله «عرفني يا رب نهايتي» معناه: «أعطني يا رب حكمة ونعمة لأتدبر نهايتي» (تث ٣٢: ٢٩)، ولكي أستخدم ما أعرفه في هذا الخصوص، أعطني يا رب أن أتأمل في نهاية حياتي. إنها الفترة الأخيرة من عمر اختبارنا. وهي بالنسبة للشرير نهاية لكل أفراحه، أما بالنسبة للتقي فهي نهاية كل أحزانه. وحين ننظر إلى الموت كأمر بعيد، نقع في تجربة تأجيل الاستعدادات الضرورية له، غير أنه، حين نتأمل في قصر هذه الحياة، سنجد أنفسنا مهتمين بعمل ما تجده يدنا لكي تعمله، وليس ذلك بكل قوتنا، بل وبكل سرعة ممكنة.

(٢) يتأمل في قصر الحياة وبطلها، ويستند إلى ذلك في التضرع إلى الله أن يريحه من أعباء هذه الحياة، كما يقنع نفسه بضرورة الإسراع في العمل. «هوذا جعلت أيامي أشبارا» والشبر مسافة صغيرة أمام أعيننا. ولسنا في حاجة إلى مهارة حسابية لكي نستخدمها في حساب الطول. كلا، لأنه عندنا معيارها عند أطراف أصابعنا. فوقتنا قصير، وقد جعله الله هكذا لأن عدد شهورنا عنده. إن حياتنا صغيرة وهو يعرف أنها هكذا، وهي «كلا شيء قدامك». والزمن كلا شيء أمام أزلية الله، فما بالك بنصيبنا منه. وحياة الإنسان على الأرض هي بُطْل، ومن ثَم فإنه من الحكمة أن نتأكد من وجود حياة أفضل. وما الإنسان سوى لا شيء، (هكذا يمكن ترجمتها). فكل ما حوله مشكوك فيه، ولا شيء جوهري ودائم سوى ما ينتمي إلى الإنسان الجديد، وقد أضيفت كلمة «سلاه» إلى العبارة «إنما نفخة كل إنسان قد جعل. سلاه»، كملحوظة تطلب انتباهنا. قف هنا، وتمهل قليلا، حتى تأخذ وقتا لتتأمل في هذه الحقيقة وتطبقها، وهي أن كل إنسان ما هو إلا بُطْل. وكدليل على بُطْل الإنسان، باعتباره زائلا، يذكر هنا ثلاثة أمور (ع ٦):

أ. بُطْل أفراحنا وأمجادنا، فالإنسان «كخيال» (حتى حينما يسير في موكب رسمي، وحين يتمشى مختالا).

ب. بُطْل أحزاننا ومخاوفنا. «إنما باطلا يضجون». وأسباب متاعبنا كثيرا ما تكون وليدة خيالنا، ودائما ما تكون بدون جدوى.

ج. بُطْل اهتماماتنا وجهودنا. يتحمل الإنسان مشقة عظيمة لكي «يذخر ذخائر» لا تشبه سوى كومة من السماد في ركن في أحد الحقول، لا تفيد شيئا إلا إذا نشرت.

عدد ٧- ١٣

يحوِّل صاحب المزمور في هذه الأعداد عينيه وقلبه صوب السماء. وحين لا يكون ثمة شبع أكيد يمكن أن نجده في المخلوق، فبمقدورنا أن نجده في الله، وفي الشركة معه. يجب أن تدفعنا إخفاقاتنا إلى اللجوء إليه.

أولا: اتكاله على الله (ع ٧). فقد يئس من حصوله على السعادة في أمور هذا العالم، وتلاشت كل توقعاته منه: «والآن ماذا انتظرت يا رب» لم أنتظر شيئا من الأمور الحسية الزمنية. ليس لي ما أتمناه، ولا ما أرجوه من هذه الأرض. لا نستطيع أن نتكل على الصحة الدائمة أو الازدهار المستمر، أو على تعزية من أية جهة، لأن كل هذه الأمور غير مؤكدة تماما مثل استمراريتنا هنا. ولكنه وجد السعادة والشبع في الله: «رجائي فيك هو».

ثانيا: خضوعه لله، وفرحه في معرفة مشيئته المقدسة (ع ٩): «لأنك أنت فعلت»، فلم يأتِ ذلك مصادفة، بل طبقا لتعيينك. وعن كل حدث لنا أن نقول: «هذا أصبع الله»، هذا عمل الله، أيا كان من استخدم كأدوات لعمله.

ثالثا: رغبته في الله، والصلوات التي رفعها إليه.

(١) من أجل مغفرة خطيته ومنع خزيه (ع ٨). سبق أن صلى في آية ١٠ قائلا: «ارفع عني ضربك»، ونراه في آية ٨ يصلي: «من كل معاصيَّ نجني»، من الإثم الذي ارتكبته، والعقوبة التي أستحقها. ثم يتضرع قائلا: «لا تجعلني عارا عند الجاهل». والأشرار أناس حمقى، وهم يظهرون حماقتهم بالأكثر في الوقت الذي يعتقدون فيه أنهم يظهرون حصافتهم، وذلك بسخريتهم من شعب الله.

(٢) كي يزيل محنته، ولكي يخلصه بسرعة من

همومه الراهنة (ع ١٠): «ارفع عني ضربك. من مهاجمة يدك أنا قد فنيت». لقد سيطر عليه مرضه إلى درجة أنه فقد روحه المعنوية، وضاعت قوته، وهزل جسمه. فسبلنا وأعمالنا تجلب علينا المتاعب. إنها نير معاصينا، «شد نير ذنوبي» (مرا ١: ١٤). وتوبيخات الله أفنت «مثل العث مشتهاه». والبعض يقول إن العث يرمز إلى الإنسان، الذي من السهولة سحقه كالعث بلمسة أصبع (أي ٤: ١٩). وآخرون يقولون إنه يرمز إلى التوبيخات الإلهية، التي في صمت ودون أن نشعر تبلينا وتلتهمنا، مثلما يفعل العث بالملابس. وهو يستند في التماسه إلى الانطباعات الجيدة التي تولدت فيه نتيجة محنته. وكان يرجو أن تكون قد حققت الغاية من ابتلائه بها، وعلى ذلك يمكن إزالتها برحمة الله. لقد حملته على البكاء وكان يأمل أن يلحظ الله ذلك: «لا تسكت عن دموعي» يا رب (ع ١٢). وذاك الذي لا يبتلي البشر بحزن عن رغبة منه، لن يقوم بذلك مع أولاده بالتأكيد، فإنه لن يسكت عن دموعهم، لكنه إما أن يخلصهم، وإما أنه في غضون ذلك يعزيهم. لقد دفعته محنته إلى الصلاة، والمحن يقصد بها أن تحفز على الصلاة. لقد ساعدت على أن تفطمه عن العالم وتبعد مشاعره عنه. وقد شرع الآن، وبأكثر من أي وقت مضى، أن ينظر إلى نفسه كغريب ونزيل في هذا العالم، مثل كل آبائه، موطنه ليس في هذا العالم، بل إنه مسافر عبره إلى عالم آخر، إلى عالم أفضل، ولن يعتبر نفسه إطلاقا في موطنه إلا بعد أن يجيء إلى السماء.

(٣) يصلي من أجل تأجيل عقوبته لفترة أطول (ع ١٣): «اقتصر عني»، أرحني، أقمني من هذا المرض، حتى أستعيد قوتي، بالنسبة لجسدي وعقلي، حتى أصبح في إطار أكثر هدوءا وأستعيد رباطة جأشي، ويكون استعدادي أفضل بالنسبة للعالم الآخر، وذلك «قبل أن أذهب فلا أوجد»، «لتحيَ نفسي وتسبحك» (مز ١١٩: ١٧٥).

المزمور الأربعون

لإمام المغنين. مزمور لداود

أولا: على ما يبدو كتب داود هذا المزمور وقت خلاصه من مشاكل عويصة ومحزنة كادت تغمره. وذلك بقوة الله وإحسانه. ومحتمل أن تكون المشكلة عبارة عن ارتباك فكري بسبب سقوطه في الخطية وإحساسه باستياء الله من ذلك. يسجل داود إحسان الله إذ خلصه من الحزن العميق بالشكر والتسبيح (ع ١– ٥).

ثانيا: ينتهز الفرصة ليتكلم عن عمل الفداء بشخص المسيح (ع ٦– ١٠).

ثالثا: هذا يشجعه ليصلي إلى الله طلبا للرحمة والنعمة لنفسه ولأصدقائه (ع ١١– ١٧).

عدد ١– ٥

أولا: الأحزان والمتاعب التي عانى منها كاتب المزمور.

ثانيا: انتظار الله بكل تواضع، وتوقع تدخل الله بكل إيمان «انتظارا انتظرت الرب». فهو ينتظر خلاصا من الرب وحده لا سواه. نفس اليد التي تجرح هي تعصب– تضرب وتجبر (هو ٦: ١).. لذا فهو ينتظر الرب بضبر، أي أن خلاصه لم يأتِ سريعا، لكنه لم يشك، فخلاصه آتٍ لا محالة. استمر في إيمانه ورجائه وصلاته حتى تحقق الخلاص بالفعل. وهذا ما حدث مع المسيح في آلامه التي استمرت من بستان جثسيماني إلى الصليب حتى اكتأب في نفسه. وحزن للغاية فصلى قائلا: «أيها الآب مجد اسمك». واستمر متمسكا بعلاقته بالآب حتىأنه صلى قائلا: «إلهي. إلهي» وهكذا انتظر الآب بصبر.

ثالثا: هذه الخبرة المعزية عن إحسانات الله السابقة– في همومه– يسجلها داود لتمجيد الله ولتشجيع نفسه والآخرين. «فمال إليَّ وسمع صراخي». فهؤلاء الواقعون تحت سيطرة الفكر التشاؤمي، وبنعمة الله تخلصوا منه، يمكنهم تطبيق هذا الاختبار على أنفسهم. إن الله يُخرجهم من جب الهلاك. واكتمل عمل النعمة بإقامة أرجلهم على صخرة، وثبَّت خطواتهم، وهم في هذا يرتفعون إلى الرجاء السماوي بعد أن كانوا مكتئبين بسبب الخوف من الجحيم. «وجعل في فمي ترنيمة جديدة» فالله أعطاني سبب الفرح وقلبا به أفرح. أخرجني إلى عالم جديد، وهذا يملأ الفم بتسبيحة جديدة «ترنيمة جديدة تسبيحة لإلهنا».

رابعا: إن اختبار داود يشجع الكثيرين على الرجاء في الرب، ولذا فهو يسجل ذلك قائلا: «كثيرون يرون ويخافون ويتوكلون على الرب». فهناك خوف مقدس من الله وهو ما يتفق مع رجائنا فيه. فهم لا يخافوه فيبعدوا عنه. ولكنهم يخافوه ويثقون فيه في كل ضيقاتهم. وبلا شك يجدون الله قادرا ومستعدا لمساعدتهم في الضيق، كما حدث مع داود تماما. ويدعو كاتب المزمور الآخرين ليضعوا رجاءهم في الله- كما فعل هو- وهو يطوب من يفعل ذلك «طوبى للرجل الذي جعل الرب متكله، ولم يلتفت إلى الغطاريس» (ع ٤). ولم يثق في نفسه كما يفعل البعض، ولم يعتمد على الآخرين الذين في كبريائهم شجعوهم على الثقة فيهم. لأن كليهما معا «منحرفين إلى الكذب» كما فعل كل من ابتعد عن الله. وهذا ينطبق على إيماننا بالمسيح. طوبى للواثقين فيه وفي بره وحده. إن إحساسه بالسعادة النابع من رحمة الله قاده إلى أن يعرف بروح الشكر كل الهبات الأخرى التي نالها من الله. (ع ٥) «كثيرا ما جعلت أنت أيها الرب إلهي عجائبك وأفكارك من جهتنا» لي وللآخرين أيضا- هذا بعض من كل- فكل عجائبه هي نتاج أفكاره نحونا، فهي خطط حكمة لا نهائية وتصميم محبة أبدية (١كو ٢: ٧؛ إر ٣١: ٣) «أفكار سلام لا شر» (إر ٢٩: ١١). كيف تتصل حلقات السلسلة الذهبية لأعمال الله معا؟ هذا سر لا نعرفه نحن ولا يمكن أن نعرفه حتى يرفع البرقع، وتنكشف الأسرار. فعندما نقول كل ما نستطيع عن عجائب محبة الله لنا فيجب أن ننتهي بقولنا.. إلى آخره (... إلخ) أو أن هذا على سبيل المثال وليس الحصر. فإننا لا يمكن أن نسبر غور هذه المحبة.

عدد ٦- ١٠

فيدهش كاتب المزمور للغاية من أعمال الله العجيبة نحو شعبه وينتقل فجأة في هذه الأعداد ليتنبأ عن أعجوبة متميزة عن كل العجائب الأخرى، وهي الأساس لها جميعا. ألا وهي الفداء بالرب يسوع المسيح. وقد اقتبس هذا الجزء كاتب العبرانيين في (عب ١٠: ٥) وطبقه على المسيح على ما قام به لأجلنا.

أولا: عدم كفاية الذبائح الموسوية للتكفير عن الخطية لتجعلنا في سلام وسعادة مع الله «بذبيحة وتقدمة لم تُسر» وعلى الفادي أن يقدم ذبيحة، ولكن ذبيحته ستكون مختلفة (عب ٨: ٣) وبالرغم من أن ما جاء في الناموس بخصوص الذبيحة والتقدمة كان واضحا أكيدا- لكن الله لم يرضَ بهما، ولم يقبلهما إذ لا يمكنهما نزع خطايا الخاطئ وإرضاء العدالة الإلهية. فإن حياة الخروف التي تقل كثيرا عن حياة الإنسان في القيمة (مت ١٢: ١٢) لا يمكن أن نتخيلها مساوية أو ملائمة لإكرام الله ونواميسه وإصلاح ما فعلته الخطية ضد مجد الله. ولا يمكن أن تزيل رعب الخطية بإسكات الضمير، أو أن تزيل الخطية وقوتها بتقديس الطبيعة البشرية لأن هذا كان ضربا من المستحيل (عب ٩: ٩؛ ١٠: ١- ٤). وما كان في هذه الذبائح من قيمة هو أنها كانت ترمز لذبيحة المسيح، أو هي مجرد ظلال لأمور آتية واختبار لإيمان شعب الله وطاعته للناموس، وإيمانه بالإنجيل. لكن الجوهر الذي هو «المسيح» لابد أن يأتي الذي يعطي المجد لله والنعمة للبشر، وهو ما كانت هذه الذبائح عاجزة عنه.

ثانيا: وتخصيص ربنا يسوع للقيام بعمل الوسيط «أذني فتحت» (ع ٦). فقد كلفه الله الآب بالعهد ثم ألزمه أن يجوز فيه.. وهذا تلميح إلى الناموس القائل بأن العبد مرتبط أن يخدم سيده إلى الأبد؛ إن ثقبت أذنه إلى قائمة الباب (خر ٢١: ٦).

ثالثا: قبوله الاختياري لهذه المهمة، ثم يقول «هأنذا جئت». فعندما لا تصلح الذبيحة أو التقدمة فضلا عن عدم جدوى الأعمال: أنا قلت قد جئت لأدخل حربا مع قوات الظلمة ولأعطي أولوية لما يختص بمجد الله وملكوته. فقد قدم نفسه بكامل إرادته لهذه الخدمة وألزم نفسه تماما بها فيقول: أنا آتٍ.. أعد أن آتي في ملء الزمان، وبوضوح يصرح بارتباطه بهذه المهمة «هأنذا جئت». لقد قالها مرارا لكل قديسي العهد القديم الذين عرفوه بأنه «سيأتي» أو «الآتي».

رابعا: وسبب مجيئه هو تعهده لأنه «بدرج الكتاب مكتوب عني». في الدرج المخفي الخاص

بالمشورات الإلهية. إذ نقرأ في هذا الدرج أن أذنيه قد انفتحت، ثم يقول «هأنذا جئت». نعم ففيه قد سُجل وعد الفداء.

خامسا: أما السعادة التي حصل عليها في عهده مع الآب فتكمن في أنه قدم نفسه باختياره لهذه المهمة، ولم يفشل أو تهن عزيمته، ولكن أكملها بكل اقتناع «أن أفعل مشيئتك يا إلهي سررت» (ع ٨).

سادسا: بشارة الإنجيل لكل البشر حتى «في وسط... الجماعة العظيمة» (ع ٩ و١٠). فهو ككاهن نفَّذ الفداء لنا، وكنبي أتم مهمته فبشَّر أولا بنفسه، ثم عن طريق رسله، ثم بالكلمة وبالروح القدس عرفنا بشارته.. هذا الخلاص «ابتدأ الرب بالتكلم به» (عب ٢: ٣). الذي أعلن هو البر.. بر الله (ع ٩ و١٠).. أمانة الله من جهة وعوده.. محبة الله وحقه.. رحمته طبقا لكلمته.. لقد أُعلنت البشارة للجماعة. وأيضا بُشر بالإنجيل لليهود والأمم. إن بشارة الإنجيل دعوة عامة ومجانية «هوذا شفتاي لم أمنعهما... لم أكتم عدلك». «لم أخفِ رحمتك».

عدد ١١ – ١٧

بعدما تأمل المرنم مليا في عمل الفداء متكلما عنه على لسان المسيح (المسيا) فإنه يخاطبنا الآن بضمير المتكلم فيقول:

أولا: إن هذا يشجعنا على الصلاة طلبا لرحمة الله، ولنضع أنفسنا تحت ظل وحماية هذه الرحمة. «أما أنت يا رب فلا تمنع رأفتك عني» (ع ١١) رأفتك التي أسبغتها علينا في المسيح. إذ «كيف لا يهبنا أيضا معه كل شيء» (رو ٨: ٣٢). فلتظللني محبتك وحقك دائما.

ثانيا: هذا يشجعنا أيضا بخصوص آثامنا وخطايانا. فإن الرب يسوع قد تمم الفداء ليخلصنا من أوزار الخطية الأمر الذي لم تقدر عليه الذبائح والتقدمات من قبل، ويرى كاتب المزمور أن آثامه قد عظمت جدا «حاقت بي آثامي... كثرت أكثر من شعر رأسي». إن رؤية خطيته قست عليه للدرجة التي قال فيها «لا أستطيع أن أبصر»، «وقلبي قد تركني».. فهو لا يستطيع أن يسند قلبه، ويصرخ مدفوعا برغبة مقدسة «ارتض يا رب بأن تنجيني» (ع ١٣).. وفي حالة كهذه تتعلق بسعادة نفس خالدة فإن التأخير يصبح خطيرا للغاية لذا يصرخ «يا رب إلى معونتي أسرع».

ثالثا: هذا يشجعنا على الرجاء في النصرة على أعدائنا الروحيين الذين يجدُّون في طلب نفوسنا ليدمروها «الذين يطلبون نفسي لإهلاكها» (ع ١٤).. إذا كان المسيح قد انتصر عليهم فإننا فيه نصبح أعظم من منتصرين، وبإيماننا في هذا الانتصار نحن نصلي بجرأة متواضعة «ليخز وليخجل معا الذين يطلبون نفسي لإهلاكها. ليرتد إلى الوراء» (ع ١٤). «ليستوحش من أجل خزيهم» (ع ١٥). عندما يقترب أحد أبناء الله من هذه الحفرة الرهيبة، من جب الهلاك، فإن الشيطان يصيح في سعادة «هه! هه!» ظنا منه أنه كسب جولة في الصراع، لكنه يثور ويغتاظ عندما تنتشل الجمرة من النار فيخزى ويخجل.

رابعا: هنا يتشجع كل طالبي الرب، ومحبي خلاصه ليفرحوا فيه ويسبحوه (ع ١٦).

خامسا: وهذا يشجع القديسين الذين يمرون في شدة أو ضيق ليثقوا في الله وليستريحوا فيه (ع ١٧). داود نفسه كان واحدا من هؤلاء.. «أما أنا فمسكين وبائس»، لكن «الرب يهتم بي». نعم يهتم بي بسبب وجود هذا الشفيع الذي من خلاله نجد قبولا لدى الآب.

المزمور الحادي والأربعون

لإمام المغنين. مزمور لداود

إن راحة القديسين ودعامتهم كانت– ولا تزال– عطف الله وأمانته في مواجهة ما يمرون به من تجارب خيانة البشر وقسوتهم. لقد وجد داود أعداءه يتميزون بالوحشية، لكنه وجد الرب إلها رحيما جدا.

أولا: وهو يجد راحته في شركته مع الله وقت المرض. إنه بالإيمان يتمسك ويتكل على مواعيد الله (ع ١– ٣). كما أنه يرفع قلبه في صلاة لإلهه (ع ٤).

ثانيا: وهو في صلاته هذه يستعرض حقد أعدائه عليه (ع ٥– ٩).

ثالثا: يسلم قضيته بين يدي الله (ع ١٠– ١٢) ولذا ينتهي المزمور بتسبيحة لله (ع ١٣) هل يعاني أحدكم

من مرض؟ فليرنم مقدمة هذا المزمور. أيعاني أحدكم من اضطهاد أعدائه؟ فليرنم خاتمته.

عدد ١ – ٤

أولا: وعد الله بمساعدة وراحة كل من ينظر إلى المسكين.

(١) ويذكر داود هذا الموقف تمثيلا لكل من:

أ. أصدقائه المتعاطفين معه: «طوبى للذي ينظر إلى المسكين» داود.. كل حقد أعدائه عليه جعل أصدقاؤه يتعاطفون معه أكثر.

ب. نفسه: لأنه نظر إلى المسكين وتعاطف معه إلى وقت انفراج أزمته، لذلك امتلأ يقينا بأن الله سوف يقويه ويريحه في مرضه طبقا لوعده.

(٢) يجب أن نتعاطف مع المسكين ناظرين إلى أنفسنا «طوبى للرحماء لأنهم يرحمون»– الرحمة المطلوبة هنا هي الاهتمام بالمساكين المصابين بأمراض، سواء عقلية أو جسمية أو حتى في ممتلكاتهم. يجب أن نهتم بمصائبهم ونسأل عن حالهم، ونشاركهم بالإحسان إليهم. لأن من ينظر إلى المسكين «يغتبط في الأرض». هذا الجانب من البر العملي له وعد الحياة الحاضرة، ومكافأة الرب له بالبركات الزمنية؛ لأن الذين يتميزون بالقلب الرقيق سيميزهم الله عن أصحاب القلوب القاسية «الرب يحفظه ويحييه». عندما تطير حولنا سهام الموت، فإن إرادة الله الصالحة نحو أولاده الذين يحبهم فيها كل الكفاية لحفظنا من إرادة الأشرار الذين يكرهوننا، سواء كانوا بشرا أو شياطين. تلك الإرادة الصالحة لنا إن نظرنا إلى المساكين، وعملنا على إنقاذهم ومساعدتهم في المرض (ع ٣). يعضده الرب «بدنيا وعقليا» وهو على فراش المرض والضعف. «مهدت مضجعه كله في مرضه»، وهذا تعبير يمتلئ بعطف الله، وهو يشير إلى هؤلاء الذين يعتنون بالمساكين ويرعونهم وبخاصة الأم مع أبنائها عندما يمرضون. الله يحول مضجعه هذا ما يعنيه الكلام حرفيا. أي أن الله يجعل مضجع المرض مريحا أو يصيره فراشا للصحة. فالله لم يعدنا أبدا أننا لن نمرض، أو أن المرض لن يؤدي أحيانا إلى الموت. لكنه وعدنا أن يعطينا القوة لنحتمل المصائب بصبر، وبكل فرح ننتظر النتائج. فإن النفس تسكن في سلام بفضل نعمة الله عندما ينطرح الجسد مريضا.

ثانيا: صلاة داود تعتمد على هذه المواعيد وتتشجع بها «أنا قلت يا رب ارحمني اشف نفسي لأني قد أخطأت إليك» (ع ٤). الخطية هي مرض النفس.. والرحمة الغامرة هي دواؤه– النعمة المجددة تشفيها.. وعلينا أن نسعى جادين إلى هذا الشفاء الروحي من سعينا للشفاء الجسدي.

عدد ٥– ١٣

يشكو داود دائما من نظرة أعدائه المتكبرة نحوه وهو في فراش المرض. «أعدائي يتقاولون عليَّ بشرٍ» رغبة منهم في إضعاف روحه والإساءة إلى سمعته.

أولا: فهم يتمنون موته «متى يموت ويبيد اسمه». إنهم يحسدونه على اسمه وكرامته اللذين يتمتع بهما، ويتمنون أن تدفن معه في القبر عندما يموت. لكن اسمه لا يزال باقيا ويزهو في الكتب المقدسة –وسيظل هكذا حتى آخر الأيام– لأن ذكرى الصديق تدوم. لقد جمعوا كل ما يستطيعون ليدمروه (ع ٦). «وإن دخل ليراني» كما هو معتاد أن يزور الشخص جاره وقت المرض فإنه «يتكلم بالكذب»، أي يدَّعي الصداقة لكنه مشحون رياء وكذبا. نحن نتألم– ولنا الحق– من نقص الإخلاص في عصرنا الحاضر.. ومن ندرة الصداقة الحقيقية بين الناس، لكن على ما يبدو أن الأيام السابقة لم تكن أفضل من أيامنا في هذه الناحية. فهم يتقاولون بالحسد على كل ما يقول أو يصنع «قلبه يجمع لنفسه إثما» يخترعون تأويلات حاقدة على ما يفعله.. إن صلى أو أعطاهم مشورة حسنة فإنهم يتجاهلون هذا ويدعونه نفاقا.. وإن سكت عن التكلم بالحق إذا جاء المظلوم أمامه، فإنهم يتقاولون أنه نسي تدينه لأنه مريض «كل مبغضيَّ يتناجون معا عليَّ» (ع ٧).. فهم يتكلمون في آذان بعضهم البعض بما لا يستطيعون قوله علانية.. والذي إن قالوه فإنهم سوف يتم دحضهم. فالنمام والمتقاول بالشر (المفترون) معا في قائمة الخطاة (رو ١: ٢٩ و٣٠)، فهم يدعون أن المرض الذي يعاني منه سوف يقضي عليه؛ لأنه عقاب بعض الجرائم الرهيبة التي لم يتب عنها. والتي تثبت أنه ابن لبليعال.. ويبدو أن هناك شخصا ما وضع فيه المرنم كل ثقته ولكنه اشترك للأسف مع أعدائه.

«أيضا رجل سلامتي» (ع ٩) ربما قصد به أخيتوفل الذي كان صديقه الحميم ورئيس مشيري الملك وكان يثق فيه «آكل خبزي»، أي صديقي المقرب جدا.. هذا المرتشي والخائن لثقة داود نسي كل الخبز الذي شارك داود فيه «رفع عليَّ عقبه».. إنه نفس الشخص الذي كان داود يرفع رأسه قبلا. فلا نستغرب من حدوث مثل هذه الانقلابات كما حدث مع داود وابن داود- مخلصنا نفسه. لقد أعطى يهوذا العلامة لليهود حتى يتم الكتاب «الذي يأكل معي الخبز رفع عليَّ عقبه» (يو ١٣: ١٨- ٢٦).. ألم نسلك نحن أنفسنا هكذا بالخيانة نحو الله. فنحن نشترك في طعامه يوميا ثم نرفع عليه عقبنا.

ثانيا: كيف تحمل داود هذه المعاملة المتعجرفة من أعدائه الذين أساءوا إليه في معاملتهم؟ لم يتكلم عليهم بشيء لكن وجَّه نظره إلى الله «أما أنت يا رب فارحمني» (ع ١٠) لأن ليس عندهم رحمة. ارفعني.. أقمني فأجازيهم لأكافئهم خيرا عوضا عن الشر. لأن هذا كان اختبار داود (مز ٧: ٤؛ ٣٥: ١٣) لقد تمنوا موته ولكن برحمة الله شُفي.. وهذا ساعد أكثر على شفائه. «أما أنا فبكمالي دعمتني، وأقمتني قدامك إلى الأبد» (ع ١٢). فأفضل من يعيش في سلام في هذا العالم هو في الواقع يحيا في هذا السلام بفضل الله لأننا بنعمة الله نحن ما نحن، فلو تركنا لأنفسنا فلن نسقط فقط بل نهلك أيضا. والمزمور ينتهي بتسبيحة مهيبة، وتعبد للرب إله إسرائيل (ع ١٣)، ومن غير المؤكد إن كان هذا العدد يخص هذا المزمور بالتحديد، أو إنه نهاية للكتاب الأول من سفر المزامير الذي من المحتمل أنه ينتهي هنا؛ لأن نفس هذا العدد في نهاية كل مزمور من المزامير ٧٢، ٨٩، ١٠٦. فالله هو البداية والنهاية «من الأزل وإلى الأبد آمين فآمين».

المزمور الثاني والأربعون

لإمام المغنين قصيدة لبني قورح

لو كان سفر المزامير- كما لقبه البعض- مرآة أو زجاج شفاف لأشواق الأتقياء، فإن هذا المزمور بالذات يستحق مثل هذا اللقب. فالميول المقدسة نراها فيه قوية ومتوهجة. فهناك صراع بين الرجاء المقدس والمخاوف.. صراع بين الفرح والحزن؛ لكن دوافع السرور يكون لها الغلبة دائما. وهذا المزمور مثال للصراع بين الإيمان والعيان (الحواس). فالعيان يعارض، لكن الإيمان يرد على هذه الشكوك.

أولا: الإيمان يبدأ بالرغبات المقدسة نحو الله والتوحد في الحياة معه (ع ١ و٢).

ثانيا: يتذمر الجسد من الظلمة والغيوم في الظروف الحالية ويتفاقم الأمر عند تذكر الأفراح الماضية (ع ٣ و٤).

ثالثا: يُسكت الإيمان التذمر واثقا في النتائج الصالحة في النهاية (ع ٥).

رابعا: يكرر الجسد تذمره على الظلمة والظروف المعاكسة في الوقت الحاضر (ع ٦ و٧).

خامسا: مع ذلك الإيمان يثبت القلب لأن هناك رجاء في فجر جديد سوف يشرق (ع ٩).

سادسا: الجسد يجدد تذمره ورثاءه (ع ٩ و١٠) ويئن من نفس الأمور الظاهرة للعيان التي حزن لأجلها من قبل.

سابعا: الإيمان له الكلمة الأخيرة (ع ١١) إذ أنه أسكت تذمر الجسد.

عنوان المزمور لا يوضح من هو كاتبه.. لكن الاحتمال الأكبر أن يكون داود. ومن المحتمل أنه كتبه إما وقت اضطهاد شاول له أو وقت تمرد أبشالوم إذ أنه (أي داود) طُرد من الهيكل ومُحرم من التعبد لله مع جمهور المؤمنين.

عدد ١- ٥

محبتنا لله هي جوهر وروح الديانة ونجد في هذا المزمور بعض التعبيرات الخاصة بهذا الحب.

أولا: الحب المقدس متعطش، وعلى جناح السرعة يتطلع بأشواقه المقدسة نحو الله وذكر اسمه (ع ١ و٢) «تشتاق نفسي إليك يا الله». نعم تشتاق النفس لله وحده وليس لغيره بل إلى المزيد والمزيد من الله.

(١) يعبر داود عن شوقه الملتهب نحو الله.. بعدما مُنع من العبادة وانتظار الله، ونُفي إلى أرض الأردن البعيدة جدا عن مقادس العلي. نلاحظ أن الله يعلمنا أحيانا أن ندرك أهمية رحمته بحجبها عنا ولو لوقت قليل، ويلهب شوقنا لوسائط النعمة بمنعها مؤقتا عنا.

داود هنا يستمر في البكاء لكن شوقه الملتهب نحو الله يستمر أيضا.

(٢) ما هو موضوع شوقه؟ وما أسباب عطشه؟ فهو يلهث بحثا عن الله، ويعطش للرب ليس لأجل وسائط النعمة.. ولكن لإله النعمة نفسه. فالنفوس الحية لا تجد راحتها إلا في الله الحي فهو يتوق أن «يجيء ويتراءى قدام الله» ليكون في دائرة تركيز الله كملك خاص به. لينتظر الرب كخادم يقف أمام سيده. إن الوجود في محضر الله هو رغبة البار ومصدر رعب المرائي.

(٣) وما درجة هذه الأشواق؟ إن توق قلبه إلى مياه بئر بيت لحم لا يساوي شيئا أمام هذه الأشواق.. إنه يقارنها باشتياق «الإيل (خاصة إذا وقع في شباك الصياد) إلى جداول المياه». هكذا النفس تلهث شوقا لله الحي.

ثانيا: الحب المقدس يحزن لأجل فراق الله، عندئذ «صارت لي دموعي خبزا نهارا وليلا» (ع ٣) خلال وقت الغياب القهري عن بيت الله. فحتى النبي الملك أضحى نبيا باكيا عندما افتقد الراحة في بيت الله. امتزجت دموعه بطعامه. حقا كانت الدموع طعامه نهارا وليلا، فكان يأكل ويجهز وليمته بالدموع. كان الأعداء يكدرونه قائلين «إذ قيل لي كل يوم أين إلهك؟» لأنه كان بعيدا عن التابوت علامة حضور الله، فاعتقدوا أنه فقد إلهه. يخطئ هؤلاء الذين يعتقدون أنهم بعزلنا عن كتابنا المقدس، وخدامنا، والجماعة المقدسة (الكنيسة)، فإنهم بذلك يعزلوننا عن الله. فرغم أن الله ربطنا بهم وقت وجودنا بينهم إلا أنه لم يربط نفسه بهم.. فنحن نعلم أين نجد الله حتى عندما لا نجد تابوت عهده. فأينما نوجد يوجد باب سماوي مفتوح. ولأن الله لم يسرع لخلاصه، استنتج من حوله أن الله قد تخلى عنه، ولكنهم يخطئون أيضا في ذلك. فليس من الضروري أن يفقد رجال الله إلههم بفقدهم أصدقائهم، لكنهم بهذا الإسقاط على الله أضافوا إلى ضيقه ضيقا، وكان ذلك هو هدفهم. لا شيء يؤلم النفس المشتاقة إلى الله ويحزنها أكثر من محاولات النيل من رجائها في الله وثقتها فيه. ويتذكر داود تلك الأيام السالفة فيسكب نفسه. لقد ذاب قلبه من هذا الفكر وكسر الفكر قلبه. لقد انسكبت نفسه في الحزن، وبالتالي سكب نفسه أمام الله في الصلاة.

ولم يكن سبب اكتئابه هو ابتعاده عن البلاط الملكي وما فيه من السعادة أو التسلية التي كان يتمتع بها في بيته الخاص، والبعيد عنه الآن، ولكن اكتئابه وحزنه يرتبطان بتذكره للحرية التي كانت له في الدخول إلى بيت الله. «مع الجماع، أتدرج معهم إلى بيت الله». نعم لقد كان يذهب إلى بيت الله رغم أنه لم يكن في ذلك الوقت سوى خيمة، ففي وقت اضطهاد شاول لداود كان تابوت العهد في أحد المنازل (٢صم ٦: ٣). لكن تواضع المكان لم يكن ليقلل من شأن فخره بحضور الله فيه بصورة مقدسة. «أمُر مع الجماع». يعتقد داود أنه لا يقلل من شأن نفسه أن يكون على رأس مجموعة في محضر الله، بل إن هذا زاد من سعادته بالعبادة أن يكون مشتركا مع مجموعة، لذا يذكرها مرتين «الجماع... جمهور» وهو ما يفتقده بشدة الآن. كان يذهب «بصوت ترنم وحمد، جمهور معيّد». ليس فقط ترنم وحمد من القلب ولكن بكل المظاهر الخارجية المعبرة عما يجيش في صدره. لقد استمر يتذكر الأيام المقدسة التي لم تكن للضحك والمتعة الزائفة بل للاختبارات الروحية.

ثالثا: والمحبة المقدسة هي محبة ترجو. «لماذا أنت منحنية يا نفسي؟» لقد كان حزنه بحساب شديد، لم يتجاوز حدوده المفروضة لكي لا يسبب كآبة روحية له، فهو يتحاجج مع قلبه من أجل أن تنفرج أزمته. «لماذا أنت منحنية يا نفسي ولماذا تئنين في». إن الأنين يمكن أن ينفرج في كثير من الأحوال عندما نتمعن في الأسباب المؤدية إليه. «لماذا أنت منحنية يا نفسي». أما من سبب حقيقي لهذا الانحناء؟ ألا يوجد عند الآخرين أسباب أكثر مني لكنهم لا يتألمون مثلي؟ أليس عندنا نحن في نفس الوقت أسباب لنتشجع؟ إن ثقة الإيمان في الله هي الترياق السرمدي ضد كل كآبة وانزعاج في الروح لذا عندما تحيق بنا الأزمات يجب أن نشجع أنفسنا بالرجاء في الله. فالنفس عندما تنطوي على ذاتها تغرق، لكن عندما تمسك بشدة في قوة الله ووعوده فإن مياه الأزمة لا تغمر رأس المؤمن «ترجي الله لأني بعد أحمده». سأختبر هذا التغيير العجيب في الروح حتى لا يتوقف قلبي عن شكر الله. سنسبح الله لأجل جوده الكريم الذي نثبت فيه ونشبع منه.

عدد ٦- ١١

هنا تتناوب الشكوى مع الراحة في الظهور مثل تعاقب الليل والنهار.

أولا: إن المرنم يشكو من أنين روحه، ولكنه يمتلئ راحة عندما تملأ قلبه الأفكار عن الله (ع ٦) «إن نفسي مكتئبة» لذا يتجه لله ويخبره بهذا «نفسي منحنية فيَّ» اعتاد أن يتذكر الله دائما، وكان ذلك سبب عزائه، وها هو يعيد هذا الاختبار في تذكر الله. وقد اتجه إلى آخر حدود أرض كنعان ليحتمي هناك من عنف مضطهديه. وأحيانا يذهب إلى أرض الأردن وعندما يُكتشف مخبأه يسرع إلى «جبال حرمون» أو جبل مصعر (أي الجبل الصغير)، وأينما ذهب كان قلبه ممتلئا بأمور الله. لذا فهو يتذكر الله في كل هذه الأماكن، ويرفع قلبه إليه. ويحتفظ بشركته الخاصة مع الله. إن الزمان والمكان لا يمكن أن ينسياه ذاك الذي هو موضوع مشغوليته.

ثانيا: يشتكي من آثار عدم مسرة الله به لكنه يعزي نفسه برجاء العودة لحظوته في الوقت المناسب:

(١) يرى أن آلامه ناشئة عن غضب، وهذا يحبطه كثيرا. (ع ٧) «غمر ينادي غمرا» فالمصائب تتوالى عليه كما لو كانت تنادي بعضها. وصوت تدفق المياه يعطي إشارة التحذير والاستعداد للحرب. إن الأمواج واللجج تحت السيطرة الإلهية. لذا لا يجب على رجال الله أن يندهشوا إذا استخدم الله هذه الوسائل المتعددة لامتحان إيمانهم. وإن أتت عليهم هذه التيارات عنيفة، فإن الله يعلم ما يفعل، فهو سيجعلها تدوم لفترة قصيرة جدا.

(٢) يتوقع المرنم أن يأتي خلاصه من الله «بالنهار يوصي الرب رحمته» (ع ٨). فالهدوء لابد أن يتبع العاصفة ومثل هذا التوقع يدعمه عند سماع غمر ينادي غمرا. فهو ينظر إلى رحمة الله كنبع لكل الخير الذي يبحث عنه. تدخل الله بصلاحه يدعوه داود هنا «يوصي» تلميحا لمجانية هذا الصلاح. فلا يمكن أن ندَّعي أننا نستحقها لأنها تمنح عن طريق سلطة عليا. فالله يعطينا كملك، وعن طريق محبته الموجهة لنا يوجه كل التيارات واللجج وهي تطيعه. هذا ما يفعله الله «بالنهار» لأن رأفة الله لابد أن تعطي نفوسنا نهارا (إشراقا) في أي وقت. وإذا وجَّه الله رحمته نحوه سوف يقبلها فورا ويرحب بها بكل جوارحه وعواطفه، وسيفرح في الرب «وبالليل تسبيحه عندي صلاة لإله حياتي». الله هو إله حياتنا فبه نحيا ونتحرك ونوجد، وهو معطي ومانح كل تعزية لذا فلمن نتوجه بصلاتنا؟ إلا له هو وحده.

ثالثا: يشكو داود وقاحة أعدائه لكنه يتعزى بالله كصديق له (ع ٩- ١١). داود لا ينهار تحت وطأة الضيق ولكنه بهدوء يبكي حزنا لذا لا يمكننا أن نلومه. فمن المحزن لأي رجل يحب بلاده أن يرى نفسه مضطهدا كما لو كان عدوا لها. لكن لا يمكن لداود أن يعتقد بسبب ذلك أن الله قد نسيه، أو طرحه بعيدا عنه «لماذا نسيتني؟» «لماذا أذهب حزينا؟» يمكننا أن نشتكي لله لكن لا يجوز لنا أن نشتكي منه «عيرني مضايقيَّ بقولهم لي كل يوم: أين إلهك؟» إن مثل هذا التعبير أثر فيه وثبط من عزيمته في الله. لكن راحته تكمن في هذه الحقيقة أن «الله صخرتي» (ع ٩). صخرة يثبت عليها.. يحتمي بها. الله الذي هو صخرته يستطيع أن يقول ما يود أن يقول ويثق أن أذني الرحيم مصغيتين له. لذا فهو يكرر هنا ما قاله قبلا في (ع ٥) ويختم به «لماذا أنت منحنية يا نفسي؟» لكنه بعد طول عناء يطرد الأعداء بإيمانه ويرغمهم على ترك الساحة له ليحرز انتصارا رائعا. بتكرار ما قاله قبلا فإنه يوبخ نفسه كما فعل من قبل على تذمره، وعدم راحته. يشجع نفسه على أن يثق في اسم الرب وأن يتكل على إلهه. من المفيد لنا أن نعيد التفكير الإيجابي في الله ثانية فإن لم نستفد من التفكير في حسنات الله أولا فعند إعادة التفكير ثانية سنستفيد بالتأكيد.

المزمور الثالث والأربعون

يحتمل أن هذا المزمور كُتب في نفس ظروف كتابة المزمور السابق ولا نجد له عنوانا لذلك نعتبره ملحقا له. فالمرض يعاود الظهور هنا مرة أخرى لذا يلجأ المرنم في الحال لنفس العلاج للشفاء الذي أثبت فائدته.. وهذا ما فعله الرب يسوع عندما كان في احتياج إذ صلى ثانية وثالثة لنفس الأمر (مت ٢٦: ٤٤).

ونجد في المزمور:

أولا: داود يستأنف دعواه لله بشأن مخاصمة أعدائه له (ع ١ و٢).

ثانيا: يتضرع لله طلبا لاسترداد الفرح المجاني الذي كان له في وسط الجماعة مرة أخرى ويعد بحسن استخدامه (ع ٣ و٤).

ثالثا: يؤكد داود على استمراره في التمسك بالرجاء في إلهه الحي ويثق فيه.

عدد ١ – ٥

يقيم داود دعواه بالإيمان والصلاة أمام الله كقاضيه وقوته ومرشده وفرحه ورجائه.

أولا: كقاضٍ. يصرخ داود «اقضِ لي يا الله وخاصم مخاصمتي». الكثيرون يتهمونه وهو يدافع عن نفسه. فهناك الإنسان الشرير الذي يسميه داود «إنسان غش»، وهو رأس المجموعة ويدعوها المرنم «أمة غير راحمة»، ويعتبره داود رأسا لهم ومن المحتمل أن يكون هذا الشخص هو شاول الملك الذي لم يبدِ أي تعاطف مع داود، بل عامله بكل غش وخداع. وإن كان من يعنيه هنا هو أبشالوم فإن شخصيته ليست أفضل بكثير من شخصية شاول. وبالنسبة لصراعه مع الله بسبب الخطية فإنه يصلي قائلا: «لا تدخل في المحاكمة مع عبدك»، لأني سوف أدان. لكن عند صراعه مع أعدائه يصلي «اقضِ لي يا الله وخاصم مخاصمتي» لأني أعلم أني سوف أتبرر «خاصم مخاصمتي مع أمة غير راحمة». كن في مكاني وبرحمتك تدخل بدلا عني.

ثانيا: كقوته.. قوته الكافية تماما. فهو ينظر لله «لأنك أنت إله حصني» الذي منه أستمد كل قوتي، وفيه تتجدد قوتي دائما، وبدونه أنا ضعيف كالماء، ولا يمكن أن أفعل أو أتحمل شيئا لأجلك. ويستمر بكاء داود بلا أفراح روحية. لكنه يجد في الله قوته. فإن كنا نتعزى في الله يمكننا أن نتكل عليه فنجد عونا روحيا في وقت حاجتنا للفرح الروحي. «أنت إله حصني» الذي أتكل عليك لماذا إذن طردتني بعيدا. لقد كان هذا خطأ وقع فيه المرنم، فالله لا يطرد من يثق فيه مهما كان سوء الفهم الذي يعاني منه بسبب ضيق ظروفه.

ثالثا: كمرشد أمين له: (ع ٣) يقول داود «نورك وحقك هما يهدياننى ويأتيان بي إلى جبل قدسك» فقلبه متجه إلى جبل قدس الله وإلى مسكنه، وليس إلى مكان راحة أسرته ولا بلاطه الملكي ولا جنوده. لكن صبره نفذ ويتوق إلى رؤية مسكن الله ثانية ولأجل تتميم هذا يصلي «أرسل نورك وحقك» فهما ثمار جودك لي. فلنظل نصلي من أجل نور الله وحقه «روح النور والحق» الذي يعوض عدم وجود المسيح بالجسد بيننا. ليقودنا إلى سر التقوى ويرشدنا في طريق السماء.

رابعا: كفرحه: فرحه المتزايد، فإن قاده الله إلى مسكنه، وإن أعاد له حريته الأولى فإنه يعلم تماما ما يجب أن يصنعه «فآتي إلى مذبح الله» (ع ٤). وهو يقترب إلى الله إلى أقصى درجة (فهو فرحه الدائم) فالذين يقتربون إلى الله يجب أن يقتربوا إليه كمصدر لفرحهم المستديم وليس فقط لسعادتهم في المستقبل ولكن الفرح الحاضر –فرح غير عادي– فرح يفوق الأفراح الأرضية المحسوسة، والزمنية. النص الأصلي يحمل صيغة التوكيد إذ يقول المرنم: إلى الله بهجة فرحي أو انتصاري.

خامسا: كرجائه: الذي لا يخيب أبدا (ع ٥) وكما حدث من قبل يعاتب داود نفسه بسبب كآبته وغمه «لماذا أنت منحنية يا نفسي؟» ثم يهدئ من روعه بالمواعيد التي له في الله عندما مجده «ترجي الله لأني بعد أحمده» عندما أستمتع بالمجد مع الله «خلاص وجهي وإلهي».

المزمور الرابع والأربعون

لإمام المغنين. لبني قورح. قصيدة

لا نعلم يقينا من كاتب هذا المزمور، ومتى كتب وفي أي ظروف. فهو مزمور مخصص ليوم صوم واعتكاف نتيجة بلية أصابتهم أو تتهددهم.

ومن هذا المزمور تتعلم الكنيسة ما يلي:

أولا: الاعتراف بروح الشكر لمجد الله بالعظائم التي عملها الله مع آبائهم (ع ١– ٨).

ثانيا: التذكر الدائم للحالة البائسة التي نحن عليها (ع ٩– ١٦).

ثالثا: كتابة سفر تذكرة أمام الله ليقربنا إليه على الدوام

(ع ١٧– ٢٢).

رابعا: تقديم التماس أمام عرش النعمة طلبا للعون والخلاص.

عدد ١ – ٨

تدعو هذه الأعداد شعب الله ليذكر أيام انتصاره– رغم الاضطهاد الشديد– لذلك يشير النص إلى:

• تفاقم الأوضاع في الأيام الراهنة. فنير الاستعباد قد وضع بكل ثقله على رقاب الذين تعودوا أن يتزينوا بأكاليل الغار– وعلامات عدم رضا الله هي أكثر أسباب الحزن للذين اعتادوا على بركاته.

• وتشجيعا للرجاء في أن الله سيرد سبيهم يخلط بين صلواته وتعزياته المتوقعة في المستقبل مع مراحم الله السالفة.

أولا: يتذكر كاتب المزمور العظائم التي صنعها الله معهم قبلا «آباؤنا أخبرونا بعمل عملته في أيامهم». أخبرونا بما فعلته. لأن هناك تناغم وانسجام بين كل ما يفعله الله. فكل البكرات هي بكرة واحدة (حز ١٠: ١٣)، وكل أعمال الله هي عمل واحد، وأن كل جيل مُطالب بأن يحفظ سفر تذكرة لأعمال الله العجيبة لكي يتذكر الجيل التالي هذه العجائب. يجب على الأطفال أن يصغوا إلى العجائب التي صنعها الله مع آبائهم.. كيف غرس الله إسرائيل في أرض كنعان (ع ٢ و٣) ليس بسبب صلاحهم أو استحقاقهم، لكن لصلاح الله ونعمته المجانية «بنور وجهك لأنك رضيت عنهم» (ع ٣). ليس بسيفهم امتلكوا الأرض رغم وجود جبابرة بأس بينهم، ولا بقوة ذراعهم حفظوا من أن يطردهم الكنعانيون، لكن الله غرسهم في هذه الأرض الجيدة. كما يغرس الزارع الأرض الجيدة في انتظار الثمار. وهذا يتطابق مع غرس الكنيسة في العالم.. فبشارة الإنجيل قضت على الوثنية، والكنعانيين، ليس في الحال بل تدريجيا. بلا قوة أو حكمة بشرية لأن الله اختار «أدنياء العالم والمزدرى» ليعملوا هذا، لكن القوة والحكمة من عند الله. فالمسيح بروحه «خرج غالبا ولكي يغلب». إن تذّكر هذا يعطينا ثبات وتعزية إن كنا نئن تحت وطأة اضطهاد أضداد المسيح. لقد أعطيتنا انتصارا على أعدائنا، وأخزيت مبغضينا. هذا يذكره بأيام القضاة، وانتصاراتهم على كل الأمم أعداء إسرائيل. وهذا ما حدث مرارا لمضطهدي كنيسة المسيح الذين خزوا بقوة الحق (أع ٦: ١٠).

ثانيا: والاستفادة القصوى من تسجيل هذه الأمور العظيمة التي فعلها الله مع آبائهم في القديم هي اتخاذ الله إلههم إلى الدهر (ع ٤) «أنت هو ملكي يا الله». يتكلم كاتب المزمور عن نفسه قائلا: أنت إلهي يا الله فلمن أذهب بتوسلاتي إلا إليك أنت وحدك؟ فالكرامة التي أطلبها ليست لنفسي بل لكنيستك، ونحن دائما نصلي من أجل الخلاص عندما تحل أوقات الضيق. «فأمُر بخلاص يعقوب» فأمُر كمن له سلطان أن يأمر فيطاع. «لأنه ليس بسيفهم امتلكوا الأرض، ولا ذراعهم خلصتهم» لذا فهم لا يثقوا في السيف أو القوس في خلاص المستقبل (ع ٦). لا أثق في قوسي ولا في أي عتاد حربي آخر قد يحل محل الله لكن «بك»، بفضل حكمتك في توجيهنا وقوتك تقوينا، وتعمل لأجلنا، ووعدك يحفظ النصر لنا، فإننا نذفع أعداءنا. «بالله نفتخر اليوم كله، واسمك نحمد إلى الدهر» (ع ٨).

عدد ٩– ١٦

يشكو شعب الله هنا من الحالة المنهارة والظروف المفجعة التي ناء بها الشعب تحت سيطرة الأعداء والمضطهدين.

أولا: افتقادهم العلاقات المعتادة لنعمة الله وحضوره بينهم. «لكنك قد رفضتنا» (ع ٩). يبدو أنك طرحتنا من أمامك وأسلمتنا للخزي والعار– يقع شعب الله تحت تجربة الظن أن الله رفضهم ونسيهم عندما تنحدر بهم الظروف لكنهم في هذا مخطئون.

ثانيا: لقد سقطوا سقوطا ذريعا أمام العدو في ميدان القتال «ترجعنا إلى الوراء عن العدو» (ع ١٠). كما حدث مع يشوع عندما هُزم في «عاي» (يش ٧: ٥– ٨). لقد ذهبت أرواحنا إذ فشلت كل محاولاتنا في إزالة نير بابل عنا، كما أننا فقدنا أرضنا أمامهم.

ثالثا: لقد حكم عليهم بالموت بالسيف والعبودية. «جعلتنا كالضأن أكلا» (ع ١١). لم يفرق الأعداء قتلهم لإسرائيل أو قتلهم للضأن. وجدوا أنفسهم

مباعين ومشترين والله هو السبب في ذلك «بعت شعبك». لكنهم كان يجب عليهم إرجاع ذلك لخطيتهم «وما ربحت بثمنهم» تلميحا إلى أنهم رضوا بهذا كما لو كان ذلك يؤدي إلى مجد الله.

رابعا: لقد امتلأوا خزيا وعارا. ذلك ينسبونه لله أيضا إذ يقولون «تجعلنا عارا». فالأمم الذين كانوا غرباء عن عهود الموعد، وغير محسوبين من شعب الله جعلوهم مثلا وهزأة. الخزي والعار كانا دائمين وثابتين. «اليوم كله خجلي أمامي، وخزي وجهي قد غطاني» (ع ١٥). هذا العار انعكس على الله مباشرة (في نظر الشعب) فإن الخزي الذي اتهم به الأعداء شعب الله، اعتبر تجديفا مباشرا على الله نفسه (ع ١٦؛ ٢مل ١٩: ٤، ٦).

عدد ١٧ – ٢٦

يناجي الشعب الله بسبب شدة الضيق والاضطهاد:

أولا: بالترجي رافعين إخلاصهم لله. فبالرغم من الضيق الشديد إلا أنهم ظلوا قريبين من الله ومخلصين له «هذا كله جاء علينا وما نسيناك ولا خنّا في عهدك» (ع ١٧). فلم نخُن عهدك لكن فقط تصرفنا بغباء شديد. لكن لم نتخذ آلهة أخرى. رغم انتصار المجدفين علينا لم ننساك. لقد مرت عليهم أوقات عصيبة طويلة في المتاعب «حتى سحقتنا في مكان التنانين». تحت شعب عنيف ومتعجرف ومتكبر مثل بنات آوى أو «التنانين»، «وغطيتنا بظل الموت». جعلتنا تحت ألم نفسي مريع لا يقل عن الموت ذاته. رغم أنك ذبحتنا إلا أننا لم نتوقف عن الثقة فيك. «لم يرتد قلبنا إلى وراء» أي لم نرتد ارتدادا سريا عنك يا الله «ولا مالت خطوتنا عن طريقك» (ع ١٨) الطريق الذي وضعته لنسلك فيه. عندما تفشل متاعبنا أن تنسينا واجبنا نحو الله فإنها أيضا يجب أن لا تنسينا أن نستريح في الله.. لأنه لن يتركنا إن لم نتركه. «إن نسينا اسم إلهنا».. تحت توهم أنه قد نسينا. أو في ضيقنا «بسطنا أيدينا إلى إله غريب» في محاولة لكسب المساعدة «أفلا يفحص الله عن هذا؟» ألن يدين الله هذا العمل؟ ويأتي بنا إلى الحساب؟ لقد ألمت بهم هذه المصائب تبعا لإخلاصهم لله وقربهم منه «لأننا من أجلك نمات اليوم كله» (ع ٢٢). لأننا نقف في صف الله ويدعى علينا اسمه، وننادي باسمه ولا نعبد إله سواه.

ثانيا: نظرا للظروف الراهنة فإن الله سيتحرك لخلاصهم «استيقظ!.. انتبه!» (ع ٢٣). «قم عونا لنا وافدنا» (ع ٢٦). لقد شكا الشعب (ع ١٢) من أن الله قد باعهم، وهنا في الآية ٢٦ يصلون لله لكي يفديهم، إنهم لا يلتمسون شيئا من الله بل يلتمسون الله نفسه. لقد شكوا في الآية ٩ قائلين: «قد رفضتنا»، لكنهم هنا في الآية ٢٣ يقولون «لا ترفض إلى الأبد». لا تجعلنا مرفوضين منك يا الله إلى الأبد.. والاعتراضات تتوالى «لماذا تتغافى يا رب» (ع ٢٣). واللفظ «تتغافى» له دلالة قوية كما في مزمور ٧٨: ٦٥ «فاستيقظ الرب كنائم، كجبار». يمكن تطبيق ذلك على ما حدث مع الرب يسوع في متى ٨: ٢٤ إذ كان هو نائما في وقت العاصفة فأيقظه التلاميذ قائلين «يا سيد نجنا فإننا نهلك»، وهم يترجونه مثلما يفعل الخطاة اليائسين «لأن أنفسنا منحنية إلى التراب» (ع ٢٥). تحت الحزن المفرط والرعب أصبحنا مثل الحيوانات الزاحفة «لصقت في الأرض بطوننا». فلا نقدر أن نرفع أنفسنا، ولا أن نقيم أرواحنا المنهارة من ظروفنا المفجعة. فنحن مطروحون أرضا عرضة لأن نداس من كل أعدائنا الشامتين، فافدنا «من أجل رحمتك».

المزمور الخامس والأربعون

لإمام المغنين. على السوسن. لبني قورح. قصيدة. ترنيمة محبة

إن هذا المزمور بمثابة نبوة واضحة عن المسيح الرئيس. فهو يشمل فكر الإنجيل ككل ويشير إلى المسيح كعريس للكنيسة وهي عروسه، وهو ملك يملك عليها وفيها. ومن المرجح أن المخلص أشار إلى هذا المزمور أكثر من مرة عندما شبه ملكوت السماوات بوليمة عرس (زفاف ملكي) (مت ٢٢: ٢– ٢٥). افتتاحية المزمور تتحدث عن عظمة الترنيم (ع ١).

مقدمة المزمور تتكلم عن:

أولا: العريس الملك شخص المسيح.

(١) تميزه المتسامي (ع ٢).

(٢) مجد انتصاراته (ع ٣– ٥).

(٣) بر ملكوته (ع ٦ و٧).
(٤) بهاء مجده (ع ٨ و٩).
ثانيا: العروس الملكة (الكنيسة).
(١) قبولها (ع ١٠ و١١).
(٢) حفل الزفاف (ع ١٢- ١٥).
(٣) نتائج هذا الزفاف (١٦ و١٧).

عدد ١ - ٥

يعتبر البعض «السوسن» آلة موسيقية ذات ستة أوتار- آخرون يعتبرونها كما في الأصل «زهرة السوسن"، وكانت تنثر مع الزهور الأخرى في حفلات الزفاف. إن ذلك المزمور هو ترنيمة محبة أي المحبة المقدسة بين المسيح والكنيسة. ترنيمة للمحبوبة تعد للعذارى صاحبات العروس ليؤدينها للملكة يوم زفافها (ع ١٤).

أولا: المقدمة (ع ١):

(١) تتكلم عن قداسة وعظمة محور الموضوع. ترنيمة «للملك»، يسوع الملك ومملكته وسلطانه.

(٢) كذلك تتكلم عن عظمة الخطة الإلهية. فهذا المزمور يعتبر اعتراف بالفم لإيمان القلب بشخص المسيح وكنيسته «فاض قلبي بكلام صالح». فعندما نتكلم من القلب المنفعل بالمحبة الدافئة فإننا نتكلم أفضل ما يمكن عن المسيح وأموره اللاهوتية. وهذا ما عبَّر عنه المزمور جيدا بقوله: «متكلم أنا بإنشائي للملك». أي لن أتكلم بكلمات الآخرين ولا بالقيثارة، ولكن بما تعلمته جيدا «لساني قلم كاتب ماهر». لساني موجَّه بقلبي في كل كلمة كما توجه اليد القلم. فنحن نطلق على الأنبياء لقب كتبة الأسفار المقدسة لأنهم مجرد أقلام بين يدي الله. فاللسان وهو مجادل حاذق، وخطيب بليغ هو مجرد قلم يكتب ما يسر به الله.

ثانيا: ويظهر الرب يسوع جليا في أعداد المزمور:

(١) كالأبرع جمالا في ذاته: لأن المزمور ترنيمة محبة فسمات الرب يسوع المجيدة تظهر فيه في جمال العريس الملك (ع ٢). «أنت أبرع جمالا من بني البشر». أكثر من أي إنسان آخر. يبدأ داود في الكلام عن الملك، لكنه يسارع بالتكلم إلى الملك نفسه مباشرة. فكل محبي الرب يسوع ومريديه تدفعهم أشواقهم أن يتحادثوا معه قائلين «أنت أبرع جمالا».

(٢) كصاحب البركة السماوية «أبرع... من بني البشر» فله النعمة وهي منه لنا «انسكبت النعمة على شفتيك» بكلمته، وبوعوده، وبإنجيله. إرادة الله الصالحة عرفناها، وأعماله تُنفَّذ لنا وبنا. فإنجيل النعمة انسكب على شفتيه، لأنه مكتوب «ابتدأ الرب بالتكلم به»، ونحن تسلمناه منه. فعنده «كلام الحياة الأبدية». وروح النبوة على شفتيه (هكذا تعني في اللغة الآرامية). لذلك أنت مصدر الثقة للنعمة الإلهية لمنفعة كل أولاد الله «لذلك باركك الله إلى الأبد» جعلك الله بركة أبدية لذلك تتبارك فيك جميع قبائل الأرض.

(٣) كمنتصر على كل أعدائه. فالعريس الملك يحمي عروسه بحد السيف من أي عبودية فهو ينصرها وينتصر لها ثم يتزوجها.

أ. استعداداته للقتال «تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار» (ع ٣). فكلمة الله هي «سيف الروح». وبوعود هذه الكلمة والنعمة الكائنة فيها تخضع النفوس طوعا للرب يسوع المسيح وتصبح ملكا خاصا له.. فبإنجيل المسيح يؤمن الكثيرون من اليهود والأمم.

ب. استعداده للحرب المقدسة: يقدم على القتال بجلاله وبهائه.. فكملك عظيم يخوض غمار المعركة بقوة العتاد، بسيفه ومجده وجلاله. في الإنجيل يتجلى المسيح بعظمة وتفوق.. لامعا.. مباركا.. بالكرامة التي أعطاه إياها الآب. فالمسيح إذًا في شخصيته وإنجيله لا يحتاج لبركة أو مجد خارجي ولا أي شيء يعجب البشر. فلا شبيه ولا ند له. لا شيء يخيف الإنسان؛ فقد أخذ صورة عبد. فمجده روحي وعظمته روحية. «وبجلالك اقتحم» (ع ٤)- أي ليأتِ ملكوتك.. تقدم وكن منتصرا.. «من أجل الحق والدَّعَة (الوداعة) والبر».

ج. هذه هي الأسباب المجيدة التي تشغله. لقد ضاعت هذه الثلاثة (الحق، والوداعة، والبر) من سلوك البشر لذا جاء المسيح من أجل استعادتها وخلاص البشر.. فالإنجيل في حد ذاته هو الحق، والوداعة، والبر. فهو يوصي بقوة الحق والبر.. فالمسيحية تتميز بالاثنين معا في آن واحد، وتروج نفسها بالوداعة واللطف (١كو ٤: ١٢ و١٣؛ ٢تي ٢: ٢٥). المسيح يظهر

فيهم.. أي في الحق والوداعة والبر، وهذا هو مجده وجلاله لذا فهو منتصر دوما. فالبشر يؤمنون به لأنه هو الحق، ويتعلمون منه لأنه وديع (مت ١١: ٢٩؛ ٢كو ١٠: ١). ونحن نخضع له لأنه بار ويحكم بالعدل.

د. نجاح حملته «فتريك يمينك مخاوف» لأنه لأجل خلاص النفوس يجب أن تحدث أمور مرعبة، فالقلب يجب أن ينكسر والضمير يبكت، وخوف الله يجب أن يتخذ طريقا للتأثير في النفوس. والعدد التالي يصف هذه الأمور «نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك» (ع ٥). فالذين كانوا قبلا أعداء بالطبيعة ولهذا جُرحوا، حتى يتسنى لهم أن يُخضَعوا ويُصالحُوا: فالإدانة قوية كسهام مسنونة فهي حادة في إصابتها للقلب، وتعمل على إخضاع الناس تحت سلطان المسيح والاعتراف بتعاليمه وسلطانه.

عدد ٦ – ٩

نجد في هذه الأعداد العريس الملك يملأ عرشه بالقضاء ويحفظ حكمه بالبهاء.

أولا: يملأ عرشه بالقضاء. فالآب يتكلم إلى الابن «كرسيك يا الله إلى دهر الدهور»، وهذا نجده في عبرانيين ١: ٨ و٩. دليل على أن المسيح هو الله، وله اسم أعظم من الملائكة تميزا لملكه عن سواه.

(١) أبديته «إلى دهر الدهور»: فهو كفادي يستمر في مجده على الأرض كل أجيال البشرية، حتى عندما يسلم الملكوت إلى الله الآب (١كو ١٥: ٢٤). فعرشه كفادي سيستمر أبدا.

(٢) عدل قضائه: «قضيب استقامة قضيب ملكك». فنظام الملكوت «قضيب استقامة»، طبقا للمشورة والمشيئة الإلهية التي هي مقياس الحق بين الخير والشر.

(٣) أساس وسمو مجده «من أجل ذلك... الله إلهك» المسيح هنا كوسيط يتكلم عن الله كإلهه (يو ٢٠: ١٧). كمرسل منه. وكرأس للذين أرسل لأجلهم «مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج». كتعويض لما فعلت وتألمت لأجل البر وكسر نير الخطية. «مسحك الرب إلهك بدهن (بزيت) الابتهاج».. فقد أتى بك الله إلى كل الكرامة والفرح والرفعة. «وضع نفسه... لذلك رفعه الله أيضا» (في ٢: ٨ و٩) ورفعته هنا تمت بطريقة تبرهن على عظمته، ومجد ما ارتفع إليه.. فهو يمتلك كل كرامة وسلطان المسيا المنتظر.

ثانيا: يحفظ سلطانه بكل بهاء وروعة:

(١) فثيابه الملكية التي تجلى بها ليست مصدر رعب في قلوب من رأوه، ولكن مصدر بهاء وعظمة بسبب ما أفاحت من طيب (ع ٨) «كل ثيابك مر وعود وسليخة» (زيت الابتهاج الذي مسح به مع ملابسه) وهي بعض مكونات زيت المسحة المقدس التي حددها الله، ولم يسمح باستخدامها للعامة (خر ٣٠: ٢٣ و٢٤). وهي رمز لمسحة الروح القدس التي نالها المسيح كرئيس كهنتنا الأعظم وهذا الزيت دليل على كهنوته هذا.

(٢) قصوره مصنوعة من عاج، ولذلك فهي مميزة للغاية. فأعظم القصور هي المصنوعة من العاج وفيها فرح المسيح والمسيحيين.. وسيكونون محفوظين فيها إلى الأبد. «بنات ملوك بين حظياتك» كل المؤمنين الحقيقيين مولودون من فوق فهم أولاد ملك الملوك، والكنيسة هنا تشبه بملكة «ملكة محظية» فقد خطبها لنفسه بعهد أبدي «جعلت الملكة عن يمينك بذهب أوفير» هذه هي العروس امرأة الخروف. فالنعمة زينتها تقارن بالبز النقي البهي (رؤ ١٩: ٨)؛ لنقائه، وكذلك زينتها تشبه بذهب أوفير لارتفاع ثمنها. فكما نحن مدينون لفدائنا كذلك نحن مدينون لزينتنا– ليست بأشياء تفنى ولكن بدم كريم– دم ابن الله.

عدد ١٠ – ١٧

هذا المقطع الأخير من المزمور موجَّه إلى العروس الملكة الواقفة عن يمين العريس الملك. والله كما كلم الابن قائلا: «كرسيك يا الله إلى دهر الدهور»، فهو هنا يكلم العروس الكنيسة بنفس الكلمات:

أولا: يخبرها بواجباتها المفروضة عليها والتي يجب أن تحترم من كل الذين ينتمون للمسيح الرب «اسمعي يا بنتُ وانظري، وأميلي أذنك» أي اخضعي لكل شروط العريس ولتكن إرادتك بالتمام خاضعة له.

(١) يجب أن تعلن للآخرين «انسي شعبك وبيت أبيك» طبقا لقوانين الزواج الشرعي. وهذا يوضح أمران:

أ. كم هو ضروري للمؤمنين حديثا (يهود أو أمم) أن يطرحوا خلف ظهرهم الأفكار والعقائد القديمة، طقوس يهودية أو عادات وثنية، في اعترافهم بالمسيح. لأن هذه العقائد قد تنتج ديانة مهجنة كما فعل السامريون من قبل.

ب. كم هو ضروري لنا جميعا، بينما نتخلى عن ألقابنا من أجل المسيح، أننا بالمقارنة نُبغض الأب والأم وكل عزيزٍ وغالٍ في هذا العالم؛ بمعنى أن محبتنا للمسيح تفوق محبة هؤلاء. «فيشتهي الملك حسنك... فاسجدي له» (ع ١١) الشيء الذي يدل على أن جمالها سوف يتلطخ لو امتزجت طقوسها وعاداتها القديمة- سواء كانت يهودية أو أممية- بدينها الجديد.. فجمال قداسة الكنيسة أو الأفراد بعينهم «قدام الله كثير الثمن».

(٢) وهي يجب أن ترفعه، وتحبه، وتكرمه، وتطيعه «لأنه هو سيدك فاسجدي له» يجب أن نعبده كالله إلهنا لأن هذه هي إرادة الله «لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب».

ثانيا: يخبرها بالبركات الممنوحة لها:

(١) لها قصر عظيم، وتقدم لها أعظم الهدايا (ع ١٢). «وبنت صور أغنى الشعوب تترضى وجهك بهدية». فصور مدينة عظيمة وغنية، وكل الأسر الغنية حولك تعطي هدية (جزء من كل) طلبا لرضائك وسعيا لجذب اهتمامك «أغنى الشعوب تترضى وجهك بهدية»؛ وذلك لأجل العريس المجيد الذي تنتسبين إليه. عن طريقك يصبحون أصدقاء له.

(٢) ستكون رائعة وصاحبة نعمة في أعين الجميع «كلها مجد ابنة الملك» (ع ١٣). ومجد الكنيسة هو مجد روحي وهو في الواقع كل المجد- مجد النفوس، مجد الإنسان في نظر الله، وعربون المجد الأبدي. رغم أن مجدها «في خدرها. منسوجة بذهب ملابسها». فسلوك المؤمنين الذين يظهرون به في العالم يجب إثراؤه بالأعمال الصالحة مثل الذهب المضفر الذي يتطلب قدرا كبيرا من العناية والحرص.

(٣) حفل الزفاف يجب أن يتم بكل وقار وابتهاج (ع ١٤ و١٥) «تحضر إلى الملك» لا أحد يأتي إلى المسيح إن لم يجتذبه الآب، وهو وحده يتولى هذا الأمر. ولا أحد بجانبها يقدم إلى الملك ليدخلن «قصر الملك».

(٤) ذرية هذا الزواج ستكون واضحة «عوضا عن آبائك يكون بنوك» (ع ١٦). فبدلا من جماعة العهد القديم الذين قَدِموا وشاخوا وأصبحوا قريبين من الاضمحلال (عب ٨: ١٣)، سيوجد جماعة العهد الجديد (الكنيسة) حيث يطعمون في نفس الزيتونة (رو ١١: ٢٤).

(٥) التسبيح في هذا الزفاف سيكون تسبيحا أبديا ومتضمنا داخل تسبيح المسيح (العريس) الملك (ع ١٧). «أذكر اسمك في كل دور فدور» لأن الآب «أعطاه اسما فوق كل اسم»، وهنا يعده بأن يكون أبديا بضمان وجود تتابع أجيال المؤمنين المسيحيين الذين يحملون اسمه باستمرار إلى الأبد (مز ٧٢: ١٧).

المزمور السادس والأربعون

لإمام المغنين. لبني قورح على الجواب. ترنيمة

يشجعنا هذا المزمور على:

أولا: أن نستريح في الله عندما تظلم الظروف حولنا وترعبنا (ع ١- ٥).

ثانيا: أن نذكر- لمجد اسمه- الأمور العظيمة التي فعلها الله لكنيسته تجاه أعدائها (ع ٦- ٩).

ثالثا: لنتأكد أن الله سيمجد اسمه ثانية، كما مجده في حياتنا قبلا (ع ١٠ و١١). وعندما نترنم بهذا المزمور يجب أن نطبقه إما على:

(١) أعدائنا الروحيين، والتشجيع الذي نرجوه أنه من خلال المسيح نكون أعظم من منتصرين عليهم.

(٢) أعدائنا الأرضيين- أعداء ملكوت المسيح في العالم.

عدد ١- ٥

يعلمنا كاتب المزمور بأمثاله الخاصة:

أولا: أن ننتصر في الله وفي وجوده معنا وبخاصة عندما تأتينا خبرات جديدة لوجود الله معنا (ع ١) «الله لنا ملجأ وقوة» هل نعاني من الكآبة؟ هو عونا لنا. عونا دائما «عونا... وُجِدَ» أي هو عونا لنا وجدناه هكذا معينا لنا لأنه حجر امتحان (إش ٢٨: ١٦).

ثانيا: أن ننتصر على الأخطار العظيمة «الله... قوة. عونا» إله فيه كل الكفاية لنا «لذلك لا نخشى». إن دورنا وامتيازنا أن نكون غير خائفين وهو دليل على وجود ضمير نقي (قلب مخلص) وإيمان حي بالله في عنايته ووعوده. لنفترض أن الأرض تزول وتسقط في البحار. حتى الجبال وهي الأكثر قوة وثباتا على سطح الأرض لتسقط وتختفي في أعماق المحيط. حتى لو فرض أن البحار تزأر وتعج «تتزعزع الجبال» (ع ٣)، والممالك والأمم إن اضطربت بالحروب وتقاذفتها الأنواء واتحدت كل القوى ضد الكنيسة وشعب الله، إلا أننا لا نخاف عالمين أن جميع هذه المتاعب سوف تنتهي لخير الكنيسة. وليس من شأننا أن ننشغل بما حولنا لأنها مدينة الله «مدينة الله، مقدس مساكن العلي».. إنها مقدس الله الذي تهابه قلوبنا. لكن عندما نعلم أن الله اهتم براحة وسلامة كنيسته فإننا نجد أسبابا تستريح عليها قلوبنا فهو يرفعنا فوق كل مخاوفنا. «نهر سواقيه تُفرح مدينة الله، مقدس مساكن العلي»، حتى عندما تعج مياه البحر تهديدا لنا. إن عهد النعمة هو النهر (يو ٧: ٣٨ و٣٩). فإن الراحة (الأنهار) هي التي تفرح مدينة العلي- ولو اهتزت السماوات والأرض فإن «الله في وسطها فلن تتزعزع» (ع ٥). فالكنيسة ستحيا في العالم في نعمة، والعالم يفنى لأن الله «يعينها» عند تجاربها «عند إقبال الصبح» أي عندما يأتي الصباح مسرعا.. لأنه عونا في الضيقات، وفي الوقت المناسب. فعندما تصل الأمور إلى ذروتها يكون الخلاص السريع ضرورة ملحة.

عدد ٦- ١١

هذه الأعداد تُظهر لنا مجد الله كملك الأمم وملك القديسين.

أولا: فكملك الأمم يهز قوتها ويكسر سطوة الأمم التي تعارض اهتماماته في العالم (ع ٦) «عجَّت الأمم» عند مجيء داود إلى العرش وعند إعادة المملكة لابن داود (قارن مزمور ٢: ١ و٢). لكن الله «أعطى صوته، ذابت الأرض». لقد انتقلوا إلى وضع آخر فقد أصيبوا بالارتباك والذعر. هكذا يصف داود ذوبان قلوب الأعداء (قض ٥: ٤ و٥؛ لو ٢١: ٢٥ و٢٦). فعندما يشاء الله فإنه يصنع خرابا في الأمم «هلموا انظروا أعمال الله» (ع ٨) فهي جديرة بأن نهتم بها (مز ٦٦: ٥) وأن نفكر فيها (مز ١١١: ٢). الحرب كمأساة تدمر الموقع التي اندلعت فيه لذا فإن داود ينقل الحرب إلى أرض أعدائه، ومعها ينقل الخراب الذي خلفته، ويقول «ما أهيب أعمالك» (مز ٦٦: ٣). وعندما يسر الله أن يغمد سيفه، فإنه يضع نهاية للحروب بين الأمم ويتوجها بالسلام «مسكن الحروب إلى أقصى الأرض» (ع ٩)، أحيانا كشفقة على الأمم لاسترداد الأنفاس التي تنقطع عندما تطول الحرب. والدمار النهائي لجوج وماجوج يوصف بصورة نبوية بإحراق أسلحة الحرب (حز ٣٩: ٩ و١٠). الذي يمثل سلام الكنيسة التام والأكيد، وهو ما يجعلها في غير حاجة لإشهار السلاح إعلانا للحرب، والنهاية السعيدة لأي حرب هي مسئولية الله وهو ما نتأمله بدهشة وشكر.

ثانيا: كملك القديسين فإننا يجب أن نعترف «عظيمة وعجيبة هي أعمالك أيها الرب الإله» (رؤ ١٥: ٣). فهو يفعل وسيفعل أمور عظيمة ليبقي أعداءه بدون تهديد، ولكن ليعرفوا أنه هو الرب الغير محدود فوقهم. ليتوقفوا عن الشغب لأنه بلا طائل «الساكن في السماوات يضحك، الرب يستهزئ بهم». ومن أجل الحق الذي فيهم فإنه سيطوح بهم إلى أقصى الأرض، ولا يتركهم في الكنيسة تمجيدا لاسمه وعند افتخارهم فالعلي فوقهم، وهو يعرفهم بنفسه أنه هكذا متعال ليثبت شعبه في طمأنينة ليعلموا أن الرب هو الله. وعندما نصلي «أيها الآب مجد اسمك». علينا أن نختبر استجابة هذه الصلاة التي رفعها المسيح أيضا «مجدت وأمجد أيضا» آمين. ليكن هذا يا رب، أعط هذا الانتصار لكل أولادك.

(١) فهم في محضر الله كلي القوة «رب الجنود معنا». الإله الأزلي معنا يقف بجانبنا يعمل لأجلنا، ووعدنا أنه لن يتركنا أبدا. قد تكون الجيوش ضدنا لكن لا يلزمنا أن نخافهم؛ لأن القدير معنا.

(٢) هم في عهد حماية مع الله، وهو ليس فقط قادر على المعونة، ولكنه ملزم بها أيضا، فهو يساعدهم بكل إخلاص وأمانة، فهو «إله يعقوب». ليس يعقوب الشخص، ولكن شعب يعقوب أيضا.

المزمور السابع والأربعون

لإمام المغنين. لبني قورح. مزمور

هذا المزمور يحثنا على تسبيح الله:

أولا: يوجهنا للطريقة المثلى للتسبيح فهي: علانية، وبسرور، وبتعقل (ع ١، ٦ و٧).

ثانيا: نحن مجهزون لهذا التسبيح لهذه الأسباب:

(١) عظمة الله (ع ٢).

(٢) سلطانه الدائم في كل الوجود (ع ٢، ٧، ٩).

(٣) عظمة أعماله التي فعلها وسيفعلها لشعبه (ع ٣، ٥).

ويفترض الكثيرون أن هذا المزمور كُتب عند إصعاد تابوت العهد إلى جبل صهيون، وهو ما يشير إليه (ع ٥) «صعد الله بهتاف».. ولكن بنظرة أبعد من ذلك إلى ارتفاع المسيح إلى صهيون السماوية بعد انتهاء مهمته في الأرض وتأسيس ملكوته في العالم.

عدد ١ – ٤

بقلب مملوء بالأفكار العظيمة الرائعة عن الله، يسعى كاتب المزمور إلى تقديم كل ما عنده عن طريق التسبيح المبارك لله.

أولا: من هم المدعوين لتسبيح الله؟ «جميع الأمم»، وجميع شعب إسرائيل، ويمكن أن نرى في ذلك نبوة تحول الأمم للإيمان وانضمامهم للكنيسة (رو ١٥: ١١).

ثانيا: لأي عمل هم مدعوون؟ «صفقوا بالأيادي». وإلى من لا يستطيع التصفيق أن يهتف «اهتفوا لله» ليس لكي يسمع الله، بل ليسمع الذين حولكم «بصوت الابتهاج». الابتهاج بالله وقوته وصلاحه. ليشترك معكم الآخرون عند الانتصار.

ثالثا: ما هي مادة تسبيحنا؟ «لأن الرب عليٌّ مخوف، ملك كبير على كل الأرض» فهو يهتم بشعبه واحتياجاتهم وسيفعل هذا أبدا. لأن الله زرعهم في أرض كنعان، واستمر معهم إلى هذا اليوم، وملكوت المسيح لابد أن يتأسس ويمتد في كل الأرض وليس قاصرا على اليهود فقط. الرب يسوع سيخضع الأمم «سيحضرهم كخراف إلى القطيع» (هذا هو المعنى الحرفي للجملة). ليس للذبح بل للحفظ والرعاية. «يختار لنا نصيبنا». اختار أرض كنعان ميراث لإسرائيل، وهي الأرض التي تجسسها الله من أجلهم (تث ٣٢: ٨)، وتثبيت قدس الله فيها جعلها فخر وكرامة يعقوب (عا ٦: ٨).

(١) سعادة القديسين أن الله بنفسه قد اختار الميراث لهم، وأقام لهم ميراثا آخر لا يفنى ولا يضمحل في الدهر الآتي (١بط ١: ٤).

(٢) إيمان وخضوع القديسين لله وهو لسان حال كل نفس تتمتع بنعمة الله. الله سيختار نصيبي لي فهو يعرف خيري أكثر مني لذلك ليس لي مشيئة خاصة بل ما يرضاه هو.

عدد ٥ – ٩

ألا يجب أن نسبح الله ملكنا؟ فالله إلهنا وملكنا لذا يجب أن نسبحه. ونجد هنا مبدأ ضروريا «رنموا قصيدة» (ع ٧):

• بفهم: لأننا نفهم لماذا ولأي سبب نسبح الله وما معنى خدمته (هذا هو قانون الإنجيل) (١كو ١٤: ١٥).

• بأسلوب مستنير: مثل شعب الله الذي يرغب أن يجعل الآخرين يفهمون عناية الله المجيدة، وأن يعلموهم تسبيحه.

أولا: يجب أن نسبح الله في الصعود (ع ٥) «صعد الله بهتاف الرب بصوت الصور»، الذي ربما يشير إلى:

(١) إصعاد التابوت إلى جبل صهيون. فالتابوت العلامة البارزة لحضور الله مع شعبه، وعند إصعاد التابوت بتصريح من الله لذا قال «يصعد».

(٢) لارتفاع ربنا يسوع المسيح إلى السماء عند انتهاء مهمته على الأرض (أع ١: ٩). هنا صعد الله بهتاف كملك وكمنتصر.

ثانيا: نسبح الله حاكما (ع ٧ و٨) «جلس على كرسي قدسه» الذي أعده في السماء وهو يملك على الكل. ونرى هنا امتداد ملكوت الله لكل المولودين على وجه الأرض، حتى الوثنيين عابدي آلهة أخرى هم تحت كرسي الله أرادوا أم أبوا. إنه عرش القداسة الذي يجلس عليه ويعطي الأوامر والدينونة؛ حتى نتأكد

أنه لا مثيل ليسوع المسيح. هو الله وعرشه يدوم إلى الأبد فوق كل الأمم وهو ليس ملك على خاصته فقط بل على كل الأمم أيضا. فهو يملك على قلوب الذين كانوا قبلا تحت نير الوثنية (أف ٢: ١٢ و١٣).

ثالثا: نسبح الله كمكرم ومبجل من كل «شرفاء الشعوب» (ع ٩) وهو مجد لإسرائيل أن يكونوا «شعب إله إبراهيم».

(١) من دواعي سعادتهم أن لهم «شرفاء» ملوك الأرض، أي أن سلطان ملوك الأرض لله كما لو كان هذا إكرام الله، وبقول آخر أن لله أسلوب في سلطانه على الأرض يخدم به أغراضه الخاصة في حكم العالم. فاجتماع «شرفاء الشعوب» واتفاقهم على الأمور المختصة بالسلام لشعوبهم خطوة طيبة، تبشر ببركات فائضة لتلك الأمم.

(٢) يمكننا أن نطبق هذا على دعوة الأمم إلى كنيسة المسيح، وبروح النبوة ستأتي أيام ينضم فيها ملوك الأرض «مجان الأرض» إلى الكنيسة مع شعوبهم. هذه المجان التي تعتبر رمزا للكرامة الملكية (١مل ١٤: ٢٧ و٢٨) سوف تسلم للرب يسوع كما تسلم مفاتيح المدينة للفاتح الأبدي. فعندما يستخدم الأمراء قوتهم لإعلاء كلمة الدين عندئذ سوف يتمجد المسيح بقوة.

المزمور الثامن والأربعون

تسبيحة. مزمور لبني قورح

هذا المزمور كالمزمورين السابقين هو أنشودة انتصار- ويعتقد البعض أنه كُتب وقت انتصار يهوشافاط (٢أخ ٢٠) وآخرون يقولون أنه كُتب عن هزيمة سنحاريب بعد حصار أورشليم أيام حزقيا الملك.. وفيه تُعظم أورشليم:

أولا: لعلاقتها بالله (ع ١ و٢).

ثانيا: لعناية الله بها (ع ٣).

ثالثا: للرعب الذي تضعه على أعدائها (ع ٤- ٧).

رابعا: للسعادة التي تعطيها لأصدقائها فهم يسعدهم:

(١) أن يتفكروا فيما فعله الله ويفعله وسيفعله لها (ع ٨).

(٢) ويسعدهم أن يروا تجليات الله العظيمة مظهرا بها ذاته ومعظما المدينة المقدسة (ع ٩ و١٠).

(٣) ويسعدهم أن يتفكروا في الاستعدادات العملية التي صنعت لأجل سلامتها (ع ١١- ١٣).

(٤) ويسعدهم التأكيد الذي لنا على دوام عهد الله مع أولاد صهيون (ع ١٤).

عدد ١- ٧

ما يقال هنا لمجد أورشليم هو:

أولا: يذكر عن صهيون أشياء أعظم مما قيل عن أي مكان آخر على الأرض «لأن الرب قد اختار صهيون اشتهاها مسكنا له. هذه هي راحتي إلى الأبد، ههنا أسكن لأني اشتهيتها» (مز ١٣٢: ١٣ و١٤). فهي مدينة الملك العظيم (ع ٢) ملك كل الأرض الذي يسره أن يعلن ذاته بطريقة مميزة في هذا المكان. «الله معروف في يهوذا. اسمه عظيم» (مز ٧٦: ١). «عظيم هو الرب» في أورشليم (ع ١)؛ لذا فهي تسمى المدينة المقدسة «قدسٌ للرب»، وهو اسمها المكتوب لها مع كل أثاثها (زك ١٤: ٢٠ و٢١)، وأظهر الله ذاته ليس في شوارعها فقط ولكن في قصورها كذلك، لتكون حصنا له. لكل هذه الاعتبارات فإن أورشليم بالأخص «جبل صهيون» حيث بُني الهيكل. أصبحت محبوبة ومرغوبة «جميل الارتفاع، فرح كل الأرض» (ع ٢). وجمالها ينسب لكونها «جبل قدسه»؛ لأن للقداسة جمال خاص. وكان جبل صهيون في الجانب الشمالي لأورشليم لذا كان حماية للمدينة من البرد والرياح القارسة التي تهب من هذا الاتجاه.

ثانيا: إن ملوك الأرض كانوا يهابونها، وكانت هناك أسباب عديدة لخوفهم من عددهم فملوك الأرض «هوذا الملوك اجتمعوا» (ع ٤). لقد اجتازوا وتقدموا وساروا معا ولم يخامرهم شك في أنهم سيجعلون أنفسهم سادة على هذه المدينة التي كانت سبب سعادة بل وحسد العالم كله. ولكن بنظرة مدققة إلى المدينة أصيبوا بالهلع وارتعدت فرائصهم تماما كما ارتعب بلعام من خيام يعقوب، عندما شرع أن يلعن شعب إسرائيل (عد ٢٤: ٢) «لما رأوا بهتوا، ارتاعوا» (ع ٥) ليس لأن المدينة بها ما يرعب ويخيف، ولكن لأن منظر المدينة ذكَّرهم بحضور الله المهيب فيها، والعناية الإلهية المحيطة بها، عرفوا أنهم ليسوا أندادا للرب كلي القدرة لذا «أخذتهم الرعدة هناك» (ع

٦). ذلك الرعب الذي أصابهم عند رؤية أورشليم يشبه بآلام المرأة الماخض (ع ٦)، والهزيمة الواردة في أذهانهم من أورشليم تشبه الأسطول المحطم من جراء عاصفة عنيفة، فالبعض تحطم والآخرون تكسروا والكل تشتت (ع ٧).

عدد ٨- ١٤

أولا: ليت إيماننا بكلمة الله يتقوى بهذا الحق. فكما سمعنا عن الأيام السابقة.. أيام القدماء.. هكذا نرى في أيامنا هذه. سمعنا عن الله أنه الرب القدير، وأورشليم مدينة إلهنا عزيزة في عينيه؛ إذ يرعاها رعاية خاصة، والآن نرى في هذه القوة التي للرب إلهنا صلاح الله وعنايته واهتمامه بنا. لأنه «وأنا يقول الرب أكون لها سور نار من حولها، وأكون مجدا في وسطها» (زك ٢: ٥).

ثانيا: ليتشجع ويثبت رجاؤنا في ثبات الكنيسة وأبديتها مقارنة بما سمعناه عن مدينة الله. فبذلك نستنتج أن الله سيقيمها إلى الأبد، وهذا لم يتم حرفيا في أورشليم (فقد دمرت منذ أمد بعيد وكل مجدها سقط في التراب) لكن تتميم هذا حرفيا سيتم في كنيسة العهد الجديد.

ثالثا: لتمتلئ عقولنا بالأفكار الصالحة عن الله، لأن ما سمعناه ورأيناه ونترجاه يعطينا الفرصة أن نفكر كثيرا في عطف الله ومحبته عندما نتقابل «في وسط هيكلك» (ع ٩).

رابعا: لنعط الله مجدا لأموره العظيمة التي فعلها معنا ونذكر ذلك كرامة له. (ع ١٠) «نظير اسمك يا الله تسبيحك إلى (ليس إلى أورشليم بل إلى) أقاصي الأرض». فكما يمتد اسمه سيمتد مجده بالقليل أو بالكثير عندما ترجع للرب كل أقاصي الأرض (مز ٢٢: ٢٧؛ رؤ ١١: ١٥). بعض الناس يفهمون ما لهذا الاسم من مجد «الرب القدير» لأجل هذا الاسم فإن تسبيحه إلى أقصى الأرض لكل الخلائق وصية من الله.

خامسا: ليسترح كل أعضاء كنيسة المسيح بالأخص على ما فعله الرب للكنيسة بصورة عامة (ع ١١) «يفرح جبل صهيون» الكهنة واللاويون خدام القدس، وأيضا «بنات يهوذا» (كل القرى) وسكانها سعداء.. لتتغنى النساء وترقص كما هو معتاد في الأفراح العامة، ليحتفلوا بالخلاص العظيم الذي صنعه الرب لهم.

سادسا: لنلاحظ بدقة أشكال وبراهين جمال الكنيسة وقوتها وسلامتها، وننقل هذه الصورة لمن بعدنا بكل أمانة (ع ١٢ و١٣) «طوفوا بصهيون» يعتقد البعض أن هذا الطواف هو احتفال النصر.. ليدر حول الأسوار كل المشتركين في هذا الاحتفال المهيب (كما فعل نحميا في نحميا ١٢: ٣١) مغنين ومسبحين الله.. وأثناء ذلك «عدوا أبراجها»، «ضعوا قلوبكم على متارسها». لنعظم الخلاص العجيب الحادث أخيرا الذي فعله الله لهم.. ليلاحظوا وليتعجبوا أن هذه الأبراج والمتاريس في كامل عظمتها لم يؤذها أي من الملوك الذين اجتمعوا عليها «لكي تحدثوا بها جيلا آخر» كدليل رائع على عناية الله بالمدينة المقدسة. «ضعوا قلوبكم على متارسها» وهذا يبين تلميحا أن المتراس الأساسي الذي كانت العيون شاخصة إليه ليس متراسا محسوسا، ولكنه متراس الإيمان الذي يجب أن توضع القلوب عليه. ويذكر «كالفن» هنا أنه عندما حاول الشعب لفت انتباه الأجيال الآتية إلى الأبراج والمتاريس والقصور في أورشليم فإنه كان متوقعا خلال فترة زمنية بسيطة أن يهلكوا جميعا ويختفوا عن الأنظار. هذا ما نلاحظه عند دراسة تاريخ الشعب، فعندما أبدى تلاميذ المسيح إعجابهم بأبنية الهيكل أخبرهم السيد أنه بعد فترة قصيرة من الزمن لا يبقى فيها «حجر على حجر لا ينقض» (مت ٢٤: ١ و٢). هذا ما نطبقه على كنيسة العهد الجديد أنها مؤسسة على صخرة المسيح الحصينة بالقوة الإلهية، والذي يحرسها لا ينعس ولا ينام.

سابعا: دعنا ننتصر من خلال إلهنا في التأكيدات التي لنا أن محبته أبدية (ع ١٤). لنخبر الأجيال الآتية بذلك «لأن الله هذا» الذي فعل أشياء عظيمة لنا «هو إلهنا إلى الدهر والأبد»، وإن كان هو إلهنا فهو «يهدينا»؛ لأنه الدليل الثابت الدائم الأمين. هو يهدينا «فوق الموت» (حسب بعض الترجمات). فهو مرشد لنا حتى نصل إلى الموت. وهو مرشد لنا «ما بعد الموت» (حسب ترجمات أخرى). فهو يهدينا

إلى سعادة أخرى في العالم الآخر.. إلى حياة لا موت فيها فيما بعد.

المزمور التاسع والأربعون

لإمام المغنين. لبني قورح. مزمور

هذا المزمور ما هو إلا عظة، وهكذا أيضا المزمور التالي (مز ٥٠). في معظم المزامير نجد أن كاتبها يضمنها صلاة أو حمدا، أما في هذين المزمورين فنجده يضمنها عظة.

أولا: يستهدف بالمقدمة أن يوقظ سكان الدنيا من وهم شعورهم بالأمان الزائف (ع ١- ٣)، وأن يعزي نفسه وغيره من الأتقياء في يوم المحنة (ع ٤ و٥).

ثانيا: أما في بقية المزمور:

(١) يحاول إقناع الخطاة بحماقة اتكالهم على ثروات هذا العالم، وذلك بأن يبين لهم:

أ. أنهم بكل ما يمتلكون من ثروة لا يستطيعون إنقاذ أصدقائهم من الموت (ع ٦- ٩).

ب. ليس بوسعهم إنقاذ أنفسهم من الموت (ع ١٠).

ج. لا يقدرون أن يضمنوا السعادة لأنفسهم في هذه الدنيا (ع ١١ و١٢)، ناهيك عن:

د. هل بمقدورهم أن يضمنوا لأنفسهم السعادة في العالم الآخر (ع ١٤).

(٢) يحاول أن يعزي نفسه وغيره من الصديقين:

أ. ضد الخوف من الموت (ع ١٥).

ب. ضد الخوف من القوة المتنامية للأشرار (ع ١٦- ٢٠).

عدد ١- ٥

هذه مقدمة كاتب المزمور لحديثه عن بُطْل العالم، وعدم كفايته لأن يحقق لنا السعادة.

أولا: يطلب الانتباه (ع ١ و٢): «اسمعوا هذا يا جميع الشعوب. أصغوا يا جميع سكان الدنيا»، لأن هذا التعليم ليس قاصرا على أولئك الذين أنعم عليهم بإعلان إلهي فقط، بل إنه حتى الفطرة الطبيعية تشهد على ذلك. جميع الناس قد يعرفون، ومن ثَم عليهم أن ينتبهوا إلى حقيقة أن ثرواتهم لن تفيدهم في يوم الوفاة. والفقراء معرضون لخطر تبنيهم رغبات جامحة في اقتناء ثروات دنيوية كما أن الأثرياء معرضون لخطر الإفراط في إقامة سعادتهم عليها. «فمي يتكلم بالحِكَم»، فما سيقوله هو حكمة وفهم، والذين سيتقبلون ما أقوله سيحصلون على حكمة وفهم. وهذا هو ما استوعبه جيدا هو نفسه.

ثانيا: يدعو نفسه إلى الانتباه (ع ٤): «أميل أذني إلى مَثل». وقد دُعي مثلا، ليس لأنه رمزي أو غامض، بل لأنه حديث يتضمن حكمة وتعليما. وهذه هي نفس الكلمة التي أطلقت على أمثال سليمان. والذين يتعهدون بتعليم الآخرين عليهم أن يتعلموا هم أولا.

ثالثا: يعد بأن يجعل الموضوع سهلا ومؤثرا على قدر ما يستطيع: «وأُوضح بعود لُغزي». والبعض لا يفهمونه، ويظل لغزا بالنسبة لهم، أخبرهم عن بُطْل الأشياء التي تُرى، وحقيقة وثقل مجد الأشياء التي لا تُرى، وهم يقولون: أيها الرب الإله ألا يتكلم هذا بأمثال؟ وآخرون فهموه على أفضل وجه، ولكنهم لم يتأثروا به إطلاقا، ومن أجل هؤلاء سوف يوضحه لهم بعوده، ويحاول بهذه الوسيلة أن يؤثر فيهم وينجح في ذلك. إذا ضلت عظة طريقها إلى شخص ما، فربما تلاقيه آية واحدة.

رابعا: يبدأ بتطبيقه على نفسه. «لماذا أخاف»، وهو يعني: لماذا أخاف خوفهم (إش ٨: ١٢)، أي خوف أهل الدنيا. «لماذا أخاف في أيام الشر» والاضطهاد «عندما يحيط بي إثم متعقبي؟» لماذا أخاف من أولئك الذين تكمن قوتهم في ثروتهم؟ لن أخشى بطشهم لأنهم لن يتمكنوا بذلك من هلاكي. «لماذا أخاف في أيام الشر؟» في تلك الأيام أهل العالم الأشرار هم الذين يخافون، وليس هناك أمر يخيف أولئك الذين تعلقت قلوبهم بالعالم أكثر من تفكيرهم في مغادرته، ولكن لماذا يخشى الرجل التقي الموت، مادام الله معه (مز ٢٣: ٤).

عدد ٦- ١٤

أولا: وصف لروح وطريق أهل الدنيا الذين نصيبهم في هذا العالم (مز ١٧: ١٤). ربما يجمع الإنسان ثروة وفيرة في هذا العالم، وربما يصير أفضل بسبب ثروته هذه، فيمتلئ بالمحبة والشكر والطاعة، ويستخدمها في عمل الخير بما يذخر له رصيدا في عمل الخير،

فليس ما لدى الناس من ثروة هو الذي يجعلهم من أهل الدنيا، بل إن محبتهم للثروة أكثر من أي شيء آخر هي التي تؤدي بهم إلى هذا، وعلى ذلك وصف أهل الدنيا هنا بأنهم: «الذين يتكلون على ثروتهم» (ع ٦)، يعتمدون عليها على أنها نصيبهم وسعادتهم. «جعلت الذهب عَمدتي، أو قلت للإبريز: أنت متكلي» (أي ٣١: ٢٤)، وبذلك أصبح المال إلههم. وقد ذكر مخلصنا صعوبة خلاص الأغنياء (مر ١٠: ٢٤): «ما أعسر دخول المتكلين على الأموال إلى ملكوت الله» (انظر ١تيموثاوس ٦: ١٧). «ينادون بأسمائهم في الأراضي»، آملين بذلك أن يخلدوا ذكرى أنفسهم. وإذا كانت أملاكهم وأراضيهم تحتفظ بأسمائهم كتذكار، فإن ذلك لمجد هزيل، وكثيرا ما تتغير هذه الأسماء بتغير المالك. «باطنهم أن بيوتهم إلى الأبد»، وهم يسعدون أنفسهم بهذا الاعتقاد.

ثانيا: وصف لحماقتهم في هذا: وبصفة عامة (ع ١٣) «هذا طريقهم اعتمادهم»، وفي ترجمة أخرى: (هذا مصير الجهال الواثقين بأنفسهم). والله نفسه وصف الرجل الغني بالغباء الذي اعتقد أن خيراته ستكفيه لسنين عديدة، وأنها ستكون مصدر سعادة نفسه (لو ١٢: ١٩ و٢٠). إن محبة العالم مرض يجري في الدم، والناس يصابون به بالطبيعة، إلى أن تشفيهم نعمة الله من هذا المرض. فبالرغم من كل ثرواتهم لا يستطيعون إنقاذ حياة أعز صديق لهم في العالم، أو يشترون له تأجيلا بتنفيذ الحكم حين يقبض عليه الموت (ع ٧– ٩). الحياة الأبدية تشبه لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن لا يمكن شراؤها حتى بثروة هذا العالم كله. ونحن لا نحصل على الفداء «بأشياء تفنى بفضة أو ذهب» (١بط ١: ١٨ و١٩). والمسيح عمل من أجلنا ما لا تستطيع أن تعمله ثروات العالم كله، وعلى ذلك يجب أن يكون عمله لأجلنا أعز من كل شيء في هذا العالم. والمسيح عمل من أجلنا ما لا يستطيع أن يعمله صديق أو أخ أو أحسن الممتلكات أو الأموال، ولذلك من أحب أبا أو أخا أكثر منه فلا يستحقه. بعض الأغنياء حكماء، ومنهم رجال سياسة، ولكنهم لا يستطيعون أن يغلبوا الموت، أو يتفادوا ضربته. فبالرغم من كل مهاراتهم وحسن إدارتهم، إلا أن ذلك لن يكون سببا لمسامحتهم بل سيهلكون ويختطفهم الموت، تماما مثل الحكماء الذين عملوا الأذى ببراعتهم. وكما أن ثرواتهم لن تفيدهم شيئا ساعة الموت هكذا أيضا لن تنفعهم مكانتهم (ع ١٢): «والإنسان في كرامة لا يبيت». ولنفترض أن رجلا وصل إلى أعلى مراتب التقدم والارتقاء، وبلغ أقصى مراتب العظمة والسعادة التي يمكن أن يقدمها العالم، لكنه مع ذلك «لا يبيت» ومجده لا يستمر.. إنه كظل عابر. إن حالتهم بعد الموت ستكون في منتهى البؤس، في حين أن أيا من القديسين يمكنه أن يسأل الموت المتجبر: «أين شوكتك يا موت؟» فإن الموت بمقدوره أن يسأل الخاطئ المتكبر: «أين ثروتك. أين أبهتك؟» جمال القداسة، هو جمال، لا يستطيع القبر– الذي يلتهم كل جمال آخر– أن يمسه، أو يلحق به أي ضرر.

عدد ١٥– ٢٠

سبب قوي أُعطي للأتقياء.

أولا: لماذا لا يجب عليهم الخوف من الموت؟ فليس هناك سبب لذلك الخوف إذا ما كان لهم رجاء مريح كرجاء داود هنا، إذ يتطلع إلى حالة سعيدة في عالم ما بعد الموت (ع ١٥). فالآمال التي تقوم على الإيمان بفداء النفس من القبر، وقبولها في المجد، هي أعظم دعامة وفرح لأولاد الله ساعة الموت، ذلك أنهم يأملون:

(١) في أن الله سيفدي نفوسهم من قوة القبر التي تتضمن:

أ. حفظ النفس من الذهاب إلى القبر مع الجسد. فالقبر له سلطان على الجسد. بناء على الحكم الوارد في تكوين ٣: ١٩، وهو شديد القسوة في استخدام هذا السلطان (نش ٨: ٦) ولكنه ليس له مثل هذا السلطان على النفس. فسلطانه يمكن أن يسكت الجسد ويسجنه ويفنيه، أما النفس فبوسعها أن تتحرك، وتعمل وتتحدث بأكثر حرية عن ذي قبل (رؤ ٦: ٩ و١٠)، فهي ليست مادة، كما أنها خالدة. وحين يكسر الموت زجاج السراج، فإنه لا يطفئ الشمعة التي كانت حبيسة فيه.

ب. إعادة اتحاد النفس والجسد عند القيامة. «إنما الله يفدي نفسي من يد الهاوية» (ع ١٥)، ولذلك

فالموت الأول ليس له شوكة والقبر ليس له نصرة.

(٢) سوف يتسلمهم الله نفسه. فهو يفتدي أرواحهم، ويتسلمها (مز ٣١: ٥): «في يدك أستودع روحي. فديتني يا رب»، وسوف يأخذهم إلى نعمته، ويدخلهم إلى ملكوته، إلى المنازل التي أعدت لهم (يو ١٤: ٢ و٣)، تلك المنازل الأبدية (لو ١٦: ٩).

ثانيا: لماذا لا يجب أن يخافوا من ازدهار الأشرار وقوتهم في هذا العالم؟

(١) يفترض أن تجربة حسد نجاح الأشرار تجربة قوية، ذلك أنه يرى أنهم صاروا أغنياء وبالتالي تمكنوا من فرض شرائعهم على كل من حولهم وجعلوا كل شيء تحت أمرهم. وهم قانعون وواثقون جدا في أنفسهم وفي أفكارهم (ع ١٨): «لأنه في حياته يبارك نفسه»، أي أنه يعتقد في نفسه أنه رجل سعيد جدا، دليل ذلك أنه ازدهر في العالم. فالمؤمنون يتبركون «بإله الحق» (إش ٦٥: ١٦)، ويعتقدون أنهم سعداء إذا كان الله معهم. أما الجسديون فيتبركون بثروة العالم، ويعتقدون أنهم سعداء إذا كانت لهم وفرة من الثروة. وهم يستحسنون في أنفسهم ما يشجبه الله، ويقولون في أنفسهم سلاما، في حين أن الله يعلن حربا ضدهم. فالدنيوي يمجد ذاته. أما أنتم فلا تتكلمون بفخر عن أنفسكم لكنكم تعملون أعمالا صالحة، وعندما تفوزون بحياتكم الأبدية فإنكم ستمدحون. إن لم يكن المدح من الناس فسيكون المدح من الله، وهذا سيكون الشرف الأبدي الذي ستنالونه.

(٢) يقترح ما هو كاف لإزالة قوة التجربة، وذلك بتوجيهنا للنظر إلى نهاية الخطاة المزدهرين (مز ٧٣: ١٧). «عند موته»، يذهب إلى عالم آخر، لكنه «لا يأخذ» معه شيئا من كل ما ظل يكومه لمدة طويلة. والنعمة مجد يصعد معنا، ولكن ما من مجد أرضي ينزل وراءنا. سيدخل «إلى جيل آبائه».. آبائه الأشرار الدنيويين الذين كان يستحسن أقوالهم ويسير على نهج خطاهم.. إلى آبائه الذين لم يسمعوا لكلمة الله (زك ١: ٤). فالأحمق، الشرير، إذا كان في كرامة، فإنه في واقع الأمر يكون كأي حيوان تحت الشمس، فإنه «يشبه البهائم التي تباد»، والواقع أنه كان من الأفضل أن يكون بهيمة عوض أن يكون إنسانا يجعل نفسه مثل البهيمة.

المزمور الخمسون

مزمور لآساف

هذا المزمور، كسابقه، هو مزمور تعليمي، وليس مزمور صلاة أو تسبيح. والله- خلال نبيه- يخاطب في هذا المزمور، الذين هم من ناحية الإيمان أبناء الكنيسة، لكي يقنعهم بخطيتهم وحماقتهم لأنهم حصروا ديانتهم في الخدمات الطقسية، في الوقت الذي أهملوا فيه التقوى العملية.

• كبرهان لليهود الجسدانيين سواء الذين اقتصروا في ديانتهم على الممارسات السطحية، وأهملوا الواجبات الرائعة الأهم مثل الصلاة والتسبيح، وكذلك أولئك الذين يشرحون الناموس للآخرين، أما أنفسهم فيعيشون حياة كلها شر.

• كنبوة لإبطال الناموس الطقسي، وتقديم أسلوب روحي للعبادة وذلك في ملكوت المسيح وبواسطته (يو ٤: ٢٣ و٢٤).

• كتذكرة ليوم الدينونة، حيث سيطلب الله من الناس حسابا بخصوص مدى حفظهم للأمور التي تعلموها، وسوف يحاسب الله الناس طبقا لما هو «مكتوب في الأسفار»، ولذلك كان من المناسب أن يقدم لنا المسيح وهو يتكلم كقاضٍ، كما يقدمه وهو يتكلم كواضع الناموس.

نجد في هذا الأصحاح:

أولا: الظهور المجيد للملك الذي يعطي الناموس والدينونة (ع ١- ٦).

ثانيا: تعليمات صادرة لمن يعبدونه، بأن يحولوا ذبائحهم إلى صلوات (ع ٧- ١٥).

ثالثا: توبيخ لمن يتظاهرون بأنهم يعبدون الله ولكنهم يعصون وصاياه (ع ١٦- ٢٠)، وحُذروا من المصير الذي ينتظرهم (ع ٢١ و٢٢)، كما جاء التحذير للجميع بأن يهتموا بسلوكياتهم قدر اهتمامهم بعبادتهم (ع ٢٣).

عدد ١- ٦

من المحتمل أن آساف لم يكن القائد الموسيقي الذي وضع ألحان هذا المزمور بل هو نفسه الذي قام أيضا بكتابته، وفي أيام حزقيا كانوا يسبحون الرب «بكلام داود وآساف الرائي» (٢أخ ٢٩: ٣٠).

أولا: دعيت المحكمة للانعقاد باسم ملك الملوك (ع ١): «إله الآلهة الرب تكلم»- إيل، إلوهيم، يهوه، إله القوة غير المحدودة إله العدل والرحمة، الآب والابن والروح القدس. الله هو القاضي، وقد جاء الابن إلى

العالم للدينونة، والروح القدس، هو روح الدينونة. وقد دعيت كل الأرض إلى الإصغاء.

ثانيا: عقدت المحكمة، وأخذ القاضي مجلسه. وكما قيل حين أعطى الله الناموس لإسرائيل في البرية: «جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران» (تث ٣٣: ٢)، هكذا أيضا حين جاء الله ليوبخهم لريائهم، ولكي يرسل إنجيله ليحل محل الفرائض الطقسية قيل هنا:

(١) «من صهيون... الله أشرق»، كما أشرق عندئذ من قمة جبل سيناء (ع ٢). ولأن أقواله تجددت الآن في صهيون، فقد أعلنت من هناك دينوناته على ذلك الشعب الذي أغاظه، والله الذي يسكن دائما في صهيون، يمكن أن يقال عنه أنه «من صهيون... أشرق». والإنجيل الذي أقام العبادة الروحية كان لابد وأن يخرج «من صهيون» (إش ٢: ٣؛ مي ٤: ٢)، وكان على الكارزين أن يبدأوا «من أورشليم» (لو ٢٤: ٤٧). وقد وصفت صهيون بأنها «كمال الجمال» لأنها كانت الجبل المقدس، والقداسة في الواقع هي كمال الجمال.

(٢) إنه «يأتي... ولا يصمت»، وسوف يظهر غضبه عليهم، ويهدم «حائط السياج المتوسط» الخاص بالناموس الطقسي ولن يبقى بعد ذلك مخفيا، وفي اليوم العظيم «يأتي إلهنا ولا يصمت» وسوف يُسمع دينونته لأولئك الذين رفضوا أن يسمعوا لناموسه.

(٣) سوف يكون ظهوره عظيما ومهولا: «نار قدامه تأكل». ونار دينونته ستفسح الطريق لتوبيخات كلمته، حتى يفزع الخطاة في صهيون فمن ثم يتركون خطاياهم. وحين تم المشروع في إقامة ملكوت إنجيله، جاء المسيح ليلقي «نارا على الأرض» (لو ١٢: ٤٩). وقد أعطى الروح القدس في شكل ألسنة كأنها من نار، سبقها كما من هبوب ريح عاصف (أع ٢: ٢ و٣). وفي الدينونة الأخيرة سيأتي المسيح في نار لهيب (٢تس ١: ٨).

(٤) وكما جاء على جبل سيناء «في ربوات قديسيه»، هكذا نراه الآن «يدعو السماوات من فوق» لكي تشهد الموكب العظيم (ع ٤).

ثالثا: الأطراف التي استدعيت (ع ٥): «اجمعوا إليَّ أتقيائي». ويمكن فهم هذه العبارة على النحو التالي:

(١) عن القديسين فعلا. حين يرفض الله عبادات الذين يكتفون بتقديم الذبائح فقط، حيث يمارسون شكليات الديانة فقط. وسوف يقبل بنعمته أولئك الذين إذ يقدمون له «ذبيحة» يقطعون معه عهدا.. «القاطعين عهدي»، وبذلك يشهدون نهاية الفريضة الخاصة بالذبائح. ومن خلال الذبيحة فقط، من خلال المسيح الذبيح العظيم (الذي منه أخذت الذبائح الشرعية قيمتها) نستطيع نحن، الخطاة المساكين أن ندخل في عهد مع الله، حتى يقبلنا إليه.

(٢) أو ربما تفهم على أن المقصود بها هم القديسون في الإيمان، مثلما كان عليه حال شعب إسرائيل الذين سموا: «مملكة كهنة وأمة مقدسة» (خر ١٩: ٦).

رابعا: التنبؤ بنتيجة هذه المحاكمة المبجلة (ع ٦): «وتخبر السماوات بعدله»، وهي السماوات التي دعيت لتكون شاهدة على المحاكمة (ع ٤) فإن الساكنين في السماء سيقولون «هللويا». وكما أن «السماوات تحدث بمجد الله»، وبحكمة وقوة الله «الخالق» (مز ١٩: ١)، فهكذا أيضا وبنفس القدر فإنهم سيعلنون على الملء مجد الله «القاضي» وعدله وبره، وبصوت عال يعلن كلاهما ذلك حتى إنه «لا قول ولا كلام. لا يسمع صوتهم» كما نقرأ بعد ذلك في مزمور ١٩: ٣.

عدد ٧– ١٥

يتعامل الله هنا مع أولئك الذين تتركز كل ديانتهم على مراعاة الناموس الطقسي واعتقدوا أن ذلك أمر كاف.

أولا: يضع هنا الاتفاق الأصلي بينه وبين إسرائيل.

ثانيا: يستخف بالذبائح الشرعية (ع ٨).

(١) يمكن اعتبار هذا على أنه نظرة إلى الماضي، إلى استعمال هذه الذبائح في ظل الناموس. لقد كان ثمة نزاع بين الله واليهود، ولكن ما أساس هذا النزاع؟ ظنوا أن الله مدين لهم بشكل كبير نظير

الذبائح الكثيرة التي يقدمونها على مذبحه. لكن الله يبين لهم هنا أنه ليس في حاجة إلى ذبائحهم. فما حاجته إلى ثيرانهم وكباشهم وهو الذي له «حيوان الوعر والبهائم على الجبال الألوف» (ع ٩ و١٠). وكفاية الله غير المحدودة تثبت عدم كفايتنا لأن نضيف له أي شيء بالمرة. وما كان الله ليستفيد من ذبائحهم «هل آكل لحم الثيران؟» إنها لحماقة منهم أن يعتقدوا أن ذبائحهم، في حد ذاتها، وبسبب أية ميزة فيها، يمكنها أن تضيف أية مسرة أو مجد لله، لأن هذا معناه تصور أن الروح غير المحدود يمكن أن يعال بالطعام والشراب كما هو الحال بالنسبة لأجسادنا. كلا، لأن «الاستماع أفضل من الذبيحة»، ومحبة الله والقريب هي «أفضل من جميع المحرقات».

(٢) يمكن اعتبار هذا بأنه تطلع إلى إلغاء هذه الذبائح بإنجيل المسيح فحين يقيم الله ملكوت المسيح سوف يبطل الطريقة القديمة للعبادة بالمحرقات والذبائح. فلن يريد أن تكون هذه المحرقات «دائما» قدامه (ع ٨). ولن يطلب ممن يعبدونه أن يقدموا له بعض ثيرانهم وكباشهم لكي تحرق على مذبحه (ع ٩).

ثالثا: يوجهنا إلى أفضل الذبائح أي الصلاة والتسبيح، على اعتبار أنها كانت، في ظل الناموس- تفضل على كل المحرقات والذبائح، والتى كان يشدد عليها أكبر تشديد، والتي هي الآن- في ظل الإنجيل- حلت محل تلك الفرائض الجسدية. وهو يبين لنا هنا (ع ١٤ و١٥) ما هو حسن، وما الذي يطلبه منا الرب إلهنا لكي يقبله، حين تهمل الذبائح وتستبدل.

(١) يجب أن نقر بخطايانا معترفين بها: اعترف لله، «القلب المنكسر والمنسحق» هو الذبيحة التي لا يحتقرها الله (مز ٥١: ١٧). فإن لم تترك الخطية، لا تُقبل ذبيحة الخطية.

(٢) يجب أن نقدم الشكر لله على مراحمه لنا: «اذبح لله حمدا»، كل يوم، نعم كل يوم «سبع مرات في النهار سبحتك» وهذا «يستطاب عند الرب» إذا جاء من قلب شاكر متواضع «أكثر من ثور بقر ذي قرون وأظلاف» (مز ٦٩: ٣١).

(٣) يجب أن نكرس أنفسنا لأداء عهودنا معه: «وأوفِ العلي نذورك»، اترك خطاياك، واعمل واجبك على أكمل وجه. البعض يطبق هذا على فريضة الإنجيل العظيمة الخاصة بالأفخارستيا، التي بها نقدم الشكر لله على محبته العظيمة في إرساله ابنه لكي يخلصنا. وبدلا من كل رموز العهد القديم التي كانت تشير إلى المسيح الآتي، أصبح لدينا الذكرى المباركة للمسيح الذي جاء بالفعل.

(٤) في يوم الشدة علينا أن نتوجه إلى الله بصلاة حارة مخلصة (ع ١٥): «وادعني في يوم الضيق».

عدد ١٦- ٢٣

وإذ أرشد الله شعبه- بواسطة صاحب المزامير- على الطريقة السليمة لعبادته، يأتي هنا ليوجه كلامه إلى الأشرار.

أولا: الاتهام الذي وجهه إليهم.

(١) اتهموا بانتهاك واغتصاب كرامة الديانة ومميزاتها «وللشرير قال الله ما لك تحدث بفرائضي؟» (ع ١٦) وهذا يشكل تحديا لأولئك الذين هم نجسون فعلا ولكنهم في الظاهر يبدون أتقياء ليظهروا بأي حق يرتدون عباءة الدين. ويعتقد البعض أن هذه العبارة تشير بالنبوة إلى الكتبة والفريسيين الذين كانوا معلمي الكنيسة وقادتها، في الوقت الذي كان يقام فيه ملكوت المسيح، والأسلوب الإنجيلي للعبادة، والذين أشير إليهم في الأعداد السابقة. لقد عارضوا بعنف هذه الثورة العظيمة، واستخدموا كل ما كانوا يمتلكونه من قوة ونفوذ توفر لهم نتيجة جلوسهم على كرسي موسى لكي يقاوموها. غير أن ما قاله عنهم مخلصنا المبارك (مت ٢٣)، والقديس بولس (رو ٢: ٢١ و٢٢)، يجعل هذا التعنيف ينطبق عليهم تماما. لقد أخذوا على عاتقهم أن يعلنوا فرائض الله، لكنهم كرهوا تعليم المسيح، ولذلك أي حق لهم لتفسير الناموس، ماداموا قد رفضوا الإنجيل؟ غير أن هذا القول ينطبق على كل الذين يرتكبون الإثم، وفي ذات الوقت يتظاهرون بالتقوى، ولاسيما إذا كانوا أيضا من الكارزين بها.

(٢) اتهموا بأنهم انتهكوا واعتدوا على نواميس الديانة ومبادئها: «قد أبغضت التأديب»، أي كرهوا تعليمه. كانوا يحبون أن يعلموا الناس، وأن يخبروا الآخرين ما الذي يجب عليهم عمله، لأن هذا كان يشبع كبريائهم، لكنهم كانوا يبغضون أن يتلقوا التعليم من الله نفسه، لأنهم يعتقدون أن في هذا إذلالاً لهم

«وألقيت كلامي خلفك».

أ. تحالف وثيق مع أسوأ الخطاة (ع ١٨): «إذا رأيت سارقا» فعوض أن توبخه «وافقته»، تقبلت ممارساته، ورغبت أن تشاركه أرباح هذه الحرفة اللعينة «ومع الزناة نصيبك».

ب. إصرار مستمر على ارتكاب أسوأ خطايا اللسان (ع ١٩): «أطلقت فمك بالشر»، لم تسمح لنفسك أن تمارس كل نوعيات الكلام الشرير فقط، بل أدمنته تماما. الكذب: «ولسانك يخترع غشا». تشويه السمعة (ع ٢٠): «تجلس تتكلم على أخيك»، تتكلم عليه بالشر وتسيء إلى سمعته، فأنت تسخر وتغتاب أولئك الذين كان من المفروض أن تحترمهم وتعطف عليهم.

ثانيا: دليل هذا الاتهام (ع ٢١): «هذه صنعت»، والأمر واضح لا تستطيع معه إنكارا، والخطأ شنيع لا يمكن مسامحته، هذه الأمور يعرفها الله، وأنت تعلم تماما أنك صنعتها.

ثالثا: صبر القاضي، وسوء استغلال الخاطئ لهذا الصبر: «وسكت»، لم أزعجك بأي شكل كان في طرقك الردية، تركتك تعمل ما تريد، وأخرت الحكم على شرورك، ولم أنفذه على وجه السرعة. وكان صبره عجيبا بالأكثر، لأن الخاطئ استغله على هذا النحو السيئ. والخطاة يعتبرون سكوت الله على أنه موافقة على ما يعملون، ويفهمون صبره على أنه متواطئ معهم، ولذلك كلما طال صبر الله عليهم تقست قلوبهم.

رابعا: التحذير العادل الذي أعطي بالنسبة للمصير الرهيب الذي ينتظر المرائين (ع ٢٢): «افهموا هذا يا أيها الناسون الله»، ليكن في علمكم أن الله يعرف جميع خطاياكم ويسجلها عليكم، ومن يسيء استغلال صبره، سيزيد من غضبه عليه بدرجة كبيرة، لأنكم ما لم تتأملوا في هذه الأمور، وتصلحوا من شأنكم سوف يفترسكم «ولا منقذ».

خامسا: تعليمات مفصلة أعطيت لنا جميعا عن كيفية تفادي هذا المصير الرهيب.

(١) غاية الإنسان الرئيسية هي تمجيد الله، وقيل لنا هنا إن «ذابح الحمد» يمجده، سواء كان يهوديا أم وثنيا، وهذه الذبائح الروحية سيتقبلها الله. علينا أن نسبح الله، ونوجه له التسابيح مباشرة، كما كانت توجه له كل ذبيحة. ولتتأكد من أن ذلك تم بواسطة النار، النار المقدسة، التي أشعلت بواسطة لهيب المحبة المقدسة المخلصة.

(٢) غاية الإنسان الرئيسية، فيما يتعلق بهذا، هو التمتع بالله، ولقد قيل لنا هنا إن «المقوم طريقه»، سوف يريه «خلاص الله». الشكر أمر طيب، غير أن المحبة أفضل.

المزمور الحادي والخمسون

لإمام المغنين. مزمور لداود عندما جاء إليه ناثان النبي بعدما دخل إلى بثشبع

هذا المزمور هو أبرز مزامير التوبة، وهو يعبر أبلغ تعبير عن اهتمامات الخاطئ التائب ورغباته.

وفي هذا المزمور.

أولا: يعترف داود بخطيته (ع ٣ – ٦).

ثانيا: يصلي بحرارة من أجل غفران خطيته (ع ١ و٢، ٧، ٩).

ثالثا: ومن أجل راحة الضمير (ع ٨، ١٢).

رابعا: أن يعطى نعمة ولا يخطئ بعد ذلك (ع ١٠ و١١، ١٤).

خامسا: حرية الاقتراب إلى الله (ع ١٥).

سادسا: وعد أن يبذل كل ما في وسعه من أجل خير نفوس الآخرين (ع ١٣) ولمجد الله (ع ١٦ و١٧، ١٩). وأخيرا، يختتم بصلاة من أجل صهيون وأورشليم (ع ١٨). والذي تتهمهم ضمائرهم بأية خطية كبيرة، عليهم في إطار الإيمان بيسوع المسيح، الوسيط، أن يستخدموا هذا المزمور مرارا وتكرارا في صلواتهم.

عدد ١ – ٦

العنوان له علاقة بقصة محزنة للغاية، تتعلق بخطية داود.

• الخطية التي يحزن لها في هذا المزمور كانت الحماقة والشر الذي ارتكبه مع زوجة جاره. وقد سجلت خطية داود هذه كتحذير للكل، حتى إن الذي يعتقد أنه قائم، عليه أن يأخذ حذره لئلا يسقط.

• التوبة التي يُعبر عنها في هذا المزمور، إنما جاءت من خلال خدمة ناثان الذي أرسله الله لكي يحكم عليه بسبب خطيته. غير أن الذين سقطوا في أي خطأ عليهم أن يعتبروا أي توبيخ أمين يوجه لهم على أنه أفضل خدمة يمكن أن تقدم لهم، والموبخ الحكيم هو أفضل صديق لهم. «ليضربني الصديق فرحمة، وليوبخني فزيت للرأس».

• وإذ أدين داود بسبب خطيته، سكب نفسه أمام الله في الصلاة طالبا رحمته ونعمته.

• بإلهام إلهي، صاغ ما اعتمل في قلبه نحو الله بهذه المناسبة، في شكل مزمور.

ونجد في كلماته هذه:

أولا: التماس داود بكل خشوع (ع ١). كانت صلاته إلى حد كبير تماثل الصلاة التي وضعها مخلصنا في فم العشار التائب الذي ورد ذكره في المثل: «اللهم ارحمني أنا الخاطئ» (لو ١٨: ١٣). ولم يحاول داود أن يوازن أعماله الشريرة بأعماله الحسنة، بل ولم يفكر إطلاقا في أن خدماته ستكفر عن سيئاته، ولكنه لجأ إلى رحمة الله غير المحدودة، واتكل عليها دون غيرها من ناحية الغفران والسلام: «ارحمني يا الله».

(١) ماذا كانت حجته في طلب هذه الرحمة «ارحمني يا الله». ارحمني على أساس رحمتك. ليس لدي ما استند إليه في طلبها، غير أنه:

أ. كثرة رحمتك، ومحبتك الغافرة وعفوك، وصلاحك، الأمور التي تجعلك تشفق على من هم في محنة.

ب. كمال رحمتك.

(٢) ما هي الرحمة التي يلتمسها.. مغفرة الخطية: «امح معاصي»، كما يُشطب الدَّين أو يمحى من السجل، وذلك إما بعد أن يقوم المدين بالسداد أو يلغيه الدائن: «اغسلني كثيرا من إثمي ومن خطيتي طهرني». ولقد أكد ناثان لداود، عقب أول اعتراف له بالتوبة أن الله غفر له: «الرب أيضا قد نقل عنك خطيتك. لا تموت» (٢صم ١٢: ١٣). ومع ذلك صلى داود قائلا: «اغسلني... طهرني».. «امح معاصي». لقد غفر له الله، لكنه لم يستطع أن يغفر لنفسه، ولذلك كان على هذه الدرجة من الإلحاح في طلب المغفرة.

ثانيا: اعترافات داود بالتوبة (ع ٣ – ٥).

(١) كان صريحا للغاية في اعترافه بإثمه أمام الله: «لأني عارف بمعاصيّ». سبق أن وجد أن هذه هي الطريقة الوحيدة ليهدئ من عذاب ضميره (مز ٣٢: ٤ و٥). قال ناثان لداود: «أنت هو الرجل». فقال داود لناثان: «قد أخطأت».

(٢) كان شعوره عميقا بمدى إثمه ومن ثَم كان دائم التفكير فيه وهو في غاية الحزن والخزى: «وخطيتي أمامي دائما».

أ. يعترف بآثامه الحالية (ع ٤): «إليك وحدك أخطأت». وأفضل الرجال، تراهم إذا أخطأوا يقدمون أفضل مثال للتوبة. ولقد نشر داود اعترافه بخطيته، حتى إذا ما حدث ووقع بعد ذلك في أية متاعب لا يقال إن الله ظلمه، لأنه يعترف بأن الله بار. هكذا بالنسبة لكل التائبين الحقيقيين، عليهم أن يبرروا الله، وذلك بإدانة أنفسهم «أنت بار في كل ما أتى علينا».

ب. يعترف بفساده الأصلي (ع ٥): «هأنذا بالإثم صورت». يعترف داود في موضع آخر عن تركيب جسمه العجيب (مز ١٣٩: ١٤ و١٥)، «أني قد امتزت عجبا»، ومع ذلك نراه هنا يقول إنه بالإثم صور. لقد تشكلت الخطية معه، ولكنها لم تأت من يدي الله. إنه لمما يدعو كل منا إلى الحزن العميق أننا أحضرنا معنا إلى العالم طبيعة فاسدة، حيث أنها مع بالغ الأسف تفسخت بعد أن كانت في الأساس طاهرة مستقيمة. وهذا ما نسميه «الخطية الأصلية"، لأنها قديمة قدم أصلنا، ولأنها أصل معاصينا الحالية. إنها ميل إلى الابتعاد عن الله.

ثالثا: اعتراف داود بنعمة الله (ع ٦)، من ناحية شعوره الطيب نحونا «ها قد سررت بالحق في الباطن»، وتريدنا جميعا أن نكون أمناء مخلصين، صادقين في إيماننا، وعمله الصالح فينا، «ففي السريرة تعرفني حكمة». والحق والحكمة لهما دور كبير في جعل الإنسان صالحا. وما يريده الله منا، يعمله فينا، ويعمله بالطريقة العادية، حيث ينير الذهن، وبذلك يحصل على الإرادة. وتوجه داود باستقامة قلبه إلى الله في

توبته، ولذلك لم يعتريه شك في أن الله سيقبله. وكان يأمل في أن الله سيعطيه القدرة على تنفيذ ما اتخذه من قرارات في الباطن، في الإنسان الجديد، الذي سمي «إنسان القلب الخفي» (١بط ٣: ٤)، وسوف يعلمه حكمة حتى يدرك ويتجنب مؤامرات المجرب بعد ذلك.

عدد ٧- ١٣

أولا: لنر هنا ما يصلي داود مَن أجله. وهو يرفع هنا تضرعات كثيرة، وإذا كان لنا أن نضيف شيئا، من أجل المسيح، فليكن بحسب الإنجيل شأنه شأن أية تضرعات أخرى.

(١) تضرع من أجل أن يغسله الله من إثمه وما نجم عنه من نجاسة لحقت به (ع ٧): «طهرني بالزوفا». هذا التعبير يشير إلى قاعدة طقسية، خاصة بتطهير الأبرص، أو أولئك الذين تنجسوا نتيجة لمس ميت، وذلك برشهم بالماء أو الدم أو كليهما وذلك بحزمة من الزوفا، وبهذا ترفع أخيرا القيود التي فرضت عليهم نتيجة نجاستهم. اجعلني يا رب واثقا تماما من عودتي إلى سابق نعمتك. ولكن ذلك قام على أساس نعمة الإنجيل: «طهرني بالزوفا»، أي بدم المسيح الذي يطهر نفسي بواسطة إيمان حي، كما كان ماء التطهير يرش بحزمة من الزوفا. لهذا السبب سمي دم المسيح «دم رش» (عب ١٢: ٢٤) وهو الذي يطهر الضمير من أعمال الموت، ومن إثم الخطية والخوف من الله الذي يبعدنا عن الشركة معه، مثلما تبعد لمسة جسد الميت- طبقا للناموس- أي رجل من ديار بيت الله.

(٢) يصلي حتى إنه- فيما غفرت خطاياه- ينعم براحة هذه المغفرة. ولم يطلب أن يتعزى إلا بعد أن يطهر أولا، غير أنه إذا ما طُرحت الخطية بعيدا، والتي هي الأساس المر للحزن، يصبح بمقدوره أن يصلي بالإيمان: «اسمعني سرورا وفرحا» (ع ٨) بمعنى، دعني أتمتع بسلام راسخ، من صنعك، ومن كلامك. والألم الذي يعتصر القلب الذي انكسر حقا بسبب الخطية يمكن أن يقارن بالإثم الناتج عن كسر في العظام، وإنه نفس الروح الذي باعتباره روح العبودية يضرب ويجرح، كروح التبني يشفي ويعصب (انظر رومية ٨: ١٥ و١٦).

(٣) يصلي من أجل غفران كامل وفعَّال. وهذا هو أكثر ما كان يتلهف إليه كأساس لراحته (ع ٩): «استر وجهك عن خطاياي»، أي لا تدعها تغيظك حتى تعاملني بحسب ما استحق، فهي قدامي دائما، فلتطرحها وراء ظهرك. «وامح كل آثامي»، امحها من سجل حساباتك، امحها كما يمحى الغيم بأشعة الشمس (إش ٤٤: ٢٢).

(٤) يصلي من أجل تقديسه بالنعمة. وكان اهتمامه الأكبر ينصب على أن تتغير طبيعته الفاسدة، ولذلك صلى قائلا: «قلبا نقيا اخلق فيَّ يا الله وروحا مستقيما جدد في داخلي»، رد لي قوتي الروحية كما من قبل. جدد فيَّ روحا دائما (كما في ترجمة أخرى). لقد اكتشف بالنسبة لهذا الموضوع، كثيرا من التقلب والتحول مع نفسه، ولذلك صلى احفظني في المستقبل حتى لا أبتعد عنك أبدا.

(٥) صلى من أجل استمرارية مشيئة الله الصالحة نحوه وتقدم أعماله الصالحة فيه (ع ١١): «لا تطرحني من قدام وجهك» كشخص تبغضه ولا تستطيع أن تتحمل النظر إليه. «وروحك القدوس لا تنزعه مني». سوف نهلك لا محالة إذا ما نزع الله روحه القدوس منا. ويعد شاول نموذجا حزينا لهذا. فكم زادت خطاياه، وكم زادت تعاسته حين فارقه روح الرب. كان داود يعرف ذلك، ومن ثَم تضرع إلى الرب بحرارة: أيا كان ما تأخذه مني، سواء كان ذلك أولادي، أو تاجي، أو حياتي أفعل يا رب ما تشاء، ولكن «روحك القدوس لا تنزعه مني».

(٦) صلى من أجل استعادة التعزيات الإلهية والشركة الدائمة للنعمة الإلهية (ع ١٢) : «رد لي بهجة خلاصك». وأي ابن لله لا يعرف فرحا حقيقيا راسخا سوى فرح خلاص الله، الفرح في الله مخلصه، فرح في رجاء الحياة الأبدية: «وبروح منتدبة اعضدني». إني معرض للسقوط، إما في الخطية، وإما في اليأس. فعضِّدني، فلست كفؤا من نفسي، فلو تُركت لنفسي سأغرق بكل تأكيد.

ثانيا: ويعد داود هنا (ع ١٣): «فأعلم الأثمة طرقك». لقد كان هو نفسه من الآثمين، ومن ثم بمقدوره أن يحدثهم عن اختبار، وإذا وجد رحمة لدى الله عن طريق التوبة، فلقد أصبح بمقدوره أن

يعلم الآخرين طرق الله. والتائبون يجب أن يكونوا وعاظا «والخطاة إليك يرجعون».

عدد ١٤ - ١٩

أولا: يصلي داود ضد إثم الخطية، كما يصلي من أجل نعمة الله، مدعما كلا التضرعين بحجة مأخوذة من مجد الله، حيث يعد شاكرا بأن يظهره. أما الخطية التي يصلي ضدها هي سفك الدم، وهي الخطية التي كان هو الآن مذنبا بارتكابها، حيث قتل أوريا بسيف بني عمون. وقد وعد أنه إذا خلصه الله «فيسبح لساني برك»، ويجب أن يرجع المجد لله سواء بالنسبة لرحمته الغافرة، أو بالنسبة لنعمته الواقية. لقد صلى من أجل نعمة الله، ووعد بأن يستخدم هذه النعمة من أجل مجده (ع ١٥): «يا رب افتح شفتي»، ليس لكي أعلم وأرشد الخطاه فقط، بل لكي يخبر «فمي بتسبيحك»، حتى يكون لي قلب يلهج في تسبيحك. لقد سدت الخطية شفتيه، ولذلك لم تكن لديه ثقة ليتوجه إلي الله. أما بالنسبة لمعقود اللسان بسبب شعورة بإثم الخطية فإن يقين غفران خطاياه يقول له بكل فعالية: «إفتا» (انفتح)، وحين تنفتح الشفاة، فما الذي ينبغي أن تنطق به سوى أن تسبح الله.

ثانيا: قدم داود ذبيحة توبة قلب منسحق. وكان يعرف أن تقديم الذبائح الحيوانية لم يكن بالأمر الذي يهم الله في شيء (ع ١٦). وبما أنها لا تستطيع أن تقدم لله ترضية عن الخطية، ولذا فإن الله لا يسر بها إلا في حدود كونها تعبر عن محبة الله، والشعور بالواجب نحوه. وكان يعرف أيضا كيف أن التوبة الصادقة مقبولة لدى الله (ع ١٧)، ذلك أن «ذبائح الله هي روح منكسرة». وفي هذا تم إنجاز عمل مؤلم، ليس أقل إيلاما من انسحاق القلب، ولكن ليس في يأس، بل في اتضاع ضروري وحزن حقيقي بسبب الخطية. إنه قلب يتكيف مع كلمة الله، وقلب خاضع وطائع، إنه قلب رقيق، مثل قلب يوشيا، يرتعد أمام كلمة الله. وكسر جسد المسيح من أجل الخطية هو الذبيحة الوحيدة للكفارة، لأنه لا يمكن إزالة الخطية إلا عن طريق هذه الذبيحة فقط. غير أن انسحاق قلوبنا بسبب الخطية هو ذبيحة إقرار.

ثالثا: يتشفع داود من أجل صهيون وأورشليم.

(١) من أجل صالح شعب الله (ع ١٨): «أحسن برضاك إلى صهيون»، أي، أحسن إلى كل من يعبدونك في صهيون، وإلى كل الذين يحبون اسمك ويتقونه، احفظهم من الوقوع في مثل هذه الخطايا الجارحة المهلكة مثل خطاياي، دافع عن كل الذين يتقون اسمك وساعدهم. وأولئك الذين اختبروا بأنفسهم المتاعب الروحية يعرفون كيف يشفقون على من ابتلوا مثلهم، ومن ثَم يصلون من أجلهم. وعلينا ألا ننسى الصلاة من أجل كنيسة الله، والواقع أن سيدنا قد علمنا في صلواتنا اليومية أن نبدأها بقولنا: «ليتقدس اسمك. ليأت ملكوتك».

(٢) من أجل مجد كنائس الله (ع ١٩) . سوف يأتون إلى خيمته بكل المحرقات، التي لم يكن الهدف منها سوى مجد الله، وسوف يقدمون على مذبحه ليس خرافا وكباشا فقط، بل ثيرانا، وهي أكثر الذبائح تكلفة: «حينئذ تُسر» بها بمعنى أنه سيتوافر لدينا سبب في أن نأمل في هذا حين ندرك أن الخطية قد أزيلت، وهي التي كانت تهدد قبولنا. إنها لراحة عظيمة أن نفكر في الشركة القائمة بين الله وشعبه في اجتماعاتهم العامة، وكيف أنه يمجد بخدمتهم المتواضعة له، وهم بدورهم يسعدون في تكرمه بقبولها.

المزمور الثاني والخمسون

لإمام المغنين. قصيدة لداود عندما جاء دواغ الأدومي وأخبر شاول وقال له: «جاء داود إلى بيت أخيمالك».

كان داود في غاية الحزن حين قال لأبياثار: «أنا سببت لجميع أنفس بيت أبيك» حيث قتلوا جميعا بناء على شهادة دواغ الشريرة، ولكي يحصل على بعض من راحة الضمير كتب هذا المزمور.

أولا: وبخ دواغ بما فعله (ع ١).

ثانيا: اتهمه (ع ٢ - ٤).

ثالثا: اصدر الحكم عليه (ع ٥).

رابعا: تنبأ بانتصار الصديقين في تنفيذ الحكم (ع ٦ و٧).

خامسا: عزى نفسه برحمة الله (ع ٨ و٩).

عدد ١ – ٥

العنوان هو إشارة مقتضبة إلى القصة التي يعنيها المزمور والتي وردت في صموئيل الأول ٢٢: ١ – ٢٣.

أولا: يناقش داود القضية بعدل مع ذلك الرجل المتكبر والمتجبر (ع ١). وكان دواغ بحسب وظيفته يوصف بأنه «الجبار»، لأنه كان رئيسا على خدم شاول، وأمينا على بيته. وكان هو الذي يفتخر ليس بقدرته على عمل الشر بل بالشر الذي عمله بالفعل. وليس من الواضح كيف جاءت عبارة «رحمة الله هي كل يوم» في هذا الموضع من المزمور. فالخطاة يسيئون استغلال صبر الله وطول أناته، الأمر الذي تتقسى معه قلوبهم في طرقهم الشريرة. ولأن الله يصنع معهم خيرا بصفة مستمرة، لذلك يتباهون بالشر. غير أن ما يجب أن يؤخذ بالأحرى لبيان كيف أن خطية ذلك الجبار خاطئة هو أن «رحمة الله هي كل يوم».

ثانيا: رفع ضده اتهاما خطيرا أمام محكمة السماء (ع ٢ – ٤). لقد اتهمه بالشر في كلامه، والشر في قلبه. وقد اتهمه بأربعة أمور:

(١) بالحقد وتعمد الأذى: لسانه يسبب «مفاسد»، لا يوخز مثل الأبرة فحسب، بل يقطع «كموسى مسنونة».

(٢) بالغش: لسانه يعمل «بالغش»، الذي يؤذي به الناس (ع ٤)، كان يحب «الكذب» (ع ٣) وبهذا الموسى المسنونة «يخترع مفاسد» (ع ٢). كان يقول الصدق، ولكن ليس الصدق كله. ولن ينقذنا من إثم الخطية بعض الصدق الذي قلناه؛ لأن ظاهره كان يخالف حقيقته.

(٣) بالمكر في الخطية: «لسانك يخترع مفاسد»، أي أنك تنطق بالشر الذي يخترعه قلبك.

(٤) بمحبته للخطية: «أحببت الشر أكثر من الخير». إنك تحب الشر. وتفضل أن ترضي شاول عن طريق الكذب على أن ترضي الله بقولك الحق. الذين هم على شاكلة دواغ، تراهم عوض أن يسروا حينما تلوح لهم فرصة عمل الخير لأي إنسان، تراهم سعداء بأية فرصة تتيح لهم عمل الشر.

ثالثا: قرأ له مصيره وأعلن له دينونات الله ضده بسبب شره، لقد قتلت كهنة الرب وأستأصلتهم، ولذلك «يهدمك الله إلى الأبد» (ع ٥). وقد صدر الحكم على دواغ بالآتي:

(١) بطرده من مسكن الله: «يخطفك ويقلعك من مسكنك»، ليس من مسكنك، بل من مسكن الله. وكان عدلا أن حرم من كل ميزات بيت الله لأنه كان شريرا بالنسبة لخدامه.

(٢) بطرده من العالم: «ويستأصلك من أرض الأحياء» التي كنت تعتقد أنك مخلد فيها.

عدد ٦ – ٩

كان داود في ذلك الحين في محنة بالغة، والأذى الذي ألحقه به دواغ لم يكن سوى بداية أحزانه وآلامه، ومع ذلك نراه هنا ينتصر في ضيقته.

أولا: بسقوط دواغ. وسوف يرون أحكام الله على دواغ ويتحدثون عنها.

(١) مما يؤول إلى مجد الله: «فيرى الصديقون ويخافون» (ع ٦). بمعنى أنهم سيبجلون عدالة الله.

(٢) عار دواغ: «وعليه يضحكون»، ليس بشكل غريب، بل بضحك طبيعي جاد، بل مثلما أن «الساكن في السماوات يضحك» (مز ٢: ٤). سيبدو أمامهم سخيفا، ومن ثَم يستحق أن يُضحك عليه ويقولون: «هوذا الإنسان الذي لم يجعل الله حصنه». والذي دمر نجاح دواغ هو:

أ. لم يبنِ على الصخر: «لم يجعل الله حصنه». الذين يعتقدون أنهم يستطيعون الاعتماد على قوتهم وغناهم بمعزل عن الله والديانة إنما يخدعون أنفسهم ويجرونها إلى الهلاك.

ب. بنى على الرمال. اعتقد أن ثروته تسند نفسها: «اتكل على كثرة غناه»، حيث تصور أنها «موضوعة لسنين كثيرة».

ثانيا: اتكل على رسوخه وثباته (ع ٨ و٩): هذا الرجل القوي أُقتلع من جذوره «أما أنا فمثل زيتونة خضراء»، زُرعت وتمكنت جذورها، تأصلت وازدهرت. لقد طُرد من بيت الله أما أنا فقد ترسخت فيه. ولكن ما الذي يجب علينا عمله لكي نكون مثل

زيتونة خضراء مزدهرة؟ -

(١) يجب أن نحيا حياة الإيمان والثقة التامة في الله ونعمته: «توكلت على رحمة الله إلى الدهر والأبد».

(٢) نحيا حياة الشكر والفرح المقدس في الله (ع ٩): «أحمدك إلى الدهر لأنك فعلت»، لأنك أوفيت لي بوعدك.

(٣) يجب أن نحيا حياة الانتظار والاتكال بخشوع على الله: «وأنتظر اسمك». سأخدمك بكل الطرق التى أعلنت بها عن ذاتك، على رجاء اكتشافات نعمتك لي، ومستعدا أن أتمهل حتى يحين الوقت المعين لها: «فإنه صالح قدام أتقيائك».

المزمور الثالث والخمسون

لإمام المغنين على العود. قصيدة لداود

في هذا المزمور يتكلم الله مرتين، وهذا المزمور يكاد يماثل المزمور الرابع عشر. والقصد منه هو إدانتنا بسبب خطايانا. والكلمة، ككلمة إدانة، شبهت بمطرقة، يجب أن تكرر ضرباتها كثيرا.

والله عن طريق المرنم في هذا المزمور:

أولا: يبين لنا مدى شرورنا (ع ١).

ثانيا: يثبت لنا ذلك بمعرفته الأكيدة (ع ٢ و٣).

ثالثا: يهدد الظالمين بالرعب، وهم أسوأ الخطاة (٤ و٥).

رابعا: يشجع شعب الله الذي لاقى الظلم (ع ٦).

عدد ١ – ٦

(١) حقيقة الخطية. هل تم إثبات ذلك؟ نعم، إن الله شاهد على ذلك. فكل شر قلوبهم وخطايا حياتهم مكشوفة أمامه.

(٢) خطأ الخطية: إن الخطية هي التي جعلت العالم على هذا النحو من الشر، إنها ابتعاد عن الله (ع ٣).

(٣) مصدر الخطية: كيف أصبح الناس على هذا النحو من الشر؟ من المؤكد أنه ليس خوف الله أمام عيونهم. وممارسات الناس الشريرة تنبع من مبادئهم الردية.

(٤) حماقة الخطية: الأحمق هو الذي يتبنى أفكارا فاسدة. والملحدون– سواء من ناحية الأفكار أو الممارسة– هم أكثر الناس حماقة على وجه الأرض. الذين لا يطلبون الله يفتقرون إلى الفهم، وهم يشبهون البهائم، ذلك أن الإنسان يتميز عن البهائم ليس من ناحية قواه العقلية فحسب، بل بقدرته على التدين. و«فاعلو الإثم» يمكن أن يقال عنهم إنهم لا يعرفون شيئا ماداموا لا يعرفون الله (ع ٤).

(٥) رداءة الخطية: الخطاة فاسدون (ع ١)، لقد فسدت طبيعتهم وتلفت، وكلما زاد نبل الطبيعة، زاد شرها حينما تفسد.

(٦) ثمر الخطية: لاحظ مدى درجة الوحشية التي وصل إليها الإنسان نتيجة الخطية، وحين تتقسى قلوب الناس نتيجة ضلال الخطية، يتقسون على إخوتهم، الذين هم عظم من عظامهم. ولأنهم لا يجارونهم في عربدتهم فإنهم «يأكلون شعبي كما يأكلون الخبز»، كما لو أنهم لم يصبحوا حيوانات فقط، بل حيوانات متوحشة.

(٧) الخوف والعار اللذان يلازمان الخطية (ع ٥): «هناك خافوا خوفا»، وجعلوا الله عدوا لهم. والأشرار يهربون وليس من يطردهم. ولكن ما أساس هذا الخوف: السبب هو أن الله سبق وأن «بدَّد عظام» محاصري شعبه. لم يكسر قوتهم ويشتت جيوشهم فقط، بل قتلهم.

(٨) إيمان القديسين، ورجاؤهم وقوتهم على الشفاء من هذا الشر العظيم (ع ٦). سوف يأتي مخلص، ويتحقق خلاص عظيم، خلاص من الخطية.

المزمور الرابع والخمسون

لإمام المغنين على ذوات الأوتار. قصيدة لداود عندما أتى الزيفيون وقالوا لشاول أليس داود مختبئا عندنا

مفتاح هذا المزمور تراه معلقا على الباب، لأن العنوان يخبرنا بالمناسبة التي كُتب فيها– وهي حين أتى سكان زيف، رجال من يهوذا (أسلاف يهوذا الخائن)، حيث وشوا بداود لدى شاول، وأخبروه بمكان داود واقترحوا عليه الطريقة التي تمكنه من الإمساك به. وهذا ما فعلوه مرتين (١صم ٢٣: ١٩ ؛ ٢٦: ١)، وقد سجل هذا لخزيهم

الدائم. والمزمور جميل، الجزء الأول منه ربما تم التفكير فيه حين كان في محنته، ثم كتبه بعد أن زال الخطر مع إضافة العددين الأخيرين اللذين يعبران عن شكره لخلاصه، والذي ربما كتب بالإيمان حتى وهو في وسط مخاوفه.

ونجده هنا:

أولا: يشكو إلى الله من حقد أعدائه، ويصلي لكي يعينه عليهم (ع ١ – ٣).

ثانيا: كان يعزي نفسه بيقينه من نعمة الله وحمايته، ومن أن أعداءه في الوقت المناسب سيرتبكون ويخزون أما هو فسيخلص (ع ٤ – ٧).

عدد ١ – ٣

(١) المحنة البالغة التي كان يعانيها داود. لقد جاء الزيفيون من تلقاء أنفسهم، وأخبروا شاول بمكان داود، مع وعد بأن يسلموه له. وهذا يعلمنا أنه ما من رجل طيب يجب أن يتوقع أن يجد الأمن والطمأنينة إلا بعد أن يذهب إلى السماء. كم كان هؤلاء الزيفيون خونة فضوليين.

(٢) صلاته إلى الله من أجل معونته وخلاصه (ع ١ و٢). لم يكن لدى داود ما يستند إليه سوى اسم الله، ولم يكن له أية قوة أخرى يعتمد عليها سوى قوة الله. وهذان ما اعتمد عليهما واتخذهما ملاذا له ووضع فيهما ثقته. وحتى أثناء هروبه حيث لم تسنح له فرصة مناسبة لمناجاة الله، كان بين الحين والآخر يصرخ إلى الله قائلا: «اسمع يا الله صلاتي»، الخارجة من قلبي، كذلك «اصغ إلى كلام فمي».

(٣) حجته التي أخذت من سمات أعدائه (ع ٣)، كانوا «غرباء »، هكذا كان الزيفيون، ولم يكونوا مستحقين لأن يدعوا إسرائيليين. لقد عاملوني بشر ووحشية بأكثر مما كان سيعمله الفلسطينيون أنفسهم. لقد كانوا «عتاة»، وهكذا أيضا كان شاول، والذي– باعتباره ملكا– كان يجب أن يستخدم نفوذه لحماية كل رعاياه الطيبين، غير أنه أساء استخدام قوته للعمل على هلاكهم. كانوا مرعبين مخيفين. ولم يكونوا يكرهونه ويتمنون له الأذى فقط، بل قاموا جميعا ضده، بكل قوتهم ليضروه. كانوا في غاية البغض والحقد: «طلبوا نفسي». لم يجعلوا الله أمامهم، أي أنهم لم يعودوا يفكرون في الله إطلاقا، ولم يضعوا في الاعتبار أنهم بمحاربتهم شعبه، إنما هم يحاربون الله ذاته.

عدد ٤ – ٧

إيمان داود في صلاته.

أولا: كان على ثقة من أن الله إلى جانبه. «هوذا الله معين لي». وعلى الرغم من أن الناس والشياطين يهدفون دمارنا، إلا أنهم لن ينجحوا في مسعاهم طالما أن الله هو معيننا: «الرب لي بين مُعينيَّ» (مز ١١٨: ٧).

ثانيا: ومادام الله معه فلم يكن يساروه شك في أن أعدائه سيسقطون أمامه (ع ٥): «يرجع الشر على أعدائي». فالشر الذي يضمرونه لي سوف يرده الله البار على رؤوسهم. ولن يحاول داود أن يلحق بهم شرا، غير أنه كان يعرف أن الله سيفعل ذلك: «وأما أنا فكأصم. لا أسمع» ولكنك «أنت تستجيب». ولا يجب علينا أن ننتقم لأنفسنا، ذلك أن الله قال: «لي النقمة». ولكنه صلى قائلا: «بحقك أفنهم». وهذه ليست صلاة وليدة الحقد، بل هي صلاة الإيمان، لأنها قامت على أساس كلمة الله، ولم يطلب فيها إلا تحقيق ما تضمنته من وعد.

ثالثا: وعد بأن يقدم لله الشكر لكل ما اختبره من صلاح الله نحوه (ع ٦): «اذبح لك.. احمد اسمك». والقلب الشاكر، والشفاه التي تحمد اسمه هي الذبائح التي يتقبلها الله.

رابعا: يتحدث عن نجاته كأمر وقع بالفعل (ع ٧): أحمد اسمك وأقول «لأنه من كل ضيق نجاني»، وسوف تكون أغنيتي حينئذ: «وبأعدائي رأت عيني»، لم تراهم وقد قُضي عليهم وتم دمارهم، بل أجبروا على التقهقر، فقد وصلت شاول الأخبار أن الفلسطينيين اقتحموا الأرض (١صم ٢٣: ٢٧ و٢٨). وكل ما كان يبغيه داود هو أن يكون آمنا. وحين رأى شاول يسحب قواته، رأى أن رغبته قد تحققت. ولعل هذا الأمر يشير إلى المسيح، الذي كان داود يرمز إليه، فإن الله سيخلصه من كل المتاعب التي لاقاها في حالة اتضاعه، وكان على ثقة تامة من ذلك، وقيل أن كل شيء وضع تحت قدميه، وعلى الرغم من أننا لا نرى

أن كل الأشياء قد خضعت له، إلا أننا متأكدون أنه سيحكم حتى يخضع كل أعدائه تحت قدميه، وسوف ينظر إليهم في نصرة.

المزمور الخامس والخمسون

لإمام المغنين على ذوات الأوتار. قصيدة لداود

يعتقد مفسرون كثيرون أن داود كتب هذا المزمور بمناسبة ثورة أبشالوم عليه، وأن العدو الذي يتحدث عنه هنا، والذي تعامل معه بخيانة هو أخيتوفل، ولذلك اتخذ البعض من متاعب داود هنا رمزا لآلام المسيح، وخيانة أخيتوفل ترمز إلى خيانة يهوذا، لأن كل واحد منهما خنق نفسه. غير أنه لا يوجد شيء في المزمور ينطبق على المسيح في العهد الجديد. وكان داود في محنة عظيمة حين كتب هذا المزمور.

أولا: يصلي لكي يظهر الله فضله عليه، ويستند إلى أحزانه ومخاوفه (ع ١ – ٨).

ثانيا: يصلي لكي يظهر الله غضبه على أعدائه مستندا إلى شرهم العظيم وخيانتهم (ع ٩ – ١٥، ٢٠ و٢١).

ثالثا: كان يؤكد لنفسه أن الله، في الوقت المناسب، سيدافع عنه ضد أعدائه، وكان يعزي نفسه برجائه هذا ويشجع الآخرين على الثقة في الله (ع ١٦ – ١٩، ٢٢ و٢٣).

عدد ١ – ٨

أولا: داود يصلي. والصلاة مرهم لكل جرح، وراحة للنفس تحت وطأة كل ثقل: «اصغ يا الله إلى صلاتي ولا تتغاض عن تضرعي» (ع ١). إذا ما كنا نحن بكل إخلاص نكشف عن أنفسنا وعن حالتنا، وعن قلوبنا لله في الصلاة، لكان لنا ما يدعونا إلى الرجاء بأنه لن يخفي نفسه، أو أفضاله، أو تعزياته، عنا.

ثانيا: داود يبكي. وهو هنا يرمز إلى المسيح بأنه رجل أحزان، وكثيرا ما كان يبكي (ع ٢): «أتحير في كربتي وأضطرب»، ولا أحتمل هذه الأنات والتأوهات، وتعبيرات الحزن الأخرى، نتيجة سماع «صوت العدو»، والتهديدات والإهانات من زمرة أبشالوم، التي كثرت وازدادت غطرسة، وحملت الناس على الصراخ ضد داود، وطالبوا بإخراجه من قصره، ومن عاصمته وهو نفس الأمر الذي فعله رؤساء الكهنة بعد ذلك إذ حرضوا الجماهير على الصراخ ضد ابن داود «اصلبه». «لأنهم يحيلون عليَّ إثما». كانوا يكرهونه، ولذلك اجتهدوا في أن يظهروه في صورة بغيضة حتى يكرهه الآخرون أيضا. وهذا ما حمله على الحزن، ولاسيما أنه كان يتذكر الوقت الذي كان فيه محبوب الشعب، وكان ينطبق عليه معنى اسمه: داود، أي «المحبوب".

ثالثا: داود يرتعد، في خوف عظيم. ولنا أن نفترض أنه كان هكذا عند قيام مؤامرة أبشالوم، وارتداد الشعب بصفة عامة. وكان داود يتسم بشجاعة فائقة، وقد أثبت شجاعته في بعض المناسبات الهامة جدا ومع ذلك، فحين كان الخطر مباغتا ووشيكا، خانته شجاعته. ولذلك قال: «يمخض قلبي في داخلي، وأهوال الموت سقطت عليَّ» (ع ٤). لقد تملك الخوف عقله كما تملكت الرعدة جسده، وقد غمره الرعب وغلبه (ع ٥). أحيانا، كان إيمان داود– بطريقة ما– يحمله على عدم الخوف، واستطاع حين حاصره الأعداء أن يقول بجرأة: «لا أخاف من ربوات الشعوب». غير أنه في أوقات أخرى كان الخوف يتملكه ويستبد به، لأنه حتى أفضل الرجال ليسوا دائما متشابهين في قوة الإيمان. وكم كانت تأخذه لهفة– أثناء خوفه– في أن يلجأ إلى البرية، أو إلى أي مكان يكون بعيدا بما يكفي، حتى لا يسمع صوت العدو، أو يرى أعمالهم الظالمة. وقد قال لله في الصلاة، ولنفسه في تأمل، ولأصدقائه شاكيا: «ليت لي جناحا كالحمامة» (ع ٦). لقد كان الحصار الذي فرضه عليه أعداؤه شديدا حتى أنه لم ير سبيلا للهرب إلا على جناح، ولذلك تمنى قائلا: «ليت لي جناحا»، ليس كجناح صقر يطير بقوة، بل «كالحمامة» التي تسير بسرعة. تمنى لو كانت له أجنحة، ليس ليهاجم الفريسة، بل ليطير هربا من الطيور الجارحة، فقد كان أعداؤه هكذا. والحمامة تطير على ارتفاع منخفض، لتحتمي بملجأ بأسرع ما تستطيع، وهذا ما كان داود يريده– فهو يريد أن يهرب «من الريح العاصفة ومن النوء»، من الشغب والاحتياج الذي كان يسود المدينة في ذلك الحين، والخطر المحدق به: «فأطير وأستريح» (ع ٦). سأطير إلى أي مكان، حتى لو كان برية قاحلة مخيفة، تكون بعيدة جدا، ومن ثَم أجد بعض الهدوء (ع ٧).

عدد ٩ – ١٥

يشكو داود هنا من أعدائه، الذين كان من شأن مؤامراتهم الشريرة أن أفقدته صوابه وإن لم تفقده إيمانه.

أولا: الوصف الذي يطلقه على أعدائه. كانوا من أسوأ نوعيات الناس، ووصفه لهم ينطبق تماما على أبشالوم وزمرته. واشتكى من مدينة أورشليم، التي من الغريب أنها ساندت أبشالوم وتخلت عن داود: «كيف صارت القرية الأمينة زانية». أما داود نفسه فلم ير سوى «ظلما وخصاما في المدينة» (ع ٩). رأى الظلم والخصام فيها «نهارا وليلا يحيطون بها». (ع ١٠) «وإثم ومشقة في وسطها». التهديدات والأكاذيب وكل نوعيات المعاملات الغادرة «لا يبرح من ساحتها» (ع ١١). فهل هذا هو ما تعلمته أورشليم التي كانت المقر الرئيسي لكهنة الله؟ وهل كان بوسع أورشليم أن تتنكر لداود نفسه مؤسسها العظيم، وتصبح على هذا النحو من الخطورة عليه حتى أنه أصبح لا يستطيع البقاء بها؟ ولقد اشتكى من أحد قادة المؤامرة، الذي لم يبخل بجهد في سبيل إثارة الحقد عليه، وتشويه سمعته وسمعة سلطته وإثارة المدينة ضده. فمن كان ذاك الذي بذل كل هذا المجهود للإساءة إليّ؟ لم يكن أحد أعدائي المعروفين، لم يكن شمعي، بل ولم يكن أحد ممن رفضوا مساندتي، وإلا هان الأمر عليّ، لأني ما كنت أتوقع أفضل من هذا من أمثال هؤلاء، «بل أنت إنسانٌ عديلي» (ع ١٣). والترجمة التفسيرية الآرامية تذكر هنا اسم أخيتوفل، على أنه الشخص الذي يقصده داود بهذا الكلام. لقد كنت «إلفي وصديقي» كم قضينا من ساعات معا، تغمرنا السعادة العظيمة في محادثات دينية، أو بحسب ترجمة أخرى كنا نترافق في الحضور إلى بيت الله كنت أعطيه يمين الشركة في الفرائض المقدسة، وبعدئذ كنا نترافق في الحضور إلى بيت الله مع جمهور العابدين؛ لحضور الخدمة العامة. كان هناك دائما، بل وسيكون الأمر كذلك دوما، خليط من الخير والشر، الصحيح والخطأ في الكنيسة المرئية. ولا يجب أن نتعجب إذا ما خدعنا على هذا النحو المحزن من قبل البعض ممن كانوا يتظاهرون باحترامهم الشديد لهذين الأمرين المقدسين: الديانة والصداقة. فداود نفسه– على الرغم من أنه كان رجلا حكيما، إلا أنه خُدع على هذا النحو، الأمر الذي يجعلنا نتحمل إذا ما واجهتنا إحباطات مماثلة.

ثانيا: صلواته ضدهم. لقد صلى من أجل:

(١) أن يشتتهم الله، كما فعل مع بناة بابل (ع ٩): «أهلك يا رب، فرق ألسنتهم»، بأن تجعل الخلاف يدب بينهم، ويتصادمون بعضهم مع بعض. وكثيرا ما يحطم الله أعداء الكنيسة بأن يحملهم على الانقسام فيما بينهم، ولا توجد وسيلة أكيدة لدمار أي شعب مثل انقسامهم على أنفسهم.

(٢) أن يهلكهم الله، كما أهلك داثان وأبيرام (عد ١٦: ٣٠): «ليبغتهم الموت»، إذا ما سمح الله بذلك «لينحدروا إلى الهاوية أحياء»، ليموتوا ويدفنوا، وبذلك يقضى عليهم تماما في لحظة واحدة، لأن الشر يوجد حيثما وجدوا.

عدد ١٦ – ٢٣

أولا: يواصل داود مناشدة الله، إذ كان على يقين من أن ذلك لن يضيع هباء. ليسلكوا السبيل الذي يروق لهم لتأمين أنفسهم، وليتخذوا من العنف والنزاع حماية لهم، أما بالنسبة لي فالصلاة هي حمايتي، فقد وجدت تعزيتي فيها، ولذلك فسوف أتمسك بأني «إلى الله أصرخ» (ع ١٦)، وأسلم له نفسي «والرب يخلصني». أصرخ في محنتي، واستغرق في صراخي، (هكذا تعني العبارة السابقة). فسوف يصلي كثيرا، كل يوم، ثلاث مرات في اليوم: «مساء وصباحا وظهرا». والذين يعتقدون أن ثلاث وجبات في اليوم قليلة حقا بالنسبة للجسد، عليهم أن يفكروا بالأكثر أن ثلاث صلوات في اليوم غير كافية بالنسبة للروح. عليهم أيضا أن يعتبروا الصلاة مدعاة للمسرة، وليست كعمل. وكان من عادة دانيال أن يصلي ثلاث مرات في اليوم (دا ٦: ١٠)، وكانت ساعة الظهر من بين الساعات التي خصصها بطرس للصلاة (أع ١٠: ٩).

ثانيا: أكد لنفسه أن الله في الوقت المناسب سيعطي إجابة سلامية لصلواته.

(١) سينقذه الله وستنتهي مخاوفه. وشرع يفرح في رجاء «فدى بسلام نفسي» (ع ١٨)، أي أنه

سينجيني. وكان داود على ثقة تامة من نجاته كما لو كان ذلك قد تم بالفعل. وبعين الإيمان يرى نفسه الآن- مثلما كان الحال مع أليشع - محاطا بمركبات وخيل من نار، ولذلك فرح قائلا: «بكثرة كانوا حولي».. «الذين معنا أكثر من الذين معهم» (٢مل ٦: ١٦ و١٧).

(٢) أن يحاسب الله أعداءه ويذلهم.

أ. يذكر داود سمتهم على أنها السبب الذي من أجله توقع أن الله سيذلهم. فهم «لا يخافون الله» (ع ١٩)، و«ليس لهم تغير» (فلا محن، ولا توقف لازدهارهم المستمر، ولا متاعب تفرغهم من آنية لأخرى)، ولذلك «لا يخافون الله». فهم غادرون مخادعون، ولن تردعهم أكثر الإلتزامات قداسة (ع ٢٠). وهم أشرار مراؤون، يتظاهرون بالصداقة، في الوقت الذي يضمرون فيه شرا «أنعم من الزبدة فمه» (ع ٢١). (ولعله يقصد أخيتوفل بصفة خاصة)، و«ألين من الزيت كلماته»، ومع ذلك، وفي ذات الوقت، فإن «قلبه قتال»، ونفس هذه الكلمات كان لها قصد ضار بالنسبة لهم حتى إنها كانت مثل «سيوف مسلولة» مهيأة للطعن.

ب. يتنبأ داود هنا بهلاكهم: «يسمع الله فيذلهم». «وأنت يا الله تحدرهم إلى جب الهلاك». هم رجال دماء، يهلكون الآخرين، ولذلك وبعدل يهلكهم الله، كانوا من رجال الغش، يحتالون على الآخرين، ويسلبونهم مستحقاتهم، والآن سوف يهلكهم الله.

ثالثا: يشجع نفسه وكل الناس الصالحين على أن يسلموا أنفسهم لله وتكون لهم ثقة فيه: «أما أنا فأتكل عليك»، اتكل على عنايتك وقوتك ورحمتك وليس على حصافتي وقوتي أو استحقاقي. وحين يُقطع رجال الدماء والغشاشون في منتصف أيامهم فإني سأعيش في ظل إيماني بك. وهذا ما يريد من الآخرين أن يفعلوه (ع ٢٢): «ألق على الرب همك»، أيا مَنْ كنتم حاملي الأثقال، وأيا كانت أثقالكم، ويشير الرسول إلى ذلك في ١بطرس ٥: ٧. فالغم ثقل وهو يحني القلب (أم ١٢: ٢٥). وأن نلقي بهمومنا على الله معناه أننا نقيم حياتنا على أساس عنايته ووعده. وإذا فعلنا ذلك، فإن الوعد يتضمن:

(١) الله سيعولنا. وهو لم يعد بأن يخلصنا على الفور من المتاعب التي تولدت عنها همومنا ومخاوفنا، ولكنه يتعهد بألا نجرب فوق ما نحتمل.

(٢) لن يدع الصديقين يتزعزعون نتيجة أية متاعب بحيث يتخلون عن واجبهم نحو الله، أو راحتهم فيه.

المزمور السادس والخمسون

لإمام المغنين على الحمامة البكماء بين الغرباء. مذهبة لداود عندما أخذه الفلسطينيون في جت

يبدو من هذا المزمور، ومن مزامير أخرى كثيرة غيره، أن داود حتى في أوقات المحن العصيبة لم يعلق قيثارته إطلاقا على أشجار الصفصاف، بل إنه حينما كانت مخاوفه تتنامى، وتتفاقم الأخطار المحدقة به، كان لا يفتر عن الترنيم سبحا لله. وحين كتب هذا المزمور كان يجابه خطرا عظيما.

أولا: يشكو من حقد أعدائه ويلتمس لنفسه رحمة وعدلا ضدهم (ع ١ و٢، ٥ - ٧).

ثانيا: يضع ثقته في الله، إذ كان على يقين في أنه في صفه وأنه سيحمد الله طوال حياته (ع ٣ و٤، ٨ - ١٣).

عدد ١ - ٧

في هذا المزمور، يلقي داود نفسه بالإيمان بين يدي الله، حتى وإن كان نتيجة خوفه وحماقته قد ألقى بنفسه في أيدي الفلسطينيين (١صم ٢١: ١٠ و١١). وقد سمي هذا المزمور «مُذهَّبة». أي مزمور ذهبي. وهناك مزامير أخرى سميت هكذا، لكن هذا المزمور يحمل في عنوانه سمة خاصة، وهو أنه على نغمة «الحمامة البكماء بين الغرباء».

والبعض يقول إن هذه إشارة إلى داود نفسه، الذي سبق أن تمنى لو كان له جناحا حمامة ليطير بهما بعيدا. لقد اضطر إلى الهرب بعيدا ليبحث عن مأوى في بلاد نائية، وهناك كان مثل حمام الوادي، حزينا كئيبا، ولكنه صامتا، لا يتذمر على الله، أو يلعن أولئك الذين تسببوا في متاعبه.

أولا: اشتكى إلى الله من حقد أعدائه، لكي يبين

السبب الذي يحمله على الخوف منهم (ع ١): «ارحمني يا الله». وهذا التضرع يتضمن كل الخير الذي نأتي إلى عرش النعمة من أجله. فهو يصلي من أجل أن يجد رحمة مع الله، لأنه لم يجدها لدى الناس. وحين هرب من يدي شاول القاسيتين وقع في أيدي الفلسطينيين القساة. وهو يقول. ارحمني يا رب الآن وإلا فقد قُضي عليَّ «لأن كثيرين يقاومونني»، وهم يفكرون في التغلب عليَّ بكثرة عددهم، لتلاحظ ذلك أيها العلي، ولتجعل الجميع يعرفون أنك أعلى مما يتفاخرون به. كانوا في غاية الوحشية، فهم يتهممونه (يتعقبونه) بدأب (ع ١ و٢). لقد اتفقوا في هذا تماما (ع ٦): «يجتمعون»، وعلى الرغم من كثرة عددهم، ومصالحهم المتضاربة، غير أنهم اتحدوا واجتمعوا ضد داود، كما اتحد هيرودس وبيلاطس ضد ابن داود. كانوا أقوياء جدا، أشداء عليه للغاية لو لم يساعده الله. إنهم «يقاومونني» (ع ٢)، «اليوم كله محاربا يضايقني» (ع ١). لقد هُزمت أمامهم وكادوا يقضون عليَّ وأصبحت عاجزا تماما أمامهم. كانوا خبثاء ماكرين (ع ٦): «يختفون»، يخفون نواياهم، حتى يستطيعوا متابعتها وتنفيذها بكل فاعلية. هم يختبئون كما يختبئ الأسد في عرينه، حتى «يلاحظون خطواتي»، بمعنى أنهم يراقبون بعين ناقدة كل شيء أقوله أو أعمله، حتى يجدوا شيئا يتهمونني به. «يحرفون كلامي». يتعاملون مع كلامي كما لو كانوا يعذبونه لينتزعوا منه اعترافا كاذبا. لم يكونوا يعرفون كللا أو مللا. كانوا بصفة مستمرة يكمنون له طالبين نفسه، كانت حياته الثمينة هي ما يسعون وراءه، وما كانوا يتطلعون إلا إلى موته (ع ٦).

ثانيا: يشجع نفسه في الله ووعوده وقوته وعنايته (ع ٣ و٤): «في يوم خوفي»، حينما يتملكني الرعب من الخارج والجبن من الداخل، عندئذ: «أنا عليك أتكل»، وبهذا تهدأ مخاوفي. ولقد عزم أن يجعل من مواعيد الله موضوع تسبيحه وفخره. «الله أفتخر بكلامه» ولن أسبح فقط بعمله الذي عمل، بل «بكلامه» الذي تكلم به. والبعض يفهم من لفظة «كلامه» على أن المقصود بها أعمال عنايته، وكل حدث يأمر به ويعينه: حين امتدح داود الله، امتدح معه أيضا كل شيء يعمله. وإذ يلقى العون على هذا النحو، فسوف يتحدى كل القوى المعاندة. فمادمت «على الله توكلت»، فإني آمن، وقانع، وفي هذه الحالة «ماذا يصنعه بي البشر؟» وكما أنه لا يجب علينا أن نتكل على ذراع بشر حين تعمل من أجلنا، فهكذا أيضا لا يجب أن نخاف من ذراع بشر حين يمتد ضدنا.

ثالثا: يسأل من أجل سقوط كل الذين يحاربونه (ع ٧): «على إثمهم جازهم». هم يأملون أن يهربوا من دينونة الله، كما يهربون من إدانة البشر، وذلك باللجوء إلى العنف والخداع، واتباع أساليب الجور والغدر، ولكن هل سيهربون من دينونة الله؟ كلا، فمن المؤكد أنهم لن يتمكنوا. فخطية الخطاة لن تكون أبدا سبب أمنهم.

عدد ٨- ١٣

ثمة أشياء عديدة يعزي داود نفسه بها في يوم محنته وخوفه.

أولا: إن الله يعرف بصفة خاصة كل شكاواه وأحزانه. «تيهاني راقبت» (ع ٨). كان داود لا يزال شابا (تحت الثلاثين) في تلك الآونة، ومع ذلك كثيرا ما انتقل من بيت أبيه إلى البلاط الملكي، ومن هناك إلى المحلة. أما الآن فهو يطارد مثل طائر «الحجل» على الجبال، غير أن ما كان يعزيه أن الله كان معنيا برصد تحركاته، ويعد كل الخطوات المتثاقلة التي يخطوها ليلا أو نهارا. وفيما كان متغربا، كان كثير البكاء، ولذلك كان يصلي: «اجعل أنت دموعي في زقك»، لكي تُحفظ وينظر إليها، والواقع أنني أعرف أنها «في سفرك»، سفر مذكراتك. والله لديه كتاب وسفر لدموع شعبه، وسجل لمحنهم. وهو يراقب هذا بمحبة واهتمام بالغين، «في كل ضيقهم تضايق»، ويعرف حالة نفوسهم أثناء المحنة. لقد اهتم بولس بدموع تيموثاوس (٢تي ١ : ٤)، ولن ينس الله أحزان شعبه. والله يعزي شعبه طبقا لوقت بليتهم، ويعطي أولئك الذين زرعوا بالدموع أن يحصدوا بالابتهاج. وما زُرع كدمعة عين سوف ينمو إلى جوهرة.

ثانيا: ستكون صلواته قوية من ناحية هزيمة أعدائه وإحباطهم، وسوف تقويه وتشجعه (ع ٩): «حينئذ ترتد أعدائي إلى الوراء في يوم أدعوك فيه»، ولست

أحتاج أية أسلحة أخرى سوى الصلوات والدموع. «هذا قد علمته لأن الله لي»، ليدافع عن قضيتي، ليحميني وينقذني، وإذا كان الله معي، فمن يستطيع أن يكون عليَّ بحيث يقهرني؟ نحن نحارب راكعين مصلين (أف ٦: ١٨).

ثالثا: إيمانه بالله سيجعله يعلو على كل خوف من الإنسان (ع ١٠ و١١)، وهنا يكرر بعاطفة قوية ما سبق أن قاله في آية ٤: «الله افتخر بكلامه»، أي أنني سأتكل بكل قواي على الوعد، ثقةً في ذاك الذي قطعه. «على الله توكلت»، وعليه وحده، ومن ثَم «فلا أخاف. ماذا يصنعه بي الإنسان» (ع ١١)، على الرغم من أنني أعرف تماما ما الذي سيفعله إذا ما استطاع ذلك (ع ١ و٢).

رابعا: إنه ملتزم أمام الله (ع ١٢): «اللهم عليَّ نذورك» ويقول المرنم : إن النذور التي أنا ملتزم بها ليست عبئا أنوء بحمله، بل وساما افتخر به.

خامسا: أنه لايزال لديه المزيد والمزيد من المناسبات التي يسبح فيها الله: «أوفي ذبائح شكر لك». وهذا يشكل جزءا من وفائه لنذوره، لأنه من المناسب أن تصاحب نذور الشكر الصلوات الخاصة بطلب الرحمة، وعندما ننال رحمة، يجب أن نوفي بالنذر: «لأنك نجيت نفسي من الموت» الذي كان متأهبا للانقضاض عليَّ. وإذا كان الله قد أنقذنا من الخطية سواء من ناحية عدم ارتكابها بنعمته الحافظة، أو من عقوبتها برحمته الغافرة، فلنا من الأسباب ما يحملنا على الاعتراف أنه بواسطة هذا خلَّص نفوسنا من الموت، الذي هو أجرة الخطية. «ورجلي من الزلق»، لقد عملت معنا ما هو أعظم، ولذلك ستعمل معنا ما هو أقل، لقد بدأت معنا عملا عظيما، وعلى هذا سوف تواصله وتكمله. والذين يعتقدون أنهم قائمون عليهم الحذر لئلا يسقطوا، لأن أفضل الناس لا يقومون أكثر مما يرى الله أن يساندهم. ولم يُخرج الله شعبه من مصر لكي يهلكهم في القفر. وذاك الذي يخلص النفس التي آمنت من موت رهيب، الذي هو موت الخطية، لن يتخاذل عن حفظها لملكوته السماوي.

المزمور السابع والخمسون

لإمام المغنين. على «لا تُهلِك» . مُذهَّبة لداود عندما هرب من قدام شاول في المغارة

هذا المزمور يشبه إلى حد كبير المزمور الذي سبقه. وقد كُتب في ظروف مماثلة، حين كان داود معرضا لخطر المتاعب ولإغراء السقوط في الخطية. وبدايتهما واحدة «ارحمني يا الله»، ثم إن الأسلوب أيضا واحد.

أولا: يبدأ بصلاة وشكوى، ومع ذلك، ليس بدون بعض اليقين الذي دفعه إلى الإسراع بطلبه (ع ١ – ٦).

ثانيا: يختتم بفرح وحمد (ع ٧ – ١١).

عدد ١ – ٦

عنوان هذا المزمور يتضمن عبارة جديدة «لا تُهلِك». والبعض يقول إنها نغمة معروفة وُضع هذا المزمور على أساسها. وآخرون يقولون إنها تشير إلى مناسبة كتابة المزمور وموضوعه «لا تُهلِك»، أي أن داود لن يترك شاول ليهلك، حيث توفرت له الآن في المغارة فرصة لقتله، وكان عبيده يتلهفون على القيام بذلك. ولكن داود قال لهم: لا، لا تهلكوه (انظر ١ صموئيل ٢٤: ٤، ٦). أو أن الله بالأحرى لم يسمح أن يهلك داود على يد شاول. لقد سمح له باضطهاد داود، ولكن في الحدود التي سمح بها «لا تُهلِك».

أولا: كان يقوي نفسه بإيمانه ورجائه في الله، والصلاة إليه (ع ١ و٢). «ارحمني يا الله». وكانت هذه أيضا صلاة العشار (لو ١٨: ١٣). ولكي يحظى برحمة الله، اعترف بالآتي:

(١) أن كل اتكاله هو على الله: «بك احتمت نفسي» (ع ١). وإذ يطرح نفسه متذللا أمام عرش نعمته اعترف بثقته فيه «وبظل جناحيك أحتمي»، كما تحتمي صغار الدجاجة تحت جناحيها حين تكون الطيور الجارحة على أهبة الاستعداد للانقضاض عليها: «إلى أن تعبر المصائب». وكان على ثقة من أن متاعبه ستنتهي على خير في الوقت المناسب، سوف «تعبر المصائب». وكان يعزي نفسه بصلاح طبيعة الله، التي كانت تحمله على أن يساعد شعبه ويحميه، كما تحمي الدجاجة بالغريزة صغارها.

(٢) كل رغباته متجهة نحو الله (ع ٢): «أصرخ إلى الله العلي»، طالبا العون والخلاص، إلى العلي أرفع

نفسي، وأصلي بحرارة، «إلى الله المحامي عني».

(٣) كل تطلعاته هي من الله (ع ٣): «يرسل من السماء ويخلصني». والذين يجعلون الله ملجأهم الوحيد، ويهرعون إليه بالإيمان والصلاة، عليهم أن يتأكدوا من الخلاص، في الوقت الذي يريده وبالطريقة التي يحددها. لقد بحث في كل اتجاه على هذه الأرض فلم يجد مأوى حقيقيا أو مساعدة نافعة، ولكنه طلبها من السماء. والذين يرفعون قلوبهم إلى السماء لهم أن يتوقعوا منها كل خير: «يرسل الله رحمته وحقه». ولسنا في حاجة إلى شيء يحقق لنا السعادة سوى أن ننتفع برحمة الله وحقه (مز ٢٥: ١٠).

ثانيا: يصف قوة أعدائه وحقدهم (ع ٤): «نفسي بين الأشبال». كما يصف خططهم الشريرة ضده (ع ٦) وذكر نتائجها: «هيأوا شبكة لخطواتي»، أرادوا صيدي بها، وحتى لا أستطيع أن أهرب منهم ثانية «حفروا قدامي حفرة»، حتى أسقط فيها مباشرة وبصفة مباغتة. ولكن ماذا كانت نتيجة كل ذلك:

(١) سببت في الواقع بعض الازعاج لداود: «انحنت نفسي»، ولكن..

(٢) كان من شأن هذا هلاكهم: لقد حفروا حفرة لداود، لكنهم «سقطوا في وسطها».

ثالثا: صلى ليمجد الله ويمجد اسمه العظيم (ع ٥)، أيا كان ما يحدث لي ولمصالحي: «ارتفع اللهم على السماوات. ليرتفع على كل الأرض مجدك». لتجعل كل سكان هذه الأرض يعرفونك ويسبحونك. وهكذا يجب أن يكون مجد الله هو أول ما تهفو إليه قلوبنا، وعلينا أن نهتم بذلك بأكثر من اهتمامنا بأي شيء يخصنا. حين كان داود في معمعة أخطر محنة وإهانة تعرض لهما، لم يصل قائلا: أيها الرب مجدني، بل أيها الرب مجد اسمك. هكذا أيضا كان الحال بالنسبة لابن داود، فحين اضطربت نفسه، وصلى قائلا: «أيها الآب نجني من هذه الساعة»، نراه بسرعة يسحب هذا الالتماس وبدلا منه صلى قائلا: «ولكن لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة». «أيها الآب مجد اسمك» (يو ١٢: ٢٧ و٢٨).

عدد ٧- ١١

لقد تغيرت اللهجة هنا بشكل غريب! ذلك أن صلوات داود وشكاواه، نراها على حين غرة، ونتيجة أعمال الإيمان الفعالة، قد تغيرت إلى تسابيح وشكر، ومما نجدر ملاحظته:

أولا: كيف هيأ نفسه لواجب الحمد والشكر (ع ٧): «ثابت قلبي يا الله ثابت قلبي»، أو كما يقول البعض: قلبي منتصب أو مرتفع بعد أن كان منحنيا (ع ٦) «ثابت قلبي» أي مهيأ لكل حدث، لأنه «ثابت» في الله (مز ١١٢: ٧ ؛ إش ٢٦: ٣). «ثابت قلبي» لكي «أغني وأرنم»، وأعبد الرب دون أن يلهيني عن ذلك شيء.

ثانيا: كيف يحفز نفسه لواجب الحمد «استيقظ يا مجدي» (ع ٨) (استيقظي يا نفسي، كما في ترجمة أخرى)، حيث يجب أن توقظ أولا، ذلك أن العبادات التي تقدم في ظل من الكسل والتراخي غير مقبولة إطلاقا أمام الله.

ثالثا: كيف يرضي نفسه، بل يفتخر بعمل التسبيح لله. لقد عزم على أن يحمده «بين الشعوب»، وأن يرنم له «بين الأمم» (ع ٩) وهذا ما يشير إلى:

(١) إنه يريد أن يجعل الأرض تدوي بترانيمه المقدسة، حتى يدرك الجميع كيف أنه يعتبر نفسه مدينا تماما لصلاح الله.

(٢) يريد أن يحمل الآخرين على الانضمام إليه في حمد الله- وسوف يعلن تسبيحه لله «بين الشعوب». وداود في مزاميره التي ملأت الكنيسة العامة، وسوف تظل هكذا إلى آخر الزمان يمكن أن يقال عنه إنه لا يزال يحمد الله «بين الشعوب» ويرنم له «بين الأمم»، لأن كل الصديقين يستخدمون كلماته في حمد الرب وتسبيحه.

رابعا: كيف يعزز نفسه بمادة التسبيح «لأن رحمتك قد عظمت إلى السماوات» (ع ١٠)، عظيمة وتجل عن كل وصف وتعبير، «وإلى الغمام حقك». إن حقك عظيم.. أعلى من أن يسبر غوره، لأنه أي عين تلك التي تستطيع أن ترى ما هو أعلى من السماوات؟

خامسا: كيف أنه يترك الأمر أخيرا في يد الله ليمجد اسمه «ليرتفع على كل الأرض مجدك» (ع ١١).

المزمور الثامن والخمسون

لإمام المغنين. على لا تُهلك. لداود. مذهبة

يقول البعض إنهم يعتقدون أنه قبل أن يشرع شاول في اضطهاد داود اتخذ ضده إجراء قانونيا وصدر ضده حكم دون أن تسمع أقواله، واتهمه كخائن وصدر الحكم بمعرفة المجلس الأعلى للقضاة، ثم أعلن أنه خائن ومتآمر خارج على القانون، وهذا معناه أن بوسع أي إنسان أن يقتله ولا يحميه أحد. وتملقا من الشيوخ لشاول أصدروا هذا الحكم، ومن المفترض أن داود كتب هذا المزمور بهذه المناسبة.

أولا: وصف خطيتهم (ع ١ – ٥).

ثانيا: يستجلب عليهم اللعنة ويتنبأ بخرابهم (ع ٦ – ٩). الأمر الذي سيكون من شأنه:

(١) راحة القديسين (ع ١٠).

(٢) ويؤول إلى مجد الله (ع ١١).

عدد ١ – ٥

لنا من الأسباب ما يحملنا على الاعتقاد أن هذا المزمور يشير إلى حقد شاول على داود. في هذه الأعداد، نجد داود– ليس بصفته ملكا، لأنه لم يكن قد اعتلى العرش بعد، بل كنبي، وباسم الله يتهم قضاته ويدينهم. ولقد اتهمهم بأمرين:

أولا: فساد سلطتهم. كانوا لجنة مكونة من قضاة. وما كان يخطر على بال أحد أن لجنة كهذه كان يمكن رشوتها وانحيازها مقابل مكافآت، ومع ذلك، يبدو أن هذا ما حدث فعلا. لأن ابن قيس استطاع أن يقدم لهم ما لم يكن في وسع ابن يسى أن يقدمه (١ صم ٢٢: ٧). فالقضاة لم يتبعوا الحق، أو يحموا أو يبرئوا الأبرياء «أحقا بالحق الأخرس تتكلمون، بالمستقيمات تقضون؟» (ع ١) كلا، لأن ضمائركم ذاتها لا تستطيع إلا أن تقول لكم بأنكم لم تؤدوا الأمانة التي أوكلت لكم كقضاة، والتي بمقتضاها كان من المفروض فيكم أن تكونوا مصدر رعب لفاعلي الشر، وطمأنينة لمن يسلكون حسنا، تذكروا أنكم بشر هالكون ومصيركم الموت، وأنكم ستقفون أمام الله على نفس المستوى الذي يقف فيه أحقر الناس ممن وطأتموهم بأرجلكم، وأنكم أنفسكم لابد أن تُدعوا للحساب والدينونة. «بالقلب تعملون شرورا»، وكلما خرج عمل الشر من القلب، زادت بشاعة الشر (جا ٨: ١١). ولكن ماذا كان شرهم؟: «تعملون شرورا في الأرض ظلم أيديكم» مع أنكم تعينتم لحفظ السلام فيها. لقد عملوا كل ما في وسعهم من شر وأذى، سواء لإثراء أنفسهم، أو للانتقام لها، وتم الظلم على أيديهم. وقد عملوا هذا بكل خبث وحرص: وسخرتم القانون لعمله (هكذا تعني الكلمة). وقد ارتكبوه تحت ذريعة العدالة.

ثانيا: فساد طبيعتهم. وكان هذا أصل المرارة التي تولد عنها هذا الحقد، وهذا الإفسنتين فقد «زاغ الأشرار» (ع ٣) الذين يعملون الشر في قلوبهم «من الرحم ضلوا»، تغربوا عن الله، وعن كل صلاح «متجنبون عن حياة الله»، ومبادئها، وقواها ومسراتها (أف ٤: ١٨). وقد وصفوا، وكان وصفا صادقا، أنهم «ضلوا من البطن»، ولذلك لم يكن أحد يتوقع سوى أنهم يغدرون غدرا (انظر إشعياء ٤٨: ٨). لقد ضلوا بعيدا عن الله، وعن واجبهم سريعا بعد ولادتهم (بمعنى فور تمكنهم من عمل ذلك)، فالحماقة التي سكنت قلوبهم ظهرت في أول أعمالهم لفكرهم. وقد ذكرت هنا ثلاثة أمثلة على فساد طبيعتهم:

(١) زيفهم: فسرعان ما تعلموا الكذب «يمدون ألسنتهم كقسيهم للكذب» (إر ٩: ٣).

(٢) حقدهم: «لهم حمة» (نواياهم الشريرة، والبغضة التي يكنونها للصلاح وللصالحين، ولاسيما بالنسبة لداود) مثل «حُمة الحية»، متأصلة، سامة، مؤذية للغاية، وهذا ما لا يمكن أن يشفوا منه أبدا.

(٣) لا يمكن تغيير طبيعتهم. فهم حقودون، ولن يقنعهم شيء، لا منطق، ولا محبة يمكن أن تلين، وتحسِّن من طباعهم. وهم «مثل الصل الأصم» يسدون أذنهم (ع ٤ و٥).

ويشبههم داود بالأفعى السامة، وهذا ما يذكرنا بتقليد كان سائدا في ذلك الحين، وكانوا عن طريق الموسيقى، أو أية وسيلة أخرى كان يمكنهم أن يرقوا الثعابين، لقتلها، أو جعلها عاجزة عن الأذى على أقل تقدير، وهذا الصل الأصم.. يضع أحد أذنيه على الأرض ويسد الأخرى بذيله، وذلك حتى لا تسمع صوت الرقية، وبذلك تفشل الغرض منها، وتؤمن نفسها.

عدد ٦- ١١

تتضمن هذه الفقرة:

أولا: صلوات داود ضد أعدائه، وكل أعداء كنيسة الله وشعبه.

(١) يصلي لأن يلحقهم العجز حتى لا يأتوا مزيدا من الشر (ع ٦): «اللهم كسِّر أسنانهم في أفواههم». وليس إلى حد أن يعجزوا عن تناول طعامهم فقط، بل حتى لا يستطيعوا أن يفترسوا الآخرين (مز ٣: ٧). فهو لم يقل كسِّر أعناقهم، كلا، دعهم يعيشون ليتوبوا: لا تقتلهم لئلا ينسى شعبي، بل كسِّر أسنانهم، لأنهم كالأشبال.. الأسود الصغيرة، التي تعيش على السلب والنهب.

(٢) حتى يخيب ظنهم بالنسبة للمؤامرات التي سبق أن حاكوها بالفعل، وحتى لا تتحقق أهدافهم: «إذا فوّق» سهامهم «فلتنب» ولتتكسر رؤوس سهامهم عندما يصوبونها (ع ٧) بحسب ترجمة أخرى. لتجعلها تسقط عند أقدامهم، ولا تصل إلى غايتها إطلاقا.

(٣) حتى يضيعوا هم ومصالحهم ولا يحققون شيئا، «وليذوبوا كالماء». ليذهبوا كالماء المهراق على الأرض الذي لا يجمع أيضا، بل يجف شيئا فشيئا حتى يختفي. كما يصلي أن يذوبوا «كما يذوب الحلزون» (أي مثل القواقع) (ع ٨)، التي تتلاشى نتيجة حركتها. ويصلي أن يكونوا «مثل سقط المرأة» الذي يموت فور بداية حياته و«لا يعاينوا الشمس».

ثانيا: يتنبأ بخرابهم (ع ٩): «قبل أن تشعر قدوركم بالشوك، نيئا أو محروقا، يجرفهم».

(١) التعبيرات التشبيهية هنا تكتنفها بعض الصعوبة، غير أن المعنى واضح. وهو أن دينونات الله كثيرا ما تباغت الأشرار في خضم أفراحهم، وتقضي عليهم فجأة.

(٢) يعد صاحب المزمور نفسه بأمرين نتيجة دمار الخطاة:

أ. أن القديسين يجدون في ذلك تشجيعا وتعزية «يفرح الصديق إذا رأى النقمة» (ع ١٠). فنجاح الأشرار وازدهارهم أمر مثبط للصديقين، ويحزن قلوبهم، وأحيانا يتعرضون لتجربة قوية بأن يتشككوا في الأسس التي ينتهجونها (مز ٧٣: ٢، ١٣). غير أنهم حينما يرون دينونات الله يفرحون بتثبيت إيمانهم نتيجة العناية الإلهية وعدل الله وبره في إدارة العالم.

ب. الخطاة سوف يدانون ويتجددون بسببها (ع ١١). والنقمة التي يلحقها الله أحيانا بالأشرار في هذا العالم تحمل الناس على القول: «إن للصديق ثمرا». والبعض يتغير فكرهم تماما حتى أنهم عن طيب خاطر يعترفون ويدركون بكل رضى أن الله موجود، وأنه:

◄ هو الذي يكافئ قديسيه وعبيده بسخاء : «إنه يوجد إله قاض في الأرض». فحتى في هذا العالم توجد مكافأة للصديق.

◄ إنه حاكم العالم البار، وهو بكل تأكيد سوف يحاسب أعداء ملكوته. إنه «إله» وليس رجلا ضعيفا.

إنه ليس ملاكا، أو مجرد اسم وليس- كما يقول الملحدون- مخلوقا من خيال الناس وخوفهم، وهو ليس بطلا يمكن تحديه، وليس هو الشمس والقمر، كما يتصور الوثنيون، بل هو الله، كائن كامل موجود في ذاته، وهو الذي يحكم الأرض.

المزمور التاسع والخمسون

لإمام المغنين. على لا تُهلك. مذهبة لداود لما أرسل شاول وراقبوا البيت ليقتلوه

هذا المزمور يتفق في طبيعته ومجاله مع ستة أو سبعة مزامير سابقة، وكلها عامرة بشكاوى داود من حقد أعدائه ومن خططهم القاسية اللعينة ضده، وكذلك صلواته ونبواته ضدهم، وأيضا تعزيته وثقته في الله باعتباره إلهه. الأولى هي لغة الطبيعة ويمكن السماح بها، أما الثانية فمن روح النبوة، إذ تتطلع إلى المسيح وأعداء ملكوته، لذلك لا تعتبر كسابقة، أما الثالثة فهي تتناول النعمة والإيمان المقدسين اللذين يجب أن يتمثل بهما كل واحد منا.

وفي هذا المزمور.

أولا: يصلي داود إلى الله أن يدافع عنه وينقذه من أعدائه (ع ١ – ٧).

ثانيا: يتنبأ بدمارهم (ع ٨ – ١٧).

عدد ١ – ٧

أرسل شاول زمرة من حرسه ليحاصروا بيت داود

ليلا، حتى يمسكوا به ويقتلوه، ونجد هذه القصة في (١صم ١٩: ١١). وكان ذلك حين جدد أعماله العدائية ضد داود، الذي كان قد نجا من الموت بأعجوبة نتيجة طيش رمح شاول. وثورات حقد شاول الأولى هذه لم يكن من شأنها إلا إرباك داود ووقوعه فريسة الحزن والخوف، ومع ذلك لم تتأثر شركته مع الله، ورابطة جأشه هذه كان من شأنها ألا يبتعد أبدا عن الصلاة والتسبيح.

أولا: صلى داود لكي ينقذه الله من أيدي أعدائه: «أنقذني من أعدائي يا إلهي»، أنت الله، وبمقدورك أن تنقذني. يا إلهي، الذي وضعت نفسي تحت حمايته، اجعلني بعيدا جدا عن متناول قوة وكراهية أولئك الذين قاموا عليَّ. خلصني! نجني. وهو يصلي قائلا: «استيقظ إلى لقائي» (ع ٤)، تعرف على حالتي، انظر إليَّ بعين الشفقة، واستخدم قوتك لتنقذني. وهكذا أيضا قام التلاميذ خلال العاصفة وأيقظوا المسيح قائلين: «يا معلم إننا نهلك». وهكذا علينا نحن أيضا أن نصلي بحرارة كل يوم لكي ما يحمينا الله ويخلصنا من أعدائنا الروحيين، ومن تجارب الشيطان، وفساد قلوبنا، التي تشن حربا ضد حياتنا الروحية.

ثانيا: يلتمس النجاة: وإلهنا يسمح لنا بأن نرفع إليه تضرعاتنا، ليس لكي نحثه على التحرك نحونا، بل لنحفز أنفسنا، وهذا هو ما عمله داود هنا.

(١) استند إلى صفات أعدائه الشريرة. إنهم «من فاعلي الإثم»، ولذلك فهم ليسوا أعداءه فقط، بل هم أعداء الله أيضا. وهم «من رجال الدماء»، ولذلك ليسوا أعداءه هو وحده بل البشرية كلها.

(٢) استند إلى حقدهم عليه، والخطر الوشيك الذي يهدده من قبلهم (ع ٣): «لأنهم يكمنون»، ينتظرون فرصة لإيقاع الأذى بي. وهم ماكرون للغاية في مؤامرتهم (ع ٤): «يعدون أنفسهم»، يريدون أذيتي بكل سرعة وبكل حقد. ولقد ذكر بصفة خاصة السلوك الوحشي للرجال الذين بعث شاول بهم ليمسكوا به (ع ٦): «يعودون عند المساء»، من المواقع التي عينت لهم بالنهار، لينهمكوا في أعمال الظلمة، ثم «يهرون مثل الكلب» الذي يطارد الأرانب الجبلية. «هوذا يبقون بأفواههم» الحقد الذي كان يغلي في قلوبهم «سيوف في شفاههم» (ع ٧)، أي شتيمتهم لي تدمي قلبي حزنا (مز ٤٢: ١٠)، وافتراءاتهم عليَّ تطعن وتجرح سمعتي.

(٣) استند إلى براءته شخصيا، ليس بالنسبة لله (فهو لم يتردد إطلاقا عن الاعتراف بإثمه لله) بل بالنسبة لمضطهديه: «لا لإثمي ولا لخطيتي يا رب»، أنت تعرف، لأنك عالم بكل شيء. وكذلك في آية ٤: «بلا إثم مني». وبرائتنا لن تحول دون أن تلحقنا المتاعب، إلا أنها ستعيننا وتعزينا بدرجة كبيرة إذا ما تعرضنا لها. فإذا كنا واثقين من براءتنا، فبمقدورنا بكل ثقة أن نلجأ إلى الله خاشعين، لكي نلتمس منه أن يتولى حالة الظلم البيِّن التي نحن فيها.

(٤) استند إلى أن أعداءه كانوا مجدفين ملحدين، كانوا يجدون راحتهم في معاداتهم لداود واحتقار الله: «لأنهم يقولون من سامع» (ع ٧). فحتى الله نفسه لا يسمعهم (مز ١٠: ١١؛ ٩٤: ٧).

ثالثا: يضع نفسه وقضيته تحت حكم الله العادل (ع ٥): «كل غادر أثيم لا ترحم». وعلى الرغم من أنه ارتكب إثما، إلا أنه عاد وتاب ولم يصر بعناد على مواصلة الخطأ، ولذلك كان بمقدوره أن يناشد الله بهذه الطريقة.

عدد ٨– ١٧

يشجع داود نفسه، فيما يتعلق بالتهديدات القوية التي يوجهها له أعداؤه، بأن قرر أن يضع الموضوع بين يدي الله.

أولا: قرر أن يضع الموضوع بين يدي الله «من قوته إليك ألتجئ» (ع ٩). إنه لمن الحكمة بل ومن الواجب أن نلتجئ إلى الله في أوقات الخطر والشدة، لأنه يدافع عنا. وهو يأمل أن يكون الله بالنسبة له إله رحمة «إلهي رحمته تتقدمني» (ع ١٠)، ببركات صلاحه وعطايا رحمته يحسن إليَّ بما يفوق توقعاتي. وكل رحمة الله مذخرة لنا مهيأة لأن تغمرنا. وفيما يلي أشياء عديدة يتنبأ بها بالنسبة لأعدائه. فهو يتنبأ بأن الله سيعرضهم للاحتقار، كما سبق أن عرضوا أنفسهم بالفعل للاستهزاء، «يقولون: مَنْ سامع. أما أنت يا رب فتضحك بهم» (ع ٨)، لحماقتهم، في

اعتقادهم أن ذاك الذي خلق الأذن لا يسمع، ولكنك «تستهزئ بجميع الأمم» الوثنية الذين يعيشون بلا إله في العالم. وسوف يجعلهم الله نماذج دائمة لعدله «لا تقتلهم» (ع ١١)، لا تسمح بقتلهم فورا «لئلا ينسى شعبي». وهكذا كان الحال أيضا بالنسبة لقايين نفسه، فعلى الرغم من أنه كان قاتلا، إلا أنه لم يقتل لئلا ينسى الانتقام، ولكن حكم عليه «تائها وهاربا تكون في الأرض». «تيِّههم» حتى لا يتَّحدوا ثانية ليعملوا شرا: «وأهبطهم يا رب ترسنا». بسبب «خطية أفواههم»، و«كلام شفاههم»، «وليؤخذوا» من أجل ذلك «بكبريائهم»، حتى بالنسبة للعنهم للآخرين وأنفسهم (وهي خطية ارتكبها شاول، ١صم ١٤: ٢٨، ٤٤)، وكذلك الكذب. لقد أراد شاول وزمرته أن يحكموا ويقضوا على كل ما يصادفهم من عقبات، ولكنهم حملوا على أن يعرفوا بأن هناك من هو أعلى منهم، وأن هناك ذاك الذي يسود عليهم ويغلبهم. وهو «متسلط في يعقوب»، لأن هناك مجلس بلاطه، وهو معروف هناك، واسمه عظيم. ولكنه سيعرف «إلى أقاصي الأرض»، لأن جميع الشعوب تدخل في نطاق مملكته. كانت خطيتهم هي مطاردة داود للقضاء عليه. أما عقوبتهم فسوف تتمثل في أن يتملكهم الفقر حتى يبذلوا جهدا جهيدا في سبيل التخلص من جوعهم. وهكذا سيكون حالهم، فلن يقطعوا في الحال، بل يتشتتون (ع ١١). ولقد تنبأ أنهم سيتسولون خبزهم من بيت فبيت. و«يهرون مثل الكلب». فحين كانوا يجدون في إثر داود كانوا يأتون صوتا مثل صوت كلب غاضب ينبح مزمجرا. أما الآن، وهم يسعون بحثا وراء الطعام فسوف يصدرون صوتا مثل صوت كلب جائع ينبح ويعول. والذين يتوبون عن خطاياهم، يهدلون مثل الحمام عند متاعبهم. أما أولئك الذين تقست قلوبهم فحين يقعون في متاعب تراهم مثل الكلاب، أو مثل الحيوانات المتوحشة التي وقعت في الأسر، إذا لم تُعطَ طعام، فإنها تمتلئ من الغضب وتزمجر. لذلك فإن ما يعطيه الناس لهم لا يتأتى عن طيب خاطر، بل لكي يتخلصوا من غضبهم، لئلا يزعجوهم بزمجرتهم المستمرة. عدم القناعة وليس الفقر هو الذي يجر الإنسان إلى التعاسة.

ثانيا: يتوقع أن يسبح لله، وأن توفر له العناية الإلهية مادة التسبيح، وأن تخلق فيه نعمة الله قلبا مسبحا (ع ١٦ و١٧).

(١) سوف يسبح لقوة الله ورحمته، فكلتاهما ستكونان موضوع ترنمه. والقوة دون رحمة يجب الخوف منها، والرحمة بدون القوة لا يستطيع الإنسان أن يتوقع منها فائدة كبيرة. غير أن قوة الله، التي بواسطتها يستطيع أن يعيننا، ورحمته التي تحمله على أن يساعدنا، من الواجب أن تكونا موضوع التسبحة الدائمة لجميع القديسين. وسوف يحمده، لأنه في مرات كثيرة، كان يدافع عنه، وكان ملجأ له في يوم الضيق.

(٢) سوف «يغني» كشخص تأثر جدا بمجد الله، ولم يكن يجد حرجا في الاعتراف به، ويريد أن يتأثر الآخرون به.

المزمور الستون

لإمام المغنين على السوسن. شهادة مُذهَّبة لداود للتعليم. عند محاربته أرام النهرين وأرام صوبة، فرجع يوآب وضرب من أدوم في وادي الملح اثني عشر ألفا

بعدما كتب داود العديد من المزامير في أوقات صعبة، نجده الآن يكتب هذا المزمور في يوم انتصار. كُتب هذا المزمور بعدما استقر داود على كرسيه بمناسبة النصر العظيم الذي منحه الله لجنوده على الآراميين والأدوميين. وكان ذلك عندما كان داود في أوج عظمته، وكانت أحوال المملكة أفضل مما كانت عليه من قبل أو من بعد (انظر ٢صموئيل ٨: ٣، ١٣؛ ١أخبار ١٨: ٣، ١٢). وها هو داود المحب لله سواء في انتصاراته أو في ضيقاته.

في هذا المزمور:

أولا: يتذكر الأحوال السيئة للشعب التي استمرت لمدة طويلة (ع ١ – ٣).

ثانيا: كما يتأمل التحول السعيد الذي حدث مؤخرا في أحوالهم (ع ٤).

ثالثا: كما يصلي من أجل خلاص شعب الله من أعدائه (ع ٥).

رابعا: ويفرح بالنصر مترجيا دوام الانتصارات (ع ٦ – ١٢).

عدد ١ – ٥

القصد العام من المزمور. إنه «شهادة مُذهَّبة» ثم إنه «للتعليم». ويجب على اللاويين أن يعلِّموه للشعب، وبه يعلمونهم كيف يثقون في الله ويفرحون به. كان داود في حرب مع أرام، سواء بالنسبة لأرام النهرين، أو بالنسبة لأرام صوبة. كان قد حقق نصرا عظيما على أدوم، وذلك بقواته تحت قيادة يوآب، الذي قتل منهم اثني عشر ألفا في أرض المعركة. وكان قلقا بالنسبة لحربه مع الأشوريين، ومن أجل هذا كان يصلي.

وفي هذه الأعداد التي استهل بها المزمور نجد الآتي:

أولا: ذكرى أليمة للعار والإحباط الذي فرضه الله على الشعب لسنوات عديدة.

(١) يشكو من الأوقات العصيبة التي رأوها (التي عانوا خلالها)، في حين أن الفلسطينيين، وكل جيرانهم الذين يكنون لهم العداء، كانت لهم كل المميزات التي استغلوها ضدهم (ع ٣).

(٢) اعترف بأن غضب الله عليهم كان سبب كل المتاعب التي حلت بهم: لقد أغضبناك، فرفضتنا (ع ١)، وفي غضبك شتتنا ورفضتنا، وإلا لما استطاع أعداؤنا أن يتغلبوا علينا على هذا النحو.

(٣) يعبر عن حزنه للعواقب الوخيمة والنتائج المترتبة على الإخفاقات طوال هذه السنوات الأخيرة. فالأمة كلها كان يسودها اضطراب عنيف: «زلزلت الأرض» (ع ٢). والصديقون أنفسهم تملكهم الذعر: «سقيتنا خمر الترنح» (ع ٣)، كنا كالسكارى وتملكتنا الحيرة، لا نعرف كيف نوفق بين ما يحدث ووعود الله، ولم يكن بمقدورنا أن نفعل شيئا بل وما كنا ندري ما الذي يتعين علينا عمله. وحين يمد الله يده لصالحنا، فمن الطيب أن نتذكر مآسينا السابقة. تلك المآسي تعمل على إظهار مدى أفراحنا.

ثانيا: إشارة شاكرة إلى تشجيع الله لهم لكي يأملوا بأنه على الرغم من أن الأحوال كانت مسيئة بالنسبة لهم ولفترة طويلة، إلا أنها ستبدأ الآن في التحسن (ع ٤). «أعطيت خائفيك راية (لأنه، مهما كانت الأوقات شريرة، إلا أن هناك بقية بيننا ترغب في أن تخاف اسمك، والذين توليهم اهتماما خاصا) تُرفع لأجل الحق»، لأجل صدق وعدك الذي ستنجزه، وسوف يرفعونها دفاعا عن الحق والعدالة (مز ٤٥: ٤). هذه الراية هي مملكة داود، إقامتها وتوسيعها لتسود على إسرائيل برمتها. فقد وحدتهم، كما يتجمع الجنود معا تحت راياتهم. لقد شجعتهم، وزودتهم بالحيوية والشجاعة. وهذا ما ولَّد الذعر في قلوب أعدائهم، أصبحوا الآن قادرين على أن يرفعوا لهم راية التحدي. وقد أُعطي المسيح، ابن داود «راية للشعوب» (إش ١١: ١٠)، ليبتهجون وليتشجعون. فمحبته هي الراية التي تظللهم، وباسمه وقوته يشنون حربا على قوى الظلمة، وبقيادته أصبحت الكنيسة «مرهبة كجيش بألوية».

ثالثا: تضرع خاشع لرحمة في حينها: «أرجعنا» (ع ١)، تبسم في وجهنا، كن في سلام معنا، وفي هذا السلام نجد سلامنا «اجبر كسرها» (كسر أرضنا)، وليس فقط الكسور التي أحدثها الأعداء بيننا، بل أيضا الكسور التي يؤسف لها. وبهذا يمكن إنقاذهم من أيدي أعدائهم «لكي ينجو أحباؤك خلِّص بيمينك» (ع ٥)، وبأية وسيلة ترى أن تستخدم بها رجال يمينك.

عدد ٦ – ١٢

داود هنا يفرح بالرجاء ويصلي في رجاء (ع ٦): «الله قد تكلم بقدسه» (أي أعطاني كلمة وعده). «حلفت بقدسي، إني لا أكذب لداود» (مز ٨٩: ٣٥).

أولا: يفرح داود هنا متطلعا إلى أمرين:

(١) إكمال هذه الثورة في مملكته. لقد تكلم الله «بقدسه» بأن يكون داود ملكا، وهو لا يشك في أن المملكة ستكون له، وكان واثقا كما لو كانت قد أصبحت فعلا في يده «أبتهج، أقسم شكيم» (مدينة جميلة في جبل أفرايم)، «وأقيس وادي سكوت» على اعتبار أنه ملكي. «لي جلعاد ولي منسى»، وكلتاهما تمت هزيمتهما بشكل تام (ع ٧). وسوف تقدم له أفرايم جنودا كحرسه الخاص وقواته الثابتة، أما يهوذا فسوف تمده بقضاة مقتدرين يتولون رئاسة المحاكم، وبهذا سيكون «أفرايم خوذة» رأسه، و«يهوذا» صولجانه.

وهكذا المؤمن الراسخ تراه يفرح بمواعيد الله لأنها كلها فيها النعم وفيها الآمين في المسيح. «الله قد تكلم بقدسه»، فلي الغفران، ولي السلام، ولي النعمة، ولي المسيح، ولي السماء، ولي الله نفسه: «كل شيء لكم» لأنكم «للمسيح» (١كو ٣: ٢٢ و٢٣).

(٢) هزيمة الأمم المجاورة، التي كانت تسبب المتاعب لإسرائيل والتي كانت لا تزال تشكل خطرا عليها، وكانت تعارض داود (ع ٨) . سوف تستعبد موآب، وتكلف بأحقر الأعمال: «وصار الموآبيون عبيدا لداود» (٢صم ٨: ٢). سوف تصبح أدوم مزبلة تطرح فيها النعال القديمة، وسوف يضع داود يديه عليها كمُلك له على الأقل، الأمر الذي تشير إليه عبارة «على أدوم أطرح نعلي» (انظر راعوث ٤: ٧). أما بالنسبة للفلسطينيين فدعهم، لو كانت لهم جرأة على تحديه، كما كانوا يفعلون في السابق، لأنه سرعان ما سيجبرهم على تغيير نغمتهم. لكن الحرب لم تضع أوزارها بعد، فهناك «المدينة المحصنة» لعلها «ربة بني عمون»، والتي لاتزال صامدة، وأدوم لم تخضع بعد. ولذلك نرى داود هنا يتساءل عن العون الذي يمكنه من مواصلة الحرب: «من يقودني إلى المدينة المحصنة.. أليس أنت يا الله»، لأنك تكلمت بقدسك، ألن توفي بوعدك؟ لقد ذكر عدم رضى العناية الإلهية عليهم، لقد «رفضتنا» في الظاهر، «ولا تخرج يا الله مع جيوشنا». في ذات الوقت الذي اعترفوا بعدالة الله بالنسبة لما مضى، تراهم يأملون في رحمته بالنسبة للمستقبل.

ثانيا: كان يصلي في رجاء. وكانت صلاته: «أعطنا عونا في الضيق» (ع ١١)، عونا على أعدائنا، فحتى في يوم نصرتهم شعروا أنهم في ضيق، لأنهم كانوا لا يزالون في حرب، والحرب، أمر متعب حتى بالنسبة للطرف المنتصر. ومع أنهم لا يحسبون منتصرين بعد (لأن نتائج الحرب غير مضمونة بالمرة)، وما لم يمد الله لهم يد العون في المعركة التالية، فقد يلقون الهزيمة، ولذلك: أعطنا يا رب عونا من قدسك. والعون ضد العدو هو راحة من الحرب، وهو الأمر الذي صلوا من أجله، كمن يصارعون من أجل العدالة وليس من أجل النصر «بالله نصنع ببأس»، وبذا نتصرف ببسالة، لأنه «هو»، و«هو» وحده الذي «يدوس أعداءنا»، وله المجد لعمله هذا. مع أن الله هو الذي يعمل كل شيء من أجلنا، إلا أن هناك ما يجب أن نعمله بأنفسنا. والرجاء في الله أفضل أساس للشجاعة الحقة. والذين يؤدون واجبه تحت إرشاده، بمقدورهم أن يؤدوه ببسالة، لأنه ما الذي يخشاه أولئك الذين يكون الله إلى جانبهم؟

المزمور الحادي والستون

لإمام المغنين على ذوات الأوتار. لداود

يبدأ داود هذا المزمور- كشأنه في كثير من المزامير الأخرى بصلوات ودموع، ولكنه يختتمه بترانيم التسبيح والحمد. وهكذا، إذ تُرفع النفس إلى الله، تعود لتتمتع في داخلها. ويبدو أن داود كان قد طرد ونفي عند كتابة هذا المزمور، وليس من الواضح ما إذا كان ذلك على يد شاول أم على يد أبشالوم.

أولا: يدعو الله؛ لأن الله سبق أن وفر له الحماية (ع ١ – ٣).

ثانيا: يدعو الله؛ لأنه يدبر له أموره على شكل جيد (ع ٤ و٥).

ثالثا: يحمد الله؛ لأنه على يقين من استمرار فضل الله عليه (ع ٦ – ٨).

عدد ١ – ٤

أولا: التصاق داود الوثيق بالله والتجاؤه إليه في يوم شدته وضيقه. وأيا كان ما يحدث فسوف «أدعوك» (ع ٢)، كواحد لن يطلقك «إن لم تباركني». وهذا ما سوف يفعله: «من أقصى الأرض»، من أبعد ركن مجهول في البلاد «أدعوك». «وإذا غشي على قلبي»، إلا أنه لن يثقل بالهموم حتى لا يرفع إلى الله بالصلاة. والواقع أنه بالنظر إلى أن قلبي مهيأ لأن يغلب على أمره، فلذلك «أدعوك»، لأنه بهذه الوسيلة يتقوى ويشعر براحة. والبكاء يجب أن يحفز على الصلاة ويحييها لا أن يميتها.

ثانيا: الالتماس الخاص الذي رفعه لله حين تثقل قلبه وكاد يخور: «إلى صخرة أرفع مني تهديني»، أي إلى الصخرة التي هي أعلى مني بكثير جدا حتى أنني لا أستطيع أن أصعد إليها ما لم تعني على

ذلك. إلى الصخرة التي على قمتها أكون أبعد من متناول متاعبي، وأقرب إلى منطقة الهدوء والسكون، الأمر الذي ما كانت توفره لي بأي حال حكمتي، أو قوتي الشخصية. تلك الصخرة هي المسيح، والذي فيه كل الطمأنينة.

ثالثا: رغبته وتطلعه إلى إجابة سلامية. لقد تضرع في إيمان (ع ١): «اسمع يا الله صراخي واصغ إلى صلاتي»، أي أعطني عزاء أن أعرف الآن أنك سمعتني (مز ٢٠: ٦)، وفي الوقت المناسب أعطني ما تضرعت من أجله في الصلاة إليك.

رابعا: أساس هذا التوقع، والحجة التي استخدمها ليدعم التماسه (ع ٣): «لأنك كنت ملجأ لي»، وجدت فيك صخرة أعلى مني، ولذلك فإني لازلت على ثقة من أنك ستقودني إلى هذه الصخرة.

خامسا: قراره مواصلة السير في طريق الواجب نحو الله والاتكال عليه (ع ٤). كان داود في ذلك الحين قد طرد بعيدا عن المقدس (المسكن)، الأمر الذي أحزنه حزنا بالغا، ولكنه تلقى تأكيدا بأن الله بعنايته سيعيده ثانية إليه. وهو يتحدث عن السكنى هناك «إلى الدهور»، لأن خيمة الاجتماع كانت ترمز إلى السماء (عب ٩: ٨ و٩، ٢٤). والذين يسكنون في «مسكن» الله- باعتباره بيت الواجب- أثناء فترة حياتهم القصيرة على الأرض، سوف يسكنون في ذلك المسكن الذي هو بيت المجد في الأبدية التي ليست لها نهاية: «أحتمي بستر جناحيك»، كما تبحث صغار الدجاجة عن الدفء والأمن تحت جناحيها.

عدد ٥- ٨

أولا: كيف ينظر داود بسرور بالغ إلى ما سبق أن عمله الله له في الماضي (ع ٥): «لأنك أنت يا الله استمعت نذوري». والله شاهد على كل مرامينا الطيبة، وكل وعودنا الطيبة المتجددة بطاعته. الصلوات التي استمعها واستجاب لها، شجعته على الصلاة قائلا: «اسمع يا الله صراخي». لقد قبلت نذوري، واستجبت لها بفاعلية، لأنك «أعطيت ميراث خائفي اسمك». ولسنا في حاجة إلى أن نرغب في شيء سوى ميراث أولئك الذين يخافون الله.

ثانيا: كيف أنه يتطلع بثقة إلى مواصلة حياته «إلى أيام الملك تضيف أياما. سنينه كدور فدور» (ع ٦). وكان قراره أن يسكن في مسكن الله إلى الدهور (ع ٤). كان ذلك على سبيل الواجب، أما الآن فرجاؤه أن «يجلس قدام الله إلى الدهر»، وذلك على سبيل الراحة.

ثالثا: كيف أنه بإلحاح يلتمس من الله أن يأخذه ويحفظه دوما تحت حمايته: «اجعل رحمة وحقا يحفظانه». كان داود واثقا من أن الله سيطيل حياته، ولذلك كان يصلي من أجل أن يحفظها، وليس معنى ذلك أنه يطلب أن يمده بجيش خاص قوي، أو قلعة حصينة منيعة، بل أن يجعل «رحمة وحقا يحفظانه». ولا يمكن لنا أن نحظى بأمن أكثر مما توفره لنا حماية رحمة الله وحقه.

رابعا: كيف أنه بكل فرح ينذر عودته إلى عمل واجبه نحو الله (ع ٨): «هكذا أرنم لاسمك إلى الأبد لوفاء نذوري يوما فيوما».

المزمور الثاني والستون

لإمام المغنين على يدوثون. مزمور لداود

هذا المزمور لا يتضمن ما يشير بصفة مباشرة إلى صلاة أو تسبيح، بل ولا يبين في أي مناسبة تمت كتابته، وما إذا كانت مناسبة خاصة سواء كانت سعيدة أم محزنة.

غير أننا نجد فيه:

أولا: يعترف داود بكل فرح وبهجة بثقته في الله واتكاله عليه (ع ١ - ٧).

ثانيا: يحفز الآخرين بحماسة بالغة على أن يتكلوا أيضا على الله، وليس على أي مخلوق مهما كان (ع ٨ - ١٢).

عدد ١- ٧

أولا: اعتراف داود باتكاله على الله، وحده دون سواه، إلى الأبد «إنما لله انتظرت نفسي» (ع ١). على الرغم من كل شيء وأيا كانت الأحوال، ومهما كانت المصاعب والأخطار التي قد تصادفني، وعلى الرغم من أن الله قد يغضب مني، وأجد إحباطات

في خدمتي له، إلا أنه على الرغم من ذلك «إنما لله انتظرت نفسي» (أو وقفت صامتا أمام الله، بحسب معنى الكلمة)، لا أعلق على ما يفعله، بل بكل هدوء أرقب ما سوف يفعله. لأن منه سيأتي العون، ولذلك انتظره بصبر، إلى أن يتحقق ذلك، لأن الوقت الذي يختاره هو أفضل الأوقات.

ثانيا: أساس اتكاله هذا وسببه «هو صخرتي وخلاصي ملجأي» (ع ٢). المخلوق لا يكفي، فهم لا شيء بدون الله، ولذلك اتكل على الله وليس على أي مخلوق أيا كان.

ثالثا: استفادته بصفة عملية من ثقته في الله. إذا كان الله هو قوتي ومخلصي العظيم إذًا «فلا أتزعزع» (أي لن يُقضى عليَّ أو أُقتل)، قد أتزعزع، غير أني لن أقهر. لقد استهان بأعدائه، واحتقر كل محاولاتهم ضده (ع ٣ و٤): «إلى متى تهجمون؟» ألن تقتنعوا أبدا بخطئكم؟ ألن يتلاشى حقدكم أبدا؟ فالحسد كان أساس حقدهم، وكان نجاح داود يوغر صدورهم، ولذلك حاكوا له المؤامرات، بالإساءة إلى شخصه لإعاقة تقدمه. «يرضون بالكذب. بأفواههم يباركون (يمتدحون داود في حضوره) وبقلوبهم يلعنون»، في قلوبهم يتمنون له كل شر، ويدبرون له في السر المؤامرات الشريرة ويأملون القضاء عليه بواسطتها.

إنه لمن الخطورة أن نثق في أناس على هذا النحو من الزيف، لكن الله أمين. سوف يهلكون جميعا بدينونة الله. لقد قتل الفلسطينيون شاول وعبيده على جبل جلبوع، طبقا لهذه النبوة. إن كنيسة الله بنيت على صخرة راسخة لا تتزعزع، أما الذين يحاربونها فسيصيرون «كحائط منقض، كجدار واقع»، وإذا كان له أساس فاسد، يسقط فجأة ويدفن تحت أنقاضه أولئك الذين يستظلون به، ويتخذونه ملجأ. لقد تشجع داود بأن يواصل انتظاره واتكاله على الله (ع ٥ – ٧). إذا كان الله سيخلص نفسي، فليفعل ما يريد بالنسبة لأي أمر آخر يخصني، وسوف أسلم بتدابيره عالما بأنها تؤول إلى خلاصي (انظر فيلبي ١: ١٩). ويكرر في آية ٦ ما سبق أن قاله عن الله في آية ٢ كأمر لا يفارق أفكاره: «إنما هو صخرتي وخلاصي ملجأي»، أنا أعرف أنه هكذا. غير أنه في آية ٢ يضيف «لا أتزعزع كثيرا»، أما هنا في آية ٦ فيضيف: «فلا أتزعزع» أي أنه لا يتزعزع إطلاقا. وفيما كان إيمان داود يتقوى حتى يصل إلى حالة الرسوخ والثبات، هكذا أيضا كان فرحه في الله يزداد إلى أن أصبح نصرة مقدسة (ع ٧): «على الله خلاصي ومجدي».

عدد ٨– ١٢

أولا: ينصح داود الجميع بأن يتكلوا على الله، على غرار ما فعل هو «يا قوم» (ع ٨) (أي يا كل الشعوب)، فالجميع يرحب باتكالهم على الله لأنه «متكل جميع أقاصي الأرض» (مز ٦٥: ٥): «توكلوا عليه»، توكلوا عليه وثقوا في أنه سيصلح لكم جميع أموركم، توكلوا على حكمته وصلاحه، وعلى قوته ومواعيده، وعلى عنايته الإلهية ونعمته. افعلوا هذا «كل حين»، «اسكبوا قدامه قلوبكم». يبدو أن هذا التعبير يشير إلى سكيب الخمر المصاحب للتقدمة والذي يسكب أمام الرب. وحين نعترف تائبين بخطيتنا، نكون بهذا قد سكبنا قلوبنا «أمام الرب» (١صم ٧: ٦). أما هنا فالمقصود بها إشارة إلى الصلاة، والتي إذا كانت كما يجب، تعد انسكابا للقلب أمام الله. يجب أن نطرح أمامه متاعبنا، ونرفع إليه رغباتنا بكل تواضع وصراحة، ونخضع بصبر مشيئتنا لمشيئته. وهكذا نسكب قلوبنا قدامه. «الله ملجأ لنا»، وليس ملجأ لي فقط (ع ٨)، بل هو ملجأ لنا جميعا، لكل من هرب إليه واتخذه ملجأ له.

ثانيا: يحذرنا بضرورة الانتباه حتى لا نضع ثقتنا في غير موضعها. ليتنا لا نثق في أهل هذا العالم، لأنهم مثل قصبة مرضوضة «إنما باطل بنو آدم» (ع ٩)، وهم عاجزون تماما عن مساعدتنا، و«كذبٌ بنو البشر» فسوف يخدعوننا إذا وثقنا فيهم. ضعهم على «الموازين»، موازين الكتاب المقدس، أو بالحري اختبرهم، وستعرف النتيجة، من ناحية ما إذا كانوا سيحققون تطلعاته منهم أم لا. وسوف تكتشف أنهم «من باطل أجمعون». وليتنا لا نتكل على غنى هذا العالم، ليتنا لا نتخذ منه مدينتنا المحصنة (ع ١٠): «لا تتكلوا على الظلم»، أي على الغنى الذي تحقق بالخداع والاغتصاب. والواقع أنه، بالنسبة لصعوبة أن

يكون لدى الإنسان ثروة كبيرة ولا يتكل عليها إذا زادت، على الرغم من أنه كوّنها بطرق مشروعة وأمينة، علينا أن نحذر لئلا تتجه عواطفنا بشكل مبالغ فيه: «فإن زاد الغنى فلا تضعوا عليه قلبا»، لا تتلهفوا عليه. ونحن في خطر أن نفعل ذلك، إذا ما زادت ثرواتنا.

ثالثا: عرض سببا قويا للغاية يبين لماذا يجب أن نضع ثقتنا في الله، والسبب أنه إله قوته غير محدودة وكذلك رحمته وبره (ع ١١ و١٢): «مرة واحدة تكلم الرب، وهاتين الاثنتين». لقد تكلم الرب، وقد سمعت مرة، واثنتين (أي مرارا كثيرة) وذلك من خلال الأحداث المتعلقة بي شخصيا. لقد تكلم الرب بهذا، وقد سمعته من نور الإعلان الإلهي، وبالأحلام والرؤى (أي ٤: ١٥)، وبإعلانه المجيد عن ذاته على جبل سيناء (ويقول البعض إن هذه إشارة إلى ذلك بصفة خاصة)، وبكلمته المكتوبة. والله يتكلم إلى البعض مرتين، وهم لن يسمعوا مرة، لكنه يتكلم إلى آخرين مرة واحدة فقط، وهم يسمعونه مرتين. (قارن أيوب ٣٣: ١٤). ولكن ما هو هذا الذي تكلم به الله والذي سمع: «أن العزة لله»، هو الله القدير، الذي يستطيع كل شيء، ولا يعسر عليه أمر. هو إله الصلاح المطلق. وهنا يحول صاحب المزمور كلامه إلى الله نفسه، إذ كان يتوق إلى أن يعطيه مجد صلاحه، والذي هو مجده: «ولك يا رب الرحمة». الله رحيم بطريقة يتفرد هو بها، فهو «أبو الرأفة» (٢كو ١: ٣)، لم يسبق أن أساء، بل ولن يسيء إطلاقا إلى أي من مخلوقاته: «لأنك أنت تجازي الإنسان كعمله».

المزمور الثالث والستون

مزمور لداود لما كان في برية يهوذا

يتضمن هذا المزمور حرارة ومحبة فائقة في سطور قليلة كما هو الحال بالنسبة لأي من مزامير داود. وكما أن أحلى رسائل بولس هي تلك التي كتبت في السجن، هكذا نجد أيضا أن بعضا من أحلى مزامير داود هي تلك التي كتبت في البرية.

أولا: لهفته إلى الله (ع ١ و٢).

ثانيا: تقديره له (ع ٣ و٤).

ثالثا: شبعه في الله (ع ٥).

رابعا: شركته السرية مع الله (ع ٦).

خامسا: فرحه لاتكاله على الله (ع ٧ و٨).

سادسا: نصرته في الله على أعدائه، وليقينه من سلامته (ع ٩ – ١١).

عدد ١ و٢

يذكر لنا العنوان المكان الذي كُتب فيه هذا المزمور، فقد كُتب حين كان داود في «برية يهوذا»، أي في «وعر حارث» (١صم ٢٢: ٥)، أو في «برية زيف» (١صم ٢٣: ١٥). وحتى في كنعان، على الرغم من أنها أرض مثمرة عامرة بالسكان، إلا أن بها بعض الأجزاء الصحراوية، التي هي أقل إثمارا، وسكانها أقل عددا. سوف يكون الحال هكذا في العالم، وفي الكنيسة، ولكن ليس في السماء، فهناك «يبتهج القفر ويزهر كالنرجس» (إش ٣٥: ١). وأفضل قديسي الله وعبيده وأعزهم عنده أحيانا يكون نصيبهم في البرية. وهناك مزامير مناسبة للبرية، ولنا أن نشكر الله أننا في برية يهوذا ولسنا في برية الشيطان. وداود في هذا المزمور يحفز نفسه ليمسك بالله:

أولا: بإيمان حي فعّال: «يا الله إلهي أنت». وحين نقول: «يا الله» علينا أن نعترف بوجود الله، وأننا نتكلم إلى إله موجود بالفعل وحاضر معنا. فهي كلمة خطيرة وليست شعارا.

ثانيا: بمحبة قلبية وتقوى حقيقية.

(١) صمم على أن يطلب الله، ونعمته ورحمته: «إلهي أنت» وعلى ذلك «إليك أبكر»، لأنه «ألا يسأل شعب إلهه» (إش ٨: ١٩). وإني «إليك أبكر، عطشت إليك نفسي، يشتاق إليك جسدي (أي أنني بكل كياني إليك أبكر) في أرض ناشفة ويابسة».

(٢) يشتهي أن يتمتع بالله. ولكن ما هذا الذي يشتهيه بكل هذه اللهفة؟ ما هو التماسه وما هو طلبه؟ إنه هذا: «لكي أبصر قوتك ومجدك كما قد رأيتك في قدسك». أي أنه يقول: أشتهي أن أراها هنا في البرية كما سبق أن رأيتها في قدسك، وأن أراها سرا كما سبق أن رأيتها في الاجتماع المقدس. إنه يشتهي أن يخرج من البرية، وليس ذلك لكي يرى أصحابه ثانية، أو أن يعود إلى مسرات ومباهج البلاط الملكي،

بل لكي يصبح بمقدوره أن يتوجه إلى المقدس، وليس ذلك بغية رؤية الكهنة هناك، وكذلك طقس العبادة بل «لكي أبصر قوتك ومجدك». ولم يقل لقد رأيتهما، بل «كما قد رأيتك». لأنه ليس بوسعنا أن نرى جوهر الله، لكننا نراه عندما نرى بعين الإيمان صفاته وكمالاته. وكانت لحظات سعيدة تلك التي قضاها في شركة مع الله، وكان يحب أن يستعيد ذكرياتها ثانية.

عدد ٣- ٦

ما أسرع أن تحولت شكاوى داود وصلواته إلى تسابيح حمد وشكر! كان داود في ذلك الحين في البرية، ومع ذلك كان قلبه يزداد حماسة في مباركة الله.

أولا: ما الذي يسبح داود الله من أجله (ع ٣): «لأن رحمتك أفضل من الحياة». والمقصود هنا الحياة الروحية التي هي أفضل من الحياة الزمنية (مز ٣٠: ٥). فلدينا مؤنة أفضل وممتلكات أحسن مما يستطيع أن يوفره لنا غنى هذا العالم، ثم إنه في خدمة الله والشركة معه نجد استخدامات أفضل ومتع أحسن مما نستطيع أن نحصل عليه من أعمال هذا العالم وأحاديثه.

ثانيا: كيف يسبح الله، وإلى متى (ع ٤): «هكذا أباركك في حياتي»، على النحو الذي بدأت به الآن، نفس المشاعر المخلصة الراهنة لن تتلاشى مثل سحابة الصباح، بل ستشرق أكثر فأكثر مثل شمس النهار: «هكذا أباركك في حياتي». ومباركة الرب يجب أن تكون شغلنا الشاغل طوال حياتنا. «باسمك أرفع يدي». وفي كل صلواتنا وتسبيحاتنا تعلمنا أن نبدأها بالقول: «ليتقدس اسمك»، ونختتمها بقولنا: «لك... المجد».

ثالثا: كيف أنه يسبح الله بفرح ومسرة (ع ٥): «كما من شحم ودسم تشبع نفسي»، ليس فقط كما من خبز، وهو مغذٍ، بل كما من أفضل نوعيات الطعام وألذها (إش ٢٥: ٦). فهناك في الله وكرمه، والشركة معه، ما يشبع النفس التقية شبعا كافيا (مز ٣٦: ٨ ؛ ٦٥: ٤). وهناك في النفس التقية ما يشبع تماما في الله والشركة معه. سوف يسبح الله «بشفتي الابتهاج». بينما يؤمن الإنسان بقلبه، ويعبر عن شكره بفمه، إلا أن الاعتراف يجب أن يتأتى عن طريقهما معا، وذلك لمجد الله، وليس معنى ذلك أن كلمات الفم تقبل بدون القلب (مت ١٥: ٨)، بل من فيض القلب يتكلم اللسان (مز ٤٥: ١). والشفاه المسبحة يجب أن تكون شفاه الابتهاج.

رابعا: كيف يمتع نفسه بالتفكير في الله فيما هو منعزل وحده بعيدا (ع ٦): سوف أسبحك «إذا ذكرتك على فراشي». كان الله يشغل كل فكره، وهذا هو ما يتناقض مع سمة الشرير (مز ١٠: ٤). وتفكره في الله أمر حاضر في ذهنه «ذكرتك»، أي أنني عندما أشرع في التفكير، أجدك عن يميني حاضرا في ذهني. وكل أفكاري مركزة في الله «في السهد ألهج بك». وتفكيرنا في الله لا يجب أن يكون بشكل عابر، يمر بالذهن مرور الكرام، بل يجب أن يكون بأفكار راسخة، ساكنة في العقل. كان داود في وضع المتجول، وغير مستقر في مكان معين، غير أنه حيثما أتى، لم يكن يتخلى عن تدينه. وحين يرحل النوم عن أعيننا (نتيجة الألم أو المرض، أو قلق في الذهن)، نجد أن نفوسنا نتيجة تذكر الله تشعر براحة، وأمن. وربما ساعة تأمل مقدس تنفعنا بأكثر مما ينتج عن ساعة نوم (انظر مزمور ٤: ٤ ؛ ١٦: ٧ ؛ ١٧: ٣ ؛ ١١٩: ٦٢).

عدد ٧- ١١

يعبر داود هنا عن ثقته في الله وتوقعاته البهيجة منه «وبظل جناحيك ابتهج» (ع ٧)، وهو يشير هنا إما إلى أجنحة الكروبيم الممتدة فوق تابوت العهد، والتي يقال إن الله يسكن بينها، وإما إلى أجنحة طائر ما حيث تحتمي تحتها صغاره (خر ١٩: ٤؛ تث ٣٢: ١١)، وهذا ما يشير إلى قوة الله، وإلى صغار الدجاج (مت ٢٣: ٣٧) الأمر الذي يتحدث بالأكثر عن المحبة الإلهية.

وهي عبارة كثيرا ما ترد في المزامير (١٧: ٨؛ ٣٦: ٧؛ ٥٧: ١؛ ٦١: ٤؛ ٩١: ٤)، ولم ترد في أي موضع آخر بهذا المعنى سوى في راعوث ٢: ١٢ حيث إن راعوث بعد أن آمنت قيل أنها جاءت إلى الرب إله إسرائيل «لكي تحتمي تحت جناحيه». ومن واجبنا أن نحتمي بظل جناحي الله، الأمر الذي يشير إلى لجوئنا إلى الله بالإيمان والصلاة، كأمر طبيعي كما

تفعل صغار الدجاجة حينما تحتمي تحت جناحيها إذا ما أحست ببرد أو تملكها خوف.

أولا: ما هي الدعائم التي تشجع داود على الثقة في الله:

(١) اختباراته السابقة عن قوة الله بالنسبة لخلاصه: «لأنك كنت عونا لي» حين خذلتني كل معونة أو معين غيرك، لذلك لازلت ابتهج بخلاصك وسوف اتكل عليك مستقبلا، وسوف أفعل ذلك ببهجة وفرح.

(٢) إن شعوره بنعمة الله جعله يواصل التصاقه بالرب. (ع ٨) «التصقت نفسي بك». كانت لداود رغبة حارة، وإرادة نشطة جادة للمحافظة على شركته مع الله، لذلك اعترف- لمجد الله- «يمينك تعضدني».

ثانيا: انتصار داود في الرجاء:

(١) وذلك بهزيمة أعدائه (ع ٩ و١٠). فأولئك الذين يطلبون نفسه- التي أصابوها بالذعر، سواء بإعاقته عن أنه يملك، أو بحقدهم وكراهيتهم له بسبب حكمته، وتقواه، ونفعه- لإهلاكها بمعاقبته من قوانين الله بحجة أنه متمرد على مسيح الرب (شاول).. هؤلاء سيهلكون «فيدخلون في أسافل الأرض» إلى القبر، إلى الجحيم. عداوتهم لداود ستكون موتهم. أيضا سوف «يكونون نصيبا لبنات آوى»، سواء بأن تفترس الوحوش الكاسرة أجسادهم الميتة، أو بأن تكون بيوتهم وأراضيهم مسكنا لتلك الوحوش (إش ٣٤: ١٤).

(٢) وأنه هو نفسه سيحقق هدفه في النهاية (ع ١١)، وأنه سيعتلي العرش الذي مُسح له: «أما الملك فيفرح بالله». وارتقاء داود سيكون تعزية لأصحابه: «يفتخر كل من يحلف به» (أي لداود) أي كل من يساند قضيته ويقسم يمين الولاء له: «متقوك يرونني فيفرحون». فالذين يتبنون رسالة المسيح بقلوبهم سوف يفرحون بانتصارها أخيرا. «إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضا معه». وسوف يكون ذلك إفحاما لأعدائه: «لأن أفواه المتكلمين بالكذب»، كشاول، ودواغ وآخرين ممن تكلموا بظلم عن داود، سوف «تُسد».

المزمور الرابع والستون

لإمام المغنين. مزمور لداود

هذا المزمور يشير بكليته إلى أعداء داود، ومضطهديه، والذين شوهوا سمعته.

أولا: يصلي إلى الله أن يحفظه من خططهم الخبيثة ضده (ع ١ و٢).

ثانيا: وصفهم وصفا رديا (ع ٣ - ٦).

ثالثا: يتنبأ بروح النبوة عن خرابهم (ع ٧ و٨).

رابعا: فرح الصدِّيق (ع ٩ و١٠).

عدد ١ - ٦

في هذه الأعداد يعرض داود أمام الله حالة الخطر المحدق به ويصف سمات أعدائه.

أولا: يلتمس من الله بكل حرارة أن يحفظ حياته (ع ١ و٢): «استمع يا الله صوتي في شكواي»، أي، أعطني الأمر الذي أصلي لك من أجله: «من خوف العدو احفظ حياتي. استرني من مؤامرة الأشرار»، من الأذى الذي يتشاورون فيما بينهم لكي يلحقوه بي، وكذلك «من جمهور فاعلي الإثم» الذين وحدوا صفوفهم، كما وحدوا مشوراتهم لكي يؤذوني.

ثانيا: يشكو من حقد أعدائه البالغ وشرهم المستطير.

(١) اتسمت افتراءاتهم وتوبيخاتهم بحقد بالغ (ع ٣ و٤). وقد وصفوا كرجال حرب بسيوفهم وقسيهم، وكرماة مهرة يحسنون التصويب خفية وفجأة، ويطلقون سهامهم على الطيور الوديعة التي لا يخامرها أدنى شك بالنسبة لأي خطر محدق بها. وألسنتهم هي سيوفهم. واللسان عضو صغير، لكنه يعد سلاحا خطيرا كالسيف. «فوَّقوا سهمَهم كلاما مرا». أفكار متعسفة، كاذبة، افتراء، وتشويه للسمعة. ولا يستهدفون بسهامهم إلا الرجل المستقيم. وكلما زاد الإنسان فضلا زاد حسده من قبل الأشرار، وزاد ما يقولونه عنه من شر: «ليرموا الكامل في المختفى»، حتى لا يكتشفهم من يرمونهم بسهامهم. ومن ثَم يتجنبون شرهم، «لأنه باطلا تنصب الشبكة في عيني كل ذي جناح» (أم ١: ١٧). ثم إنهم «بغتة يرمونه» دون أي إنذار عادل أو أية فرصة للدفاع عن نفسه. وهم في هذا «لا يخشون»،

أي أنهم واثقون من نجاحهم.

(٢) يغلفون مشروعاتهم الشريرة بسرية تامة وينفذونها بعزم وإصرار (ع ٥). يتشاورون فيما بينهم، وكل واحد يأخذ رأي الآخر لاختيار السبل الأكثر شرا وكيفية تنفيذها بفاعلية. وكل خلطتهم إنما هي في الخطية، وكل اتصالاتهم تدور حول كيفية عمل الخطية في ظل من الأمن: «قالوا من يراهم؟» ووراء كل شرور الأشرار إنكار عملي لحقيقة علم الله بكل شيء.

(٣) لا يدخرون جهدا في تنفيذ دسائسهم «يخترعون إثما» (ع ٦)، ويتحملون كل مشقة للعصور على إثم أو آخر ليتهموني به، يتعمقون في البحث، ويتقصون الماضي البعيد، ويبذلون أقصى طاقة وتعب لعلهم يجدون شيئا يتهمونني به. ونصف المتاعب التي يبذلها الكثيرون من أجل جلب اللعنة على أنفسهم كانت تكفي لخلاصهم.

عدد ٧ – ١٠

أولا: دينونات الله على ظالمي الحاقدين. وهي تتناسب مع خطيتهم.

(١) كانوا يرمون داود بالسهام في الخفاء وعلى حين غرة لكي يصيبوه، ولكن الله سيرميهم بسهامه، يفوِّق السهام على أوتاره تلقاء وجوههم (مز ٢١: ١٢)، وسهام الله لا يمكن أن تخطئ الهدف، ثم إنها أسرع، وجرحها أعمق مما تعمله سهامهم أو تقدر عليه.

(٢) أوقعوا ألسنتهم عليه، ولكن الله سيجعلهم «يوقعون ألسنتهم على أنفسهم». والذين يحبون اللعن سيرتد عليهم لعنهم. وأحيانا تظهر أعمال الناس الشريرة وتصبح معروفة نتيجة اعترافهم، وتقع «ألسنتهم على أنفسهم».

ثانيا: تأثير هذه الدينونات على الآخرين.

(١) سوف يتجنبهم جيرانهم: «ينغض الرأس كل من ينظر إليهم».

(٢) كل من يشاهدها سيبجل عناية الله في هذا الأمر (ع ٩)، الناس بعمل الله «يفطنون». سوف يغمرهم خوف مقدس من الله حين يتدبرون هذا الأمر. سيحدث كل منهم الآخر ولكل من هم حولهم عن عدالة الله في معاقبته الظالمين، قائلين هذه «يد الله».

(٣) سوف يلحظ الصديقون ذلك بطريقة خاصة (ع ١٠): «يفرح الصدِّيق بالرب»، ليس فرحا للبؤس والخراب الذي حل ببشر مثلهم، بل سعداء لأن الله قد تمجد، وقد تحققت كلمته، وتم الدفاع عن قضية الأبرياء الذين لحقهم الأذى ظلما بكل نجاح. وهذا ما سوف يقوي إيمانهم.

المزمور الخامس والستون

لإمام المغنين. مزمور لداود. تسبيحة

هذا المزمور يرشدنا إلى إعطاء الله مجد قوته وصلاحه، اللذين يظهران في:

أولا: ملكوت النعمة (ع ١)، سماع الصلاة (ع ٢)، مغفرة الخطية (ع ٣)، إشباع أنفس الناس (ع ٤)، حمايتهم ودعمهم (ع ٥).

ثانيا: في ملكوت العناية، تثبيت الجبال (ع ٦)، تهدئة البحر (ع ٧)، المحافظة على التعاقب المنتظم للنهار والليل (ع ٨)، وجعل الأرض مثمرة (ع ٩ – ١٣).

عدد ١ – ٥

لا يطرح المرنم هنا موضوعا يخصه شخصيا عند عرش النعمة، بل يبدأ بكلام يوجهه لله باعتباره متكلما باسم الجماعة.

أولا: كيف يعطي المجد لله.

(١) بالشكر والخشوع: «لك ينبغي التسبيح يا الله في صهيون»، ينبغي التسبيح تطلعا للرحمة المطلوبة، انتظارا لوصولها، حتى تستقبل بالشكر فور مقدمها. ينبغي التسبيح لك بقناعة تامة بمشيئتك المقدسة، واتكالا على رحمتك. التسبيح يعجز عن إيفائك ما تستحقه (هذا معنى الكلمة)، حيث تعجز الكلمات عن التعبير عن عظمة صلاح الله. وكما أنه توجد «أنات لا ينطق بها»، هكذا توجد أيضا تأملات مقدسة لا ينطق بها.

(٢) بالأمانة والإخلاص: «ولك يوفى النذر»، أي ستقدم الذبيحة التي تم نذرها. وألا تنذر أفضل

من أن تنذر ولا تفي.

ثانيا: لماذا يمجده؟

(١) لسماعه الصلاة (ع ٢): «لك ينبغي التسبيح»، ولماذا بكل هذا التأهب؟

أ. لأنك مستعد لتحقيق التماساتنا: «يا سامع الصلاة»، وبمقدورك أن تستجيب لكل صلاة لأنك تستطيع أن تعمل لنا بأكثر جدا مما نستطيع أن نطلب أو نفتكر (أف ٣: ٢٠)، وأنك تستجيب لكل صلاة قائمة على الإيمان سواء استجابة لما طُلب أو بدافع محبتك.

ب. ولأنه– لهذا السبب– ترانا مستعدين لأن نسرع إليه حين نتعرض لأية متاعب، ولذلك، ومن حيث إنك إله سامع الصلاة «إليك يأتي كل بشر».

(٢) لغفرانه الخطايا. وفي هذا «من هو إله مثلك» (مي ٧: ١٨). خطايانا تصل السماء وحين تقوى علينا آثامنا، وتتهمنا ضمائرنا ولا نستطيع الرد، فمع ذلك «معاصينا أنت تكفر عنها»، ولذلك لا نتعرض للدينونة بسببها.

(٣) للاستقبال الطيب الذي يوليه لأولئك الذين يعبدونه والتعزية التي يحصلون عليها من الشركة معه. فالآثام يجب غفرانها أولا (ع ٣) وعندئذ يرحب بنا لكي نحيط بمذابح الله (ع ٤).

أ. نالوا بركة. لا تتبارك الأمة فحسب (مز ٣٣: ١٢)، بل «طوبى للذي (أولئك الأشخاص بالذات ومهما كانوا من أدنى الطبقات) تختاره وتقربه ليسكن في ديارك». وأن تدخل في شركة مع الله، معناه أن تتكلم معه كشخص تحبه وتقدره. وأن تسكن في دياره، كما يفعل الكهنة واللاويون، الذين يسكنون في بيت الله، وأن نكون مشغولين في الممارسات الدينية بصفة مستمرة، ونحن ندخل في شركة مع الله ليس لأي استحقاق فينا، بل لرغبة الله وحده: «طوبى للذي تختاره»، وبذلك يتميز عن الآخرين الذين تركوا لأنفسهم.

ب. سوف يشبعون. هنا يغير المرنم صيغة الفعل، من صيغة الغائب «للذي تختاره»، إلى صيغة المتكلم «لنشبعن» أي لنشبعن «نحن"، الأمر الذي يعلمنا أن نطبق المواعيد على أنفسنا: «لنشبعن من خير بيتك، قدس هيكلك». والله لديه بيت رائع، وهناك فيض من الخير في بيته، بر ونعمة، وكل تعزيات العهد الأبدي، وهناك ما يكفي الجميع، ويكفي كل شخص، وهو دائما مستعد لأن يقدمها لنا، مجانا بدون فضة، ودون ثمن.

(٤) لاستخدامه قوته لصالحهم «بمخاوف في العدل تستجيبنا يا إله خلاصنا» (ع ٥). ويمكن أن تؤخذ هذه العبارة ضمن التوبيخات التي يوجهها الله أحيانا إلى شعبه، وكثيرا ما يجاوبهم بأمور رهيبة لاستنهاضهم وتحفيزهم، ولكن هذا يحدث دائما في بر، فهو لم يظلمهم إطلاقا، أو قصد بهم أذى، لأنه حتى مع تأديباته لهم، كان هو أيضا إله خلاصهم (انظر إشعياء ٤٥: ١٥).

(٥) للعناية التي يوليها لكل شعبه. فهو «متكل جميع أقاصي الأرض»، أو متكل القديسين في كل أنحاء العالم، وليس نسل إسرائيل فقط، لأنه إله الأمم كما هو إله إسرائيل.

عدد ٦– ١٣

قوته وسيادته باعتباره إله الطبيعة.

أولا: أسس الأرض فثبتت (مز ١١٩: ٩٠). هو «المثبت الجبال بقوته» (ع ٦). ولذلك سميت «الجبال الدهرية» (حب ٣: ٦). ومع ذلك قيل إن عهد النعمة مع شعبه أكثر منها رسوخا (إش ٥٤: ١٠).

ثانيا: يهدئ البحر فيسكن (ع ٧). وحين يكون البحر عاصفا يصدر ضجيجا هائلا، ولكن عندما يريد الله فهو يأمر الأمواج المتلاطمة، فتهجع، وبسرعة يحول العاصفة إلى هدوء (مز ١٠٧: ٢٩). ومن البحر، ومن عدم تغير الأرض يظهر لنا أن ذاك الذي له البحر واليابسة متمنطق بالقوة. وبهذا قدم ربنا يسوع برهانا على قوته الإلهية، «فإنه يأمر الرياح أيضا والماء فتطيعه». وإلى جانب تهدئته البحر، يضيف تهدئة «ضجيج الأمم» كأمر مماثل.

ثالثا: يجدد الصباح والمساء (ع ٨). وتعاقب النهار والليل المنتظم هذا يمكن اعتباره:

(١) كمثال على قوة الله العظيمة، ولذلك فهو

يبث الرعب في الجميع «وتخاف سكان الأقاصي من آياتك» (من عجائبك)، لأنها أقنعتهم بوجود إله سام، ملك مهيمن مسيطر، يجب أن يخافوا أمامه ويرتعدون.

(٢) كمثال على صلاح الله العظيم، ولذلك فهذا أمر يعزي الجميع «تجعل مطالع الصباح والمساء تبتهج». وكما أن الله هو الذي ينثر نور الصباح ويسدل على الليل ستارا، فهو بذلك يتيح لنا فرصة الفرح في الحالتين كلتيهما. وعلينا أن ننظر إلى عبادتنا اليومية، على انفراد مع عائلاتنا، على أنها أكثر الأمور إلحاحا بالنسبة لأعمالنا اليومية، وأكثر الأمور مدعاة للفرح في تعزياتنا اليومية.

رابعا: يروي الأرض ويجعلها مثمرة. أما وكيف أن إثمار هذا الجزء الأدنى من الخليقة يعتمد على تأثير الجزء الأعلى فهذا أمر من السهل ملاحظته، وإذا كانت السماء نحاسا والأرض من حديد، وهذه إلماحة مرئية عن عالم غبي تفيد بأن «كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هي من فوق نازلة». وكل بركات الله، حتى الروحية منها، تم التعبير عنها بإمطاره البر علينا. وقد وصفت هنا البركة المشتركة المتمثلة في أمطار السماء والمواسم المثمرة.

(١) كيف أنها تتضمن الكثير من قوة الله وصلاحه. الله الذي خلق الأرض من خلال هذا، يزورها، ويتعهدها بصلاحه، ويقدم دليلا على عنايته بها (ع ٩). والله الذي خلقها أرضا جافة، من خلال هذه الأمطار يرويها لكي يجعلها مثمرة. وعلى الرغم من أن إنتاج الأرض ازدهر قبل أن يعطي الله الأمطار، إلا أنه كان هناك «ضباب يطلع من الأرض ويسقي كل وجه الأرض» وكان يفي بالغرض (تك ٢: ٥ و٦). وقلوبنا ستظل جافة جرداء ما لم يصبح الله لنا مثل الندى ويروينا، والزرع الذي غرسه هو سوف يتعهده ويرويه حتى ينمو. والمطر هو «سواقي الله ملآنة ماء». وأنهار الله هذه هي تثري الأرض، والتي بدونها سرعان ما تصبح شيئا تافها. وثروات الأرض نافعة للإنسان بأكثر جدا من ثرواتها المخبأة في باطنها. ذلك أننا نستطيع أن نستغنى تماما عن الذهب والفضة، غير أننا لا نستطيع الاستغناء عن القمح والعشب.

(٢) كيف أنها تنفع الأرض نفعا عظيما، وكذلك بالنسبة للإنسان الذي يعيش على هذه الأرض.

أ. بالنسبة للأرض نفسها. المطر في أوانه يجدد وجه الأرض. فحتى «أتلامها» التي تبدو أن المطر الذي ينزلق عليها يتم إرواؤها، ثم إن «أخاديدها» التي قلبها المحراث، يأتي المطر ويسويها ويجعلها مهيئة لاستقبال ما يطرح فيها، ويتم تسويتها بأن تجعلها الأمطار لينة. وذاك الذي يجعل تربة القلب رقيقة يعطيها هدوءا. وهكذا يعد الربيع وعدا بالبركة على مدار السنة كلها، وهذا ما تشير إليه عبارة «كللت السنة بجودك» (ع ١١). كما ذكر أن آثاره «تقطر دسما». وصلاح الله بالنسبة لهذا العالم الأدنى واسع جدا (ع ١٢): «تقطر مراعي البرية» وليس فقط على مراعي الأرض المسكونة. فالصحاري، التي لا يوليها الإنسان اهتماما، أو يستفيد منها شيئا، نجدها تلقى رعاية من العناية الإلهية، وعلينا أن نكون شاكرين، ليس من أجل الأمور التي تخدمنا فحسب، بل من أجل تلك التي تخدم أي جزء من الخليقة. وعطايا الله واسعة غزيرة حتى إنه «تتنطق الآكام بالبهجة»، حتى القطب الشمالي الذي يقع بعيدا عن الشمس. والآكام ليست في غنى عن عناية الله، فحتى الآكام الصغيرة تحظى بهذه العناية.

ب. بالنسبة للإنسان الذي يعيش على الأرض. الأرض «يخرج منها الخبز» (أي ٢٨: ٥)، لأنه منها يخرج القمح، غير أن كل حبة قمح تخرج منها، يكون الله نفسه هو الذي هيأها، ولذلك نراه يدبر المطر للأرض، ومن خلال ذلك يدبر القمح للإنسان الذي أخضع بقية المخلوقات تحت قدميه، وجعلها مهيأة لخدمته. والناتج السنوي من القمح ليس فقط مجرد عملية من عمليات نفس القوة التي تقيم الموتى، بل هي دليل أيضا على هذه القوة (وهذا ظاهر مما قاله مخلصنا في يوحنا ١٢: ٢٤ عن نفسه)، والفائدة المستمرة التي نحصل عليها منها تعد شاهدا على هذا الصلاح الذي يبقى إلى الأبد. والقمح والماشية من السلع الرئيسية، وكلاهما ناجم عن صلاح الله الذي عمل على إرواء الأرض (ع ١٣). والأودية مثمرة للغاية حتى أنها بدت «تتعطف برا» (تتوشح بالحنطة) في وقت الحصاد. وأكثر أجزاء الأرض انخفاضا تكون

في العادة أكثرها إثمارا. وفدان واحد من الوديان المنخفضة يساوي خمسة من الجبال الشاهقة. غير أن الأراضي الزراعية وكذلك المراعي التي تؤدي الغرض من خلقتها، ذكر أنها «تهتف وأيضا تغني»، لأنها نافعة لمجد الله ولنفع الإنسان.

المزمور السادس والستون

لإمام المغنين. تسبيحة. مزمور

هذا مزمور شكر. وقد طلب من جميع الناس هنا أن يسبحوا الله.

أولا: للأمثلة الشاهدة على قوته المهيمنة على كل الخليقة (ع ١ – ٧).

ثانيا: للعلامات الخاصة بنعمته على شعبه الخاص (ع ٨ – ١٢).

ثالثا: يسبح المرنم الله لاختباراته الشخصية عن صلاحه له، ولاسيما بالنسبة لاستجابته لصلواته (ع ١٣ – ٢٠).

عدد ١ – ٧

أولا: في هذا المزمور يدعو المرنم جميع الشعوب لتسبح الله: «يا كل الأرض» (ع ١). وهذا ما ينم عن مجد الله لأنه يحسن إلى الجميع.

(١) واجب الإنسان: الكل ملزمون بتسبيح الله وحمده، وهذا جزء من ناموس الخليقة، ولذلك هو أمر مطلوب من كل مخلوق.

(٢) نبوءة عن توبة الأمم وإيمانهم بالمسيح: سوف يأتي وقت فيه تسبح كل الأرض الله.

(٣) سوف يكثر المرنم من تسبيح الله، ويتمنى لو أن الله يلقى ما يستحقه من تسبيح من قبل جميع شعوب الأرض وليس من أرض إسرائيل وحدها. ويجب أن نكون ممتلئين حماسة وغيرة، صرحاء، نعمل علانية باعتبارنا لا نستحي من سيدنا. وكلا الأمرين لمح إليهما في عمل هتاف، هتاف مفرح. وبتسبيحنا الله يجب أن يكون الهدف هو تمجيده. وكما يقول البعض: احسبوه أعظم مجد لكم أن تسبحوا الله.

ثانيا: دعا كل الأرض لتسبح لله (ع ١)، وهو يتنبأ (ع ٤) بأنهم سيفعلون هذا: «كل الأرض تسجد لك وترنم لك. ترنم لاسمك»، لأنه من خلال مجده الذي يعلن، جعل نفسه معروفا، ولكننا بتسبيحاتنا لا نستطيع أن نضيف شيئا إلى مجد جوهره الكامل.

ثالثا: دُعينا هنا أن نأتي وننظر «أعمال الله»: لأن أعماله تسبحه، سواء سبحناه نحن أم لا، أما السبب في أننا لا نريد تسبيحه، أو نسبحه بشكل أفضل فمرجعه أننا لا ننظر أعماله بالشكل الواجب، وبكل انتباه. ليتنا لهذا نتأمل أعمال الله (ع ٥)، ثم نتحدث عنها، كما نتحدث عنها معه أيضا «قولوا لله ما أهيب أعمالك» (ع ٣)، وما أعظم «قوتك».

(١) أعمال الله في حد ذاتها عجيبة: والله «مرهب» (أي عجيب) في أعماله. من أجل بني البشر، ويجب أن ننظر إليه بخوف مقدس. وكثير من الديانة يكمن في توقير العناية الإلهية.

(٢) هي مرهبة لأعدائه، وكم من مرة أجبرتهم وأخافتهم حتى أنهم تظاهروا بالإذعان (ع ٣): «من عظم قوتك (التي لا يستطيع أحد أن يقف أمامها) تتملق لك أعداؤك»، أي أنهم سيضطرون، رغم أنوفهم، إلى أن يسعوا للسلام معك تحت أي شروط.

(٣) معزية ونافعة لشعبه (ع ٦): حين خرج إسرائيل من مصر، «حوّل البحر إلى يبس» أمامهم، الأمر الذي شجعهم على اتباع مشورة الله أثناء ارتحالهم في البرية، حين كان عليهم الدخول إلى كنعان، ومن أجل تشجيعهم في حروبهم انشطر الأردن أمامهم «وفي النهر عبروا بالرِّجل». وأفراح آبائنا هي أفراحنا، ويجب أن نعتبر أنفسنا شركاء فيها.

(٤) مسيطرة بالنسبة للجميع: فالله بأعماله يفرض سيطرته على العالم (ع ٧): «متسلط بقوته إلى الدهر. عيناه تراقبان الأمم» فذراعه مسيطرة. قوية يده، مرتفعة يمينه. ومن هذا يستدل على أنه: «المتمردون لا يرفعون أنفسهم»، ليت الذين تميل قلوبهم إلى التمرد والعناد ألا يتمردوا على الله.

عدد ٨ – ١٢

وثمة شيئان يجب أن نبارك الله من أجلهما.

أولا: الحماية العامة «الجاعل أنفسنا في الحياة»

(ع ٩)، أي الذي حفظنا بين الأحياء. فالذي أعطانا وجودنا، فإنه بعمل دائم متجدد يحفظ لنا كياننا، وعنايته الإلهية تعد عملية خلق متجددة. وليس الوجود بل السعادة هي ما تستحق أن تدعى حياة. «ولم يسلم أرجلنا إلى الزلل»، وبذلك منع عنا شرورا كثيرة لم نكن نتوقعها.

ثانيا: خلاص متميز من محنة عظيمة:

(١) كيف كانت المحنة كبيرة والخطر شديدا (ع ١١ و١٢). أما بالنسبة لمتاعب شعب الله الذي يشير إليها هذا العدد، فهذا ليس واضحا، ولعلها متاعب ما تخص أشخاصا معينين أو بعض العائلات فقط. ولكن أيا كانت هذه المتاعب، فقد انحنوا تحت وطأتها، وكانوا كمن يرزحون تحت وطأة أحمالهم (ع ١١). وهل هناك ما هو أكثر خطورة من النار والماء «دخلنا في النار والماء» أي تجارب مختلفة. حين قام الناس علينا، كان هذا ماءً ونارا. وهذه هي الحالة المذكورة هنا: «ركبت أناسا على رؤوسنا» لكي يدوسونا بأقدامهم ويهينونا ويسيئوا إلينا، والواقع أنهم يريدون أن يستعبدونا تماما، وقالوا لأنفسنا: «انحني لنعبر» فوقك (إش ٥١: ٢٣).

(٢) كيف كان هدف الله عظيما إذ سمح بأن يتعرضوا لهذه المحنة وهذا الخطر. ونرى هنا القصد منها: «لأنك جربتنا يا الله. محصتنا». فالمحن تمحصنا مثلما تمحص الفضة في النار. وإذ نمارس النعم المعطاة لنا، فإننا قد نزداد قوة ونشاطا، وبهذا نتحسن، وهذا هو نفس ما يحدث للفضة حين تمحص بالنار وتزداد صفاء إذ تتخلص من شوائبها، وهذا ما يعود علينا بميزة عظيمة، لأننا بهذا «نشترك في قداسته» (عب ١٢: ١٠).

(٣) كيف كانت النتيجة في النهاية مجيدة. فمن المؤكد أن متاعب الكنيسة ستنتهي إلى خير. هم «في النار والماء»، ولكنهم اجتازوهما، ولم يهلكوا في نار أو فيضان. ومهما كانت متاعب القديسين، فإنه- تبارك اسم الله- هناك مخرج منها. «ثم أخرجتنا إلى الخصب»، إلى مكان «سقي» (هذا معنى الكلمة)- كجنة الرب- ومن ثَم كانت خصيبة.

عدد ١٣- ٢٠

وإذ سبق للمرنم أن حفز الناس على مباركة الرب نراه هنا يحفز نفسه:

أولا: في عبادته لإلهه (ع ١٣ - ١٥).

(١) بذبائح مكلفة (ع ١٣): «أدخل إلى بيتك بمحرقات».. وذبائحه يجب أن تكون علانية، في المكان الذي اختاره الله: «أدخل إلى بيتك» بها، والمسيح هو هيكلنا، الذي يجب أن نأتي إليه بذبائحنا الروحية، والذي به نتقدس. ويجب أن تكون من أفضل النوعيات «محرقات»، التي كانت تُلتهم تماما على المذبح. وسوف يصعد «محرقات سمينة مع بخور كباش. أُقدِّم بقرا مع تيوس». والبخور ترمز إلى شفاعة المسيح، والتي بدونها ما كانت تقبل محرقاتنا السمينة.

(٢) بوفاء لنذوره بقلب مخلص. وهذا هو ما عزم عليه المرنم (ع ١٣ و١٤): «أوفيك نذوري. التي نطقت بها شفتاي.. في ضيقي».

ثانيا: في إعلاناته لأصحابه (ع ١٦). لقد حشد جمعا من أناس أتقياء لكي يسمعوا قصة شكره لله نظير أفضاله: «هلم اسمعوا فأخبركم يا كل الخائفين الله». ويجب على شعب الله أن يتبادلوا معا اختباراتهم. ويجب أن ننتهز كل فرصة لكي يخبر كل منا الآخر بالأمور العظيمة التي صنعها الله من أجل نفوسنا، والبركات الروحية التي أنعم علينا بها ولكن ما الذي فعله الله لنفسه؟

أ. قاده إلى أن يحب واجب الصلاة، وبنعمته وسع قلبه بالنسبة لهذا الواجب (ع ١٧): «صرخت إليه بفمي». لقد أذن الله لنا أن نصلي إليه، بل أمرنا أن نصلي، وشجعنا على ذلك (وفوق كل هذا) أعطانا قلبا للصلاة. وبصراخنا إليه نحن في الواقع نمجده. وهو يسر بأن يحسب نفسه قد مجد بالصلوات المتواضعة القائمة على الإيمان والتي يرفعها إليه المستقيمون. وفي سعينا لخيرنا، نحن نطلب مجده «وتبجيل على لساني»، أي إنني كنت أتفكر في الكيفية التي يجب أن أرفع بها اسمه وأمجده. وحين تكون الصلوات في أفواهنا يجب أن يكون التسبيح في قلوبنا.

ب. أوجد فيه خوف من الخطية باعتبارها عدو للصلاة (ع ١٨): «إن راعيت إثما في قلبي (كنت

أعلم تماما، أنه) لا يستمع لي الرب». ومعنى هذا القول واضح: «إن راعيت إثما في قلبي»، أي إذا كانت تساورني أفكار الخطية، أي إذا كنت أحبها، وأنغمس فيها، وأسمح لنفسي بعملها، فإن الله لن يستمع لصلاتي، ولا أستطيع أن أتوقع استجابتها لصالحي.

ج. تفضل الله واستجاب لصلاته وملأ قلبه سلاما (ع ١٩). هذا مافعله الله له. فإذ استجاب لصلاته أعطاه علامة على رضاه عليه. ولذلك يختتم بقوله «مبارك الله» (ع ٢٠). ما نكسبه بالصلاة علينا أن نتقبله بالحمد. ولئلا يعتقد أن الله منحه الخلاص من أجل جدارته أو من أجل شيء في صلاته، فقد نسبه إلى رحمة الله. لم تكن صلاتي هي التي حققت لي الخلاص، بل رحمة الله هي التي حققت ذلك.

المزمور السابع والستون

لإمام المغنين على ذوات الأوتار. مزمور. تسبيحة

يتضمن هذا المزمور:

أولا: صلاة من أجل نجاح العبادة في إسرائيل (ع ١).

ثانيا: صلاة من أجل تجديد الأمم وإحضارهم إلى الهيكل (ع ٢ – ٥).

ثالثا: توقع أوقات سعيدة ومجيدة حين يتمم الله هذا (ع ٦ و٧).

عدد ١ – ٧

ارتفع المرنم ليتقبل روح النبوة بخصوص اتساع ملكوت الله.

أولا: بدأ بصلاة من أجل خير وتقدم العبادة القائمة في ذلك الحين (ع ١). وإذ علمنا مخلصنا أن نقول: «أبانا...»، فقد لمح إلى أننا يجب أن نصلي مع الآخرين ومن أجلهم، ولذلك لم يصل المرنم هنا قائلا: ليتحنن الله عليَّ وليباركني، بل ليتحنن الله «علينا»، «وليباركنا». ومن هذا نتعلم:

(١) أن كل سعادتنا تأتي من نعمة الله وتزداد بها، ولذلك أول شيء صلى المرنم من أجله هو: «ليتحنن الله علينا»، أي علينا نحن الخطاة.

(٢) «وليباركنا»، أي يعطينا مكانا في مواعيده، وأن يعطينا كل الخيرات التي تضمنتها هذه المواعيد. «وليباركنا» الله صلاة جامعة شاملة.

(٣) «لينر بوجهه علينا»، أي ليؤهلنا الله بنعمته لنستحق أفضاله ثم يعطينا علامات على رضاه علينا. لينر في وسطنا (بحسب ترجمة أخرى) أي لينير علينا ونحن نبذل محاولتنا، لكي تكلل بالنجاح.

ثانيا: ينتقل من هذه الصلاة إلى صلاة أخرى من أجل تجديد الأمميين «لكي يُعرف في الأرض طريقك» (ع ٢). هكذا يجب علينا أن نهتم في صلاتنا بالجماهير «أبانا الذي في السماوات ليتقدس اسمك. ليأتِ ملكوتك».

(١) هذه الأعداد التي تشير إلى تجديد الأمميين، يمكن أن تؤخذ على أنها:

أ. صلاة، وعلى هذا فهي تتحدث عن رغبة قديسي العهد القديم فلم يكونوا يرغبون في شيء أكثر من الإطاحة بالسياج، وإتاحة الامتيازات للجميع. ونرى هنا كيف أن روح اليهود في حياة المسيح بالجسد مع تلاميذه، كانت تختلف عن روح آبائهم. فالإسرائيليون القدامى الحقيقيون كانوا يطلبون أن يعرف اسم الله بين الأمم، أما أولئك اليهود الزائفون كانوا يستشاطون غيظا من الكرازة بالإنجيل بين الأمميين.

ب. كنبوة ستكون على النحو الذي ورد في صلاته هذه.

(٢) ثمة ثلاثة أمور تمت الصلاة من أجلها، فيما يتعلق بالأمم:

أ. يمكن أن يرسل الإعلان الإلهي بينهم (ع ٢) ليعرفوا جميعا، كما نعرف نحن، ما هو صالح، وما الذي يطلبه منهم الرب إلهنا. لتحل عليهم البركة وليكرموا بالفرائض والأحكام التي هي فخر أمتنا والتي يحسدنا عليها كل جيراننا (تث ٤ : ٨). وإذا عرفنا الله بطرقه، وسرنا فيها، سيجعلنا مثمرين (مز ١ : ٢ و٣). أما الذين عرفوا شخصيا وعن اختبار مدى حلاوة طرق الله وتعزيات خلاصه، فلن يكون أمامهم إلا أن يرغبوا ويصلوا لكي تكون هذه الطرق معروفة للآخرين حتى بين الشعوب كلها.

ب . أن تقام بينهم عبادة الإله الحقيقي، مثلما

يكون عليه حالها حيثما وصل الإعلان الإلهي وتم قبوله (ع ٣): «يحمدك الشعوب يا الله»، لتعطهم مادة تسبيحك، لتمل قلوبهم نحو حمدك، ليس البعض فقط، بل «يحمدك الشعوب كلهم». وهذه صلاة:

◄ أن يكرز لهم بالإنجيل، وعندئذ يتوافر لهم سبب كاف ليحمدوا الله، كما يفرح الناس بانبلاج النهار بعد ليلة طويلة مظلمة.

◄ لكي يتجددوا ويؤتى بهم إلى الكنيسة، ومن ثم يتوفر لهم مزاج لتسبيح الله.

◄ أن يدمجوا في الاجتماعات المقدسة، حتى يشترك الجميع في تسبيحه وحمده بفكر واحد وفم واحد.

ج. أن يعترفوا بالسلطان الإلهي «تفرح وتبتهج الأمم» (ع ٤). والفرح الذي يتمناه للأمم هو فرح مقدس، لأن «الرب قد ملك... لبس الرب القدرة». اجعلهم يفرحون «لأنك تدين الشعوب بالاستقامة». لنسعد جميعا لأننا لن نكون قضاة كل واحد بالنسبة للآخر، بل الذي يديننا هو الرب، الذي نحن متأكدون أنه يدين بالاستقامة.

ثالثا: يختتم بتوقعه المفرح لكل خير حين يعمل الله هذا حين تتجدد الأمم ويؤتى بها لتسبح الله.

(١) سوف يرحب بهم العالم الأدنى، وسوف يجنون ثمار ذلك «الأرض أعطت غلتها» (ع ٦) فالله لم يعط مطرا من السماء، وفصولا مثمرة للشعوب حين كانوا جالسين في الظلمة (أع ١٤: ١٦ و١٧) فحسب، لكن حينما آمنوا فإن «الأرض أعطت غلتها» لله. لقد كانت مثمرة. وبعد ذلك أعطت ثمرها بزيادة أكثر من ذي قبل من أجل خير الناس، الذين بالمسيح نالوا حق العهد لأن يكونوا مثمرين وأن تكون ثمارهم مقدسة.

(٢) يفرح بهم العالم العلوي، وسوف ينعمون بنتيجة هذا، وهو أمر أفضل بكثير: «يباركنا الله إلهنا» (ع ٦)، ومرة ثانية (ع ٧): «يباركنا الله». ونحن نأخذ ثمار الأرض كرحمة، حين يعطينا الله إلهنا، بركاته معها.

(٣) سوف يؤتى بالعالم كله على هذا النحو ليعمل مثلهم: «وتخشاه كل أقاصي الأرض»، أي سيعبدونه، وذلك في إطار من خشية الله.

المزمور الثامن والستون

لإمام المغنين.لداود. مزمور. تسبيحة

لا توجد إشارة إلى المناسبة التي كتب فيها داود هذا المزمور، غير أنه ربما كان ذلك حينما أحضر تابوت العهد من بيت عوبيد- أدوم إلى الخيمة التي أقامها له في صهيون، لأن الكلمات الأولى من المزمور هي التي استخدمها موسى أثناء تحرك التابوت (عد ١٠: ٣٥).

أولا: بدأ بصلاة، ضد أعداء الله (ع ١ و٢) ومن أجل شعبه (ع ٣).

ثانيا: بعد ذلك شرع يسبح الله الأمر الذي استغرق بقية المزمور.

(١) عظمة الله وصلاحه (ع ٤ – ٦).

(٢) الأعمال العجيبة التي عملها الله لشعبه في السابق، حيث أحضرهم عبر القفر (ع ٧ و٨)، وأسكنهم في كنعان (ع ٩ و١٠) وأعطاهم النصرة على أعدائهم (ع ١١ و١٢)، وأنقذهم من أيدي مضطهديهم (ع ١٣ و١٤).

(٣) الحضور الخاص لله في مسكنه (ع ١٥ – ١٧).

(٤) صعود المسيح (ع ١٨)، وخلاص شعبه بواسطته (ع ١٩ و٢٠).

(٥) الانتصارات التي يحققها المسيح على أعدائه، والبركات التي يعطيها لكنيسته (ع ٢١ – ٢٨).

(٦) اتساع الكنيسة بقبول الأمميين بها (ع ٢٩ – ٣١). وهكذا يختتم المزمور بخوف يلهم الاعتراف بمجد الله ونعمته (ع ٣٢ – ٣٥).

عدد ١ – ٦

أولا: يصلي داود من أجل أن يظهر الله في مجده.

(١) من أجل إرباك أعدائه (ع ١ و٢): «يقوم الله»، كقاضٍ ليصدر حكما ضدهم، وكقائد عام يخرج للحرب ويهلكهم: «يتبدد أعداؤه». ليقم الله، كالشمس، حين تظهر في قوتها، وأبناء الظلام يتبددون، وكظلال المساء حين تهرب أمام شروق الشمس. هكذا علق داود على صلاة موسى، ولم

يكررها ويطبقها على نفسه وزمانه فحسب، بل توسع فيها، لكي يرشدنا كيف نستفيد من الصلوات الواردة في الكتاب المقدس. على الرغم من أنه لنا أن نصلي على هذا النحو من أجل أعدائنا، إلا أنه علينا أن نصلي ضد أعداء الله هكذا، ضد عداوتهم له، وضد كل محاولاتهم التي يبذلونها لأذى الكنيسة.

(٢) من أجل تعزية و فرح شعبه (ع ٣): «والصديقون يفرحون» والذين هم الآن في حزن «يبتهجون أمام الله»، ويفرحون بكل سعادة.

ثانيا: سبح الله لظهوراته المجيدة:

(١) كإله عظيم، وعظمته بلا حدود (ع ٤): «للراكب في القفار باسمه ياه (الكائن)». وهو أصل كل تحركات الأجرام السمائية، كما أن راكب المركب هو الذي يحركها، وله سيطرة كاملة على تأثيرات السماء. وهو يتحكم فيها باسمه «ياه» «الكائن» أو «الرب». الكائن في ذاته، والمكتفي بذاته، مصدر كل وجود، وقوة وحركة وكمال. هذا اسمه إلى الأبد.

(٢) كإله كريم. إله رحمة ومحبة وعطف. وهو عظيم، ولكنه باعتباره إلها ذا قوة عظيمة، فإنه يستخدم هذه القوة من أجل إعانة أولئك الذين هم في محنة (ع ٥ و٦). اليتامى، والأرامل، والذين بلا رفيق يجدونه إلها كافيا لهم. «فالراكب في القفار» يبتهج لأنه «أبو اليتامى». وعلى الرغم من أنه في الأعالي إلا أنه «يرى المتواضع». وهو «أبو اليتامى»، ليعطف عليهم وليباركهم وليعلمهم ويعولهم ويعطيهم نصيبهم. وقد أعطاهم الحرية في أن ينادوه «أبانا»، وأن يقولوا إنه وصيهم (مز ١٠: ١٤، ١٨؛ ١٤٦: ٩). وهو «قاضي الأرامل»، يقدم لهن المشورة، ويعوض لهن مظالمهن، يعترف بهن ويدافع عن قضيتهن (أم ٢٢: ٢٣). أذنه مفتوحة لكل شكاواهم ويده ممدودة لكل احتياجاتهم. فليذهبوا إلى «مسكن قدسه»، إلى كلمته وفرائضه، هناك يجدونه ويجدون فيه تعزيتهم. وحين تبنى العائلات فهو الذي يؤسسها: «الله مُسكن المتوحدين في بيت»، ويدخل معهم في شركة تعزيهم. فهو يسكن في بيت أولئك الذين اضطروا للبحث عن خلاص في الخارج (بحسب ما يترجمها البعض)، ويرشد المعوزين إلى طريق يحصلون منه على ما يقوتهم.

(٣) كإله بار.

أ. في إنقاذ المطحونين. «مُخرج الأسرى إلى فلاح»، ويطلق سراح أولئك الذين سُجنوا ظلما أو أُخذوا إلى العبودية. ولا توجد سلاسل يمكنها أن تقيد أولئك الذين يحررهم الله.

ب. في محاسبته الظالمين: «إنما المتمردون يسكنون الرمضاء» ولن يجدوا تعزية فيما حصلوا عليه بالغش والأذى.

عدد ٧- ١٤

المراحم الجديدة يجب أن تعيد إلى أذهاننا المراحم القديمة وتجدد فينا شعورنا بالشكر والامتنان، وعلينا ألا ننساها أبدا.

أولا: الله نفسه كان مرشد إسرائيل في القفر (ع ٧). ولم تكن هذه رحلة، بل مسيرة، لأنهم كانوا هناك بمثابة جنود، كجيش بألوية.

ثانيا: أنه أعلن حضوره المجيد معهم على جبل سيناء (ع ٨). ولم يسبق لأي شعب أن رأى مجد الله، أو سمع صوته مثلما حدث مع إسرائيل (تث ٤: ٣٢ و٣٣). ولم يسبق لأي شعب أن أعطي مثل هذا الناموس الممتاز الذي تم شرحه وتطبيقه على هذا النحو. «سينا»، ذلك الجبل الكبير، والذي يتشكل من سلسلة جبال طويلة ارتعدت «أمام وجه الله» (انظر تثنية ٣٣: ٢؛ قض ٥: ٤ و٥؛ حب ٣: ٣). وهذا ما يشجع إيمانهم به واتكالهم عليه. ومهما كانت جبال الصعاب التي تعترض طريق إقامتهم السعيدة، فذاك الذي استطاع أن يحرك جبال سيناء نفسه بمقدوره أن يحركها.

ثالثا: إنه أعالهم وأراحهم سواء في القفر أو في كنعان (ع ٩ و١٠): «مطرا غزيرا نضحت يا الله... هيأت بجودك للمساكين»، وهذا ما قد يشير إلى:

(١) إمداد محلتهم بالمن في القفر، حيث أنزل عليهم كالمطر، وكذلك السلوى (مز ٧٨: ٢٤، ٢٧) أو..

(٢) إلى إمدادات الطعام التي كانت تمنح لهم في كنعان في وقتها، تلك الأرض التي «تفيض لبنا وعسلا»، والتي قيل إنها «من مطر السماء تشرب ماء»

(تث ١١: ١١). وهذا ما يتطلع إلى أبعد من ذلك حيث يتطلع إلى العطايا الروحية التي أعطيت لشعب الله. وروح النعمة، وإنجيل النعمة يشكلان المطر الغزير الذي به يؤكد الله ميراثه، والذي منه كانت توجد ثمارهم (إش ٤٥: ٨).

رابعا: إنه دائما يعطيهم نصرا على أعدائهم. «الرب يعطي كلمة» باعتباره القائد العام لجنودهم. أقام لهم قضاة، كلفهم بمهامهم، وزودهم بالتعليمات الخاصة بها، وأكد لهم نجاحهم. أعطاهم الله كلمته (جاءت إليهم كلمة الرب) عن طريق «جند كثير»- أي أنبياء ونبيات، لأن الكلمة مؤنثة «المبشرات بها». ملوك جيوش يهربون»، يتقهقرون دون توجيه أية ضربة، حيث يسرعون بالهرب، يهربون حيث لا يتجمعون ثانية «الملازمة البيت تقسم الغنائم». ليس الرجال فقط، الذين بقوا يحرسون المؤن هم الذين يشاركون في الغنائم (١صم ٣٠: ٢٤)، بل حتى النساء اللواتي بقين في البيت لهن نصيب، الأمر الذي يستشف منه فيض الغنيمة التي يجب الاستيلاء عليها. «عندما شتت القدير ملوكا، فيها، أثلجت في صلمون»، فقد تطهرت وتنقت برحمات الله، وحين خرج الجيش لملاقاة العدو امتنعوا عن كل شر، ولذلك عاد الجيش منتصرا، وبانتصار إسرائيل ثبتت في نقائها وتقواها. وبقيامة المسيح، هرب أعداؤنا الروحيون، وأصبحوا عاجزين إلى الأبد عن إلحاق الأذى بأي من شعب الله.

خامسا: من وضع حقير متدن ارتقوا إلى حالة من الامتياز والازدهار. وحين كانوا عبيدا في مصر، وبعد ذلك حين كانوا يتعرضون أحيانا للقهر على يد هذا أو ذاك من جيرانهم الأقوياء، كانوا يضطجعون «بين الحظائر» كأوانٍ محطمة محتقرة. غير أن الله خلصهم أخيرا، وعلى عهد داود كانوا في وضع طيب بحيث ينظر إليهم كواحدة من أعظم الممالك المزدهرة في العالم مثل «أجنحة حمامة مغشاة بفضة وريشها بصفرة الذهب» (ع ١٣). وهكذا أيضا في ظل ملكوت المسيح، فإن الوثنيين الذين يعبدون الأصنام، والذين يسجدون للخشب والحجر، وانغمسوا في أشر الشهوات، فإنهم- في هذه الحالة البغيضة- سوف يرقون إلى عبادة المسيح، وممارسة كل الفضائل المسيحية، التي هي أعظم جمال روحي في العالم.

عدد ١٥- ٢١

يأتي داود هنا ليقدم له الحمد باعتباره إله صهيون (قارن مزمور ٩: ١١). «رنموا للرب الساكن في صهيون»، ولهذا السبب دعيت صهيون «جبل الله».

أولا: يشبهها بجبل باشان، وبجبال أخرى عالية ومثمرة، بل ويفضلها عنهم (ع ١٥ و١٦). إنها لحقيقة أن صهيون صغيرة وأقل شأنا بالنسبة لهم، ومع ذلك كان لها أن تسمو عليهم جميعا، لأنها «جبل الله». لماذا تهن صهيون المسكينة، وتتفاخرن بارتفاعكن؟ هذا هو الجبل الذي اختاره الله. وكانت لصهيون كرامة خاصة باعتبارها ترمز إلى كنيسة الإنجيل، والتي لهذا السبب دعيت جبل صهيون (عب ١٢: ٢٢)، وهذا ما لمح إليه هنا، حين أسماها «الجبل الذي اشتهاه الله لسكنه... إلى الأبد».

ثانيا: يشبهها بجبل سيناء، الذي سبق أن تحدث عنه في (ع ٨)، وبيَّن أنه كانت فيه سحابة المجد، أو وجود الله فيها حقيقة، ولو أنه ليس بطريقة مرئية كما كان عليه الحال في سيناء نفسها (ع ١٧) والملائكة هي «مركبات الله». وأعدادهم هائلة جدا «ربوات ألوف مكررة». فتوجد «ربوات ألوف مكررة» من الملائكة في أورشليم السمائية (عب ١٢: ٢٢). والبعض يقرأ الجزء الأخير من آية ١٧ وهو «سينا في القدس» على أنه يعني أن القدس بالنسبة لإسرائيل كان في موضع جبل سيناء، الذي تسلموا منه الأقوال الإلهية.

ثالثا: ومجد جبل صهيون كان الملك الذي مسحه الله على جبل قدسه (مز ٢: ٦). والمرنم هنا يتكلم عن اعتلائه العرش، ولغته تنطبق بكل وضوح على هذا الموضوع (أف ٤: ٨) «صعدت إلى العلاء» (ع ١٨)، (قارن مزمور ٤٧: ٥ - ٦). وصعود المسيح إلى العلاء جاء الحديث عنه لمجده. ذلك أنه انتصر حينذاك على أبواب الجحيم: «سبيت سبيا» أي أنه قاد المسبيين في انتصار، كما اعتاد المنتصرون العظام أن يفعلوا (كو ٢: ١٥). فقد سبى أولئك الذين كانوا

قد سبونا، والذين لولا تدخله، لاحتفظوا بنا في السبي إلى الأبد. والواقع أنه سبى السبي نفسه، بعد أن حطم تماما قوة الخطية والشيطان. وهذا ما يشير إلى النصرة التامة التي حققها الرب يسوع المسيح على أعدائنا الروحيين. وفي هذه جميعها «يعظم انتصارنا» (رو ٨: ٣٧) أي أننا بواسطته أصبحنا أعظم من منتصرين. وعندئذ فتح أبواب السماء لجميع المؤمنين: «قبلت عطايا بين الناس»، والرسول يترجمها: «وأعطى الناس عطايا» (أف ٤: ٨) . فقد أعطى ما أخذه، فإذا تسلم قوة لكي يعطي حياة أبدية: «لكل من أعطيته» (يو ١٧: ٢)، لقد قبلت عطايا في الإنسان (بحسب ما جاء في ترجمة أخرى)، في الطبيعة البشرية التي سر المسيح أن يلبسها، «لكي يكون رحيما، ورئيس كهنة أمينا في ما لله». ليعظم عطف المسيح ومحبته لنا باستلامه هذه العطايا من أجلنا. فلقد قبلها «أيضا المتمردين»، أي من أولئك الذين نزعوا إلى التمرد. ولعل هذا قصد به الأمميون بصفة خاصة، الذين كانوا «أعداء في الفكر في الأعمال الشريرة» (كو ١: ٢١). وهذا ما يعظم نعمة المسيح بدرجة فائقة أنه بواسطته نجد أن المتمردين- إذا ما خضعوا- لن يحصلوا على الغفران فحسب، بل يرفعون. وقد جاء المسيح إلى عالم متمرد، ليس ليدينه، بل لكي يخلصه. قبل عطايا من «المتمردين» للسكن أيها الرب الإله حتى يقيم كنيسة في عالم متمرد.

رابعا: ومجد ملك صهيون يكمن في أنه مخلص. ومحسن لكل شعبه الذي يريده، ونار آكلة لكل الذين يصرون على التمرد ضده (ع ١٩ - ٢١). وأمامنا هنا الخير والشر، الحياة والموت، البركة واللعنة (مر ١٦: ١٦)، فالرب يفيض علينا «بركة حتى لا توسع» (ملا ٣: ١٠). «الله لنا إله»، وعلى ذلك سيكون إله خلاصنا الأبدي. ومن أجل هذا وحده سيطبق علينا المدى الواسع لعلاقة العهد معنا كإلهنا. أما الذين يصرون على عداوتهم له، فمن المؤكد أنهم سيهلكون (ع ٢١). «ولكن الله يسحق رؤوس أعدائه» الشيطان والحية القديمة (والتي عنها جاء التنبؤ بالوعد الأول بأن «نسل المرأة» سوف يسحق رأس الحية (انظر تكوين ٣: ١٥). «يسحق رؤوس أعدائه، الهامة الشَّعراء للسالك في ذنوبه». وإذ يسمي الرأس «الهامة الشَّعراء»، لعله هنا كان يلمح إلى أبشالوم، الذي كان شعره الكثيف الطويل سبب شنقه. وإما أنها إشارة إلى أكثر أعدائه شراسة ووحشية الذين يتركون شعرهم طويلا، حتى تبدو شخصياتهم أكثر رعبا.

عدد ٢٢- ٣١

تتضمن هذه الفقرة ثلاثة أمور:

أولا: الوعد الكريم الذي قطعه الله لفداء شعبه، وانتصارهم على أعدائه وأعدائهم (ع ٢٢ و٢٣)، يقول الرب: سأعمل أعمالا عظيمة من أجل شعبي، باعتباري إله خلاصهم (ع ٢٢). سوف أرجعهم «من أعماق البحر»، كما فعل مع إسرائيل حين أخرجهم من العبودية في مصر إلى رحابة البرية وحريتها، «من باشان أُرجع»، كما فعل إسرائيل حين أخرجهم من تيههم ومعاناتهم في البرية، إلى الوفرة التي تمتعوا بها حين أسكنهم أرض كنعان، لأن أرض باشان كانت على الجانب الآخر من الأردن، حيث خاضوا الحروب مع سيحون وعوج، والتي كانت خطوتهم التالية إلى كنعان تمر منها. ولكن هذا ليس كل ما في الأمر. فسوف يعطيهم النصرة على أعدائهم (ع ٢٣): «تصبغ رجلك بالدم» (أي دم أعدائكم) في حين أن «ألسن كلابك من الأعداء نصيبهم». لقد لحست الكلاب دم أخآب، وفي خراب الجيل المعادي للمسيحيين نقرأ أن الدم وصل «إلى لجم الخيل» (رؤ ١٤: ٢٠).

ثانيا: الترحيب الذي سيوليه شعب الله لهذه الاكتشافات العظيمة الخاصة بنعمته: «رأوا طرقك يا الله» لقد رآها شعبك يا الله. وفي حين أن الآخرين لم يعيروا عمل الله التفاتا، إلا أنهم رأوا «طرق إلهي ملكي في القدس». والإيمان الفعال يعرف حقيقة الله، يعرف أنه إله وملك. ولكن هذا ليس كل شيء فهو «إلهي ملكي». وأكثر تحركات الله روعة تأتي حتى في المقدس، في إطار كلمته وأحكامه وبواسطتها، ولاسيما بين شعبه في كنيسة الإنجيل. وحين نرى طرقه «في القدس»، فإن أولئك الذين يعملون في خدمة القدس مباشرة يسبحونه (ع ٢٥). وكان من

المتوقع أن يأخذ اللاويون مكان الصدارة في تسبيحه. ولكونه يوم انتصار غير عادي كان «في الوسط فتيات ضاربات الدفوف». وهكذا فإنه حين يصعد المسيح إلى السماء، يقوم الرسل بالاحتفال وبإعلان ذلك للعالم كله، وحتى النسوة اللواتي كن شاهدات على القيامة سيشتركن معهم بكل حماسة في إعلانها. ليت كل شعب إسرائيل يعطي مجدا لله في كل اجتماعاتهم الدينية ذلك أن عليهم أن يباركوا الله، ليس فقط في المقادس، بل في المجامع أو مدارس الأنبياء، أو حيثما تكون هناك «جماعات» في إسرائيل. أعمال الرحمة، التي نشترك فيها جميعا، تتطلب شكرا عاما يجب أن يشترك فيه الجميع. وليت أبرز شخصياتهم تتقدم الصفوف في تسبيح الله (ع ٢٧). «هناك بنيامين الصغير متسلطهم، (وكان هذا السبط الملكي أيام شاول) رؤساء يهوذا جُلُّهم رؤساء (وكان هذا هو السبط الملكي على عهد داود)». ونحن نعتمد عليه لإنجاز ما بدأه في آية ٢٨. في الجزء الأول من العدد يتكلم المرنم إلى إسرائيل: «قد أمر إلهك بعزك»، أي أنه مهما يعمل لك، وأيا كان ما لديك من قوة لتساعدي نفسك، إنما ذلك من الله، ومن قوته ونعمته، والكلمة التي أمر بها. وفي الجزء الأخير يتكلم إلى الله، وقد شجعته اختباراته على ذلك: «أيد يا الله هذا الذي فعلته لنا» أكد يا رب ما أمرت به، ونفذ ما وعدته، والعمل الذي بدأته بهذه البداية المجيدة أكمله يا الله حتى نهايته السعيدة.

ثالثا: الدعوة القوية والإغراء اللذان سيوجهان على هذا النحو إلى الذين هم من خارج لكي يأتوا وينضموا إلى الكنيسة (ع ٢٩ – ٣١). وقد تحقق هذا جزئيا بقبول كثيرين من التائبين ودخولهم الديانة اليهودية أيام داود وسليمان، غير أن التحقيق النهائي سيتم عند توبة الشعوب الوثنية وإتيانها إلى الإيمان بالمسيح (أف ٣: ٦). والبعض يخضعون من الخوف (ع ٣٠): «وحش القصب» الذي يقف ضد المسيح وإنجيله، الذي هو في غاية الوحشية والغضب، والذي يشبه حشدا من الثيران الثمينة الوحشية، مثل «عجول الشعوب» (وهذا وصف لليهود والأمميين الذين عارضوا إنجيل المسيح وبذلوا كل ما في وسعهم لإعاقة إقامة ملكوته في العالم) يا رب وبخهم، وذل كبرياءهم، وأربك مؤمراتهم، إلى أن يقهروا بقناعات ضمائرهم، فيأتي كل واحد منهم بعد أن يُذل، ويرمي بقطع من الفضة، تعبيرا عن سعادته لأن يكون في سلام مع الكنيسة تحت أية شروط. وكثيرون إذ يوبخون يتم خلاصهم بفرح من الهلاك. أما بالنسبة لأولئك الذين لن يخضعوا، فهو يصلي من أجل أن يشتتهم الله، وجاء كلامه إلى حد أن أصبح نبوءة عن ذلك: «شتت الشعوب الذين يُسرون بالقتال». ولعل هذا إشارة إلى اليهود غير المؤمنين، الذين كانوا يُسرون بشن الحرب على القديسين، ولن يخضعوا هم أنفسهم، ولذلك تشتتوا على وجه الأرض. وكان داود نفسه رجل حرب، ولكنه كان يفضل أن يلجأ إلى الله طالبا العون لأنه لم يسر إطلاقا بالحرب أو سفك الدماء حبا فيها. وهناك من سيخضعون برغبتهم (ع ٢٩، ٣١) من أجل «هيكلك فوق أورشليم» (وهذا ما يقوله داود بالإيمان، لأن هيكل أورشليم لم يكن قد تم بناؤه على أيامه، وإنما جُهزت المواد والرسومات فقط). «لك تقدم ملوك هدايا». وقد ذكر مصر وكوش، وهما بلدان لم يكن يتوقع منهما رعايا أو متضرعين (ع ٣١): «يأتي شرفاء من مصر» كسفراء سعيا وراء اكتساب عطف الله والخضوع له، وسوف يقبلون ويباركهم على الفور رب الجنود قائلا «مبارك شعبي مصر» (إش ١٩: ٢٥). وحتى كوش التي مدت يدها ضد شعب الله (٢ أخ ١٤: ٩) سوف «تسرع بيديها إلى الله»، بالصلاة، بالهدايا ولكي تمسك به وبأسرع ما يكون.

عدد ٣٢– ٣٥

بعد أن صلى المرنم من أجل الأمم، نراه هنا يدعوهم للحضور والانضمام مع الإسرائيليين الأتقياء والاشتراك معهم في تسبيح الله، ملمحا إلى أن انضمامهم إلى شعب الله سيكون محل فرح وشكر (ع ٣٢): «يا ممالك الأرض غنوا لله رنموا للسيد».

أولا: سبب سيادته وهيمنته على الكل: «للراكب على سماء السماوات القديمة» (ع ٣٣ قارن آية ٤). والواقع أن الله منذ البداية، وقبل الزمن، كان قد أعد عرشه، وهو يجلس على دائرة السماء، ويمارس تأثيرات

قوته وصلاحه على هذا العالم الدنيوي.

ثانيا: بسبب عظمته المخوفة الرهيبة: «هوذا يعطي صوته صوت قوة». وإما أن هذه قد تشير بصفة عامة إلى الرعد، الذي سمي «صوت الرب» ووصف «بالقوة» و«بالجلال» (مز ٢٩: ٣ و٤)، أو بصفة خاصة إلى الرعد الذي تكلم فيه الله مع بني إسرائيل على جبل سيناء.

ثالثا: بسبب قوته العظيمة: «أعطوا عِزاً لله» (ع ٣٤). لله الملكوت والقوة، ولذلك له المجد. علينا الاعتراف بقوته. في ملكوت النعمة: «على إسرائيل جلاله»، وهو يظهر العناية السيادية في حماية شعبه وحكمه. وفي ملكوت العناية: «قوته في الغمام»، الذي منه يأتي رعد قوته. المطر المبكر، والمطر المتأخر الخاص بقوته.

رابعا: بسبب مجد مقدسه والمعجزات التي تمت هناك (ع ٣٥): «مخوف أنت يا الله من مقادسك».. يجب على كل من يعبدون الله في مقادسه ويقبلون أقواله الإلهية أن يعجبوا بالله ويعبدوه بكل وقار وخشية. وليس هناك أية سمة لله لا تلهم الخطاة بالخوف أكثر من قداسته.

خامسا: بسبب النعمة التي أفاض بها على شعبه: «إله إسرائيل هو المعطي قوة وشدة للشعب»، الأمر الذي لم تستطع آلهة الأمم التي هي بطل وزيف أن تعطيه لمن يعبدونها، وكيف يمكنها أن تساعدهم مع أنها عاجزة عن مساعدة نفسها، وإذا كان إله إسرائيل هو الذي يعطي القوة والشدة لشعبه، فمن الواجب عليهم أن يقولوا: «مبارك الله». إذا كان كل شيء منه، فليكن كل شيء له.

المزمور التاسع والستون

لإمام المغنين على السوسن. لداود

كتب داود هذا المزمور حين كان في محنة.

أولا: يشكو من المحنة والمتاعب العظيمة التي يعانيها ويلتمس من الله أن يخلصه منها ويعينه (ع ١ – ٢١).

ثانيا: يستمطر دينونات الله على ظالميه (ع ٢٢– ٢٩).

ثالثا: يختتم بصوت الفرح والحمد، وهو متيقن أن الله سيساعده، وأنه سيعمل خيرا لكنيسته (ع ٣٠ – ٣٦). وثمة فقرات مختلفة في هذا المزمور تطبق على المسيح في العهد الجديد، وقيل إنها تحققت فيه (ع ٤، ٩، ٢١) أما آية ٢٢ فيشير إلى أعداء المسيح. ولذلك (وعلى غرار المزمور الثاني والعشرين) يبدأ المزمور بالإذلال، ويختتم بمجد المسيح.

عدد ١– ١٢

في هذه الأعداد يشكو داود من متاعبه:

أولا: شكاواه كانت تفيض مرارة، وهو يطرحها أمام الرب، كما لو كان يأمل بهذه الطريقة أن يتخلص من حمل شديد الوطأة عليه.

(١) يشكو من الانطباعات العميقة التي خلفتها متاعبه على نفسه (ع ١ و٢): «المياه» مياه المحنة «قد دخلت إلى نفسي»، وهي لم تهدد حياتي فحسب، بل تقلق نفسي، ولذلك لم أعد أتمتع بالله وبنفسي كما اعتدت دائما. إن «روح الإنسان تحتمل مرضه» (أم ١٨: ١٤) وضعفاته، لكن ماذا عسانا نفعل حين تُكسر الروح؟ هذه هي حالة داود التي يشكو منها هنا. وهذا ما يشير إلى آلام المسيح بالروح، وما كان يعانيه من ألم داخلي مبرح حين قال: «نفسي حزينة جدا حتى الموت»، لأن نفسه هي التي قدمها ذبيحة عن خطايانا.

(٢) يشكو من استمرار متاعبه مدة طويلة (ع ٣): «تعبت من صراخي» لقد صرخ إلى إلهه، وكلما رأى الموت يزداد اقترابا، زادت الحيوية في صلواته، ومع ذلك لم يتلق استجابة سلام على نحو من السرعة. «كلّت عيناي من انتظار إلهي». ومع ذلك فاستناده إلى هذا في شكواه إلى الله يعد دلالة على أنه مُصر ألا يتهاون في إيمانه أو صلواته. يبس حلقه، ولكن ذلك لم يحدث بالنسبة لقلبه، كلت عيناه، لكن إيمانه لم يكل وهكذا صرخ ربنا يسوع على الصليب: «لماذا تركتني؟» ومع ذلك لم يتخل عن علاقته به «إلهي إلهي».

(٣) اشتكى من حقد أعدائه وكثرتهم، ومن ظلمهم وقسوتهم والمتاعب التي يسببونها له (ع ٤):

«يبغضونني بلا سبب». لم أسبب لهم أي أذى على الإطلاق، حتى يبغضوني على هذا النحو. ولقد طبق مخلصنا ذلك على نفسه (يو ١٥: ٢٥): «أبغضوني بلا سبب». ولم يكن يتوجب الاستهانة بهؤلاء الأعداء، لأنهم كانوا مخيفين بالنسبة لعددهم. «أكثر من شعر رأسي الذين يبغضونني... رددت الذي لم أخطفه». وإذا ما طبقنا هذا على داود، فإن هذا ما أجبره أعداؤه على عمله، وهو ما وافق عليه، حتى أنه إذا كان ممكنا، يستطيع بذلك تهدئتهم والدخول في سلام معهم. غير أنه، إذا ما طبقنا ذلك على المسيح نجد أن العبارة تعد وصفا ملحوظا للترضية التي قدمها لله بدمه من أجل خطايانا: حيث رد الذي لم يخطفه، لقد تحمل العقوبة التي كان من الواجب أن تنزل بنا.. سدد الدين المكتوب علينا، وتحمل الآلام من أجل خطيتنا. إن مجد الله قد سرق بخطية الإنسان، وقد سُرقت كرامة الإنسان وسعادته وسلامه. ولم يكن المسيح هو الذي سرقها، ومع ذلك ردها في استحقاق موته.

(٤) يشكو من جفاء أصدقائه وأقاربه (ع ٨): «صرت أجنبيا عند إخوتي»، لقد جعلوا أنفسهم غرباء بالنسبة لي، ولم يعودوا يرغبون في محادثتي ويخجلون من الاعتراف بي. وهذا ما تحقق بالنسبة للمسيح حيث إن «إخوته أيضا لم يكونوا يؤمنون به» (يو ٧: ٥)، الذي «إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله» (يو ١: ١١) كما أن تلاميذه تخلوا عنه.

(٥) يشكو مما يلاقيه من احتقار، فضلا عن التوبيخات التي توجَّه له بصفة مستمرة. وفي هذا، ترمز شكواه بصفة خاصة إلى المسيح، الذي من أجلنا خضع لأعظم الإهانات، والخزي. ويذكر داود هنا الاحتقار والإهانة التي كان يلقاها. لقد سخروا منه نتيجة الأمور التي أذل فيها نفسه من أجل مجد الله. فحين بكى داود وصام ولبس المسوح بدافع إخلاصه لله، ولكي يشهد بهذا عن احترامه له وفعل هذا كما اعتاد التائبون أن يعملوا، فإنهم عوض أن يمتدحوا تقواه، بذلوا كل ما في وسعهم لمنع الآخرين من السير على هذا النموذج الطيب الذي انتهجه، لأنه حينئذ احتمل «العار». وقد ضحكوا منه على حماقته لإذلال نفسه على هذا النحو، بل إنه من أجل هذا «صرت لهم مثلا». حتى أكثر الناس رزانة ومكانة، والذين كان يتوقع منهم خيرا، فحتى هؤلاء اشتكى منهم «يتكلم فيَّ الجالسون في الباب». وكان أغنية السكارى، حيث كانوا ورفقاؤهم يتندرون عليه. ونرى هنا ما هو عادة من نصيب أفضل الناس، فالذين يطريهم الحكماء تراهم أغنية الحمقى. غير أنه من السهل على أولئك الذين يصدرون أحكاما صائبة على الأمور أن يكرهوا أن يتعرضوا للاحتقار على هذا النحو.

ثانيا: اعترافاته بالخطية خطيرة جدا (ع ٥): «يا الله أنت عرفت حماقتي»، عرفت كل شيء، ولذلك تعرف كم أنا بريء من هذه الجرائم التي اتهموني بها. وهذا هو الاعتراف الحقيقي لشخص تائب، يعلم تماما أنه لا يستطيع أن ينجح في ستر خطيته، ولذلك فإنه من الحكمة الاعتراف بها لأنها عريانة ومكشوفة أمام الله. وهو يعرف مدى فساد طبيعتنا: أنت عرفت الحماقة التي في قلبي. فهو يعرف الآثام التي نرتكبها في حياتنا، حتى تلك التي نقترفها في سرية تامة. فكلها تُعمل تحت ناظريه، ولا تطرح إطلاقا وراء ظهره إلى أن تتم التوبة عنها ثم غفرانها.

ثالثا: تضرعاته حماسية للغاية: «خلصني يا الله»، خلصني من الغرق ومن اليأس: «لا يخز بي منتظروك يا سيد رب الجنود. لا يخجل بي ملتمسوك يا إله إسرائيل». وهذا ما يشير إلى خوفه من أنه ما لم يدافع عنه الله فسوف يسبب ذلك إحباطا لجميع الأتقياء الآخرين، وسوف يتيح ذلك فرصة لأعدائهم لكي يشمتوا فيهم. ولو لم يعترف بيسوع المسيح ويُقبل من جهة الآب في آلامه، لكان ذلك مصدر عار وخزي لكل الذين يطلبون الله ويأملون فيه. لكنهم كلهم ثقة في الله، وفي اسمه يتقدمون بثقة إلى عرش النعمة.

رابعا: حجته قوية جدا (ع ٧، ٩): ابعد عني توبيخاتهم ودافع عني لأني من أجلك احتملت العار. الذين يتكلم عنهم بالشر لقيامهم بأعمال طيبة بوسعهم أن يتركوا أمرهم بكل ثقة لله لأنه «يخرج مثل النور برك». «لأن غيرة بيتك أكلتني». أولئك الذين يكرهونك ويكرهون بيتك لنفس هذا السبب يكرهونني، لأنهم يعرفون كيف أنني أغار تماما على بيتك، وأن هذا هو سبب فقداني كل ما كنت أتمتع

به من محبة واحترام بينهم. وممكن أن تُفهم العبارة على أنها مثال لغيرة داود من أجل بيت الله، وأنه كان يمتعض من كل الإهانات التي كانت توجَّه إلى اسم الله كما لو كانت توجه لاسمه هو شخصيا. وكانت تخزنه أية إهانات تمس الديانة وهذا العدد ينطبق على المسيح.

(١) كانت مثالا على محبته للآب أن غيرة بيته أكلته، وذلك حين طرد الباعة والمشترين من الهيكل، الأمر الذي ذكَّر تلاميذه بهذه الآية، (انظر يوحنا ٢: ١٧).

(٢) كانت مثالا على إنكاره ذاته، وأنه لم يكن يسع لإرضاء نفسه، بل إنه قال: «تعييرات معيريك وقعت عليَّ» (رو ١٥: ٣)، وبهذا وضع لنا مثالا.

عدد ١٣ – ٢١

تحدثوا بسوء عليه بسبب صومه وصلاته، وجُعل أغنية للسكارى، إلا أنه على الرغم من ذلك أصر على مواصلة الصلاة. وعلى الرغم من السخرية التي قد نتعرض لها نتيجة قيامنا بعمل الخير، إلا أن ذلك لا يجب أن يبعدنا عن عمله: «أما أنا فلك صلاتي يا رب».

أولا: ما هي طلباته. «استجب لي» (ع ١٣) ومرة ثانية «استجب لي يا رب» (ع ١٦)، و«استجب لي سريعا» (ع ١٧)، لا تكتف بسماع ما أقول، بل أعطني ما ألتمسه منك «نجني من الطين»، لا تتركني ألتصق به (كما في ترجمة أخرى)، بل ساعدني على الخروج منه وأقم «على صخرة رجلي» (مز ٤٠: ٢). «نجني من مبغضيَّ»، كحمل من مخالب الأسد (ع ١٤). وعلى الرغم من أنني «دخلت إلى أعماق المياه» (ع ٢)، فلتعمل يا رب على ألا «يغمرني سيل المياه» (ع ١٥). ولا تسمح بأن أسقط في هاوية اليأس «ولا يبتلعني العمق ولا تُطبق الهاوية عليَّ فاها» وإلا لهلكت. لقد صلى من أجل أن يلتفت الله إليه (ع ١٦)، وأن يرضى عليه، ولا يحجب وجهه عنه (ع ١٧).

ثانيا: ما هي الحجة التي استند إليها ليقوي التماسه.

(١) يستند إلى رحمة الله وحقه (ع ١٣). «بكثرة رحمتك استجب لي» فهي هكذا في حد ذاتها: غنية وسخية وفياضة «ككثرة مراحمك التفت إليَّ» (ع ١٦).

(٢) يستند إلى محنته وضيقه: «ولا تحجب وجهك عن عبدك، لأن لي ضيقا» (ع ١٧)، ولذلك فإني محتاج إلى رعايتك، وهي ستأتي في حينها ومن ثَم سأعرف كيف أقدرها. «أنت عرفت عاري وخزيي وخجلي». والمرنم كان يتكلم بصراحة فطرية حين قال (ع ٢٠): «العار قد كسر قلبي فمرضت»، لأن الأمر ثقيل الوطأة بالنسبة لشخص يعرف قيمة السمعة الطيبة أن يوصف بأوصاف ردية، غير أنه حين نتفحص الأمر نجد أنها كرامة عظمية أن نهان من أجل الله، وأن نحسب مستأهلين أن نهان من أجل اسمه (وهذا ما رآه التلاميذ أع ٥: ٤١). سوف نرى أنه ليس هناك سبب على الإطلاق يدعونا إلى الحزن بسبب هذا الأمر.

(٣) يستند إلى غطرسة أعدائه وقسوتهم (ع ١٨): «قدامك جميع مضايقيَّ» (ع ١٩)، وأنت تعلم مدى الخطر الذي أتوقعه منهم، كما تعرف كيف أنهم أعداؤك أنت أيضا وذلك من خلال ما يعملونه والمؤامرات التي يحيكونها ضدي. وقد ذكر مثالا لوحشيتهم (ع ٢١): «ويجعلون في طعامي علقما (الكلمة تشير إلى عشب مر، وكثير ما يضاف معه الأفسنتين) وفي عطشي يسقونني خلا».

(٤) يشكو من جفاء أصدقائه وخيبة أمله فيهم (ع ٢٠): «انتظرت رقة فلم تكن»، الجميع خذلوه مثل الجداول الجافة في الصيف. وهذا ما تحقق في المسيح، لأنه أثناء آلامه تخلى عنه كل تلاميذه وهربوا.

عدد ٢٢ – ٢٩

هذه اللعنات ليست صلوات داود ضد أعدائه بل هي نبوات ضد مضطهدي المسيح، ولاسيما الأمة اليهودية، الأمر الذي تنبأ به ربنا نفسه وبكى من أجله، وقد تحققت هذه النبوة بعد موت المسيح بأربعين سنة تقريبا. والعدد الأول والثاني من هذه الفقرة استخدمهما

الرسول بولس بكل وضوح في حديثه عن دينونات الله ضد اليهود غير المؤمنين (رو ١١: ٩ و١٠)، ولذلك يجب أن ينظر إلى هذه الفقرة كلها في نفس هذا الاتجاه.

أولا: الدينونات التي ستحل بصالبي المسيح، ليست ضدهم أجمعين، لأن هناك من كان لهم ضلع في موته ومع ذلك تابوا ووجدوا رحمة (أع ٢: ٢٣؛ ٣: ١٤ و١٥)، بل ضد أولئك الذين برروا صلبه برفضهم إنجيله (هم ومن ساروا على نهجهم)، وعداوتهم المستمرة ضد تلاميذه وأتباعه (انظر ١تسالونيكي ٢: ١٥ و١٦) وجاءت النبوة هنا:

(١) أن ذبائحهم وتقدماتهم ستؤول إلى ضررهم وأذاهم (ع ٢٢): «لتصر مائدتهم قدامهم فخا». ويمكن أن يفهم من هذه العبارة أن المقصود بها مذبح الرب، الذي سمي مائدته و«مائدتهم» لأنهم إذ يقيمون وليمة على الذبائح فإنهم بذلك كانوا شركاء المذبح. وقد تفهم على أن المقصود بها متعهم الجسدية العادية، حتى طعامهم الضروري. لقد قدموا للمسيح علقما وخلا، ولذلك كان من العدالة أن يتحول طعامهم وشرابهم ليصيرا لهم علقما وخلا.

(٢) لن تتاح لهم إطلاقا التعزية بالمعرفة أو بالسلام الذي ينعم به المؤمنون في إنجيل المسيح (ع ٢٣): «لتظلم عيونهم»، حتى لا يروا مجد الله في وجه المسيح. وخطيتهم تمثلت في أنهم رفضوا أن يروا، بل أغمضوا عيونهم ضد النور. ليتركوا لكي يندفعوا إلى اليأس، وأن تتملكهم الحيرة الدائمة. وهذا ما تحقق في المشورات اليائسة التي دارت بين اليهود حين هاجمهم الرومان.

(٣) أن يقعوا ويختبروا سخط الله، وحمو غضبه (ع ٢٤): «صُبَّ عليهم سخطك».

(٤) أن تؤخذ منهم أرضهم ويقضى على أمتهم بشكل تام، وهو نفس الشيء الذي كانوا يخشونه، ولكي يحولوا دون وقوعه بحسب مفهومهم، اضطهدوا المسيح (يو ١١: ٤٨): «لتصر دارهم خرابا»، وقد تحقق هذا حينما خرب الرومان بلادهم، «لذلك بسببكم تُفلَح صهيون كحقل» (مي ٣: ١٢). وكان الهيكل هو البيت الذي كان من ناحية خاصة موضع إعزازهم ولكن هذا «يترك لكم خرابا» (مت ٢٣: ٣٨)، «وفي خيامهم لا يكن ساكن»، وهذا الأمر تحقق بشكل ظاهر في يهوذا وأورشليم، لأنه بعد دمار اليهود، مر وقت طويل قبل أن يسكنهما أحد.

(٥) أن ينزلقوا إلى الخراب زلقا، بحيث لا يوقفهم شيء. يا رب اتركهم لأنفسهم «اجعل إثما على إثمهم، ولا يدخلوا في برك» (ع ٢٧). ليس معنى هذا أن الله يحرم أحدا من بره، لأن الإنجيل لا يستبعد أحدا، ما لم يستبعد هو نفسه نتيجة عدم إيمانه.

(٦) أن يحرموا من كل رجاء في السعادة (ع ٢٨): «ليمحوا من سفر الأحياء» لا تسمح لهم بالبقاء بعد الآن، لأنه كلما طالت حياتهم، زاد ما يرتكبونه من أذى، وكم من أعداد من اليهود غير المؤمنين سقطوا بالسيف والجوع. وقد زالت الأمة، ولم تعد بعد شعبا.

ثانيا: ما هي الخطية التي تستوجب إيقاع هذه الدينونة الرهيبة ضدهم «لأن الذي ضربته أنت هم طردوه، وبوجع الذين جرحتهم يتحدثون» (ع ٢٦). والمسيح هو الذي جرحه الله، لأن الله كان لابد وأن يسحقه، وقد حُسب «مصابا مضروبا من الله ومذلولا» ولذلك كان «كمستر عنه وجوهنا» (إش ٥٣: ٣ و٤، ١٠). لقد اضطهدوه بغضب وصل عنان السماء، لقد هتفوا «اصلبه، اصلبه».

ثالثا: ما الذي يعتقده المرنم في نفسه في وسط كل هذا (ع ٢٩): «أما أنا فمسكين وكئيب»، أي في أسوأ حالاتي بالنسبة لمحني البدنية، ومع ذلك حسب مع الأبرار، وليس تحت غضب الله مثلهم.

عدد ٣٠ - ٣٦

والمرنم هنا، كرمز للمسيح، وكمثال للمسيحين يختتم المزمور بفرح مقدس وحمد مع أنه كان قد بدأه بالشكاوى والتعبير عن أحزانه.

أولا: أصر على أن يحمد الله نفسه (ع ٣٠ و٣١): «أسبح اسم الله» ليس بقلبي فقط، بل بتسبيح «وأعظمه بحمد». أما هذا «فيستطاب عند الرب».. من خلال المسيح وسيط تسبيحاتنا وكذلك صلواتنا، التي

يفضلها الله بأكثر من أعظم الذبائح الناموسية قيمة (ع ٣١) «أكثر من ثور بقر». وهذه إشارة واضحة أنه في أيام المسيح لابد وأن توضع نهاية ليس للذبائح الكفارية فحسب، بل لذبائح الحمد والاعتراف التي رتبها الناموس الطقسي، وبدلا منها يقبل الله ذبائح الحمد والشكر الروحية. إنها لتعزية عظيمة لنا أن تسابيح التواضع والشكر تستطاب عند الله أكثر من أفضل الذبائح المكلفة الفخيمة التي كانت في السابق أو في الحاضر.

ثانيا: يشجع الآخرين من الصديقين أن يفرحوا في الرب ويواصلوا طلبه (ع ٣٢ و٣٣): «يرى ذلك الودعاء فيفرحون» وسوف يرون:

(١) كيف أن الله على أهبة الاستعداد لسماع الودعاء حين يصرخون إليه، وأن يعطيهم ما صرخوا إليه من أجله.

(٢) نصرة المخلص، لأن المرنم كان يتكلم عنه، وعن نفسه كرمز له.

ثالثا: يطلب من جميع المخلوقات أن يسبحوا الله، السماء والأرض والبحر وكل ما فيها (ع ٣٤). وتسبيحات العالم يجب أن تقدم لكنيسته من أجله (ع ٣٥ و٣٦). لأن الله سيخلص صهيون، الجبل المقدس، حيث تمت فيه عبادته «ويبني مدن يهوذا» وسوف تقام كنائس معينة وتندمج على أساس نمط الإنجيل، وأنه ستكون هناك بقية «فيسكنون هناك ويرثونها». والذين يحبون اسمه، ويحبون الديانة بصفة عامة، سوف يعتنقون المسيحية، ويأخذون مكانهم في الكنيسة، سوف يسكنون فيها، كمواطنين، ومن رعوية بيت الله. ولن يفتقر الله إلى إنسان أمامه. وسوف يرى الفادي أولادا، ويطيل أيامه فيهم، حتى يتم سر الله ويكمل الجسد السري.

المزمور السبعون

لإمام المغنين. لداود للتذكير

رُوعي في هذا المزمور أن يجيء متماشيا مع حالة المحنة، وقد نسخ بحذافيره تقريبا من المزمور الأربعين، والبعض يقول إنه لهذا السبب سُمي «التماسا" أو مزمورا «للتذكير».

وهنا يصلي داود أن يبعث الله:

أولا: بعون له شخصيا (ع ١، ٥).

ثانيا: بالخزي لأعدائه (ع ٢ و٣).

ثالثا: بفرح لأصحابه (ع ٤). وهذه الأعداد الخمسة، هي الأعداد الخمسة الأخيرة في المزمور ٤٠.

عدد ١ – ٥

العنوان يعرفنا أن القصد من هذا المزمور هو للتذكير، أي ليتذكر الله رحمته ومواعيده. ويمكننا في صلواتنا أن نستخدم الكلمات التي كثيرا ما استخدمناها من قبل، ومخلصنا في آلامه صلى ثلاث مرات، وكان يردد نفس الكلمات، وهكذا داود أيضا يستخدم نفس الكلمات التي استخدمها من قبل.

أولا: يصلي داود هنا من أجل أن يسرع الله بنجاته ومعونته (ع ١، ٥): «أما أنا فمسكين وفقير»، في عوز ومحنة، وفي غاية الارتباك داخليا «إلى معونتي أسرع»، لأن شهوة نفسي هي إليك، وسوف أهلك لو لم تصلني معونتك سريعا: «معيني ومنقذي أنت» ولقد كرست نفسك لتكون هكذا بالنسبة لجميع من يطلبونك، وأتكل عليك لتكون هكذا معي أيضا، لقد وجدتك كثيرا هكذا، وفيك كل الكفاية لأن تكون هكذا، لذلك أسرع إلى إنقاذي.

ثانيا: يصلي من أجل أن يملأ وجوه أعدائه خزيا (ع ٢ و٣): «وليخز ويخجل طالبو نفسي»، لتهديهم إلى طريق التوبة، لتملأهم خزيا حتى يطلبوا اسمك (مز ٨٣: ١٦)، لتجعلهم يدركون حماقتهم في محاربتهم أولئك الذين تحميهم أنت. ومع ذلك، لتحبط مؤامراتهم ضدي ومن ثم سيخزون ويرتبكون ويسقطون «كثيرا في أعين أنفسهم» (نح ٦: ١٦).

ثالثا: صلى من أجل أن يملأ الله قلوب أصحابه فرحا (ع ٤).

ليتنا نجعل من خدمة الله شغلنا الشاغل، ونعمة الله فرحنا العظيم ومسرتنا الفائقة، لأن هذا هو طلبه، وفيه محبة خلاصه. ولنتأكد من أنه لم يكن الأمر لخطأ فينا، فسوف يملأ الرب أذهاننا، وتسبيحاته العظيمة ستملأ أفواهنا. جميع الذين يرجون للقديسين خيرا، ويعملون من أجل مجد الله، لا يمكنهم إلا أن يقولوا

آمين لهذه الصلاة من كل قلوبهم، والذين يحبون خلاص الله يقولون باستمرار: «ليتعظم الرب».

المزمور الحادي والسبعون

كتب داود هذا المزمور وهو في شيخوخته. ولكنه لم يجنح إلى التدقيق في عرض قضيته الخاصة، لأنه كان يقصد ما كتبه أن يستخدمه شعب الله بصفة عامة في محنهم ولاسيما تلك التي تصادفهم في أواخر عمرهم، ذلك أن هذا المزمور، دون غيره، مناسب لاستخدام تلاميذ يسوع المسيح من كبار السن.

أولا: يبدأ المزمور بصلوات إيمانية، بصلوات تعبر عن إيمانه بأن الله سينجيه وينقذه (ع ٢، ٤) ولن يرفضه ويتخلى عنه (ع ٩)، أو يبعد عنه (ع ١٢)، وأن الخزي سيكون من نصيب أعدائه (ع ١٣). وهو يعتمد على ثقته في الله (ع ١، ٣، ٥، ٧)، واختباره معونات الله السابقة له (ع ٦)، وحقد أعدائه ضده (ع ١٠ و١١).

ثانيا: يختتم المزمور بتسابيح إيمانية (ع ١٤ – ٢٤). فلم يكن رجاؤه أكثر رسوخا (ع ١٦، ١٨، ٢٠ و٢١)، ولم تكن أفراحه وتشكراته أكثر مما عليه الآن (ع ١٥، ١٩، ٢٢ – ٢٤)، وهو في نشوة تسبيح مفرح.

عدد ١ – ١٣

أولا: يصلي بألا يسمح الله إطلاقا بأن يخزى نتيجة اتكاله عليه، أو تخيب توقعاته منه القائمة على الإيمان به. يمكن لكل مؤمن حقيقي أن يتقدم بثقة إلى عرش النعمة بهذا الالتماس.

(١) يعبر داود عن ثقته في الله، ولا يزال يعترف له بذلك، كما يستند إلى تلك الثقة في تضرعاته. ونحن نسبح الله بأن نخبره (إذا كان ذلك حقا وبالفعل) كيف أننا نثق فيه ثقة تامة (ع ١): «بك يا رب (وبك فقط) احتميت». ومهما كان تصرف الآخرين إلا أنني اخترت إله يعقوب ليكون لي عونا: «لأنك صخرتي وحصني» (ع ٣)، وكذلك في آية ٧ «أما أنت فملجأي القوي»، أي أنني أهرع إليك، ويقيني أنني سأجد الأمن فيك وفي ظل حمايتك. وإذا ما حميتني لن يكون بمقدور أحد أن يؤذيني. «لأنك أنت رجائي... متكلي» (ع ٥)، أي أنك قدمت لي نفسك في كلمتك كمن هو موضوع رجائي واتكالي. لقد وضعت فيك رجائي، ولم يحدث إطلاقا أن وجدت أن ذلك جاء عبثا.

(٢) اختباراته السابقة دعمت ثقته في الله وزادتها (ع ٥ و٦): «لأنك أنت رجائي.. متكلي منذ صباي». ومنذ أن وعيت التمييز بين يدي اليمنى واليسرى، وضعت ثقتي فيك، لأنه «عليك استندت من البطن». ذاك الذي كان سندا لنا من البطن يجب أن يكون موضع رجائنا منذ صبانا. وإذا كنا قد نلنا هذه الرحمة الكثيرة من الله قبل أن يصبح بمقدورنا أن نقدم له أية خدمة، فمن ثم يتعين علينا ألا نضيع أي وقت حين يصبح باستطاعتنا عمل ذلك. أنت الذي أخذتني بين ذراعي نعمتك وفي ستر جناحيك إلى ربط عهدك. ولدي مبرر يدعوني لأن آمل أنك ستحميني، أنت الذي ساندتني إلى هذه اللحظة لن تتخلى الآن عني. أنت الذي ساعدتني في وقت لم أكن أقدر فيه على مساعدة نفسي، لن تتخلى عني الآن ولاسيما أني كما كنت في ذلك الحين لازلت عاجزا عن أن أعين نفسي. ولذلك «بك تسبيحي دائما».

(٣) وكانت التماساته من الله تتضمن:

أ. ألا يخزى «إلى الدهر» (ع ١)، وألا يخيب رجاؤه في الرحمة التي يتوقعها، حتى لا يخجل من توقعاته.

ب. أن ينقذ من يد أعدائه (ع ٢): «بعدلك نجني». وبما أنك قاضي العالم العادل، تدافع عن المظلومين، دعني أن أهرب بطريقة أو بأخرى . «أمل إليَّ أذنك»، واستجب لي خلصني من متاعبي (ع ٤): «أمرت بخلاصي» (ع ٣) أي أنك وعدت أن تفعل ذلك، وهناك فعالية في وعود الله حتى إنه جرت العادة على الكلام عنها باعتبارها أوامر مثل هذا الأمر (ع ٣). العيون الكثيرة التي كانت مسلطة عليه «صرت كآية لكثيرين» (ع ٧) فكل واحد كان ينتظر ليرى ما ستنتهي إليه هذه المتاعب غير العادية التي كانت تكتنفني، وتلك الثقة غير العادية في الله والتي كان الجميع يعرفها فيَّ. أو كان ينظر إليَّ كشخص بشع يتجنبه الجميع، ولذلك فسوف أهلك ما لم يكن الرب ملجأي. لقد تخلى الناس عني، غير أن الله لن يتركني.

ج. سيجد دائما راحته وأمنه في الله (ع ٣): «كن لي صخرة ملجأ»، صخرة ملجأ أدخله دائما. والذين يجدون راحتهم في الله، والذين يعيشون حياة الشركة معه والثقة فيه، والذين دائما ما يلجأون إليه بالإيمان والصلاة، يمكنهم أن يمنوا أنفسهم بمسكن قوي، لا يمكن أن يقع من تلقاء نفسه، بل ولا يمكن لأية قوة غازية أن تقتحمه. «يمتلئ فمي من تسبيحك»، كما هو ممتلئ الآن بشكاواي. لا تجعلني أخزى من رجائي، بل أجعل الخزي من نصيب أعدائي نظير غطرستهم.

د. ألا يُهمل الآن وهو في آخر سنوات عمره (ع ٩): «لا ترفضني في زمن الشيخوخة. لا تتركني عند فناء قوتي»، ومما تجدر ملاحظته هنا:

◄ ضعف الشيخوخة.. «عند فناء قوتي». وإذا كان ثمة وقت يتمتع فيه الإنسان بقوة البدن، ونشاط الذهن، وحدة البصر، وقوة الصوت، وقوة الأطراف، إلا أنه مما يؤسف له أن هذه كلها تتلاشى في الشيخوخة.

◄ وجود الله معه في ضعفاته هذه: «لا ترفضني.. لا تتركني عند فناء قوتي». وأن يرفض الإنسان ويترك من الله أمر يجب أن يخشى منه في أي وقت ولاسيما في وقت الشيخوخة، وبعد أن تفنى قوتنا، لأن الله هو قوة قلبنا، إلا أن عبيد الله الأمناء يمكن أن يتعزوا من يقينهم أنه لن يتخلى عنهم في شيخوختهم، بل ولن يتركهم حين تتركهم قوتهم. وهو سيد لم يتعود على أن يتخلى عن عبيده في شيخوختهم. وفي إطار هذه الثقة يصلي داود هنا مرة ثانية (ع ١٢): «يا الله لا تبعد عني يا إلهي إلى معونتي أسرع»، لئلا أهلك قبل أن تأتي المعونة.

ثانيا: يصلي من أجل أن يخزى أعداؤه من مؤامراتهم ضده. «يرصدون نفسي» (ع ١٠) ليقتلوني، وهم «مخاصمو نفسي» (ع ١٣) «تآمروا معا. قائلين إن الله قد تركه. الحقوه وأمسكوه». وهنا نجد أن كل افتراضاتهم كاذبة تماما. فليس كل الذين يعتقدون أن الله تركهم يكون ذلك حقا حالهم، وقد لا يكون هذا أيضا حال الذين يعتقد الآخرون أنهم كذلك. وبالنظر إلى أن افتراضاتهم زائفة، لذلك كان استدلالهم في منتهى القسوة والوحشية. «لا تشمتي بي يا عدوتي. إذا سقطت أقوم». فالذي يبدو أنه ترك لفترة قصيرة سوف يؤتى به إلى محبة أبدية. «ليلبس العار والخجل الملتمسون لي شرا». وإذا لم يشعروا بالخزي فيحملهم إلى التوبة ومن ثَم يخلصون، ليخزوا بعار أبدي، وبذلك يهلكون.

عدد ١٤ – ٢٤

في هذه الفقرة نجد داود في اختبار فرح وتسبيح مقدس جاء وليد إيمانه ورجائه في الله، ونجد هاتين الناحيتين معا في آية ١٤، حيث نجد تغييرا مفاجئا ورائعا في صوته، فقد تلاشت كل مخاوفه، وارتفعت آماله، وتحولت صلواته إلى تسابيح شكر، ليقل أعدائي كل ما يشتهون لكي يدفعوني إلى اليأس، «أما أنا فأرجو دائما»، لي رجاء في كل الظروف، وفي أصعب الأيام وأقساها سوف أعيش على الرجاء وسأواصل ذلك حتى النهاية.

أولا: ترسخ الإيمان والرجاء في قلبه: «آتي بجبروت السيد الرب». لن أستسلم لليأس، بل أحضر نفسي، وأستمر، وأواصل ليس معتمدا على قوتي الشخصية، بل على قوة الله وعلى قوة نعمته، لكي «أذكر برك وحدك»، أي أمانتك بالنسبة لكل كلمة قلتها، عدالة تدبيراتك، ومحبتك لشعبك الذي يثق بك. هذا ما سأذكره كحجة في صلاتي من أجل رحمتك. وهو يأمل ألا يتركه الله في شيخوخته، بل يظل كما هو بالنسبة له حتى النهاية كعهده به دائما (ع ١٧ و١٨): «اللهم قد علمتني منذ صباي». والتعليم الجيد والتوجيهات الصالحة اللذان تلقاهما على أيدي والديه حين كان صغيرا اعترف بأنه يتعين عليه أن يتقدم بالشكر لله من أجلهما على اعتبار أنهما فضل عظيم. وحين كان في خريف عمره كان يخبر بعجائب الله. والذين أصبحوا أتقياء في شبابهم يجب أن يظلوا يعملون خيرا حين يكبرون وأن يواصلوا إخبار الآخرين بما حصلوا عليه. «وأيضا إلى الشيخوخة والشيب يا الله لا تتركني». فالذين علمهم الله منذ صباهم وجعلوا كل هدف حياتهم أن يعملوا لمجده عليهم أن يكونوا واثقين من أنه لن يتركهم في مرحلة الشيخوخة والشيب، بل سيجعل أيام شيخوختهم الردية من أفضل أيامهم. ولن أكتفي

بأن أخبر بذراعك الجيل المقبل (طبقا لاختباري) بل سأترك ملاحظاتي مسجلة لفائدة الأجيال القادمة كلها، وأبينها «لكل آت». إنه دين يدين به تلاميذ المسيح القدامى للأجيال المتعاقبة أن يتركوا وراءهم شهادة أمينة لقوة الديانة ومسرتها ومزاياها، وصدق مواعيد الله. وهو يأمل أن يحييه الله ويرفعه من حالته المتدنية الكئيبة الراهنة (ع ٢٠): «أنت الذي أريتنا ضيقات كثيرة ورديئة» أكثر من غالبية الناس «تعود فتحيينا». وهو لم يقل: لقد أرهقتني بهذه المتاعب، بل قال: «أريتنا...»، كما يري الوالد الحنون ابنه. وإذا نظرنا بالاعتبار الواجب ليد الله في متاعبنا، بمقدورنا أن نعد أنفسنا بنوال الخلاص منها في الوقت المناسب. ولن تعيدني فقط إلى كرامتي بل «تزيد عظمتي»، وتعطيني بعد هذه الصدمة وضعا أفضل مما كان قبلا، فلن تعزيني فقط، بل «وترجع فتعزيني»، حتى لا أرى شيئا كئيبا أو خطيرا في أية ناحية. وأحيانا ما يستخدم الله متاعب شعبه للمساهمة في زيادة عظمتهم، ويزداد سطوع شمسهم لأنها كانت تحت السحاب. وهو يرجو أن يعم الارتباك جميع أعدائه (ع ٢٤). «لأنه قد خجل الملتمسون لي شرا».

ثانيا: لنر الآن كيف ازداد قلبه فرحا وتسبيحا، وكيف ابتهج في رجاء، وأخذ يرنم فيه، فنحن خلُصنا بالرجاء «فمي يحدث بعدلك اليوم كله بخلاصك»، وكذلك في آية ٢٤ «ولساني أيضا اليوم كله يلهج ببرك». وبر الله، الذي يبدو أن داود هنا متأثر به بصفة خاصة، يتضمن الكثير: استقامة طبيعته، عدالته، معاملات عنايته الإلهية، الناموس العادل الذي أعطانا لكي نأتمر به، المواعيد الأمينة التي أعطاها لنا لكي نعتمد عليها، والبر الدائم الذي جاء به ابنه من أجل تبريرنا. وبر الله وخلاصه، نجدهما هنا مرتبطين معا: «لأني لا أعرف لها أعدادا» (ع ١٥). فعلى الرغم من أنه ليس بمقدوري أن أقدم العدد الدقيق لأفضالك عليَّ، إلا أنها كثيرة جدا، وأعلم أنني لا أستطيع حصرها، وسأظل أتحدث عنها لأني فيها أجد مادة جديدة (ع ١٩): لكي أسبح الله وأعترف بكمالاته وأعماله العظيمة التي لا نستطيع أن نسبر غورها، «يا الله من مثلك». ليس مثلك في السماء، ولا على الأرض. ليس مثلك ملاكا ولا ملكا، لأن الله لا نظير له. نحن لا نسبحه على نحو صحيح ما لم نعترف أنه كذلك: «فأنا أيضا أحمدك برباب حقك». وقد عرف الله بواسطة كلمته، فإذا ما حمدنا ذلك، وحقيقة ذلك، فإننا نحمده. إن من كرامة الله أنه «القدوس»، ومما يكرم شعبه أنه «قدوس إسرائيل». وسوف يعبر عن فرحه وابتهاجه بموسيقى مقدسة «برباب» التي برع داود في عزفها، وأفضل مهاراته سوف تستخدم في نشر تسابيح الله بطريقة لها ميزتها حتى تؤثر في الآخرين: «أرنم لك...»، لمجدك، وكلي رجاء أن تتقبل ذلك. «تبتهج شفتاي إذ أرنم لك»، إذ أعرف أنني لا أستطيع أن استخدمها في أمر أفضل من ذلك. وسوف «تبتهج... نفسي التي فديتها». ونحن لا نعزف لحنا للرب حين نرنم تسبيحا له، ما لم نفعل ذلك بقلوبنا. «تبتهج شفتاي» ولكن هذا لا شيء، إنه عمل شفاه، وعلى الرغم من أننا قد نجيده للغاية، إلا أنه إذا اقتصر الأمر على ذلك فسوف يكون عملا ضائعا في خدمة الله، فالنفس يجب أن تعمل، وبكل ما في داخلنا يجب أن نُبارك اسمه القدوس.

المزمور الثاني والسبعون

لسليمان

كتب داود المزمور السابق في شيخوخته، ويبدو أن هذا ينطبق على هذا المزمور أيضا، لأن سليمان كان على أهبة الاستعداد لاعتلاء العرش فكان ذلك المزمور صلاته من أجل ابنه وخليفته، وبهذين المزمورين تتم صلوات داود بن يسى، وهذا ما أشير إليه في خاتمة المزمور. وقد جاء في عنوان هذا المزمور أنه «لسليمان»، ومن المحتمل أن يكون داود قد أملاه، أو أملي إليه بالأحرى بواسطة الروح المبارك، حيث إنه قبل أن يموت بقليل، وبإرشاد إلهي حسم موضوع الخلافة، وأصدر أوامره بإعلان سليمان ملكا (١مل ١: ٣٠ – ٥٣). غير أنه، على الرغم من أن اسم سليمان قد استخدم هنا، إلا أنه تضمن نبوة عن ملكوت المسيح حيث اتخذ اسم سليمان رمزا وإشارة إليه.

وداود بالروح:

أولا: يبدأ بصلاة مقتضبة من أجل خليفته (ع ١).

ثانيا: بعد ذلك ينتقل بسرعة إلى نبوءة طويلة عن أمجاد حكمه (ع ٢ – ١٧).

ثالثا: يختتم بتسبيح إله إسرائيل (ع ١٨ – ٢٠).

عدد ١

هذا العدد صلاة من أجل الملك، ولابن الملك.

أولا: يمكننا أن نأخذها على أنها من أجل سليمان: «اللهم أعطِ أحكامك» له.. اللهم ببرك اجعله رجلا وملكا. رجلا صالحا، وملكا صالحا.

(١) إنها صلاة أب من أجل ابنه، يباركه قبل موته، كما كان يفعل الآباء الأولون بالنسبة لأبنائهم. تعلم سليمان أن يصلي من أجل نفسه كما صلى والده من أجله، ولم يصل من أجل أن يعطيه الله غنى ومجدا، بل قلبا حكيما فهيما، ولا يستطيع الآباء أن يعطوا بركة لأبنائهم، بل إنهم بالصلاة، يستطيعون أن يحضروهم إلى إله النعمة.

(٢) إنها صلاة الملك من أجل من يخلفه. لقد نفذ داود الحق والعدل أثناء حكمه، وهو يصلي الآن من أجل أن يفعل ابنه نفس الشيء. ويجب أن نهتم هكذا نحن أيضا بأولادنا.

(٣) إنها صلاة الرعايا من أجل مليكهم. ويبدو أن داود كتب هذا المزمور لكي يستخدمه الشعب، حتى إنهم في ترنيمهم، يصلون من أجل سليمان. والذين يريدون أن يعيشوا حياة هادئة عليهم الصلاة من أجل الملوك وكل من هم في مواقع السلطة، حتى يعطيهم الله أحكامه وبره.

ثانيا: يمكننا أن نطبق الكلام على المسيح، وليس معنى هذا أن ذاك الذي يتشفع من أجلنا في حاجة إلى أن نصلي نحن من أجله، بل:

(١) إنها صلاة الشعب القديم لكي يرسل الله المسيّا.

(٢) إنها تعبير عن سرور كل المؤمنين الحقيقيين بالسلطان الذي تسلمه الرب يسوع من الآب. ليكن له سلطان في السماء والأرض، ويكون الرب برنا، ليكون الوسيط الأعظم للنعمة الإلهية لكل الذين هم له.

عدد ٢ – ١٧

هذه نبوة عن ازدهار وديمومة ملكوت المسيح التي يرمز لها حكم سليمان.

• كحجة لتدعيم الصلاة: «اللهم» أعطه «أحكامك... وبرك» (ع ١).

• كاستجابة سلامية للصلاة. أما وأن هذه النبوة لابد وأنها تشير إلى ملكوت المسيح فهذا واضح، لأن المزمور يتضمن أمورا كثيرة لا يمكن أن تنطبق على حكم سليمان. فالمملكة التي اشير إليها هنا تستمر طالما استمرت الشمس، لكن مملكة سليمان سرعان ما اندثرت، وعلى ذلك فإن المفسرين اليهود أنفسهم أدركوا أن الكلام يشير إلى مملكة المسيح.

أولا: سيكون حكم عادل (ع ٢): «يدين شعبك بالعدل» (قارن إشعياء ١١: ٤). كل نواميس ملكوت المسيح تتناغم مع أحكام العدالة الأبدية. وسلام ملكوته يدعمه البر (ع ٣).

ثانيا: سيكون حكم يسوده السلام «تحمل الجبال سلاما للشعب، والآكام» (ع ٣)، أي محاكم العدل العليا والدنيا في مملكة سليمان ستقضي بالعدل ومن ثَم يكثر الخير والازدهار (ع ٧). واسم سليمان معناه «رجل سلام»، وهكذا كان حكمه. غير أن السلام بصفة خاصة هو مجد ملكوت المسيح، لأنه طالما ساد السلام فهو يصالح الناس مع الله، ومع أنفسهم، ومع بعضهم البعض، ويبطل العداوات لأنه سلامنا.

ثالثا: المعوزون والمساكين سوف يتمتعون بحماية خاصة وبطريقة معينة في هذه المملكة: يدين «مساكينك بالحق» (ع ٢)، مساكين الشعب، «بني البائسين»، سوف يعمل على أن «يقضي» و«يخلص» (ع ٤). وركز على هذا أيضا في عددي ١٢ و١٣، مشيرا إلى أن المسيح بكل تأكيد سيتبنى قضية المظلومين. سوف يخلص البائسين الذين تحت رحمة ظالميهم. سوف يخلص بني البائسين الذين يلقون بأنفسهم تحت رحمته. سوف يخلص نفوسهم، وهذا كل ما يرغبونه. «طوبى للمساكين بالروح. لأن لهم ملكوت السماوات». والمسيح هو ملك المساكين.

رابعا: سيتعامل مع هؤلاء الظالمين المتغطرسين: «ويسحق الظالم» (ع ٤). والشيطان هو أعظم الظالمين، والذي سيحطمه المسيح، وسيدمر مملكته. إن دم المساكين والبائسين ثمين جدا لدى المسيح حتى إنه سوف يحاسب الشيطان وأعوانه على كل نقطة تسفك من دمهم الذكي. والمسيح ملك، على الرغم من أنه أحيانا يدعو رعاياه إلى المقاومة من أجله إلى

حد التضحية بدمائهم، إلا أنه مع ذلك يقدر دمهم الذكي.

خامسا: الديانة ستزدهر في ظل مملكة المسيح (ع ٥): «يخشونك مادامت الشمس، وقدام القمر». لقد بنى سليمان الهيكل بالفعل، غير أنه لم يدم طويلا، ولذلك فلابد أن هذه العبارة تشير إلى مملكة المسيح. والإيمان بالمسيح سوف يقيم تقوى الله ويحافظ عليها، وهذا هو الإنجيل الأبدي الذي يكرز به. وكما أن مملكة المسيح تدعو للإخلاص في عبادة الله، ومن ثَم فإنها تدعو للعدل والإحسان بين الناس (ع ٧): «يُشرق في أيامه الصدِّيق».. وشريعة المسيح، المكتوبة في القلب، تدفع الناس إلى الأمانة والعدل، وأن يعطى كل ذي حق حقه، وكذلك تحفز الناس على أن يعيشوا في محبة ومن ثَم ينتج عن هذا أن يكثر السلام، «فيطبعون سيوفهم سككا» (إش ٢: ٤). وستكون القداسة والمحبة من السمات الدائمة في ملكوت المسيح، ولن تكون له نهاية، وسوف يخشونه مادامت الشمس والقمر. وإذ وجدت المسيحية لها مكانا في العالم، فسوف تصمد حتى نهاية الزمان، وإذا صار لها موضع في القلب، فسوف تظل هناك حتى الموت، وحتى تظلم الشمس والقمر والنجوم (أي الحواس الجسدية).

سادسا: ملكوت المسيح سيكون موضع تعزية لكل رعاياه المحبين الأمناء (ع ٦) فسوف تكون بنعمة روحه القدوس وتعزياته مثل «المطر على الجزاز» كالمطر المنهمر على المراعي المجزوزة، ليس على المراعي التي قطعت، بل تلك التي تركت لتنمو، حتى تزدهر ثانية مع أنها شذبت.

سابعا: سوف تتوسع مملكة المسيح بدرجة عظيمة.

(١) امتداد أراضيه (ع ٨): «يملك من البحر إلى البحر (من البحر الجنوبي إلى الشمال، أو من البحر الأحمر حتى البحر الأبيض المتوسط) ومن النهر (الفرات أو النيل) إلى أقاصي الأرض». وكانت مملكة سليمان واسعة جدا (١ مل ٤: ٢١) وذلك طبقا للوعد الذي جاء في تكوين ١٥: ١٨. غير أنه لم يأت ذكر لبحر أو لنهر حتى إنه بهذه التعبيرات الشهيرة يمكن أن تشير إلى الملكية الشاملة للرب يسوع. ولقد كرز، أو أنه سوف يكرز بإنجيله «في كل المسكونة» (مت ٢٤: ١٤). وسوف تمتد أراضيه إلى تلك البلدان:

أ. التي كانت غريبة بالنسبة له: «أهل البرية» الذين نادرا ما يسمعون أخبارا، سوف يسمعون الأخبار السارة الخاصة بالفادي و«تجثو» أمامه، وسوف يؤمنون به، ويعبدونه، ويحملون نيره.

ب. الذين كانوا أعداء له، وحاربوه: «يلحسون التراب».

(٢) كرامة تابعيه. لن يملك على أولئك الذين يسكنون البرية فقط، الفلاحين والقرويين، بل وأيضا على أولئك الذين يسكنون القصور (ع ١٠): «ملوك ترشيش والجزائر» التي تقع بعيدا جدا عن إسرائيل، الذين أطلق عليهم «جزائر الأمم» (تك ١٠: ٥) «يرسلون تقدمة» على اعتبار أنه سيدهم الرب. وقد تحقق هذا حرفيا في سليمان: «وكان جميع ملوك الأرض يلتمسون وجه سليمان... وكانوا يأتون كل واحد بهديته» (٢ أخ ٩: ٢٣ و٢٤)، كما تحقق في المسيح أيضا، حين جاء «مجوس من المشرق» ليسجدوا له «وقدموا له هدايا» (مت ٢: ١١).

ثامنا: سيكون مبجلا ومحبوبا من جميع رعاياه (ع ١٥) «ويعيش»، سيتمنى رعاياه أن يعيش طويلا: (ليحيا الملك إلى الأبد) ولسبب قوي، لأنه سبق أن قال «إني أنا حي فأنتم ستحيون». ستقدم له الهدايا. ومع أنه يستطيع الحياة بدونهم، لأنه ليس في حاجة إلى هدايا أو خدمات أي شخص، ومع ذلك فإنه سيعطي «من ذهب شبا». والأفضل يجب أن يقدم له الأفضل. سوف يصلى «لأجله دائما». لقد صلى الشعب من أجل سليمان وهذا ما ساعد أن يكون هو وفترة حكمه سبب بركة عظيمة لهم. ولكن كيف ينطبق هذا بالنسبة للمسيح؟ فهو لا يحتاج لصلواتنا، ولن يفيد منها شيئا. لكن قديسي العهد القديم كانوا يصلون من أجل مجيئه، وصلوا لهذا الغرض بصفة دائمة، لأنهم دعوه الآتي. وإذ قد جاء الآن بالفعل فيتعين علينا أن نصلي من أجل نجاح إنجيله وتقدم ملكوته، الأمر الذي يسميه الصلاة من أجله، سوف توجَّه له التسابيح «اليوم كله يباركه».

تاسعا: في ظل حكمه ستتحقق زيادة عجيبة

في الشعب والمؤن. سوف تحقق البلاد الثراء. «تكون حفنة بُرٍّ في الأرض» (تتكاثر الغلال في الأرض)، «تتمايل مثل لبنان ثمرتها». سوف تصبح مثل غابة، كثيفة، طويلة، وقوية مثل أرز لبنان. وهذا ينطبق على النمو العجيب لأبناء الإنجيل في أيام المسيح. حفنة من تلك البذار، زرعت في الجبال والتربة العقيمة للعالم الوثني، أنتجت محصولا عجيبا جُمع للمسيح. الحقول «قد ابيضت للحصاد» (يو ٤: ٣٥؛ انظر أيضا متى ٩: ٣٧). سوف تعمر المدن بالسكان. ويزدهرون «مثل عشب الأرض» سواء من ناحية العدد، أو من ناحية النضارة.

عاشرا: حكمه سيكون دائم، بالنسبة لكرامته، وكذلك بالنسبة لسعادة رعاياه. والرب يسوع سيحكم إلى الأبد، ويجب أن يؤخذ هذا الكلام على أن المقصود به هو المسيح وليس سليمان بأي حال من الأحوال. فالمسيح وحده، هو الذي ينطبق عليه القول: «يخشونك... إلى دور فدور» (ع ٥)، إلى أن تضمحل الشمس والقمر (ع ٧).

(١) كرامة الملك خالدة ولن تشوبه على الإطلاق أية شائبة (ع ١٧): «يكون اسمه إلى الدهر». وكما أن أسماء ملوك الأرض تخلد في ذريتهم، هكذا سيخلد اسم المسيح بخلوده.

(٢) سعادة الشعب شاملة أيضا: «كل أمم الأرض يطوبونه»، والواقع أنهم وإلى الأبد «يتباركون به».

عدد ١٨ – ٢٠

أولا: انتقل المرنم هنا إلى شكر الله من أجل البنوة والموعد (ع ١٨ و١٩). وكل كلمة يقولها الله من المؤكد أنها لابد وأن تتحقق وهذا ما يلزمنا على أن نشكر على ما قاله على الرغم من أنه لم يتحقق بعد، ويجب الاعتراف أن الله يستحق التسبيح والحمد من أجل كل الأمور العظيمة التي عملها للعالم: «مبارك الرب»، أي «مبارك اسم مجده». وقد تعلمنا هنا أن نبارك اسم المسيح، وأن نبارك الله في المسيح.

(١) باعتباره «الرب الله»، الكائن في ذاته، كلي الكفاية، وسيدنا الرب.

(٢) باعتباره إله إسرائيل، الذي هو في عهد مع ذلك الشعب، الذي يقدم له العبادة.

(٣) باعتباره الله «الصانع العجائب وحده»، في الخليقة، وفي عنايته الإلهية، ولاسيما في عمل الفداء هذا الذي فاق كل ما عداه من أعمال.

ثانيا: كان حارا في الصلاة من أجل تحقيق هذه النبوة والوعد: «لتمتلئ الأرض كلها من مجده». ويختتم داود الصلاة بخاتمة مزدوجة: «آمين ثم آمين»، بل إنه اختتم حياته بصلاة (ع ٢٠). وكان هذا آخر مزمور كتبه، مع أنه لم يوضع في آخر كتاب المزامير: ليتمجد الله، ولكي يأتي ملكوت المسيح، ولا أريد شيئا بعد هذا. وبهذا «تمت صلوات داود بن يسى» ومع هذا: تعال، تعال أيها الرب يسوع بسرعة.

المزمور الثالث والسبعون

مزمور. لآساف

هذا المزمور والمزامير العشرة التالية تحمل اسم آساف في عناوينها. وإذا كان هو كاتبها (كما يعتقد كثيرون) نكون على حق إذا ما اسميناها مزامير آساف. أما إذا كان هو قائد الموسيقى التي سلمت له، فتكون قراءة الهامش صحيحة حيث أطلقت عليها مزامير لآساف. وعلى الرغم من أن روح النبوة بترانيم مقدسة نزل بصفة رئيسية على داود، وعلى ذلك دعي «مرنم إسرائيل الحلو»، إلا أن الله مع ذلك وضع بعضا من هذا الروح على أولئك الذين كانوا حوله.

وهذا المزمور يعطينا فكرة عن الصراع الذي كان يعتمل في فكر المرنم نتيجة حسده ازدهار الأشرار. وهو يبدأ مزموره بمبدأ مقدس، استطاع على أساسه أن يتماسك ويصمد (ع ١).

وبعد ذلك يخبرنا:

أولا: كيف وقع في هذه التجربة (ع ٢ – ١٤).

ثانيا: كيف خرج منها (ع ١٥ – ٢٠).

ثالثا: كيف استفاد من التجربة وخرج منها أقوى مما كان (ع ٢١ – ٢٨).

عدد ١ – ١٤

يبدأ هذا المزمور بداية مباغتة إلى حد ما: «إنما صالح الله لإسرائيل». ومع أن الأشرار يتلقون كثيرا من عطايا سخاء العناية الإلهية إلا أننا يجب أن نعترف

أنه، بطريقة خاصة، صالح لإسرائيل. ويقصد المرنم أن يتحدث عن تجربة حسد ازدهار الأشرار.

أولا: يضع، في المقام الأول، ذلك المبدأ العظيم الذي عزم على أن يلتزم به تماما أثناء تعامله مع هذه التجربة (ع ١). وحين كان أيوب بصدد الدخول في مثل هذه التجربة التزم بالمبدأ الذي يؤمن به وهو أن الله يعلم كل شيء: «فيعرف الله كمالي» (أي ٣١: ٦)، والمبدأ الذي يلتزم به إرميا هو عدالة الله: «أبر أنت يا رب من أن أخاصمك» (إر ١٢: ١). أما مبدأ حبقوق فهو قداسة الله: «عيناك أطهر من أن تنظرا الشر» (حب ١: ١٣). أما مبدأ صاحب هذا المزمور فهو «صلاح الله"، ولديه أفكار كثيرة في ذهنه تتعلق بعناية الله، غير أن هذه الكلمة– في النهاية– جعلته يستقر عليها. لأجل كل هذا، الله صالح، «صالح الله لإسرائيل، لأنقياء القلب». وهؤلاء هم شعب الله الذين هم أنقياء القلب. والله، الذي هو صالح للجميع نراه، بطريقة خاصة صالح لكنيسته وشعبه، كما كان بالنسبة لإسرائيل قديما.

ثانيا: يشرع الآن في الحديث عن الصدمة التي واجهت إيمانه بالنسبة لتمييز الله لإسرائيل في صلاحه، إذ تملكته تجربة قوية حملته على الاعتقاد أن شعب الله ليس أسعد حالا من أي شعب آخر، وأن الله لا يحبهم بأكثر مما يحب الآخرين.

(١) يتحدث عن التجربة باعتبار أنه نجا منها بأعجوبة وأنها كادت تقضي عليه (ع ٢): «أما أنا» فعلى الرغم من اقتناعي التام بصلاح الله لإسرائيل إلا أنه «كادت تزل قدماي» (نتيجة عمل المجرب)، «لولا قليل لزلقت خطواتي. لأني غرت من المتكبرين». وهناك عواصف يمكنها أن تختبر صلابة أقوى مرساة. وكم من نفس ثمينة ممن ستعيش إلى الأبد نجت بحياتها بمشقة بالغة.

(٢) تجربة كاتب المزمور. «رأيت (بحزن) سلامة الأشرار» (ع ٣). ويبدو أنهم كانوا أصحاب أقل نصيب من متاعب هذه الحياة ومحنها (ع ٥): «ليسوا في تعب الناس»، حتى ما يلحق بالحكماء والصديقين، ذلك أنهم «مع البشر لا يصابون»، بل يبدو أنهم نتيجة ميزة خاصة تم استثناؤهم من الأحزان التي عادة ما تكتنف الجميع. ويبدو على النقيض من ذلك أن القدر الأوفر من متع الحياة كان من نصيبهم. فهم يعيشون في راحة «جاوزوا تصورات القلب» (شرهم تجاوز ما يتصوره القلب) (ع ٧). وهناك الكثيرون ممن يمتلكون قدرا كبيرا جدا من متع هذه الحياة، ولكن لا شيء في قلوبهم إطلاقا يتعلق بالحياة الأخرى. هم أشرار، ومع ذلك تراهم ناجحين «يكثرون ثروة» (ع ١٢). «مستريحين إلى الدهر». ويبدو أن السلام نهايتهم. وقد ذكر هذا الأمر أولا، على اعتبار أنه أكثر الأمور غرابة على الإطلاق (ع ٤): «لأنه ليست في موتهم شدائد» فلا تراهم يؤخذون على حين غرة نتيجة ميتة شنيعة. والواقع أنهم لا يعرفون شيئا عن عذاب الضمير في لحظات موتهم. وليس بمقدورنا أن نحكم على حالة الناس بعد الموت. فهناك أناس قد يموتون كالحملان، ومع ذلك يكون موضعهم بين الكباش. ويسيئون استغلال ازدهارهم المادي أبشع استغلال، ويكون من شأن ذلك أن يتقسوا في شرورهم. بل يجعلهم متكبرين متعجرفين. ولأنهم يعيشون في راحة «تقلدوا الكبرياء » (ع ٦). أي (لبسوا الكبرياء كقلادة، بحسب ترجمة أخرى). وليس ثمة ضرر في أن يرتدي الإنسان قلادة أو سلسلة، غير أنها حين تلبس لإشباع الكبرياء والغرور لا تصبح بعد حلية. و كما أن كبرياء الخطاة يظهر في ملابسهم، هكذا أيضا يظهر في حديثهم. فهم «يتكلمون بالشر» (ع ٨)، و«ينطقون بعظائم البطل» (٢بط ٢: ١٨). وهذا ما يجعلهم عدوانيين بالنسبة لجيرانهم المساكين (ع ٦): «لبسوا كثوب ظلمهم». ويتكلمون بالشر ظلما، «من العلاء يتكلمون»، يرتكبون الظلم ويبررون أنفسهم في ذلك. «يستهزئون»، أي أنهم إذ انغمسوا في ملذاتهم وفي كل ترف وأصبحوا وقحين في سلوكهم تجاه الله والناس (ع ٩): «جعلوا أفواههم في السماء» يزدرون بالله نفسه. لم يستطيعوا أن يصلوا بأيديهم، لكي يهزوا عرش الله، لكنهم أظهروا سوء نيتهم بأن سخروا أفواههم ضد السماء. «وألسنتهم تتمشى في الأرض»، وكانوا لا يفترون عن الإساءة لكل من يقابلهم. وما كان بمقدورهم أن يصلوا إلى هذا الحد من الشر، لو لم يتعلموا القول (ع ١١): «كيف يعلم الله وهل عند

العلي معرفة؟» ويا لها من إساءة بالغة لله كلي المعرفة، والذي ليست لمعرفته حدود، والذي منه تأتي كل معرفة أن يقال عنه: وهل عنده «معرفة؟»، وقد يحسن القول: «هوذا هؤلاء هم الأشرار». لقد لاحظ أنه فيما يزدهر الأشرار في غيهم على هذا النحو، يكون الصديقون في محنة عظيمة، ولاسيما هو نفسه. لقد تطلع إلى الخارج ورأى كثيرين من شعب الله في حيرة (ع ١٠)، ولأن الأشرار على هذا القدر من التبجح، «لذلك يرجع شعبه إلى هنا»، لأنهم مثلي، لا يعرفون ما الذي يقولونه حيال ذلك «وكمياه مروية يُمتصون منهم». ولم يجبروا فقط على أن يشربوا من كأس المحنة المرير فحسب، بل وأن يتجرعوه كله. ولقد كان الاهتمام بألا يسمحوا بأن يفقدوا نقطة واحدة من ماء الضيق هذا، لقد أجبروا على أن يتجرعوا الكأس المرير بحيث لا تتبقى فيه نقطة واحدة لم يتجرعوها. هذه هي المياه التي أجبروا على أن يتجرعوها، ويقول صاحب المزمور: أما من ناحيتي، فقد «كنت مصابا اليوم كله» بمحنة أو بأخرى «وتأدبت كل صباح»، كل صباح في حينه. وقد نجم عن كل هذا تجربة قوية جدا ربما تجعله يتخلى عن ديانته. وهناك حتى من بين شعب الله المؤمن من يقول: «كيف يعلم الله؟» من المؤكد أن كل شيء ترك للحظ الأعمى، ولا يوجه بمعرفة الله المطلع على كل شيء. وعلى الرغم من أن كاتب المزمور لم يذهب بعيدا إلى حد أن يتشكك في علم الله المطلق بكل شيء، إلا أنه وقع في تجربة الشك في جدوى الديانة، حتى إنه قال (ع ١٣): «حقا قد زكيت قلبي باطلا»، وبدون فائدة «غسلت بالنقاوة يدي»، ولكن حين يعاين أنقياء القلب المباركون الله (مت ٥: ٨) لن يقول أحد منهم بعد «زكيت قلبي باطلا».

عدد ١٥– ٢٠ .

كيف صمد وحقق النصر.

أولا: احترم شعب الله، ومنع نفسه من قول شيء يعتقد أنه خاطئ (ع ١٥). ولقد حقق النصر شيئا فشيئا، وكانت هذه أول نقطة يكسبها، كان على استعداد للقول: «حقا قد زكيت قلبي باطلا»، ولكنه لم يقل هذا واضعا في اعتباره: «لو قلت أحدث هكذا، لغدرت بجيل بنيك». فعلى الرغم مما راوده من فكر خاطئ، إلا أنه حرص على ألا ينطق بذلك الفكر الشرير الذي طرأ على باله. وعلى ذلك فإنه إذا بلغت بك الحماقة بحيث راودك فكر شرير «فضع يدك على فمك» (أم ٣٠: ٣٢) حتى لا تنطق به. وعلينا التفكير مرتين قبل أن نتكلم مرة واحدة، لأنه قد تراودنا أفكار لا يجب قولها، ولأن الروية والتفكير قبل القول قد يصحح الأخطاء التي خطرت على بالنا في الفكر الأول. وليس هناك ما يمكن أن يسيء إلى أولاد الله بصفة عامة أكثر من القول: «قد زكيت قلبي باطلا»، أو أن عبادة الله لا طائل من ورائها.

ثانيا: تنبأ بخراب الأشرار. لقد حاولت أن أفهم معنى تدبيرات العناية الإلهية التي لا أجد لها تفسيرا، ولكني وجدت أن هذا «هو تعب في عيني». لم استطع التغلب على هذه المشكلة اعتمادا على قوة حجتي. وما لم تكن هناك حياة أخرى بعد هذه الحياة، لما استطعنا أن نوفق تماما بين نجاح الأشرار وعدالة الله. غير أنه (ع ١٧): دخل «مقادس الله»، ورجع إلى الأسفار المقدسة، وصلى إلى الله لكي تتضح له حقيقة هذه الأمر، وأخيرا، أدرك أنه يجب الحزن على الأشرار وليس حسدهم، لأنهم يسمنون للهلاك. ويجب أن يكون المقدس هو ملجأ النفس التي تجابه تجربة. وكل ما هو حسن تكون خاتمته حسنة. بل يكون حسنا بصفة أبدية، غير أنه ما من أمر حسن ينتهي إلى نهاية سيئة، وبصفة أبدية. ونجاح الأشرار قصير الأمد وغير مؤكد. والأماكن المرتفعة التي تضعهم فيها العناية الإلهية ما هي سوى «مزالق» (ع ١٨). وهلاكهم أكيد، ويأتي بغتة وسوف يكون رهيبا. فهم يزدهرون إلى حين، ولكنهم سيهلكون إلى الأبد. وهو يتحدث عن هذا كأمر يعمله الله، ومن ثَم لا يمكن مقاومته. «أسقطتهم»، وكان ذلك على نحو من السرعة، إذ «كيف صاروا للخراب بغتة» (ع ١٩). وهو خراب كامل نهائي: «اضمحلوا، فنوا من الدواهي».

وعلى هذا لم يكن نجاحهم ليستحق الحسد إطلاقا، بل الاحتقار. «كحلم عند التيقظ يا رب»، أو حين يستيقظون (كما في ترجمة أخرى) «تحتقر خيالهم» وسوف تمحيه. «في يوم الدينونة العظيم»

(بحسب الترجمة التفسيرية الآرامية) سوف يقومون إلى العار والأزدراء الأبدي. ولسوف يوقظون من نوم اطمئنانهم الجسدي، وعندئذ سيحتقر الله صورتهم. أما كيف يحتقر الله صورة ذلك الغني، فهذا واضح من قوله: «يا غبي هذه الليلة تطلب نفسك منك» (لو ١٢: ١٩ و٢٠).

عدد ٢١ – ٢٨

تتحدث هذه الفقرة عن استفادة صاحب المزمور من التجربة القاسية التي داهمته والتي كادت تقهره.

أولا: تعلم أن ينظر إلى نفسه باتضاع وبتذلل ويتهم نفسه أمام الله (ع ٢١ و٢٢): «لأنه تمرمر قلبي، وانتخست فيَّ كليتيَّ». ونتيجة الحسد وعدم الرضا أليمة جدا. ولقد اعترف المرنم أن جهله هذا الذي حمله على إغاظة نفسه بالنسبة لهذا الأمر: «صرت كبهيم عندك». والبهائم لا تهتم سوى بالأمور الحاضرة فقط، ولا يمكنها أن تفكر إطلاقا فيما عساه يحدث بعد ذلك. هكذا كنت أنا أيضا. وأنا أتمنى لو كنت واحدا منهم، وأفكر أن تكون ظروفي كظروفهم، فهذا لأنني «أنا بليد ولا أعرف».

ثانيا: انتهز فرصة ذلك ليعترف باتكاله على نعمة الله (ع ٢٣)، وبالرغم من حماقتي «ولكني دائما معك» أحظى بنعمتك «أمسكت بيدي اليمنى». سبق أن قال في ساعة التجربة (ع ١٤) «وكنت مصابا اليوم كله»، غير أنه هنا يصحح كلامه بهذه الشكوى المفعمة بالمشاعر: على الرغم من أن الله أدبني، إلا أنه لم ينبذني. وعلى الرغم من كل المآسي التي صادفتها في حياتي، «ولكني دائما معك». وعلى الرغم من أن الله أحيانا يكتب أمورا مريرة ضدي، إلا أنه مع ذلك لا يزال يمسك «بيدي اليمنى» ليحول دون أن أفقد طريقي في البيداء التي كنت أسير فيها. وإذا كان قد حافظ على هذا النحو على الحياة الروحية، وضمان الحياة الأبدية، فليس لنا إذا أي حق في الشكوى. «كادت تزل قدماي، لولا قليل لزلقت» فعلا، ولما أنقذني شيء، ولكنك «أمسكت بيدي اليمنى»، وبذلك حفظتني من الذل.

ثالثا: شجع نفسه على الرجاء قائلا إن نفس الإله الذي خلصه من هذا العمل الشرير بمقدوره أن يخلصه لملكوته السماوي، على غرار ما عمل القديس بولس (٢تي ٤: ١٨). إنك ممسك بيدي الآن ولذلك «برأيك تهديني، (تقودني كما فعلت حتى الآن) وبعد إلى مجد تأخذني» (ع ٢٤). ولقد تحمل المرنم كثيرا نتيجة اتباعه مشوراته الشخصية في هذه التجربة، ولذلك عزم على ألا يتبع في المستقبل سوى مشورة الله. وإذا أرشدنا الله إلى طريق واجبنا، فإنه سيعمل بعد ذلك على أن نتكيف مع كل أعمال العناية الإلهية الغامضة بالنسبة لنا والتي تحيرنا وتربكنا، ويخفف عنا الألم الذي تكبدناه بسبب مجابهتنا بعض التجارب المنذرة بالخطر.

رابعا: تحفز بهذا على أن يزيد من تعلقه بالله، ولقد ازداد رسوخا وتعزية نتيجة اختياره له (ع ٢٥ و٢٦). ولقد سبق واشتكى من محنه (ع ١٤)، غير أن هذا جعلها خفيفة ومحتملة. وكل شيء حسن إذا كان الله لي. ونرى هنا مشاعر نفس مقدسة تجاه الله وراحتها فيه: «من لي في السماء؟» ونكاد لا نجد عبارة في المزامير كلها تفوق هذه من ناحية التعبير عن المشاعر التقية المخلصة للنفس تجاه الله. والله الذي خلق النفس، هو وحده الذي يستطيع أن يمنحها السعادة. وإذا كان الله فرحنا فيجب أن يكون لنا (من لي سواك؟)، علينا أن نجعله محط اختيارنا. ولا يجب أن تكون رغباتنا كلها محصورة في الله فقط، بل يجب أن يكون هو غايتها، لا نريد شيئا سواه: «من لي في السماء. ومعك لا أريد شيئا في الأرض»، ليس فقط أي أحد في السماء، حيث ليس لنا إلا معرفة قليلة به، بل ولا أحد على الأرض، حيث لنا أصدقاء عديدون، وحيث توجد كل مصالحنا واهتماماتنا الحاضرة. «قد فني لحمي وقلبي». فآخرون اختبروا فناء لحمهم وقلبهم، ولنا نحن أيضا أن نتوقع ذلك. فالجسم سيفنى نتيجة المرض والشيخوخة والموت. ولكن «صخرة قلبي ونصيبي الله إلى الدهر». وهو يتكلم كإنسان لا يهمه الجسد (دعه يفنى، فما له من علاج)، بل كشخص يهتم بالنفس، ويتقوى في الإنسان الباطن.

خامسا: كان مقتنعا تماما بالحالة البائسة لجميع الأشرار. وهذا ما تعلمه في المقدس في هذه المناسبة،

ولن ينسى ذلك إطلاقا (ع ٢٧): «البُعداء عنك»، الذين يرغبون أن يبعد القدير عنهم، من المؤكد أنهم سوف «يبيدون».

سادسا: تشجع بدرجة عظيمة بأن يلتصق بالله ويثق فيه (ع ٢٨). واقتربنا إلى الله يجيء نتيجة اقترابه هو منا، واللقاء السعيد هو أن يحقق البركة. وهنا نجد حقا عظيما، وهو أن الاقتراب إلى الله حسن، ولكن الفائدة تكمن في التطبيق. إنه «حسن لي». وإذا كان الأشرار. على الرغم من كل ازدهارهم سوف يبيدون، إذا علينا أن نثق في الرب الإله، نثق فيه وليس فيهم (انظر مزمور ١٤٦: ٣ – ٥). نثق فيه وليس على ثرواتنا الدنيوية. لنثق في الله ولا نغتاظ منهم أو نخافهم.

المزمور الرابع والسبعون

قصيدة لآساف

هذا المزمور يصف خراب أورشليم والهيكل على يد نبوخذنصر حتى إن المفسرين يميلون إلى الاعتقاد إما أن كاتبه هو داود، أو آساف على أيام داود، وإما أن كاتبه هو شخص آخر اسمه آساف، عاش أيام السبي، وإما أن الذي كتبه هو إرميا، وكان ذلك بعد العودة من السبي، وقد سُلم لبني آساف، الذين كان يطلق عليهم اسمه، وذلك لاستخدامه في العبادة العامة في الهيكل. وكانت هذه أبرز عائلات المغنين على عهد عزرا (انظر عزرا ٢: ٤١؛ ٣: ١٠؛ نحميا ١١: ١٧، ٢٢؛ ١٢: ٣٥، ٤٦). والحالة المحزنة لشعب الله في ذلك الحين وضعت هنا أمام الرب وتركت معه.

والنبي، نيابة عن شعب الله نراه:

أولا: يرفع التماسات تتضمن شكاوى من البؤس الذي يعانونه، ولإنعاشهم في الصلاة (ع ١ – ١١).

ثانيا: يذكر حججا معزية لتشجيع إيمانهم في الصلاة (ع ١٢ – ١٧).

ثالثا: يختتم بتضرعات عديدة لمناشدة الله أن يخلصهم (ع ١٨ – ٢٣).

عدد ١ – ١١

سمي هذا المزمور «قصيدة» أي مزمور للتوجيه، لأنه كُتب في يوم محنة، وقصد به التعليم.

أولا: غضب الله على شعبه كان سبب كل ضيقاتهم ومرارتهم. وكانوا يجادلون مع الله (ع ١). والمسيح نفسه، صرخ على الصليب قائلا: «إلهي إلهي لماذا تركتني؟» وهكذا يصرخ شعب الله هنا قائلين: «لماذا رفضتنا يا الله إلى الأبد؟» وهم هنا يتكلمون على أساس مخاوفهم الراهنة. وأناس الله لا يجب أن يعتقدوا أنهم ماداموا في محنة فإنهم قد أصبحوا منبوذين، ومادام الناس ينبذونهم فإن الله نبذهم أيضا. هذا الحوار يستشف منه أنهم يخشون –أكثر من أي شيء آخر– أن ينبذهم الله: «لماذا يدخن غضبك؟» أي، لماذا يصل إلى مثل هذه الدرجة حتى أن جميع من حولنا لاحظوه. وقد استندوا إلى علاقتهم به، فنحن «غنم مرعاك». وأن يضايق الذئاب الغنم فهذا ليس بالأمر الغريب، ولكن، هل حدث أن غضب راع على قطيعه على هذا النحو؟ «اذكر جماعتك» (ع ٢) شعبك الذي كرس نفسه لتسبيحك، ونحن «سبط ميراثك»، الذي قدم لك التسبيح والسجود بأكثر مما فعلته الأمم المجاورة. نحن نتوسل إليك من أجل «جبل صهيون هذا الذي سكنت فيه»، الذي كان محل فرحك وسكناك، نحن جماعتك «التي اقتنيتها منذ القدم»، وذلك بمعجزات رحمات كثيرة وذلك حين أصبحوا شعبا لأول مرة، إنه «سبط ميراثك»، جماعتك التي اقتنيتها «وفديتها» حين بيعت في العبودية. والآن يا رب، هل تتخلى عن شعب كلفك هذا الثمن الغالي، وكان عزيزا جدا لديك؟ بل إن لدينا بالأكثر أسبابا تحملنا على الرجاء بأن الله لن ينبذ أي أحد ممن فداهم المسيح بدمه الكريم: «ارفع خطواتك»، أي تعال بكل سرعة لتصلح الخراب الذي حل بمقدسك، وإلا سيصبح خرابا أبديا غير قابل للإصلاح على الإطلاق.

ثانيا: اشتكوا من حقد أعدائهم وقسوتهم، ولكنهم اقتصروا على ما عملوه بالمقدس والمجمع. فهيكل أورشليم كان «مسكن اسمك»، أي مسكن اسم الله، ولذلك كان المقدس، أو المكان المقدس (ع ٧). وفي هذا تصرف الأعداء بشر (ع ٣)، ذلك أنهم حطموه في ازدراء صريح لله، وكإهانة له. لقد «زمجر مقاوموك في وسط معهدك» (ع ٤) وهو المكان الذي يجتمع فيه شعب الله لعبادته في اتضاع ووقار وصمت «جعلوا آياتهم آيات». لقد جعلوا رايات جيشهم في الهيكل.

هذا التحدي الوقح ضد الله وقوته لمس شعبه في وتر حساس. لقد تباهوا بأن كسروا «منقوشاته معا» (ع ٥ و٦). «يَبانُ (العدو) كأنه رافع فؤوس على الأشجار المشتبكة»، لأنهم هكذا دمروا منقوشات الهيكل. لم يترددوا في تحطيم الزخارف الرائعة التي تغطي جدران الهيكل وكانوا مثل قاطعي الأخشاب الذين يجتثون الأشجار في الغابة. لقد «أطلقوا النار» فيها ومن ثَم أصبحت حطاما على الأرض (ع ٧). لقد أحرق البابليون بيت الله (٢أخ ٣٦: ١٩). والرومان لم يتركوا هناك حجرا على حجر (مت ٢٤: ٢)، حتى إن صهيون الجبل المقدس تم حرثه مثل حقل على يد تيطس فاسبسيان. وهو هنا يشكو من خراب المجامع، أو مدارس الأنبياء قالوا في قلوبهم. «لنفنيهم معا»، ليس الهيكل فقط، بل كل أماكن العبادة بل والعابدين معها. و«أحرقوا كل معاهد الله في الأرض» وتركوها كلها خرابا.

ثالثا: تفاقم كل هذه المحن كان لافتقارهم إلى أي أمل في الخلاص، ولم يستطيعوا التنبؤ بنهاية لها (ع ٩): نرى رايات عدونا قائمة في المقدس، إلا أن «آياتنا لا نرى. لا نبي بعد». يخبرنا إلى متى ستستمر المتاعب، ومتى تنتهي الأمور المتعلقة بنا، حتى يعيننا الرجاء في ظل هذه المحن: «لماذا ترد يدك» ولماذا لا تمدها لتخلص شعبك وتدمر أعدائك؟

عدد ١٢ – ١٧

ثمة أمران يهدئان من روع أولئك الذين يحزنون هنا من أجل المقدس وهما:

أولا: الله هو إله إسرائيل، إله في عهد مع شعبه (ع ١٢): «الله ملكي منذ القدم». وقد جاء هذا كحجة في الصلاة لله، وكحافز لإيمانهم ورجائهم، وليشجعوا أنفسهم ليتوقعوا الخلاص، متفكرين «في أيام القدم» (مز ٧٧: ٥). ولقد ذكرت هنا عدة أمور صنعها الله من أجل شعبه كملكهم أيام القدم، شجعتهم أن يلتزموا بطرقه ويعتمدوا عليه.

(١) شق البحر أمامهم حين خرجوا من مصر، ولم يكن ذلك بقوة موسى أو عصاه، بل بقوته هو، والذي استطاع أن يفعل هذا بمقدوره أن يفعل أي شيء.

(٢) أهلك فرعون والمصريين. وكان فرعون «لوياثان»، والمصريون كانوا «التنانين» المتوحشة المخيفة. ولقد حطم الله قواهم، على الرغم من صعوبتها، وأخيرا أغرقهم جميعا في البحر الأحمر. وكان هذا رمزا لانتصار المسيح على الشيطان ومملكته، وذلك تنفيذا للوعد بأن نسل المرأة يسحق رأس الحية. وهذه العناية الإلهية كانت تقوية لإيمانهم ورجائهم، ولتشجعهم على مجابهة الصعاب الأخرى التي قد تواجههم في البرية.

(٣) وفي كلتا الناحيتين غير الله مجرى الطبيعة سواء في إخراج المياه من الصخرة، أو تجفيف الأنهار وتحويلها إلى يابسة (ع ١٥). لقد أذاب الصخرة إلى ماء: «أنت فجرت عينا وسيلا» من الصخرة، من الصخرة الصلدة. ليتنا لا ننسى هذا إطلاقا، بل يجب أن نتذكر بصفة خاصة أن الصخرة كانت المسيح، والمياه التي خرجت منها كانت شرابا روحيا. لقد جمد المياه وجعلها صخرة: «أنت يبست أنهارا دائمة الجريان»، ولاسيما الأردن حين فاض على شواطئه. وذاك الذي عمل هذه الأشياء بمقدوره الآن أن يخلص شعبه المطحون.

ثانيا: إله إسرائيل هو إله الطبيعة (ع ١٦ و١٧). فهو الذي يأمر بالتعاقب المستمر ودوران النهار والليل، وهو رب كل الأوقات. فهو الذي يفتح جفون نور الصباح، ويسدل الستار على ظلال المساء. «أنت هيأت النور والشمس»، «أنت نصبت كل تخوم الأرض»، والمناخ المختلف لمناطقها المتباينة، لأن «الصيف والشتاء أنت خلقتهما»، والمنطقة القطبية المتجمدة، والمنطقة الحارة، أو بالأحرى الدوران المستمر لأيام السنة وفصولها المختلفة. والذي لديه القوة أن ينشئ في البداية، ولايزال يحفظ مجرى الطبيعة هذا وذلك بواسطة الحركات اليومية والسنوية للأجرام السمائية، من المؤكد أن لديه القوة التامة القادرة على أن تخلص وتهلك. وذاك الذي هو أمين لعهده نهارا وليلا، لابد من أنه سيفي بوعوده لشعبه. وعهده لإبراهيم ونسله راسخ تماما مثل عهده لنوح وأولاده (تك ٨: ٢١).

عدد ١٨ – ٢٣

نيابة عن شعب الله نرى المرنم هنا يلتمس من الله بكل حرارة أن يدافع الله عنهم ضد أعدائهم، وأن يضع حدا لمتاعبهم الراهنة: «قم يا الله. أقم دعواك».

أولا: المضطهدون هم أعداء الله الألداء: إنهم لم يسيئوا إلينا فقط يا رب، بل إنهم بطريقة مباشرة وصريحة يعايرونك أنت، وقد «أهان اسمك» (ع ١٨). ويصر المرنم على ذلك كثيرا: نحن لا نستطيع أن نرد تعييراتهم، أنت تقدر يا رب أن تفعل ذلك. اذكر أن «شعبا جاهلا قد أهان اسمك» (ع ١٨)، اذكر «تعيير الجاهل إياك اليوم كله». والذين يعايرون الله هم جهلاء. كما أن الإلحاد حماقة (مز ١٤: ١)، والدنس والتجديف لا يقلان عن ذلك. ولعل أولئك الذين يستهزئون بالديانة والأشياء المقدسة يعرفون بأنهم أعظم عقول العصر، غير أنهم في الحقيقة أعظم الأغبياء. فهم لا يكتمون في صدورهم أفكارهم التجديفية، بل يعلنونها بأعلى صوت «لا تنس صوت أضدادك» (ع ٢٣). الله لا يحتاج منا أن نذكره بما يتعين عليه عمله، غير أنه مطلوب منا أن نظهر اهتمامنا بكرامته، ونؤمن بأنه سيبرئنا.

ثانيا: المضطهدون هم شعب عهده. لقد وقعوا في قبضة «الوحش» (ع ١٩). «مظلمات الأرض امتلأت من مساكن الظلم». فأرض البابليين حيث لا يوجد أي شيء من نور معرفة الإله الحقيقي (مع أنها من ناحية أخرى معروفة بالعلوم والفنون) كانت في الواقع مكانا مظلما، وسكانها «مظلمو الفكر ومتجنبون عن حياة الله لسبب الجهل الذي فيهم»، ولهذا كانوا قساة. وحيثما لا توجد عبادة حقيقة بالكاد توجد إنسانية حقيقية. ويناشد المرنم الله قائلا: «نفس يمامتك» هي التي على وشك أن تبتلعها جماهير الأشرار (ع ١٩). والكنيسة ما هي إلا يمامة من ناحية وداعتها وهدوئها وعدم إضرارها بأحد، وهي يمامة حزينة في يوم محنة، يمامة في الإخلاص وفي ثبات محبتها. فهل اليمامة التي تخلص لك، والتي تكرس نفسها لمجدك، تسلم «للوحش» يا رب؟، إنه مجد لك أن تساعد الضعفاء ولاسيما الذين هم خاصتك. ألن توفي بالوعود التي قطعتها لهم بحسب عهدك؟ أظهر يا رب، لكي تدافع عن الذين يسبحون اسمك، وضد الذين يجدفون عليه.

المزمور الخامس والسبعون

لإمام المغنين. على لا تُهلِك. مزمور لآساف. تسبيحة

مع أن عنوان هذا المزمور ينسبه إلى آساف، إلا أنه ينطبق تماما مع ظروف اعتلاء داود العرش بعد موت شاول، حتى إن معظم المفسرين يطبقونه على هذه الحقبة، ويفترضون إما أن آساف كتبه في شخص داود باعتباره شاعر الملك، وإما أن داود هو الذي كتبه وسلمه إلى آساف باعتباره إمام المغنين في الهيكل.

وفي هذا المزمور.

أولا: يقدم داود الشكر لله لاختياره لتولي العرش (ع ١، ٩).

ثانيا: يعد بأن يكرس نفسه للصالح العام، وأن يستخدم في سبيل ذلك القوة التي منحها له الله (ع ٢ و٣، ١٠).

ثالثا: وضع حدا لعجرفة أولئك الذين عارضوا اعتلائه العرش (ع ٤ و٥).

رابعا: وجد سببا لكل هذا في سيادة الله وسيطرته على شئون بني البشر (ع ٦ – ٨).

عدد ١ – ٥

أولا: يقدم المرنم الحمد لله على الأمور العظيمة التي عملها من أجله ومن أجل شعبه إسرائيل (ع ١): «نحمدك يا الله». لست أنا وحدي الذي احمدك بل نحمدك جميعا، أنا وكل أصحابي. فثمة أعمال كثيرة يعلمها الله لشعبه يمكن أن تسمى بحق «عجائب»، حيث تخرج عن المجرى العادي للعناية الإلهية. وهذه الأعمال العجيبة تعلن عن أن اسمه «قريب».

ثانيا: ألزم نفسه أن يحسن استخدام قوته (ع ٢): حين أتسلم الجماعة: «أنا بالمستقيمات أقضي». وهنا نراه على قناعة تامة بأن الله في الوقت المناسب سيحسن له كل أموره. وحين أكون قاضيا سأقضي بالمستقيمات، ولن أفعل كما فعل من سبقوني الذين إما أنهم أهملوا القضاء، أو عوجوه. والأموال العامة يجب أن تدار بأمانة تامة، والذين يحكمون يجب عليهم أن يحكموا بالعدل طبقا لقوانين العدالة دون محاباة للأشخاص.

ثالثا: وعد نفسه بأن تكون فترة حكمه بركة عامة لإسرائيل (ع ٣). كانت حالة المملكة الراهنة على

أكبر قدر من السوء: «ذابت الأرض وكل سكانها»، ولا غرابة في ذلك ما دام الحكم السابق كان فاسدا منغمسا في الملذات، ومن ثَم تعرض كل شيء للدمار والخراب. كانت الانقسامات حادة بينهم. كنت ترى اثنين ضد ثلاثة، وثلاثة ضد اثنين، حيث تفرقوا إلى جماعات وشيع، الأمر الذي كان من المحتمل أن يؤدي إلى خرابهم، لكنني «أنا وزنت أعمدتها». فالبناء كان سينهار لو لم يدعم داود أعمدته. ويمكن أن يطبق هذا بالفعل على المسيح ومملكته.

رابعا: أوقف الذين يعارضون حُكمه عند حدهم، وهم الذين كانوا ضد اعتلائه العرش وكانوا يضعون العراقيل أمام سلطته. «قلت للمفتخرين لا تفتخروا». ذلك أنه فور اعتلائه العرش أصدر بيانا ضد الرذيلة والنجاسة، وفيما يلي نجد محتوياته.

(١) إلى الخطاة الأغبياء الجبناء، الحمقى في إسرائيل الذين يفسدون أنفسهم قال: «لا تفتخروا»، لا تتصرفوا بما يتعارض مع ضميركم ومصلحتكم.

(٢) للخطاة المتعجرفين الأشرار المتبجحين، الذين تحدوا الله نفسه يقول: «لا ترفعوا... قرنكم»، لا تتباهوا بقوتكم وامتيازاتكم، «لا ترفعوا إلى العلي قرنكم»، كما لو أنه بمقدوركم أن يكون لكم كل ما تريدون وأن تفعلوا كل ما ترغبون: «لا تتكلموا بعنق متصلب» كما لو أن بها أعصابا من حديد لن تنثني إطلاقا لإرادة الله في المملكة، لأن الذين لن ينثنوا سوف ينكسرون.

عدد ٦– ١٠

أولا: نجد هنا مبدأين أساسيين لسلطان الله في العالم:

(١) الملوك يتسلمون سلطانهم من الله فقط (ع ٦ و٧)، ولذلك فإن داود سيقدم الشكر على نجاحه لله وحده. كثيرا ما نرى ثورات غريبة في دول وممالك، وتأخذنا الدهشة للعار الذي لحق بالبعض بغتة، وارتقاء البعض الآخر. «لأنه لا من المشرق ولا من المغرب ولا من برية الجبال»، لأن الناس لا يستطيعون الحصول على ترقية بواسطة الحكمة أو كثرة الأولاد في الشرق، أو بكثرة عدد قوات الأمميين في الجزائر الواقعة غربا، أو قوات مصر أو العربية الواقعة جنوبا، أو انفراجات الأسباب الثانوية وابتسامتها، كل هذه الأمور لا تستطيع أن ترفع الناس إلى مراكز عليا ما لم يشأ الله «العلة الأولى". وقد علق أحد المفكرين على ذلك بقوله: جميع الناس يسلمون بأن أصل القوة إنما هو من السماء، ولكن ممن؟ فهذا ما لا يعرفه كثيرون. فالأمم الشرقية، التي تعتقد بوجه عام في التنجيم، يقولون إنها تأتي من النجوم ولاسيما الشمس، التي يتخذونها إلها لهم. ولكن داود ينفي هذا ويقول إنها لا تأتي من الشرق أو من الغرب، وليس من شروق أو غروب أي من هذه الكواكب، أو من أية أبراج أو نجوم، ولا من الجنوب، ولا من رضا الشمس أو رضا نجم في السماء ولم يذكر الشمال، لأن نفس الكلمة التي تعني «الشمال» تعني أيضا المكان السري، ومن سرية مشورة الله تأتي بالفعل، أو من الأقوال الإلهية في صهيون والتي تقع على الجانب الشمالي من أورشليم «الله هو القاضي»، فهو الحاكم أو الحكم. وحين تتبارى الأطراف من أجل الجائزة «هذا يضعه وهذا يرفعه» بحسب ما يراه مناسبا، وذلك ليحقق أغراضه ويتمم مشوراته. وذاك الذي هو كلي الحكمة والقداسة والصلاح، لديه القوة على أن يرفع ويضع في الوقت وبالكيفية التي تروقه.

(٢) الكل يجب أن يتقبل مصيره من الله وحده (ع ٨): «لأن في يد الرب كأسا»، يضعها في أيدي بني البشر، وهو كأس العناية الإلهية، ممزوج من مقومات كثيرة، وآلام المسيح سميت «الكأس» (مت ٢٠: ٢٢؛ يو ١٨: ١١). والخمر لونها أحمر، الأمر الذي يشير إلى غضب الله، الذي يشيع في الأحكام التي تنفذ في الخطاة، وهي حمراء كالنار التي تحرق، وهي «ملآنة شرابا ممزوجا». فهناك مزيج من الرحمة والنعمة في كأس المحنة حين توضع في أيدي شعب الله، وبها خليط من اللعنة حين توضع في أيدي الأشرار، إنها خمر مخلوطة بمرارة. وبعض قطرات هذا الغضب قد تكون من نصيب الصديقين، فلهم نصيبهم في النكبات العامة، غير أن «عكرها» محجوز للأشرار. أما البلية نفسها فما هي سوى الأداة التي نقعت فيها اللعنة، وقمتها لا يصلها إلا القليل من هذه العكارة، غير أن المادة المترسبة كلها غضب، وهذه

ستكون من نصيب الخطاة. وسوف «يشربه كل أشرار الأرض» ولن تتبقى نقطة واحدة من الغضب.

ثانيا: نجد هنا استدلالين عمليين:

(١) سوف يحمد الله، ويمجده من أجل المركز الذي رفعه إليه (ع ٩): «أما أنا فأخبر إلى الدهر» بذاك الذي تحدث عنه «عجائبك» (ع ١). سوف يمجد الله باعتباره «إله يعقوب»، إذا كان يعرف بأنه من أجل عبده يعقوب، ولأنه أحب شعبه إسرائيل، جعله ملكا عليهم.

(٢) سوف يستخدم القوة التي اؤتمن عليها من أجل تحقيق الأهداف العظيمة التي أنيطت به (ع ١٠)، كما في السابق (ع ٢، ٤). وعلى الرغم من أن ذلك ينطبق على كل الرؤوس إلا أنني «كل قرون الأشرار أعضب»، وهي التي يستخدمونها في مضايقة جيرانهم المساكين. سوف أعجزهم بحيث لا يقدرون بعد على عمل الأذى.

المزمور السادس والسبعون

لإمام المغنين على ذوات الأوتار. مزمور لآساف. تسبيحة

يبدو أن هذا المزمور كُتب بمناسبة انتصار عظيم. والترجمة السبعينية تسميه: «تسبيحة على الأشوريين» الأمر الذي استشف منه كثيرون من المفسرين الأكفاء أنه كتب أثناء قيام الملاك المهلك أيام حزقيا بدحر جيش سنحاريب الذي كان يحاصر أورشليم. أو لعل كاتبه هو آساف الذي كان معاصرا لداود بمناسبة الانتصارات العديدة التي سر الله أن يكرم بها حكمه.

أولا: المرنم يهنئ بسعادة شعب الله بأن يكون الله قريبا على هذا النحو منها (ع ١ – ٣).

ثانيا: يحتفي بمجد قوة الله (ع ٤ – ٦).

ثالثا: من ذلك يستدل على السبب الذي يحمل الكل على الخوف أمامه (ع ٧ – ٩).

رابعا: الأسباب التي تحمل شعبه على الثقة به وأن يوفر له نذورهم (ع ١٠ – ١٢). وهذا مزمور مناسب للشكر.

عدد ١ – ٦

يبتهج المرنم هنا بالله، الذي هو أساس كل انتصار.

أولا: في إعلان الله لهم عن ذاته (ع ١). إنه لشرف وميزة ليهوذا أو إسرائيل أن «الله معروف» بينهم، وإنه حيث عرف فإن «اسمه عظيم».

ثانيا: في علامات وجود الله بصفة خاصة معهم وفي أحكامه (ع ٢). لقد عرف الله في كل أرض يهوذا وإسرائيل، غير أنه «في ساليم» وفي صهيون كانت «مظلته ومسكنه». هناك كان بلاطه، وهناك كان يتقبل فروض الولاء من شعبه بواسطة ذبائحهم، هناك كانوا يأتون ليكلموه، وعن ذلك المكان قال: «ههنا أسكن لأني اشتهيتها».

ثالثا: وبالنسبة للانتصارات التي حققوها على أعدائهم (ع ٣): «هناك سحق القسي البارقة».

(١) هنا نجد القسي والسهام، المجن والسيف، وكلها للمعركة، غير أنها كسرت كلها وأصبحت عديمة الفائدة. في الخيمة وفي مكان السكن في صهيون، هناك سحق السهام البارقة، وقد تم ذلك في ميدان القتال، ومع ذلك قيل أن ذلك تم في «المقدس» لأن ذلك تحقق استجابة للصلوات التي رفعها شعب الله إليه. والنجاحات الساحقة تدين بالكثير لما يعمل في الكنيسة بقدر ما يعمل في ساحة القتال، ومما تجدر ملاحظته:

(٢) يعود فضل هذا النجاح إلى حد كبير جدا للكرامة الأبدية لإله إسرائيل (ع ٤). لقد أظهرت نفسك أنك «أمجد من جبال السلب»، وأمجد من العظماء والأقوياء الذين يعتقدون أنهم راسخون تماما مثل الجبال، ولكنهم يلحقون الأذى بكل من هم حولهم. إن مجدهم في الخراب، ومجدك أنت في أن تخلص. «سلبت أبطالهم، فناموا نوم الموت، ولم تنفعهم قدراتهم» (ع ٥) (بحسب ترجمة أخرى). وحين يشاء الله، بمقدوره أن يحمل أعداءه على أن يضعفوا ويدمروا أنفسهم. فقد «ناموا» ليس نوم الأبرار، بل نوم «سنتهم»، نوم الخطاة، الذين يستيقظون منه إلى خزي أبدي. وكل رجال اليأس لم يجدوا أيديهم، مثلما لم يستطع البواسل أن يجدوا روحهم. وكما أن الشجعان روعوا، هكذا الأقوياء سلبت منهم قوتهم بحيث لم يعد بمقدورهم أن يرفعوا أيديهم لكي ينقذوا رؤوسهم، ناهيك عن إلحاقهم الأذى بأعدائهم.

عدد ٧- ١٢

تم هذا النصر للدلالة على ثلاثة أمور:

أولا: بث الرعب لأعداء الله (ع ٧ – ٩): «أنت مهوب أنت». ليعرف العالم كله من هذا الحدث أن يقف في رعب من الإله العظيم. «فمن يقف قدامك حال غضبك؟» وشعب الله هم «بائسي الأرض» (صف ٢: ٣) الذين بوسعهم أن يتحملوا أي ظلم، ولكنهم لا يظلمون أحدا وعلى الرغم من أن بائسي الأرض معرضون للأذى نتيجة اتضاعهم إلا أن الله، إن آجلا أم عاجلا، سيعمل على خلاصهم، وعند قيام الله لتخليص كل ودعاء الأرض فأنه «من السماء» يسمع «حكما». فالله البار يبدو وأنه يصمت قليلا، ولكنه يأتي يوم تسمع فيه دينونته. حين يتكلم الله بدينونته من السماء هنا يجب على الأرض أن تتخذ وضع الخوف والصمت الذي يدل على التبجيل والوقار: «الأرض فزعت وسكتت».

ثانيا: في هذا تعزية لشعب الله (ع ١٠): «لأن غضب الانسان يحمدك»، ليس فقط بعد فحصه حيث سيضطر إلى الاعتراف بعجزه، بل حتى بحرية التعبير التي أعطيت له لفترة ما. وكلما زاد تآمر الأمم «على الرب وعلى مسيحه»، زاد تسبيح الله وحمده لأنه مسح مليكه على صهيون جبل قدسه على الرغم منهم (مز ٢: ١، ٦). وما لا يعود لحمده لن يسمح بحدوثه «بقية الغضب تتمنطق بها».

ثالثا: واجب بالنسبة للجميع (ع ١١ و١٢). ليت الجميع يخضعون أنفسهم لهذا الإله العظيم ويصبحون من رعاياه الأمناء. لقد أمرنا بأن نقدم فروض الولاء لملك الملوك: «انذروا وأوفوا»، أي اقسموا يمين الولاء له وصمموا على حفظه. وإذ نأخذه لنا ملكا، علينا أن نقدم له الهدايا. وليس معنى هذا أن الله في حاجة إلى أية هدايا نستطيع أن نقدمها له، بل إن الصلوات والتسبيحات، ولاسيما قلوبنا، هي الهدايا التي يتعين أن نأتي بها إلى الرب إلهنا. يجب أن نخافه: «هو مهوب»، واسمه مجيد، ومخيفة هي عظمته. وهو «يقطف روح الرؤساء»، يقطفها بالسهولة التي تقطف بها الزهرة من ساقها، أو عنقود العنب من الكرمة، (وهذا ما تعنيه الكلمة).

المزمور السابع والسبعون

لإمام المغنين على يدوثون. لآساف. مزمور

يبدأ هذا المزمور بشكاوى مريرة ولكنه ينتهي بتشجيعات معزية ويبدو أن الشكاوى تتعلق بمظالم شخصية، لكن التشجيعات تتعلق بالاهتمامات العامة لشعب الله. وقد قال أحد معلمي اليهود: لقد قيل هذا المزمور بلهجة المسبيين، وعلى ذلك يعتقد البعض أنه كُتب أثناء السبي في بابل.

أولا: يشكو كاتب المزمور هنا من الانطباعات العميقة التي خلفتها متاعبه على نفسيته (ع ١ – ١٠).

ثانيا: شجع نفسه بأن الأمور ستنتهي أخيرا على خير، وذلك بتذكره تدخلات الله السابقة لمعاونة شعبه (ع ١١ – ٢٠).

عدد ١ – ١٠

تتضمن هذه الفقرة صورة حية لرجل تقي تغمره الكآبة. والقديسون المحبطون، الذي تملكهم روح الحزن، يمكنهم هنا– كما في مرآة– أن يروا وجوههم. غير أنه يبدو أن الأحزان والمخاوف كانت قد تلاشت حين كتب هذا المزمور لأنه يقول: «صوتي إلى الله فأصغى إليَّ». وقد وضع هذا في بداية قصته للإشارة إلى أن متاعبه لم تنته باليأس.

أولا: صلواته الحزينة: «صوتي إلى الله فأصرخ. صوتي إلى الله فأصغى إليَّ». وهكذا فرَّج عن حزنه وحصل على بعض الراحة، وبهذا أخذ الطريق الصحيح ليجد راحة (ع ٢): «في يوم ضيقي التمست الرب». والذين لديهم متاعب تزعج فكرهم عليهم ألا يفكروا في ابتلاعها، أو الاستهانة بها، بل يجب أن يصلوا من أجلها.

ثانيا: حزنه البالغ: «يدي في الليل انبسطت ولم تخدر»، ولم تتوقف في الوقت المعين للراحة والنوم. «أبت نفسي التعزية» ولم يكن لديه استعداد للاستماع إلى أولئك الذين من المفروض فيهم أن يعزوه. والذين هم في حزن يسيئون إلى الله، إذا رفضوا أن يتعزوا.

ثالثا: تأملاته الكئيبة: حين تذكر الله لم تتركز أفكاره إلا على عدالته، وغضبه وخشيته، وبهذا أصبح الله نفسه مصدر رعب له. لم يستطع أن يهنأ بنوم: «أمسكت أجفان عيني»، الأمر الذي جعلني أتقلب

على فراشي حتى الصباح. لقد كان في غاية الانزعاج حتى أنه لم يستطع أن يتكلم ويسري عن نفسه. والحزن لا يكون أشد وطأة على النفوس إلا بالنسبة لتلك التي انطوت وكتمت مشاعرها.

رابعا: أفكاره الكئيبة (ع ٥ و٦) «تفكرت في أيام القدم»، وقارنها بأيامه الراهنة، والنجاح السابق ليس من شأنه سوى أن يزيد من مآسينا الحاضرة، لأننا لا نرى العجائب التي أخبرنا عنها آباؤنا. ولكن لا تقل أن أيام القدم أفضل من أيامنا هذه. وتذكرنا للتعزيات التي فقدناها لا يجب أن ينسينا أن نقدم الشكر على ما تبقى لنا. لقد تذكر بصفة خاصة ترنمه «في الليل»، ولم يكن في حالة مزاجية طيبة، وتذكره لها كان من شأنه أن سكب نفسه عليه (مز ٤٢: ٤؛ انظر أيوب ٣٥: ١٠).

خامسا: مخاوفه وأوهامه الكئيبة: «مع قلبي أناجي وروحي تبحث» (ع ٦). ما بالك يا نفسي، وما هي نتيجة كل هذه الأمور؟ وهنا بدأت أتدارس الموضوع، «هل إلى الدهور يرفض الرب» كما يفعل الآن؟ لقد حبس رحمته، وقد حبسها في غضب (ع ٧ – ٩). وهذه لغة نفس مهجورة محزونة، وهذه حالة ليست غير عادية حتى بالنسبة لأولئك الذين يخافون الرب (إش ٥٠: ١٠). والمتاعب الروحية دون غيرها من المتاعب الأخرى هي أكثر إيلاما للنفس التقية، ولا يجرحها أو يطعنها قدر خوفها من أن يغضب الله منها. وشعب الله نفسه، في يوم كئيب عصيب، قد يقع في تجربة التخمينات اليائسة بالنسبة لحالتهم الروحية وكذلك بالنسبة لكنيسة الله، وملكوته في العالم، ويعتقدون أن الحالة لا يُرجى منها. غير أننا لا يجب أن نستسلم لمثل هذه الخواطر السيئة ولندع الإيمان يجيبها من الكتاب المقدس: «هل إلى الدهور يرفض الرب؟» حاشا، «هل انتهت إلى الأبد رحمته؟» كلا، «أما رحمة الرب فإلى الدهر» (مز ١٠٣: ١٧). «أنقطعت كلمته إلى دور فدور؟» كلا، لأنه «لا يمكن أن الله يكذب» (عب ٦: ١٨). هل «قفص برجزه مراحمه»، كلا، «هي جديدة في كل صباح» (مرا ٣: ٢٣)، ولذلك «كيف أجعلك يا أفرايم» (كيف أتخلى عنك يا أفرايم، بحسب ترجمة أخرى، هو ١١: ٨ و٩).

وفجأة، أوقف حبل أفكاره بكلمة «سلاه»: توقف، ولم يذهب إلى أبعد من ذلك، ثم وبخ نفسه (ع ١٠): «فقلت هذا ما يُعِلِّني». لقد أدرك سريعا أنه لم يحسن القول ولذلك قال: «لماذا أنت حزينة يا نفسي؟» هذه محنتي، وكل إنسان له محنته، ومتاعبه في الجسد، وهذه هي بليتي، الصليب الذي يجب أن أحمله. وقنوط النفس وعدم الثقة في الله خلال المحنة كثيرا ما يشكل نقائص الصديقين. وحين نتعرض لهاتين النقيصتين في أي وقت علينا أن نخمدهما. ويتعين علينا أن نقمع عصيان عدم الإيمان. ولكني أذكر «تغير يمين العلي». كان يتفكر «في أيام القدم» (ع ٥)، البركات التي تم التمتع بها في السابق، أما الآن فهو يتأسى بسبب «تغير يمين العلي»، وأن تلك البركات التي كانت في القديم جاءت من التوجيهات السامية ليمين ذاك الذي هو فوق الجميع إلها مباركا إلى الأبد، وهذا ما أقنعه وأرضاه.

عدد ١١– ٢٠

يسترد المرنم هنا رباطة جأشه. لقد حاول ثانية، ووجد أن هذه المحاولة الثانية لم تذهب هباء: «أذكر» نعم سأذكر ما فعله الله لشعبه في أيام القدم، حتى أتمكن من أن أستدل من هذه التدبيرات الغامضة على نتيجة سعيدة (ع ١١و ١٢). وتذكر أعمال الله بشكل سليم سيكون علاجا ناجحا ضد عدم الثقة في وعده، لأنه الله الذي لا يتغير. وقد اقتنع على وجه العموم بأمرين:

أولا: بأن «في القدس طريقك» (ع ١٣). طريقك هو القداسة (كما في ترجمة أخرى). وكل ما يعمله تكون نتيجته مقدسة. وطريقه يأتي طبقا لوعده الذي أعلنه في المقدس. وكل ما يعمله القصد منه هو خير الكنيسة.

ثانيا: «في البحر طريقك». ومع أن الله قدوس وعادل وصالح، إلا أنه ليس بمقدورنا أن نقدم أسبابا لإجراءاته «سبلك في المياة الكثيرة وآثارك لم تُعرف» (ع ١٩). وطرق الله تشبه المياه العميقة التي لا يمكن سبر غورها (مز ٣٦: ٦) مثل طريق السفينة في قلب البحر (أم ٣٠: ١٨ و١٩). «أي إله عظيم مثل الله»، لنعط لله أولا مجد الأشياء العظيمة التي عملها لشعبه، وفي هذا نعترف بأنه عظيم ولا يُقارن: «أنت

الإله الصانع العجائب»، فوق قوة أي مخلوق، وأنت بشكل مرئي وبدون أية مناقضة «عرَّفت بين الشعوب قوتك». لقد أخرج الله إسرائيل من مصر (ع ١٥). وكانت هذه بداية مراحمه لهم. وعلى الرغم من أنه خلصهم بقوته، إلا أنه قيل إنه تم فداؤهم، كما لو كان ذلك قد تم مقابل ثمن، لأنه كان رمزا للفداء العظيم، المزمع إنجازه في ملء الزمان، بثمن وبقوة. لقد شق البحر الأحمر أمامهم (ع ١٦): «المياه» انحسرت وعُمل في وسطها طريق. وليس سطح المياه فحسب، بل «ارتعدت أيضا اللجج» وانحسرت إلى اليمين وإلى اليسار. لقد أهلك المصريين (ع ١٧): «أعطت السحب صوتا. أيضا سهامك طارت»، وقد فُسر هذا في آية ١٨ : «صوت رعدك في الزوبعة» (هذا هو الصوت الذي أعطته السحب)، «البروق أضاءت المسكونة». تلك هي الأسهم التي طارت، والتي بها هُزم جيش المصريين، ومع ذلك حين عادت المياه إلى مكانها «آثارك لم تعرف» (ع ١٩)، فلم تترك أية علامة على المكان. وقد أخذ شعبه إسرائيل تحت إرشاده وحمايته (ع ٢٠): «هديت شعبك كالغنم». لقد تقدمهم الله بكل عناية الراعي ومحبته. لقد قادهم موسى وهرون، ولم يستطيعوا أن يفعلوا ذلك بمعزل عن الله، ولكن الله فعل ذلك معهم وبواسطتهم. وكان موسى قائدهم، وهرون رئيس كهنتهم. والفريضتان العظيمتان المتعلقتان بالقضاء (الرئاسة) والخدمة، على الرغم من أنهما لا يشكلان معجزة عظيمة، إلا أنهما كانا يشكلان رحمة عظيمة لأي شعب مثلما كان عمود السحاب والنار بالنسبة لإسرائيل في الصحراء.

المزمور الثامن والسبعون

قصيدة لآساف

هذا مزمور تاريخي، ويتضمن:

أولا: مقدمة لتاريخ شعب الله موصيا أن تتدارسه الأجيال القادمة (ع ١ – ٨).

ثانيا: التاريخ نفسه من موسى وحتى داود، فقد وضع في مزمور أو تسبيحة حتى أن الترنيم به قد يؤثر فيهم نتيجة الأمور التي تضمنها أكثر مما كانوا سيتأثرون بها إذ ما سُردت عليهم على شكل قصة فحسب. والموضوع العام لهذا المزمور سجل لنا في الأعداد ٩ – ١١. أما بالنسبة للتفاصيل فقد ذُكر لنا:

(١) المعجزات التي عملها الله من أجلهم.

(٢) كيف أنهم كانوا جاحدين بالنسبة للنعم التي أضاء الله بها عليهم. كيف تذمروا على الله ولم يثقوا به، وتظاهروا بالتوبة الغاشة والخضوع له حين عاقبهم. كيف أغاظوا الله بوثنيتهم بعد أن جاءوا إلى كنعان.

(٣) كيف أن الله بعدالته عاقبهم على خطاياهم التي ارتكبوها في البرية، كما عاقبهم في الفترة الأخيرة حين استولى الفلسطينيون على تابوت العهد (ع ٥٩ – ٦٤).

(٤) كيف أن الله بنعمته أنقذهم وعاد إليهم برحمته على الرغم من استفزازاتهم، وأتى بهم إلى مؤسسة سعيدة سواء بالنسبة للعبادة أو الدولة (ع ٦٥ – ٧٢). «فهذه الأمور جميعها أصابتهم مثالا» (١كو ١٠: ١١ ؛ عب ٤: ١١).

عدد ١–٨

هذه الأعداد تتضمن مقدمة هذا التاريخ. وهو في الواقع «قصيدة». وهو «مزمور للتعليم».

أولا: يطلب المرنم الانتباه: «اصغ يا شعبي إلى شريعتي» (ع ١) والبعض يقول إن هذه كلمات المرنم نفسه. وهو يسمي تعليماته «شريعته»، أو أوامره، هكذا كانت القوة الآمرة في أنفسهم. كان داود ملكا، وكان يستخدم سلطانه الملكي من أجل بنيان شعبه. وإما أن المرنم– إذ كان نبيا– فإنه كان يتكلم باسم الله، ولذلك دعاهم شعبه، وطلب الخضوع لما يُقال كالخضوع إلى الشريعة.

ثانيا: وثمة أسباب عديدة تدعونا إلى الانتباه.

(١) الأمور التي تم الحديث عنها لها أهميتها (ع ٢): «أفتح بمَثل فمي. أذيع ألغازا»، تتطلب أقصى اهتمامكم وتقديركم. لقد سُميت ألغازا، وليس ذلك مرد أنها عسرة الفهم، بل لأنها تتطلب التأمل فيها بإمعان.

(٢) إنها من الآثار المتبقية من القدم– منذ القدم– والتي «آباؤنا أخبرونا» (ع ٣). وهي أمور يقينية لا ريب فيها. والكرامة التي ندين بها لآبائنا وأجدادنا تلزمنا بأن نتمسك بما أخبرونا به.

(٣) يجب أن تُنقل للأجيال القادمة، وتظل مهمة ملقاة على عاتقنا أن نسلمها لهم (ع ٤) لأن آباءنا أخبرونا بها حتى لا تُخفى «عن بنيهم». واهتمامنا يجب أن نوليه بصفة عامة للأجيال القادمة. والذي يجب أن ننقله إلى أولادنا ليس فقط معرفة اللغات والفنون والعلوم والحرية والممتلكات، بل بصفة خاصة تسبيحات الرب، والعجائب التي عملها. وأعظم اهتماماتنا يجب أن ينحصر في إيداع ديانتنا- هذه الوديعة العظيمة- في أيدي أولئك الذين يخلفوننا بحيث تكون طاهرة نقية وكاملة.

أ. وقد أُعطيت شريعة الله مع تكليف معين بألا ندخر جهدا في تعليمها لأولادنا (ع ٥): «أقام شهادة»، أو عهدا، وسن شريعة في يعقوب وإسرائيل، وأمرهم أن يقصوها على أولادهم (تث ٦: ٧، ٢٠)، وعلى شعب الله. وكما يقول المؤرخ عن رعوية الإمبراطورية الرومانية، لم يكن لها أن تكون أمرا يخص جيلا واحدا، بل تنتقل من جيل إلى آخر.

ب. ترتيبات الله بخصوصها. أصدر الله أوامر أن تُعرف شريعته للأجيال القادمة. وثمة شرط آخر وهو أن تعرف معها معجزاته. لنعرف هذه الأمور لأولادنا ولأولاد أولادنا، حتى لا تُنسى «عجائبه التي صنع» في الأيام القديمة، «ولا ينسون أعمال الله بل يحفظون وصاياه». والذين بمقدورهم أن يرجوا خلاص الله بثقة هم الذين يأخذون على عاتقهم عمل وصاياه. وقد ينتهوا إلى التحذير (ع ٨) بألا يكونوا «مثل آبائهم جيلا زائغا ومارداً». وعلى الرغم من أنهم أبناء إبراهيم وفي عهد مع الله إلا أنه جيل «لم تكن روحه أمينة لله»، بل كثيرا ما كانوا يبتعدون عنه.

عدد ٩- ٣٩

في هذه الفقرة:

أولا: التوبيخات التي جلبها شعب إسرائيل على أنفسهم وذلك لمعاملاتهم مع الله بخيانة (ع ٩ - ١١). «بنو أفرايم» الذي ينتمي «شيلوه» إلى سبطهم على الرغم من أنهم كانوا مسلحين بالقسي تسليحا جيدا، غير أنهم «انقلبوا في يوم الحرب». ويبدو أن هذه إشارة إلى الهزيمة المخزية التي ألحقها بهم الفلسطينيون في أيام عالي، حين استولوا على التابوت (١صم ٤: ١٠ و١١). وكان حسنا أن يكون هذا الحدث ماثلا في الأذهان على عهد داود، حيث كان قد مضى على ذلك أربعون سنة، لأن التابوت الذي استولى عليه الفلسطينيون في هذه المعركة التي لا تنسى، على الرغم من سرعة استرداده من السبي، لم يظهر إطلاقا من المكان الذي خُبِّئ فيه إلى أن أحضره داود إلى بلدته من قرية يعاريم. ومما تجدر ملاحظته هنا الجبن المخزي الذي اتسم به بنو أفرايم. فالخطية تحبط الإنسان وتذيب قلبه. كانوا خونة أشرارا غادرين، لأنهم «لم يحفظوا عهد الله». «ونسوا أفعاله وعجائبه». ونسياننا أعمال الله وراء عصياننا لشريعته.

ثانيا: انتهز هذه الفرصة ليسترشد بالأعمال السابقة. والقصة التي تضمنتها هذه الفقرة رائعة للغاية، لأنها تحكي عن نوع من الصراع بين صلاح الله، وشر الإنسان، وفي النهاية تنتصر الرحمة على العدل.

(١) عمل الله معجزات عظيمة لشعبه إسرائيل حين وحدهم وشكل منهم شعبا واحدا: «قدام آبائهم صنع أعجوبة». شق لهم طريقا عبر البحر الأحمر، وبث فيهم شجاعة لكي يمروا عبره، على الرغم من أن المياه كانت تقف على رؤوسهم كأكوام (ع ١٣). دبر لهم مرشدا يقودهم عبر ممرات البرية التي لم يسبق أن طرقها أحد (ع ١٤)، ولقد قادهم خطوة خطوة «بالسحاب نهارا» والذي حماهم أيضا من الحر، «والليل كله بنور نار»، الذي هون من ظلمة الليل البهيم، وربما أبعد عنهم الحيوانات المفترسة (زك ٢: ٥). أمد محلتهم بماء عذب في أرض جافة وذلك بإخراجه الماء من الصخرة (ع ١٥ و١٦). «ضرب الصخرة فجرت المياه» في البرية. أعطاهم ليشربوا من صخرة جافة صلبة، وليس كما لو كان قطره نقطة نقطة، بل «أجرى مياها كالأنهار»، كما لو كانت «من لجج عظيمة»، والله يعطي بسخاء وهو غني في الرحمة.

(٢) وحين شرع الله يباركهم على هذا النحو بدأوا يهينونه (ع ١٧): «ثم عادوا أيضا ليخطئوا إليه». لقد تحملوا مآسي عبوديتهم بأفضل مما تحملوا مصاعب خلاصهم، ولم يتذمروا إطلاقا على مسخريهم كما فعلوا مع موسى وهرون. وتمردوا على «العلي». ولقد قالوا وعملوا في القفر ما يعلمون أنه يغيظه. «وجربوا الله في قلوبهم» (ع ١٨).

أ. بأن رغبوا بل طلبوا ما رأى هو أنه ليس من المناسب أن يعطيه لهم. سألوه «طعاما لشهوتهم». لقد أعطاهم الله المن، وهو طعام لذيذ صحي، وأعطاه لهم بغزارة. ولكن هذا لم يرق لهم، فلابد وأن يحصلوا على الطعام الذي يشتهونه، من الأطعمة الشهية المترفة على تباين أنواعها.

ب. لم يثقوا في قدرته على إعطائهم ما يرغبونه. لقد تحدوه أن يعطيهم لحما، وإذا لم يعطهم، فسوف يقولون إنه عجز عن ذلك (ع ١٩): «فوقعوا في الله». إنه تفكير شرير أن يُقال عن الله: «هل يقدر الله أن يرتب مائدة في البرية؟» ويا له أمر غير معقول ذلك الترف ولاسيما أنه لا يمكن إشباعه. لقد اعتقد الأبيقوريون أن ترتيب مائدة عامرة تماما في البرية أمر أكبر من أن يستطيع الله نفسه أن يوفره لهم. وأيهما أسهل، ترتيب مائدة في القفر، الأمر الذي بمقدور أي غني أن يعمله، أم إخراج ماء من الصخرة الأمر الذي لا يستطيعه أغنى رجال العالم وأقواهم. ومهما كان الأمر الذي نطلبه من الله عظيما، فإنه يليق بنا الاعتراف قائلين، يا رب «إن أردت تقدر».

(٣) امتعض الله– وكان محقا في ذلك من استفزازهم وغضب عليهم (ع ٢١): «سمع الرب فغضب». وهكذا استاء الله من استفزازهم (ع ٢٢)، لأنه من هذا تبين أنهم «لم يؤمنوا بالله. ولم يتكلوا على خلاصه»، الذي شرع يعمله من أجلهم، لأنه لو لم يكن هذا موقفهم لما تشككوا في نجاحه. «فأمر السحاب من فوق». ومن عادة السحاب أن يسهم بأمطاره في إنتاج الأرض للحبوب، أما الآن، فحين أمره الله أمطر عليهم حبا، والذي لهذا سمُي هنا «بُر السماء». وكل واحد، حتى أصغر طفل في إسرائيل أكل خبز القدير (كما في ترجمة أخرى)، ومع ذلك كان طعاما قويا لرجال أقوياء. لم يبخل عليهم فقد «أرسل عليهم زادا للشبع». والخبز اليومي الذي يدبره الله لنا ليس أقل رحمة. ولقد عبر الله عن استيائه من تذمراتهم، ليس بحرمانهم من الشهوة التي بالغوا في طلبها، بل في منحها لهم. «أهاج شرقية في السماء وساق بقوته جنوبية»، إما أنها كانت ريحا جنوبية شرقية، وإما أنها كانت ريحا شرقية تحضر أولا السلوى من تلك الجهة، وبعد ذلك أرسل ريحا جنوبية لتأتي بالمزيد من تلك الجهة، وهكذا «أمطر عليهم لحما»، بشكل وفير «مثل التراب وكرمل البحر» (ع ٢٧)؛ حتى يُتاح لأقل إسرائيلي الحصول على كفايته، ولم يكلفهم ذلك شيئا، بل ولا حتى مشقة إحضاره من الجبال، لأنه «أسقطها في وسط محلتهم حوالي مساكنهم» (ع ٢٨). ونرى تفاصيل ذلك في (عدد ١١: ٣١ و٣٢). وقد جعلهم يدفعون غاليا للسلوى التي حلصوا عليها، لأنه على الرغم من أنه أعطاهم «فأكلوا وشبعوا جدا»، لكنهم «لم يزوغوا عن شهوتهم» (ع ٢٩ و٣٠)، شهيتهم لم تكن لتشبع، لقد اتخموا، ومع ذلك لم يقنعوا. وهذه هي طبيعة الشهوة، كلما زدتها إطعاما، ازدادت جوعا. كان هناك بعض الإسرائيليين القنوعين، الذين أكلوا من السلوى باعتدال ولم يضرهم في ذلك شيء، لأن التسمم لم يكن مرده اللحم، بل شهواتهم الشخصية.

(٤) معاقبة الله لهم لم تفلح في إصلاحهم، وكذلك الحال بالنسبة لمراحمه (ع ٣٢): «في هذا كله أخطأوا بعد»، لقد تذمروا على الله وتشاجروا معه ومع موسى كسابق عهدهم. وتلك قلوب صلبة بالفعل التي لا تتأثر بمراحم الله ولا تنفطر بدينوناته.

(٥) تمادوا في خطاياهم. شرع الله يعاقبهم، ولكنها كانت عقوبات من طبيعة أخرى، لم تأتهم بغتة، بل ببطء «فأفنى أيامهم بالباطل وسنيهم بالرعب». لقد حُكم عليهم أن يقضوا ثمان وثلاثين سنة مقيتة في البرية، وقد قضوها بالفعل بالباطل، لأنه طوال هذه السنوات كلها لم تُتخذ خطوة واحدة تقربهم إلى كنعان، بل كانوا يلفون ويدورون ذهابا وإيابا في متاهة. والذين يواصلون في الخطية، عليهم أن يتوقعوا أن تستمر متاعبهم. والسبب الذي يحملنا على أن نقضي أيامنا في بُطل ومشقة، ونعيش في قلة من الراحة، وبدون هدف محدد، هو أننا لا نعيش بالإيمان.

(٦) حملتهم هذه التوبيخات على أن يتظاهروا بالتوبة، غير أنهم كانوا مدعين كاذبين في ذلك. وكان ادعاؤهم محمودا بدرجة كبيرة (ع ٣٤ و٣٥): «إذ قتلهم (أو أصدر عليهم حكم الموت) طلبوه». وفي خوفهم صرخوا إليه طالبين الرحمة، ووعدوا بالإصلاح، وأن يسلكوا سلوكا حسنا جدا، وبعد ذلك «رجعوا وبكروا إلى الله». ولم يكونوا مخلصين أبدا

في هذا (ع ٣٦ و٣٧): «فخادعوه بأفواههم»، كما لو كانوا يعتقدون أنهم بكلامهم المعسول يستطيعون أن ينجحوا في حمله على نقض حكمه. لقد ذابوا في الشمس، ولكنهم تجمدوا في الظل: «وكذبوا عليه بألسنتهم. أما قلوبهم فلم تثبت معه».

(٧) وعند هذا، ولشفقة الله عليهم أوقف الدينونات التي تم التهديد بها، ولو أنها نفذت بشكل جزئي (ع ٣٨ و٣٩): «أما هو فرؤوف يغفر الإثم». لقد استبقى حياتهم حتى ربوا جيلا آخر سوف يدخل أرض كنعان. ولأنه كان رحيما قال «كيف أجعلك يا أفرايم» (هو ١١: ٨) (كيف أتخلى عنك يا أفرايم، كما في ترجمة أخرى). وعلى الرغم من أنهم لم يتذكروا بحق أنه كان صخرتهم، إلا أنه «ذكر أنهم بشر». ذكر كيف أنه من السهولة التامة أن يمحقهم: أنهم مثل «ريح تذهب ولا تعود». وكان من السهل إثبات أنهم يستحقون أن يقطعوا، ولكن الله رأى العكس من ذلك، ومن ثم لم يدمرهم، والسبب الحقيقي وراء ذلك تتضمنه هذه العبارة: «أما هو فرؤوف».

عدد ٤٠ – ٧٢

موضوع ومجال هذه الفقرة يماثل ما جاء في الفقرة السابقة، حين ظهرت المراحم العظيمة التي أنعم بها الله على إسرائيل، وكيف أنهم كانوا يغيظون الله، والدينونات التي جلبها عليهم بسبب خطاياهم، ومع ذلك نرى كيف أن الله في الدينونة ذكر أخيرا رحمته.

أولا: تم للمرة الثانية ذكر الخطايا التي ارتكبها بنو إسرائيل في البرية (ع ٤٠ و٤١): «كم عصوه في البرية». ولقد سجل الله عصيانهم (عد ١٤: ٢٢): «جربوني الآن عشر مرات». وبإغاظتهم له لم يغضبوه بقدر ما أحزنوه، لأنه يعتبرهم أولاده «إسرائيل ابني البكر». لقد أحزنوه لأنهم أجبروه على أن يبتليهم، الأمر الذي لم يعمله مختارا. وبعد أن ذللوا أنفسهم أمامه: «رجعوا وجربوا الله»، وعينوا له البراهين التي يجب عليه أن يقدمها للدلالة على قوته وحضوره معهم، والطرق التي يجب عليه اتخاذها لقيادتهم ورعايتهم. إنها لوقاحة منا أن نحدد «قدوس إسرائيل»، لأنه باعتباره قدوس إسرائيل فسوف يعمل ما هو أفضل لخيرنا. أما الذي حملهم على أن يحدوا من قدرة الله فهو نسيانهم أفضاله السابقة (ع ٤٢). وهناك بعض الأيام التي تتميز بأعمال خلاص رائعة وفريدة وهذه ما لا يجب نسيانها بأي حال من الأحوال.

ثانيا: مراحم الله لإسرائيل، وهذه القائمة بالمعجزات التي عملها الله لهم تبدأ بالأقوى ثم الأقل بعكس القائمة التي وردت في الأعداد ١٢ – ٢٩.

(١) هذه القائمة تبدأ بخلاصهم من العبودية في مصر وضربات الوباء الذي أرغم بها الله المصريين على أن يسمحوا للإسرائيليين بالرحيل. وتم هنا توضيح كثير من الضربات التي ألحقها الله بالمصريين، والتي تثبت قوة الله بكل جلاء، وفضله على إسرائيل. تحويل الماء إلى الدم. لقد سبق أن سكروا بدماء شعب الله، حتى بدماء الأطفال منهم، أما الآن فقد أعطاهم الله دما ليشربوه، لأنهم كانوا يستحقون ذلك (ع ٤٤). لقد أرسل عليهم بعوضا وضفادع لمهاجمتهم (ع ٤٥). وضربة الجراد التهمت محصولاتهم الوفيرة التي تعبوا من أجلها (ع ٤٦). أما «البَرَد» الذي أتلف أشجارهم ولا سيما كرومهم، وهي أضعف أشجارهم (ع ٤٧) «بهائمهم ومواشيهم» (ع ٤٨)، و«الصقيع» أو المطر المتجمد (بحسب معنى الكلمة)، كان عنيفا جدا حتى أنه دمر «جميزهم». أما موت الأبكار فكان آخر وأقسى الضربات التي أوقعها الله بالمصريين، وهذه هي التي أكملت خلاص إسرائيل. وكانت في البداية في قصد الله (خر ٤: ٢٣)، ولكنها أخيرا وُضعت موضع التنفيذ، لأنه لو كانت الوسائل الأخف وطأة قد حققت المطلوب لتم تجنب هذه الضربة. وإذا كان قلب فرعون يتصلب في كثير من الأحيان، بعد أن تكون دينونات أقل قد رققته، نجد أن الله الآن قد أرسل عليهم حمو غضبه.. و«مهد سبيلا لغضبه» أو (بحسب معنى الكلمة) وزن سبيلا لغضبه. لم يضربهم بغضبه كيفما كان، بل بالوزن. فلقد وُزن غضبه بأعظم قدر من الدقة في موازين العدالة، لأنه في حمو غضبه لم يظلم أيا من مخلوقاته ولن يفعل ذلك إطلاقا. فسبيل غضبه يُوزن دائما: «أرسل عليهم... جيش ملائكة أشرار»، ليسوا أشرارا بطبيعتهم، بل بالنسبة للمهمة التي أُرسلوا لإنجازها. كانوا ملائكة

للخراب، أو ملائكة للعقاب. كانت عملية التنفيذ ذاتها قاسية للغاية: «وضرب كل بكر في مصر» (ع ٥١)، ضرب «أوائل القدرة» في خيامهم، والذين كانوا موضع رجاء عائلاتهم. «وساق مثل الغنم شعبه»، ولم يكونوا يعرفون إلى أين هم ذاهبون، «وقادهم مثل قطيع في البرية»، كما يقود الراعي غنمه بكل ما في وسعه من عناية ومحبة، «وهداهم آمنين»، على الرغم من خطورة الممرات ولذلك «فلم يجزعوا»، أي أنهم لم يكونوا في حاجة إلى الخوف «أما أعداؤهم فغمرهم البحر»، وهم الذين تجاسروا على أن يتبعوهم في البحر (ع ٥٣). كانت سبيلا لهم، ولكنها كانت قبرا بالنسبة لمضطهديهم.

(٢) نُفذت حتى إقامتهم في كنعان (ع ٥٤): «وأدخلهم في تخوم قدسه»، إلى تلك الأرض التي أقام في وسطها مقدسه. إنها أرض سعيدة تلك التي تتاخم مقدس الله. والأرض كلها بصفة عامة، وصهيون بصفة خاصة، كانت «الجبل الذي اقتنته يمينه». وأركبهم «على مرتفعات الأرض» (تث ٣٢: ١٣ ؛ إش ٥٨: ١٤). لقد وجدوا الكنعانيين يمتلكون الأرض، ولكن الله جعل شعبه إسرائيل يركبون «على مرتفعات الأرض» وقسمهم بالحبل «ميراثا وأسكن في خيامهم أسباط إسرائيل».

ثالثا: خطايا إسرائيل بعد أن استقروا في كنعان (ع ٥٦ – ٥٨). كان الأبناء «مثل آبائهم» وجاءوا بمفاسدهم القديمة إلى موضع سكناهم الجديد. كانوا يبدون أحيانا وكأنهم مخلصون لله، أما في الوقت الراهن فقد «أغاظوه بمرتفعاتهم وأغاروه بتماثيلهم». والوثنية هي الخطية التي كانوا يقعون فيها بكل سهولة، والتي على الرغم من أنهم كثيرا ما كانوا يعلنون توبتهم عنها، إلا أنهم غالبا ما كانوا يعودون للارتماء في أحضانها.

رابعا: الدينونات التي أوقعها الله بهم بسبب هذه الخطايا. والوثنية عادة ما كان يُتغاضى عنها بين الأمميين، ولكن ليس في إسرائيل (ع ٥٩) حين «سمع الله»، حين سمع صرخات إثمهم، التي صعدت أمامه «فغضب». وهجر خيمة الاجتماع، أي مسكنه الذي كان في وسطهم، وأزال الدفاع الذي كان يفرضه على ذلك المجد (ع ٦٠). الله لا يتركنا إطلاقا ما لم نتركه نحن. و«مسكن شيلو الخيمة التي نصبها بين الناس»، وهي التي يسكن فيها الله بين الناس على الأرض، غير أنه حين تخلى عنها شعبه وخانوه، كان من حق الله أن يتخلى عنها، وعند ذلك ذهب عنها كل مجدها. وقد سلم الكل لأيدي العدو. والذي يتخلى عنهم الله، يصبحون فريسة سهلة بالنسبة للمخربين. لقد سمح الله لهم أن يستولوا على التابوت، ويأخذوه معهم، كعلامة على انتصارهم، وذلك لكي يبين الله أنه لم يتخل عن الخيمة فقط، بل وعن التابوت نفسه (ع ٦١): «وسلم للسبي عزه وجلاله»، كما لو كان قد ضعف وقُهر. «وجلاله» تعرض لمهانة أن يُترك ليقع في يد «العدو». ونقرأ عن تفاصيل هذه القصة في ١صموئيل ٤: ١١. لقد سمح بأن تُدحر جيوش إسرائيل على يد الفلسطينيين (ع ٦٢ و٦٣): «ودفع إلى السيف شعبه» لأنه «غضب على ميراثه»، وكان غضبه هذا هو النار التي أكلت مختاريه، في مقتبل عمرهم، وانتشر الخراب بينهم حتى أن «عذاراه لم يُحمدن» لأنه لم يكن هناك شبان يتزوجن بهن، وحتى «كهنته» الذين كانوا يخدمون التابوت «سقطوا بالسيف». لقد سقط حفني وفينحاس واستحقا ذلك لنزوعهما إلى الشر، وأخطأوا أمام الرب. وحين سقط الكهنة بالسيف، أراملهم «لم يبكين» (ع ٦٤). فأرملة فينحاس عوض أن تندب موت زوجها، ماتت هي نفسها حين أطلقت على وليدها اسم «إيخابود» (١صم ٤: ١٩ – ٢٢).

خامسا: عودة الله إليهم برحمته، وظهوراته الكريمة دفاعا عنهم بعد ذلك. لكن الرب «ضاقت نفسه بسبب مشقة إسرائيل» (قض ١٠: ١٦) حينئذ «فاستيقظ الرب كنائم» (ع ٦٥).

(١) ضرب الفلسطينيين بالوباء لأنهم استولوا على تابوت العهد (ع ٦٦). فقد ضربهم بالأورام الخبيثة و«جعلهم عارا أبديا». والله يمجد نفسه إن آجلا أم عاجلا وذلك بخزي أعدائه، حتى بعد أن تأخذهم نشوة الانتصار العارمة.

(٢) أعد مسكنا جديدا لتابوته بعد أن ظل في الأسر عدة شهور، وبعد أن بقي عدة سنوات في مكان مغمور. وهو بالفعل «رفض خيمة يوسف» ولم يعيده

إطلاقا إلى شيلوه في سبط أفرايم (ع ٦٧). وحطام ذلك المكان كان قائما كشهادة على العدالة الإلهية. «لكن اذهبوا إلى موضعي الذي في شيلوه... وانظروا ما صنعت به» (إر ٧: ١٢). نقل التابوت وفقدته شيلوه، لكن إسرائيل لم تفقده. فسوف يكون هناك لله كنيسة في العالم، ومملكة بين الناس، على الرغم من أن هذا المكان أو ذاك قد يفقد سراجه. وحين «لم يختر سبط أفرايم»، وهو ينتمي إليه يشوع، فإن الله «اختار سبط يهوذا» (ع ٦٨)، لأن الرب يسوع كان مزمعا أن يأتي من هذا السبط، وهو أعظم من يشوع. أما قرية يعاريم. التي أُحضر إليها التابوت بعد إنقاذه من يد الفلسطينيين، فقد كانت في سبط يهوذا. ومن هناك نُقل إلى صهيون «جبل صهيون الذي أحبه» (ع ٦٨)، «جميل الارتفاع فرح كل الأرض»، هناك «بنى مثل مرتفعات مقدسه كالأرض التي أسسها» (ع ٦٩). والواقع أن داود لم يشيد للتابوت سوى خيمة، غير أنه حينئذ عُمل تصميم للهيكل وتم التجهيز له، هذا، وقد أتمه ابنه. بناه سليمان، ومع ذلك قيل هنا «وبنى» الله هذا، وما ذلك إلا لأن الله علمه، ولعل ذلك كان بالإشارة إلى هذا العمل أنه «إن لم يبن الرب البيت فباطلا يتعب البناؤون» (مز ١٢٧: ١) ولم يُهدم بصفة نهائية إلا بعد أن أُقيم هيكل الإنجيل، والذي يكون «كالشمس أمامي. مثل القمر يثبت إلى الدهر» (مز ٨٩: ٣٦ و٣٧)، «وأبواب الجحيم لن تقوى عليها».

(٣) أقام عليهم مملكة حسنة، وملكا حسب قلبه: فقد اختار عبده داود من بين الآلاف في إسرائيل، ووضع الصولجان في يده، والذي كان المسيح مزمعا أن يأتي من نسله، وكان رمزا له (ع ٧٠). وفيما يختص بداود، فهو سليل رئيس سبط يهوذا، ولكن تعليمه كان بسيطا. فلم ينشأ كمثقف، أو كجندي، بل كراع. وقد «أخذه من حظائر الغنم»، كما كان الحال بالنسبة لموسى، لأن الله يُسر بأن يكرم المتواضعين الكادحين، وأحيانا ما يجد أن أفضل الناس للخدمة العامة هم الذين قضوا بداية حياتهم في الوحدة والتأمل. ولقد وُبخ ابن داود لغموض أصله: «أليس هذا ابن النجار؟» ولقد أُخذ داود، ولم يُذكر أنه أُخذ من قيادة الكباش، بل «من حظائر الغنم»، الأمر الذي يُستشف منه أنه من بين كل السمات الطيبة لراعي الغنم، فإن داود كان معروفا برقته وحنانه على أولئك الذين كانوا الأكثر احتياجا إلى عنايته. وكان شرفا عظيما ذاك الذي أولاه له الله، بأن رقاه ليكون ملكا، ولاسيما أن يكون ملكا على يعقوب وإسرائيل، شعب الله الخاص، المقرب إليه والعزيز عليه، ولكن هذا الأمر كان في ذات الوقت يتضمن ثقة عظيمة. وإذا أُولي داود هذه الثقة العظمية، حصل على رحمة من الله لكي يوجد ماهرا وأمينا في أداء المهمة التي أنيطت به (ع ٧٢): «فرعاهم» داود، حكمهم وعلمهم، أرشدهم وحماهم «حسب كمال قلبه»، ولم يكن يستهدف من وراء ذلك سوى مجد الله وخير الشعب الذي أصبح في رعايته. ولم يكن مخلصا فيما خطط له فحسب، بل كان حصيفا للغاية فيما يعمله. وطوبى لشعب يكون تحت رعاية قيادة كهذه. وكان لدى المرنم سبب قوي في أن يجعل هذا المثال الأخير الذي يتوج فضل الله تجاه إسرائيل، لأن داود كان يرمز إلى المسيح الراعي الصالح العظيم.

المزمور التاسع والسبعون

مزمور. لآساف

من المرجح أن هذا المزمور عُمل ليشير إلى خراب أورشليم والهيكل. وقد وُضع على غرار مراثي إرميا، ذاك النبي الباكي استعار عددين منه (ع ٦ و٧) واستخدمها في صلاته (إر ١٠: ٢٥). ويظن البعض أنه كُتب بروح النبوة قبل ذلك بوقت طويل، وقد أُعد لكي يستخدمه شعب الله في ذلك اليوم العبوس الكئيب.

وأيا كانت المناسبة المعينة، فإننا نجدها:

أولا: صورة للحالة المؤسفة التي كان عليها شعب الله في ذلك الحين (ع ١ – ٥).

ثانيا: التماس إلى الله للعون والإنقاذ (ع ٦ و٧، ١٠، ١٢)، ولكي تُغفر خطاياهم (ع ٨ و٩)، ولكي يُخلصوا (ع ١١).

ثالثا: حجة استندت على استعداد شعبه لحمده (ع ١٣).

عدد ١ – ٥

تتضمن هذه الفقرة شكوى حزينة عُرضت على

محكمة السماء.

أولا: يشتكون هنا من الغضب البالغ لمضطهديهم والذين نجسوا الهيكل (ع ١). ألحقوا كل ما في وسعهم من ضرر بالأرض المقدسة. لقد غزوها، وشنوا غارات عليها: «الأمم قد دخلوا ميراثك»، لينهبوه ويتركوه خربا. كانت كنعان عزيزة بالنسبة للأتقياء من الإسرائيليين باعتبارها ميراث الله بأكثر مما يعتزون بها كمدينتهم. والإساءات التي تلحق بالديانة يجب أن تحزننا بأكثر من تلك التي تلحق بالحق بالعام، بل والواقع بحقوقنا الشخصية. وقد ذكر هذا المرنم هذه النقطة في المزمور السابق كمثال على فضل الله العظيم على إسرائيل من ناحية أنه «طرد الأمم من قدامهم» (مز ٧٨: ٥٥). ولكن لننظر التغيير الذي أحدثته الخطية، حيث سُمح للوثنيين أن يتدفقوا على بلادهم. «جعلوا أورشليم أكواما». ولقد دُفن السكان في حطام بيوتهم. وذلك المقدس والذي بناه الله والذي كان من المعتقد أنه راسخ رسوخ الأرض، نراه الآن وقد سُويَّ بالأرض: «نجسوا هيكل قدسك»، بدخولهم إليه وتخريبه. وشعب الله نفسه نجسوه بخطاياهم، ومن ثَم سمح الله لأعدائهم بأن ينجسوه بوقاحتهم. كانوا متعطشين إلى الدماء، وقتلوا شعب الله دونما رحمة، ودون هوادة (ع ٣): «سفكوا دمهم كالماء» حيثما لاقوهم «حول أورشليم»، في جميع شوارع المدينة، كل مَنْ دخل إليها أو خرج منها كان السيف ينتظره، حتى «جثث عبيدك»، و«لحم أتقيائك» الذين يكرهون بصفة خاصة أسماءهم وذكرهم، كانوا ينبشونها ويقدمونها «طعاما لطيور السماء» و«لوحوش الأرض». كانوا يعلقونهم في سلاسل- الأمر الذي كان مهينا لليهود- لأن الله أعطاهم ناموسا صريحا ضد هذا، باعتباره عملا همجيا (تث ٢١: ٢٣)، ونحن الذين نجونا «صرنا عارا عند جيراننا»؛ فالجميع كانوا يبذلون جهدهم لإهانتنا وتحقيرنا، حتى صرنا «هزءا وسخرة للذين حولنا». وإذا انحرف شعب الله عن طريقهم وطريق آبائهم عليهم أن يتوقعوا أن يُقال لهم هذا.

ثانيا: تعجبوا بالأكثر من غضب الله (ع ٥). وهذا ما أدركوه من غضب جيرانهم عليهم. «إلى متى يا رب تغضب كل الغضب؟» وهذا ما يشير إلى أنهم لم يكونوا يرغبون في شيء قدر أن يتصالح الله معهم وبعد ذلك يمكن كبح ما تبقى من غضب الناس.

عدد ٦- ١٣

الالتماسات التي رُفعت لله هنا تنطبق على المحن الراهنة التي تعاني منها الكنيسة.

أولا : صلوا من أجل أن يصرف الله عنهم غضبه ويوجهه لأولئك الذين يضطهدونهم، ويسيئون إليهم (ع ٦). والواقع أن هذه الصلاة كانت نبوة تفيد أن «غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم». والسبب الذي لا يحمل الناس على اللجوء إلى الله مرده أنهم لا يعرفونه، ولا يعرفون كيف أنه قادر ومستعد لمعاونتهم. والذين يصرون على عدم معرفتهم الله وإهمال الصلاة هم الأشرار الذين «بلا إله في العالم»، وهم الذين «قد أكلوا يعقوب» (ع ٧). لم يزعجوا يعقوب، بل أكلوه، ولم يكتفوا بانتهاك حرمة مسكنه فحسب، أي أرض كنعان، بل خربوها ونهبوها وفرغوها من سكانها: «أفض رجزك على الأمم»، لا أن تكفهم عن عمل المزيد من الشر فحسب بل حاسبهم على الشر الذي سبق أن ارتكبوه بالفعل.

ثانيا: صلوا من أجل مغفرة خطاياهم، والتي اعترفوا بأنها سبب كل مآسيهم. «لا تذكر علينا ذنوب الأولين»، وهذا ما يأخذه البعض على أنه إشارة إلى موضوع العجل الذهبي. وإذا استطاع الأبناء بالتوبة أن يلغوا عواقب خطية الوالدين، فيمكنهم بالإيمان أن يصلوا من أجل ألا يذكرها عليهم. حين يغفر الله الخطايا يشطبها ولا يعود يتذكرها بعد. «ونجنا واغفر خطايانا» (ع ٩). فالخلاص من الضيق يُعطى في محبة، وهو بالحقيقة رحمة عظيمة.

ثالثا: صلوا من أجل أن تنتهي متاعبهم على خير وبسرعة: «لتتقدمنا مراحمك سريعا» (ع ٨). ما لم تتدخل مراحم الله بسرعة لتمنع خرابهم، فسوف يهلكون. وهذا ما يشحذ إلحاحهم: «أعنا... ونجنا»، أعنا على مواجهة متاعبنا، حتى نتحملها على أفضل وجه. خلصنا من الخطية، ومن الفساد: «لأننا قد تذللنا جدا»، وإذ نحن ضعفاء، فسوف نضيع ما لم تعنا. الذين يتخذون من الله إلها لخلاصهم، سوف يجدونه كذلك. لم يستندوا إلى استحقاق فيهم، فلم

يدعوا ذلك إطلاقا، وإنما ساعدنا من أجل «اسمك»، «واغفر خطايانا من أجل اسمك»، «لماذا يقول الأمم أين هو إلههم؟» لقد تركهم ونسيهم، هكذا عبدوا إلها لايستطيعون أن يروه. يا رب، بيِّن لهم أنك موجود بأن تعرفهم أنك معنا، وأنك من أجلنا، حتى إنه حينما نُسأل: «أين هو» إلهكم، نستطيع القول أنه قريب منا، وأنتم ترون أنه كذلك بما يعمله من أجلنا.

رابعا: صلوا لكي ينتقم لهم الله من أعدائهم. «لتُعرف عند الأمم... نقمة دم عبيدك» (طبقا للناموس القديم، تك ٩: ٦)، وبهذه الوسيلة يعرف بين الأمم أن الله ينتقم لدم عبيده (انظر مزمور ٩٤: ١)، وأن الله يتبنى قضايا شعبه. والتوبيخ الذي بواسطته جدفوا على الله نفسه نستطيع بالإيمان أن نصلي أن يرده الله عليهم «سبعة أضعاف في أحضانهم» لكي يذلهم، ويقودهم إلى التوبة.

خامسا: يصلون من أجل أن يدبر الله مخرجا لإنقاذ الأسرى المساكين (ع ١١). فإخوتهم الذين وقعوا في أيدي الأعداء احتفظوا بهم كأسرى في السجون، ولأنهم لم يجرؤوا على أن يُسمعوا وهم يتحسرون على أنفسهم، كانوا ينفسون عن أحزانهم في أنات عميقة صامتة: «ليدخل قدامك أنين الأسير»، ولتتكرم يا رب بأن تراعي أنينهم. وقد وعدوا العودة إلى تسبيح الله نتيجة استجابة صلاتهم (ع ١٣): «نحمدك إلى الدهر». ولقد ألزموا أنفسهم ليس بأن يشكروا الله في الوقت الراهن فقط، بل «إلى دور فدور» يحدثون بتسبيحه.

المزمور الثمانون

لإمام المغنين على السوسن. شهادة. لآساف. مزمور

هذا المزمور يرمي إلى حد كبير إلى نفس الغرض الذي قصده المزمور السابق ويعتقد البعض أنه كُتب بمناسبة خراب وسبي الأسباط العشرة. غير أنه كثيرة كانت المحن التي حاقت بشعب الله، وكثير منها لم يُسجل في التاريخ المقدس، ربما كان البعض منها هو الباعث على كتابة هذا المزمور.

والمرنم هنا:

أولا: يلتمس من أجل علامات وجود الله معهم وفضله عليهم (ع ١ – ٣).

ثانيا: يشكو من التوبيخات التي يتعرضون لها في الوقت الراهن (ع ٤ – ٧).

ثالثا: يتحدث عن المحن الحالية التي حاقت بالكنيسة، وذلك بتشبيهها بكرمة وكرم، ازدهر، ولكنه خُرب الآن (ع ٨ – ١٦).

رابعا: اختتم بصلاة إلى الله لإعداد الرحمة لهم وإعدادهم للرحمة (ع ١٧ – ١٩).

عدد ١ – ٧

المرنم هنا يلجأ إلى الله عن طريق الصلاة، بشأن المحنة التي يعانيها شعب بني إسرائيل.

أولا: يلتمس فضل الله عليهم (ع ١ و٢) باعتباره راعي إسرائيل الذي كان شعب إسرائيل ينعم بإرشاده وعنايته. فقد كان «قائد يوسف كالضأن»، حيث كان يأتي به إلى أفضل المراعي ويبعده عن طريق الخطر. وكان «جالسا على الكروبيم» حيث كان مستعدا لسماع الالتماسات وتقديم التوجيهات، وكان غطاء التابوت (عرش النعمة) بين الكروبين، وكان أمرا معزيا للغاية في الصلاة أن نتطلع إلى الله باعتباره جالسا على عرش النعمة. وقد التمس من الله أن يستمع للصرخات التي تُعبر عن محنهم ولصلواتهم. حتى يوقظ جبروته. لقد بدا وكأنه نائم. يا رب ايقظه. يا رب كن لشعبك عونا قويا، وعونا في الحاضر، اعمل هذا يا رب «قدام أفرايم وبنيامين ومنسى». ولعل هذه الأسباط الثلاثة قد ذُكرت بالاسم لأنها كانت الأسباط التي تشكل سرية محلة إسرائيل والتي في مسيرتهم عبر البرية كانت تتبع الخيمة مباشرة، ولذلك كان تابوت قوة الله يرتفع أمامهم ليشتت أعداءهم.

ثانيا: يشكو من غضب الله. كان الله غاضبا، وكان يخشى هذا أكثر من أي شيء آخر (ع ٤). وكان يخشى من «تدخن» الله، على صلاة شعبه. وأن يغضب الله بسبب خطايا شعبه، وصلوات أعدائه ليس بالأمر الغريب، أما أن يكون غاضبا من صلوات شعبه فهذا أمر غريب حقا. وإذا كان بالفعل غاضبا من صلوات شعبه فلنا أن نتأكد أنهم يطلبون «رديا» (يع ٤: ٣). غير أن ذلك ربما يكون مجرد وهم نتيجة مخاوفهم، وهو يبدو غاضبا من صلواتهم مع

أنه في الحقيقة ليس كذلك، لأنه بهذا يختبر مدى مثابرتهم في الصلاة، مثلما اختبر المسيح المرأة الكنعانية حين قال: «ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويُطرح للكلاب». وعلامات غضب الله التي لاحظوها لفترة طويلة كانت موضع حزنهم وخزيهم: «قد أطعمتهم خبز الدموع»، كانوا يأكلون طعامهم من يوم لآخر بالدموع، وهذه هي المرارة التي يغمسون فيها لقمتهم (مز ٤٢: ٣). وكثيرون ممن يقضون وقتهم في حزن سوف يقضون أبديتهم في فرح. إنه لمما يخزيهم (ع ٦). أن أعداءهم يضحكون فيما بينهم ليروا الخوف الذي يتملكهم، والإحباطات التي تنتابهم.

ثالثا: يصلي بحرارة للنعمة المجددة لكي تحقق خلاصهم: «يا الله أرجعنا» (ع ٣)، «يا إله الجنود» (ع ٧): «وأنر بوجهك فنخلص». إنه قرار الترنيمة، لأننا نجده كذلك في آية ١٩. يا رب، أرجعنا إليك بطريق التوبة والإصلاح، وبعد ذلك، لا ريب في أنك سترجع إلينا بطريق الرحمة والخلاص. ومما تجدر ملاحظته:

(١) لا خلاص إلا من نعمة الله.

(٢) لا نستطيع أن نحظى بنعمة من الله إلا إذا آمنا ولجأنا إليه.

(٣) لا رجوع إلى الله إلا من خلال نعمته «توبني فأتوب». والصلاة هنا من أجل رجوع الأمة. قداسة الأمة تؤمن السعادة لها.

عدد ٨- ١٩

يقدم المرنم هنا قضيته من أجل شعب الله ويضعها عند عرش النعمة. وقد مثلت الكنيسة هنا بكرمة (ع ٨، ١٤)، وكرم (ع ١٥). وأصل هذه الكرمة هو المسيح (رو ١١: ١٨)، والفروع هم المؤمنون (يو ١٥: ٥). والكنيسة تشبه كرمة، ضعيفة وفي حاجة إلى الدعم، وقبيحة الشكل ومنظرها الخارجي غير واعد، ولكنها منتشرة ومثمرة، وثمرها غاية في الروعة. والكنيسة هي كرمة مختارة ونبيلة، ومن واجبنا أن نعترف بصلاح الله الذي دفعه إلى أن يغرس مثل هذه الكرمة في برية هذا العالم، ويحفظها حتى يومنا هذا.

أولا: كيف غُرست كرمة العهد القديم أولا «كرمة من مصر نقلت» بذراع قوية، «طردت أمما» من كنعان، لتهيئ لها مكانا، طردت سبع أمم لتفسح مجالا لهذه الواحدة.

ثانيا: كيف انتشرت وازدهرت.

(١) كانت أرض كنعان نفسها غاصة بالسكان. ولم يكونوا في البداية من الكثرة بحيث يملأونها (خر ٢٣: ٢٩). غير أنه على عهد سليمان: كانت يهوذا وإسرائيل كرمل البحر في الكثرة. ولم يكن لدى إسرائيل وفرة في عدد الرجال فحسب، بل كان لديها رجال أشداء يتسمون بالشجاعة.

(٢) امتدو في غزواتهم وسيطرتهم فشملت البلدان المجاورة (ع ١١): «مدت قضبانها إلى البحر»، البحر الكبير غربا، «وإلى النهر فروعها»، إلى نهر مصر جنوبا، ونهر دمشق شمالا، أو بالأحرى نهر الفرات شرقا (تك ١٥: ١٨). غير أنه من الملاحظ هنا فيما يختص بهذه الكرمة أنها امتدحت من أجل ظلها وأغصانها وفروعها. إلا أنه لم تُذكر كلمة واحدة عن ثمارها، لأن إسرائيل «يخرج ثمرا لنفسه» (هو ١٠: ١). لقد جاء الله يطلب عنبا ولكن للأسف وجد «عنبا رديئا» (إش ٥: ٢). وما لم تعط الكرمة ثمرا، فلن تكون هناك شجرة أسوأ أو أتفه منها (حز ١٥: ٢، ٦).

ثالثا: كيف أُهملت وخُربت: يا رب، لقد عملت أمورا عظيمة لهذه الكرمة، فلماذا تُهدم ثانية برمتها؟ هل يتخلى الله ويهجر ما أوجده هو بنفسه (ع ١٢): «فلماذا هدمت جدرانها؟» وقد كان هناك سبب قوي. هذه الكرمة الرائعة قد تحولت إلى «سروغ جفنة غريبة» (إر ٢: ٢١). فحين هدم الله «جدرانها» وتركهم اقتحمتهم على الفور قوات الأعداء. وأولئك الذين مروا من طريقها كانوا يقطفونها. «الخنزير من الوعر» وكذلك «وحش البرية» (ع ١٣). غير أنه قبل أن يهدم الله «جدرانها» لم يستطيعوا أن ينتزعوا ورقة واحدة من هذه الكرمة. وقد وُصفت حالة إسرائيل التي يؤسف لها (ع ١٦): «هي محروقة بنار مقطوعة»، لقد عُومل الشعب مثل شوك وحسك، الذي يكاد يُلعن ونهايته الحرق بالنار ولم يعد بعد مثل الكروم

التي تحظى بالحماية والمحبة.

رابعا: طلبهم من الله عند هذه النقطة. أن يتعهد الله هذه الكرمة (ع ١٤ و١٥): «اطلع من السماء»، المكان الذي يتوقع الإنسان منه خيرا، مكان القوة، الذي يمكن أن تُرسل منه معونة فعالة– من هناك قم بزيارة كريمة لهذه الكرمة. يا رب أنت غرستها بنفسك ولنفسك، ولذا فيمكن بكل ثقة أن تُعهد إليك وإلى عنايتك. و«الغصن» الذي نقرأه في العبرية هو «الابن» الذي بحسب مشورتك جعلته قويا لنفسك. هذا الغصن كان لابد وأن يخرج من جزع إسرائيل «عبدي الغصن» (زك ٣: ٨)، ولهذا، وإلى أن يأتي فإسرائيل بصفة عامة، وبيت داود بصفة خاصة، يجب حفظهما. فهو «الكرمة الحقيقية» (يو ١٥: ١؛ إش ١١: ١)، «لتكن يدك على رَجُل يمينك»، ذلك الملك (أيا كان) من بيت داود الذي عليه الآن أن يخرج ويدخل أمامهم. لتكن يدك عليه، ليس لحمايته فحسب، بل لتعترف به وتقويه وتعطيه النجاح. «فلا نرتد عنك». كما أضاف أيضا إلى هذه الصلاة «أحينا فندعو باسمك». وليس بمقدورنا أن ندعو باسم الله بطريقة صحيحة ما لم يحينا. غير أن كثيرين من المفسرين من اليهود والمسيحيين على حد سواء، يطبقون هذا الكلام على المسيح، ابن داود، حامي الكنيسة ومخلصها وحافظ كرمها. وهو رجل يمين الله، الذي حلف له بيمينه (بحسب الترجمة الآرامية) والذي رفعه إلى يمينه، والذي هو بحق يمينه، ذراع الرب، لأنه أُعطي كل سلطان. وثبات المؤمنين ورسوخهم يرجعان بالدرجة الأولى إلى النعمة والقوة التي أعطيت لنا في يسوع المسيح (مز ٦٨: ٢٨).

المزمور الحادي والثمانون

لإمام المغنين على الجتية. لآساف

كُتب هذا المزمور– على ما يُظن للاحتفال بفريضة معينة، إما أنها رأس الشهر بصفة عامة، أو عيد الأبواق في أول الشهر السابع (لا ٢٣: ٢٤؛ عد ٢٩: ١). وحين قدم داود بالروح ترنيم المزامير في خدمة العبادة في الهيكل، اختير هذا المزمور لذلك اليوم. والهدفان العظيمان من اجتماعاتنا الدينية تحققا في هذا المزمور. وهما أن نعطي مجدا لله، وأن نتسلم منه تعليمات لكي «انظر إلى جمال الرب وأتفرس في هيكله». وعلى هذا فإن هذا المزمور يساعدنا في أيام أعيادنا.

أولا: لحمد الله على ما يمثله بالنسبة لشعبه (ع ١ – ٣)، وعمله من أجلهم (ع ٤ – ٧).

ثانيا: بالنسبة لتعليم بعضنا بعضا، ونُصح بعضنا بعضا بالنسبة لالتزامنا أمام الله (ع ٨ – ١٠)، خطر الابتعاد عنه (ع ١١ و١٢)، والسعادة التي تكون من نصيبنا إذا ما التصقنا به (ع ١٣ – ١٦).

عدد ١ – ٧

حين يجتمع شعب الله معا في يوم الرب، يجب إخبارهم أن عليهم مهاما ليؤدوها، لأننا لا نذهب إلى الكنيسة لننام أو لتضييع الوقت.

أولا: ومَن يعبدون الله يُحفزون لعملهم، ويتعلمون من خلال ترنيم هذا المزمور أن يحمسوا أنفسهم والآخرين أيضا (ع ١– ٣). وعند عمل هذا يجب أن ننظر إلى الله على أنه «قوتنا»، وأنه «إله يعقوب» (ع ١). نصلي إليه كقوتنا، ونحمده على اعتبار أنه إله جميع المناضلين من نسل يعقوب الذين لنا معهم شركة روحية. ويجب أن نفعل كل هذا في إطار من تعبيرات الفرح المقدس والنصرة. وكان هذا يُعمل في ذلك الحين بآلات موسيقية «دفا عودا... مع رباب»، وكذلك مع النفخ «بالبوق». والبعض يقول إن هذا كان تذكارا لصوت البوق على جبل سيناء، والذي كان يزداد ارتفاعا. والترنيم بصوت عال يشير إلى أنه يجب أن نكون حارين ذوي عاطفة قوية حين نسبح الله. ولا يوجد وقت لا يناسب تسبيح الله فيه، بل تحدد بعض الأوقات، ليس لمقابلة الله (لأنه مستعد لذلك دائما)، بل لنقابل بعضنا بعضا، لكي نشترك معا في حمد الله وتسبيحه.

ثانيا: يُوجهون هنا بالنسبة لعملهم. «لأن هذا فريضة لإسرائيل» للمحافظة على شكل الديانة بينهم، وهو «حكم لإله يعقوب» وهو ملزم لكل نسل يعقوب ويجب أن يخضعوا له. وهذه الخدمة المقدسة جُعلت «شهادة» (ع ٥)، وبمثابة دليل تقليدي ثابت، بأنه يتعين عليهم أن يعرفوا ويتذكروا ما عمله الله لآبائهم. فحين خرج الله ضد أرض مصر، لكي يجبر فرعون

على السماح بخروج إسرائيل، أمر حينذاك بأيام عيد يُحتفل به بفريضة دهرية في أجيالهم، تذكارا لهذا الحدث ولاسيما الفصح، الذي ربما تشير إليه عبارة «ليوم عيدنا» (ع ٣). وهنا نرى صاحب المزمور قد غير صيغة الخطاب (ع ٦). فيتكلم الله بواسطته قائلا: «أبعدت من الحمل كتفه». عليه أن يتذكر ذلك في يوم العيد. لقد أخرجهم الله من بيت العبودية، وأزاح من على كاهلهم عبء الظلم الذي كانوا يئنون تحت وطأته «يداه تحولتا عن السل»، أو الأواني التي كانوا يحملون فيها الطين، أو الآجر. لقد خلصهم الله عند البحر الأحمر. وأجابهم بإجابة مرضية «في ستر الرعد» ولعل المقصود بهذا اعطاؤهم الشريعة على جبل سيناء، الذي كان موضعا مقدسا حيث كان محرما على الشعب أن ينظروا لئلا يتعرضوا للموت (خر ١٩: ٢١)، ولقد تكلم الله في ذلك الحين من خلال الرعد. لقد تحمل الله سلوكهم في البرية: «جربتك على ماء مريبة»، هناك أظهرتم حقيقة أمركم كشعب متذمر غير مؤمن، ومع ذلك واصلت نعمتي عليكم. وإذا كان عليهم بموجب هذا أن يتذكروا في أعيادهم الدينية خلاصهم من مصر، فكم بالحري يتعين علينا نحن، في السبت المسيحي، أن نتذكر خلاصا أعظم وأمجد حققه لنا الرب يسوع المسيح ونجانا فيه من شيء أسوأ من العبودية في مصر.

عدد ٨- ١٦

من خلال المرنم، يتحدث الله هنا إلى إسرائيل، وبالتالي يتحدث من خلالهم إلينا.

أولا: يطلب انتباههم التام وبكل جدية لما سيقوله (ع ٨): «اسمع» ليس المفروض أن تصغي فحسب، بل «اسمع» أي خذ نصحيتي واعمل بها.

ثانيا: ذكرهم بالتزامهم أمامه باعتباره الرب إلههم وفاديهم (ع ١٠): «أنا الرب إلهك الذي أصعدك من أرض مصر» وهذه كانت مقدمة الوصايا العشر، وكانت سببا قويا لحفظها.

ثالثا: أعطاهم موجزا للمبادئ والوعود التي قطعها لهم باعتباره الرب إلههم وذلك عند خروجهم من مصر. وأهم هذه الوصايا هو ألا يكون لهم إله غيره (ع ٩): «لا يكن فيك إله غريب» سوى إلهكم وحده فقط. والوعد العظيم كان يتمثل في أن الله نفسه، كلي الكفاية سيكون قريبا منهم (تث ٤: ٧)، بمعنى أنه إذا ما التصقوا به باعتباره حاميهم وحاكمهم القوي، فسوف يجدونه دائما محسنا سخيا بالنسبة لهم: «أفغر فاك فأملأه»، كما تصيح الطيور الصغيرة وتفتح أفواهها واسعة لكي تملأها لها كبارها طعاما. وليس بمقدورنا أن ننتظر القليل جدا من المخلوق أو الكثير جدا من الخالق، ذلك أن المسرات المادية تتخم ولكنها لا تشبع (إش ٥٥: ٢)، أما المسرات الإلهية فسوف تشبع ولكنها لن تتخم أبدا.

رابعا: اتهمهم باحتقارهم البالغ لسلطانه (ع ١١). لقد فعل من أجلهم الكثير، وينتوي أن يفعل المزيد، غير أن ذلك كله بدون جدوى: «فلم يسمع شعبي لصوتي»، بل أعطاني أذنا صماء لكل ما أقول. «وإسرائيل لم يرض بي»، لم يقبلوا كلمتي (بحسب الترجمة الآرامية)، كان الله يود أن يكون لهم إله، ولكنهم لم يرغبوا في أن يكونوا له شعبا. إسرائيل، وهم أبناء يعقوب عزيزي لم يكترثوا بي «وإسرائيل لم يرض بي». وكل شرور العالم الشرير إنما جاءت وليدة الإرادة الشريرة.

خامسا: برر نفسه بالنسبة للدينونات الروحية التي جلبها عليهم (ع ١٢): «فسلمتهم إلى قساوة قلوبهم»، والتي ستكون بالنسبة لهم أعداء أكثر خطورة وأذى مما كانت عليه عداوة أقسى جيرانهم من الأمم. لقد سحب الله روحه منهم، وأنتزع لجام نعمته الكابحة وتركهم لأنفسهم «أفرايم موثق بالأصنام. اتركوه». اتركوهم يتصرفون بحسب ما يرغبون، وانظروا عاقبة ذلك: «ليسلكوا في مؤامرات أنفسهم». تركتهم يعملون ما يحلو لهم، عندئذ عملوا كل ما هو بغيض.

سادسا: أظهر نواياه الطيبة نحوهم. رأى مدى بشاعة محنتهم، وكيف أن هلاكهم أكيد، وذلك حين سُلموا لشهواتهم. وهنا نرى الله ينظر إليهم برحمته، وبيَّن أنه كان يحزنه أن تركهم على هذا النحو لحماقتهم ومصيرهم. «لو سمع لي شعبي» (انظر إشعياء ٤٨: ١٨). وهكذا حزن الله لعناد

أورشليم «إنك لو علمت أنت أيضا» (لو ١٩: ٤٢). والتعبيرات الواردة هنا مؤثرة للغاية (ع ١٣ – ١٦) وتبين كيف أن الله لا يرغب في أن يهلك أحد، وهو يريد أن يقبل الجميع إلى التوبة.

(١) الرحمة العظيمة التي كان يحتفظ الله بها لشعبه، والتي كان سيغمرهم بها، لو كانوا قد أطاعوه: «سريعا كنت أُخضع أعداءهم»، والله وحده هو الذي يجب الاتكال عليه فيما يتعلق بإخضاع أعدائنا. فهو «سريعا» ما يفعل ذلك. فلو مد يده لأسرع «مبغضو الرب يتذللون له» (ع ١٥). وعلى الرغم من كل المحاولات التي بذلها أعداؤهم ضدهم، فما كانوا ليتعرضوا إطلاقا لأي إزعاج بالنسبة لامتلاكهم الأرض الطيبة التي أُعطيت لهم. ولكان قد أعطاهم بسخاء من كل الأشياء الطيبة (ع ١٦): «وكان أطعمه من شحم الحنطة»، بأحسن حنطة والأفضل من نوعها. وما كان سيوفر لهم أفضل نوعيات الخبز فحسب، بل «ومن الصخرة كنت أشبعك عسلا». وخلاصة القول إن الله كان سيتيح لهم أن يكونوا قانعين سعداء من جميع النواحي.

(٢) الواجب الذي طلبه الله منهم كشرط لكل مراحمه هذه. لم يطلب منهم سوى أن يسمعوا له، كما يسمع الدارس لمعلمه، يتلقى منه التعليمات– كما يتلقى الخادم تعليمات سيده، ويتلقوا أوامره، وأن يسلك «إسرائيل في طرقي».

(٣) نلاحظ هنا كيف أن سبب حجب الله رحمته عنهم هو إهمالهم لواجبهم: «لو سمع لي شعبي... سريعا كنت أُخضع أعداءهم». والخطية القومية، أو عصيان الله بصفة جماعية هو أفظع شيء بل هو المعوق الوحيد الذي يؤخر ويعوق الخلاص القومي. فالخطية هي التي تطيل متاعبنا وتبطئ خلاصنا.

المزمور الثاني والثمانون

مزمور لآساف

هذا المزمور قُصد به بلاط الملوك وساحات القضاء، ليس بالنسبة لإسرائيل وحدها، بل لسائر الأمم، ليؤدب «قضاة الأرض» (كما في مزمور ٢: ١٠) وليعرفهم واجبهم (كما في ٢صموئيل ٢٣: ٣)، ويبين لهم أخطاءهم، كما في مزمور ٥٨: ١. ويتضمن هذا المزمور:

أولا: كرامة القضاء واعتماده على الله (ع ١).

ثانيا: واجب القضاة (ع ٣ و٤).

ثالثا: فساد القضاة الأشرار والأذى الذي يعملونه (ع ٢، ٥).

رابعا: إشارة إلى مصيرهم (ع ٦ و٧).

خامسا: رغبة وصلاة كل الصديقين بأن يقام ملكوت الله ويزداد توسعا (ع ٨).

عدد ١ – ٥

أولا: رئاسة الله السامية وسلطته على كل المجالس وساحات القضاء (ع ١): «الله قائم» كالموجه الرئيسي «في مجمع الله»، القدير، القاضي الأسمى «وسط الآلهة يقضي»، فالقضاة الأدنى، سواء في السلطة التشريعية أو التنفيذية هم جميعا تحت رقابته وسيطرته والقضاة هم الأقوياء، وهم كذلك بالنسبة لسلطتهم، ومن أجل الصالح العام. أما في اللهجة العبرية العامية فيُسمون «الآلهة»، ونفس الكلمة التي تُطلق على الحاكم الأسمى للعالم أُطلقت على الحكام المساعدين. فهم «آلهة». وقد سُميت الملائكة كذلك لأن الله رأى في مسرته أن يستخدمهم في إدارة هذا العالم الدنيوي، والقضاة في مكانة أقل يُعتبرون أيضا خداما لحفظ النظام والسلام، ولاسيما بالنسبة لعدالته في معاقبة الأشرار وحماية أولئك الذي يعملون خيرا. والقضاة الصالحون هم سفراء الله، ويعدون بركة لأي شعب. وفي دولة مختلطة نرى الملك، ورعاياه، ومجلسه الخاص، والبرلمان، ومجلس القضاء. «الله قائم»، في وسطهم «يقضي». وهم يستمدون سلطانهم منه، ومسئولون أمامه. والملوك يحكمون بواسطته. فالله يضع قلوبهم في يده، وسوف تصير مشوراته مهما كان ما يدبره الناس في قلوبهم. ليت القضاة يضعون هذا في الاعتبار ويخشونه لذلك، لأنه «هو معكم في أمر القضاء» (٢أخ ١٩: ٦؛ انظر أيضا تثنية ١: ١٧). ليت الناس يعرفون هذا ويكون فيه سبب تعزيتهم، لأن الملوك الصالحين، والقضاة العادلين، هم تحت التوجيه الإلهي، أما الأشرار منهم فيد الله تكبحهم.

ثانيا: تكليف لكل القضاة لكي يعملوا خيرا من

خلال السلطة المخولة لهم، ويعلمون أنهم سيُحاسبون على تصرفاتهم أمام ذاك الذي إئتمنهم على هذه السلطة (ع ٣ و٤): «اقضوا للذليل» الذي لا يمتلك ما يمكِّنه من الاستعانة بمشورة محام، «ولليتيم»، والذين فيما هم صغار السن غير قادرين على إعانة أنفسهم، فقدوا أولئك الذين كانوا مزمعين أن يرشدوهم في حداثتهم. والقضاة يجب أن يكونوا آباء لبلدهم بصفة عامة. عليهم إقامة العدل دونما تحيز، وأن ينصفوا «المسكين والبائس»، وعليهم أن ينقذوا أولئك الذين وقعوا بالفعل في أيدي الظالمين (ع ٤): «من يد الأشرار أنقذوا». هؤلاء الأشرار لا يُنتظر أن يُجنى أي مكسب من ورائهم، ومع ذلك فهؤلاء هم الفئة التي يجب تبنِّي قضاياها.

ثالثا: اتهام موجه ضد القضاة (ع ٢، ٥). يرفعون «وجوه الأشرار» على النقيض من قوانين العدالة وما تمليه عليهم ضمائرهم.

والانحياز إلى الظلم أمر شرير، أما الدفاع عن الظالم فهو أشر بكثير، لأنه إتيان للظلم تحت ستار العدالة. ولقد قيل لهم بكل وضوح أنه من عملهم وواجبهم أن يحموا الفقير وينقذوه، ومع ذلك يساندون الظالمين، لأنهم «لا يعلمون ولا يفهمون». لقد خدعوا ضمائرهم وعلى ذلك «في الظلمة يتمشون». وماذا كانت عاقبة هذه الخطية: «تتزعزع كل أسس الأرض». فشل الشخصيات العامة يُعد من الأضرار العامة.

عدد ٦ – ٨

اعتُرف بكرامة شخصياتهم (ع ٦): «أنا قلت إنكم آلهة» وقد دعاهم «آلهة» لأنهم مكلفون بمهمة من قبل الله، وقد انتدبهم وعينهم بمعرفته لكي يكونوا حفظة للأمن العام.

لقد أعطاهم الله بعضا من كرامته، واستخدمهم في تدبير عنايته للعالم. إنه لأمر صعب بالنسبة للناس أن يُعطوا هذا القدر الكبير من الكرامة من قبل الله، وأن يلاقوا هذا الاحترام الكبير من الناس، وألا يدفعهم ذلك إلى التكبر والغطرسة. غير أننا نجد هنا اعتبارا رهيبا: «لكن مثل الناس تموتون». ويمكن أخذ هذه العبارة على أنها تعني:

(١) عقوبة للقضاة الأشرار، مثل الذين يحكمون جورا، وبإساءة حكمهم «تتزعزع كل أسس الأرض». سوف يموتون مثل بقية الأشرار. «وكأحد الرؤساء تسقطون»، أو

(٢) كفترة مجد كل القضاة في هذا العالم. لقد دُعيتم آلهة غير أنه ليست لديكم أية ميزة للخلود: «لكن مثل الناس تموتون»، مثل بقية الناس «وكأحد الرؤساء تسقطون». فالموت يخلط الصولجان مع المذراة.

تمجد إله السماء (ع ٨). لم يجد المرنم أية فائدة ترجى من مجادلة هؤلاء الظالمين المتغطرسين، ولذلك تطلع إلى الله وتضرع إليه قائلا: «قم يا الله. دِن الأرض. لأنك أنت تمتلك كل الأمم».

ويجب علينا أن نصلي في إطار هذا الإيمان «قم يا الله. دِن الأرض» قم على أولئك الذين يحكمون ظلما، وأقم رعاة على شعبك بحسب قلبك. إنها صلاة ترجو مجيء المسيح الذي يحكم الأرض، وأن الله سيعطيه الأمم ميراثا له.

المزمور الثالث والثمانون

تسبيحة. مزمور لآساف

هذا المزمور هو آخر المزامير التي وردت باسم آساف. ويظن البعض أنه كُتب بمناسبة التهديد بغزو أرض يهوذا أيام يهوشافاط والذي صدر عن الموآبيين وبني عمون، الذين هم من أبناء لوط والذين أُشير إليهم هنا في آية ٨، الذين كانوا على رأس التحالف (٢أخ ٢٠: ١). وثمة آخرون يعتقدون أنه كُتب بمناسبة كل التحالفات التي تشكلت من القوى المجاورة ضد إسرائيل من البداية حتى النهاية. ويناشد المرنم الله هنا:

أولا: مستندا إلى معرفة الله، بعرضه مؤامراتهم ومحاولاتهم دمار إسرائيل (ع ١ – ٨).

ثانيا: استند إلى عدالة الله وذلك بصلاة حماسية من أجل إفشال محاولتهم (ع ٩ – ١٨).

عدد ١ – ٨

كان شعب الله إسرائيل في خطر ومحنة عظيمة.

أولا: يلتمس المرنم هنا أن يظهر الله للدفاع عن الشعب المهدد (ع ١): «اللهم لا تصمت»، بل انتقم

لنا ضد أولئك الذين يظلموننا ظلما بينا. أحيانا يركن الله إلى السلام، كما لو كان سينزع إلى الحياد التام، ويدعهم في ظلمهم. وبعدئذ يسمح لنا بأن نصرخ إليه كما هو الحال هنا: «اللهم لا تصمت». تكلم معنا بواسطة الأنبياء تشجيعا لنا لتزيل عنا مخاوفنا. تكلم يا رب من أجلنا وضد أعدائنا بواسطة عنايتك. تكلم بالخلاص لنا، وبالإحباط لأعدائنا.

ثانيا: إشارة إلى التحالف الكبير ضد إسرائيل والذي قام من الأمم المجاورة لها، وقد تضرع إلى الله لكي يقضي عليه.

لقد تشكل هذا التحالف ضد شعب الله. فقد كانوا يكرهون الذين يعبدون الله، لأنهم كانوا يمقتون ديانة الله المقدسة وكذلك عبادته. لأنهم «عليك تعاهدوا عهدا» (ع ٥). ويقول المرنم: إنهم أعداؤك يا رب، «وتشاوروا على أحميائك»، وشعب الله هم أحمياؤه. وحياتهم «مستترة مع المسيح في الله» وقد أخذهم الله تحت حمايته الخاصة، ويخبئهم في تجويف يده. وهم يصممون على أن يدمروا أولئك الذين صمم الله على حفظهم. «أعداؤك يعجون» (ع ٢). ويحدثون ضجة في تذمرهم. وقد ورد هذا كمبرر يدعو الله ألا يركن إلى الصمت. فالأعداء يهددون ويتوعدون. لتُخرس يا رب ألسنتهم وهو يرجوه أن «يتكلم عليهم بغضبه، ويرجفهم بغيظه» (مز ٢: ٥). لقد «رفعوا الرأس». كدلالة على ثقتهم في نجاحهم، لقد بلغوا في غطرستهم حدا كما لو كانوا يستطيعون التغلب على القدير. «على شعبك مكروا مؤامرة» (ع ٣). ومهما كانت الخلافات التي تجري بين بعضهم بعضا، إلا أنهم «تآمروا بالقلب معا» (ع ٥) ضد شعب الله. ولا يهدفون إلى أقل من القضاء على إسرائيل واقتلاعها من جذورها (ع ٤): «قالوا هلم نُبدهم من بين الشعوب، ولا يُذكر اسم إسرائيل بعد»، كلا، ولا حتى في التاريخ. إنها الرغبة السرية لكثيرين من الأشرار ألا يكون ثمة وجود لكنيسة الله في العالم، وألا يكون هناك شيء يُسمى ديانة بين البشر. وإذ نفوا من قلوبهم كل معنى للديانة، فقد كان يسعدهم لو أن العالم كله حذا حذوهم. ولكن «الساكن في السماوات يضحك» ويستهزئ بهم. وقد ذُكرت هنا الأمم التي دخلت في هذا التحالف (ع ٦ – ٨) وهم: الأدوميون، والإسماعيليون، وكلاهما من أحفاد إبراهيم، وهم الذين قادوا الجيش وكانوا أقرب إلى إسرائيل من ناحية صلة الدم، ومع ذلك دخلوا في تحالف ضدها. ولا توجد روابط طبيعية قوية إلا وتجد أن روح الاضطهاد قد اقتحمها. «وسيسلم الأخ أخاه إلى الموت». وكان الفلسطينيون يشكلون منذ أمد بعيد شوكة في جنب إسرائيل، وكانوا يضايقونهم بصفة دائمة. وحتى «أشور أيضا اتفق معهم».

عدد ٩ – ١٨

يصلي المرنم من أجل دمار هذه القوات المتحالفة، ويتنبأ عن ذلك باسم الله. وقد وصلت هذه النبوة إلى جميع أعداء كنيسة الإنجيل.

أولا: هزيمة المجموعات السابقة والإطاحة بها يمكن ذكرها لله في الصلاة، لأن الله لا يزال كما هو بالنسبة لشعبه، كما أنه لم يتغير بالنسبة لموقفه ضد أعدائه وأعدائهم، لأنه ليس عنده تغيير. «افعل بهم كما بمديان»، لتجعلهم يُدحرون نتيجة خوفهم، كما حدث مع المديانيين حيث دُحروا نتيجة خوفهم بأكثر مما قهرهم رجال جدعون الثلاثمائة. افعل بهم كما فعلت بالجيش الذي كان تحت قيادة سيسرا (الذي كان قائد الجيش تحت أمرة يابين ملك كنعان) الذي هزمه الله (قض ٤: ١٥) حيث «صاروا دمنا للأرض»، فقد كانت جثثهم مطروحة على الأرض كأكوام الروث، وهذا ما فعل بهم جيش باراق الصغير، ولكنه كان الجيش المنتصر. لتهلك كل أعدائك يا رب. وهو يصلي من أجل أن يهلك قادتهم كما حدث في السابق (ع ١١ و١٢). لقد قالوا: «لنمتلك لأنفسنا مساكن الله» (ع ١٢)، أفضل الأماكن الخاصة بالله (هذا معنى الكلمة) الأمر الذي يُفهم منه أنهم يقصدون أرض كنعان، التي كانت أرضا طيبة. كانت أرض عمانوئيل، أو الهيكل، «بيت قدسنا وجمالنا» (إش ٦٤: ١١)، أو المراعي الجميلة. لكن تلك الشعوب المذكورة في آية ٦ كانت بطريقة أو أخرى تسعى للحصول عليها، وسوف يُصنع بهم ما عُمل بالنسبة لكل من «غراب» و«ذئب» (قض ٧: ٢٥) وكما عُمل لكل من «زيح» و«صلمناع» (قض ٨: ٢١).

ثانيا: يصلي من أجل أن يجعلهم الله «مثل

الجل» (ع ١٣)، حتى يصبحوا في حركة مستمرة، غير مستقرين، طائشين في جميع مشوراتهم، حتى يندفعوا بسهولة وسرعة إلى خرابهم. لا تعطهم ثباتا أكثر مما لقشة خفيفة تدفعها الريح حيثما تشاء. وحين تدفع الريح القشة تجدها وقد استقرت أخيرا تحت جدار ما، أو في حفرة، أو ما إلى ذلك، ولكنه يصلي ليس من أجل أن يُطردوا مثل القشة فحسب، بل يُحرقوا بالنار. ولتطبيق هذه التشبيهات نجد آية ١٥: «هكذا اطردهم بعاصفتك»، تابعهم حتى خرابهم التام، «وبزوبعتك روعهم».

ثالثا: صور ذلك بالنتائج المواتية الناجمة عن اضطرابهم (ع ١٦ – ١٨). لقد بذلوا كل ما في وسعهم لكي يلحقوا الخزي بشعب الله، لكن الخزي سيكون من نصيبهم في نهاية المطاف. وبداية هذا العار قد يكون وسيلة لتجديدهم. لتفشل وتنهار كل محاولاتهم «فيطلبوا اسمك يا رب».

أما الذي يجب أن نريده بحرارة ونطلبه من الله من أجل أعدائنا ومضطهدينا، فهو أن يرشدهم الله إلى التوبة، وألا نتمنى لهم أي اضطراب سوى ما يشكل خطوة على طريق توبتهم.

وما لم يخزوا ويتوبوا، ليحل بهم العار، حتى يُعرف ويُعترف– إذا لم يعترفوا هم– أن «اسمك يهوه وحدك العلي على كل الأرض» (الاسم الذي يجل عن الوصف).

المزمور الرابع والثمانون

لإمام المغنين على الجتية. لبني قورح. مزمور

هناك من يعتقدون أن داود كتب هذا المزمور حين اضطر– نتيجة ثورة أبشالوم– إلى مغادرة المدينة، والتي حزن كثيرا لغيابه عنها، لأنها كانت المدينة المقدسة. ويضم هذا المزمور تنفيس روح تقية تتمسك بالله وبالشركة معه. وعلى الرغم من أن عنوانه لا يتضمن ذلك، إلا أنه يمكن النظر إليه باعتباره مزمورا أو تسبيحة ليوم السبت. والمرنم هنا، بإخلاص عظيم يعبر عن محبته:

أولا: لأحكام الله (ع ١)، رغبته حيالها (ع ٢ و٣)، اعتقاده في سعادة أولئك الذين يتمتعون بها (ع ٤ – ٧)، وتمتعه بها (ع ١٠).

ثانيا: رغبته ونواياه تجاه إله هذه الفرائض (ع ٨ و٩)، وإيمانه به (ع ١١)، وسعادة أولئك الذين يضعون ثقتهم فيه (ع ١٢).

عدد ١ – ٧

وإذ مُنع المرنم هنا بالقوة من خدمة الله في الفرائض العامة، فقد سيطرت عليه قناعة أكثر وضوحا عن ذي قبل بمدى جدراتها.

أولا: الجمال الرائع الذي رآه في الفرائض الإلهية (ع ١): «ما أحلى مساكنك يا رب الجنود». وما أروع المقدس في عيون أولئك الذين هم مقدسون بالفعل. والنفوس التقية ترى جمالا عجيبا في القداسة، لا يُعبر عنه، وكذلك في العمل الديني. وخيمة الاجتماع كانت مسكنا متواضعا، ولكن جمال القداسة جمال روحي، ومجدها داخلي.

ثانيا: لهفته إلى عودته إلى التمتع بالفرائض العامة، أو بالأحرى في الله الذي فيها (ع ٢). كانت رغبة عارمة شاملة: الجسد، والنفس، والروح. كانت رغبة ملكت على فؤاده. لقد اشتهى، وبُهت، وصرخ. ولم تكن ديار الرب هي التي اشتهاها، بل إنه صرخ في الصلاة من أجل «الإله الحي» نفسه. والفرائض أمور عقيمة ما لم نتقابل مع الله فيها.

ثالثا: حسده لسعادة الطيور الصغيرة التي اتخذت أعشاشها في المباني المتاخمة لمذابح الله (ع ٣): «العصفور أيضا وجد بيتا والسنونة عشا لنفسها». هذه الطيور البسيطة، بالغريزة وتوجيهات الطبيعة أوجدت لنفسها عشا في البيوت، مثلما تفعل الطيور الأخرى في الغابات: ومثل هذه يفترض داود أنها كانت موجودة في المباني المحيطة بديار الرب، وتمنى لنفسه لو أنه كان معها. كان يفضل أن يعيش في عش طائر بالقرب من مقدس الرب على أن يعيش في قصر بعيد عنه. كان في بعض الأحيان يتمنى لو كان له جناحا حمامة، لكي يطير بهما إلى البرية، أما هنا فيتمنى لو كان له جناحا عصفور ليطير بهما دون أن يكتشفه أحد إلى ديار الرب. والكلمة المترجمة «عصفور» يُقصد بها أي طائر صغير (وإذا كان لي أن أخمن شيئا) فلعله في أيام داود، كان للموسيقى دور كبير في الخدمة

الدينية، ولكي يستكملوا التناغم كانوا يحتفظون بطيور مغردة داخل أقفاص كانت تُعلق حول دور خيمة الاجتماع (لأننا نجد إشارة إلى الطيور المغردة لمجد الله في مزمور ١٠٤: ١٢)، وداود يحسد سعادة هذه الطيور، وكان يتمنى لو أنه واحد منهم. ولم يحسد داود سعادة الطيور التي كانت تطير فوق المذبح، بل تلك التي بنت لنفسها عشا هناك. وكان داود يعتقد أنه لا يكفي أن يسكن في بيت الله كمسافر يقضي ليلته فقط، بل كان يريد أن يكون ذلك راحته، بيته، وهنا يسكن. ولقد ذكر أن هذه الطيور لم تكن لها أعشاش هناك لنفسها فقط، بل إنها تضع هناك صغارها أيضا، لأن الذين لهم مكان في ديار الله نفسها لا يمكنهم إلا أن يرغبوا أن يكون لأولادهم أيضا مكان في بيت الله، يتمنون لهم هناك مكانا واسعا. ولنلاحظ كيف ينظر إلى الله في كلامه هذا: «يا رب الجنود ملكي وإلهي». وأين يبحث أحد الرعايا المساكين المطحونين عن الحماية إلا مع مليكه؟ إلا يجب على الشعب أن يطلب إلهه؟ ملكي، إلهي، هو رب الجنود، ليتني أعيش وأموت إلى جواره وإلى جوار مذابحه.

رابعا: اعترافه بسعادة الخدام والشعب الذين ينعمون بحرية الذهاب إلى بيت الله. طوبى للخدام (الكهنة واللاويون) الذين لهم مساكنهم حول خيمة الاجتماع، ويُستخدمون في خدمتها (ع ٤). إنهم «أبدا يسبحونك». وإذا كانت هناك سماء على الأرض، فإنما تكون في تسبيح الله، وفي حمده بصفة دائمة. وإذا ما طبقنا هذا على بيته الفوقاني، فطوبى لأولئك الذين يسكنون هناك، الملائكة والقديسون الممجدون، لأنهم لا يفترون نهارا وليلا عن تسبيح الله. وطوبى لشعب وسكان البلاد الذين على الرغم من أنهم لا يسكنون بصفة دائمة في بيت الله مثل الكهنة، إلا أنهم مع ذلك يستطيعون الذهاب إليه متى شاءوا (ع ٥ – ٧). «طوبى لأناس عزهم بك»، طوبى لمن يتخذك قوة له، ويثبت نفسه بكل قوة فيك. إنهم من يقتحمون الصعاب ويتغلبون على كل المثبطات وذلك لتعلقهم بالله في فرائضه المقدسة (ع ٦)، فحين يأتون من الريف للعبادة في وقت الأعياد، فإنهم في طريقهم يعبرون وديانا جافة ورملية (كما يفهمها البعض)، ويكونون أثناء ذلك على استعداد للموت عطشا، ولكنهم يحفرون حفرا صغيرة وذلك لاستقبال وحفظ ماء المطر لشربه والتخلص من الظمأ. ويعترض طريقهم كثير من وديان «البكاء»، وكثيرون يفهمون كلمة البكاء على أنها تشير إلى وديان كثيرة تتوافر فيها المياه، والتي في الفصول المطيرة تغطيها أمطار الخريف بالبرك فيصبح المرور بها عسيرا، غير أنهم بتصريف هذه البرك يعملون طريقا خلالها لصالح أولئك الذين يصعدون إلى أورشليم. ويجب الاهتمام بإصلاح الطرق الموصلة إلى الكنيسة بنفس الاهتمام الذي يُولى للطرق المؤدية إلى السوق. غير أن الغرض من كل هذا هو توضيح نيتهم الطيبة لقيامهم بهذه الرحلة. وطريقنا إلى السماء يقع عبر «وادي البكاء»، غير أنه حتى هذا يمكننا أن نجعله ينبوعا إذا ما أحسنا استخدام الأشياء التي يتيحها لنا الله من أجل المسافرين إلى المدينة السمائية. وهم كمن لا يزالون يجاهدون في طريقهم إلى أن يأتوا أخيرا إلى نهاية رحلتهم (ع ٧): «يذهبون من قوة إلى قوة». وبدلا من أن يحل بهم التعب فضلا عن الملل والصعوبات التي يصادفونها أثناء رحلتهم، تراهم كلما ازدادوا قربا من أورشليم زادت حيويتهم وزاد فرحهم. وأولئك الذين يواصلون بعزم في طريقهم المسيحي سوف يجدون «نعمة فوق نعمة» (يو ١: ١٦).

عدد ٨– ١٢

أولا: يصلي المرنم من أجل أن يستمع الله إليه ويقبل صلاته (ع ٨ و٩). ويُسمي نفسه (كما يعتقد كثيرون): «مسيحك»، وذلك لأن داود مُسح بواسطته ومن أجله. وهو يخاطب الله بكثير من ألقابه المجيدة مثل «الرب إله الجنود»، الذي له السيطرة على جميع المخلوقات، وباعتباره «إله يعقوب»، الإله الذي دخل في عهد مع شعبه.

ثانيا: يستند إلى محبته لأحكام الله واتكاله على الله نفسه.

(١) ديار الله هي أفضل ما يرغبه (ع ١٠): «لأن يوما واحدا في ديارك»، يُقضى في حضور خدمات العبادة والصلاة، بعيدا تماما عن كل الأمور الدنيوية «خير من ألف» يوم يُقضى في أي مكان آخر في هذا

العالم. «اخترت الوقوف على العتبة»، في أقل وضع «في بيت إلهي على السكن» في رفاهية، كسيد «في خيام الأشرار». أفضل أن أكون بوابا في بيت الله عن أن أكون أميرا في تلك الخيام التي يسودها الشر، أفضل أن أرقد على العتبة (وهذا ما تعنية الكلمة) وهو مكان المتسولين (أع ٣: ٢)، لا يهمني ذلك، كما يقول داود، ليكن هذا مكاني فهو أفضل من ألا يكون لي مكان هناك.

(٢) الله نفسه هو رجاؤه وفرحه، وكل شيء بالنسبة له. «لأن الرب الله شمس ومجن». نحن هنا في ظلام، غير أنه إذا كان الله هو إلهنا، فسوف يكون شمسا لنا، لكي ينيرنا ويقوينا، يرشدنا ويوجهنا. نحن هنا في خطر، ولكنه سيكون لنا كالمجن، يحمينا ويضمن سلامتنا. «الرب يعطي رحمة ومجدا». والرحمة هنا يُقصد بها مقاصد الله الطيبة نحونا وعمله الطيب فينا: والمجد يعني الكرامة التي يضفيها علينا، إذ يعطينا نعمة التبني، وتلك التي يهيئها لنا في إعطائنا ميراث الأبناء الذين يعطيهم الله نعمة في هذا العالم كتمهيد للمجد، ويعطيهم المجد في العالم الآخر كتتمة للنعمة، وكلاهما هبة من الله، وعطية مجانية. وهو «لا يمنع خيرا عن السالكين بالكمال». وهذا وعد شامل، وهو ضمان أكيد لتعزية القديسين في هذا العالم، من ناحية أنه، أيا كان ما يرغبونه أو يعتقدون أنهم في حاجة إليه، فعليهم أن يكونوا على ثقة في أنه إما أن حكمة الله غير المحدودة ترى أن هذا الأمر ليس في صالحهم، وإما أن صلاح الله غير المحدود يعطيه لهم في الوقت المناسب. وطوبى للذين يتمتعون بمزايا بيت الله. وما لم يكن بمقدورنا أن نذهب إلى بيت الرب، فبالإيمان يمكننا أن نذهب إلى رب البيت، وفيه نجد سعادتنا وقناعتنا.

المزمور الخامس والثمانون

لإمام المغنين. لبني قورح. مزمور

اتفقت وجهة نظر المفسرين بصفة عامة على أن هذا المزمور كُتب بعد عودة اليهود من السبي في بابل، وفيما كانوا لا يزالون تحت بعض علامات غضب الله. كانت العبادة هنا في طوفان، فوقها سحب، وتحتها أمواج، وكل شيء كان مظلما كئيبا. كانت مثل نوح وهو في الفلك، بين حياة وموت، بين رجاء وخوف، ولما كان هذا حالها.

أولا: هنا تُرسل الحمامة في الصلاة. والتضرعات ضد الخطية والغضب (ع ٤) وللرحمة والنعمة (ع ٧).

ثانيا: هنا تعود الحمامة بغصن الزيتون مبشرة بالسلام والأخبار السارة، ويتوقع المرنم عودتها (ع ٨) وبعد ذلك يسرد مراحم الله لإسرائيل والتي بروح النبوة يؤكدها للآخرين، وبروح الإيمان يؤكدها لنفسه (ع ٩ – ١٣).

عدد ١ – ٧

شعب الله، وهو في حالته المتدنية وما هو عليه من ضعف، يتعلمون هنا كيف يخاطبون الله.

أولا: عليهم الاعتراف شاكرين بالأمور العظيمة التي عملها الله لهم (ع ١– ٣)، لقد بين الله سماحته وكرمه لأرضهم، وسُر بها كأرضه: «رضيت يا رب على أرضك»، اعتبرتها أرضك وأنعمت عليها بنعم كثيرة. ولم يعاملهم بحسب استحقاق برية استفزازاتهم (ع ٢): «غفرت إثم شعبك»، ولم تعاقبهم بحسب عدلك وحقك. «سترت كل خطيتهم». فاستعادتهم من السبي كانت في ذلك الحين مثالا على نعمة الله عليهم، ولاسيما أنه قد صاحب ذلك غفران خطاياهم. فإذ «سترت كل خطيتهم» فإنك بهذا «حجزت كل رجزك»، لأنه حين تُترك الخطية، يتوقف غضب الله. فالله يرجع عن غضبه إذا ما نقينا أنفسنا.

ثانيا: علمهم هذا أن يصلوا إلى الله طالبين نعمته ورحمته، بالنسبة لمحنتهم الراهنة، وهذا ما استدلوا عليه من مراحمه السابقة: لأنك يا رب عملت خيرا كثيرا لآبائنا، فعاملنا نحن أيضا بنعمتك، لأننا أولاد نفس العهد الذي قطعته لآبائنا.

(١) صلوا من أجل نعمته المجددة: «أرجعنا يا إله خلاصنا».

(٢) صلوا لكي يزيل الله كل علامات غضبه عليهم: «وانف غضبك عنا». ونلاحظ هنا الطريقة: أولا، ارجعنا إليك، وبعد ذلك اصرف غضبك عنا.

(٣) صلوا لكي يظهر الله لهم مقاصده الطيبة نحوهم (ع ٧): «أرنا يا رب رحمتك». أعطنا أن نعرف أنك سترحمنا وأنك تحتفظ برحمة لنا.

(٤) صلوا لكي يتدخل الله لصالحهم: «وأعطنا خلاصك»، أعطه لنا حسب وعدك، وبعدئذ، لا ريب في أنك ستجعل عنايتك الإلهية تعمل على هذا الأساس.

ثالثا: تعلموا بأن يتكلموا مع الله بخشوع فيما يتعلق بمتاعبهم الراهنة (ع ٥): «هل إلى الدهر تسخط علينا. هل تطيل غضبك إلى دور فدور؟» لم تغضب على آبائنا إلى الأبد، بل رجعت سريعا عن حمو غضبك، فلماذا إذًا تسخط علينا إلى الأبد؟

«ألا تعود أنت فتحيينا» (ع ٦)، تحيينا بالخلاص الذي عملته لنا؟ لقد أعطى الله لأبناء السبي «حياة قليلة» في عبوديتهم (عز ٩: ٨). وعودتهم من السبي في بابل كانت بمثابة حياة من الموت (حز ٣٧: ١١ و١٢). ولذلك يقولون الآن: «ألا تعود أنت فتحيينا»، ألن تعيد يدك ثانية لتقتني بقية شعبك، وتجمعنا معا ثانية؟ (مز ١٢٦: ١، ٤؛ إش ١١: ١١) «يا رب عملك في وسط السنين أحيه» (حب ٣: ٢). أحينا ثانية. وإذا كان الله هو مصدر كل مراحمنا، فيجب أن يكون مركز كل أفراحنا.

عدد ٨- ١٣

نجد في هذه الفقرة إجابات لصلواتهم والتماساتهم.

أولا: بصفة عامة، إنها إجابة سلامية. فالمرنم (ع ٨) على مرصده يقف ليسمع «ما يتكلم به الله». استريحي يا نفسي، في صمت وخشوع، انصتي إلى الله وانتظري ما يعمله. لقد تكلمت بما فيه الكفاية، أما الآن فأنصت إلى ما سيقوله الله، وسأرحب بمشيئته المقدسة. ماذا يقول الرب لعبده؟ إنه «يتكلم بالسلام لشعبه ولأتقيائه». إن عاجلا أم آجلا سيتكلم الله بالسلام لهم. وإذا لم يأمر بالسلام الخارجي، فإنه مع ذلك سيعطي سلاما داخليا. سوف يتكلم بروحه إلى قلوبهم، ما قاله لأذنهم بكلمته وخدامه ويجعلهم يفرحون ويسعدون بما سمعوا. لقد تعزى المرنم بهذا، وهكذا يتعين علينا نحن أيضا أن نتعزى به: «إني أسمع ما يتكلم به الله الرب»، سأسمع تأكيدات السلام التي يعطيها لنا استجابة لصلاتنا. ولكن «فلا يرجعن إلى الحماقة»، لأنه على هذا الأساس وليس على أي شرط آخر، عليهم أن يتوقعوا السلام.

ثانيا: نجد هنا تفاصيل هذه الاستجابة التي تعد بالسلام. فهو يعطينا أن نتوقع بفرح ازدهار حال الجماعة وذلك في الأعداد الخمسة الأخيرة من المزمور، والتي تصف السلام والازدهار اللذين أنعم بهما الله على أبناء السبي بعد أن استقروا أخيرا في أرضهم. غير أنها يمكن أن تُؤخذ أيضا على أنها كوعد لجميع الذين يتقون الله ويعملون البر، بأنهم سيكونون سعداء راضين، كما تُؤخذ أيضا على أنها نبوة عن الملكوت، عن المسيح والبركات التي سيذخر بها هذا الملكوت.

(١) العون قريب (ع ٩): «لأن خلاصه قريب». وحين ضوعفت حصة الآجر، هنا جاء موسى. وحين تكون المتاعب قريبة يكون الخلاص قريبا، لأن الله عون حاضر في وقت الشدة لكل الذين هم له.

(٢) أُعيدت إليهم كرامتهم: «ليسكن المجد في أرضنا» حتى تستقر وتترسخ عبادة الله بيننا، لأن هذا هو مجد أرضنا. حينما تذهب العبادة، «إيخابود» يكون قد زال المجد، وإذا بقيت يسكن المجد.

(٣) الرحمات تتلاقى وتتعانق في سعادة (ع ١٠ و١١): «الرحمة والحق التقيا. البر والسلام تلاثما». وقد تعني هذه العبارة:

أ. إصلاح الشعب والقيادة. وفي أي اجتماع تلتقي فيه الرحمة والحق، ويتلاثم البر والسلام، ويكون للأمانة العامة وجود حقيقي، هنا يسكن المجد في الأرض.

ب. عودة رضى الله عليهم. حين يعود شعب إلى الله يعود هو إليهم ويسكن في وسطهم عن طريق الرحمة. والبعض يفهم العبارة على أنها تعني أن أمانة الإنسان ومحبة الله، بر الإنسان وسلام الله، هذه كلها تلتقي معا. وإذا رأينا «الحق من الأرض ينبت»، أي من قلوب الناس التي هي التربة المناسبة لنموه، فإن «البر (أي رحمة الله) من السماء يطلع»، كما تطلع الشمس على العالم حيث تنشر تأثيراتها على إنتاجية الأرض وتعززها.

ج. تناغم السمات الإلهية في أعمال المسيح. لقد خُطط لخلاصنا على أفضل وجه، ونُفذ بشكل ممتاز،

حتى يشمل الله الخطاة المساكين برحمته، ويكون في سلام معهم، دون انتقاص لحقه وعدله.

(٤) يعطي بسخاء كبير كل شيء يرغبونه (ع ٢١): «الرب يعطي الخير»،كل ما يراه خيرا لنا. وحين يسكن مجد الإنجيل في أرضنا، هنا تعطي خيراتها الوفيرة.

(٥) إرشاد أكيد للطريق الصحيح (ع ١٣): «البر» الخاص بوعده الأكيد بسعادتنا، وبر تقديسنا، «قدامه يسلك» ليهيئ طريقه، وهذه ستكون دليلنا لنهيئ «طريق خطواته» حتى نذهب لمقابلته حين يأتي إلينا في رحمته.

المزمور السادس والثمانون

صلاة لداود

عنوان هذا المزمور «صلاة لداود»، ولعلها صلاة اعتاد أن يُصليها، ويوصي الآخرين بها لفائدتها، ولاسيما في وقت المحنة.

وداود في هذه الصلاة،

أولا: يعطي المجد لله (ع ٨ – ١٠، ١٢ و١٣).

ثانيا: يطلب نعمة أن يستمع الله لصلواته (ع ١، ٦ و٧)، وأن يحفظه وينجيه، وأن يكون رحيما به (ع ٢ و٣، ١٦)، وأن يعطيه فرحا ونعمة وقوة، وأن يكرمه في نظر أعدائه (ع ٤، ١١، ١٧). وهو يستند إلى صلاح الله (ع ٥، ١٥) وحقد أعدائه (ع ١٤).

عدد ١ – ٧

نُشر هذا المزمور تحت عنوان «صلاة لداود».

أولا: التضرعات التي رفعها إلى الله. «إليك يا رب أرفع نفسي». وهذا ما سبق أن قاله في مزمور ٢٥: ١. وفي جميع أجزاء الصلاة يجب أن تصعد النفس على أجنحة الإيمان والرغبة المقدسة.

(١) يلتمس أن يتكرم الله ويستمع إلى صلواته (ع ١): «أمل يا رب أذنك. استجب لي». وحين يستمع الله لصلواتنا فمن الصواب القول بأنه أمال أذنه لها، وهذا هو معنى هذه الكلمة، إنه لتنازل عجيب من الله أن يُسر بالاهتمام بمخلوقات بسيطة مثلنا وأن يستمع إلى صلوات ناقصة كصلواتنا.

(٢) يلتمس أن يتفضل الله ويشمله بحمايته الخاصة (ع ٢): «احفظ نفسي... خلص أنت عبدك». احفظ حياتي من ذلك الشرير الوحيد والخطر على النفوس، احفظها من الخطية، احفظ نفسي، وبهذا تخلصني. كل الذين يخلصهم الله يحفظهم، وسوف يحفظهم لملكوته السماوي.

(٣) يلتمس أن ينظر إليه الله بعين العطف والشفقة (ع ٣): «ارحمني يا رب». فالناس لا يبدون أية رحمة، ونحن أنفسنا لا نستحق أي رحمة، لكن يا رب، من أجل رحمتك «ارحمني».

(٤) يلتمس أن يملأه الله بتعزية داخلية (ع ٤): «فرح نفس عبدك». إن الله وحده هو الذي يستطيع أن يفرح القلب ويبهج النفس، ومن واجب الذين هم عبيد الله أن يعبدوا «الرب بفرح» وأن يمتلئوا فرحا وسلاما في الإيمان، ويصلوا في إيمان. والصلاة هي مصدر الفرح الروحي.

ثانيا: الحجج التي دعم بها هذه التضرعات.

(١) استند إلى علاقته بالله: أنت إلهي، الذي كرست له نفسي والذي عليه أتكل، وأنا عبدك (ع ٢).

(٢) استند إلى محنته: «استجب لي. لأني مسكين وبائس أنا».

(٣) يستند إلى مقاصد الله الطيبة تجاه الذين يطلبونه (ع ٥): «إليك يا رب أرفع نفسي. لأنك أنت يا رب صالح».

(٤) يستند إلى عمل الله الصالح في نفسه، والذي أهله به كعلامة لإرضائه. «لأني تقي»، ولذلك «احفظ نفسي». ولم يقل هذا في افتخار ومجد باطل، بل بكل خشوع وشكر لله. إني تقي وأنت أفرزتني لنفسك. ومع ذلك فإني «مسكين»، فقير في العالم ولكني غني في الإيمان وإني «إليك أصرخ اليوم كله» (ع ٣).

إنه لأمر معز إذا ما وجدت المحنة عجلات الصلاة دائرة، وأنه لن يُبدأ في تشغيلها عندئذ فحسب. «في يوم ضيقي»، وأيا كان ما يفعله الآخرون فإني «أدعوك»، وأضع حالتي بين يديك، لأنك ستسمعني وتستجيب لي.

عدد ٨- ١٧

يواصل داود هنا صلاته

أولا: أعطى المجد لله «بين الآلهة».. الآلهة الكذبة، التي يعبدها الوثنيون: الملائكة، ملوك الأرض، بين كل هؤلاء «لا مثل لك» يا رب، ليس أحد في حكمتك وقوتك، وصلاحك، «ولا مثل أعمالك» والتي تُعد دليلا لا يمكن إنكاره على أنه ليس أحد مثله. وكمصدر لكل كائن، ومركز لكل تسبيح وحمد (ع ٩): «كل الأمم الذين صنعتهم»، الذين خلقتهم جميعا «من دم واحد» كلهم يستمدون وجودهم منك، ويتكلون عليك بصفة دائمة، ولذلك «يأتون ويسجدون أمامك يا رب ويمجدون اسمك». وهذا ما سيتحقق بالكامل أيام المسيح. ولذلك كل الأمم سيسجدون لك، لأنه باعتبارك ملك الأمم فإنك «عظيم أنت»، وسيادتك مطلقة، ودليل على ذلك فإنك «صانع عجائب. أنت الله وحدك» ولا يقتصر الأمر على أنه «لا مثل لك»، بل وليس إله إلى جوارك. فالإنسان سيئ وشرير جدا وفاسد للغاية (ع ١٤)، ولا نتوقع الرحمة من أي إنسان، «أما أنت يا رب فإله رحيم ورؤوف» (ع ١٥). فالناس متوحشون، لكن الله رحيم، الإنسان زائف، غير أن الله أمين. والله ليس رحيما فحسب، بل كله رحمة، وفيه «الرحمة تفتخر على الحكم». إن ما يعطي بعض الرضا للرجل التقي أن يعرف أن آخرين سوف يسبحون الله ويمجدونه، غير أن اهتمامه الأكبر وسروره البالغ أن يعمل ذلك بنفسه. وأيا كان ما يعمله الآخرون، يقول داود «أحمدك يا رب إلهي»، ليس باعتبارك الرب فقط، بل كإلهي أيضا. وسأفعل ذلك طالما حييت، وآمل أن أفعل ذلك إلى الأبد. ولديه سبب قوي يحمله على أن يصمم على أن يحمد الله على هذا النحو: «لأن رحمتك عظيمة نحوي، وقد نجيت نفسي من الهاوية السفلى».

ثانيا: صلى بحرارة يطلب رحمة ونعمة من الله. واشتكى من حقد أعدائه ومؤامراتهم الدائمة ضده (ع ١٤): «المتكبرون... العتاة طلبوا نفسي» في ثورة علنية، وهم لا يستهدفون مجرد خلعي، بل القضاء عليَّ. انقذني منهم يا رب، لأنهم أعداؤك كما هم أعدائي. وكانت التماساته:

(١) من أجل أن تعمل فيه نعمة الله «علمني يا رب طريقك» (ع ١١)، الطريق الذي عينته لأسير فيه، وحين أكون في ريب منه، وضح لي يا رب ما يتعين عليَّ عمله، دعني أسمع الصوت القائل: هذا هو الطريق، «علمني يا رب طريقك. أسلك في حقك». ولعلنا نظن أنه كان يجب أن يقول علمني حقك، أسلك في طريقك، ولكن النهاية واحدة، أن الله يعلم طريق الحق، وهذا ما يجب أن نختاره ونسير فيه (مز ١١٩: ٣٠). والمسيح هو الطريق والحق، ويجب علينا أن نتعلم المسيح ونسير فيه. «وحِّد قلبي لخوف اسمك». اجعلني مخلصا في حياة التقوى. فالمرائي له قلبان، ليكن قلبي موحدا وخالصا لله، وليس منقسما بينه وبين العالم، ولا يتيه فيه.

(٢) من أجل علامات رضى الله عليه (ع ١٦ و١٧). وهو هنا يصلي من أجل ثلاثة أمور:

أ. أن يعطيه الله سلاما وراحة فيه: «التفت إليَّ» كما تلتفت إلى شخص تحبه.

ب. أن يعمل الله من أجل خلاصه ويعطيه طمأنينة: «أعط عبدك قوتك»، حتى أستطيع أن أعين نفسي، لتعمل قوتك من أجلي، حتى أستطيع الخلاص من أيدي الذين يسعون لهلاكي.

ج. أن يظهر الله نعمته عليه: «اصنع معي آية للخير». لتعطني بعض أمثلة من فضلك عليَّ «فيرى ذلك مبغضيَّ فيخزوا» لعداوتهم لي، كما سيخزون أيضا حين يرون أنك «أنت يا رب أعنتني وعزيتني».

المزمور السابع والثمانون

لبني قورح. مزمور تسبيحة

كان المزمور السابق واضحا للغاية، أما هذا المزمور فيتضمن أمورا غامضة صعبة الفهم. إنه مديح لصهيون، باعتبار أنها رمز يمثل كنيسة الإنجيل، ومن أجل الهيكل تم الإطراء عليها هنا.

أولا: قبل سائر أرض كنعان، على اعتبار أن الله اختصها بعلامات خاصة تدل على تمييزه لها (ع ١ – ٣).

ثانيا: قبل أي مكان أو بلد آخر مهما كان، على اعتبار أنها عامرة برجال بارزين وأنها اختصت بمزيد من البركات الإلهية العظيمة (ع ٤ – ٧). ويقول البعض إن هذا المزمور قد كُتب للتعبير عن فرح شعب الله حين كانت صهيون في حالة من الازدهار. وآخرون يعتقدون أنه كُتب لتشجيع

إيمانهم ورجائهم حينما كانت صهيون مجرد أطلال وكان يجب إعادة بنائها بعد السبي.

عدد ١ – ٣

البعض يأخذ الكلمات الواردة في بداية المزمور على أنها جزء من العنوان. إنه مزمور أو تسبيحة موضوعها الجبال المقدسة– وقد بُني الهيكل في صهيون على جبل المريا. وثمة ثلاثة أمور لُوحظت هنا عند إطراء الهيكل:

(١) إن «أساسه في الجبال المقدسة» (ع ١). ولقد بُني على ارتفاع: «جبل بيت الرب يكون ثابتا في رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال» (إش ٢: ٢). لقد بني بشكل راسخ على الجبال الأبدية والتلال الدائمة، «فإن الجبال تزول، والآكام تتزعزع، أما إحساني فلا يزول عنك، وعهد سلامي لا يتزعزع» (إش ٥٤: ١٠). وهذا ما بُنيت عليه الكنيسة. فالقداسة هي قوة الكنيسة ورسخوها، وأساس تدعيمها وحفظها من الانهيار، وليس لأنها بُنيت على الجبال، بل لأنها بنيت على الجبال المقدسة– التي هي وعد الله.

(٢) وأن الله عبَّر عن محبة خاصة لها (ع ٢): «الرب أحب أبواب صهيون»، أبواب الهيكل، بيوت العقيدة (بحسب الترجمة الآرامية) «أكثر من جميع مساكن يعقوب»، سواء في أورشليم أو في أي مكان آخر بالبلاد.

(٣) وقد قيل الكثير بشأنها في كلمة الله (ع ٣): «قد قيل بك أمجاد يا مدينة الله». فقد قال الله عن الهيكل: «والآن قد اخترت وقدست هذا البيت ليكون اسمي فيه إلى الأبد وتكون عيناي وقلبي هناك كل الأيام» (٢أخ ٧: ١٦). ومع ذلك فقد قيلت أمور أعظم وأمجد عن كنيسة الإنجيل. إنها عروسة المسيح، التي اقتناها بدمه: «جنس مختار وكهنوت ملوكي، أمة مقدسة شعب اقتناء»، «وأبواب الجحيم لن تقوى عليها».

عدد ٤ – ٧

قُورنت صهيون هنا بأماكن أخرى وفُضلت عليها. فكنيسة المسيح أكثر مجدا وعظمة من أمم الأرض.

(١) اعتُرف بأن هناك أماكن أخرى لها أمجادها (ع ٤): «أذكر رهب (مصر) وبابل عارفتيَّ». «فلسطين وصور مع كوش»، ونلاحظ أن «هذا وُلد هناك»، هنا أو هناك قد يُوجد رجل شهير بارز عُرف بعلمه وفضيلته، يكون من مواطني هذه البلدان، وهنا أو هناك قد نجد واحدا قد آمن وأصبح يعبد الإله الحقيقي. غير أن البعض يفسرون هذه العبارة بمعنى آخر، قائلين إنها نبوة. فالله يقول: «أذكر مصر وبابل بين عارفتيَّ». سوف أعتبرهم شعبي مثل إسرائيل حين يقبلون إنجيل المسيح، وسأقبلهم كما لو كانوا قد وُلدوا في صهيون ولادة ثانية، وقد قبلوا ليتمتعوا بمزايا صهيون مثل الإسرائيليين الحقيقيين تماما. فهؤلاء الذين كانوا أجنبيين غرباء أصبحوا «رعية مع القديسين» (أف ٢: ١٩).

(٢) ثبت أن مجد صهيون غطى عليهم جميعا، لأسباب كثيرة، ذلك أنه:

أ. سوف تنتج صهيون كثيرا من الرجال العظماء والأتقياء، وكثيرا من الأنبياء والملوك الذين سيكونون محبوبين من السماء، وسبب بركة للأرض بأكثر من أي إنسان ينشأ في مصر أو بابل. «هذا الإنسان وهذا الإنسان وُلد فيها»، والبعض يفهم هذه العبارة على أنها تشير إلى المسيح، الذي وُلد في بيت لحم على مقربة من صهيون. أما أعظم شرف نالته الأمة اليهودية أن «منهم المسيح حسب الجسد» (رو ٩: ٥).

ب. ستقوى وتترسخ مصالح صهيون بقوة إلهية: «العلي» نفسه تعهد بأن «يثبتها»، على أساس أبدي، مهما واجهت من اضطرابات وثورات من قبل دول أو ملوك، ومهما اهتزت السماء والأرض، فإن هذه أمور لا يمكن أن تهتز، بل يجب أن تبقى.

ج. سيُسجِّل أبناء صهيون في سجل الشرف (ع ٦): «الرب يعد في كتابة الشعوب»، ويسجل قوائم برعاياه «أن هذا وُلد هناك» (في صهيون)، وهكذا أصبح مواطنا لها بالميلاد.. وبالميلاد الأول، إذ وُلد في بيته؛ وبالميلاد الثاني، إذ وُلد ثانية من روحه.

د. ستردد تسابيح صهيون بفرح ونصرة: «ومغنون كعازفين» كل السكان فيك سيرنمون مسبحين الله (ع ٧). إنه لما يضفي كرامة كبيرة على صهيون وكذلك على كنيسة الإنجيل أن هناك يُخدم الله وتُقدم له العبادة بفرح، فقد أتم عمله، وتم بكل فرح ومسرة (انظر مزمور ٦٨: ٢٥).

المزمور الثامن والثمانون

تسبيحة. مزمور لبني قورح. لإمام المغنين على العود للغناء. قصيدة لهيمان الأزراحي

هذا المزمور مرثاة، وهو لا يُختتم بأقل إشارة إلى تعزية أو فرح كما نلمس في المزامير الحزينة، بل إنه من البداية إلى النهاية، حداد وحزن. وهو يسرد تجربة شخصية، تتناول بصفة خاصة قلقا ذهنيا، وقد اعتُبر ضمن مزامير التوبة.

أولا: الضغط النفسي العظيم الذي كان المرنم يواجهه (ع ٣ – ٦).

ثانيا: غضب الله، الذي كان سبب هذا الضغط (ع ٧، ١٥ – ١٧).

ثالثا: شر أصدقائه (ع ٨، ١٨).

رابعا: الالتماس الذي وجهه إلى الله من خلال الصلاة (ع ١ و٢، ٩، ١٢).

خامسا: تضرعاته والتماساته التي رفعها إلى الله في خشوع (ع ١٠، ١٢، ١٤).

عدد ١ – ٩

الكلمات التي استُهل بها المزمور هي كلمات العزاء الوحيدة في المزمور كله. غير أنه قبل أن يبدأ صاحب المزمور شكواه يخاطب الله على اعتبار أنه إله خلاصه، الأمر الذي يُستشف منه، أنه على الرغم من الظروف السيئة، إلا أنه كان يتطلع إلى الله من أجل الخلاص ويتكل عليه لتحقيق ذلك.

أولا: رجل صلاة: كان يجد تعزية في صلاته، أما شكواه تتمثل في أنه على الرغم من صلاته، كان لا يزال في محنة: «صرخت أمامك» (ع ١)، «بسطت إليك يدي» (ع ٩)، كمن يريد الإمساك بك، ويريد أن يقبض بيديه على رحمتك وقد انتابه خوف مقدس لئلا يفشل ولا يستطيع ذلك. وكان مداوما على الصلاة: «دعوتك يا رب كل يوم» (ع ٩)، بل والواقع أنه كان يصلي «بالنهار والليل» (ع ١). لقد وجه صلواته إلى الله ورغب بل وتوقع منه استجابة لها (ع ٢): «فلتأت قدامك صلاتي»، لتتكرم وتقبلها.

ثانيا: كان رجل أحزان: ولذلك يأخذه البعض، على أنه في هذا المزمور يرمز إلى المسيح. إنه يصرخ (ع ٣): «قد شَبِعت من المصائب نفسي»، وهكذا قال المسيح أيضا: «الآن نفسي قد اضطربت»، وفي آلامه قال: «نفسي حزينة جدا حتى الموت»، وهذا يماثل ما قاله صاحب المزمور هنا: «وحياتي إلى الهاوية دنت».

ثالثا: نظر إلى نفسه على اعتبار أنه مشرف على الموت، وأن قلبه على وشك أن ينفطر حزنا (ع ٥): «بين الأموات فراشي مثل القتلى المضطجعين في القبر»، الذين لا تعود تذكرهم بعد لكي تحميهم أو تعولهم لأنهم من الموتى: «وضعتني في الجب الأسفل» أسفل ما يمكن تصوره، فحالتي وضيعة، ونفسي متدهورة «في ظلمات في أعماق» (ع ٦). وهكذا نرى هنا كيف أن الأتقياء يمكن أن يتعرضوا لمحن شديدة نتيجة قوة الحزن والكآبة وضعف الإيمان.

رابعا: يشكو بالأكثر من غضب الله عليه (ع ٧): «عليَّ استقر غضبك». ولو كان قد أدرك نعمة الله ومحبته في محنته، لخفت وطأتها عليه، لكن وطأتها كانت شديدة جدا، حتى أنه كان على أهبة السقوط وأن يقع مغشيا عليه أمامها.

خامسا: مما زاد من محنته أن أصدقاءه تخلوا عنه. وحين تكتنفنا المتاعب، فإنه مما يعزينا أن نجد حولنا من يحبوننا ويتعاطفون معنا، ولكن هذا لم يحدث بالنسبة لهذا الرجل التقي (ع ٨): «أبعدت عني معارفي. جعلتني رجسا لهم»، لم يتجنبوني فحسب، بل سئموا مني، وأصبحوا لا يرمقونني بنظرة احتقار فحسب، بل وباشمئزاز أيضا.

سادسا: اعتبر حالته محزنة وميئوسا منها: «أُغلق عليَّ فما أخرج»، أصبحت سجينا ولا سبيل أمامي للهرب. وهكذا كان يتحسر على نفسه (ع ٩): «عيني ذابت من الذل». ومع ذلك، فالبكاء لا يجب أن يعطل الصلاة، يجب أن نزرع في دموع «عيني ذابت»، غير أني «دعوتك يا رب كل يوم».

عدد ١٠ – ١٨

أولا: صاحب المزمور يناقش الله بالنسبة للحالة المحزنة التي يعاني منها (ع ١٠ – ١٢): «أفلعلك للأموات تصنع عجائب» وتعيدهم ثانية إلى الحياة؟ هل الموتى الذين دُفنوا في التراب «أم الأخيلة تقوم تمجدك؟» نفوس الراحلين تعرف حقا عجائب الله

وتؤكد أمانته وعدله ومحبته وعطفه، أما أجساد الموتى فلا تستطيع ذلك، فهي لا تستطيع أن تنعم بتعزيات الله أو تشكره عليها. ولكنه يتضرع إلى الله من أجل أن يخلصه بسرعة: أيها الرب، إنك أمين وعادل، وصفاتك هذه ستُعرف من خلال إنقاذك لي، ولكن ما لم يأت ذلك بسرعة، فسوف يكون الوقت قد فات.

ثانيا: أصر على مواصلة الصلاة بحرارة، لأن الخلاص قد تأخر (ع ١٣): «إليك يا رب صرخت» مرارا كثيرا، ووجدت عزاء إذ عملت ذلك، ومن ثم سأواصل عملي هذا «وفي الغداة صلاتي تتقدمك»، وهذا ما يستخلص منه أنه يستيقظ مبكرا أكثر من المعتاد من أجل الصلاة. ولن تقتصر صلاتي على تشجيع بداية الرحمة، بل تصل إليها في إيمان وترقب حتى قبل أن يبزغ النهار.

ثالثا: يسجل ما سيقوله لله في الصلاة. إنه يحاجج الله بكل خشوع واتضاع (ع ١٤): «لماذا يا رب ترفض نفسي؟» ما الذي أغضبك مني حتى تعاملني كشخص قد تركته وتخليت عنه؟ فهمني لماذا تخاصمني ولا شيء يحزن أولاد الله قدر ما يحزنهم أن يحجب الله وجهه عنهم، بل ولا شيء يخيفهم أكثر من أن ينبذ الله نفوسهم. إذا ما حجبت السُحب الشمس غطت الظلمة الأرض، غير أنه إذا ما تركت الشمس الأرض، ونبذتها تماما، فسوف تصبح الأرض سجنا كئيبا رهيبا: «احتملت أهوالك» (ع ١٥).

وصاحب المزمور يوضح أقواله هنا، ويعرفنا ما يقصده بأهوال الله، بل «وسخطك»: «أنا مسكين»، ومن شدة بلواي مستعد أن أموت.. هذا هو معنى الكلمة، وأسلم الروح «أهوالك أهلكتني» (ع ١٦). بل إن أحزانه كادت تسلبه منطقه: «احتملت أهوالك. تحيرت». وقد استمرت هذه الحالة طويلا: «منذ صباي. احتملت أهوالك». لقد انتابه الحزن منذ صباه. والذين ينتوي الله أن يعهد إليهم بخدمات بارزة، نراه أحيانا يعدهم لذلك باختبارات من هذا القبيل.

لم يجد تعزية من صديق (ع ١٨): «أبعدت عني محبا وصاحبا». وبعد تعزيات الله، يحتاج الإنسان إلى مواساة الأصدقاء والمجتمع، ولذلك فحرمانك من الأصحاب (بالنسبة لهذه الحياة) معناه أنك لا تجد تقريبا أي عزاء.

المزمور التاسع والثمانون

قصيدة لأيثان الأزراحي

ثمة مزامير كثيرة تبدأ بالشكوى والصلاة وتنتهي بالفرح والحمد، أما هذا المزمور فيبدأ بالفرح والحمد وينتهي بشكاوى والتماسات حزينة. وتاريخ كتابته ليس مؤكدا، إلا أنه قيل على وجه العموم إنه كُتب حين انطفأ بريق بيت داود.

أولا: في جزء بهيج ولطيف من المزامير يعطي المجد لله، ذاكرا رحمته وحقه (ع ١)، وعهده (ع ٢– ٤)، إلا أنه وبأكثر تفصيل في الأعداد التالية نراه:

(١) يلهج بتسبيح مجد الله وكماله (ع ٥– ١٤).

(٢) تسعده سعادة أولئك الذين قُبلوا في شركة معه (ع ١٥– ١٨).

(٣) أقام كل رجائه على عهد الله مع داود، باعتباره رمزا للمسيح (ع ١٩– ٣٧).

ثانيا: وفي الجزء الحزين من المزمور نراه يرثي للمصائب التي حلت بالملك وبالعائلة الملكية (ع ٣٨– ٤٥)، ويتخاطب مع الله في هذا الأمر (ع ٤٦ – ٤٩)، ثم يختتم بصلاة لتصحيح هذه الأوضاع (ع ٥٠ و٥١).

عدد ١– ٤

كان لدى صاحب المزمور شكوى حزينة يقدمها لله بشأن الحالة المحزنة التي آلت إليها عائلة داود في ذلك الحين، ومع ذلك يبدأ المزمور بترنيمة حمد. ليت شكاوانا تتحول إلى شكر لله.

(١) أيا كانت عليه حالتنا، فإلهنا الأبدي صالح وحق (ع ١). ومراحم الله لا تنفذ، وحقه منيع لا جدال فيه. وهذه الأمور يجب أن تكون موضع فرحنا وتسبيحنا: «بمراحم الرب أغني إلى الدهر». أرنم ترنيمة سبح لمجد الله، وترنيمة فرح لتعزيتي، وتسبيحة تعليم لبناء الآخرين.

(٢) أيا كان ما يحدث، فإن العهد الأبدي ثابت وأكيد (ع ٢– ٤). تبدو الأمور الآن كئيبة وتهدد بإبادة بيت داود بشكل تام، غير أنني «قلت»، وأستند إلى كلمة الله في قولي أن «الرحمة إلى الدهر تبنى». وإذا كانت الرحمة ستُبنى إلى الأبد، فإن «مظلة داود الساقطة» سوف تُقام كسابق عهدها (عا ٩: ١١). موجز من العهد الذي قام عليه إيمانه ورجاؤه يتمثل في قول الله «حلفت لداود عبدي». ويشير إليه في

(ع ٣)، وهو يعترف بذلك لأجل تعزية شعبه: «قطعت عهدا»، ولذلك سأوفي بهذا العهد. وقد قُطع العهد مع داود، وهو يمثل عهد النعمة الذي قُطع مع المسيح باعتباره رأس الكنيسة، ومع كل المؤمنين باعتبارهم نسله الروحيين. وكان الوعد أن عائلته ستستمر- «إلى الدهر أثبت نسلك، وأبني إلى دور فدور كرسيك». وهذا لا يتحقق إلا في المسيح، الذي هو من نسل داود، الذي يعيش إلى دور فدور.

عدد ٥- ١٤

هذه الفقرة عامرة بتسبيح الله.

أولا: أين يُمجد الله، ومن هم الذين يسبحون الله: «السماوات تحمد عجائبك يا رب» (ع ٥). وأعمال الله هي عجائب حتى بالنسبة لأولئك الذين على معرفة وثيقة بها ومطلعين عليها تمام الإطلاع. وكلما زادت معرفة الناس بأعمال الله، زاد إعجابهم بها وتسبيحها. كما أن الله يُسبح من قبل جماعات قديسيه على الأرض. فأمانتك وصدق وعدك، اللذان يشكلان الصخرة التي بُنيت عليها الكنيسة، سوف يُمدحان في جماعة القديسين، الذين يدينون بكل شيء إلى أمانة الله هذه، والذين تعزيتهم الدائمة تستند إلى أن هناك وعدا، وأن الذي وعد أمين في وعوده. وفي الاجتماعات الدينية وعد الله بوجود نعمته، غير أننا نحن أيضا يجب أن نعتمد على وجوده المجيد في هذه الاجتماعات، حتى لا ينجم عن الألفة المترتبة على ذلك أقل قدر من الاحتقار. ويجب أن يعترينا خوف مقدس من الله، وأن يملأنا هذا الخوف، في جميع معاملاتنا مع الله، حتى وإن كان ذلك في الخفاء.

ثانيا: ماذا يعني حمد الله، إنه اعترف بأنه ليس أحد مثله (ع ٦): «فبمن تشبهونني فأساويه؟ يقول القدوس» (إش ٤٠: ٢٥) وقد شدد على هذا الأمر مرة ثانية (ع ٨): «من مثلك؟ قوي». نجد بين الناس أن الذين يكسرون كلمتهم هم أقل الناس حرصا على التمسك بها، لكن الله قوي وأمين. وهو يستطيع عمل كل شيء، ومع ذلك لا يفعل ما هو ظلم على الإطلاق.

ثالثا: ما الذي يجب أن نمجد الله عليه في تسبيحنا

(١) السيطرة التي لله فوق كل المخلوقات التي لا سيطرة للإنسان عليها (ع ٩): «أنت متسلط على كبرياء البحر». وقد ذُكر هذا هنا كعمل يدل على أن الله كلي القدرة، فأي نوع من الإنسان كان إذًا الرب يسوع الذي كانت الرياح والبحر جميعا تطيعه؟

(٢) الانتصارات التي حققها الله على أعداء شعبه. «أنت سحقت رَهَب» (كثيرين من الأعداء المتغطرسين، هذا ما تعنيه العبارة)، ولاسيما مصر، التي أحيانا تُسمى «رَهَب»، حيث حطمتها مثل شخص قُتل وأصبح عاجزا تماما على النهوض ثانية. وذكرى سحق مصر وتحطيمها تعد عزاء للكنيسة، بالنسبة لقوة بابل الراهنة، لأن الله لايزال كما هو.

(٣) ملكيته التي لا ينازعه فيها أحد (ع ١١ و١٢): يُحترم الناس لملكياتهم الكبيرة، غير أنه «لك السماوات. لك أيضا الأرض. المسكونة وملؤها»، كل ما فيها من ثروات، وجميع سكانها.. المساكن والمستأجرين، وكل هؤلاء ملكك، المسكونة بما فيها لأنك «أنت أسستها»، وهو هنا يخص بالذكر:

أ. أقصى أنحاء العالم: «أنت خلقتهما»، وعلى ذلك تعرفهما، وتحافظ عليهما وتستحق الثناء من أجلهما. وقد قيل إنه «يمد الشمال على الخلاء»، ومع ذلك فكل ما فيه من ملء هو ملك لله.

ب. أعلى أجزاء العالم. وهو يذكر أعلى جبلين في كنعان وهما «تابور» و«حرمون»، هذان باسمك يهتفان، وينتجان تقدمات لمذبحك. ومن المعروف أن جبل تابور هو أعلى جبل في الجليل، وقد تجلى المسيح على قمته.

(٤) القوة والعدل، الرحمة والحق، التي بها يسيطر على العالم ويحكم في الشئون المتعلقة بالبشر (ع ١٣ و١٤). والله قادر على كل شيء، لأنه الرب الإله القادر على كل شيء. وهو لم يفعل إطلاقا بل ولن يفعل أبدا أي شيء ظالم أو غير حكيم، لأن «العدل والحق قاعدة» كرسيه. وهو دائما يعمل ما فيه رحمة لشعبه، وما يتناغم مع الكلمة التي قالها: «الرحمة والأمانة تتقدمان أمام وجهك». الأمانة لأنك تلتزم بكلامك، والرحمة لأنك أفضل منا وتتعطف علينا.

عدد ١٥ – ١٨

وبعد أن أوضح صاحب المزمور بكل جلاء كيف أن إله إسرائيل إله مبارك، يعود هنا ويبين بركة شعب الله. وكما أنه «ليس مثل الله يا يشورون.. طوباك يا إسرائيل. مَنْ مثلك»، ولاسيما كرمز لمؤمني الإنجيل الحقيقيين، الذين وُصفت هنا بركتهم.

أولا: أُعطيت لهم إعلانات إلهية مجيدة، ووصلتهم أخبار سارة سعيدة، «طوبى للشعب العارفين الهتاف» (ع ١٥)، هم يعرفون الصوت البهيج، وقد تكون هذه إشارة:

(١) إلى هتاف جيش منتصر. ولدى إسرائيل علامات على وجود الرب بينهم في حروبهم، أو..

(٢) لصوت الهتاف المصاحب لتقديم الذبائح وفي أيام الأعياد المقدسة (مز ٨١: ١ – ٣). وكان من أسباب سعادة إسرائيل إنه يمكنهم بكل حرية الإعلان عن إيمانهم بديانة الله المقدسة، أو..

(٣) لصوت بوق اليوبيل، وهو صوت مفرح للعبيد والمديونين، الذي يعلن لهم الحرية والتحرر من ديونهم. والإنجيل صوت بهيج حقا، هو صوت النصرة والحرية، والشركة مع الله، وطوبى للشعب الذي يسمعه، ويعرفه، ويرحب به.

ثانيا: أُعطيت لهم علامات خاصة لفضل الله عليهم: «يا رب بنور وجهك يسلكون»، سوف يحكمون أنفسهم طبقا لتوجيهاتك، ويسترشدون بنورك، ويفرحون أنفسهم بتعزياتك.

ثالثا: لم يفتقروا إطلاقا إلى أسباب للفرح. فالذين يبتهجون بالمسيح يسوع لديهم ما يكفي لموازنة مضايقاتهم وإسكات أحزانهم، ولذلك فإن فرحهم كامل (١يو ١: ٤).

رابعا: علاقتهم بالله هي موضع فخرهم وكرامتهم. «وبعدلك يرتفعون»، وليس ببر فيهم. «وبرضاك» الذي نرجوه بيسوع المسيح «ينتصب قرننا» والقرن يشير إلى الجمال والوفرة والقوة.

خامسا: صلتهم بالله تشكل حمايتهم وأمنهم (ع ١٨): «لأن الرب مجننا، وقدوس إسرائيل ملكنا». وإذا كان الله ملكنا سوف يكون هو المدافع عنا، فمن إذًا يستطيع أن يؤذينا؟

عدد ١٩ – ٣٧

العهد الذي قطعه الله لداود ونسله سبق ذكره (ع ٣ و٤)، أما في هذه الفقرة فقد ذُكر باستفاضة. ومن المؤكد أنه يتطلع إلى المسيح، وسوف يتحقق فيه بأكثر مما يتحقق في داود. وتعزيات فدائنا تنبع من عهد الفداء، وكل ينابيعنا فيه (إش ٥٥: ٣)، «إني سأعطيكم مراحم داود الصادقة» (أع ١٣: ٣٤).

أولا: ما الذي يؤكد لنا صدق الوعد، والذي قد يشجعنا على الاتكال عليه: «حينئذ كلمت برؤيا تقيك». فوعد الله لداود، والذي أُشير إليه هنا بصفة خاصة، قيل في رؤيا لناثان النبي (٢صم ٧: ١٢– ١٧). فحين كان «قدوس إسرائيل» ملكهم (ع ١٨)، عين داود نائبا له. كيف تم الحلف به والتصديق عليه (ع ٣٥): «مرة حلفت بقدسي». وحلفه مرة فيه الكفاية، وهو ليس في حاجة لأن يحلف ثانية، مثلما فعل داود (١صم ٢٠: ١٧)، لأن كلمته وحلفه من الأمور غير القابلة للتغيير.

ثانيا: تم اختيار الشخص الذي أُعطي له الوعد (ع ١٩ و٢٠). ولقد كان داود ملكا من اختيار الله، وهكذا المسيح أيضا، ولذلك سُمي كل منهما «ملكي» (مز ٢: ٦). وكان داود قويا، رجلا تم اختياره من الشعب. ولقد رفعه الله، وأمر صموئيل أن يمسحه. ولكن هذا يجب أن يُطبق على المسيح.

(١) فهو قوي: «يقدر أن يخلص أيضا إلى التمام»، لأنه ابن الله– وهو قوي في محبته.

(٢) رُفع «مختارا من بين الشعب»، واحد منا، عظم من عظامنا، اشترك معنا في اللحم والدم.

(٣) وجده الله. فهو مخلص دبره الله لنا.

(٤) «جعلت عونا على قوي»، رفعه الله بأن جعله نبيا، وكاهنا، وملكا لكنيسته، ألبسه القوة، أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه. وقد سُمي المسيح أي «الممسوح".

ثالثا: الوعود التي قُطعت لهذا المختار، لداود كالظل، ولابن داود كالأصل.

(١) وبالإشارة إلى نفسه، كملك وعبد لله، جاء الوعد هنا:

أ. سيقف الله معه ويقويه في أداء مهمته (ع

٢١): «الذي تثبت يدي معه. أيضا ذراعي تشدده» لكي ينتصر ويتغلب على كل ما يواجهه من صعاب.

ب. ينتصر على أعدائه، لا تكون يدهم عليه (ع ٢٢): «لا يرغمه عدو»، أو يلحق به أذى. أصبح المسيح ضامنا لديننا، وقد اعتقد الشيطان والموت أن لهما اليد الطولى عليه، لكنه أوفى بمطاليب عدالة الله، وعلى ذلك لم يستطيعا أن يرغماه. «رئيس هذا العالم يأتي وليس له فيَّ شيء». ويسحق أعداءه أمام وجهه، وسوف يطرح رئيس هذا العالم، ويجرد الرياسات والسلاطين، وسيكون موتا للموت نفسه، ويدمر الهاوية نفسها (هو ١٣: ١٤).

ج. «أما أمانتي ورحمتي فمعه». كانا مع داود، فقد واصل الله محبته له، وبذا أثبت أمانته. وكانا مع المسيح، فقد أوفى الله بكل وعوده له. ولكن هذا ليس كل شيء، فمحبة الله تجاهنا وأمانته لنا، هما في المسيح، وفيه تتحقق كل وعود الله، «فهو فيه النعم وفيه الآمين». لذلك فأي خاطئ مسكين يأمل في الاستفادة من أمانة الله ورحمته، عليه أن يعرف أن هذا يتم من خلال المسيح، وعليه اللجؤ إليه من أجل ذلك (ع ٢٨): «إلى الدهر أحفظ له رحمتي»، وفي قنوات وساطة المسيح ستجري كل ينابيع صلاح الله إلى الأبد. ومن حيث إن رحمة الله تتدفق إلينا من خلاله، فهكذا أيضا وعد الله لنا يكون ثابتا من خلاله: «وعهدي يثبت له»، سواء عهد الفداء الذي قُطع معه أو عهد النعمة الذي قُطع لنا فيه.

د. مملكته تتسع إلى درجة عظيمة (ع ٢٥): «وأجعل على البحر يده» (يسيطر على البحار والجزر) «وعلى الأنهار يمينه»، أي البلاد الداخلية التي تعتمد على الأنهار. ومملكة داود اتسعت بحيث وصلت إلى البحر الكبير، والبحر الأحمر، وإلى نهر مصر ونهر الفرات. غير أن هذا الوعد سيتحقق بشكل كامل وستتسع أكثر فأكثر حين تصير «ممالك العالم لربنا ومسيحه» (رؤ ١١: ١٥).

هـ. يجب أن يعترف بالله كأبيه، ويعترف به الله كابنه البكر (ع ٢٦ و٢٧). ورد تعليق على هذه الكلمات في رسالة ناثان بشأن سليمان (لأنه هو أيضا كان يرمز إلى المسيح مثل داود): «أنا أكون له أبا وهو يكون لي ابنا» (٢صم ٧: ١٤)، وسوف يتم الاعتراف بهذه العلاقة من كلا الجانبين. «هو يدعوني أبي أنت». وقد فعل المسيح هذا، أثناء تواجده على الأرض بالجسد، حين صرخ بصوت عال إلى الله، وعلمنا أن نخاطبه بقولنا: «أبانا الذي في السماوات». «أنا أيضا أجعله بكرا». إن امتياز المسيح أن يكون «بكر كل خليقة» (كو ١: ١٥) وبهذه الصفة يكون «وارثا لكل شيء» (عب ١: ٢، ٦).

(٢) بالنسبة لنسله. وعهود الله دائما تأخذ الذرية في اعتبارها (ع ٢٩، ٣٦): «وأجعل إلى الأبد نسله»، ومع هذا «كرسيه». وهذه العبارة ستُفهم بشكل مختلف طبقا لتطبيقنا لها على المسيح أو على داود.

أ. إذا طبقناها على داود، فإننا سنعتبر المقصود بنسله هم خلفاؤه: سليمان ومن جاء بعده من ملوك يهوذا. ومن المفترض أنهم قد يفسدون، وفي هذه الحالة سيكونون محل التوبيخات الإلهية. غير أنه على الرغم من التأديبات التي وقعت عليهم إلا أنهم لن يُحرموا من الميراث. وهذا ما أشار إليه ناثان في رسالته الواردة في ٢صموئيل ٧: ١٤ و١٥ «إن تعوج أؤدبه بقضيب الناس... ولكن رحمتي لا تُنزع منه». وهكذا استمر نسل داود وعرشه إلى هذا الحد. وظلت عائلة داود لها وزنها إلى أن جاء ابن داود الذي ستظل مملكته إلى الأبد (انظر لوقا ١: ٢٧، ٣٢؛ ٢: ٤، ١١).

ب. إذا ما طبقنا هذا الكلام على المسيح، فإن المقصود بنسله هم رعاياه، كل المؤمنين به، لأنهم أحفاده الروحيين، الأبناء الذين أعطاهم الله له (عب ٢: ١٣). هذا هو النسل الذي سيبقى إلى الأبد، وعرشه في وسطهم.. في الكنيسة.. في القلب «مثل أيام السماوات». وسوف يكون للمسيح شعب في العالم حتى النهاية لكي يعبدوه ويكرموه، وسوف «يرى نسلا تطول أيامه»، وهكذا يصبح عرش المسيح ومملكته دائمين، ومملكة نعمته ستبقى إلى دهر الدهور، وملكوت مجده إلى دهور الأبدية التي لا نهاية لها. وقد افتُرض هنا أنه سيكون هناك كثير من الأخطاء بالنسبة لرعايا ملكوت المسيح. فبنوه قد يتركون شريعة الله (ع ٣٠) عن طريق الإهمال، وينقضوا فرائضه (ع ٣١) عن طريق الخطأ. فثمة مفاسد كثيرة في الكنيسة، وفي قلوب أعضائها. وقد قيل لهم هنا إنهم سيُعاقبون على

ذلك (ع ٣٢): «أفتقد بعصا معصيتهم». فعلاقتهم بالمسيح لن تعفيهم من محاسبتهم. ولكن لنلاحظ مدى عقابهم:

◄ إنها عصا، وليست فأسا أو سيفا، والهدف تأديبهم وليس دمارهم.

◄ إنها عصا في يد الله (أفتقد بعصا) «إن نقضوا فرائضي... أفتقد بعصا معصيتهم» ولكن ليس شيء آخر. وديمومة مملكة المسيح تأكدت بوعد الله وحلفه اللذين لا يُنقضا، على الرغم من هذا (ع ٣٣): «أما رحمتي فلا أنزعها عنه» بشكل كامل ونهائي. والمحن لا تتناغم مع عهد المحبة فحسب، بل إنها تنبع منه بالنسبة لشعب الله. ومن أجل المسيح، حُفظت لنا الرحمة فيه، ويقول الله: «فلا أنزعها عنه» (ع ٣٣)، «إني لا أكذب لداود» (ع ٣٥)، «لا أنقض عهدي ولا أغير ما خرج من شفتي». وما قيل وحُلف به هو أن الله سيكون له كنيسة في العالم طالما بقيت الشمس وبقي القمر (ع ٣٦ و٣٧): وسيكون بنو المسيح إلى الأبد كأنوار في العالم، طالما بقي العالم، لكي يضيئوا فيه، وحين تأتي النهاية، سيكونون أنوارا راسخة تُضيء في سماء الآب.

عدد ٣٨– ٥٢

أولا: شكوى حزينة جدا من حالة داود الراهنة التي يؤسف لها، والتي يرى كاتب المزمور أنه من الصعب التوفيق بينها وبين العهد الذي قطعه الله لداود. قلت «أما رحمتي فلا أنزعها عنه».. «لكنك رفضت». أحيانا لا يكون من السهل التوفيق بين أعمال عناية الله ووعوده، ومع ذلك فإن الله يوفي بكلمته ولا ينقضها أبدا.

(١) يبدو أن بيت داود فقد امتيازه لدى الله. كان الله قد سر بأن يمسحه ملكا، أما الآن فقد غضب عليه جدا (ع ٣٨).

(٢) ضاعت مكانة بيت داود وتمرغت في التراب «نجست تاجه في التراب» (التاج الذي كان يعتبر شيئا مقدسا) بإلقائه في التراب، وبدوسه بالأقدام (ع ٣٩).

(٣) لقد انهدم وصار فريسة لكل البلدان المجاورة له (ع ٤٠): «هدمت كل جدرانه» (كل الأشياء التي كانت دفاعا لهم ولاسيما سور الحماية الذي اعتقدوا أن عهد الله ووعده أقاماه حولهم) و«جعلت حصونه خرابا». «صار عارا عند جيرانه»، الذين فرحوا لسقوطه من هذه الدرجة العظيمة من الكرامة. وكل واحد من جيرانه يساعد في تعزيز مصيبته، «رفعت (عززت) يمين مضايقيه» لبس بإعطائهم القوة اللازمة فقط، بل وبجعلهم يميلون لاستخدامها في هذا الاتجاه.

(٤) لقد أُعيق حتى لا يساعد نفسه (ع ٤٣): «أيضا رددت حد سيفه».. أي ثنى حد السيف، وجعله غير مدبب حتى لا يصلح لتنفيذ حكم الإعدام. والأسوأ من ذلك أنه ثنى روحه ونزع عنها شجاعتها ولم ينصره «في القتال».

(٥) كان على مشارف نهاية غير جديرة بالثناء (ع ٤٥): «قَصَّرت أيام شبابه». وهذا يشير إلى أن هذا المزمور كُتب في زمن رحبعام عندما كان بيت داود في ريعان شبابه، لكنه شاخ وبدأ في الاضمحلال بعد ذلك. عندما تنحط الذرية، فإنها تسقط في الخزي، ويصير الظلم الذي فعلته وصمة عار في جبينها. كيف نحدد سعادة شعب الله بشيء خارج عنه، ونظن أن الوعد سيبطل؟ فمعلِّمنا قد أخبرنا بوضوح أن مملكته ليست من هذا العالم.

ثانيا: جدال صادق من القلب مع الله: «حتى متى يا رب تختبئ كل الاختباء؟» فأشد ما يحزن شعب الله أنه أبقاهم طويلا في الظلام. فكان الأمر يبدو كليل أزلي عندما تراجع الله عنهم، واختبأ «كل الاختباء». وكانت حجته هي قصر الحياة وزوالها (ع ٤٧): «اذكر كيف أنا زائل» ولذلك أنا غير قادر على تحمل شدة غضبك، وأنا مَنْ يستحق رحمتك. «إلى أي باطل خلقت جميع بني آدم!» فلو نسيَّ الله مراحمه الأولى (ع ٤٩) والمتعلقة بحياة أخرى، فإن الإنسان خُلق باطلا. وإذا فكرنا أن الإنسان مخلوق زائل، وأنه ليست لديه حالة مستقبلية فيما بعد الموت، فهذا يجعلنا بسهولة نعتقد أن الإنسان خُلق باطلا. وقد نظن أن الله خلق بني آدم باطلا لأن كثيرا من الناس حياتهم قصيرة.. نعم لقد جعل الله حياتهم قصيرة، لكن هذا لا يعني أن الله خلقهم باطلا؛ لأن من يعيشون أياما قليلة يمكنهم أيضا أن يمجدوا الله، وأن يصنعوا الخير، وأن يحافظوا على اتحادهم بالله، ويذهبوا إلى السماء.

ولو اعتقدنا أن الله خلق الإنسان إلى باطل لأن معظم الناس لا يخدمونه أو يتمتعون به. فينطبق عليهم القول أنهم خُلقوا إلى باطل- غير أن الله ليس هو السبب في ذلك. فالسبب يرجع إليهم شخصيا وكانت حجته التالية هي عمومية الموت (ع ٤٨): «أي إنسان (أي إنسان قوي) يحيا ولا يرى الموت؟» فالملك نفسه لم يُستثنى من ذلك. وبالنظر يا رب إلى أنه من المحتم أن يموت، فلا تدع حياته كلها تتسم بالبؤس. لا تسمح بأن يُسلم إلى يد الهاوية بواسطة شقاء حياة ميتة إلى أن يأتي وقته. ولذلك خليق بنا أن نتأكد من السعادة بعد الموت حتى إذا فنينا يقبلوننا «في المظال الأبدية». أما الحجة التالية فاستندت إلى محبة الله لعبده داود (ع ٤٩): «أين مراحمك الأُول يا رب» التي أظهرتها، والواقع «التي حلفت بها لداود بأمانتك؟» هل ترجع عن عمل ما وعدت به؟ إن استحالة تغيُّر الله، وأمانته يؤكدان لنا أن الله لن يرذل الذين اختارهم ودخل في عهد معهم. أما الحجة الأخيرة فاستندت إلى الأذى الذي لحق بمسيح الله (ع ٥٠ و٥١): الذين يعيروننا هم أعداؤك، ألن تتدخل ضدهم على هذا الأساس؟: «أعداؤك يا رب الذين عيروا آثار مسيحك». كانوا يشوهون كل الخطوات التي اتخذها الملك في إدارته دفة الحكم، ولم يتركوا أي شيء إلا وانتقدوه. أما إذا طبقنا ذلك على المسيح، المسيح الرب، فكان الأعداء يوبخون اليهود على تأخر مجيئه. لقد لقبوه «الآتي»، لأنه لم يكن قد جاء بعد، وقالوا إنه لن يأتي إطلاقا، وعليهم التوقف عن انتظاره.

ثالثا: يُختتم المزمور بحمد، حتى بعد هذه الشكوى المريرة (ع ٥٢): «مبارك الرب إلى الدهر. آمين فآمين» . وهكذا واجه تعييرات أعدائه. وكلما زاد تجديف الآخرين على الله، وجب أن نزيد نحن من مباركته. وبهذا صحح شكاواه. لقد بدأ المزمور بالشكر، وذلك قبل أن يعرض شكواه (ع ١) أما الآن فهو يختمه بتسبيحة شكر لله.

المزمور التسعون

صلاة لموسى رجل الله

موسى هو الذي كتب هذا المزمور (كما يتضح من عنوانه)، وموسى هو أقدم كتبة الأسفار المقدسة. والسجلات تحفظ له تسبيحة حمد لله (خر ١٥، وقد أُشير إليها في رؤيا ١٥: ٣)، وكذلك ترنيمة تعليمية (تث ٣٢). ولكن هذا المزمور سُمي «صلاة». ومن المفترض أن هذا المزمور قد كُتب بمناسبة الحكم الذي أصدره الله ضد إسرائيل في البرية لعدم إيمانهم وتذمرهم وعصيانهم، بأن تسقط جثثهم في القفر، وأن يفنوا هناك عن طريق سلسلة من المحن تلحق بهم لمدة ثمان وثلاثين سنة، وأنه ليس ممن بلغ سن الرشد منهم في ذلك الحين أن يدخل أرض كنعان. ونجد القصة التي ربما يشير إليها هذا المزمور في سفر العدد ١٤. وربما كتب موسى هذه الصلاة ليتلوها الناس في خيامهم، أو لكي يستخدمها الكهنة في خدمة الخيمة في البرية.

وفي هذا المزمور:

أولا: يعزي موسى نفسه وشعبه بأبدية الله ومعزتهم عنده (ع ١ و٢).

ثانيا: يتضع هو وشعبه واضعا في اعتباره ضعف الإنسان (ع ٣ – ٦).

ثالثا: يخضع نفسه وشعبه للحكم العادل الذي أصدره الله ضدهم (ع ٧ – ١١).

رابعا: يضع نفسه وشعبه بين يدي الله، بالصلاة لرحمته ونعمته الإلهية، وعودة نعمة الله عليهم (ع ١٢ – ١٧). وهذا ما ينطبق على ضعف البشر بصفة عامة، وإذ نرنم هذا المزمور، يمكننا أن نطبقه على سنوات عبورنا برية هذا العالم، وهو يمدنا بتأملات وصلوات مناسبة جدا للجنازات.

عدد ١ – ٦

عنوان هذا المزمور «صلاة لموسى». لقد علَّم موسى شعب الله الصلاة، وعرفهم الكلام الذي يستعملونه عند توجههم إلى الرب. ونتعلم من هذه الفقرة:

أولا: أن نحمد الله على عنايته بشعبه في كل الأوقات (ع ١): «يا رب ملجأ كنت لنا»، أو مسكنا أو عونا «في دور فدور». وهم يستندون إلى عنايته السابقة بأسلافهم. كانت كنعان الأرض التي يحج إليها الآباء الأولين، الذين كانوا يقيمون هناك في خيام، ولكن الله في ذلك الحين كان ملجأ (مسكنا) لهم، وحيثما ذهبوا، كانوا يشعرون أنهم فيه في بيتهم وموضع راحتهم. وكانت مصر أرض عبودية لهم لسنوات عديدة، غير أنه حتى أثناء ذلك كان الله ملجأ لهم.

ثانيا: أن يمجدوا الله لأزليته (ع ٢): «من قبل أن تُولد الجبال، أو أبدأت الأرض والمسكونة، (أي قبل بداية الزمن)، منذ الأزل إلى الأبد أنت الله». وعلى الرغم من كل المضايقات التي تنجم عن قابليتنا للموت، إلا أننا يجب أن نتعزى من أزلية وأبدية الله.

ثالثا: الاعتراف بسيادة الله المطلقة على الإنسان، وقدرته على أن يتصرف معه كيفما شاء (ع ٣): «تُرجع الإنسان إلى الغبار» تدمر الجسد، المسكن الأرضي قائلا: «ارجعوا يا بني آدم». وهو بهذا يدعو الناس إلى التوبة عن خطاياهم وأن يحيوا حياة جديدة. وأحيانا يستعيدهم بشكل عجيب ويقول (بحسب الترجمة القديمة): «ارجعوا ثانية إلى الحياة والصحة». وعلى الرغم من أن الله يحول كل البشر إلى العدم، إلا أنه سيعود ويقول: «ارجعوا يا بني آدم»، وذلك في القيامة العامة، حيث وإن مات الإنسان إلا أنه يحيا ثانية.

رابعا: الاعتراف بالفرق غير المحدود بين الله والإنسان (ع ٤). «لأن ألف سنة» بالنسبة لنا، تعد مدة طويلة جدا، لا نتوقع أن نعيشها، غير أنها «في عينيك مثل يوم»، كيوم واحد في الواقع، بل هي «كهزيع من الليل» الذي لا يتعدى ثلاث ساعات. هناك نسبة ما بين دقيقة ومليون سنة، غير أنه لا توجد نسبة على الإطلاق بين الزمن والأبدية. وقد يثور اعتراض بالنسبة للقيامة بأنه قد انقضى وقت طويل منذ توقعها ومع ذلك لم تأت بعد. ولكن هذا الاعتراض لا يشكل صعوبة، لأن ألف سنة في نظر الله مثل يوم واحد.

خامسا: أن ندرك مدى ضعف الإنسان، وبطلانه حتى في أحسن حالاته (ع ٥ و٦)، انظر إلى جميع بني البشر، سترى أن حياتهم لابد وأن تنتهي بالموت: «جرفتهم. كسنة يكونون». وما أن نولد إلا ونبدأ في الموت، وكل يوم يمر من حياتنا يقربنا أكثر فأكثر إلى الموت. يموت الناس، ومع ذلك كأنهم نائمون. إنهم لا يفكرون في ضعفهم، ومثل أناس نائمين يتخيلون لأنفسهم أمورا عظيمة، إلى أن يوقظهم الموت. والزمن يمر ونحن لا نحس به، كما يحدث مع النائمين. والحياة قصيرة وعابرة، مثل العشب الذي ينمو ويزهر، في الصباح تراه أخضر زاهيا، وفي المساء تحصده الجزازة، فيزوي ويفقد كل جماله. وسوف يغيرنا الموت سريعا، ولعل ذلك يأتي على حين غرة، والتغيير الذي يحدثه الموت فينا في وقت قصير هو تغيير كبير جدا، والإنسان في ريعان شبابه يزهر كالعشب.

عدد ٧- ١١

أولا: عليهم هنا أن يعترفوا بأن غضب الله هو سبب كل بؤسهم. «لأننا قد فنينا بسخطك وبغضبك ارتعبنا» (ع ٧)، «لأن كل أيامنا قد انقضت برجزك» (ع ٩). ونحن ميالون لأن ننظر إلى الموت على اعتبار أنه مجرد دين ندين به للطبيعة، مع أن الأمر ليس كذلك. فلو استمرت طبيعة الإنسان على نقاوتها الأولى، لما كان هناك دين ندين به. وهو دين لعدالة الله، دين للناموس فقد «دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت».

ثانيا: تعلَّموا أن يعترفوا بخطاياهم (ع ٨): «قد جعلت آثامنا أمامك، خفيّاتنا في ضوء وجهك». والله هنا يتذكر عدم إيمانهم وتذمرهم، «خفيّاتنا (خطايانا الخفية)»، التي في القلب والتي هي وراء كل الأعمال العلنية) «في ضوء وجهك»، أي أنك اكتشفت هذه الخطايا الخفية، وحاسبت أصحابها عليها، وجعلتنا نراها مع أننا في السابق كنا غافلين عنها.

ثالثا: تعلَّموا أن ينظروا إلى أنفسهم باعتبارهم من الموتى الزائلين، وألا يفكروا في حياة طويلة، أو في حياة سعيدة (ع ٩). وعلى الرغم من أننا لم نُحرم تماما مما تبقى لنا من سني عمرنا، إلا أنه من المحتمل أن نفني «سنينا كقصة». فقد أفنوا في البرية ثماني وثلاثين سنة، لم يسجل سوى النذر اليسير مما حدث لهم من السنة الثانية حتى السنة الأربعين. وتوقعهم المفرح بحياة مجيدة مزدهرة في كنعان، تحول إلى توقع حزين بموت كئيب في القفر. وهذا ما ينطبق على حالة كل واحد منا في برية هذا العالم، نحن نقضي سني حياتنا، ونأتي بها إلى نهايتها، وأخيرا «أفنينا سنينا كقصة». وبعض سني عمرنا تشبه قصة لطيفة، والبعض يشبه قصة مأساوية، ومعظمها خليط بين هذا وذاك، ولكنها كلها قصيرة عابرة. والحياة التي قد تكون

طويلة في مدتها، يمكن سردها في زمن وجيز. وكل سنة تمر «كقصة» ولكن ما عدد هذه السنوات؟ كما أنها كانت باطلة، فقد كانت أيضا قليلة (ع ١٠): «هي سبعون سنة. وإن كانت مع القوة فثمانون سنة» ويمكن فهم هذه العبارة على أنها تعني:

(١) حياة الإسرائيليين في البرية، فكل الذين تم عدهم بعد خروجهم من مصر من سن العشرين سنة فما فوق، كان لهم أن يموتوا خلال ثمان وثلاثين سنة، وقد تم عد الذين كانوا قادرين على القتال، ولنا أن نفترض أن معظمهم كانوا بين سن العشرين والأربعين، والذين لابد وأنهم ماتوا جميعا قبل أن يصلوا إلى سن الثمانين، وكثيرون منهم ماتوا قبل الستين. وهنا نرى نتيجة الخطية. وإما..

(٢) تشير إلى حياة الإنسان بصفة عامة، منذ أيام موسى. ويمكن فهمها على النحو التالي: «أيام سنينا هي سبعون سنة. وإن كانت مع القوة فثمانون سنة، (لكن) وأفخرها (أي طولها كله من الطفولة حتى الشيخوخة هي) تعب وبلية». بعرق جبيننا نأكل خبزنا.

رابعا: تعلموا من هذا أن يخشوا غضب الله (ع ١١): «من يعرف قوة غضبك؟» ويتكلم صاحب المزمور كشخص يخاف من غضب الله، ويتعجب من عظمة قوته. «من يعرف» بحيث يستطيع أن يطبق هذه المعرفة؟ والذين يستخفون بالخطية ويسخرون من المسيح، من المؤكد أنهم لا يعرفون قوة غضب الله.

عدد ١٢ – ١٧

نجد هنا الالتماسات التي تضمنتها هذه الصلاة، وقد قامت على أساس التأملات والقناعات السابقة. وقد وُجهوا هنا لكي يصلوا من أجل أربعة أمور.

أولا: لاستخدام مقدس للظروف الحزينة التي كانت تكتنفهم حينئذ: «إحصاء أيامنا هكذا علِّمنا» (ع ١٢). أعطنا يا رب نعمة بحيث ندرك كم هي قليلة، وكيف أنها قصيرة فترة حياتنا في هذا العالم. ويجب أن نحصي أيامنا على هذا النحو حتى نقارن عملنا بها، ونهتم بها طبقا لذلك ونضاعف كدنا كأناس ليس لديهم وقت يضيعونه سدى. والذين يريدون أن يتعلموا هذا الحساب عليهم أن يصلوا طالبين إرشادا إلهيا.

ثانيا: من أجل صرف غضب الله عنهم: «ارجع يا رب»، تصالح معنا «وترأف على عبيدك» (ع ١٣)، أرسل لنا أخبارا سارة لتعزينا بعد هذه الأخبار المحزنة: «شعبك كلنا» (إش ٦٤: ٩)، متى ستغير موقفك منا؟ واستجابة لهذه الصلاة، ولإعلانهم توبتهم (عد ١٤: ٣٩ و٤٠)، نجد أن الله في الأصحاح التالي، يعطيهم الأحكام الخاصة بالذبائح (عد ١٥: ١ – ٣١)، وكان هذا يشكل دلالة على أن الله يحنو على عبيده. ولو كان الله يُسر بموتهم لما بين لهم أمورا كهذه.

ثالثا: لتعزيتهم وفرحهم لرضى الله عنهم (ع ١٤ و١٥). لقد صلوا طالبين رحمة الله، لأنهم لم يدعوا أي استحقاق فيهم. ارحمنا يا الله، في غداة أيامنا، وفي أيام صبانا وازدهارنا (ع ٦)، «أشبعنا بالغداة من رحمتك»، وليس فقط من أجل أن نكون في سلام وراحة مع أنفسنا فقط، الأمر الذي لا يمكن أن يتحقق مادمنا تحت غضبك، بل أيضا لكي «نبتهج ونفرح» ليس لفترة معينة، عند بداية دلالات رضاك، بل «كل أيامنا»، على الرغم من أننا سنقضيها في البرية. «فرحنا كالأيام التي فيها أذللتنا». اجعل أيام فرحنا برضاك كثيرة مثل أيام تألمنا لغضبك، واجعلها لطيفة بقدر ما كانت تلك كئيبة. وضع في أيدينا كأس الخلاص.

رابعا: من أجل تقدم عمل الله بينهم على الرغم من هذا (ع ١٦ و١٧): «ليظهر فعلك لعبيدك»، لتظهر كما لو أنك قد عملت معنا لكي تردنا إليك ولتجعلنا لائقين لك. لتجعل أعمالك معروفة، ويظهر لنا ولمن يأتي بعدنا مجدك فيها. ولعلهم في هذه الصلاة يفرقون بينهم وبين أولادهم، لأن هذا ما فعله الله في رسالته الأخيرة لهم (عد ١٤: ٣١– ٣٢) «وأما أطفالكم.. فإني سأدخلهم فيعرفون الأرض». لقد صلوا قائلين: ليظهر فعلك لنا، لكي يصلحنا، ويحسن من ميولنا، وعندئذ ليظهر «جلالك» لبنينا، إيفاء للوعد لهم، ذلك الوعد الذي خسرناه نحن. «ولتكن نعمة الرب إلهنا علينا»، ليظهر للآخرين أن الله قد رضي علينا. لتكن فينا نعمة الله، وليظهر نور أعمالنا الطيبة، لتجعل وجوهنا مشرقة، وليكن من شأن تعزياتك الإلهية

أن تملأ قلوبنا فرحا وسرورا، ولتشرق وجوهنا، وهذا أيضا سيكون من فضل نعمة الرب علينا. «وعمل أيدينا ثبته». وعمل الله معنا (ع ١٦) لا يعفينا من بذل كل جهدنا في خدمته وعبادته من أجل أن يحقق خلاصنا. ولكن، بعد أن نعمل كل شيء، علينا أن نرتكن على الله من أجل النجاح.

المزمور الحادي والتسعون

من المحتمل أن يكون داود هو كاتب هذا المزمور. إنه مزمور حماية لكل المؤمنين الصادقين، ليس في اسم داود الملك، بل في اسم ملك الملوك، وخاتم عناية السماء الواضح.

أولا: إصرار كاتب المزمور على أن يتخذ من الله حاميا له (ع ١)، ويتخذ من هذا توجيها وتشجيعا للآخرين (ع ٩).

ثانيا: الوعود التي قُطعت هنا باسم الله لجميع الذين يفعلون هذا بكل إخلاص.

(١) سوف تحيطهم السماء بحماية خاصة (ع ١، ٤).

(٢) سوف يُخلصون من حقد قوى الظلام (ع ٣، ٥ و٦)، وذلك بحفظهم بطريقة مميزة (ع ٧ و٨).

(٣) سيكونون محل اهتمام الملائكة المقدسين (ع ١٠ – ١٢).

(٤) ينتصرون على أعدائهم (ع ١٣).

(٥) سيلقون محبة خاصة من الله نفسه (ع ١٤ – ١٥).

عدد ١ – ٨

أولا: ثمة حق عظيم تم وضعه بصفة عامة، وهو أن جميع الذين يعيشون عيشة الشركة مع الله تراهم دائما سالمين تحت حمايته، ولذلك يتمتع كثيرون بهدوء العقل في جميع الأوقات (ع ١). إن من سمة المؤمن الحقيقي أنه يسكن «في ستر العلي»، إنه يشعر بطمأنينة في الله، يعود إلى الله ويجد فيه راحته، ويتعرف على التقوى الداخلية، ويجعل عبادة الله شغل قلبه، يعبده داخل الحجاب. إنها ميزة وراحة لكل من يفعل هذا حتى أنه «في ظل القدير يبيت»، حيث يأويهم الله. سيجدون مسكنا في حماية الله.

ثانيا: تعزية كاتب المزمور إذ يطبق هذا على نفسه (ع ٢): «أقول للرب» أيا كان ما يقوله الآخرون له، أنت «ملجأي». يقول الوثنيون عن أصنامهم إنها «الحصون الحصينة» (دا ١١: ٣٩)، غير أنهم بهذا يخدعون أنفسهم، فالذين يحصنون أنفسهم حقا هم الذين يتخذون من الرب إلههم حصنا لهم. وإذ لا يوجد ما يبرر التشكك في كفايته كان من الصواب أن يتبع ذلك بقوله: «فأتكل عليه».

ثالثا: التشجيع العظيم الذي أعطاه للآخرين كي يحذوا حذوه، وليس ذلك من واقع اختباره الشخصي، بل من صدق وعد الله (ع ٣ و٤– ١٦): «لأنه ينجيك». وقد جاء الوعد هنا بالآتي:

(١) حفظ المؤمن من الخطر الوشيك الذي سيكون بالغا (ع ٣). وهذا الوعد يحمي:

أ. الحياة الجسدية، وكثيرا ما يتحقق في حفظنا من هذه الأخطار الرهيبة والتي كانت قريبة منا للغاية.

ب. الحياة الروحية، والتي تُحمى من تجارب الشيطان بنعمة إلهية.

(٢) الله نفسه هو الذي سيقوم بالحماية: «بخوافيه يظللك، وتحت أجنحته تحتمي»، ونرى هنا إشارة إلى الدجاجة التي تجمع «فراخها تحت جناحيها» (مت ٢٣: ٣٧). فهي بغريزتها الطبيعية لا تكتفي بحمايتها فقط، بل تستدعيها لحمايتها حين تراها معرضة لخطر، ولا تكتفي بأن تحافظ على سلامتها، بل تحتضنها وتدفئها. ولقد سُر الله العظيم بأن يُشبه عنايته بشعبه بعناية الدجاجة بفراخها، والأجنحة والريش، على الرغم من رقتها البالغة وضعفها ويمكن اقتحامها بسهولة، ولذلك أُضيفت: «ترس ومجن حقه»، وهذا دفاع قوي. والله راغب في حراسة شعبه كما تحرس الدجاجة صغارها، وهو قادر على أن يفعل ذلك مثلما يفعل المحارب وهو مُدجج بأسلحته.

(٣) وهو لن يحفظهم من الشر فحسب، بل ومن الخوف من الشر (ع ٥ و٦). فالله سيحفظك بنعمته من الخوف المقلق الذي يقوم على عدم الثقة «الخوف (الذي) له عذاب»، وذلك في وسط أعظم الأخطار. والحكمة ستحفظك من الخوف الذي لا مبرر له، والإيمان سيحفظك من الخوف المبالغ فيه. لن تخاف من السهم، إذ تعرف إنه على الرغم من

أنه يصيبك إلا أنه لن يؤذيك. وإذا كان السهم يقضي على الحياة العادية، إلا أنه لا يمكن أن يؤذيك على الإطلاق بالنسبة لحياتك الروحية، التي ستكون كمال حياتك العادية.

(٤) سيُحفظون أثناء الكوارث العادية، وبطريقة مميزة (ع ٧): حين «يسقط عن جانبك ألف وربوات»، يسقطون بسبب المرض، أو يسقطون بالسيف في المعارك «وربوات عن يمينك» ومع ذلك «إليك لا يقرب» الخوف من الموت. فحين يموت الآلاف حولنا، ومع أن هذا يجب أن ينبهنا للاستعداد للموت، إلا أنه لا يجب علينا أن يعترينا أي خوف أو ذعر، أو نجعل أنفسنا تحت العبودية كما يفعل كثيرون طوال حياتهم «خوفا من الموت» (عب ٢: ١٥): «إنما بعينيك تنظر وترى مجازاة الأشرار»، الأمر الذي ربما يشير إلى هلاك أبكار المصريين بالوباء.

عدد ٩- ١٦

مزيد من الوعود لنفس الغرض كما في الأعداد السابقة.

أولا: يؤكد المرنم للمؤمنين الحماية الإلهية وذلك من واقع اختباره. سمات أولئك الذين يستفيدون ويتعزون من هذه الوعود. إنهم الذين جعلوا العلي مسكنهم (ع ٩)، كما يسكنون في محبة يسكنون في الله. ومن واجبنا هنا أن نكون في الله، وأن يكون هو اختيارنا، وبعدئذ نعيش حياتنا فيه على أنه مسكننا. وسوف يُرحب بنا إليه كما يُرحب بنا إلى مساكننا. ولكي يشجعنا على أن نجعل الرب مسكننا، وأن نأمل في أن نجد الأمن والشبع فيه، يشير صاحب المزمور إلى التعزية التي حصل عليها إذ فعل ذلك: ذاك الذي جعلته مسكنك هو «ملجأي»، وقد وجدته ثابتا وأمينا، وفيه كل الكفاية، وكل الحماية لك ولي. والوعود أكيدة بالنسبة لكل الذين جعلوا «العلي» مسكنهم. وأيا كان ما يحدث لهم، فلن يلاقيهم شر (ع ١٠). وعلى الرغم من أنه قد تلحق بهم محنة أو متاعب، إلا أنها في واقع الأمر لن تتضمن أي شر حقيقي، لأنها ستأتي من محبة الله، وسوف تتقدس، إنها ستأتي، ولكن ليس لتلحق بك شرا، بل من أجل صالحك. وعلى الرغم من أنها في الوقت الراهن ليست بهيجة بل محزنة، إلا أنها في النهاية سينتج عنها خير حتى إنك ستعترف بنفسك أنه «لا يلاقيك شر». فذاك الذي هو رب الملائكة، والذي أعطاهم وجودهم والذي يصدر لهم أوامره، والذين هم له، وقد خلقهم لخدمته، فإنه «يوصي ملائكته بك»، ليس بالنسبة للكنيسة فقط بوجه عام، بل لكل مؤمن على حده. ومهمتهم هي: «لكي يحفظوك في كل طرقك». فأينما ذهب القديسون تؤمر الملائكة برعايتهم كما يؤمر الخدم بالنسبة للأطفال: «على الأسد والصل تطأ». وقد سُمي الشيطان «أسد زائر»، «الحية القديمة»، «تنين... أحمر»، ولذلك يبدو أن الرسول يشير إلى هذا الوعد بقوله (رو ١٦: ٢٠): «وإله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعا». ولقد سحق المسيح رأس الحية، وهزم أعداءنا الروحيين (كو ٢: ١٥). ويمكن أن يُطبق هذا الوعد على اهتمام العناية الإلهية بنا، والتي تحمينا من المخلوقات المؤذية البغيضة «ووحوش البرية تسالمك» (أي ٥: ٢٣)، نعم، وهناك طرق ووسائل لاستئناسها (انظر يعقوب ٣: ٧).

ثانيا: يستعرض لنا كلام الله نفسه حيث يعزي القديسين، ويعلن لهم عن رحمته التي يدخرها لهم (ع ١٤- ١٦)، ومما نجدر ملاحظته:

(١) من الذين تخصهم هذه الوعود: وقد وصفوا بثلاث صفات:

أ. الذين يعرفون اسم الله. ومن المعروف أننا لا نستطيع أن نعرف طبيعته بشكل تام، لكنه هو نفسه أعلن عن اسمه.

ب. الذين أحبوه وتعلقوا به، والذين يعرفونه بحق، لابد وأن يحبوه.

ج. الذين هم في شركة دائمة معه عن طريق الصلاة.

(٢) ما هي الوعود التي قطعها الله للقديسين:

أ. في الوقت المناسب، يخلصهم من المتاعب «أنجيه» (ع ١٤)، و«أنقذه» (ع ١٥)، الأمر الذي يشير إلى خلاص مزدوج، في الحياة والممات، خلاص في وقت الشدة وخلاص من المتاعب.

ب. في ذات الوقت «معه أنا في الضيق» (ع ١٥). وإذا لم يضع في الحال نهاية لمحنهم، فإنهم مع ذلك سيشعرون أنه معهم في متاعبهم.

ج. إنه في هذا يستجيب لصلواتهم: «يدعوني»، سأسكب عليه روح الصلاة، وحينئذ «فأستجيب له»، بأعمال العناية الإلهية، وأجيبه بمراحمي «شجعتني قوة في نفسي» (مز ١٣٨: ٣)، وهكذا استجاب لبولس «تكفيك نعمتي» (٢كو ١٢: ٩).

د. سوف يرفعهم ويمجدهم: «هو في الأعالي يسكن»، بعيدا عن متناول المتاعب، وعن المنطقة العاصفة «حصون الصخور ملجأه» (إش ٣٣: ١٦). وسوف تمكنهم نعمة الله أن ينظروا إلى أمور هذا العالم باحتقار مقدس وبلا مبالاة، وأن ينظروا إلى أعلى إلى أمور العالم الآخر بطموح واهتمام بالغين.

هـ. ستكون لهم كفايتهم في هذا العالم (ع ١٦): «من طول الأيام أشبعه». سوف يعيشون طويلا وبما فيه الكفاية، وسوف يظلون في هذا العالم إلى أن يتمموا العمل الذي أُرسلوا من أجله، ويستعدون للسماء، وهذا وقت طويل كاف. وقد يموت الإنسان صغير السن، ومع ذلك يموت شبعان أيام «من طول الأيام أشبعه».

و. ستكون لهم حياة أبدية في العالم الآخر. وهذا ما يتوج البركة: «وأريه خلاصي». ولعل الكلمة تشير إلى الوطن الأفضل، أي الوطن السماوي.

المزمور الثاني والتسعون

مزمور تسبيحة. ليوم السبت

من المحتمل أن يكون داود كاتب هذا المزمور.

أولا: تسبيحة ليوم السبت أوصى بها هنا (ع ١ – ٣).

ثانيا: بأعمال الله التي أوجدت مناسبة السبت، هنا تم الاحتفاء، على اعتبار أنها عظيمة وبعيدة بصفة عامة عن الاستقصاء (ع ٤ – ٦). وبصفة خاصة، فيما يتعلق بأعمال العناية الإلهية والفداء، فإن صاحب المزمور يترنم برحمة الله وبدينونته، ويتبادل ذلك ثلاث مرات.

(١) الأشرار يبادون (ع ٧) لكن الله أبدي (ع ٨).

(٢) أعداء الله سوف يهلكون، لكن داود سيمجد (ع ٩ و١٠).

(٣) أعداء داود يفحمون ويرتبكون (ع ١١)، غير أن كل الأبرار سيثمرون ويزدهرون (ع ١٢ – ١٥).

عدد ١ – ٦

عُين هذا المزمور للترنم به، أو على الأقل جرت العادة على ترديده في المقدس يوم السبت. ويوم السبت، يجب أن يكون يوما، ليس للراحة المقدسة فحسب، بل يوم عمل مقدس. والعمل المناسب للسبت هو التسبيح لله، وكل يوم سبت يجب أن يكون يوم شكر لله. وقد قال أحد الكتبة اليهود إن هذا المزمور يشير إلى ملكوت المسيح، وأسماه «مزمور أو تسبحة للدهر الآتي" الذي سيكون كله يوم سبت.

أولا: لقد دُعينا وشُجعنا على أن نسبح الله (ع ١ – ٣): «حسن هو الحمد للرب». وحمد الله عمل طيب، إنه عمل حسن في حد ذاته، وحسن من أجلنا.

(١) كيف نحمد الله. نفعل ذلك بأن نخبر برحمته.. وأمانته، وليس من واجبنا أن نخبر فقط عن عظمته وجلاله، وعن قداسته وعدله، الأمر الذي يعظمه ويبث الخوف فينا، بل يجب أن نخبر برحمته وأمانته، لأن صلاحه هو مجده (خر ٣٣: ١٨ و١٩)، وبهما أعلن اسمه. ورحمته وأمانته من الدعائم الأساسية التي يقوم عليها إيماننا ورجاؤنا، ومن التشجيعات العظيمة لمحبتنا وطاعتنا. وهذا تم عمله في ذلك الحين، ليس بالترنيم فقط بل وبمصاحبة الموسيقى «على ذات عشرة أوتار» (ع ٣).

(٢) متى يجب حمد الله «في الغداة»، وفي «كل ليلة»، ليس في أيام السبت فقط، بل في كل يوم، وليس في الاجتماعات العامة فحسب، بل في السر، وفي عائلاتنا. ويجب أن نبدأ كل يوم ونختتمه بحمد الله.

ثانيا: لنا مثال يحتذى به في صاحب المزمور نفسه (ع ٤): «لأنك فرحتني يا رب بصنائعك. بأعمال يديك أبتهج». ومن الذكرى البهيجة لما عمله الله لنا في السابق يمكننا أن نتوقع بسرور ما سوف يعمله من أجلنا مستقبلا. وليس بمقدورنا أن ندرك عظمة أعمال الله، ومن ثم يجب أن نتعجب منها بكل وقار وخوف. أعمال الناس قليلة وتافهة، لأن أفكارهم سطحية، ولكن «ما أعظم أعمالك يا رب»، وهي ما لا يمكن قياسها، لأنه ما «أعمق جدا أفكارك»، وهي ما لا يمكن سبر غورها، وعظمة أعمال الله سوف

تحملنا على التأمل في عمق أفكاره.

ثالثا: نُصحنا بألا نهمل أعمال الله، بألا نتمثل بأولئك الذين يفعلون هذا (ع ٦). والذين لا يتعرفون على أعمال الله أو يمجدونه عليها، إنما هم من الحمقى.

عدد ٧- ١٥

قال صاحب المزمور (ع ٤) إنه من أعمال الله يمتلئ قلبه فرحا، وهذا ما عمله هنا.

أولا: يفرح لهزيمة أعداء الله (ع ٧، ٩، ١١). وحين يزدهرون (ع ٧) «كالعشب» في الربيع (يزرع بغزارة، ويكون أخضر الشكل، وينمو بسرعة)، «وأزهر كل فاعلي الإثم» في زهو وأبهة وقوة. قد يعتقد البعض أن هذا دليل أكيد على رضى الله عنهم غير أن الحقيقة هي على النقيض من ذلك تماما. فإن «راحة الجهال تبيدهم». فعلى الرغم من تبجحهم (ع ٩)، فإنهم أعداؤك، وأنهم يحاربون الله. وسوف يهلكون: «أما المقسي قلبه فيسقط في الشر». وعلى الرغم من أنهم كانوا يضمرون الشر ضد صاحب المزمور، فمع ذلك فهو ينتصر عليهم (ع ١١): «وتبصر عيني بمراقبيَّ. وبالقائمين عليَّ بالشر»، وسوف لا أراهم فقط عاجزين عن أن يلحقوا بي مزيدا من الضرر فحسب، بل سوف يُحاسبون أيضا على ما ألحقوه بي من أذى، وإما أنهم سيعرفون طريق التوبة، أو سيهلكون.

ثانيا: يبتهج بالله ومجده ونعمته.

(١) في مجد الله (ع ٨).

(٢) في نعمة الله، وفضله، وثمار ذلك (ع ١٠): «وتنصب... قرني»، عندما «أعداؤك يبيدون»، لأنه في ذلك الحين «يضيء الأبرار كالشمس»، حيث سيحكم على الأشرار بالعار والخزي الأبدي. وقد أضاف «تدهنت بزيت طري»، الأمر الذي يشير إلى تثبيته من جديد في وظيفته التي سبق أن مُسح لها، أو تشير إلى فيض من الخير، وبذلك سيكون لديه زيت جديد بحسب ما يريد، أو قد تشير إلى تعزيات جديدة لتنعشه حين بدأت معنوياته تنخفض. والنعمة هي مسحة الروح. وقد رُمز إلى القديسين هنا بأشجار البر (إش ٦١: ٣؛ مز ١: ٣)، «مغروسين في بيت الرب» (ع ١٣).

وأشجار البر لا تنمو من تلقاء نفسها، بل «مغروسين» وليس في التربة العادية بل «في بيت الرب». والأشجار لا تُزرع عادة في بيت، لكنه قيل إن أشجار الله تُغرس في بيته، لأنها من نعمته، وبواسطة كلمته وروحه تحصل على كل الغذاء والفضيلة اللازمين لبقائها على قيد الحياة ولكي تكون مثمرة. وقد جاء الوعد هنا بأنها تنمو (ع ١٢). وحين يعطي الله نعمة حقيقية سوف يعطي بزيادة. وأشجار الله تنمو بدرجة أعلى «كالأرز في لبنان»، وسوف تنمو أكثر قربا من السماء، وتكون قوية مثل الأرز، وأكثر ملائمة للاستعمال. سوف تكون بهيجة تلقى احترام كل من هم حولها: «كالنخلة» تزهو، حيث تتميز بجزع رائع وأغصان كبيرة.

أما البلح، وهو الثمر الذي تعطيه النخلة، فطعمه لذيذ، ثم إن النخلة دائمة الخضرة، والأشرار يزهون كالشعب (ع ٧) الذي سرعان ما يذوي. ولكن البار مثل النخلة التي تعمر طويلا، والتي لا يغيرها الشتاء. ولقد قيل عن النخلة كلما ضُغطت إلى أسفل زاد نموها، هكذا الأبرار أيضا يزهون تحت أعبائهم. وهم يكونون مثمرين. وهم نتاج التقديس، وكل أمثلة العبادة الحية، والأعمال الخيرة، التي يتمجد بها الله، ويبنى بها الآخرون هي ثمار البر التي من ميزة الأبرار أن يزيدوا فيها. وجاء الوعد أنهم «أيضا يثمرون في الشيبة». أما الأشجار الأخرى فحين تتقدم في العمر تكف عن الإثمار، أما بالنسبة لأشجار الله فإن قوة النعمة لا تفشل مع قوة الطبيعة. وآخر أيام القديسين تكون عادة هي أفضل أيامهم، وآخر عمل لهم تراه أفضل أعمالهم. وكما أنه بناء على الوعود يشترك المؤمنون في الطبيعة الإلهية، هكذا طبقا للوعود أيضا تُحفظ الطبيعة الإلهية أو تُصان. وكل الذين وضعوا ثقتهم في الله وجدوه أمينا، ووجدوا فيه كل الكفاية، ورجاؤهم لا يخزى.

المزمور الثالث والتسعون

هذا المزمور القصير يوضح كرامة ملكوت الله بين الناس. وهو يتحدث عن ملكوت عنايته الإلهية الذي به يحكم العالم، وملكوت نعمته الذي به يحفظ الكنيسة. وإدارة

هاتين المملكتين وُضعت في يد المسيح، والذي بلا ريب يشهد النبي هنا له ولملكوته.

وفيما يختص بملكوت الله ذُكرت هنا أشياء مجيدة.

أولا: إذا كان للملوك الآخرين حلتهم الملكية، فهكذا لدى المسيح أيضا حلته الملكية (ع ١).

ثانيا: هل لهم عروش، هكذا له هو أيضا (ع ٢).

ثالثا: لهم أعداؤهم الذين أخضعوهم وانتصر عليهم؟ هكذا الحال أيضا بالنسبة للمسيح (ع ٣ و٤) .

رابعا: هل من كرامتهم أن يكونوا أمناء قديسين؟ هكذا هو أيضا (ع ٥).

عدد ١ – ٥

«الرب قد ملك». إنها ترنيمة كنيسة الإنجيل، والكنيسة الممجدة (رؤ ١٩: ٦): «هللويا فإنه قد ملك الرب». وقد أُخبرنا هنا كيف يملك.

أولا: الرب يملك بمجد: فقد «لبس الجلال»

ثانيا: يملك بقوة. فلم يلبس «الجلال» فحسب، كملك في بلاطه، بل «لبس الرب القدرة». كالقائد في الميدان. ولديه وسائل تدعيم عظمته، وأن يجعلها رهيبة حقا. ونراه ليس وقد «لبس الجلال» فقط، بل «ولبس... القدرة» أيضا. هذه القوة لم تستمد من مصدر آخر، بل واستخدامها لا يعتمد على أي أحد آخر. ولقد أُسس العالم بقوة الله الخالقة، وحين أسسها على البحار، نراها لا تزال كذلك، وذلك بواسطة عنايته الإلهية التي تدعم كل الأشياء، وتُعد عملية خلق مستمرة. وعلى الرغم من أن الله ألبس نفسه «الجلال» إلا أنه يتنازل لكي يعتني بهذا العالم الأدنى، وليدبر شئونه، وإذا كان هو الذي أسس العالم فبالأحرى سيؤسس كنيسته، حتى لا يمكن أن تتزعزع.

ثالثا: يملك إلى الأبد (ع ٢): «كرسيك مثبتة منذ القدم». وإدارة حكومته من كافة نواحيها سبق أن قُررت في مشوراته الأزلية قبل تأسيس العالم. ولأن الله نفسه منذ الأزل، فإن كرسيه وكل القرارات المتعلقة به هي منذ الأزل كذلك، لأن الذهن الأزلي لا يمكن أن تخطر عليه سوى الأفكار الأزلية.

رابعا: يحكم بنصرة (ع ٣ و٤): «رفعت الأنهار يا رب (الاعتراض رُفع لله نفسه) رفعت الأنهار صوتها»، وهي تبث الرعب. وهذه إشارة إلى البحار الهائجة العاصفة. وقد وُصفت الكنيسة بأنها «المضطربة» (إش ٥٤: ١١). ويمكن أن نأخذ هذه كإشارة إلى الاضطرابات التي تعمل أحيانا في صدورنا، غير أنه إذا حكم الله هناك، فإنه حتى الرياح والبحار تطيعه. فثمة مرثاة ثابتة لا يمكن تحريكها أُلقيت في العاصفة (ع ٤): «الرب في العلى أقدر». قوة أعداء الكنيسة ما هي سوى «أصوات مياه كثيرة»، غالبيتها ضجيج لا قوة. «فرعون ملك مصر هالك» (فرعون ملك مصر ليس سوى طبل أجوف، بحسب ترجمة أخرى، إر ٤٦: ١٧). وسيادة الرب العظيم غير المحدودة وقوته التي لا تُقاوم من الأمور المشجعة جدا لشعب الله في مواجهة كل ما في هذا العالم من ضجيج واضطرابات (مز ٤٦: ١ و٢).

خامسا: يحكم بالحق وفي قداسة (ع ٥)، وكل وعوده أمينة لا رجوع فيها: «شهاداتك ثابتة جدا». وكما أن الله قادر على أن يحمي كنيسته، فهكذا هو أيضا أمين للمواعيد التي قطعها من ناحية سلامتها وانتصارها. وكنيسة الله هي بيته. وقداستها هي جمالها، وقوتها هي سلامتها، وقداسة بيت الله هي التي تحفظه ضد «أصوات مياه كثيرة». وحيثما وُجدت الطهارة، يُوجد السلام.

المزمور الرابع والتسعون

كُتب هذا المزمور عندما كانت جماعة الله في الخفاء، مطحونة ومضطهدة، وهو يشكل مناشدة لله من أجل شعبه ضد أعدائه وأعدائهم. ويتناول هذا المزمور أمرين:

أولا: إدانة ورعب للظالمين (ع ١ – ١١)، مبينا لهم ما هم فيه من خطر وحماقة، محاولا إقناعهم.

ثانيا: تعزية وسلام للمظلومين والمضطهدين (ع ١٢ – ٢٣)، حيث يُؤكد لهم على أساس وعد الله، فضلا عن اختبار صاحب المزمور شخصيا، أن متاعبهم ستنتهي إلى خير.

عدد ١ – ١١

أولا: مناشدة خاشعة لله ضد القساة الذين يضطهدون شعبه (ع ١ و٢).

(١) الألقاب التي وصفوا بها الله في تضرعهم وذلك ليشجعوا إيمانهم: «يا إله النقمات... يا ديان الأرض». فهو القاضي الأعظم، وهو يحكم وحده، وله وحده دينونة كل إنسان. والذي يعطي القوانين هو الذي يصدر الحكم على كل واحد طبقا لأعماله، وذلك بناء على أحكام ذلك القانون، وعرشه هو الملاذ الأخير للمظلومين الأبرياء : وهو «ديان الأرض»، ديان الأرض كلها. وكما أن له سلطان أن ينتقم للظلم، ولذلك فإن طبيعته وسمته أنه «إله النقمات»، الذي لن يسمح للقوة أن تسود على الحق. وهذا سبب قوي يدعونا إلى عدم الانتقام لأنفسنا لأن الله قال: «لي النقمة» (رو ١٢: ١٩)، وإنه اجتراء وقح أن نغتصب من الله امتيازه، وأن نحاول الجلوس على عرشه.

(٢) ما الذي يلتمسونه من الله: يقولون «أظهر يا رب نفسك، دعهم يعرفون أنك موجود وأنك مستعد أن تظهر قوتك تأييدا لأولئك الذين قلوبهم مستقيمة نحوك". لقد ظن الأعداء أن الله قد هُزم لهزيمة شعبه: «جاز صنيع المستكبرين»، أي حاسبهم على كل عجرفتهم، والأذى الذي ألحقوه بشعبك.

ثانيا: شكوى خاشعة إلى الله من غطرسة الظالمين وقسوتهم (ع ٣). إنهم أشرار، و«خطاة»، ولذلك هم يكرهون ويضطهدون أولئك الذين يخجلهم صلاحهم ويدينهم. وهم متغطرسون ويجدون سعادة في تمجيد أنفسهم. والذين يمتدحون أنفسهم، ويسعدون بالاستعلاء على الآخرين تراهم ميالين إلى ذم الآخرين: «يسحقون شعبك يا رب»، ويبذلون كل ما في وسعهم للإساءة إلى ميراثك، وإلحاق الضيم بهم، وسحقهم وقهرهم، بل واستئصالهم. وشعب الله هو ميراثه. ومن ناحية أخرى تراهم بعيدين عن الإنسانية، ويجدون سرورا في ظلم أولئك الذين لا يستطيعون معاونة أنفسهم (ع ٦)، فإلى متى يا رب يتصرفون على هذا النحو؟

ثالثا: اتهام بالإلحاد ضد هؤلاء الظالمين. وقد تم الكشف هنا عن أفكارهم الإلحادية (ع ٧): «ويقولون الرب لا يبصر» بل كانت لهم الجرأة على القول: «الرب لا يبصر»، ولن يتغاضى عن الأخطاء الصغيرة فقط، بل إنه سيغمض عينيه أيضا عن الأخطاء الكبيرة. والذي يقول إن الرب الإله الحي لن يرى، أو إن إله يعقوب لا يلاحظ الأذى الذي يلحق بشعبه يكون «نابال اسمه والحماقة عنده». «افهموا أيها البلداء في الشعب» (ع ٨)، واحتكموا إلى العقل. فالله يرى ويلاحظ كل ما تقولون وما تعملون. ولا يوجد أحد يبلغ شره إلى حد لا يمكن أن تُستخدم معه الوسائل لاستعادته وإصلاحه، فلا يوجد من بلغت حالته هذا القدر من الوحشية والحماقة، غير أنه من غير المؤكد ما إذا كان لا يمكن بعد إعادتهم إلى رشدهم، ولكن هناك أمل طالما كانت هناك حياة. وأعمال الخلق (ع ٩)، وتكوين أجسام البشر، تثبت أن هناك إله، كما تثبت كذلك أن الله في نفسه قد فاق وبشكل غير محدود كل الكمالات الموجودة في أي مخلوق. «الغارس الأذن ألا يسمع؟ الصانع العين ألا يبصر؟» أكان بوسعه أن يعطي ذلك الكمال لأي مخلوق، إذا لم يكن هذا متوفرا فيه؟ ومن خلال معرفتنا لأنفسنا نستطيع أن نقطع شوطا كبيرا في سبيل معرفة الله– وإذا كنا من خلال معرفتنا بأجسادنا، وأعضاء الحواس، نستطيع أن نستنتج بأنه مادمنا نستطيع الرؤية والسمع فلابد وأن الله يستطيع ذلك، فمن المؤكد أننا نستطيع ذلك من خلال معرفتنا لنفوسنا. فآلهة الوثنيين لها عيون ولا تبصر، ولهم أذن ولا تسمع، وإلهنا ليس له عيون أو أذن كتلك التي لنا، ومع ذلك يجب أن نستنتج أنه يرى ويسمع، لأنه هو الذي أعطانا السمع والبصر. «المؤدب الأمم» بسبب وثنيتهم وتعدد آلهتهم «ألا يبكت» شعبه لإنكارهم وجود الله ولنجاستهم؟ وثمة معنى آخر محتمل لهذه العبارة وهو: ذاك الذي يُعلم الأمم (أي يعطيهم ناموسه) ألن يبكت، أي لا يحكم عليهم طبقا لهذا الناموس، ويحاسبهم لانتهاكاتهم لهذا الناموس؟ فنفس الكلمة تعني يؤدب ويعلم، لأن التأديب يُقصد به التعليم، والتعليم يجب أن يسير جنبا إلى جنب مع التأديب. «المعلم الإنسان معرفة» أيحتاج إلى معرفة؟ وباعتباره إله الطبيعة، لم يعط نور العقل فحسب، بل إنه كإله النعمة أعطى نور الإعلان الإلهي، وعرف الإنسان الحكمة والفهم الحقيقيين، فهل مَنْ فعل ذلك يحتاج إلى معرفة (أي ٢٨: ٢٣، ٢٨). والله يعرف حتى ما يدور في أذهاننا (ع ١١): «الرب يعرف أفكار الإنسان»، وهو يعرف «أنها باطلة». وحتى الأفكار الطيبة لا تخلو من

تقلبات وتناقض، وهذه يمكن بالفعل وصفها «أنها باطلة». والأفكار بالنسبة لله تُعد كلاما، والأفكار الباطلة تُعد استفزازات.

عدد ١٢ – ٢٣

يعزي كاتب المزمور القديسين المتألمين مستندا إلى مواعيد الله واختباره الشخصي.

أولا: من مواعيد الله، والتي لن تقتصر على إنقاذهم من التعاسة فقط، بل تضمن السعادة لهم (ع ١٢): «طوبى للرجل الذي تؤدبه». وهو هنا ينظر إلى ما هو أعلى من جالبي المتاعب، ويتطلع إلى يد الله، والتي تعطيها معنى مختلفا تماما. فالأعداء يسحقون شعب الله (ع ٥)، لكن الله بواسطتهم يؤدب شعبه، فباعتباره الآب، فهو ينظر إليهم كالابن الذي يُسر به، وما الظالمون إلا القضيب الذي يستعمله. وقد جاء الوعد هنا:

(١) أن شعب الله سيجني خيرا من آلامه. وحين يؤدبهم، فهو يعلمهم، وطوبى للرجل الذي يقع على هذا النحو تحت التأديب الإلهي؛ لأنه ليس هناك معلم مثل الله. حين نُؤدب علينا بالصلاة من أجل تعليمنا، وننظر إلى الوصية على أنها أفضل مفسر للعناية الإلهية. وليس التأديب في حد ذاته الذي يعمل خيرا، بل التعليم الذي يصاحبه والذي يفسره.

(٢) سوف يتعلمون من خلال آلامهم (ع ١٣): «لتريحه من أيام الشر». فأيام شقائهم لن تستمر إلى الأبد. ولذلك يُعلم الله شعبه من خلال متاعبهم، حتى يعدهم لخلاصهم، وبذلك يريحهم من أتعابهم، ثم إن الآلام، بعد أن تُؤدي مهمتها، يمكن إزالتها.

(٣) سوف يرون هلاك أولئك الذين كانوا أدوات تعذيبهم.

(٤) رغم أنه قد تصيبهم الأحزان، إلا أنه من المؤكد أنهم لن ينبذوا (ع ١٤). وأيا كان ما يعمله أصدقاؤهم، فإن الله لن يتخلى عنهم، أو ينبذهم من عهده أو يحرمهم من عنايته. وكان القديس بولس يعزي نفسه بهذا (رو ١١: ١).

(٥) مهما كانت الأمور سيئة، فإنها سوف تتحسن (ع ١٥): «لأنه إلى العدل يرجع القضاء». وما يبدو لنا أنه غير سليم من ناحية العناية الإلهية (وهذا أمر لا يحدث إطلاقا) سوف يستقيم «على أثره كل مستقيمي القلوب»، فسوف يعودون إلى حالة النجاح والازدهار، ويضيئون بعد أن كانوا مغمورين. وسوف يتكيفون مع تصرفات العناية الإلهية بمحبة لائقة. ولعل هذا تحقق بشكل ملحوظ للغاية في خراب أورشليم أولا، وبعد ذلك في روما الوثنية، الذين صلبوا المسيح واضطهدوا المسيحيين، وبقية الذين عانت الكنيسة على أيديهم.

ثانيا: من تجاربه وملاحظاته الشخصية.

(١) تعرض هو وأصدقاؤه لظلم بيِّن على أيدي رجال قساة مستبدين، كانت في يدهم السلطة فأساءوا استخدامها ضد كل الناس الصالحين. كانوا من «المسيئين... فعلة الإثم» (ع ١٦). وأغرقوا أنفسهم في كل نوعيات الشرور والمفاسد، وهنا أصبح كرسيهم هو «كرسي المفاسد» (ع ٢٠). والشر متبجح بما فيه الكفاية حتى إذا كانت القوانين البشرية ضده، والتي كثيرا ما يتضح ضعفها البالغ عن كبحه، غير أنه كم يكون الشر متبجحا ومؤذيا إذا ما سانده قانون. وفعلة الإثم هؤلاء «يحكمون على دم زكي» لأنهم انتهكوا أوامرهم. ونرى مثالا لذلك في أعداء دانيال الذين قننوا الشر بقانون، وذلك حين حصلوا على مرسوم شرير ضد الصلاة (دا ٦: ٧)، وحين رفض دانيال طاعته «طرحوه في جب الأسود». وأفضل الذين نفعوا البشرية كثيرا ما عُوملوا على هذا النحو تحت ستار القانون والعدالة، واعتبروا أسوأ فاعلي الشر.

(٢) الضغط الذي تعرضوا له كان له تأثير سيئ عليهم. وكثيرا ما كاد صاحب المزمور يسكن «أرض السكوت» (ع ١٧). لقد طفح به الكيل ولم يعد يعرف ماذا يقول أو ماذا يعمل، وكان مستعدا لأن يسقط إلى القبر الذي هو «أرض السكوت». القديس بولس في حالة مماثلة قال: «كان لنا في أنفسنا حكم الموت» (٢كو ١: ٨ و٩). وقال صاحب المزمور: «قد زلت قدمي» (ع ١٨)، لابد أن أسقط، وسوف أهلك يوما بيد شاول. رجائي يخذلني، ولا أجد أساسا راسخا لإيماني، مثلما كان العهد معي في بعض الأحيان (انظر مزمور ٧٣: ٢) كانت تساوره أفكار عديدة مربكة ومعقدة فيما يتعلق بالطريق الذي يجب عليه

أن يتخذه، وما هي احتمالات نتيجة ذلك.

(٣) في هذه المحنة كانوا يطلبون عونا ومساعدة (ع ١٦): «مَنْ يقف لي ضد فعلة الإثم؟» هل لي صديق يقف إلى صفي بدافع محبته لي؟ لقد بحث، ولم يكن هناك من مخلص، ولم يكن هناك من نصير. حين أُحضر القديس بولس أمام نيرون الآثم «لم يحضر أحد» معه (٢تي ٤: ١٦): لقد صرخوا قائلين: «هل يعاهدك كرسي المفاسد؟» هل تؤيد وتساند هؤلاء الطغاة في شرهم؟ نحن نعلم أنك لا تفعل ذلك. فالعرش يكون له شركة مع الله حين يكون عرشا عادلا ويحقق الغاية من إقامته. غير أنه إذا أصبح «كرسي المفاسد»، لا تعود له شركة بعد مع الله.

(٤) وجدوا عونا وخلاصا في الله، وفيه وحده. «لولا أن الرب معيني»، لما تمالكت نفسي إطلاقا، غير أن الحياة بإيمان فيه حفظت رأسي فوق المياه، ردت لي نفسي، وأعطتني شيئا لأقوله. ونحن لسنا مدينين لقوة الله فقط، بل ولرحمته ومعوناته الروحية أيضا: فرحمتك، وعطايا رحمتك، ورجائي في رحمتك «تعضدني»، و«عند كثرة همومي في داخلي» حيث تزاحم أفكاري وتتصادم معها، فإن «تعزياتك تلذذ نفسي»، وتزيل مخاوفي، وتحفظ سلامي. وتعزيات الله تصل النفس، وليس الخيال فقط، وهي تأتي معها بالسلام والمسرة اللذين لا تستطيع ابتسامات العالم أن تعطيهما، كما لا يستطيع عبوسه أن ينزعهما.

(٥) والله قاضٍ عادل، وسوف يكون كذلك دائما، فهو حامي الصواب، ومعاقب الخطأ، وهذا ما ترسخ في ضمير كاتب المزمور، بل وما اختبره أيضا. فحينما لم يستطع أحد آخر، أو لم يجرؤ أحد على حمايتي «فكان الرب لي صرحا»؛ ليحفظني من شرور متاعبي، ومن السقوط تحت ثقلها، وتدميرها لي. ذلك أن «إلهي صخرة ملجأي» التي أحتمي في تجويفها، والتي فوقها أستطيع أن أضع قدمي، لكي أكون بمنأى عن الخطر.

المزمور الخامس والتسعون

لكي نشرح هذا المزمور، لابد وأن نستعير كثيرا مما جاء في عددي ٣ و٤، حيث يظهر أن كاتبه هو داود، وأنه أخذ في حسبانه أيام المسيح، لأنه ذُكر هناك بكل صراحة (عب ٤: ٧) أن اليوم المشار إليه هنا (ع ٧) يجب فهمه على أنه يوم الإنجيل، الذي فيه كلمنا الله في ابنه، وحدثنا عن راحة إلى جانب راحة كنعان.

والقصد من ترتيل المزامير هو:

أولا: بحمد وترنيمات نهتف له (ع ١ و ٢)، باعتباره إلها عظيما (ع ٣ – ٥)، ومحسنا كريما (ع ٦ و٧).

ثانيا: كي نعلم وننصح بعضنا بعضا. وقد تعلمنا هنا ونُصحنا بأن نسمع لصوت الله (ع ٧)، وألا نقسي قلوبنا مثلما فعل بنو إسرائيل في البرية (ع ٨ و٩) حتى لا نقع تحت غضب الله ونُحرم من راحته، مثلما حدث معهم (ع ١٠ و١١).

عدد ١ – ٧

نجد أن كاتب المزامير، هنا وفي أي مكان آخر تقريبا، يحث نفسه كما يحث الآخرين على أن يحمدوا الله.

أولا: كيف نحمد الله. ترنيمة الحمد يجب أن «نهتف» بها (ع ١ و٢). والفرح الروحي هو جوهر ترانيم الحمد والشكر. لنفرح به باعتباره أبانا وملكنا، والإله الذي دخل في عهد معنا. وبكل وقار وخشوع وخوف مقدس: «هلم نسجد ونركع ونجثو أمام الرب»، كما يليق بأولئك الذين يعرفون مدى المسافة غير المحدودة التي بيننا وبين الله، وكيف أننا في خطر عظيم من غضبه وفي حاجة ماسة لرحمته. ويجب أن نتكلم ونرنم بتسابيح حمده من فيض قلب عامر بالمحبة والفرح والشكر– «هلم نرنم للرب... وبترنيمات نهتف له». ويجب أن نحمد الله بترانيم جماعية، في الاجتماعات الروحية «هلُم نرنم»، لنشترك معا في التسبيح للرب. هيا «نتقدم أمامه» معا، حيث اعتاد شعبه أن يتوقع إعلانه عن نفسه.

ثانيا: لماذا نحمد الله.

(١) «لأن الرب إله عظيم»، وملك كبير على الكل (ع ٣).

أ. قوته عظيمة: «ملك كبير على كل الآلهة»، فوق كل من يفوضهم عنه، فوق كل القضاة، الذين قال لهم «إنكم آلهة». فوق كل الآلهة الزائفة.

ب. ممتلكاته عظيمة. وقد ذُكر هنا بصفة خاصة

هذا العالم الخاص بالحياة الدنيا. كم هو عظيم ذلك الإله الذي له كل الأرض والتصرف في كل شيء (ع ٤): «بيده مقاصير الأرض، وخزائن الجبال له»، وكل ما ينمو عليها هو له أيضا. وأية قوة في أي مخلوق هي مأخوذة من الله ومُستخدمة له (ع ٥): «الذي له البحر وهو صنعه»، جمع مياهه وحدد له شواطئه، «اليابسة» له، لأن يديه سبكتاها. وحين قال كلمته ظهرت اليابسة. ولكونه خالق الكل، هذا جعله- بدون منازع- مالكا للكل. ولما كان هذا مزمورا إنجيليا، فلابد أن نفترض أن الرب يسوع هو الذي تعلمنا هنا أن نسبحه. فباعتباره الوسيط فهو «ملك كبير على كل الآلهة»، وبواسطته «الكلمة الأزلي»، «كل شيء به كان» (يو ١: ٣)، وكان من الصواب أن يكون هو الذي «يصالح به الكل لنفسه» على اعتبار أنه «فيه خُلق الكل» (كو ١: ١٦، ٢٠).

(٢) ولأنه إلهنا، ليس له السيادة علينا فقط مثل سيادته على كل المخلوقات، بل له علاقة خاصة بنا (ع ٧): «لأنه هو إلهنا». هو خالقنا، وعلى ذلك علينا أن «نسجد ونركع ونجثو أمام الرب خالقنا» (ع ٦). والوثنيون يسجدون أمام آلهة قاموا هم أنفسهم بصنعها، ولكننا نسجد أمام إله هو الذي خلقنا. هو مخلصنا، وسبب بركتنا. وقد دُعي هنا «صخرة خلاصنا» (ع ١). ولذلك نحن ملكه، وتحت كل الالتزامات الممكنة: «نحن شعب مرعاه وغنم يده». ولذلك يجب علينا مدحه وحمده، لأنه يحفظنا ويعولنا. وكل أبناء الكنيسة هم من ناحية خاصة هكذا فإسرائيل «شعب مرعاه وغنم يده»، وعلى ذلك يطلب خضوعهم بطريقة خاصة. وكنيسة الإنجيل هي قطيعه. والمسيح هو راعيها الصالح والعظيم، ومن ثم فإن «له المجد في الكنيسة... إلى جميع أجيال دهر الدهور» (أف ٣: ٢١).

عدد ٨- ١١

الجزء الأخير من هذا المزمور يشكل نصيحة لأولئك الذين يرنمون مزامير الإنجيل بأن يعيشوا بحسب ما يليق بالإنجيل.

أولا: الواجب المطلوب ممن هم «شعب» مرعى المسيح «وغنم يده». وهو يطلب منهم أن يسمعوا صوته، لأنه قال: «خرافي تسمع صوتي» (يو ١٠: ٢٧)، وإن كنتم تدعونه معلما أو سيدا فأعملوا الأعمال التي يقول لكم، وكونوا شعبه المطيع. وسماع صوت المسيح هو الإيمان به.

ثانيا: الخطية التي حُذروا منها هي ألا يقسوا قلوبهم: «اليوم إن سمعتم صوته، فلا تقسوا قلوبكم»، واستفيدوا مما تسمعون. لأن البذار التي تُزرع على الصخر لا يمكن أن تعطي ثمرا جيدا.

ثالثا: مثال بني إسرائيل في البرية.

(١) احذروا ألا تخطئوا كما فعل بنو إسرائيل، وإلا تحرموا من الراحة الأبدية كما حُرموا هم من كنعان. وكثيرا ما أغاظوا الله بعدم ثقتهم فيه وتذمرهم حتى أن كل الفترة التي قضوها في البرية يمكن أن تُسمى «يوم مسة»، وهو الاسم الآخر الذي أُطلق على هذا المكان (خر ١٧: ٧)، لأنهم جربوا الرب قائلين: «أفي وسطنا الرب أم لا؟» وكلما زادت معرفتنا بقوة الله وصلاحه، زادت خطيتنا إذا لم نثق به.

(٢) وقد وُجهت التهمة باسم الله ضد الإسرائيليين غير المؤمنين (ع ٩ و١٠). كانت خطيتهم هي عدم الإيمان. فقد جربوا الله واختبروه (عد ١٤: ٣ و٤). وقد سُمي هذا عصيانا (تث ١: ٢٦، ٣٢). أما الذي فاقم من خطيتهم فهو أنهم «أبصروا أيضا» فعل الله، رأوا ما عمله من أجلهم حين أخرجهم من مصر، وما يعمله الآن كل يوم من أجلهم، من الخبز الذي كان يمطره من السماء، والماء الذي كان يخرجه لهم من الصخرة، والكثير من الأدلة على وجود الله معهم. «هم شعب ضال قلبهم، وهم لم يعرفوا سبلي». وعدم إيمان الإنسان بالله وعدم ثقته به وتذمره وتشاجره معه إنما يتأتى نتيجة الجهل. لقد رأوا عمله (ع ٩)، ثم إنه «عرف موسى طرقه، وبني إسرائيل أفعاله» (مز ١٠٣: ٧)، ومع ذلك لم يعرفوا سبل عنايته الإلهية، أو سبل وصاياه. إن سبب استخفاف الناس بطرق الله وتركهم لها مرده أنهم لا يعرفونها. هم شعب «ضال قلبهم»، لقد انحرفوا عن الطريق، وفي قلوبهم رجعوا عن طرق الله. وخطايا المؤمنين من شعب الله لا تغضبه فحسب، بل تحزنه، ولاسيما خطية عدم الثقة به.

نلاحظ هنا طول أناة الله بالنسبة للخطاة الذين

يغيظونه بخطاياهم. لقد غضب عليهم مدة أربعين سنة، ومع ذلك انتهت هذه السنوات بدخول الجيل الثاني منهم إلى أرض كنعان منتصرين. أما الحكم الذي صدر عليهم بسبب خطيتهم (ع ١١)، أنه أقسم في غضبه، غضبه العادل والمقدس. والله لا يخضع للعواطف التي نخضع نحن لها، بل قيل إنه كان غاضبا على الخطية والخطاة، لكي يبين مدى خبث الخطية، وعدالة حكم الله. «لا يدخلون» راحته، الراحة التي كان قد أعدها لهم، تتمثل في أرض يسكنونها هم وعائلاتهم.

وحالة إسرائيل هذه يمكن أن تطبق على ذريتهم ممن عاشوا على أيام داود، حين كُتب هذا المزمور. غير أنها يجب أن تُطبق علينا نحن المسيحيين، لأنه هكذا طبقها الرسول. فهناك راحة روحية أبدية موضوعة أمامنا، وقد وُعدنا بها، وما كانت كنعان سوى رمزا لها. والذين- على غرار إسرائيل- لا يثقون في الله، سيكون من العدل أن يحرمهم من راحته. وقد قرروا هم أنفسهم هذا (عب ٤: ١).

المزمور السادس والتسعون

تم الترنم بهذا المزمور عند تحرك تابوت العهد. وهو يتطلع للأمام إلى ملكوت المسيح، وقُصد به الاحتفاء بأمجاد ذلك الملكوت، ولاسيما دخول الأمم فيه. ونجد هنا:

أولا: نداء لجميع الشعوب لكي تسبح الله، وتعبده كإله عظيم ومجيد (ع ١ – ٩).

ثانيا: إعلان لجميع الشعوب عن حكومة الله الشاملة ودينونته، الأمر الذي يتعين أن يكون موضع فرح شامل (ع ١٠ – ١٣).

عدد ١ – ٩

الدعوة التي وُجهت هنا لحمد لله. كانت حيوية للغاية.

أولا: مطلوب منا أن نمجد الله:

(١) بالترانيم (ع ١ و٢). وقد طُلب منا هنا أن نرنم «للرب» ثلاث مرات: «باركوا اسمه»، تحدثوا عنه بخير، حتى تحملوا الآخرين على الحديث عنه بالمثل: «رنموا للرب ترنيمة جديدة»، وليدة عواطف متجددة. والترنيمة الجديدة تكون لمراحم جديدة. والترنيمة الجديدة، هي ترنيمة عهد جديد، ترنيمة حمد للعهد الجديد والامتيازات الثمينة التي تضمنها. والترنيمة الجديدة هي ترنيمة تظل جديدة على الدوام. وهذه نبوة لدعوة الأمميين، وكل الأرض سيُجعل في فمها هذه الترنيمة الجديدة. ليت موضوع هذه الترنيمة يكون «خلاصه»، الخلاص العظيم الذي سيحققه الرب يسوع.

(٢) بالعظات (ع ٣): «حدثوا بين الأمم بمجده، بين جميع الشعوب بعجائبه». والخلاص بيسوع المسيح جاء الحديث عنه هنا على أنه عمل عجيب. وهذا الخلاص، كان في أزمنة العهد القديم، كما هو الحال الآن هو مجد يجب إعلانه.

(٣) بالخدمات الدينية (ع ٧ – ٩): وإلى هنا، وعلى الرغم من أنه «في كل أمة، الذي يتقيه ويصنع البر مقبول عنده»، غير أن الأحكام والفرائض كانت من خصائص الديانة اليهودية وقد دُعيت هنا «كل الأرض» لكي تتقي الرب وتعبده. وقد وُصفت هنا أعمال عبادة الله. يجب علينا أن نقدم للرب «مجد اسمه». يجب أن نأخذ «تقدمة» وندخل «دياره». ويجب في المقام الأول أن نقدم بأنفسنا «قربان الأمم» (رو ١٥: ١٦). ويجب أن نسجد «للرب في زينة مقدسة»، وبقلوب مقدسة، تقدست بنعمة الله، وتكرست لمجده. وكل أعمال العبادة يجب أن تُؤدى بخوف ووقار مقدسين.

ثانيا: ذُكرت هنا أعمال مجيدة عنه: «لأن الرب عظيم وحميد جدا» (ع ٤)، ولذلك فإنه «مهوب». فحتى الترنيمة الجديدة تعلن أن الله عظيم وصالح. وهو عظيم في سيادته «على كل الآلهة» المدعية: «مهوب هو على كل الآلهة».

كل الملوك الذين كثيرا ما كانوا يُؤلهون بعد وفاتهم. وهو عظيم في حقه، حتى بالنسبة لأنبل جزء في الخليقة، لأنه عمله واستمد وجوده منه. «مجد وجلال قدامه» في وجوده فوق في السماء، حيث يغطي الملائكة وجوههم، لأنهم لا يستطيعون أن يتحملوا بهاء مجده. «العز والجمال في مقدسه»، سواء ذاك الذي في السماء، أو هذا الذي على الأرض. وإذا ذهبنا إلى مقدسه، سوف نرى جماله، لأن الله محبة، وسوف نختبر قوته لأنه هو صخرنا.

عدد ١٠ – ١٣

تعليمات صادرة لأولئك الذين سيكون عليهم الكرازة بالإنجيل للأمم.

أولا: «قولوا بين الأمم: الرب قد ملك»، المسيح الرب قد ملك، في المملكة التي صمم الله على إقامتها على جبله المقدس صهيون. ولنلاحظ كيف قيل هذا أولا على لسان الرسول بطرس «للشعب» (أع ١٠: ٤٢). وكما جاء في الترجمة القبطية «الرب قد ملك على خشبة».. أي الصليب، وذلك حين كُتب فوقه لقب «ملك اليهود».

ثانيا: قولوا إن مملكة المسيح ستكون أسعد الممالك على الأرض: «تثبتت المسكونة فلا تتزعزع». ذلك أن الخطية صدمتها، ولا تزال تهددها، غير أن المسيح الفادي، يدعم كل الأشياء، وهو يحافظ على مجرى الطبيعة. والديانة المسيحية، على قدر ما يؤمن بها الناس، سوف ترسخ دولا وممالك، وتحفظ نظاما طيبا بين الناس.

ثالثا: قولوا لهم إن مملكة المسيح ستكون عادلة وأمينة (ع ١٣). وقد قال هو نفسه: «لدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم» (يو ٩: ٣٩؛ ١٢: ٣١)، وأعلن أنه قد أُعطيت له «كل الدينونة» (يو ٥: ٢٢، ٢٧). وسوف يحكم في قلوب الناس وضمائرهم، وذلك بالقوة الحاكمة للحق وروح البر والتقديس. وحين سأل بيلاطس مخلصنا: «أفأنت إذًا ملك؟»، أجابه «قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق» (يو ١٨: ٣٧).

رابعا: قولوا لهم إن مجيئه قريب، وإن هذا الملك، وهذا الديان، واقف على الباب. وبين هذا ومجيئه الأول تتداخل أجيال كثيرة، ومع ذلك فقد أتى في الوقت المحدد، ومن المؤكد أن مجيئه الثاني سيكون في وقته المحدد أيضا.

خامسا: قولوا لهم إن عليهم أن يفرحوا في المسيح، وبهذه المهمة العظيمة التي سيُعهد بها إليه (ع ١١ و١٢): «لتفرح السماوات ولتبتهج الأرض، ليعج البحر وملؤه. ليجذل الحقل وكل ما فيه، لتترنم حينئذ كل أشجار الوعر»، والمعنى هو:

(١) أيام المسيح ستكون أياما بهيجة. فحين قبلت السامرة الإنجيل، «كان فرح عظيم في تلك المدينة» (أع ٨: ٨)، وحين تعمد الخصي «ذهب في طريقه فرحا» (أع ٨: ٣٩).

(٢) من واجب كل واحد منا أن يرحب بالمسيح وملكوته، لأنه على الرغم من أنه يأتي منتصرا وليغلب، إلا أنه يأتي بالسلام.

(٣) سيكون ثمة مبرر لتفرح الخليقة كلها لإقامة ملكوت المسيح حتى البحر.. «البحر» و«الحقل». وسيكون هناك في المقام الأول «فرح قدام ملائكة الله».

المزمور السابع والتسعون

يسير هذا المزمور على نهج المزمور السابق. فالمسيح هو هو الألف والياء (الألفا والأوميجا) والنهاية بالنسبة لكل منهما. فهو الذي سيملك وسيفرح البشرية كلها (ع ١)،

وسوف تشكل حكومته:

أولا: رعبا لأعدائه، لأنه ملك عدله لا يلين وقوته لا تُقاوم (ع ٢ – ٧).

ثانيا: تعزية لأصدقائه ورعاياه المخلصين، وذلك نتيجة سيادته وسيطرته، والعناية التي سيوليها لشعبه، ورعايته لهم (ع ٨ – ١٢).

عدد ١ – ٧

ما كان يجب قوله للأمميين في المزمور السابق (ع ١٠)، قيل هنا أيضا (ع ١) واتُخذ موضوعا لهذا المزمور، وكذلك المزمور التاسع والتسعون: «الرب قد ملك»، وهذا هو الحق العظيم الذي وُضع هنا: «الرب يسوع قد ملك".

أولا: «فلتبتهج الأرض»، لأنه بهذا «تثبتت المسكونة» (مز ٩٦: ١٠). ولا يبتهج به شعب إسرائيل فقط باعتباره ملك اليهود، وكذلك ابنة صهيون باعتباره ملكها، بل تبتهج به أيضا كل الأرض. «ولتفرح الجزائر الكثيرة»، أي الأراضي الكثيرة أو العظيمة. فالكل لديه مبرر قوي للفرح بمملكة المسيح. أحيانا يكون «السحاب والضباب حوله»، وتدبيراته قد لا نجد لها تفسيرا «في البحر طريقك، وسبلك في المياه الكثيرة» فثمة عمق في مشوراته، وليس لنا أن ندَّعي

فهمها. ومع ذلك فإن «العدل والحق قاعدة كرسيه»، فخيط العدالة الذهبي يجري في جميع نسيج إدارته. في هذا يقيم لأن هذا مسكنه. وفي هذا يحكم، لأن هذه «قاعدة كرسيه». فأحكامه عدل وستظل دائما كذلك. ومن ذا الذي يستطيع أن يناقض أو يعارض من «أخبرت السماوات بعدله، ورأى جميع الشعوب مجده»، أو قد يرونه. ومجد الله في وجه المسيح أشرق في البلدان البعيدة. «اسجدوا له يا جميع الآلهة». والعبارة التي وردت في عبرانيين ١: ٦: «ولتسجد له كل ملائكة الله»، تُعد مفتاحا لكل ما جاء في هذا المزمور، وتبين لنا أنه يجب فهمه على أنه يتحدث عن الفادي الممجد. فقد أُعطيت له كل قوة في السماوات والأرض «وملائكة وسلاطين وقوات مخضعة له» (١بط ٣: ٢٢).

ثانيا: وعلى الرغم من أن مملكة المسيح ستكون سبب فرح للكل، إلا أنها مع ذلك ستكون مصدر رعب للبعض، وهم بالطبع السبب في ذلك (ع ٣ – ٥، ٧). فذاك الذي يحكم فتبتهج الأرض كلها، فإنه مع ذلك له أعداؤه أيضا (ع ٣). وسُمي هؤلاء الأعداء هنا «الجبال» (ع ٥) بسبب تعاليمهم وقوتهم وعنادهم الذي لا يتزحزحون عنه، واضطهادهم الرسل ومنعهم من أن يكلموا الأمم، أكمل مكيال خطيتهم، وكان سبب في أن «أدركهم الغضب إلى النهاية» (١تس ٢: ١٥ و١٦). وشُبه هذا الغضب هنا بنار آكلة، والتي لن تحرق الحثالة فقط على الجبال، بل إنها تذيب «الجبال مثل الشمع» (ع ٥). فمهما كانت المعارضة قوية متبجحة فسوف تترنح «قدام الرب». لقد «رأت الأرض وارتعدت» وكل مَنْ سمع تأذت أذناه. وقد تحقق هذا في خراب أورشليم والأمة اليهودية على يد الرومان، وذلك بعد قيامة المسيح بأربعين سنة، الأمر الذي مثل النار والرعد أذهل كل جيرانهم (تث ٢٩: ٢٤). وسوف يقع الوثنيون أيضا في حيرة نتيجة قيام مملكة المسيح (ع ٧): «يخزى كل عابدي تمثال منحوت» أي العالم الوثني، الذين استُعبدوا «للذين ليسوا بالطبيعة آلهة» (غل ٤: ٨). وهذه صلاة من أجل تجديد الأمميين، من أجل الذين قضوا مدة طويلة يعبدون هذه الأصنام الصماء، أن يقتنعوا بخطئهم، ويخجلوا من حماقتهم، وبواسطة قوة إنجيل المسيح يُؤتى بهم لعبادة الإله الحقيقي الوحيد دون سواه. والقضاء على الوثنية في الإمبراطورية الرومانية تحقق بعد المسيح بثلثمائة سنة تقريبا.

عدد ٨– ١٢

أولا: السبب الذي من أجله فرحت صهيون بمملكة الفادي. لقد تمجد الله، وكل ما يعود لمجده يكون مدعاة لفرح شعبه. «لأنك أنت يا رب عليٌّ على كل الأرض» (ع ٩). فرفعة المسيح، وانتشار مجد الله بين الناس نتيجة ذلك، يفرح كل القديسين. «هو حافظ نفوس أتقيائه» وهو يحفظ حياتهم طالما لديه عمل يريدهم أن يعملوه. غير أن المقصود هنا شيء أكثر من حياتهم، لأن أولئك الذين سيكونون تلاميذه يجب أن يكونوا على استعداد لأن يضعوا حياتهم من أجله. والذي يحفظه المسيح هو «النفس الخالدة»، «الإنسان الداخلي» الذي يتجدد أكثر فأكثر حين يتآكل الإنسان الخارجي. «نور قد زُرع للصديق» أي «فرح للمستقيمي القلب». وقد أُخبر رعايا مملكة المسيح أن يتوقعوا الضيقات في هذا العالم، ومع ذلك عليهم أن يعرفوا، من أجل تعزيتهم أنه «نور قد زُرع للصديق». فما زُرع سيطلع في الوقت المناسب، ولو أنه– مثل بذور الشتاء– قد يمكث طويلا تحت التربة، ومع ذلك سوف يعود في زيادة كبيرة للغاية. لقد أخبر المسيح تلاميذه عند الوداع (يو ١٦: ٢٠): «أنتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحول إلى فرح».

ثانيا: القواعد التي وُضعت لفرح صهيون. ليكن فرحا نقيا مقدسا. أنتم الذين تحبون الرب يسوع، وتحبون ظهوره ومملكته، وتحبون كلمته ومجده عليكم أن تكرهوا الشر. فالمحبة الصادقة لله تظهر نفسها في كراهية حقيقية لكل خطية، كأمر بشع يبغضه. وليكن الفرح في الله (ع ١٢): «افرحوا أيها الصديقون بالرب». وكل خطوط الحب يجب أن تتلاقى فيه كما تتلاقى في المركز (انظر فيلبي ٣: ١؛ ٤: ٤). ولنعبر عن فرحنا بالتسبيح والشكر: «واحمدوا ذكر قدسه».

المزمور الثامن والتسعون

مزمور

يتضمن هذا المزمور نفس الهدف الذي رمى إليه المزموران السابقان، فهو يشكل نبوة عن ملكوت المسيح، وإقامته في هذا العالم، ودخول الأمميين فيه. والترجمة الآرامية تأتي به تحت عنوان: مزمور نبوي.

وهو يوضح:

أولا: مجد الفادي (ع ١ – ٣).

ثانيا: فرح المفديين (ع ٤ – ٩).

عدد ١ – ٣

ترنيمة الحمد من أجل المحبة المخلِّصة هي «ترنيمة جديدة». والمؤمنون الجدد يرنمون ترنيمة جديدة؛ فهم لديهم سبب جديد للانبهار، ومصدر جديد للفرح، وهكذا صارت لديهم نغمة جديدة.

أولا: العجائب التي صنعها: «لأنه صنع عجائب» (ع ١). وعمل خلاصنا الذي عمله المسيح هو عمل عجيب. وكلما زادت معرفتنا به ازداد الإعجاب به.

ثانيا: الانتصارات التي حققها: «خلصته يمينه وذراع قدسه». فلقد تغلب فادينا على كل الصعاب التي كانت تعترض طريق خلاصنا. وقد حقق الغلبة بقوته.

ثالثا: الإعلانات الإلهية التي أعطاها للعالم عن عمل الفداء. فما حققه لنا سبق أن أعلنه لنا، سواء عن طريق ابنه؛ فالإعلان الإلهي الذي تضمنه الإنجيل هو الذي قام عليه ملكوت الإنجيل.. «الكلمة التي أرسلها» (أع ١٠: ٣٦).

رابعا: إتمام نبوات العهد القديم ومواعيده. وقيل إن قصد الله بإرساله المسيح هو «ليصنع رحمة مع آبائنا ويذكر عهده المقدس» (لو ١: ٧٢). كان هذا هو ما وضعه في الاعتبار، وليس لأي استحقاق فيهم.

عدد ٤ – ٩

جاء الحديث عن إقامة ملكوت المسيح هنا على أنه كان مدعاة للفرح والحمد.

أولا: ليفرح به كل بني البشر، لأنهم جميعا انتفعوا، أو سينتفعون به. وقد دُعينا هنا المرة تلو الأخرى، وبجميع الطرق والوسائل الممكنة أن نعبر عن فرحنا به وأن نحمد الله من أجله. لنردد الترنيمات المقدسة للملك الجديد. لتكن موسيقانا، غير قاصرة على نغمات العود الرقيقة اللطيفة، بل بالنظر إلى أنه ملك مظفر يجب الاحتفاء بمجده، لذلك يجب أن يُعلن عن مجده بصوت مسموع «بالأبواق وصوت الصور» (ع ٦).

ثانيا: لتفرح به أيضا المخلوقات الأقل شأنا من الإنسان (ع ٧– ٩). وهذا لنفس الغرض الذي عرض لنا سابقا (مز ٩٦: ١١– ١٣): «ليعج البحر»، ولنصف هذا، ليس كما تعودنا بأنه ضجيج مزعج بل بأنه هتاف مفرح، ذلك أن مجيء المسيح، والخلاص الذي تحقق بواسطته، قد غير تماما سمات متاعب هذا العالم ورعبه، فحين ترتفع أصوات المياه والبحر يعج بأمواجه، فلا يجب أن نفهم من هذا أن البحر يزأر ضدنا، بل بالأحرى يشاركنا فرحنا.

ولعل البعض يعتقد أن هذه المزامير كانت في ذهن «ڤيرجل» جنبا إلى جنب مع أقوال «كوميان سيبايل» أثناء كتابته نشيد الرعاة الرابع، حيث إنه إما عن جهل أو عن حقد طبق على «اسينوس بوليو» النبوات القديمة التي كان من المتوقع أن تتحقق في ذلك الحين، لأنه عاش أثناء حكم أوغسطس قيصر، قبل ميلاد مخلصنا بفترة بسيطة. وهو يعترف بأنهم كانوا يتطلعون إلى ميلاد طفل من السماء سيكون بركة عظيمة للعالم، ويستعيد العصر الذهبي:

جنس جديد ينزل من السماء السامقة
تأثيره سيزيل كل شائبة من الفساد
ويحرر العالم من كل خطر

كما قال أشياء كثيرة أخرى عن هذا الطفل الذي طال انتظاره، حيث يعتقد «لودوفيكوس ڤايڤز» أنها تنطبق على المسيح، ثم ينتهي– كما هو شأن صاحب المزمور هنا– بتوقع فرح الخليقة كلها نتيجة ذلك: انظروا كيف أن هذا النسل الموعود به يجعل الجميع مبتهجين. وإذا كان الجميع يفرحون، فلماذا لا نفرح نحن أيضا؟

المزمور التاسع والتسعون

يبدو أن هذا المزمور يركز بالأكثر على تدبير العهد القديم

وإظهار مجد الله ونعمته فيه. والواقع أن الوعود قُطعت لإسرائيل، وكانوا ملزمين بتصديقها، ولكن لهم أيضا أُعطي الناموس، وعبادة الله، والذي كان واجبهم وضميرهم يلزمانهم أيضا بمراعاتها (رو ٩: ٤). وهذا ما طُلب منهم- في هذا المزمور- أن يعملوه، مع أنه يوجد الكثير أيضا عن المسيح، لأن مملكة الكنيسة كانت في يدي الكلمة الأزلي قبل أن يتجسد، وفضلا عن ذلك، فإن العبادات الطقسية كانت ترمز وتشير إلى العبادة الإنجيلية.

وقد طلب من شعب إسرائيل هنا أن يحمدوا الله ويرفعوه، وأن يسجدوا أمامه من ناحية أمرين اثنين:

أولا: فرحة إقامة المملكة التي كانوا تحت حكمها، سواء من جهة الأمور الدينية أو من ناحية الأمور المدنية (ع ١ - ٥).

ثانيا: بعض الأمثلة من الإدارة السعيدة لهذه المملكة (ع ٦ - ٩).

عدد ١ - ٥

أساس الديانة كلها موجود في هذه الحقيقة: «الرب قد ملك». والله يحكم بعنايته الإلهية، ويحكم الكنيسة بنعمته، ويحكم الاثنين بواسطة ابنه. لا نؤمن فقط بأن الرب حي، بل وأن «الرب قد ملك» أيضا. وهذه هي نصرة الكنيسة في العهد الجديد، وهنا كانت نصرة الكنيسة في العهد القديم أن الرب يهوه كان ملكهم، ومن هذا استُدل على أنه سوف «ترتعد الشعوب». وتدبير العهد القديم يحوي بين طياته الكثير من الرعب. غير أننا لم نأت الآن «إلى جبل ملموس مضطرم بالنار» (عب ١٢: ١٨). أما وأن «الرب قد ملك فلتبتهج الأرض». كان في ذلك الحين يحكم بالأكثر عن طريق قوة الخوف المقدس، أما الآن فهو يحكم بقوة الحب المقدس. «الرب قد ملك. ترتعد الشعوب». الذين يخضعون له سوف يتثبتون، ولا يتزعزعون (مز ٩٦: ١٠)، أما أولئك الذين يقاومونه فسوف يتزعزعون «لكي تبقى التي لا تتزعزع» (عب ١٢: ٢٧). وملكوت الله الذي أُقيم في إسرائيل هو موضوع تسبيح صاحب المزمور هنا:

أولا: يؤكد صاحب المزمور أمرين:

(١) إن الله يترأس الشئون الدينية: «هو جالس على الكروبيم» (ع ١)، ويعطي الناموس من خلال الأقوال التي تُسلم من هناك. وكان من مجد إسرائيل أنه كانت بينهم «سحابة المجد» الدالة على وجود الله معهم بصفة خاصة. «الرب عظيم في صهيون» (ع ٢) هناك عُرف وقُدم له الحمد (مز ٧٦: ١ و٢). هناك «عالٍ هو على كل الشعوب» ولذلك فإن كمالات الطبيعة الإلهية تظهر في أوج عظمتها في صهيون بأكثر مما تظهر في أي مكان آخر. ولذلك على الذين يسكنون في صهيون ويعبدون الله هناك أن يحمدوا «اسمك العظيم والمهوب. قدوس هو».

(٢) إنه الكل في الكل في إدارة أمورهم المدنية (ع ٤). كما في أورشليم شهادة إسرائيل، فهناك أيضا «استوت الكراسي للقضاء». وكانت قيادتهم قيادة دينية (حكم كهنوتي). ولقد رفع الله داود ليحكم عليهم، وهو الملك الذي «يحب الحق». وكان قويا، وكل قوته مستمدة من الله. وكان لشعب إسرائيل ملك طيب، ولكنهم تعلموا هنا أن يتطلعوا إلى الله الذي يعطي ملكهم تفويضا ليحكم: «أنت ثبَّت الاستقامة» (أي أن الله أعطاهم تلك الأحكام الممتازة التي يُحكمون بها)، «أنت أجريت حقا وعدلا في يعقوب».

ثانيا: وإذا وضعنا هذين الأمرين معا، سنرى كيف أن سعادة إسرائيل تفوق سعادة أي شعب آخر (ع ٥): «علوا الرب إلهنا، واسجدوا عند موطئ قدميه»، أعطوه مجد القيادة الرشيدة التي تحكمكم، بالشكل الذي قامت عليه الآن سواء في الهيكل أو في الدولة.

عدد ٦ - ٩

وُصفت هنا أيضا سعادة شعب إسرائيل بالقيادة التي أقامها الله لهم، وذلك من خلال أمثلة معينة من إدارته، ولاسيما بالإشارة إلى أولئك الذين كانوا أكثر الحكام نفعا للشعب- موسى، وهرون وصموئيل، وقد بدأ حكم الكهنة على يد الاثنين المذكورين أولا، وبالنسبة للأخير، فقد انتهى به إلى حد كبير هذا النمط من الحكم.

أولا: الشركة الوثيقة التي كانت تربطهم بالله. ولم يوجد في جميع الأمم الأخرى التي على وجه الأرض مثل هؤلاء الرجال الثلاثة، الذين كانت لهم مثل هذه الشركة مع السماء، والذين كان الله يعرفهم بالاسم (خر ٣٣: ١٧). وعلى الرغم من أن صموئيل لم

يكن بين كهنته، إلا أنه كان من «بين الذين يدعون باسمه» ومن هنا اكتسبوا جميعا شهرتهم. لقد «دعوا الرب»، بطاعتهم و«حفظوا شهاداته والفريضة التي أعطاهم»، وكانوا يخلصون كل الإخلاص في أداء واجبهم. وقد عمل موسى كل شيء طبقا للنموذج الذي رآه، وكثيرا ما تتكرر عبارة «بحسب كل ما أمر الرب موسى» هكذا فعل. ونفس الشيء عمله هارون وصموئيل. وكان لهم جميعا دالة عند الله بالصلاة، وكانوا يجرون المعجزات بناء على طلبهم وبالشكل الذي يريدونه. وكان الله يتكلم معهم كما يكلم الصديق صديقه (ع ٧).

ثانيا: الأعمال العظيمة التي عملوها لإسرائيل. لقد كانوا يتشفعون من أجل الشعب، وكثيرا ما نجحت شفاعتهم وحصلوا لهم على إجابات سلامية. موسى «وقف في الثغر»، وهارون «وقف بين الموتى والأحياء»، وحين كانت إسرائيل في محنة، صرخ صموئيل إلى الرب من أجلهم (١صم ٧: ٩). وهذا ما أُشير إليه في آية ٨: «أيها الرب إلهنا أنت استجبت لهم. إلها غفورا كنت لهم»، لأنك غفرت للناس الذين صلوا من أجلهم. ولقد دُعي الشعب ثانية ليسبحوا الله (ع ٩): «علوا الرب إلهنا» على أساس ما عمله من أجلهم في الماضي، وكذلك ما عمله من أجلهم مؤخرا «واسجدوا في جبل قدسه».

المزمور المئة

مزمور حمد

إنه لسبب قوي ذاك الذي يحمل الكثيرين على الترنم بهذا المزمور في كثير من الأوقات في اجتماعاتهم الدينية. ويقول اليهود إنه كُتب كي يترنموا به مع تقدمات الشكر، لكننا نقول بما إنه لا يحتوي شيئا خاصا بنظامهم، فإن استهلاله بدعوة كل الأرض لكي يسبحوا الله من الواضح أنه يجعله ممتدا ليشمل كنيسة الإنجيل.

ويتضمن هذا المزمور:

أولا: دعوتنا لتسبيح الله والفرح به (ع ١ و٢، ٤).

ثانيا: يمدنا بمادة للتسبيح، على ضوء وجوده وصلته بنا (ع ٣). ومن أجل رحمته وأمانته (ع ٥).

عدد ١ – ٥

يتفق هذا المزمور فعلا مع عنوانه «مزمور حمد» أو شكر. وإذا أخذنا المزمور السابق على أنه دعوة للكنيسة اليهودية لتفرح بالقيادة الإلهية، التي أقامها الله عليهم (مثلما احتُسبت المزامير الأربعة السابقة عليه على أنها تخص أيام المسيح) فإن هذا المزمور، ربما كان يُقصد به المؤمنون الذين جاءوا من جميع البلدان لاعتناق الديانة اليهودية.

أولا: دعوة قوية لعبادة الله. ويُلاحظ أنه في جميع الأعمال المتعلقة بالعبادة، سواء كانت في الخفاء، أو في عائلاتنا، نحن نأتي إلى محضر الله، ونعبده. أما في العبادة العامة على وجه الخصوص ندخل إلى «أبوابه» و«دياره». «اعبدوا الرب بفرح». وبالفرح المقدس نحن نعبد الله فعلا. ومَنْ يعبدون الله من أتباع الإنجيل، يجب أن يعبدوا الله بفرح. ويجب أن ندخل «إلى حضرته بترنم»، ليس بترانيم فرح فحسب، بل بتسابيح أيضا: «ادخلوا أبوابه بحمد» (ع ٤). ويجب أن نعتبره فضلا من الله أن يسمح لنا بعبادته، وأنه أعطانا الفرائض والأحكام والفرص المستمرة لخدمته في إطار هذه الفرائض.

ثانيا: موضوع الحمد، والدوافع إليه، من الأمور البالغة الأهمية (ع ٣، ٥). لتعرف ما هو الله وماذا يمثله بالنسبة لك. والمعرفة هي أساس العبادة والطاعة: والذبائح العمياء لا يمكنها أن تسر إلها مبصرا. ليتنا والحال هذه نعرف هذه الأمور الستة المتعلقة بالرب يهوه.

(١) «الرب هو الله»، هو الإله الحي الحقيقي الوحيد، وأنه كائن، كماله غير محدود، كائن في ذاته، ومكتف بذاته، وهو أساس كل وجود. وهو روح أزلي، لا يمكن سبر غوره، وهو مستقل بذاته لا يحتاج إلى أحد، وهو العلة الأولى، والغاية الأخيرة.

(٢) إنه خالقنا: «هو صنعنا»، «وله نحن». أعطانا وجودنا، وأعطانا هذا الوجود، وهو خالق أجسادنا وأبو أرواحنا. ونحن لم نخلق أنفسنا، وما كان بمقدورنا أن نفعل ذلك.

(٣) ولهذه الأسباب هو مليكنا الشرعي. وقد وردت في الترجمة المازورية: «هو خلقنا، ونحن ملكه،

ننتمي إليه». وإذا وضعنا الترجمتين معا، سوف نعرف أنه بالنظر إلى أن الله صنعنا، ولم نصنع نحن أنفسنا، لذلك فنحن لا نملك أنفسنا، وإنما نحن له.

(٤) هو حاكمنا وسيدنا: «نحن شعبه».

(٥) إنه المحسن الكريم بالنسبة لنا، فنحن «غنم مرعاه»، الذي يعتني بنا، ونحن القطيع الذي يطعمه.

(٦) إنه إله رحمة وصلاحه بلا حدود (ع ٥).

المزمور المئة والواحد

لداود. مزمور

من المؤكد أن داود هو كاتب هذا المزمور. إنه تكريس جليل لله عندما أسند إليه مسئولية عائلة، ومسئولية مملكة.

سواء كتب هذا المزمور عندما أخذ مسئولية الحكم بعد موت شاول مباشرة (كما يرجح البعض)، أو عندما بدأ يحكم كل إسرائيل، وأعاد التابوت إلى مدينة داود (كما يظن البعض الآخر). فهذا لا يهم كثيرا. فالمزمور خطة ممتازة أو نموذج لحكم صالح، أو للتمسك بالفضيلة والتقوى. وبهذه الوسائل يتوفر نظام جيد وهذا ينطبق أيضا على العائلات الخاصة.

فهو مزمور يردده رب العائلة:

أولا: الرؤية العامة لقسم داود (ع ١ و٢).

ثانيا: التفاصيل الخاصة (ع ٣ – ٥، ٧ و٨) وتفضيل كل ما هو صالح (ع ٦).

عدد ١ – ٨

يضع داود هنا لنفسه وللآخرين مثلا، للحاكم الصالح، ورب الأسرة الصالح.

أولا: إن الموضوع المختار للمزمور (ع ١) «رحمة وحكما أغني. لك يا رب أرنم». إن داود منذ بداءة مسحه ملكا قابل عدة توبيخات، وكثيرا من المعاناة من جانب، ومن الجانب الآخر فقد حظي بالنجاة مرات عديدة، وبنعم كثيرة وهبت له ولأجل هذه كلها فإنه سيرنم لله. إن الترتيبات الإلهية لشعب الله هي مزيج من المحبة والعدل. وقد أقام الله الواحدة مقابل الأخرى وحددها مثل بعض شهور السنة.. يوم ممطر، ويوم ساطع مشمس، ومهما كانت أحوالنا الخارجية فلا الضحك في الأحوال الميسورة، ولا الدموع في الأحوال المحزنة يمكن أن تبعدنا عن الترانيم المقدسة. يمكن أن يُفهم بالنسبة لرحمة داود وعدله، أنه يعد في هذا المزمور أن يكون رحيما وعادلا. إن مراحم العائلة ومشكلاتها كلها توجه العائلة للاتجاه لله.

ثانيا: إن القرار الذي اتخذه داود لكي يتحكم في نفسه جيدا وبضمير صالح في مجلسه (ع ٢) نرى هنا:

(١) قصد جيد في كلامه، إنه سيعيش بالقانون. وعلى الأخص في عائلته. «أسلك في كمال قلبي في وسط بيتي» حيث كان بعيدا جدا عن أعين العالم. ولكن حيث لا يزال يرى نفسه أمام عيني الله. وهو يصمم على أن يسلك في كمال قلبه في طريق وصايا الرب.

(٢) صلاة طيبة «متى تأتي إليَّ؟». إنه شيء مرغوب متى صار للمرء بيت خاص به، أن يأتي الله ويسكن فيه معه: وكما قصد داود كان حريصا أن يتعقل في طريق كامل وكما طلب في صلاته كان الله معه.

ثالثا: قراره المحدد ألا يمارس أي خطية (ع ٣) «لا أضع قدام عيني أمرا رديئا». لن أخطط أو أسعى نحو أي شيء إلا ما يمجد الله ويسعد الآخرين.

رابعا: ثم قراره الآخر بألا يحتفظ لديه بخدام أشرار ولا يعهد بأي عمل إلى المحيطين به من الفاسدين. لن يكون له أي تعامل مع المضلين الخبثاء، الذين لا يهمهم الضرر الذي يفعلونه لمن يستاءون منهم (ع ٤). «قلب معوج» (أي منحرف وغير أمين) هؤلاء سيكونون بعيدين عني لأنهم غير صالحين للمجتمع، الذي تربطه المحبة. «الشرير لا أعرفه». «الذي يغتاب صاحبه سرا» سواء بنشر أو ترويج قصص زائفة للتحامل على سمعة شخص طيب «هذا أقطعه»، أو أخرسه وسيمنع داود تقرب أولئك الذين يأملون أن يتملقونه «مستكبر العين ومنتفخ القلب لا أحتمله». لن أصبر على أولئك الذين لا يزالوا يسعون للتقرب مني، لأنه من المؤكد أنهم لا يسعون لأجل عمل صالح. ولكن لتعظيم أنفسهم وعائلاتهم. الله يقاوم المستكبرين،

وهكذا سيفعل داود. «لا يسكن وسط بيتي عامل غش». ومع أنه يمكن أن يكون قد تسلل إلى عائلتي ثم تم اكتشافه. فلن «يسكن في بيتي» ولن يستخدم داود مثل هؤلاء الأشخاص كوكلاء عنه.

خامسا: تصميمه على أن يستخدم فقط الموثوق بهم من الأمناء والصالحين (ع ٦) «عيناي على أمناء الأرض لكي أجلسهم معي». إن المملكة يجب أن تبحث عن رجال أمناء ليكونوا مشيرين. وإذا وجد مَنْ هو أفضل من غيره فإنه يُفضل. إن شاول اختار معاونيه لحسن جمالهم (١ صم ٨: ١٦)، ولكن داود اختارهم لصلاحهم.

سادسا: قراره أن تمتد غيرته نحو إعادة تأسيس المدينة والدولة، وكذلك بلاط الملك (ع ٨). سيكون غيورا متحمسا لتهذيب السلوكيات، وقمع الرذيلة الذي كان يهدف إليه، لم يكن فقط لتأمين سلطته وسلام المملكة ولكن لتمجيد الله في طهارة شعب الله. «باكرا أبيد جميع أشرار الأرض، لأقطع من مدينة الرب كل فاعلي الإثم».

المزمور المئة والثاني

صلاة لمسكين إذا أعيا وسكب شكواه قدام الله

يظن البعض أن داود كتب هذا المزمور في وقت تمرد أبشالوم. ويظن البعض الآخر أنه ربما كتبه دانيال، أو نحميا، أو نبي آخر لفائدة شعب الله عندما كان في الأسر في بابل. ولكنه واضح من انطباق (ع ٢٥ و٢٦) على المسيح (عبرانيين ١: ١٠ – ١٢) أن المزمور يشير إلى أيام المسيا. ويتحدث إما عن آلامه أو عن آلام كنيسته من أجله.

وفي هذا المزمور نري:

أولا: شكوى حزينة يقدمها كاتب المزمور سواء عن نفسه أو باسم شعب الله عن الآلام التي يعانونها لأجل اسمه (١ – ١١).

ثانيا: تعزيات في وقتها:

(١) لأن الله أبدي (ع ١٢، ٢٤، ٢٧).

(٢) بسبب الإيمان بالخلاص المرتقب لشعب الله المتألم في الوقت المناسب (ع ١٣ – ٢٢)، واستمرار تواجده في العالم (ع ٢٨).

عدد ١ – ١١

إن عنوان هذا المزمور هو «صلاة لمسكين». نجد هنا صلاة وضعت بين يدي المساكين. ليتهم يقدمونها لا بأيديهم بل بقلوبهم ويضعونها أمام الله. عندما تكون أحوالنا وأرواحنا مثقلة، فإنه من واجبنا أن نسكب شكوانا بالصلاة أمام الله، مما يتيح لنا راحة يعطيها لنا الله لنتمتع بالحرية أمامه، وفي التخاطب معه. ولا تخفى مدى الراحة التي يحصل عليها المسكين المتألم روحيا عندما يطرح كل أثقاله بكل تواضع معبرا عن متاعبه وأحزانه.

أولا: يترجى صاحب المزامير الله بكل خشوع أن ينظر إلى بلواه وإلى صلاته في ضيقته (ع ١ و٢). لنرفع صلاتنا وأرواحنا معها، فإذا رفعنا صلاة واثقة فيمكننا أن نقول بالإيمان «يا رب استمع صلاتي» اظهر ذاتك لي، لا أريد أن تسمعني فقط بل استجب لي. امنحني الخلاص الذي أترجاه وأسعى إليه. «استجب لي سريعا»، عندما أدعوك.

ثانيا: وهو يقدم شكوى ممزوجة بالأسى للحالة المتدنية التي هبط إليها نتيجة أحزانه. هزل جسمه، لأن الرفاهية والبهجة تظهر في العظام السمينة، وهكذا فإن الحزن والضيق يتمثلان في عكس ذلك «عظامي مثل وقيد قد يبست» (ع ٣). «لصق عظمي بلحمي» (ع ٥) حقا فأنا مثل العشب يبست (ع ١١) محترقا بنار مشاكلي الحامية. كان مشغولا بالتفكير في أحواله المضطربة حتى أنه سهى عن أكل خبزه (ع ٤) لم تكن لديه أية شهية.

كان يحب الوحدة، كما يفعل المكتئبون، وقد هجره أصدقاؤه وكانوا يخجلون منه (ع ٦ و٧) «أشبهت قوق البرية، صرت مثل بومة الخرب» والتي تصدر أصواتا حزينة. وتسكن الخرب. «سهدت وصرت كعصفور منفرد على السطح». إني أعيش في عُلية وهناك أقضي ساعاتي في التأمل في مشاكلي، والتحسر على نفسي. عندما تركه أصدقاؤه، عيره أعداؤه (ع ٨). وعندما لم يتمكنوا من النيل منه. صوبوا نحوه سهامهم حتى بكلمات رديئة. لقد صام وبكى بسبب علامات غضب الله وسخطه (ع ٩ و١٠) لم تكن المحنة نفسها هي التي أزعجته بقدر غضب الله والذي كان يخشاه على اعتبار أنه السبب في المحنة. «لأن

أيامي قد فنيت في دخان» (ع ٣) والذي يتلاشى بسرعة، وهي مثل «ظل مائل» (ع ١١). كل هذه التعبيرات صلاة لشخص معين متألم وحزين. ومع ذلك يعتبر وصفا لآلام شعب الله الذي يتعاطف معه صاحب المزامير جاعلا من أحزان الشعب العامة، أحزانه الخاصة.

عدد ١٢– ٢٢

نجد هنا تعزيات ثمينة وكبيرة لتتوازن مع الشكاوى السابقة لأنه أشرق «نور من ظلمة».

أولا: إننا كائنات مصيرها الموت. وتنتهي أيضا اهتماماتنا وتعزياتنا. ولكن الله إله دائم إلى الأبد (ع ١١) «أيامي كظل مائل». ليس هناك من علاج والليل يزحف نحوي. «أما أنت يا رب فإلى الدهر جالس». الله دائم إلى الأبد. وهو الحافظ الأمين لشعبه، ونثق أنه لن يغفل عنهم.

ثانيا: إن صهيون المسكينة في محنة، ولكن سيأتي وقت تعزيتها ونجدتها (ع ١٣). إن الأمل في خلاصها مبني على صلاح وقوة الله. هناك وقت معين لخلاص شعب الله، قد حددته الحكمة الإلهية (ولذلك فهو أحسن الأوقات) والذي عينه الله الحق الأزلي. ولذلك فهو وقت مُحدد. فلن يُنْسى أو يؤجل. صارت صهيون خربة، أعني الهيكل الذي بُني في مدينة داود. وإن مسرة صهيون هي إعادة بناء الهيكل، كما هو واضح في آية ١٦ حتى أحجار الهيكل عزيزة على عبيدك «قد سروا بحجارتها» رغم أنها طرحت إلى أسفل وتبعثرت «وحنوا إلى ترابها». كل مخلفاتها وأنقاضها (ع ١٤). ومع أن الهيكل قد دُمر إلا أن حجارته ستكون دعامة لهيكل جديد، وهناك مَنْ شجعوا أنفسهم بذلك: ستخشى «الأمم اسم الرب». وعندما يعيد الله بعنايته الإلهية مجد الهيكل سيكون لدى الشعوب أفكار أفضل من شعب الله عما كان لديهم سابقا. وسيقولون سنذهب معك لأننا سمعنا أن الله معك (زك ٨: ٢٣). كل مَنْ كان تمجيده غايتهم الكبرى يرغبون فيه ويصلون لأجله.

ثالثا: إن صلوات شعب الله في الوقت الحالي تبدو هزيلة ولا ينظر إليها باهتمام ولكن سيعاد النظر فيها من جديد وستحظى بتشجيع كبير (ع ١٧) «التفت إلى صلاة المضطر» وفي الأصل تعني البائسين المحرومين والكلمة المستعملة هنا رائعة، فهي تشير إلى عشب في البرية، أو الشجيرة الصغيرة، أو أكمة مثل الزوفا على الحائط. إنهم في حالة متدنية، يتمتعون ببركات روحية إلا أنهم محرومون من أشياء زمنية جيدة. عندما نشعر بضآلتنا، والظلمة والموت من حولنا، والعيوب المتعددة في صلواتنا فهذا سيجعلنا نظن أن صلواتنا ستقابل في السماء بازدراء، لكننا نجد هنا ما يؤكد لنا عكس ذلك لأن لدينا مَنْ يدافع عنا لدى الآب وأننا لسنا تحت الناموس بل تحت النعمة «يكتب هذا للدور (الجيل) الآخر (القادم)» فلا ييأس أحد. فمع أنهم بائسون محرومون أو يظنون أن صلواتهم قد نسيت إذ لم تأتهم الاستجابة بسرعة، إلا أن الكثيرين الذين لم يولدوا بعد عندما يقرأون تاريخ شعب الله، سيمجدون الله لاستجابته للصلاة.

رابعا: إن السجناء المحكوم عليهم ظلما يشبهون خرافا معدة للذبح ولكن العناية الإلهية ستتولى تحريرهم لأن الله «أشرف من علو قدسه. الرب من السماء إلى الأرض نظر» (ع ١٩ و٢٠) ليقوم بأعمال النعمة «ليسمع أنين الأسير، ليطلق بني الموت».

إن الله يهتم ليس فقط بصلوات شعبه المتألم– وهو من عمل النعمة– ولكنه يهتم حتى بتأوهاتهم والتي تعتبر لغة الطبيعة، ولنا مثال لذلك في بطرس (أع ١٢: ٦). إذا كان الله بعنايته الإلهية يعلن اسمه، فإنه يجب علينا عندما ندرك عمل عنايته أن نعلن شكرنا وحمدنا. إن الله سيحرر شعبه الذين كانوا مسبيين وسجناء في بابل حتى «يُحدِّث في صهيون باسم الرب» المكان الذي اختاره لكي يحمل اسمه «وبتسبيحه في أورشليم» عند عودتهم إليها. وسيسعون لجذب الآخرين ليعبدوا الله. (ع ٢٢) «عند اجتماع الشعوب معا» كما حدث بعد عودتهم من بابل، فإن كثيرين من ممالك أخرى انضموا معهم لعبادة الرب (عز ٦: ٢١).

ولكن لننظر إلى الأمام حيث تتحول الأمم نحو الإيمان بالمسيح في الأيام الأخيرة. وقد أعلن المسيح «للمسبيين بالعتق وللمأسورين بالإطلاق» حتى يعلنوا اسم الله في المناداة بالإنجيل في الكنيسة التي سيتحد فيها اليهود والأمم.

عدد ٢٣ – ٢٨

أولا: إن الخطر الوشيك الذي كان يهدد شعب الله هو استئصاله واقتلاعه نتيجة الأسر في بابل (ع ٢٣) «ضعَّف في الطريق قوتي. قصر أيامي». يتحدث المرنم هنا كما لو كان عن شخصه. كما أن هذا الكلام ينطبق تماما على الضيقات على وجه العموم. إن الضعف الجسماني سريعا ما يُضعف قوتنا، وعندما تَضعف قوتنا عبر الأيام ماذا نتوقع إلا أن تقصر شهورنا في «نصف أيامنا؟» لطالما كان نصيب أولئك الذين استخدموا قوتهم بكثرة أنها ضعفت في النهاية، وأولئك الذين يحجمون عن استخدامها تقصر أيامهم.

ثانيا: صلاة للاستمرارية (ع ٢٤) «أقول يا إلهي لا تقبضني في نصف أيامي» هذه صلاة للمتألمين. إن الله لا يأخذنا في منتصف أيامنا. ولكن بحسب مشيئته يحفظنا لنخدمه أكثر ونكون أكثر استعدادا للسماء.

ثالثا: التماس لتدعيم هذه الصلاة مأخوذ من أبدية المسيا المنتظر (ع ٢٥ – ٢٧)، وقد اقتبس الرسول هذه الأعداد في عبرانيين ١: ١٠ – ١٢. ومما يشجع ويعزي في كل الاضطرابات والأخطار أن يكون «المسيح هو هو أمسا واليوم وإلى الأبد». سنوك تسير دائما عبر كل الأجيال، ولا يمكن أن تقصر. إن ما يعزينا عند موت أجسادنا وغياب أصدقائنا عنا أن الله إله حي إلى الأبد. فإذا كان هو إلهنا ففيه نجد عزاء أبديا. إن الأرض والسماء والعالم كله يستمد وجوده من الله بواسطة ابنه (ع ٢٥) «من قِدمٍ أسست الأرض» التي تأسست عن طريق البحار والفيضانات وهي لا تزال باقية، وأكثر من ذلك ستبقى الكنيسة لأنها مبنية على الصخر. إن الله لن يخلق العالم ثانية «هي تبيد وأنت تبقى» (ع ٢٦ و٢٧) لأنك ستغيرها بنفس القوة العظمى التي أسستها بها، وأنت تبقى كما أنت. الله والعالم، المسيح والماديات، يتنافسان على أعمق وأسمى مكان في نفس الإنسان.. النفس الخالدة.

(١) إن مصير العالم المخلوق هو الزوال «هي تبيد» ولن تستمر طويلا كما سنستمر نحن. إن السماء والأرض سيزولان «كلها كثوب تبلى. كرداء تغيرهن فتتغير» حتى تكون هناك سماوات جديدة وأرض جديدة. لاحظ سيادة الله على السماء والأرض، إنه يقدر أن يغيرهما كما يشاء ومتى شاء. وتعاقب النهار والليل، الصيف والشتاء، تؤكد حدوث التغيير النهائي. عندما تزول السماوات والزمن (الذي يحسب عن طريقهما).

(٢) أما الله فهو ثابت وأبدي. «أنت تبقى». لا تتغير. «وسنوك لن تنتهي» (ع ٢٧). وسيكون عمل المسيح وفعاليته كما وعد. هو نفسه لكنيسته في الأسر كما كان لكنيسته في الحرية. ليت الكنيسة لا تخاف ضعف قوتها أو قصر أيامها مادام المسيح نفسه هو قوتها وحياتها. إنه هو هو وقد قال «لأني أنا حي فأنتم ستحيون».

رابعا: في آية ٢٨ نرى تشجيعا أكيدا لاستجابة هذه الصلاة «أبناء عبيدك يسكنون» أو يحيون مادام المسيح هو هو فإن الكنيسة ستستمر من جيل لآخر ومادام رأس الكنيسة أبدي فلابد أن تستمرالكنيسة جسد المسيح مهما كانت تعاني من الضعف والضيق. وأولئك الذين يأملون في فناء قديسي العلي مخطئون.

المزمور المئة والثالث

لداود

يدعونا هذا المزمور إلى التكريس والتأمل أكثر من الشرح.

أولا: يحث داود نفسه حتى يمجد الله (ع ١ و٢) من أجل عنايته به (ع ٣ – ٥) على الخصوص، وبالكنيسة عموما وبكل الناس الصالحين الذين سيظل عادلا، ورحيما وثابتا لهم (ع ٦ – ١٨) ولأجل ملكوته في العالم (ع ١٩).

ثانيا: وهو يرغب في مساعدة الملائكة القديسين وكل أعمال الله ليشتركوا في تمجيد الله (ع ٢٠ – ٢٢).

عدد ١ – ٥

إن داود هنا في شركة قلبية مع الله وهو ليس غبيا عندما يتحدث هكذا مع نفسه:

أولا: كيف يحرك داود كوامن نفسه نحو واجب الحمد (ع ١ و٢). إنه السيد الرب الذي يجب أن نباركه. ودور النفس أن تبارك الرب، «وكل ما في باطني». إن هذا العمل يتطلب باطن الإنسان والإنسان

ككل، وكل ذلك يُعتبر غير كاف.

ثانيا: كيف هيأ داود لنفسه مادة غزيرة للحمد والتسبيح.. تعالي يا نفسي فكري فيما فعله الله لك.

(١) لقد غفر ذنوبك (ع ٣) لقد غفر، وسيغفر كل ذنوبك. لقد ذُكر هذا أولا لأنه بغفرانه للخطية التي حجبت كل البركات عنا وإقصائها بعيدا. فإننا نعود إلى رعاية الله الذي يهب لنا بركات طيبة. إنه لا يزال يغفر، ونحن لانزال نخطئ ثم نتوب.

(٢) «الذي يشفي كل أمراضك». إن ذنوبنا كانت كبيرة، ولكن الله حفظ حياتنا بغفرانه لها. وأمراضنا كانت مميتة، ولكن الله ينجي حياتنا بشفائها. هذان الشقان يسيران معا، لأن عمل الله كامل ولا يتم جزئيا. لأنه إذا أخذ الله ذنب الخطية برحمته الغافرة فإنه سيكسر شوكتها بالنعمة المجددة.

(٣) «الذي يفدي من الحفرة حياتك» إن فداء النفس ثمين. لا يمكن أن نشتريه به لذلك فنحن مديونون كثيرا للنعمة الإلهية التي صنعته، وإلى الله الذي منحنا فداء أبديا (أي ٣٣: ٢٤، ٢٨).

(٤) إنه لم ينقذك فقط من الموت والهلاك ولكنه جعلك في سعادة كاملة بالكرامة والبهجة والعمر المديد، إنه «يكللك بالرحمة والرأفة». أي شرف كبير لنفس منكسرة أعظم من أن تتمتع بمحبة الله وعطفه.

لقد أعطاك أملا وعهدا لحياة طويلة «يتجدد مثل النسر شبابك». إن حياة النسر طويلة، ويقول علماء التاريخ الطبيعي أن النسر عندما يتقدم به العمر يتخلص من كل ريشه (حيث يتم تغيير الريش سنويا) وينبت ريش جديد فيتجدد شبابه. عندما يشفي الله بنعمته وتعزيات روحه القدوس شعبه من ذبوله يملأهم بحياة جديدة وفرح عربونا لحياة أبدية سعيدة، وبعد ذلك يمكن أن يقال عنهم «يعود إلى أيام شبابه» (أي ٣٣: ٢٥).

عدد ٦ – ١٨

أولا: حقا الرب صالح للجميع (ع ٦) «الرب مجري العدل والقضاء لجميع المظلومين».

ثانيا: إنه بصفة خاصة صالح لشعبه:

(١) لقد أظهر نفسه ونعمته لنا (ع ٧) «عرَّف موسى طرقه» وعن طريقه عرَّف «بني إسرائيل أفعاله». إن الإعلان السماوي هو واحد من أكبر النعم السماوية. لأن الله يعيدنا إليه بإظهار نفسه لنا ويعطينا كل صلاح عن طريق إعطائنا المعرفة.

(٢) لم يكن الله أبدا صارما أو قاسيا معنا، ولكنه كان دائما حنانا، مليئا بالرحمة، وعلى استعداد لأن يغفر:

أ. إنها طبيعته أن يكون كذلك «الرب رحيم ورؤوف» (ع ٨). لا يغضب بسرعة «طويل الروح». يطيل أناته مع مَنْ يثيرون غضبه. يؤخر العقاب حتى يعطي فرصة للتوبة. ولا يطبق أحكامه بسرعة. ومع أنه يظهر سخطه علينا لأجل خطايانا، بتأنيب العناية الإلهية، وبتبكيت ضمائرنا، إلا أنه لن يتركنا دائما في ألم ورعب، ولكن بعد روح العبودية يعطينا روح التبني.

ب. لقد وجدنا أنه لم يصنع معنا حسب خطايانا. ولم يجازنا حسب آثامنا (ع ١٠) ولم يطبق علينا الأحكام التي نستحقها. إن لطف الله دائما يقودنا إلى التوبة (رو ٢: ٤).

(٣) لقد غفر خطايانا. ليس خطاياي أنا (ع ٣) ولكن معاصينا (ع ١٢) «مثل ارتفاع السماوات فوق الأرض» (ع ١١). إن رحمته عالية لدرجة أن الأرض تبدو كنقطة في الفضاء الواسع، وهكذا فإن رحمة الرب هي أعلى من كل استحقاقات خائفيه، إنها أعلى جدا من تقديراتهم حتى أنه لا توجد نسبة إطلاقا بينهم. إن غفرانه الكامل هو دليل على غنى رحمته (ع ١٢) «كبعد المشرق من المغرب أبعد عنا معاصينا». لذلك فإنها لن تسجل ضدنا، ولا تقوم عند المحاكمة ضدنا. إذا كنا نتخلى عنها كلية فإن الله سيغفرها لنا بالكلية.

(٤) إنه يرثي لأحزاننا (ع ١٣ و١٤). إن الله أب لكل مَنْ يخشونه ويعتبرهم كأولاده. وهو رؤوف بهم مثل الوالد. إن الأب يحنو على أطفاله قليلي المعرفة ويعلمهم، كما يعطف عليهم عندما يكونون ضعافا، ويتحمل ضعفاتهم ويحنو عليهم في مرضهم

ويواسيهم (إش ٦٦: ١٣)، يعطف عليهم عندما يسقطون ويساعدهم لينهضوا ثانية. يعطف عليهم عندما يخطئون ويغفر لهم، ويحنو عليهم عندما يتعرضون للخطأ ويقومهم. لقد «قويت رحمته على خائفيه». إن الله «يعرف جبلتنا» لأنه جبلنا، ولأنه جبلنا من تراب فهو «يذكر أننا تراب نحن».

(٥) لقد جعل الله عهد رحمته خالدا. ولذلك يقدم لنا راحة عند ضعفنا. (ع ٥ – ١٨) «الإنسان مثل العشب أيامه» والعشب ينبت لكنه يكون على مسافة قليلة من الأرض ثم يذبل سريعا.

والإنسان في أحسن حالاته كزهر الحقل. ومع أنه مميز قليلا عن العشب إلا أنه سيذبل معه. إن زهر الحديقة يكون أكثر قيمة، مع أنه بطبيعته سيذبل، إلا أنه يعيش مدة أطول لأنه محمي بحائط الحديقة وعناية البستاني. ولكن زهر الحقل الذي تشبه به الحياة، ليس معرضا فقط للذبول في نفسه، ولكنه معرض للفحات البرد ويحتمل أن يداس من الحيوانات في الحقل. إن حياة الإنسان لا تنتهي من نفسها فقط ولكن توقع مدة بقائها يتعرض لآلاف الأحداث. إن الله يقدر هذا ويشفق على الإنسان ويدعوه أن يعتبر هذا بنفسه حتى يكون متواضعا. ما أطول وأعرض رحمة الله لشعبه (ع ١٧ و١٨) إنها ستبقى أطول من حياتهم نفسها، وستستمر خلال حالتهم الحاضرة. إن الذين يخضعون قلوبهم لوصايا الرب هم فقط الذين سيستفيدون من مواعيد الله. إن دوام الرحمة لمثل هؤلاء ستدوم أطول من مدة بقائهم على الأرض، ولذلك فلا تخشى أن تكون حياتهم قصيرة حيث أن الموت نفسه لن يكون نهاية سعادتهم. أن رحمة الله أفضل من الحياة لأنها ستبقى بعدها.

عدد ١٩ – ٢٢

أولا: إن عقيدة العناية الإلهية لكل العالم تجدها في الآية ١٩. لقد ضمن الرب سعادة شعبه الخاص بالوعد والعهد، ولكن الأمر بالنسبة للإنسانية والعالم عموما يضمنه الله بالعناية العامة. إن الله له عرشه الخاص المجيد هو عرش الحكم، يحكم من خلاله على الناس. ومع أن عرش الله في السماء حيث المحكمة الإلهية وإلى هذا العرش نتوجه قائلين: «أبانا الذي في السماوات» ومع ذلك فإن مملكته تسود على كل العالم. وهو على علم بكل الساكنين في هذا العالم السفلي وكل أحوالهم. «مملكته على الكل تسود».

ثانيا: واجب العالم كله أن يبارك الله: لأنه مادام كل العالم تحت سلطانه فيجب على الكل أن يقدم له الإكرام والعبادة.

(١) يبارك الرب كل الملائكة القديسين (ع ٢٠ و٢١) ليس لأنهم في حاجة إلى توصية منا أن يباركوا الرب. إنهم يفعلون ذلك باستمرار. ولكن داود يعبر عن أفكاره العالية عن الله، كمستحق للعبادة والسجود من الملائكة القديسين.

(٢) «باركوا الرب يا جميع أعماله» (ع ٢٢)، أي كل بني البشر، في كل أرجاء العالم ليباركوا الله جميعا.

نعم حتى الكائنات الدنيا الحقيرة هي أعماله أيضا، ليباركوا الله معنويا، حيث لا يمكنهم مباركته فعليا (مز ١٤٥: ١٠).

لقد بدأ داود المزمور قائلا: «باركي يا نفسي الرب». وعندما كتب هذا المزمور الرائع وغناه لتمجيد الرب. فإنه لم يقل الآن يا نفسي قد باركت الرب فاجلسي واستريحي، ولكنه يختم المزمور قائلا: «باركي يا نفسي الرب» أكثر فأكثر.

المزمور المئة والرابع

من المحتمل جدا أن يكون كاتب هذا المزمور هو كاتب المزمور السابق بل وكُتب معه في نفس الوقت؛ لأنه كما انتهى المزمور السابق بدعاء «باركي يا نفسي الرب» بدأ هذا المزمور بنفس الكلمات وانتهى بها كذلك، ولكن الأسلوب هنا مختلف بعض الشيء عن المزمور السابق. وذلك لأنه في المزمور السابق كان الهدف هو الإشادة بصلاح الله ورحمته وعطفه، مما يحتاج إلى إسلوب رقيق. أما الهدف في هذا المزمور فهو الإشادة بعظمة الله وجلاله وعلو سلطانه، والتي يجب أن تتم بأروع ألحان الشعر وأعظمها. يقدم الكاتب في المزمور السابق التمجيد لله كإله النعمة، ولكنه في هذا المزمور يمجده كإله الطبيعة. هذا المزمور يعتبر منظومة شعر رائعة، يقدِّرها خبراء أكفاء، وينظرون إليها كقصيدة شعر فائقة العظمة ليس فقط لما تحتويه من تقوى وتكريس بل

لما تحويه من التحليق في الخيال، وهو يفوق كل أوجه الجمال والزخرفة في التعبير، وهو شعر يفوق الأشعار اليونانية واللاتينية في موضوعات مشابهة.

إن المرنم يقدم المجد لله في هذا المزمور بشأن العديد من الأمور العظيمة:

أولا: بهاء مجده في العالم العلوي (ع ١ – ٤).

ثانيا: خلق البحر واليابس (ع ٥ – ٩).

ثالثا: الامدادات والمؤن التي يصفها الله لكل المخلوقات، حسب طبيعة كل منها (ع ١٠ – ١٨، ٢٧ و٢٨).

رابعا: المسار المنتظم للشمس والقمر (ع ١٩ – ٢٤).

خامسا: الحياة في البحر (ع ٢٥ و٢٦).

سادسا: سيادة الله على كل المخلوقات (ع ٢٩ – ٣٢). وأخيرا يختم المزمور بقرار صالح وحازم بمداومة التسبيح لله (ع ٣٣ – ٣٥).

عدد ١ – ٩

عندما نذهب للخدمة في أي مجال نسعى بكل قوتنا لكي نتمسك بالله (إش ٦٤: ٧)، وهذا ما يفعله داود هنا.

أولا: يتطلع كاتب المزمور إلى أعلى إلى المجد الإلهي الذي يضيء في العالم العلوي ومع أنه من الأشياء التي لا ترى فالإيمان هو البرهان. بكل تبجيل وهيبة مقدسة يبدأ داود تأمله: «يا رب إلهي قد عظمت جدا». إن الأمراء يبدون عظماء:

(١) في ردائهم: وما هي أردية الله؟ اللابس المجد والجلال (ع ١). «اللابس النور كثوب» (ع ٢). إن الله يسكن في النور (١تي ٦: ١٦) ويتدثر به.

(٢) في قصورهم: وما هو قصر الله، أو الجناح الذي يسكنه؟ «الباسط السماوات كشقة» (أي كخيمة) (ع ٢). وقد فعل ذلك منذ البدء عندما خلق الجَلَد والذي أخذ اسمه في العبرية من كونه ممتدا، أو منبسطا. (تك ١: ٧). إن الله «اللابس النور كثوب» من إشفاقه علينا يبسط «السماوات كشقة» (ع ٢) أي يجعل السحب الكثيفة غطاء له. إن امتداد هذا السقف يجعلنا نقدر كم هو عظيم، وعظيم جدا. ذاك الذي يملأ السماوات والأرض. ومع أن الهواء والماء ليس لهما قوام صلب، إلا أنهما بالقوة السماوية يحفظان في المكان المحدد لهما كما تحفظ الغرفة بالدعامات والعوارض. كم هو عظيم هذا الإله الذي مسكنه مُشيد ومُثبت هكذا.

(٣) في عرباتهم ذات الأبهة وخيولهم الفخمة والتي تضيف كثيرا من العظمة إلى موكبهم، ولكن الله جعل «السحاب مركبته» إلى جبل سيناء لكي يعطي الناموس، وفي جبل التجلي ليعلن الإنجيل (مت ١٧: ٥). وهو يركب على أجنحة الريح (بخطوة رقيقة حقا، ولكنها عظيمة).

(٤) وفي وسط أتباعهم أو موكب ملازميهم. ونجد هنا أيضا أن الله عظيم جدا، لأنه «الصانع ملائكته رياحا، وخدامه نارا ملتهبة» (ع ٤).

ثانيا: وينظر داود إلى أسفل وينظر حواليه، إلى قوة الله المضيئة في العالم السفلي.

(١) لقد أسس الله الأرض (ع ٥) ومع أنه علقها على «لا شيء» (أي ٢٦: ٧). إلا إنها تتحرك كما لو كانت قد وضعت على أساسات متينة. ومع أنها تلقت هزة خطيرة بخطية الإنسان، وحقد الجحيم يدق عليها باستمرار، إلا أنها لا تتزعزع. إلى أن يأتي الوقت عندما تحل محلها الأرض الجديدة.

(٢) لقد جعل الله للبحر حدودا، لأن البحر أيضا ملك له.

أ. لقد جعله الله داخل حدود منذ الخليقة. قال الله «لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد. ولتظهر اليابسة» (تك ١: ٩). هذا الأمر من الله يسمى هنا «انتهارك» (ع ٧) وكأنه انتهر البحر لأنه ساءه أن الأرض وهي مغطاة بالمياه لم تكن لائقة بالإنسان أن يسكنها. وقد تميزت هذه الكلمة بالقوة ولذلك سميت هنا «من صوت رعدك» (ع ٧). كأنهم كانوا على علم بأنهم كانوا في غير موضعهم، فهربوا. كما جاء في مناسبة أخرى (مز٧٧: ١٦) «أبصرتك المياه يا الله، أبصرتك المياه ففزعت». فهنا نجد أن الله أرعد المياه من أجل الإنسان ليهيئ مكانا له.

ب. لقد أبقى الله المياه في حدودها (ع ٩) فالمياه لا يسمح لها أن تتجاوز حدودها، المرسومة لها. لا يجوز لها، ولذلك «لا ترجع لتغطي الأرض».

عدد ١٠ – ١٨

أولا: إن الله يمدنا باستمرار بالماء العذب الجديد «المفجر عيونا في الأودية» (ع ١٠). إنه الله الذي يفجر عيونا في الأودية والتي تجري بهدوء بين الجبال، تستقبل المزيد من ماء المطر النازل من سفوحها. تلك المياه تعطى ليس فقط للإنسان وللكائنات التي تساعده، ولكن لكل «حيوان البر» (ع ١١). لأنه حيث يعطي الله حياة فإنه يعطي وسيلة المعيشة.

ثانيا: إن الله يهيئ الطعام لهم. لكل من الإنسان والحيوان، «الساقي الجبال من علاليه» (ع ١٣). من هذه الأسقف المذكورة في آية ٣ «المسقف علاليه بالمياه» المختزنة– تُسقط السحب أمطارا تجعل النبات يثمر. إن دور الأرض أن تحمل ثمرات أعمال الله من أجل كفاية الإنسان، لأنه بهذا تحقق الغاية من خلقها.

(١) هيأ الله العشب (الكلأ) من أجل قطعان الماشية. أما الوحوش فإنها تعيش على افتراس الحيوانات آكلة العشب. أما طعام الإنسان فقد توفرت له، الخضرة، والخمر، والزيت، والخبز (ع ١٥). إن اتكالنا على الله ضروري لسد كل احتياجاتنا في هذه الحياة. ولنعتبر أنفسنا في هذا المجال رفقاء لكل المخلوقات، فجميعنا نعيش على نفس الأرض. ونستخدم نفس البقعة من الأرض التي تعطي الكلأ للماشية، والقمح للإنسان.

(٢) إن العناية الإلهية. لا توفر للحيوانات الغذاء المناسب لها فقط بل وللنباتات أيضا (ع ١٦). «تشبع أشجار الرب». ليس فقط أشجار البشر والتي يعتنون بها ويرعونها في بساتينهم وحدائقهم وحقولهم، بل أشجار الله التي تنمو في البرية، تنمو بالعناية الإلهية. إنها تُسقى بكفاية ولا تحتاج إلى أي تغذية. حتى «أرز لبنان» لديه ما يكفيه من الأرض. إنها أشجارٌ غرسها الله لذا فإنه سيحفظها ويمدها بحاجتها. ويمكننا أن نطبق هذا على أشجار البِر والتي هي «أشجار الرب»، والمزروعة في كرمته والمروية بعناية؛ لأن الذي يزرعه الله سيرويه.. أولئك «المغروسين في بيت الرب في ديار إلهنا يزهرون» (مز ٩٢: ١٣).

ثالثا: إنه يعتني بهم حتى يجدوا سكنا مناسبا يعيشون فيه، لقد أعطى الله البشر الحرية ليبنوا سكنا لأنفسهم ولمواشيهم التي يستخدمونها. ولكن هناك بعض المخلوقات التي يهيئ لها الله سكنا في الحال لتعيش فيها.

(١) الطيور: إن بعض الطيور تبني لها أعشاشا بالغريزة بالقرب من الأنهار (ع ١٢) «المفجر عيونا في الأودية. بين الجبال تجري». «فوقها طيور السماء تسكن». إنها تغني حسب قدرتها تمجيدا لخالقها المحسن إليها. وكم يخجلنا غناؤها بالنسبة لصمتنا نحن «وأبوكم السماوي يقوتها» (مت ٦: ٢٦). حتى الذين يطيرون نحو السماء، لا تعوزهم أماكن راحة. إن «اللقلق» الذي ذُكر هنا، أشجار السرو العالية هي بيته وقصره.

(٢) الكائنات الصغيرة (ع ١٨): إن الوعول تساق بالغريزة لكي تسكن الجبال. أما الوبار وهي حيوانات صغيرة ضعيفة فتجد ملجأها في الصخور حيث يمكنها أن تقاوم الحيوانات المفترسة. فهل يعطي الله هكذا للحيوانات الأدنى ولا يكون هو نفسه ملجأ وسكنا لخاصته؟

عدد ١٩ – ٣٠

إننا هنا نتعلم أن نحمد الله ونمجده.

أولا: من أجل دورات الكون الثابتة، وتعاقب الليل والنهار، وسلطان الشمس والقمر عليها. لقد عبدهما الحثيون كآلهة، ولذلك فإن الكتاب المقدس ينتهز كل الفرص لكي يظهر أن الآلهة التي يعبدونها ما هي إلا خلائق وخدام الله (ع ١٩).

(١) إن ظلال المساء تتوافق مع سكينة الليل. «تجعل ظلمة فيصير ليل» (ع ٢٠) وبالرغم من سواده فهو يساهم في جمال الطبيعة. وهو بمثابة طبقة رقيقة تغلف ضوء النهار. وتحت حماية الليل تتجول كل وحوش الغابة طلبا للطعام؛ حيث تخشى ذلك في وضح النهار.

(٢) ثم يأتي نور النهار فيساعد على العمل في الصباح (ع ٢٢ و٢٣) وتُشرق الشمس لأنها كما «تعرف مغربها» تعرف شروقها أيضا، فتأخذ الحيوانات المفترسة راحتها. والحيوانات التي ترعى فهي تزحف في خوف. أما الإنسان فيسعى في شجاعة كشخص له سيادة.

ثانيا: من أجل تزويد المحيط بالكائنات (ع ٢٥ و٢٦): كما أن الأرض مليئة بمخلوقات الله، هكذا أيضا البحر الكبير الواسع الأطراف. لقد حدد الله للبحر مكانه وجعله نافعا للإنسان، للملاحة فيه، كما أنه مستودع للأسماك. إن الله لم يصنع البحر بلا فائدة أكثر من تلك التي للأرض.

ثالثا: من أجل وفرة الغذاء وتوقيته المناسب، لكل المخلوقات (ع ٢٧ و٢٨): إن الله محسن كريم لجميعهم، إنه يعطيهم طعامهم، يفتح يده فيشبعهم خيرات. حتى المخلوقات الأدنى ليست ببعيدة عن علمه، إنها جميعا تترجاه، إنها تبحث عن طعامها طبقا للغريزة الطبيعية التي وضعها الله وتجده في الوقت المناسب لذلك.

رابعا: من أجل القوة العظمى والسلطان السامي الذي لله على جميع المخلوقات وبسببها لا يزال كل نوع مستمر. بالرغم من أن أفرادا من كل نوع تموت يوميا تنزع أرواحها التي تحت سلطانك، عندئذ وليس قبل ذلك تعود إلى أصولها الأولى.

إن أرواح البهائم التي تذهب إلى أسفل هي تحت أمر الله، مثل روح الإنسان التي تصعد إلى أعلى. ومع أن جيلا يذهب فإن جيلا آخر يأتي. ومن وقت لآخر تُخلق. تقدم أجيال جيدة بدلا من الأجيال القديمة. وهذه هي استمرارية الخلق، وهكذا يتجدد وجه الأرض من يوم إلى يوم بأشعة الشمس (والتي تجعلها جميلة كل صباح) كما تتجدد من سنة إلى سنة بمحاصيلها، والتي تثريها من جديد كل ربيع، وتضع عليها وجها جديدا يختلف عنه في الشتاء.

وفي وسط هذا الخطاب ينطق كاتب المزمور متعجبا من أعمال الله (ع ٢٤) «ما أعظم أعمالك يا رب! كلها بحكمة صنعت».

عدد ٣١- ٣٥

يختم كاتب المزمور هذا التأمل بما يلي:

أولا: المجد لله: يكون مجد الرب إلى الدهر (ع ٣١) وسيبقى إلى آخر الزمن عاملا يخلق ويعتني. وستبقى أعماله حتى الأبدية في سعادة وتوقير القديسين والملائكة. إن مجد الإنسان سيخبو لكن مجد الله دائم إلى الأبد «يفرح الرب بأعماله». إننا كثيرا ما نفعل شيئا، وعند إعادة النظر فيما فعلنا لا يمكن أن نفرح بل نكتئب ونود لو أننا لا نفعله ثانية. إن الله يفرح دائما بأعماله لأنها كلها بحكمة صنعت وكإله صاحب القدرة العظيمة ينظر «إلى الأرض فترتعد» (ع ٣٢). كأنها لا يمكن أن تتحمل عبوسه فترتعد. كما حدث في سيناء في حضرة الرب. «يمس الجبال فتدخن». إن البراكين والجبال المدخنة، هي دلائل على قوة غضب الله المنصب على الخطاة المتكبرين، غير المتواضعين. مَنْ يعرف قوة غضبه؟ مَنْ يجرؤ إذن أن يتحداها. ولأن وجودنا هو من الله، ونتكل عليه لدعمه المستمر لنا فإنه مادمنا على قيد الحياة، ولنا كياننا، يجب أن نستمر في تمجيد الله. وعندما نفقد حياتنا ووجودنا على الأرض، نرجو أن تكون لنا حياة أفضل ووجود أفضل في عالم أفضل، وهناك نقوم بهذا العمل في سلوك أفضل وبصحبة أحسن.

ثانيا: فرح بالرب (ع ٣٤): «فيلذ له نشيدي» سيكون تأملي في الرب فعالا ومؤثرا. «أنا أفرح بالرب». كم تكون لذتي أن أمجده. سأكون سعيدا في كل المناسبات لكي أعلن مجده. سأفرح بالرب دائما، وفيه وحده.

ثالثا: رعب للأشرار (ع ٣٥): «لتبد الخطاة من الأرض والأشرار لا يكونوا بعد» لا يمكن أن ينجح أولئك الذين يقسُّون أنفسهم ضد القدرة الإلهية. عندما ينعدم الأشرار أتمنى أن أمجد الرب بلا نهاية. ولذلك «باركي يا نفسي الرب» ليشترك كل مَنْ حولي في تمجيد الرب. «هللويا» قدموا الحمد ليهوه. هذه هي أول مرة نتقابل مع «هللويا».

المزمور المئة والخامس

هذا مزمور طويل، وهدفه كباقي المزامير إعلان مجد الله. ولكن موضوع المزمور هنا، موضوع محدد، ففي كل مرة نأتي إلى عرش النعمة يمكننا إذا أردنا أن نزود ببعض الترانيم النابعة من كلمة الله.

في المزمور السابق تعلّمنا أن نحمد الله لأعماله العجيبة لعنايته العامة بالعالم عموما. وفي هذا المزمور نتوجه لتمجيد الله لإحساناته الخاصة بالكنيسة. والأعداد الإحدى عشرة

الأولى من المزمور سلمها داود لآساف لاستخدامها- على ما يبدو- في الخدمة اليومية للقدس، عندما أقيم الهيكل في الموضع الذي أُعد له (١أخ ١٦: ٧). وقد قصد داود بهذا أن يعلم شعبه الالتزامات الخاصة بهم للتمسك بأمانة بديانتهم المقدسة.

المقدمة هي الأعداد من ١ إلى ٧، ثم التاريخ نفسه في عدة أجزاء:

أولا: عهد الله مع الآباء (ع ٨ – ١١).

ثانيا: عنايته بهم في غربتهم (ع ١٢ – ١٥).

ثالثا: إقامة يوسف ليكون الراعي والصخرة لإسرائيل (ع ١٦ – ٢٢).

رابعا: زيادة عدد شعب إسرائيل في مصر ثم خلاصهم وخروجهم من مصر (ع ٢٣ – ٣٨).

خامسا: عناية الله لهم في البرية واستقرارهم في كنعان (ع ٣٩ – ٤٥).

عدد ١ – ٧

أولا: أعطوا لله مجدا، وادعوا باسمه.

(١) يجب أن نشكر الله لأنه كان دائما كريما معنا ومحسنا إلينا.

(٢) «ادعوا باسمه» فهو الله الذي نتكل عليه من أجل مزيد من العطف والرعاية مصلين لنوال مراحم جديدة مع اعترافنا بمراحم سابقة شملتنا.

(٣) «عرفوا بين الأمم بأعماله» (ع ١)؛ حتى يشترك الآخرون معكم في حمده: «أنشدوا بكل عجائبه» (ع ٢). عندما نتحدث عن أشياء تملأ كياننا يجب أن نتكلم عنها «حين تجلس في بيتك، وحين تمشي في الطريق» (تث ٦: ٧).

(٤) غنوا بالحمد لمجد الله بفرح مَنْ يتمتعون بحضرته، ويرغبون أن يشهدوا لهذا الفرح ويحولونه إلى تراث غني للأجيال التالية كما كانت الأحداث القديمة تنتقل إلى الأجيال التي تليها. بالأشعار والأغاني إذ كانت الكتابة نادرة.

(٥) افتخروا باسمه القدوس. ليس الفخر بانجازاتهم الشخصية. بل بمعرفتهم لله وعلاقتهم به (إر ٩: ٢٣ و٢٤).

(٦) اطلب الرب. اجعله موضوع سعادتك. ثم تابع هذه السعادة. «اطلبوا... قدرته»، أي نعمته، قوة روحه القدوس العاملة فيكم في كل ما هو صالح. هذا الصلاح الذي لا نستطيع عمله إلا بقوة منه. «التمسوا وجهه دائما». التمسه طالما أنت تعيش على الأرض وسيتحقق هذا بالكامل في العالم الآخر؛ وحتى هناك فإنك ستلتمسه إلى الأبد في شوق لا نهائي.

(٧) «لتفرح قلوب الذين يلتمسون الرب» (ع ٣) لأنهم أحسنوا الاختيار. إذا كان الذين التمسوا الرب لهم الحق في أن يفرحوا، فالذين وجدوه يفرحون أكثر.

ثانيا: هذه بعض الدوافع التي تحثنا على القيام بهذه الواجبات.

(١) اذكر ما قاله وما فعله ليربطنا معه إلى الأبد. أُذكر عجائب عنايته التي صنعها لك، ولمن سبقوك. تلك العجائب من شريعته التي كتبها لك واستأمنك عليها وأحكام فمه بجانب أحكام يده (ع ٥).

(٢) لنقدِّر الصلة التي تربطنا به (ع ٦). أنتم «ذرية إبراهيم عبده... بني يعقوب مختاريه». إنهم مختارون ومحبوبون لأجل خاطر آبائهم. ولذلك يجب أن نسير إثر خطوات أولئك الذين نرث أمجادهم. أنتم أبناء الآباء الأتقياء فلا تضعفوا. أنتم كنيسة الله على الأرض فإذا لم تمجدوه فمن سيفعل ذلك؟

عدد ٨– ٢٤

إننا نتعلم هنا في تمجيدنا لله. أن ننظر إلى الماضي الطويل، ولكي نقدم له التمجيد، لما صنعه لكنيسته في الأجيال السابقة، لاسيما عندما كانت في مرحلة التأسيس والتكوين. سنجد مادة مناسبة لتمجيد الله من تواريخ الأناجيل وأعمال الرسل والتي تتعلق بميلاد الكنيسة المسيحية، كما يفعل المرنم هنا بذكر تاريخ الشعب من أسفار التكوين والخروج والتي تبين بداية العلاقة مع شعب الله.

أولا: كان وعد الله للآباء- أنه سيعطي أرض كنعان لذريتهم ميراثا لهم- هو رمز للوعد بالحياة الأبدية في المسيح يسوع لكل المؤمنين. في كل الأعمال العجيبة التي عملها الله لإسرائيل. فإنه تذكر عهده (ع ٨)، وسيذكره إلى الأبد. وفي المقابل فإن هذا الأمر قد ذُكر كواجب علينا، فيما جاء في

١أخبار أيام ١٦: ١٥ «اذكروا إلى الأبد عهده». الوعد هنا يسمى عهد؛ لأنه كان شيء مطلوب من جانب الإنسان مثل شرط الوعد. لاحظ لمن أقسم الله بنفسه (عب ٦: ١٣ و١٤). كان العهد: «لك أعطي أرض كنعان» (ع ١١). كان للآباء الحق فيها ليس بسبب عناية الله فقط، بل كعهد وأن نسلهم سيملكها «كحبل» ميراثهم. إنه ميراث أكيد بالميلاد، وبنعمة وفضل من الله وليس بأي استحقاق منهم. إن السماء هي الميراث الذي حصلنا عليه (أف ١: ١١) «حسب رأي مشيئته» (كما كانت كنعان الوعد الذي وعدهم الله به). وهذا هو الوعد الذي وعدنا هو به الحياة الأبدية (١يو ٢: ٢٥؛ تي ١: ٢).

ثانيا: عناية الله بالآباء بينما كانوا ينتظرون إتمام العهد، وهذا يمثل لنا عناية الله بشعبه في هذا العالم انتظارا للعبور إلى كنعان السماوية «فهذه الأمور جميعها أصابتهم مثالا» (١كو ١٠: ١١) ولتشجيع كل وارثي العهد الذين يعيشون بالإيمان مثلهم.

(١) كانوا محفوظين ومظللين بعناية. (وكما يُعبر عن ذلك رؤساء اليهود). كانوا مجتمعين تحت أجنحة القوة الإلهية. وهذا حسب ما جاء في الأعداد ١٢ – ١٥. قد تعرضوا للأذى من الناس. كانت مواعيد الله غنية للآباء الثلاثة المشهورين إبراهيم، وإسحق، ويعقوب. لقد ذكر لهم مرارا وتكرارا أنه سيكون إلههم، وحتى في هذا العالم لم يكن في احتياج لهم. ولكن حتى يُعرف أنه يفعل لهم أمورا غير عادية، فقد امتحنهم بأمور غير عادية.

أ. كانوا قلة، قلة قليلة جدا. وقد دُعي إبراهيم بمفرده (إش ٥١: ٢).

ب. كانوا غرباء. ولذلك كانوا أكثر تعرضا للإساءة. وكانت ديانتهم تجعلهم غرباء في نظر الناس (١بط ٤: ٤)، ويتعرضون للاستهزاء. لقد كان الناس من حولهم مثل الجوارح (إر ١٢: ٩).

ج. كانوا غرباء (ع ١٣). «ذهبوا من أمة إلى أمة»، ومن مكان في الأرض إلى مكان آخر. «من مملكة إلى شعب آخر». من كنعان إلى مصر– من مصر إلى أرض الفلسطينيين– مضطرين بسبب المجاعة. كانوا محروسين بالعناية الإلهية الخاصة (ع ١٤ و١٥). لم يكن في إمكانهم أن يساعدوا أنفسهم. ومع ذلك:

د. لم يُسمح لأي قوم أن يسيئوا إليهم. وحتى أولئك الذين كانوا يكرهونهم كانت أيديهم مغلولة. ولم يقدروا أن يفعلوا ما أرادوا أن يفعلوه. ويُرجع في ذلك إلى تكوين ٣٥: ٥. حيث نجد القول: «كان خوف الله على المدن التي حولهم (وبالرغم من غضبهم) فلم يسعوا وراء بني يعقوب».

هـ. حتى الملوك الذين أساءوا إليهم تم السيطرة عليهم وتعويقهم. «وبخ ملوكا من أجلهم، (في أحلام ورؤى) قائلا: لا تمسوا مسحائي ولا تسيئوا إلى أنبيائي». ضرب الله فرعون بضربات عظيمة. (تك ١٢: ١٧) كما انتهر أبيمالك ملك جيرار بشدة (تك ٢٠: ٦ و٧) لأنه أخطأ في حق إبراهيم.

(٢) كان الله يمدهم بكل احتياجاتهم بشكل عجيب. وحتى يمتحن إيمان الآباء «كسر قوام الخبز كله» حتى في هذه الأرض الطيبة. وبكل النعمة اهتم الله براحتهم وإطاعة لوصيته واعتمادا على وعده أقاموا في كنعان ولذلك لم يسمح الله في كرمه أن ينقصهم شيء كما ردع الله أحد الفراعنة عن أن يسيئ إليهم، فقد أقام آخر ليقدم لهم إحسانا بترقية يوسف والثقة به، ونجد في هذا المزمور خلاصة قصة يوسف. فقبل المجاعة بعدة سنوات أُرسل أمامهم لكي يطعمهم أثناء المجاعة. وقد ذهب هناك لا كمندوب أو وكيل، ولكنه بيع هناك كعبد مدى الحياة، بغير أمل في أن ينال الحرية يوما ما، ومع ذلك فقد وصل إلى الحضيض وأصبح مسجونا (ع ١٨) «آذوا بالقيد رجليه». حيث أنه اتهم باطلا بمحاولة الاعتداء على امرأة سيده «في الحديد دخلت نفسه». لقد كان كل ذلك هو الطريق لتقدمه. استمر سجينا بلا محاكمة ولا كفالة حتى الوقت المحدد لإطلاقه (ع ١٩) «إلى وقت مجيء كلمته». أي عندما تم تفسير الأحلام ووصل الأمر إلى أسماع فرعون عن طريق رئيس السقاة، وأثبتت كلمة الرب صدقه، أي أن القدرة التي أعطاها الله له ليتنبأ بالأشياء التي ستحدث، طوت اتهام المرأة له لأنه لا يمكن الاعتقاد بأن الله يُعطي مثل هذه القوة لرجل «قول الرب امتحنه».. امتحن إيمانه وصبره، ثم جاء الأمر بقوة أن يُفرج عنه. هناك وقت معين تأتي فيه كلمة الله لتعزية كل مَنْ يؤمن بها (حب ٢: ٣): «وفي النهاية تتكلم ولا تكذب».. لقد أعطى

الله الكلمة. ثم «أرسل الملك فحله» ولما وجده فرعون محبوبا من السماء أطلقه حُرا. وتقدم به إلى أعلى مراتب الشرف (ع ٢١ و٢٢)، وجعله سيدا على بيته، ورئيسا لوزرائه. في كل هذا كان يوسف يُعد لانقاذ بيت إسرائيل من الموت بسبب المجاعة. وهكذا فقد أُرسل يوسف أمامهم وصار في إمكانه أن يُبقي بيت إسرائيل أبيه. «فجاء إسرائيل إلى مصر» (ع ٢٣). حيث أمده هو وكل مَنْ معه باحتياجاتهم لسنوات عدة.

(٣) ولقد تكاثروا جدا طبقا للوعد المعطى لإبراهيم أن نسله سيكون مثل رمل البحر في العدد (ع ٢٤).

عدد ٢٥ – ٤٥

بعد تاريخ الآباء يأتي تاريخ شعب إسرائيل بعد أن أصبحوا أمة.

أولا: ضيق بني إسرائيل في مصر (ع ٢٥). حوَّل قلوب المصريين الذين كانوا يحمونهم فأصبحوا يكرهونهم ويتآمرون ضدهم. لقد تآمروا ضدهم، وأخذوا في البحث عن طرق ووسائل لإضعافهم ومنع تزايد أعدادهم. وضعوا عليهم أحمالا ثقيلة ومرروا حياتهم وقتلوا أطفالهم الذكور عند ولادتهم.

ثانيا: ولكي لا ينسى أمر خلاصهم من مصر فقد ذكر في مقدمة الوصايا العشر.

(١) الوسائل المستخدمة في هذا الخلاص (ع ٢٦) «أرسل موسى عبده» في هذه المهمة واصطحب هارون معه وكان المقصود أن يكون هو المشرع والرئيس للشعب. ويكون هارون رئيس كهنتهم.

(٢) وكانت وسائل تنفيذ هذا الخلاص ضرب مصر بعدة ضربات «أقاما بينهم كلام آياته»، وكان مع كل ضربة، عرض يتمشى معها. لقد كان صوت هذه الضربات عاليا. وقد ذكر معظمها هنا ولكن ليس بالترتيب الذي حدثت به:

أ. ضربة الظلام (ع ٢٨) وهي واحدة من الضربات الأخيرة ولو أنها تذكر هنا أولا. لكن المصريين عصوا كلامه، سواء فرعون أو المصريين الذين لم يسمحوا لشعبه بالخروج بالرغم من الرعب من هذا البلاء.

ب. تحويل مياه نهر النيل (الذي يعبدوه) إلى دم مما تسبب في موت أسماكهم (ع ٢٩)، (عد ١١: ٥).

ج. الضفادع والتي غطت الأرض مجموعات منها.

د. الذباب بأنواعه المختلفة بحشد كبير منها في الجو. وكذلك البعوض (ع ٣١)، (خر ٨: ١٧، ٢٤).

هـ. كسر البَرَد أشجارهم (الكرات الثلجية)، حتى أقوى الأشجار في أرضهم. وأفسدت كرومهم من أشجار الفاكهة (ع ٣٢ و٣٣)، (خر ٩: ٣٢).

و. قضى الجراد والغوغاء على كل شيء أخضر. والذي وُجد من أجل الإنسان. وأكل الخبز من أفواههم (ع ٣٤ و٣٥)

ز. وقد ذكر داود كل الضربات، فيما عدا تلك التي تخص قطعان الماشية والبثور. وهو يختم بالضربة التي تعتبر القاضية. وهي موت الأبكار (ع ٣٦).

(٣) المراحم التي صحبت الخلاص. لقد وصلوا لدرجة الفقر، ومع ذلك فقد خرجوا أغنياء وميسورين. إن الله لم يُخرجهم بكرامة فقط، بل أخرجهم محملين بالفضة والذهب (ع ٣٧). كانت حياتهم مرة، وتحطمت أجسامهم ونفسياتهم من الأسر، مع ذلك فعندما أخرجهم الله لم يكن فيهم عاثر أو مريض. ولم يوجد بينهم واهن أو ضعيف بين عشائرهم. لقد داسهم مذلوهم وأهانوهم، ومع ذلك فقد خرجوا بكرامة. كانوا يقضون أيامهم في حزن وتنهد بسبب أسرهم ولكن الآن أخرجهم الله بابتهاج وترنم (ع ٤٣).

(٤) العناية التي أعطاها الله لهم في البرية: «بسط سحابا سجفا» (ع ٣٩)، التي كانت لهم ليس كمظلة أو كحجاب فقط، بل كرعاية لأمة كاملة. لقد كانت السحابة دائما هي مظلة الله (مز ١٨: ١١) والآن أصبحت مظلة إسرائيل. وقد أقام عمود نار ليضيء بالليل. كما أن الله أطعمهم، بالضروريات، والكماليات (ع ٤٠) «شق الصخرة فأنفجرت المياه. جرت في اليابسة نهرا» (ع ٤١).

(٥) دخولهم كنعان أخيرا (ع ٤٤): أعطاهم أراضي الأمم.

(٦) الأسباب التي جعلت الله يفعل كل ذلك لهم:

أ. حتى يفي الله بعهوده (ع ٤٢) «لأنه ذكر كلمة قدسه» (أي عهده الذي أعطاه لعبده إبراهيم) وهو لن يسمح أن تسقط أي ذرة- أو أقل من ذلك- من مواعيده، إلى الأرض (تث ٧: ٨).

ب. أراد الله منهم أن يحفظوا الفرائض ويطيعوا الشرائع لكي ينعم عليهم بأعظم إحسان يعمله لهم. أما وقد صبغ الله لهم هذا الإحسان. فالمفروض أن يستقبلوا بسرور شريعته التي قصد بها سعادتهم. وأن يكونوا على دراية بالتزاماتهم شاكرين لكي يعيشوا مطيعين لإرادته. وأن هللويا التي يختم بها المزمور تفهم على أنها اعتراف بأفضال الله.

المزمور المئة والسادس

يجب علينا أن نعطي المجد لله بأن نعترف ليس فقط بأنه صالح. ولكن أيضا برداءتنا. تحدث المزمور السابق عن صلاح الله لإسرائيل، وهذا المزمور يتحدث عن عصيانهم وسخطهم، ومع هذا المزمور يبدأ وينتهي بكلمة هللويا. لأنه حتى الحزن على الخطية لا يجب أن يجعلنا نبتعد عن تمجيد الله.

في هذا المزمور نجد:

أولا: مقدمة السرد، يتحدث عن تمجيد الله (ع ١ و٢)، وتعزية القديسين (ع ٣)، ورغبة المخلصين في جود الرب وإحسانه (ع ٤ و٥).

ثانيا: الحديث نفسه عن خطايا إسرائيل التي تزايدت رغم الأمور العظيمة التي عملها الله، وحديث يجمع بين الاثنين. التمرد عند البحر الأحمر (ع ٦ – ١٢) وشهوتهم (ع ١٣ – ١٥)، وعصيانهم (ع ١٦ – ١٨). عبادة العجل الذهبي (ع ١٩ – ٢٣) تذمرهم (ع ٢٤ – ٢٧) تعلقهم ببعل فغور (ع ٢٨ – ٣١) سخطهم على موسى (ع ٣٢ و٣٣) اختلاطهم بشعوب كنعان (ع ٣٤ – ٣٩) ثم زجر الله لهم من أجل خطاياهم. ومع ذلك خلصهم من الفناء (ع ٤٠ – ٤٦).

ثالثا: نهاية المزمور مع الصلاة والحمد (ع ٤٧ و٤٨).

عدد ١– ٥

أولا: «احمدوا الرب» (ع ١)، احمدوه من أجل صلاحه، مجدوه من أجل عظمته وأفعاله القديرة. إذا ما ذكرنا كل ما يمكن قوله عن هذه الأعمال القديرة فإننا لن نذكر نصفها.

ثانيا: باركوا شعب الله. طوبوهم. إن شعب الله له مبادئ ثابتة راسخة. «طوبى للحافظين الحق وللصانع البر». إنهم أبرار لله ولكل الناس. وهم ثابتون في كل حين.

ثالثا: لنطوب أنفسنا لأجل رعاية الله لنا ولنجعلها موضوع سعادتنا ونطلبها بالتالي بكل جدية. (ع ٤ و٥) مادام يوجد شعب في العالم يُدعى بشكل خاص شعب الله فهناك رعاية خاصة يقدمها الله لهم وتتمناها النفوس «تعهدني بخلاصك» ليكن خلاصك نصيبي إلى الأبد «لأرى خير مختاريك» (ع ٥) وأكون سعيدا مثل سعادة القديسين ولا أطمع في سعادة أكثر من ذلك.

عدد ٦– ١٢

إنه اعتراف بالتوبة عن الخطية، وهو اعتراف في الوقت المناسب، إذ كان الشعب في ضيقة. ليتبرر الله في كل ما يصيبنا به، معترفين بأنه فعل صوابا لأننا أخطأنا.

أولا: إن شعب الله المتألم يعترف هنا أمام الله أنهم مذنبون (ع ٦) «أخطأنا مع آبائنا... وأذنبنا» لقد أخطأنا بيد رفيعة عمدا.

ثانيا: إنهم ينوحون على خطايا آبائهم التي عملوها عند أول تكوين لشعب الله.

(١) حماقة إسرائيل الغريبة وسط المراحم التي قدمها الله لهم (ع ٧) «آباؤنا في مصر لم يفهموا عجائبك». لقد ظنوا أن الضربات في مصر كان يُقصد بها تحريرهم، في حين أنه كان يُقصد بها أيضا تعليمهم وإقناعهم، وليس فقط لإجبارهم على التحرير من عبودية المصريين، ولكن لشفائهم من ميلهم للوثنية في مصر. إننا نفقد الفائدة من العناية الإلهية، بسبب نقص فهمها، ولما كانوا بطيئي الفهم صارت ذاكرتهم ضعيفة «لم يذكروا كثرة مراحمك».

(٢) وكان تمردهم ينبع من هذه الغباوة «تمردوا عند البحر» عند بحر سوف أي البحر الأحمر. وكان سخطهم بسبب يأسهم من الخلاص متمنين لو أنهم ظلوا في مصر (خر ١٤: ١١ و١٢). لقد عيروا الله كما لو كانت قوته بلا رحمة وأنه أخرجهم من مصر «لكي يميتهم في البرية».

(٣) الخلاص العظيم الذي صنعه الله لهم بالرغم من تمردهم (ع ٨ – ١١) شق لهم طريقا في البحر. جعل فاصلا بينهم وبين من يريدون اللحاق بهم، ومنعهم من قطع الطريق عليهم كما كانوا يرغبون. والبحر الأحمر الذي كان طريقا لهم أصبح مقبرة للمصريين (ع ١١) (خر ١٤: ٣٠). ومع أنهم لم يكونوا يستحقون هذا المعروف فقد كان هذا قصد الله. فإن عدم استحقاقهم لا يغير من خطة الله ولا يجعله يبطل وعده، أو يفشل في تنفيذه. وهنا يصلي موسى (عد ١٤: ١٧، ١٩) «فالآن لتعظم قدرة سيدي... اصفح عن ذنب هذا الشعب» إن قوة رب النعمة في الصفح عن الخطية واستبقاء الخطاة هي التي تنال إعجابنا وتقديرنا مثل قوة الله سيد الطبيعة في شق المياه.

(٤) الأثر الطيب الذي أحدثه هذا عليهم في ذلك الوقت (ع ١٢) «فآمنوا بكلامه»، واعترفوا بأن الله كان حقا معهم. وأنه من رحمته أخرجهم من مصر وليس بأي نية لهلاكهم في البرية. ثم «غنوا بتسبيحه» وهي تلك التسبحة التي كتبها موسى في (خر ١٥: ١) بهذه المناسبة العظيمة.

عدد ١٣ – ٣٣

هذا مختصر عن تاريخ تمرد إسرائيل في البرية وقد اختصره أكثر الرسول بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس (١كو ١٠: ٥) مع التطبيق على حياتنا نحن المسيحيين.

أولا: كان سبب خطيتهم هو عدم اهتمامهم بأعمال الله وكلامه (ع ١٣):

(١) لم يهتموا بما فعله الله لهم. لقد «أسرعوا فنسوا أعماله»، كانت توقعاتهم تنتظر مواعيد الله، فتوقعوا أن يكونوا في كنعان في وقت قصير، ولما لم يتم ذلك فقد تساءلوا عما إذا كانت هناك ضرورة للذهاب إلى كنعان (ع ٢١ و٢٢) «نسوا الله مخلصهم». إن من ينسى أعمال الله فإنه ينسى الله الذي يعلن عن نفسه بأعماله.

(٢) لم يهتموا بما قاله الله لهم. ولم يتكلوا على هذه الأقوال. «لم ينتظروا مشورته». لم يكن لديهم الصبر لينتظروا موعد الرب وكانوا ينظرون للصعوبات على أنها لا تُقهر.

ثانيا: وقد ذُكر هنا الكثير من خطاياهم، كما ذُكرت علامات سخط الله عليهم بسبب هذه الخطايا التي وقعوا فيها.

(١) لقد اشتهوا اللحم ومع ذلك لم يصدقوا أن الله سيعطيهم ذلك (ع ١٤). كانوا أيضا– بكل الاحتمالات– على بعد خطوات من كنعان، ومع ذلك فلم يكن لديهم الصبر حتى يصلوا إلى هناك. والآن كيف أظهر الله عدم رضاه عليهم لذلك. جاء في (ع ١٥) لقد «أعطاهم سؤلهم» لكنه أعطاه لهم في غضب مصحوبا بلعنة لأنه «أرسل هُزالا في أنفسهم» وملأهم بعدم الراحة، والرعب في ضمائرهم، وتبكيت الذات. أو ربما يشير إلى الوباء العظيم الذي أصابهم الله به، «وإذ كان اللحم بعد بين أسنانهم» كما نقرأ في سفر العدد ١١: ٣٣.

(٢) لقد تمردوا على السلطة التي أقامها الله لهم لقيادة الجماعة (وخدمة الهيكل) (ع ١٦)، وحسدوا موسى في المحلة كقائد عظيم وكبير القضاة، وحسدوا هارون بسبب سلطاته لأنه كان مُكرسا من الرب لوظيفة رئيس الكهنة. بينما وضع قورح نفسه في وظيفة رئيس كهنة. بينما طلب داثان وأبيرام بوصفهما أمراء في جماعة رأوبين ابن يعقوب الأكبر أن يصيروا رئيسين للقضاة. كيف أظهر الله عدم رضاه على هذا؟ ونرى الإجابة في عددي ١٧ و١٨. كما نجد القصة في سفر العدد ١٦: ٣٢، ٣٥، وأن الذين احتقروا وتحدوا السلطة المدنية، عوقبوا عن طريق الأرض التي فتحت فاها وابتلعتهم. إن الذين يتعدون على ترتيب الله في بيته، يقاسون من انتقام السماء. والمتظاهرون بتقديم ذبائح هم أنفسهم ذبائح لعدالة السماء.

(٣) لقد صنعوا العجل الذهبي وعبدوه. وتم

هذا في حوريب حيث أعطى الله الناموس وحيث صرح بالقول: «لا تقيموا لكم تمثالا... لتسجدوا له» وقد فعلوا كلا الأمرين. «صنعوا عجلا... وسجدوا» له (ع ١٩). وفي هذا أهانوا «النورين العظيمين» اللذين صنعهما الله ليحكما العالم الأخلاقي، ألا وهما:

أ. العقل البشري.. لأنهم استبدلوا مجدهم، وهو الله بصورة عجل يأكل العشب، وهو العجل أبيس أحد الأصنام المصرية، وهذا خطأ كبير، ليس هناك ما هو أخطر منه (ع ٢٠).

ب. الوحي الإلهي.. والذي أدركوه ليس فقط في الكلمات التي كلمهم بها، بل وبالأعمال التي صنعها لهم (ع ٢١ و٢٢). وقد أظهر هذا الإله سخطه بإصدار حكمه بأنه سيقطعهم من أن يكونوا شعبا- كما كانوا- ماداموا قد رفضوا أن يكون الله إلههم. لذلك فإنه «قال بإهلاكهم» (ع ٢٣). وكان سيفعل ذلك «لولا موسى مختاره وقف في الثغر قدامه ليصرف غضبه عن إتلافهم». تأملوا قوة الصلاة والدالة التي لمختاري الله في السماء. تأملوا موسى الذي يمثل المسيح مختار الله الذي سرت به نفسه والذي يقف في الثغر قدامه ليصرف غضبه عن عالم متمرد، وهو حي للأبد لهذا الهدف وليشفع فينا.

(٤) لقد أعطوا مصداقية لتقرير الجواسيس الأشرار عن أرض كنعان، مخالفين وعد الله (ع ٢٤)، ولذلك أرادوا أن يختاروا قائدا للعودة لمصر ثانية، ومتهمين الله بخبث بالتآمر عليهم لإحضارهم هناك حتى يصبحوا غنيمة للكنعانيين (عد ١٤: ٢ و٣)، عندما تم تذكيرهم بقوة الله ومواعيده كانوا بعيدين جدا عن السماع لصوت الرب حتى أنهم حاولوا أن يرجموا مَنْ كلموهم بهذا (عد ١٤: ١٠). وكان في هذا أيضا عدم رضا لله، لأنه أقسم في غضبه لن يدخلوا راحته (عد ١٤: ٢٨؛ مز ٩٥: ١١) كما هدد أن أولادهم سيقطعون «بين الأمم وليبددهم في الأراضي» (ع ٢٦ و٢٧) وتتشتت كل الأمة. ولكن موسى طلب أن تشمل الرحمة نسلهم حتى يدخلوا كنعان.

(٥) كانوا مذنبين من جهة خطية كبرى. تلك المتعلقة ببعل فغور. وكانت تلك خطية الجيل الجديد بينما كانوا على بعد خطوة من كنعان (ع ٢٨) «وتعلقوا ببعل فغور». فوقعوا في شرك الوثنية والزنا. الزنى الجسدي والروحي (عد ٢٥: ١ – ٣). هؤلاء الذين كثيرا ما شاركوا في مذبح الإله الحي تجدهم وقد أكلوا ذبائح الموتى لأصنام موآب (والتي كانت صورا ميتة، وأمواتا قُدسوا بعد وفاتهم واعتبروا آلهة). أو ذبائح إلى الآلهة الشيطانية نيابة عن أصدقائهم الموتى. وهكذا أغاظوا الرب بأعمالهم (ع ٢٩) فاقتحمهم الوبأ في وقت قصير وأباد ٤٢,٠٠٠ من هؤلاء الخطاة الأشرار. وقد حرك الرب قلب فينحاس أن يستخدم قوته كحاكم وقاض من أجل قمع الخطية واستئصال الوبأ. فقد وقف في غيرته على مجد الله كُلي القدرة، ونفذ حكم الموت وقتل «زمري» و«كزبي»، الشيء الذي أرضى الله، لأنه بهذا امتنع الوبأ (ع ٣٠) كما أن فينحاس بعمله هذا أُعطي كرامة خاصة. لأن ما فعله «حُسب له ذلك برا إلى دور فدور إلى الأبد».

(٦) كان تذمر إسرائيل مستمرا حتى آخر أيام تيهانهم. في السنة الأربعين عند ماء مريبة أسخطوا الرب (ع ٣٢) وبالرجوع إلى نفس القصة (عد ٢٠: ٣ – ٥) حيث «تأذى موسى بسببهم»، ومع أنه كان أكثر الناس حِلما، فإن تذمرهم وصخبهم في ذلك الوقت كان شريرا ومثيرا حتى أنهم أوصلوه إلى حالة من الغضب، وحيث أنه قد صار شيخا متقدما في الأيام فقد أثاروا حفيظته «حتى فرط بشفتيه» (ع ٣٣) لأنه قال بغيظ: «اسمعوا أيها المردة، أمِن هذه الصخرة نخرج لكم ماءً؟». وقد أظهر الله عدم رضاه عن هذه الخطية، فمنع موسى وهارون من دخول كنعان بسبب سلوكهم السيئ في هذه الواقعة.

فإذا تعامل الله هكذا بشدة مع موسى من أجل كلمة قيلت بغير قصد فما الذي تستحقه خطية أولئك الذين تكلموا بكثير من الكلمات الشريرة الوقحة. لقد حرمهم الله من بركة قيادة وتوجيه موسى لهم في وقت كانوا في أمس الحاجة إليه. وهكذا كان موته عقابا لهم أكثر منه لنفسه.

عدد ٣٤– ٤٨

أولا: تنتهي القصة بسرد عن سلوك إسرائيل في كنعان، والذي كان هو نفس سلوكهم في البرية. لكن معاملات الله لهم كانت دائما تُظهر العدل والرحمة.

(١) كانوا متمردين على الله. ففي الوقت الذي بدأوا فيه يستقرون في كنعان أفسدوا أنفسهم، وتخلوا عن الله، فقد استبقوا الأمم الذين حكم الله بتحريمهم وقتلهم (ع ٣٤). وقد وعدوا أنه بالرغم من ذلك لن يشتركوا في أية علاقة أو مصاهرة معهم أما الأخبار التالية التي نسمعها أنهم اختلطوا بالأمم، وعملوا تحالفا معهم وعقدوا صداقات حميمة معهم «بل اختلطوا بالأمم وتعلموا أعمالهم» (ع ٣٥). وكانوا يظنون أنهم لن يشتركوا معهم في عباداتهم، ولكن بالتدريج تعلموا ذلك أيضا (ع ٣٦). وقد جرَّت هذه الخطية وراءها الكثير من الخطايا وجلبت عليهم قصاص الله. لقد اشتركوا في بعض الممارسات الدينية الوثنية، ولم يفكروا أنهم يمكن أن يكونوا مذنبين لأجل هذه الممارسات البربرية غير الإنسانية لدرجة ذبح أطفالهم الأحياء لآلهة الوثن الميتة: ولكنهم وصلوا إلى ذلك أخيرا (ع ٣٧ و٣٨) «ذبحوا بنيهم وبناتهم» وهم جزء منهم وقدموهم ذبيحة للشياطين وأضافوا أكبر جريمة قتل غير طبيعية لخطية عبادة الأوثان. لقد سفكوا دما بريئا. بل أكثر الدماء براءة؛ لأنه كان دم أطفال.. «دم بنيهم وبناتهم». وكانت خطيتهم في جزء منها عقابا لهم لأنه بذلك «تدنست الأرض بالدماء» (ع ٣٨). وأفسدوا ضمائرهم، وعقولهم (ع ٣٩)، وأصبحوا ممقوتين في أعين الله القدوس.

(٢) وقد أوقع الله قصاصه عليهم. وماذا كان يمكن أن يتوقع غير هذا؟ كان غاضبا منهم؛ لأنه رأى ذلك إنكارا للجميل أكثر من الأمم الذين لم يعرفوه. لقد «كره ميراثه». وهذا هو أسوأ شيء في الخطية. إنها تجعلنا كريهين أمام الله، وكلما كان البعض قريبين من الله كانوا أكثر كراهة إذا تمردوا عليه، وصاروا كالقمامة الملقاة خارج الباب، عندئذ يقع بهم أعداؤهم، وحيث أن المدافع عنهم قد تركهم: لذا يصبحون فريسة سهلة لهم (ع ٤١ و٤٢). «وأسلمهم ليد الأمم».. وقد جاءت العقوبة نتيجة للخطية. «اختلطوا بالأمم وتعلموا أعمالهم» وبعدل استخدم الله الأمم كأدوات لتأديب الشعب. لقد كرههم الأمم. إن المرتدين يفقدون كل الحب من جانب الله، ولا يأخذون شيئا من الشيطان، وعندما تسلط عليهم مبغضوهم فلا عجب إن اضطهدوهم وأذلوهم. وعندما منحهم الله بعض الفرج، استمروا في خطاياهم، واستمرت كذلك مشكلاتهم (ع ٤٣). وهذا ينطبق على أيام «القضاة». عندما كان الله كثيرا ما يقيم مخلِّصين ليخلصوهم، ومع ذلك ارتدوا إلى الوثنية. إن الذين لن يتواضعوا عن طريق التوبة يخضعهم الله بعدله. أخيرا صرخوا إلى الله، وعاد الله وعطف عليهم (ع ٤٤ – ٤٦). لقد عوقبوا لأجل خطاياهم، ولكن لم يفنوا، ولم يلقوا بعيدا. الله «سمع صراخهم» بحنو وشفقة (خر ٣: ٧) ونظر إلى مذلتهم. ومع أنه «ليس إنسانا ليندم» ولا ابن آدم فيغير فكره. إلا أنه إله صالح يرثي لنا. وبقدر ما كانوا أردياء إلا أنه لم يقاطعهم لأنه لن ينقض وعده الخاص. إنه لم يكبح فقط البقية الباقية من غضب أعدائهم؛ ولكنه سكب شفقة في قلوب أعدائهم الصخرية، وجعلها لينة، وهذا أمر فوق قدرة أي إنسان.

ثانيا: ويختتم المزمور بالصلاة والحمد.

(١) صلاة من أجل إتمام خلاص شعبه. إن كثيرين ممن أرغموا للذهاب إلى بلاد غريبة في عصر القضاة مثل نعمي (را ١: ١) لم يعودوا في أوائل عهد الملك داود. لذلك فقد كان هذا الوقت المناسب للصلاة «خلصنا أيها الرب إلهنا، واجمعنا من بين الأمم، لنحمد اسم قدسك» في بيت الرب الذي حرموا منه.

(٢) التسبيح لأجل البداية، ومن أجل الاستمرارية (ع ٤٨): «مبارك الرب إله إسرائيل من الأزل وإلى الأبد». ليقل الكهنة ذلك و«يقول كل الشعب آمين. هللويا».

المزمور المئة والسابع

يرصد كاتب المزمور هنا بعض الوقائع عن عناية الله لبني البشر عموما. وخاصة في نكباتهم. لأنه هو إله كل الأرض وأب لكل البشرية. كانت هناك جماعات لا تنتمي إلى جماعة إسرائيل. ومع ذلك كانوا يعبدون الله الحق. وحتى أولئك الذين يعبدون الصور والتماثيل لديهم بعض المعرفة عن قوة أعظم كانوا يرفعون إليها أشواقهم وطلباتهم وهي قوة تفوق آلهتهم المزيفة. ومنهم مَنْ صلوا في ضيقاتهم ونظر إليهم الله بعناية خاصة.

أولا: يحدد كاتب المزامير بعض النكبات الشائعة في

الحياة الإنسانية ويبين كيف يساعد الله أولئك الذين يعانون منها استجابة لصلاتهم.

(١) إبعاد وتشتيت (ع ٢ – ٩).

(٢) أسْر وحبس (ع ١٠ – ١٦).

(٣) مرض وضعف الجسد (ع ١٧ – ٢٢).

(٤) خطر وكرب في البحر (ع ٢٣ – ٣٢).

ثانيا: وهو يحدد وقائع تخص الأمم والعائلات والتي تظهر فيها يد الله لشعبه الخاص، مع الفرح تعبيرا عن صلاحه (ع ٣٣ – ٤٣).

عدد ١ – ٩

أولا: نداء عام للجميع أن يقدموا الشكر لله (ع ١).

ثانيا: طلبة خاصة من مفديي الرب والتي يمكن أن تطبق روحيا على «أبناء الله المتفرقين» والذين مات المسيح عنهم «ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد» (يو ١١: ٥٢؛ مت ٢٤: ٣١). ولكن يظهر هنا أنها تعني خلاصا وقتيا تم لهم عندما صرخوا إلى الرب (ع ٦).

(١) كانوا في بلد الأعداء: ولكن الله هيأ لهم النجاة «فداهم من يد العدو» (ع ٢). ربما يكون هذا عن طريق روح الله الذي يعمل في أرواح الناس.

(٢) كانوا متفرقين منبوذين: ولكن الله جمعهم من جميع الممالك التي كانوا متفرقين فيها (ع ٣). إن الله يعرف خاصته وأين يجدهم.

(٣) كانوا حيارى: ليس لديهم طريق ليسافروا من خلاله. ليس لهم مكان سكن ليستريحوا فيه (ع ٤) فالبعض تاهوا في البرية في قفر بلا طريق، ولكن الله «هداهم طريقا مستقيما ليذهبوا إلى مدينة سكن» (ع ٧)، حيث يمكنهم العيش. يمكن أن يشير ذلك إلى المسافرين الفقراء عموما، خصوصا أولئك الذين يسلكون طرقا في القفار وغالبا ما يضلون الطريق.

أو ربما يقصد شعب إسرائيل الذي تاه في البرية أربعين عاما.

(٤) كانوا على وشك الموت عطشا (ع ٥): كانت احتياجات إسرائيل تقدم في وقتها. إنه نفس الإله الذي قاد مسيرتنا وأطعمنا كل أيام حياتنا حتى هذا اليوم. والآن من أجل كل هذا، فإن كل هؤلاء الذين ينالون الرحمة مدعوون أن يرفعوا الشكر له (ع ٨) «فليحمدوا الرب على رحمته» إليهم وبالأخص على «عجائبه لبني آدم».

عدد ١٠ – ١٦

صلاح الله للمسجونين والمأسورين. ذكر أن المسجونين يجلسون في الظلمة (ع ١٠) تعساء ويائسين، إنهم يجلسون في «ظلال الموت» وهي ظلمة عميقة تمثل خطرا كبيرا. إنهم موثقون «بالذل والحديد لأنهم عصوا كلام الله، وأهانوا مشورة العلي». ظنوا أنهم لن يحتاجوها، ولن تفيدهم في شيء. والذين لا يقبلون المشورة لا يمكن مساعدتهم. من أجل ذلك فهم في أسر من الأسى، وأن القصد من هذا الأسى هو إذلالهم (ع ١٢).. أن يُذلوا من أجل خطاياهم. ودور هذا الإذلال أن يقودهم إلى أن يصلوا (ع ١٣). إن المأسورين لديهم الوقت أن يصلوا، مع أنهم عندما كانوا أحرارا لم يكن لديهم الوقت للصلاة. إنهم يرون الآن أنهم في حاجة إلى معونة الله، بينما في الماضي ظنوا أنه يمكنهم أن يفعلوا ما يشاءون بغير الحاجة إليه. «صرخوا إلى الرب في ضيقهم فخلصهم» (ع ١٣)، «أخرجهم من الظلمة وظلال الموت» وكانت الحرية لهم حياة من الموت (ع ١٤) هل كانوا مقيدين فقطع قيودهم؟ هل كانوا مسجونين في قلاع حصينة؟ «كسَّر مصاريع نحاس، وقطع عوارض حديد» التي كانت تربط هذه المصاريع ببعضها.

عدد ١٧ – ٢٢

إن المرض الجسدي هو أحد نكبات هذا الدهر التي تعطينا فرصة لاختبار صلاح الله.

أولا: بدخول الخطية إلى العالم دخل المرض والموت. والخطاة في جهلهم يخطئون إلى أنفسهم. ويرتكبون كل ما هو ضد مصالحهم الشخصية. ليس فقط الروحية بل والدنيوية أيضا. إنهم يضيعون صحتهم البدنية بالإدمان، وتعريض حياتهم للخطر بإطلاق العنان لشهواتهم وشهيتهم. إن هؤلاء الشغوفين كثيرا بالطعام الذي يُهلك، يمرضون بسبب الطعام. واللذات التي يحبونها تصبح كريهة. وعندما تُفقد الشهية تُصبح الحياة وكأنها قد ولَّت. «فصرخوا إلى الرب في

ضيقهم» (ع ١٩). إن كان هناك مريض فليصلِّ، وليُصلَّى لأجله. إن الصلاة بلسم لكل جرح.

ثانيا: إنه بواسطة قوة ورحمة الله أننا نُشفى من أمراضنا، وواجبنا إذن أن نشكر «أرسل كلمته فشفاهم» (ع ٢٠) ويمكن تطبيق هذا على معجزات الشفاء التي عملها المسيح وهو على الأرض، فقد قال، «أريد، فاطهر» كن صحيحا، فتمت المعجزة. كما يمكن أن تطبق على الشفاء الروحي والذي يفعله روح النعمة في تجديد القلب، إنه يرسل كلمته فتشفي الأرواح. في الأحوال العادية عند الشفاء من المرض فإن الله بعنايته يتكلم فقط ويتم الشفاء. إن أولئك الذين كانوا مرضى وتم شفاؤهم يجب أن يردوا لله كلمات الشكر (ع ٢١ و٢٢) «فليحمدوا الرب على رحمته وعجائبه لبني آدم». والذين وهبهم الله حياة جديدة، على الأخص، فليقضوها في خدمته وليقدموا له ذبائح حمد، ليس فقط أن يقدموا عطاياهم على المذبح بل يقدموا قلوبهم الشاكرة لله.

عدد ٢٣ - ٣٢

يخاطب كاتب المزمور هنا مَنْ نجاهم الله من أخطار البحر أن يشكروا الله ويحمدوه. ومع أن الإسرائيليين لم يعملوا كثيرا بالتجارة إلا أن جيرانهم من صور وصيدا كانوا يفعلون ذلك. وربما كان هذا الجزء من المزمور موجها إليهم.

أولا: تظهر قدرة الله في كل الأوقات في البحر (ع ٢٣ و٢٤) إنها تظهر نحو النازلين «إلى البحر في السفن»، كبحارين، كتجار، كصيادين، أو كركاب، «العاملون عملا في المياه الكثيرة»، «رأوا أعمال الرب وعجائبه في العمق». إن العمق نفسه عجيب في اتساعه، وملوحته، وجزره ومده، إن التنوع الكبير في الأحياء المائية يعتبر عجيبا. ليت أولئك الذاهبون إلى البحر أن يُقدروا كل العجائب التي يرونها هناك. ليعتبروا ويتعبدوا لهذا الإله الذي يملك هذا البحر، لأنه صنعه وهو الذي يُسيره.

ثانيا: وهذا ما يظهر جليا في عواصف البحر. وتبدأ العجائب في الظهور في العمق عندما «أمر (الرب) فأهاج ريحا عاصفة» (ع ٢٥) «الصانعة كلمته» (مز ١٤٨ : ٨). إن الإنسان الغريب الذي لم ير ذلك مطلقا لا يمكن أن يفكر كيف تبقى سفينة في البحر وأن تصمد أمام عاصفة وتتجاوزها.

ومع ذلك فإن الله علَّم الإنسان أن يصنع السفن التي تطفوا فوق الماء بشكل غريب. وعندما تكون العاصفة عالية فحتى أولئك المعتادون على العيش في البحر لا يمكنهم إخفاء أو التظاهر بإخفاء مخاوفهم. «وكل حكمتهم ابتُلعت» (ع ٢٧) غير عالمين ماذا يفعلون أكثر للحفاظ على حياتهم. إن مَنْ يذهبون إلى البحر عليهم أن يتوقعوا مثل هذه المخاطر. وأفضل استعداد لهم هو حرية الاقتراب لله بالصلاة. هناك مقولة نصها «دع الذين يريدون أن يتعلموا الصلاة أن يذهبوا للبحر»، وأنا أقول: «دع الذين يذهبون للبحر أن يتعلموا الصلاة». إن الذين يكون الرب لهم إلها، لديهم معونة حاضرة في كل أوقات الحاجة، لأنه عندما يبلغون نهاية مقاومتهم لا يكونون قد وصلوا إلى نهاية إيمانهم. إن الله يظهر في بعض الأحيان لمن هم في ضيق في البحر استجابة لصلاتهم. «ومن شدائدهم يخلصهم، يهدئ العاصفة فتسكن» (ع ٢٨ و٢٩)، فيستريح رجال البحر وتصبح الرحلة ناجحة وموفقة. سيهديهم إلى المرفأ الذي يريدونه (ع ٣٠). وهكذا فإنه يحمل شعبه بأمانة خلال كل العواصف، والتجارب التي يقابلونها في رحلتهم نحو السماء. وينزل بهم أخيرا إلى المرفأ المطلوب.

عدد ٣٣ - ٤٣

إن كاتب المزمور وقد أعطى المجد لله عن معونات العناية الإلهية التي يهبها الله لأشخاص في ضيق، تجده هنا يعطي المجد لله عن التغيرات المفاجئة التي تحدثها العناية الإلهية في أمور أبناء الله.

أولا: وهو هنا يعطي بعض الوقائع عن هذه التغيرات:

(١) البلاد المثمرة تصبح قفرا، والبلاد المقفرة تصبح مثمرة، إن كثيرا من الراحة في هذه الحياة تتوقف على التربة التي يقع فيها نصيبنا. إن خطية الإنسان كثيرا ما تفسد خصوبة التربة (ع ٣٣ و٣٤)، أما صلاح الله فكثيرا ما يصلح التربة القاحلة ويحول صحراء الأرض الجافة إلى غدير مياه (ع ٣٥).

(٢) العائلات المعدمة يرتفع شأنها وتصبح غنية بينما العائلات الموسرة افتقرت، وفي سبيلها للفناء. نحن نرى كثيرين يزدادون بدرجة كبيرة بينما كانت بداياتهم صغيرة (ع ٣٦ – ٣٨). أولئك الذين كانوا جياعا تهيأوا للمعيشة في أرض مثمرة، وهناك أصبح لهم جذور واكتسبوا إقامة. إن العناية الإلهية تعطيهم أرضا جديدة وهم يبنون فوقها. لكن مكان الإقامة مهما كان مريحا، لا يجدي بغير وجود أراضي. لذلك يجب أن يزرعوا حقولا ويحرثوا كروما (ع ٣٧). إن العمل الذي يعمله الإنسان ينتظر بركة الله، ومن ثم تتوج بركة الله عمل يدي الإنسان. إن خصوبة الأرض تشجع على المثابرة، وعادة «يد المجتهدين فتُغني» (أم ١٠: ٤) ببركة الله (ع ٣٨). إننا نرى الكثيرين يرتفعون فجأة ثم يهبطون فجأة أيضا حتى يصلوا إلى العدم (ع ٣٩) عن طريق تدابير عكسية، وينهون حياتهم على نحو وضيع كما بدأوها، إذ تبدد عائلاتهم من بعدهم ما اكتسبوه بسرعة وتبعثر ما جمعوه، فنجد أصحاب المراتب العالية في العالم أصبحوا أذلاء، والذين كانوا منحطين ومحتقرين تقدموا نحو الكرامة (ع ٤٠ و٤١). إن الذين يرفعون أنفسهم سيذلهم الله، ويضلهم في «تيه بلا طريق». والذين هم في كرب أو حزن، مدوسين من الناس لن يتحرروا فقط بل وسيكونون أعلى من أن تصل إليهم المشاكل. يجب أن نعترف أن الله هو الذي يكوِّن العائلات ويدعمها. ليتنا لا نحسد الأمراء ولا نحتقر الفقراء. لأن الله له طرق عديدة في تغيير أحوال كل منهما.

ثانيا: حقا إن لمثل هذه التغيرات المفاجئة فوائد:

(١) من أجل عزاء القديسين. إنهم ينظرون إلى هذه التدابير بفرح (ع ٤٢). إنه لعزاء كبير لرجل صالح أن يرى كيف يرعى الله أولاده. كما يفعل الفخاري بالطينة التي يعملها، فيرى الفضيلة المحتقرة تتقدم إلى الأمام، والكبرياء تنحط، ويُرى بالبرهان أنه يوجد حقا إله يسيطر على العالم.

(٢) من أجل إسكات الخطاة، عندما يرون أن عقابهم كان نتيجة لخطيتهم وكيف يتعامل الله معهم بالعدل. وعندما يسحب منهم الهبات التي أساءوا استعمالها، دون أن ينطقوا بكلمة.

(٣) لأجل رضا الجميع عن الصلاح الإلهي (ع ٤٣) «مَنْ كان حكيما يحفظ هذا»، أي هذه التدابير المتنوعة للعناية الإلهية. ويتفكر في مراحم الرب. إن الملاحظة الحكيمة للتدبيرات الإلهية ستساهم بدرجة كبيرة في بناء شخص مسيحي صالح.

المزمور المئة والثامن

تسبيحة. مزمور لداود

يبدأ هذا المزمور بالتسبيح، وينتهي بالصلاة. ويعمل الإيمان في كليهما.

أولا: يقدم داود هنا الشكر لله لمراحمه نحوه (ع ١ – ٥).

ثانيا: ويصلي إلى الله من أجل مراحمه نحو الأرض (ع ٦ – ١٣) وقد أُخذ الجزء السابق، من مزمور ٥٧ أما الذي يليه فقد أُخذ من المزمور ٦٠. وهذا يبين أنه ليس مسموحا فقط بل إنه من المناسب ضم بعض الأعداد من المزمور إلى أعداد من مزمور آخر معا لنترنم بها جميعا لمجد الله.

عدد ١ – ٥

يمكننا أن نتعلم كيف نسبح الله من حضور الاجتماعات الروحية.

(١) يجب أن نسبح الله بعزم القلب. إن الأفكار المتناثرة يجب أن تجمع لتناسب التسبيح.

(٢) يجب أن نسبح الله بحرية في التعبير. سأحمده بكل ما في نفسي. فإن عبارة «كذلك مجدي» جاءت في ترجمات أخرى «فهيا استيقظي يا نفسي». إن ألسنتنا تعبر عما في نفوسنا، وليس أكثر من أن نوظفها في تمجيد الله. كانت مهارة داود في الموسيقى هي مجده، وجعلته مشهورا. وهذه الموهبة يجب أن تكرس لتمجيد الله. يجب أن نشكر الله لأجل كل موهبة نتميز بها.

(٣) يجب أن نسبح الله بعاطفة جياشة، وأن نُولد الإثارة في أنفسنا حتى نؤدي ذلك بحماس وليس بفتور (ع ٢) «أستيقظي أيتها الرباب والعود» ولا يتم ذلك بنغمة مملة تبعث على النوم. ولكن لتجعل الأجواء تمتلئ بالحيوية. إن الابتهالات الدافئة تمجد الله.

(٤) علينا أن نشكر الله على الملأ كأناس لا يخجلون من الاعتراف بعهودنا معه.

(٥) يجب علينا في تمجيدنا لله أن نُعظم رحمة الله وحقه (ع ٤). إنه لا يمكننا أن نرى أبعد من السماء وما فيها من سحب. ومهما رأينا من رحمة الله وحقه فلا يزال هناك الكثير الذي يمكن مشاهدته. هناك الكثير المحفوظ لنا لكي نراه في العالم الآخر.

عدد ٦ – ١٣

يجب أن نكون منفتحين روحيا في صلواتنا. ونحمل على قلوبنا اهتمامات كنيسة الله (ع ٦). إنهم أحباء الله، ولذلك يجب أن يكونوا أحباءنا فيجب علينا أن نصلي من أجل خلاصهم. إن الإيمان الفعال يفرح بمواعيد الله حتى ولو لم تكن قد تمت. فالقول والفعل عند الله ليسا شيئين منفصلين مهما يكونان بالنسبة لنا. لقد وعد الله داود أن يعطيه قلوب رعاياه. ولذلك فهو يجول في أنحاء المملكة باعتبارها مُلكا له. إن شكيم، وسكوت جلعاد ومنسى، أفرايم ويهوذا كلها ملك لي (ع ٨) إن الله بدون شك سيعطيه «الأمم ميراثا لك وأقاصي الأرض ملكا لك» (مز ٢: ٧). وداود يتطلع نحو موآب وأدوم وفلسطين على أنها أصبحت ملكا له فعلا (ع ٩) يجب علينا أن نتشجع مع بداءات النعمة وأن نصلي ونأمل من أجل أن تُستكمل (ع ١٠ و١١) «مَنْ يقودني إلى المدينة المحصنة» التي لم تُقْهر بعد؟ مَنْ سيجعلني سيدا على مدينة أدوم والتي لم تخضع بعد؟ إن هذا السؤال كان من المحتمل أن يناقش في مجلس للحرب.

ما هي الوسائل الواجب اتخاذها لإخضاع الأدوميين. ولكن داود يضعها في صلواته «أليس أنت يا الله؟». يجب ألا نيأس في صلواتنا، ولا أن نيأس من تمسكنا بالله. ومع أن العناية الإلهية تظهر في بعض الأحوال وكأنها تعبس في وجوهنا، فإننا يجب أن ننشد المعونة من الله رافضين كل ثقة في المخلوق (ع ١٢) «فباطل هو خلاص الإنسان». وهذه هي الحقيقة ولذلك فإننا بلا أمل يا رب إن لم تساعدنا. هذا ما نعرفه.

لذلك فإننا نتكل عليك لمساعدتنا، ولدينا الاقتناع الكامل أن نتوقع ذلك. علينا أن نقوم بواجبنا ولكن لا يمكن أن نفعل شيئا من أنفسنا لأن «بالله نصنع ببأس».

المزمور المئة والتاسع

لإمام المغنين. لداود. مزمور

لا يوجد تأكيد ما إذا كان داود قد كتب هذا المزمور عندما كان مضطهدا من شاول أو عندما تمرد عليه ابنه أبشالوم أو عند حدوث مشكلة أخرى، ولكن اللعنة في آية ٨ تنطبق على يهوذا (أع ١: ٢٠) أما باقي الصلوات هنا ضد أعدائه فقد كانت تعبيراتها صادرة ليس عن عاطفة، ولكن بروح النبوة.

أولا: إنه يشكو من مكر أعدائه مع نداء إلى الله البار (ع ١ – ٥).

ثانيا: وهو يصلي ضد أعدائه (ع ٦ – ٢٠).

ثالثا: وهو يصلي لأجل نفسه حتى يعينه الله في حالته المتدنية (ع ٢١ – ٢٩).

رابعا: وينهي المزمور بتوقعات سارة لأن الله سينصره (ع ٣٠ – ٣١).

عدد ١ – ٥

إنه لعزاء لا يعبر عنه لكل الصالحين، أنه مهما كان الذين عليهم فإن الله معهم.

أولا: يستنجد داود بعدل الله (ع ١) يا إلهي «لا تسكت»؛ فإنه «من قدامك يخرج قضائي» (مز ١٧: ٢). لا تتوانَ أن تحاكم عند سماعك الاستغاثة المرفوعة إليك. إن اللقب الذي يعطيه داود لله هو «يا إله تسبيحي». الإله الذي أمجده ليس بحكمتي أو بقوة من عندي.

ثانيا: إنه يشكو من أعدائه، إنهم أشرار يفرحون بإيذائي (ع ٢). إن كلماتهم كلمات بغض (ع ٣). إنهم خداعون في توكيداتهم وادعاءاتهم بالعطف والحنان بينما في الوقت نفسه يتكلمون ضدي ومن ورائي «بلسان كذب» كانوا غير مستقرين في مخططاتهم، وغير عادلين. إذ كانت اتهاماتهم ضده وأحكامهم عليه لا أساس لها. «قاتلوني بلا سبب» إذ لم أوجه لهم أي إثارة. لقد كانوا غير شاكرين «ووضعوا عليَّ شرا بدل خير، وبغضا بدل حبي» (ع ٥). وكلما أسعى نحو إرضائهم، زادوا في كراهيتهم لي.

ثالثا: لقد صمم أن يتمسك بواجبه ويجد الراحة في ذلك، «أما أنا فصلاة» (ع ٤) عندما أُتهم داود من أعدائه كذبا. فقد توجه إلى الله وبالصلاة سلم

دعواه له. ومع أنهم قابلوا حبه بالعداوة. فقد استمر في الصلاة من أجلهم.

إذا كان الآخرون يهينوننا أو يؤذوننا، فلا يجب أن نهمل واجبنا من نحوهم أو نخطئ للرب فنكف عن الصلاة من أجلهم (١صم ١٢: ٢٣). وفي هذا فإن داود يشير إلى المسيح مسبقا والذي كان محاطا بكلمات الكراهية، ولكنه اتجه للصلاة من أجلهم «يا أبتاه أغفر لهم».

عدد ٦– ٢٠

ويركز داود هنا على شخص معين بالذات أردأ من كل باقي أعدائه. وفي غيرة مقدسة نحو الله، وضد الخطية وأعداء المسيح وبالذات يهوذا الذي خان سيده يستنزل عليه اللعنات ويتنبأ بهلاكه. وهذا هو الإنسان الذي قال عنه مخلصنا «ابن الهلاك». وقد استخدم البعض هذه الأعداد لكي يلعنوا بها أعداءهم. وهذا ما لا يمكن تصوره أن نستخدم الكلمات المقدسة في الكتاب المقدس استخداما شيطانيا.

أولا: إن اللعنات هنا رهيبة وقوية جدا على الأعداء الحقودين الذين يضطهدون كنيسة الله ولا يتوبون، فيُعطى المجد لله. وهو هنا يتنبأ عن هذا الرجل الشرير.

(١) يجب أن يحاكم كمجرم (ع ٦ و٧) «فأقم أنت عليه شريرا» ليكون قاسيا وظالما له كما كان هو للآخرين. واجعل قلبه الشرير أن يقف ضده. واجعل ضميره أن يقف ضده، وليكن ذلك ظاهرا على وجهه.

(٢) أما وقد أصبح مدانا، فيجب أن ينفذ فيه الحكم كأكبر مجرم رديء السمعة، يجب أن يفقد حياته، وأن تنتهي حياته في منتصفها بسيف العدالة «رجال الدماء والغش لا ينصفون أيامهم» (مز ٥٥: ٢٣) تُعطى جميع مسئولياته لآخرين. وتباد عائلته ويستعطي أفرادها وتصبح زوجته أرملة وأولاده يتامى بموته الذي جاء في غير أوانه (ع ٩) «ليتِه بنوه تيهانا ويستعطوا» لأنهم يعرفون أن كل البشر لديهم الأسباب التي تجعلهم يكرهونهم بسبب أباهم. وأن تدمر ممتلكاته مثل ما تصادر ممتلكات المجرمين (ع ١١). هذا الإنسان الشرير الذي لم يمد يد العطف للآخرين «لا يكن له باسط رحمة، ولا يكن مترأف على يتاماه» عندما يموت (ع ١٢). إن أبناء الآباء الأشرار كثيرا ما يجنون أسوأ نتائج شرور آبائهم، حتى أن قلوب الناس تُغلق من نحوهم. وهذا ما كان من المفروض ألا يحدث، لأنه لماذا يقاسي الأبناء عن أخطاء لم يرتكبوها؟ ما الذي يُعجل بموت بعض الناس بطريقة مخجلة. ويوصل بعض العائلات والبلاد إلى الهلاك، ويجعلهم يجلبون الازدراء والعار والبؤس والفقر على أجيالهم القادمة، إنها الخطية، الشيء المدمر والهدام.

ثانيا: إن خلفية هذه اللعنات لها ما يبررها، مع ما يبدو فيها من قسوة:

(١) لتبرير لعنات الانتقام على نسل الخطاة يلزمنا معرفة أن خطية أجدادهم تؤخذ هنا في الحسبان (ع ١٤ و١٥) «إثم آبائه... خطية أمه». كل الدم البريء الذي سُفك على الأرض من دم هابيل البار يطلب من الجيل الظالم الذين قتلوا السيد المسيح وتمموا قوله «فاملأوا أنتم مكيال آبائكم» (مت ٢٣: ٣٢).

(٢) لتبرير لعنات الانتقام على الخاطئ نفسه فإن خطيته الذاتية هنا تدينه. إنه أحب القسوة، واضطهد الفقير الذي كان من المفروض أن يحميه ويواسيه، وطارد المنسحق القلب ليميته، والذي كان المفروض أن يعزيه ويعتني به. ونجد هنا رجلا همجيا قاسيا لا يستحق أن يعيش، «أحب اللعنة»، ولذلك فلتنزل اللعنة على رأسه (ع ١٧– ١٩). لتكن لعنة الله عليه عارا له، كما كانت لعنته لجاره فخرا له. وهذا يشير إلى الخراب المطلق ليهوذا، وأحكام الدينونة الروحية التي وقعت على اليهود لصلبهم المسيح. وينهي كاتب المزمور لعناته بآمين مرعبة.

عدد ٢١– ٣١

يأخذ داود تعزيات الرب لنفسه بطريقة متواضعة:

أولا: «إني فقير ومسكين» وفي احتياج واشتهاء لعونك. كان مضطربا في فكره (ع ٢٢). «قلبي مجروح في داخلي» ليس فقط منكسرا نتيجة المشاكل الخارجية ولكن مجروح من الشعور بالذنب، «الروح المكسورة فمَنْ يحملها». كان مضطربا غير مستقر

منتفضا «كجرادة» عقله غير متزن، مطارد مثل الحجل على الجبال. كان جسمه هزيلا وضعيفا (ع ٢٤) «ركبتاي ارتعشتا من الصوم» سواء كان صوما مفروضا عليه أو اختياريا فقد كان يدرب نفسه. من الأفضل أن يكون الجسد هزيلا بينما تتمتع النفس بالصحة. وليس كإسرائيل التي لديها هزالا في النفس بينما الجسد يسمن. في كل هذا فإن داود يمثل المسيح الآتي والذي كان في تواضعه ضعيفا. فكانوا يعيرونه.

ثانيا: وداود هنا يصلي طالبا الرحمة لنفسه.. يا رب افعل لي ما تراه صالحا في عينيك. افعل ما أنت تعرف أنه سيكون جيدا لي، وتكون نتيجته لصالحي، حتى لو بدا الآن ضدي. وبأسلوب عملي يصلي داود (ع ٢٦) «أعني يا رب إلهي خلصني». خلصني من الخطية، ساعدني أن أقوم بواجبي. ثم يصلي «أما هم فيلعنون، وأما أنت فتُبارك» (ع ٢٨) إن كان الله يباركنا فلا يهمنا مَنْ يلعننا.

ثالثا: وهو يصلي أن يلبس خصماؤه خجلا وليتعطفوا بخزيهم كالرداء (ع ٢٩). حتى يُتركوا لأنفسهم ليفعلوا ما يعرضهم لإظهار خزيهم لكل الناس. وفي هذا فهو يصلي أن يقادوا للتوبة وهو أهم ما نطلبه من الله من أجل أعدائنا.

رابعا: وداود يريد مجد الله وجلال اسمه. «لأن رحمتك طيبة نجني» (ع ٢١). وهو ينهي المزمور بالفرح، فرح الثقة وهو يعد الله أنه سيحمده (ع ٣٠). وسيكون له ما يجعله يسبح الله (ع ٣١). كان الله هو الذي يحفظ داود في معاناته كما كان الله متواجدا أيضا مع الرب يسوع في معاناته. وأنقذ نفسه ممن تظاهروا بأنهم قضاتها واستلمها بين يديه.

المزمور المئة والعاشر

لداود. مزمور

هذا المزمور هو البشارة المتعلقة بالرب يسوع المسيح، المسيا المنتظر والذي كان ينتظره الآباء، ومن الواضح أن اليهود القدماء، حتى الأشرار منهم، كانوا يفهمون ذلك؛ لأن الرب يسوع عندما سأل الفريسيين عن أول كلمات هذا المزمور حيث سلَّم أن داود بالروح يدعو المسيح ربه بينما هو ابنه. فضل الفريسيون ألا يقولوا شيئا بدلا من أن يتساءلوا عما إذا كان داود حقا يتكلم عن المسيح أم لا. لأنهم بسهولة سلموا بالحقيقة الواضحة، بالرغم أنهم توقعوا أن ذلك سيعود عليهم بالخزي (مت ٢٢: ٤١). إن الرب يسوع المسيح هو فادينا. وهو يتمم عمله كنبي، وكاهن، وملك. ذلك بالإشارة إلى تواضعه ورفعته ولكل منها نجد دلالة.

أولا: وظيفته كنبي (ع ٢).

ثانيا: وظيفته ككاهن (ع ٤).

ثالثا: وظيفته كملك (ع ١، ٣، ٥ و٦).

رابعا: حالات اتضاعه وتمجيده (ع ٧).

عدد ١ – ٤

يطلق البعض على هذا المزمور أنه العقيدة الدينية لداود، فأنه يحوي تقريبا موضوعات الإيمان المسيحي. وعنوان المزمور يسميه مزمور لداود. ولأن داود ببصيرته التي امتدت للأمام آمن فقدم الحمد لله، كما شجع نفسه وقام بتعزيتها. وهكذا نفعل نحن عندما نرنم هذا المزمور إلى مَنْ تم به الموعد، والذي سبق التنبؤ عنه هنا. وفي هذا المزمور نجد أشياء مجيدة عن المسيح.

أولا: إنه رب داود. إننا يجب أن نهتم بهذا القول اهتماما خاصا لأن المسيح نفسه يقول في إنجيل متى ٢٢: ٤٣ «يدعوه داود بالروح ربا».

ثانيا: لقد تعين ربا وسيدا بمشورة وأمر الله نفسه. قال له الرب يهوه، اجلس كملك وقد «أخذ من الله الآب كرامة ومجدا» (٢بط ١: ١٧).

ثالثا: إنه يُرفع إلى أعظم كرامة ويمنح سلطانا ملكيا وقوة. «اجلس عن يميني» فالجلوس هنا يعني موضع راحة بعد خدمته وآلامه على الأرض. أُدخل إلى الراحة.. إنه جلوس الملك الذي يجلس ليحكم، ويعطي أحكاما ويصدر دينونته.

رابعا: يضع أعداءه موطئا لقدميه في الوقت المناسب. حتى يسوع المسيح نفسه له أعداء يحاربون ضد مملكته. فيوجد الذين يرفضون أن يكون سيدا عليهم. وبذلك فإنهم يسلمون أنفسهم لإبليس الذي يأبى أن يملك المسيح على الإطلاق. هؤلاء الأعداء يصبحون موطئ قدميه وهذا لن يتم قريبا، وهذا ما يشير إليه بولس الرسول في عبرانيين ٢: ٨ «على أننا

الآن لسنا نرى الكل بعد مخضعا له» وسينتظر المسيح نفسه حتى يتم ذلك.

خامسا: وسيكون للمسيح مملكة على الأرض تبدأ من أورشليم (ع ٢)، وقد قامت مملكة المسيح من صهيون، مدينة داود، لأنه كان ابن داود وقد ورث عرش أبيه داود. المقصود بقضيب عزه كلمة الله الأبدية وقوة الروح القدس، وهذا القضيب القوي الذي أرسله الله هو الروح القدس الذي أهّل المبشرين بالكلمة وفوضهم «فالذي يمنحكم الروح ويعمل قوات» (غل ٣: ٥). من صهيون أعطى الروح القدس. لهذا فالبشارة بالإنجيل لكل الأمم يجب أن تبدأ من أورشليم.

سادسا: وحيث أن مملكته قد أقيمت فيجب أن تبقى وتستمر في العالم بالرغم من مضايقات قوات الظلام. وسيملك الرب في وسط أعدائه. وهو جالس في السماء في وسط أحبائه ويسود على الأرض في وسط أعدائه.

سابعا: ويكون لديه عدد كبير من الرعايا يحملون اسمه ويسبحونه.

(١) لقد أعطاه الآب هذا الشعب «كانوا لك، وأعطيتهم لي» (يو ١٧: ٦)، «الذي بذل نفسه لأجلنا، لكي يفدينا من كل إثم، ويطهر لنفسه شعبا خاصا» (تي ٢: ١٤) أنهم له ومن حقه أن يكونوا شعبه حتى من قبل أن يقبلوه.

(٢) يجب أن يكونوا جماعات راغبة في العمل (منتدبة) خدام يختارون الخدمة بأنفسهم. جنود متطوعون غير مجبرين.

(٣) يجب أن يكونوا هكذا في يوم معركته. (كما في ترجمة أخرى، في يوم محاربة أعدائك يتطوع شعبك) أي عندما ينطلق المبشرون الأوائل منادين بالإنجيل يكونون جيشا للمسيح. فإن كل مَنْ هم جماعاتك سيكونون متطوعين بإرادتهم وهذا هو وقت إقامة مملكتك.

(٤) سيكونون ممنطقين بلباس قدسي (في زينة مقدسة) وسينجذبون للخضوع للمسيح بمنظر جماله، جمال المسيح القدوس. وسيسمح لهم المسيح بالدخول إلى حياة القداسة الجميلة ككهنة روحانيين يخدمون في محرابه المقدس متسربلين في زينة مقدسة. فالقداسة هي اللباس الذي تتحلى به عائلة المسيح التي ستصبح له بيتا أبديا، وهذا لباس جميع جنود المسيح. هذه هي الألوان التي يلبسونها.

(٥) يجب أن يكون لديه عدد كبير من الناس مكرسين له. في الأيام الأولى للبشارة بالإنجيل، وفي بداية العهد الجديد التف عدد كبير من الشباب بالمسيح وآمن جمهور كبير من الشعب به، «وتكون بقية يعقوب في وسط شعوب كثيرين كالندى من عند الرب» (مي ٥: ٧، وأيضا إش ٦٤: ٤، ٨). «لك طل حداثتك»، وهذا تشبيه للعدد الكبير من الشباب المتدفق نحو المسيح والذي يمثل في العالم الطل الذي على الأرض، والذي يجعلها تثمر.

(٦) وهو لا يكون فقط ملكا، بل كاهنا (ع ٤). إن ربنا يسوع المسيح مرسل لنا من الله، وشفيعنا عند الآب؛ لذا فهو الوسيط بيننا وبين الله. وقد قيل عنه إنه «كاهن إلى الأبد» ليس فقط لأننا لا نتوقع أي تدبير آخر للنعمة غير هذا الطريق.. أي كهنوت المسيح، لكن بسبب الثمار المباركة والنتائج التي ستبقى إلى الأبد.

إنه كاهن ليس على رتبة هارون ولكن على رتبة ملكي صادق والذي كان سابقا لهارون، ولذلك كان لاعتبارات كثيرة أفضل وأكثر تفوقا، ويعلن الرسول بولس ذلك في رسالته إلى العبرانيين أصحاح ٧ ويبني على ذلك حديثه عن مركز كهنوت المسيح والذي يشير فيه إلى أنه ليس هناك فكر جديد، ولكنه مبني على هذه الكلمة الأكيدة من النبوة. وكما يفسر العهد الجديد العهد القديم، فإن العهد القديم يثبت الجديد ويسوع المسيح هو الألف والياء للعهدين.

عدد ٥ – ٧

ونجد هنا الفادي العظيم:

أولا: يقهر أعداءه (ع ٥ و٦) إن الرب يسوع سيدمر كل المعارضين لمملكته.

(١) القوي (أدوناي): إن الرب يسوع الذي أُعطي له كل دينونة سيقوم بدوره جيدا ضد أعدائه. والمسيح وهو جالس عن يمين الله سيتكلم بالرعب على أعدائه، كما يتكلم بالسعادة لشعبه.

(٢) الموعد المحدد لهذه النصرة: «في يوم رجزه».. أي الوقت المحدد لها. عندما يكتمل كيل ظلمهم، ويتم نضجهم في الشر للهلاك.

(٣) مدى هذه النصرة: سيحطم ملوكا. إن الشيطان هو رئيس هذا العالم، والموت هو ملك الرعب. ونحن نقرأ عن ملوك يحاربون الحمل، ولكن جميعهم سيهزمون وينكسرون. ويقام نصب انتصارات المسيح «بين الأمم» وفي أقطار كثيرة أينما يتواجد أعداؤه.

(٤) العدالة في هذه النصرة: سيدين الأمم. إنها ليست أحكاما عسكرية صدرت في ساعة غضب، ولكنها أحكاما قضائية عادلة.

(٥) تأثير هذه النصرة: ستكون تدميرا كاملا لأعدائه. وسيسحق رؤوسهم حسب الوعد الأول عن المسيا (تك ٣: ١٥) أنه سيسحق رأس الحية، يملأ الأرض جثثا.. الذين سيهلكهم الرب سيكونون كثيرين.

ثانيا: إن لدينا هنا مخلص. يخلص أحباءه ويعزيهم (ع ٧).

(١) سيكون متواضعا «من النهر يشرب في الطريق» تلك الكأس المرة التي وضعها الآب في يده. لقد شرب المسيح من هذا النهر عندما صار لعنة لأجلنا، وذلك عندما دخل في مرحلة الآلام في وادي قدرون (يو ١٨: ١).

(٢) سيمجد: لذلك سيرفع رأسه. لما مات يسوع نكس رأسه (يو ١٩: ٣٠) ولكنه سريعا رفع رأسه بقوته الذاتية في قيامته.

رفع رأسه غالبا منتصرا. لقد شرب من النهر في الطريق ولذلك فقد رفع رأسه وهكذا رفع رؤوس كل اتباعه المخلصين، الذين إذا ما تألموا معه سيملكون أيضا معه.

المزمور المئة والحادي عشر

يبدو أن هذا المزمور والمزامير التي تليه كتبها داود من أجل خدمة شعب الرب في أعياده. وهو مزمور حمد. وعنوانه «هللويا. أحمد الرب» وهو يوجهنا إلى استخدامه بقلوب مهيأة لحمد الله. وهذا المزمور مرتب ترتيبا أبجديا. وكل جملة فيه تبدأ بحرف من الحروف الأبجدية العبرية وفي نظام دقيق. ويشتمل على جملتين في كل عدد، وثلاث جمل للعددين الأخيرين.

ويحثنا المرنم على أن نسبح الله:

أولا: يقدم نفسه كمثال (ع ١).

ثانيا: يقدم لنا مادة للشكر من أعمال الله.

ثالثا: يوصينا بخوف الله المقدس، وبإطاعة وصاياه باعتبارهما الطريقة المقبولة لتمجيد الله (ع ١٠).

عدد ١ – ٥

لما كان عنوان المزمور هو «هللويا» فإن المرنم يلتزم بها.

أولا: يلزم نفسه بأن يسبح الله (ع ١). يجب أن نسبح الله في السر وفي العلن، في مجموعة صغيرة أو وسط حشد كبير. في وسط عائلاتنا وفي بيت الرب.

ثانيا: وهو يوجهنا نحو أعمال الله باعتبارها. الموضوع المناسب لتأملاتنا حين نحمده وكذلك نحو تدابير عنايته بالعالم وبالكنيسة، وبأشخاص معينين.

(١) إن أعمال الله عظيمة كعظمته. لا يوجد بها شيء تافه أو ضئيل. إنها نتاج حكمته وقدرته اللانهائية.

(٢) وهي تشجع وتدرب الباحثين عن الحق، «مطلوبة لكل المسرورين بها». فكل الذين يبتهجون بأعمال الرب لن يأخذوها بنظرة سطحية وعابرة، ولكنهم سيبحثون فيها بعناية ويلاحظونها. وفي دراسة كل من التاريخ الطبيعي والسياسي نكتشف عظمة ومجد أعمال الله.

(٣) إنها جميعا عادلة ومقدسة، «عدله قائم إلى الأبد».

(٤) إنها جديرة بأن تُذْكر. صالحة لأن تُسجل وتحفظ. كثير من أعمالنا لا قيمة لها حتى أنه من الأحسن أن ننساها ولكن علينا أن نهتم بأعمال الله ونحفظها مدونة (ع ٤) «صنع ذكرا لعجائبه».

(٥) من أعمال الرب نجد أنه حنان ورحيم. «يذكر إلى الأبد عهده». ولذلك فيمكنهم أن يذوقوا محبة عهده حتى في المراحم العادية. والبعض يشير في هذا إلى المن الذي أطعم الله به شعبه في البرية.

عدد ٦- ١٠

مجدا لله:

أولا: من أجل الأعمال العظيمة التي صنعها لشعبه. لشعبه إسرائيل في القديم. «أخبر شعبه بقوة أعماله» (ع ٦).

(١) الميراث الذي أعطاه الله لشعب إسرائيل في أرض كنعان، في أيام يشوع لما خضعت سبع أمم لهم. وفي أيام داود لما أصبحت الأمم المجاورة تابعة له.

(٢) خلاص الله لشعبه عدة مرات حين باعوا أنفسهم ليد أعدائهم (ع ٩) «أرسل فداء لشعبه». هذه المرات من الفداء كانت رمزا للفداء العظيم والذي سيحدث في ملء الزمان بالرب يسوع المسيح.

ثانيا: من أجل ثبات كلمته وأعماله، مما يؤكد لنا أنه سيعمل أعمالا عظيمة.

(١) ما فعله الرب لن يبطل أبدا. فهو لن يبطله بنفسه ولا الإنسان ولا الشيطان «أعمال يديه أمانة وحق كل وصاياه أمينة» (ع ٧)، «مصنوعة بالحق والاستقامة» (ع ٨). من بداية أعماله نثق أنها كاملة وثابتة.

(٢) كلام الله لا يمكن أن يُمحى. كل وصاياه أمينة ومستقيمة، ولذلك فهي ثابتة.

ثالثا: يتمجد الله من أجل قيام الدين وتثبيته بين الناس لأن كل إعلانات الدين تمجد الله. فإذا راجعنا ما أعلنه الله عن نفسه في كلامه وأفعاله سنرى ونعترف بأنه إله عظيم. لأن ما جاء في الدين من أوامر هدفها سعادة الإنسان. إن تبجيل الله وطاعته يجب أن يكونا هما هدفنا كما أنهما واجبنا. إن الإنسان لا يمكن أن يبدأ أن يكون حكيما حتى يبدأ في مخافة الله. إن الحكمة الحقيقية تنبع من التدين الحقيقي. وهي مؤسسة عليه. «فطنة جيدة» لكل مَنْ يتبع وصاياه. وحيث تسود مخافة الله على القلوب نجد اهتماما دائما بضمير صالح لحفظ وصاياه ليس فقط بالكلام ولكن بالعمل. وبهذا يكون لهم الفهم الصحيح. إن طاعتهم علامة واضحة على فكرهم أنهم يخشون الله حقا. عندنا أسباب لنسبح الله، نسبحه إلى الأبد. لأنه أعطى الإنسان طريقا مفتوحا للسعادة.

المزمور المئة والثاني عشر

هذا المزمور مرتب ترتيبا أبجديا كالمزمور السابق له، ومعنون كسابقه بكلمة «هللويا». وهو يتحدث عن سعادة القديسين لأنها تضيف إلى أسباب تمجيد الله. وفيه تعليق على العدد الأخير من المزمور السابق ويرينا كم تكون حكمتنا عندما نخاف الرب ونعمل بوصاياه.

أولا: صفات مَنْ يتقون الله (ع ١).

ثانيا: بركة الصديقين.

ثالثا: شقاوة الأشرار (ع ١٠) وبهذا يعرض أمامنا الخير والشر، البركة واللعنة.

عدد ١- ٥

يبدأ كاتب المزمور هنا بدعوتنا إلى تسبيح الله. ثم ينتقل في الحال لمدح شعب الرب. إن لدينا الأسباب التي تجعلنا نشكر الله، أنه يوجد شعب في العالم يخشى الله ويخدمه. وأنه شعب سعيد بنعمة الله.

أولا: نجد هنا وصفا لمن يدعون مباركين والذين خصهم الله بهذه المواعيد:

(١) عندهم مبادئ صالحة، وخاضعون لله، يقفون بخشوع أمام الله، باحترام دائم لجلاله، وخضوع لمشيئته. إن مَنْ يخشى الله باعتباره أبا ويتصرف كابن وليس كعبد يُسر جدا بوصاياه. وهذه الوصايا منقوشة في قلبه ويعتبرها حملا طيبا سهلا. وهو يُسر ليس فقط بمواعيد الله بل بوصاياه أيضا.

(٢) هم أمناء ومخلصون في أعمالهم وفي نواياهم (ع ٢، ٤). يُدعون مستقيمين. وهم في الحقيقة طيبون كما يبدون ويتعاملون بأمانة مع الله والناس، حيث لا توجد تقوى حقيقية بدون إخلاص، وهذا كمال الإنجيل.

(٣) في كل معاملاتهم يتصفون بالعدل والرحمة. ونرى مثال ذلك في آية ٥ «سعيد هو الرجل الذي يترأف ويقرض» في بعض الأحيان نجد أن الإقراض لا يقل إحسانا عن العطاء، حيث أنه يجبر المقترض على الكد والأمانة.

ثانيا: نتيجة لذلك نرى البركات التي تحل على هؤلاء الذين لهم هذه الصفات: سعادة وكل السعادة «للرجل المتقي الرب».

(١) إن ذرية الصالحين ستصير إلى الأحسن من أجل صلاحهم (ع ٢) «نسله يكون قويا في الأرض». إن التدين كان عاملا في دفع عائلات كثيرة إلى أعلى. إن لم يكن إلى أعلى فقد جعلها تقف بثبات. عندما يكون الأبرار أنفسهم سعداء في السماء فإن أولادهم غالبا ما يكونون مكرمين على الأرض، ويعترفون أن ذلك نتيجة تأثير بركات آتية إليهم من فوق «جيل المستقيمين يبارك» إذا وطئوا الأرض بخطواتهم سيكونون أكثر بركة لصلتهم بهم.

(٢) سينجحون في العالم كما ينجحون روحيا (ع ٣). سيكونون مباركين ببركات زمنية كافية لهم، ولكن ما هو أحسن أنهم سيباركون روحيا وهذا هو الغنى الحقيقي. النعمة أفضل من الذهب لأنها الباقية. سيكون له ثروة وغنى وفي نفس الوقت يتمسك بعلاقته بالله. عندما تستمر هذه الصفات في العائلة، وفي مَنْ يرثونها فستكون تلك العائلة، عائلة سعيدة حقا.

(٣) سيكون لديهم عزاء في أحزانهم (ع ٤) «نور أشرق في الظلمة للمستقيمين». سيكون لهم نصيبهم من المصائب البشرية ولكن «إذا جلست في الظلمة، فالرب نور لي» (مي ٧: ٨).

(٤) سيكون لديهم الحكمة في إدارة شئونهم (ع ٥). إنه جزء من شخصية الرجل الصالح أنه يستخدم بصيرته في إدارة شئونه.. في الجمع والتوفير حتى يكون لديه ما يُعطي منه.

عدد ٦ – ١٠

أولا: قناعة القديسين وثباتهم. إن سعادة الرجل الصالح «أنه لا يتزعزع» (ع ٦).

(١) إن الرجل الصالح له سمعة معروفة. مع الله ومع الناس الأفاضل. «الصديق يكون لذكر أبدي» (ع ٦) هناك مَنْ يريدون أن يلطخوا سمعته بكل وسيلة ويغرقونه بالتأنيب، ولكن نزاهته واستقامته ستبقيه حيا ثابتا. بعض الأشخاص المعروف عنهم التقوى والصلاح يكون لهم «ذكر» على الأرض أما ذكرهم في السماء فيدوم إلى الأبد، والمنسيون والمحتقرون على الأرض يُذكرون ويُكرمون هناك، برُهم يوجد للمدح والكرامة والمجد (١بط ١: ٧). هذا ما سيعود بالكرامة على الصالحين في جودهم وسخائهم للفقراء «فرّق أعطى المساكين». لم يشأ أن يوزع صدقته في مجال واحد، أو يوجهها نحو أشياء معينة يتعاطف معها ولكنه فرقها عشوائيا.

(٢) إن الصدِّيق له قلب ثابت «لا يخشى من خبر سوء... قلبه مُمكَّن» (ع ٧ و٨). الصديقون يسعون لكي يحفظوا أفكارهم مثبتة على الله، وبذلك يحفظونها دائما في سلام، وقد وعد الله أن يعطيهم سببا ليفعلوا هذا، ونعمة ليعملوا ذلك. إن ثبات القلب هو أعظم علاج ضد الخوف والقلق من الأنباء السيئة. إن الاتكال على الله هو أحسن وأضمن طريقة لثبات القلب. «لا يخاف حتى يرى بمضايقيه». أي أنه حينما ينطلق إلى السماء سيرى إبليس وكل أجناده الروحية مدوسة تحت قدميه فإنه «سيرى بمضايقيه». سينظر بشجاعة إلى وجوههم. حيث لم يعد بعد تحت سيطرتهم.

ثانيا: غضب الأشرار (ع ١٠): الشيء الذي سيثير اضطرابهم هو سعادة الإنسان التقي. سيغتاظون عندما يرون أولئك الذين يكرهونهم ويحتقرونهم، والذين تمنوا أن يروا هلاكهم وهم أحياء يتمتعون بنعم السماء، بل «ويسودهم المستقيمون» (مزمور ٤٩: ١٤).

المزمور المئة والثالث عشر

يبدأ هذا المزمور وينتهي بكلمة «هللويا» وهدفه – كغيره من مزامير كثيرة – نشر تسبيح الله.

أولا: نحن مدعوون أن نسبح الله (ع ١ – ٣).

ثانيا: وقد زُودنا بالمادة التي نسبح بها الله. الإعلاء من مجده وعظمته (ع ٤ و٥). ومدى وصول رحمته وصلاحه إلى المتضعين (ع ٦ – ٩).

عدد ١ – ٩

أولا: المجد لله:

(١) إنها دعوة مُلحة: «سبحوا اسم الرب» عبارة تتكرر عدة مرات، سبحوه، «ليكن اسم الرب مباركا»، إذ يلزم تسبيحه (ع ١ – ٣).

(٢) إنها دعوة عامة: إن شعب الله يسبحه.

ولديهم الأسباب الكثيرة لذلك. إن الملائكة هم خدام الرب. إنهم يسبحون الله ويمجدونه أفضل مما نفعل نحن. ليكن اسم الرب مباركا في كل العصور. «ليكن اسم الرب مباركا من الآن وإلى الأبد. من مشرق الشمس إلى مغربها». أي في كل المسكونة. يجب أن تسبحه كل الأمم في كل مكان من الشرق إلى الغرب حيث تتجلى المظاهر التي تبرهن على حكمته وحكمة عمله وقوته، وصلاحه.

ثانيا: نجد هنا توجيها لما يجب أن نمجده لأجله. لننظر إلى أعلى بعين الإيمان ونرى كم هو عال مجده في السماء. ونذكر هذا لنمجده. (ع ٤ و٥).

وضع كل الأمم معا ولكنه يعلو عليهم جميعا. إنهم أمامه «كنقطة من دلو. وكغبار الميزان تحسب» (إش ٤٠: ١٥، ١٧). إن عرش مجده في السماوات العليا «فوق السماوات مجده» أي فوق الملائكة. أعلى من طبيعتهم، وأعلى مما يفعلون، لأنهم تحت إمرته. وأعظم مما يمكن أن يقولوه عنه. إنه الإله «الساكن في الأعالي الناظر الأسافل في السماوات وفي الأرض». إن الله يجلس في الأعالي وينظر الأسافل، كلا الأمرين عمله وفعله. إن صلاح الله ونعمته يظهران في درايته بما سيفعله بالعالم السفلي.

إن مجده فوق كل الأمم وفوق السماوات. والله لا ينسى أيا منهما «هوذا الله عزيز، ولكنه لا يرذل أحدا» (أي ٣٦: ٥) ينظر إلى أسفل على كل خلائقه. وعلى اعتبار كماله اللانهائي، وكفايته، ولاهوته المبارك، فيجب أن يعرف هذا كعمل من أعمال التواضع الإلهي أن الله يُسر بأن يأخذ في دائرة اهتمامات مقاصده وفي أيدي عنايته الإلهية كلا من جند السماء وسكان الأرض (دا ٤: ٣٥) وحتى وهو في سيادته فإنه يتواضع. وإذا كان مِن نعم تواضع الله أن يهتم بأمور السماء والأرض. فما أعظم وأعجب تواضع ابن الله، أن ينزل من السماء إلى الأرض، ويأخذ طبيعتنا حتى يتمكن من أن يطلب ويخلص ما قد هلك. وهو لا ينظر فقط إلى الأشياء العظيمة في العالم بل إلى أدناها. ويصنع لهم عجائب بخلاف سبل عنايته العادية ومجموعة الأسباب التي تُظهر أن العالم يُحكم لا عن طريق مسارات الطبيعة، لأن ذلك يحدث دائما بشكل معتاد، لكنه محكوم بواسطة إله الطبيعة. الذي يُسر أن يفعل أشياء لم نكن نتوقعها (ع ٧ و٨) «المقيم المسكين من التراب... ليجلسه مع أشراف، مع أشراف شعبه». فقد أخذ جدعون من عمله في الحقل، وشاول من البحث عن الأتن، وداود من حراسة الغنم. وأرسل التلاميذ من صيد الأسماك لكي يكونوا صيادي الناس. إن كنوز الإنجيل وضعت في أوان خزفية، واختير ضعفاء وجهال العالم ليبشروا بها، وليخزوا الحكماء والأقوياء (١كو ١: ٢٧ و٢٨)، حتى تكون القوة آتية من عند الله. عندما قابل يوسف الصديق امتحانا لعفته وأُظهرت براءته رُفع من تراب السجن وأُجلس مع الأمراء. وأولئك العاقرات لمدد طويلة أصبحن فجأة أمهات. وإذا رجعنا إلى سارة ورفقة وراحيل، وحنة، ووالدة شمشون، وتقدمنا بعد ذلك إلى أليصابات وأمثال هؤلاء كثيرات اللائي نظر الله إلى اتضاعهن ونزع عارهن. «المسكن العاقر في بيت».

المزمور المئة والرابع عشر

كان خروج بني إسرائيل من مصر ميلادا لشعب الله، وفي هذا المزمور نجد الاحتفال بهذه المناسبة بكل أنواع الحمد. ومنها نشأت ترنيمة الحمد الكبرى «هللويا» والتي غنى بها اليهود في نهاية عشاء عيد الفصح. الأمر الذي لا يجب أن يُنسى على الإطلاق.

أولا: لقد تحرروا من العبودية (ع ١).

ثانيا: إن الله أقام هيكله (خيمة الاجتماع) بينهم (ع ٢).

ثالثا: أن البحر ونهر الأردن انشقا أمامهم (ع ٣، ٥).

رابعا: أن الأرض تزعزعت عند إعطاء الناموس، عندما نزل الله إلى جبل سيناء (ع ٤، ٦ و٧).

خامسا: أن الله أخرج لهم ماء من الصخر (ع ٨).

عدد ١ – ٨

يتذكر كاتب المزمور هنا أيام القدم. والعجائب التي رواها لهم آباؤهم (قض ٦: ١٣) وكما أن الزمن لا يمحو الإحساس بالذنب فلا يجب أن يمحو الإحساس بالرحمة.

أولا: أخرج الله إسرائيل من بيت العبودية بيد قوية

وذراع ممدودة. خرج «إسرائيل من مصر» (ع ١)، لم يخرجوا خلسة، ولكنهم خرجوا بكل علامات المجد والكرامة.

ثانيا: إن الله نفسه هو الذي صاغ لهم ناموسهم المدني والديني (ع ٢) «كان يهوذا مقدسه، وإسرائيل محل سلطانه». عندما خلصهم الرب من يد معذبيهم، لكي يعبدوه ويمارسوا واجباتهم الدينية في طاعة للناموس الأدبي. قد أقام الله مسكنه وسطهم وكان يظهر فيه علامات حضوره معهم، ووعد بقبول طاعتهم وتقدماتهم. وكان الله نفسه هو الذي أعطاهم الناموس، وكان هو القاضي لهم. وكانت حكومتهم ملكية ملكها الله نفسه.

ثالثا: لقد انشق البحر الأحمر أمامهم عند خروجهم من مصر. وكان ذلك لتشجيعهم ولإبادة أعدائهم. وتم ذلك أيضا لنهر الأردن عند دخولهم كنعان (ع ٣)، ويتساءل كاتب المزمور في ملحمة شعرية (ع ٥) «ما لك أيها البحر قد هربت؟» ثم يقدم البحر الإجابة فيقول (ع ٧): كان ذلك «قدام الرب». وهو يقصد أن يقول لقد تم ذلك ليس بسبب عوامل طبيعية ولكنه حدث من «قدام الرب» الذي أعطى الكلمة. لقد تعلم إسرائيل كيف ينتصر على البحر وعلى الأردن. ليس هناك بحر، ولا أردن مهما كان عميقا أو واسعا يقف أمام الله. عندما يحين الوقت الذي يعينه لفداء شعبه لابد أن ينشق الماء ويرجع إلى الوراء إذا وقف في طريقهم. فلنطبق هذا على..

(١) عند بدء الكنيسة المسيحية في العالم. لماذا ارتعد الشيطان وكل قوات الظلام؟ (مر ١ : ٣٤). لماذا أُسكت المنجمون الوثنيون وقُضي عليهم؟ ولماذا سُحقت عبادة الأوثان والسحر أمام بشارة الإنجيل؟ ولماذا استسلم المضطهدون والمقاومون للإنجيل وسقطت حججهم وطلبوا من الجبال والآكام أن تغطيهم. يحدث كل ذلك «قدام الرب» وهي القوة التي صاحبت الإنجيل.

(٢) في عمل النعمة في القلب. ما الذي يحول التيار الهادئ إلى قوة دافعة؟ ولماذا تتراجع الشهوة والفساد، وتزول التحيزات ويصبح الإنسان كله جديدا؟ لأنه في حضرة روح الله تنهدم الظنون (٢كو ١٠ : ٥).

رابعا: لقد تزلزلت الأرض وارتعدت حين نزل الله على جبل سيناء ليقدم الناموس (ع ٤) «الجبال قفزت مثل الكباش»، ويُلتمس للآكام العذر إذا قفزت مثل الحملان سواء كانت خائفة أو كانت تلعب.

خامسا: أمدهم الله بالمياه من الصخر. والتي سارت معهم طوال وجودهم في البرية الرملية القاحلة كما أن نفس القوة القاهرة حولت المياه إلى صخر ليكون سورا لإسرائيل (خر ١٤ : ٢٢). وهكذا كان الله يعتني بهم بطريقة معجزية. مثل وقوف الماء كحائط وتحول الصخر القاسي إلى نافورة ماء والصخرة الروحية التي تابعتهم كانت المسيح (١كو ١٠ : ٤).

المزمور المئة والخامس عشر

كثيرا من الترجمات القديمة للكتاب المقدس تربط بين هذا المزمور والمزمور الذي يسبقه، مثل الترجمة السبعينية والفولجاتا اللاتينية، لكنه في الأصل العبري مزمور مميز. ومنه نتعلم أن نعطي المجد لله.

أولا: نعطي المجد لله وليس لأنفسنا (ع ١).

ثانيا: نعطي المجد لله وليس للأصنام (ع ٢ – ٨).

يجب أن نعطي المجد لله:

(١) بالثقة به وبمواعيده وبركاته (ع ٩ – ١٥).

(٢) بالتسبيح له (ع ١٦ – ١٨).

عدد ١ – ٨

أولا: إن التفاخر هنا مستبعد تماما (ع ١). لا يجب أن نذكر فضائلنا سواء في صلواتنا أو ترنيماتنا ولكن لتتركز جميعها على تمجيد الله. إن كل الأعمال الصالحة التي نقوم بها إنما هي نتيجة لقوة نعمته. وكل الصلاح الذي لدينا إنما هو عطية رحمته الواسعة. لذلك يجب أن نقدم له كل الحمد. ويجب أن تشمل كل ترنيماتنا هذه النغمة المتواضعة «ليس لنا يا رب»، ومرة ثانية «ليس لنا يا رب لكن لاسمك أعط مجدا». ويجب أن يكون هذا أقصى غاية لصلواتنا. ولذلك فهي أول التماس في الصلاة الربانية وفيها تأتي باقي الطلبات فهي تبدأ «ليتقدس اسمك» ثم «خبزنا كفافنا...»

ثانيا: إسكات تعيير الأمم لشعب الله إلى الأبد.

(١) يشكو كاتب المزامير من تعيير الأمم لهم (ع ٢) «لماذا يقول الأمم: أين هو إلههم؟» ألا يعلمون أن إلهنا موجود في كل مكان وهو دائما قريب منا كوعده ونعمته؟

(٢) ويجيب داود إجابة مباشرة على تساؤلهم (ع ٣) هل يسألوننا «أين هو إلههم؟» «إن إلهنا في السماء» المكان الذي لم تصل إليه آلهة الأمم «في السماء».

ولذلك فهو بعيد عن نظر الإنسان، ومع أن مجده لا يمكن الاقتراب منه فلا يعني ذلك أنه لا يمكن السؤال عن وجوده. في العالم السفلي توجد صنائع قوته. هل تسألون أين هو؟ إنه البداية والنهاية لكل شيء. «عن كل واحد منا ليس بعيدا».

(٣) وداود يعيد عليهم نفس السؤال، عن واقع آلهتهم، ما هي آلهة الأمم؟ وهو يظهر أن آلهتهم مع أنها ليست عديمة الشكل إلا أنها لا حس لها.

إن الوثنيين عبدوا أولا الشمس والقمر (أي ٣١: ٢٦) وكان هذا أمرا رديئا سيئا، ولكنه ليس بالسوء الذي وصلوا إليه عند عبادة الأصنام (ع ٤) والتي صنعوها من الفضة والذهب، وقد أخذت من باطن الأرض من المناجم وهي أشياء تصلح للاتجار بها ولكن ليس لعبادتها وعمل آلهة منها.

لقد صنعها صانع ماهر، إنها أشكال من خيالات الإنسان، ومصنوعة بأيدي الناس. ولذلك فليس فيها أي ألوهية. «صنعه الصانع وليس هو إلها» (هو ٨: ٦). وتمثل هذه الأصنام هنا أكثر الأشياء مدعاة للسخرية إنها تصلح أن توضع في محل لعب أطفال، وليس في معبد، وذلك ليلعب الأطفال بها لا أن يُصلي لها الناس. إن الرسامين والنحاتين، والمثالين قاموا بعملهم خير قيام، لقد صنعوها بأفواه، وأعين، وأذن، وأنوف، وأيدي، وأقدام ولكن لم يقدروا أن يضعوا فيها حياة، فهي إذن لا حس لها. كان الأفضل لهم أن يعبدوا جثة ميتة (كان بها حياة وقتا ما) عن تمثال ميت، لم تكن فيه حياة يوما ما ولن تكون. إنها «لا تتكلم» في استجابة لمن يسألونها، إن الكاهن المحتال هو الذي يتكلم عنها. بالنسبة لتمثال «البعل» فلم يكن هناك أي استجابة منه. وبالتالي لم يجبهم أحد. لأنه لا يمكن لهذه الآلهة أن ترى مَنْ يسجد لها، وبالتالي فلن تعرف متاعبهم واحتياجاتهم، فلا يمكنهم سماع صلواتهم حتى ولو كانت بصوت عال. كما أنها لا تشتم البخور المقدم لها مهما كان رائحته قوية ومنعشة. ولا يمكن أن تحس بالهدايا المقدمة لها كما أنها ليس لديها أي هدايا لتقديمها لمن يصلون لها.

لا يمكن أن تمد يدها بالمساعدة للمحتاجين. لا يمكنها المشي، ولا يمكنها تقديم العزاء والمشاركة لمن يطلبون منها ذلك. وفي الحقيقة ليس لديها أي قوة لإخراج أصوات من حناجرهم. ليس لديها أي علامة أو إشارة بالحياة. ولكل هذا فقد استنتج غباوة عابدي الأصنام (ع ٨). مثلها يكون صانعوها أما العقلاء فلا يشكون في ذلك. ولكن الذين يصنعونها آلهة، يُظهرون غباوتهم وجهلهم، إنهم لا يتمكنون من رؤية الأشياء غير المنظورة عن الله الحي الحقيقي في أعمال الخليقة. إنهم لا يستطيعون سماع صوت النهار والليل والتي تحدث بمجد الله بكل كلام ولغة (مز ١٩: ٢ و٣). إنهم بعبادتهم لتلك العرائس الغبية، يصبحون مثلها أكثر غباء، ويضعون أنفسهم على مسافة كبيرة من كل ما هو روحي مغرقين أنفسهم في حمأة الشهوة.

عدد ٩ – ١٨

أولا: إن جميعنا مدعوون بحرارة أن نضع ثقتنا في الله ولا نسمح أن تهتز ثقتنا به عن طريق استفزاز الأمم لنا بسبب المحن التي نواجهها في الوقت الحالي. إن من الحماقة أن نثق في دُمى ميتة. ولكنه من الحكمة أن نثق في الله الحي لأنه هو عون ومجن للمتكلين عليه. ولذلك فليتكل إسرائيل على الرب كشعب في كل احتياجاته وليتكل كل إسرائيلي على الله في كل خصوصياته. ليتكل على الرب كل الكهنة، كل خدام الرب، وكل بيت هارون (ع ١٠). يجب أن يكونوا أمثلة للآخرين في الثقة الأكيدة في الله في أصعب الأوقات. وحتى الداخلون لليهودية الذين ليسوا من سلالة يهودية لكنهم يخشون الله، يعبدونه ويقررون القيام بواجبهم نحوه، دعهم يتكلون عليه لأنه لن يتخلى عنهم (ع ١١).

ثانيا: إننا نجد تشجيعا قويا أن نتكل على الرب، إن «الرب قد ذكرنا» وحيث أن كل التعزيات والبركات

التي لنا إنما هي من فكر الله نحونا وتذكره لنا مع أننا نسيناه، علينا إذن أن ندرك ما صنعه الله لنا. هو يباركنا لأنه ترس ومجن لنا، ولنا ملء الثقة أنه هو الذي خلص، ويخلص، وسيخلص أيضا. إنه سيباركنا لأنه وعد بذلك. إن هذه البركات ليست كلمات فقط، ولكنه يعمل الصالح لنا، وحقا إنه «يبارك متقي الرب» (ع ١٣)، ولو لم يكونوا من بيت إسرائيل أو بيت هارون فهذه حقيقة حتى قبل أن يدركها بطرس «في كل أمة الذي يتقيه ويصنع البر مقبول عنده» (أع ١٠: ٣٤ و٣٥). يبارك الله كل من الضعيف والقوي، الحملان والخراف من رعيته. وحسب الوعد «ليزد الرب عليكم» (ع ١٤). وهذه الزيادة تكون في البركات الروحية بشكل خاص مع باقي بركات الله. سيباركهم بمزيد من المعرفة والحكمة والنعمة والقداسة والفرح «ليزد الرب عليكم». حتى طول حياتكم سيزيدكم الرب حتى تصلوا إلى الكمال. مثل «نور مشرق» (أم ٤: ١٨) «عليكم وعلى أبنائكم» لأنه في آية ١٥ «أنتم مباركون للرب» أنتم وأبناؤكم، لأن كل مَنْ يرونهم يعرفون أنهم نسل باركه الرب (إش ٦١: ٩).

ثالثا: نحس بالدافع أن نبارك الله عندما نرى القدوة في المرنم والذي يختتم مزموره بعزمه على المثابرة في تمجيده. إن علينا أن نبارك الله. انظر كيف ثبَّت سماه، والعرش الذي أعده في السماوات (ع ١٦) «السماوات سماوات للرب. أما الأرض فأعطاها لبني آدم». والذي هيأها عندما صنعها، لفائدة الإنسان، ليمده بالطعام والشراب والمسكن. يقول داود في آية ١٧: إن الأموات لا يستطيعون أن يسبحوا الرب، «ولا مَنْ ينحدر إلى أرض السكوت». إن الروح تعيش فعلا في حالة انفصال عن الجسد لكنها قادرة أن تسبح الله. إن أرواح الأتقياء بعد أن تخلصت من أحمال الجسد تسبح الله فعلا، ولا تزال تسبحه. لأنها تصعد إلى مدينة النور والعمل المتوصل. لذا فعلينا أن نبارك الله (ع ١٨). إننا نحن الأحياء علينا أن «نبارك الرب من الآن وإلى الدهر».

المزمور المئة والسادس عشر

هذا مزمور للشكر وفيه نجد:

أولا: الضيق الشديد والخطر الذي كان يحيط بكاتب المزمور والذي أوصله إلى حالة من اليأس (ع ٣، ١٠ و١١).

ثانيا: الدعوة التي تقدم بها إلى الله في ضيقته (ع ٤).

ثالثا: اختباره لصلاح الله له في الاستجابة لصلاته. فقد استمع الله لصلاته (ع ١ و٢)، وتحنن عليه (ع ٥ و٦)، وخلصه (ع ٨).

رابعا: إهتمامه بالاعتراف الواجب عليه إزاء صلاح الله (ع ١٢).

(١) أن يحب الله (ع ١).

(٢) أن يستمر في الصلاة (ع ٢، ١٣، ١٧).

(٣) أن يجد راحته فيه (ع ٧).

(٤) أن يسير قدامه (ع ٩).

(٥) أن يوفي نذوره معلنا رعاية الله الرحيمة له (ع ١٣ - ١٥، ١٧ - ١٩).

أخيرا سيستمر الخادم الأمين لله حتى آخر حياته (ع ١٦). هذه نسمات نفس مقدسة تظهر كم هي سعيدة.

عدد ١ - ٩

أولا: يبدأ المزمور ببيان عام عن اختبار داود وقراراته التقوية (ع ١ و٢) والتي تماثل محتويات المزمور كله، وتعطي فكرة عنه. لقد اختبر صلاح الله له في الاستجابة لصلاته. «أمال أذنه إليَّ». ما أعجب رحمة الله وإحسانه إذ يستجيب للصلاة. إنه يميل أذنه. يبدأ داود المزمور بشكل فجائي باعتراف يملأ قلبه «أحببت» كما جاء في مزمور ١٨: ١. وهي بداية مناسبة للمزمور تطبيقا لأكبر وأعظم الوصايا. لذلك «أدعوه مدة حياتي». لماذا نحاول أن نلتقط من أي حقل آخر مادمنا نعامل حسنا في هذا الحقل؟ حقا سأدعوه مدة حياتي (وفي الأصل العبري: في أيامي).. كل يوم حتى آخر يوم.

ثانيا: نرى هنا حديثا خاصا عن معاملات الله الكريمة مع داود. دعنا نراجع اختيارات داود. كان في محنة كبرى وضيق (ع ٣) «اكتنفتني حبال

الموت». مثل هذه الأحوال ربما كانت تصل به إلى الموت. ربما كانت أوجاعا جسدية شديدة أو اضطرابا في الفكر. تسمى هنا «شدائد الهاوية». في شدته هذه التجأ إلى الله في صلاة حارة مخلصة. ويقول لنا إنه صلى إلى الله قائلا «باسم الرب دعوت». ويقول لنا إن صلاته كانت قصيرة. لكنها مناسبة «آه يا رب، نج نفسي». نجني من الموت، ونجني من الخطية، لأنها تقتل النفس. وقد وجد داود بالاختبار أن الله حنان ورحيم. وفي رحمته يحفظ «البسطاء» (ع ٦). ولأنهم بسطاء (مخلصون، وأمناء غير ماكرين) ولذلك فإن الله يحافظ عليهم. كما حفظ بولس الذي كان سلوكه في العالم، «في بساطة وإخلاص الله، لا في حكمة جسدية» (٢كو ١: ١٢). ولندع داود يتكلم عن تجربته الشخصية: كنت في عوز شديد. غارقا في بؤس عميق «فخلصني» الرب أعانني أن أتحمل أصعب الأشياء وأتطلع نحو الأحسن. ساعدني أن أصلي، أعانني على الانتظار، عندما فشل إيماني بأي شيء آخر. كنت واحدا من البسطاء الذين حفظهم الله. «هذا المسكين صرخ، والرب استمعه» (مز ٣٤: ٦). إن الله برحمته أنقذه.

(١) أنقذ نفسه من الموت. إنه من مراحم الرب العظيمة لنا أننا مازلنا أحياء. وتظهر رحمة الرب جلية إذا كنا على حافة الموت ثم رفعنا وانتشلنا. إن مَنْ يعترفون بخلاص النفس من الموت الروحي هم الذين تقدسوا الآن وسينالون المجد قريبا.

(٢) أنقذ عينه «من الدمعة»، أي أنقذ قلبه من حزن مفرط.

(٣) أنقذ رجليه «من الزلق» بمعنى خلصه من الوقوع في الخطية وبالتالي من الشقاء. كل هذا صنعه الله له. ولذلك سيحيا حياة سرور وبهجة في الله (ع ٧) «ارجعي يا نفسي إلى راحتك». إن الله قد أحسن إليك ولذلك فلا تخافي أبدا من أن يعاملك بقسوة. إن الله هو راحة النفس، عنده فقط يمكن أن تسكن في راحة. ويجب أن ترجع إليه وتفرح فيه، وترجع إلى تلك الراحة التي يهبها المسيح للمتعبين والثقيلي الأحمال (مت ١١: ٢٨). سيعيش داود حياة مُكرسة لله: (ع ٩) «أسلك قدام الرب في أرض الأحياء» أي في هذا العالم طالما أعيش فيه. إن «أرض الأحياء» هي أرض الرحمة، والتي يجب أن نشكر الله عليها. إنها الأرض التي تعطينا الفرصة التي يجب أن نستفيد منها.

عدد ١٠ - ١٩

الترجمة السبعينية للتوراة، وغيرها من الترجمات القديمة تجعل من هذه الأعداد مزمورا مستقلا بذاته والبعض كانوا يسمونه مزمور الشهيد، وذلك بسبب ما جاء في آية ١٥. ويعترف داود هنا بثلاثة أشياء:

أولا: إيمانه (ع ١٠) «آمنت لذلك تكلمت». وقد اقتبس الرسول بولس ذلك في ٢كورنثوس ٤: ١٣ وطبقه على نفسه وعلى زملائه من خدام الله الذين بالرغم من معاناتهم من أجل المسيح لم يخجلوا أن يعترفوا به. لقد آمن داود بوجود الله وعنايته ووعده. وبالأخص بالتأكيد الذي أعطاه له الله بواسطة صموئيل، بأنه سيغير عصاه بصولجان الملك، وقد مر بمعاناة كبيرة بسبب إيمانه بهذا، ولذلك تكلم. تكلم مع الله بالصلاة (ع ٤) وبالشكر (ع ١٢).

ثانيا: الخوف الذي ألمّ به (ع ١٠ و١١): «أنا تذللت جدا». ثم «قلت في حيرتي» وفي يأسي، أو في هروبي، كما يقول البعض، عندما كان شاول يتعقبه، «كل إنسان كاذب»، وكل مَنْ كان يتعامل معه. شاول وأتباعه، حتى أصدقاؤه الذين كان يظن أنهم يقفون معه، تخلوا عنه، وأنكروه عندما تعرض لاضطهاد شاول.

ثالثا: اعترف داود بالجميل (ع ١٢ وما بعده) كان الله بالنسبة لداود ملجأ من مخاوفه؛ فقد أنقذه من كل مخاوفه «ماذا أرد للرب من أجل كل حسناته لي؟». هنا يتكلم داود مدركا جميع المراحم التي تسلمها من الله «كل حسناته». ولم يفكر أن يقدم شيئا يتناسب مع ما أخذه. ولكنه يود أن يقدم شيئا مناسبا ومقبولا تعبيرا عن شكره لله. فهو ينوي بكل الاحترام والتكريس أن يرفع شكره وتسبيحه لله (ع ١٣، ١٧) «كأس الخلاص أتناول». وتعبيرا عن شكره لله يقدم ذبيحة الشكر كما هو متبع في الناموس، ويرفع الشكر لله ويفرح مع أصدقائه من أجل إحسان الله له. ويسمى ذلك «كأس الخلاص» الذي يُشرب في

ذكرى خلاص الشعب. ويقول داود إن الله وقد مَنَّ عليه بخيرات كثيرة فمهما كانت الكأس التي سيعطيها لي يجب أن آخذها ولا أرفضها وأقبل إرادته المقدسة. وهنا يتكلم داود بلغة المسيح ابن داود في يوحنا ١٨: ١١ «الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها؟». إنه يجب أن نعطي أولا نفوسنا إلى الله كذبيحة حية (رو ١٢: ١؛ ٢كو ٨: ٥) ثم نقدم ما لدينا من تقوى وأعمال حسنة لمجد الله. لماذا نقدم هذه الأشياء والتي لا تكلفنا شيئا لله؟ إن داود يعرف دائما أفكار الله، إنه دائما حنون يرق لشعبه عندما يتألم ويعزيه (ع ١٥) «عزيز في عيني الرب موت أتقيائه». إن الإنسان ثمين جدا في عيني الله لدرجة أنه لن يُرضي أعداء داود بموته. بهذه الحقيقة كان داود يعزي نفسه وهو في عمق حزنه ووسط الأخطار المحيطة به. لقد عزى نفسه بهذه الحقيقة وسط حزنه وضيقه، وقد أيدت الأحداث ذلك وهو يعزي الآخرين بهذه الحقيقة «ماذا أرد...؟». هنا يقدم داود نفسه وهي أثمن من كل المحرقات والتقدمات. «آه يا رب لأني عبدك» (ع ١٦). لقد اخترت وعزمت على أن أكون كذلك، وسأعيش وأموت في خدمتك وقد دعا داود شعب الله الذين يحبهم «أتقيائه». ولكن عندما يطبق ذلك على نفسه لا يقول حقا أنا أحد أتقيائك، بل يقول «أنا عبدك». كان داود ملكا ومع ذلك فهو يفتخر بهذا أنه عبد الله. هناك طريقان للناس لكي يصبحوا عبيدا:

(١) بالميلاد: يا رب إني ولدت في بيتك، «أنا... ابن أمتك» ولذلك فأنا ملك لك. إنها نعمة كبرى أن نكون أولاد والدين أتقياء، إذ نلتزم بواجبنا نحو الله ونرجو رحمته.

(٢) بالفداء: إن الشخص الذي يفتدي أسيرا يكون له الحق أن يتخذه عبدا له. يقول داود «حللت قيودي» ولهذا أنا عبد لك، وبالتالي فأنا موضوع حمايتك كما أني ملتزم بأن أعمل عملك، فهذه القيود التي حللتها ستجعلني أرتبط أكثر بك. لقد عزم داود أن يوفي نذوره للرب وأن يصنع الخير الذي وعد به. إن النذور هي ديون يجب أن تُدفع. لأنه من الأفضل ألا ننذر عن أن ننذر ولا نوفي. إن داود سيوفي نذوره في ديار بيت الرب في وسط أورشليم حتى يصبح تكريسه معروفا عند الجميع.

المزمور المئة والسابع عشر

هذا المزمور حلو وقصير. إني أشك في سبب ترنمنا به كثيرا، هل نفعل ذلك بسبب قصره. ولكن إذا فهمناه جيدا، فسنترنم به كثيرا لحلاوته.

وهنا نجد:

أولا: دعوة جادة لكل الأمم لكي تسبح الله (ع ١).

ثانيا: مادة ملائمة للتسبيح (ع ٢).

عدد ١ و٢

في هذا المزمور نجد قدرا كبيرا من البشارة بالإنجيل، وقد أعطانا الرسول بولس مفتاح هذه البشارة (رو ١٥: ١١) إذ يستشهد بكلام المزمور كإثبات أن الإنجيل قُصد به أن يكون بشارة لجميع الأمم. الأمر الذي كان مجرد عثرة كبرى لليهود. فلماذا يُغضب ذلك اليهود بينما يقولون هذا الكلام ويتغنون به بأنفسهم. «سبحوا الرب يا كل الأمم حمدوه يا كل الشعوب». إن بعض كُتاب اليهود يعترفون أن هذا المزمور يشير إلى مملكة المسيّا، ويعتقد أحدهم، أن كون هذا المزمور من عددين فقط دلالة على أنه في أيام المسيح المنتظر سيتمجد الله بواسطة نوعين من الناس: اليهود، وهذا طبقا لناموس موسى، ثم الأمم حسب الوصايا السبع لأولاد نوح، واليهود والأمم سيكونان جماعة واحدة، حيث أن هذين العددين يكونان مزمورا واحدا.

أولا: الامتداد العظيم لكنيسة الإنجيل (ع ١). نجد هنا أن كل الأمم مدعوون أن يسبحوا الله، هذه الدعوة لم يمكن تطبيقها في العهد القديم حيث لم يكن يُسمح للأمم أن يسبحوا الله ما لم يصبحوا يهودا ويختتنوا. لكن جاء الأمر في العهد الجديد بتبشير جميع الأمم «لأنه هو سلامنا... ونقض حائط السياج المتوسط... فجاء وبشركم بسلام، أنتم البعيدين والقريبين» (أف ٢: ١٤، ١٧). والسؤال الآن مَنْ هم الذين يُسمح لهم بدخول الكنيسة؟ والإجابة: «كل الأمم» و«كل الشعوب». إن الكلمات الأصلية هي نفسها التي استخدمت في مزمور ٢: ١ عن ارتجاج الأمم وتفكر الشعوب بالباطل ضد المسيح. أولئك الذين كانوا قبلا أعداء ملكوته يصبحون أتباعه الذين يأتون عن طيب خاطر. ويبشر بالإنجيل في كل العالم «شهادة

لجميع الأمم» (مت ٢٤: ١٤؛ مر ١٦: ١٥). إن أخبار الإنجيل حين تُرسل إلى كل الأمم تعطيهم سببا لتسبيح الله. إن الإنجيل، يعطيهم الفرصة ليسبحوا الله، وقوة نعمة الإنجيل تعطيهم قلوبا تحمده.

ثانيا: إن غنى نعمة المسيح التي لا تستقصى هي مادة تسبيحنا (ع ٢). نرى في الإنجيل، صفات الله مثل رحمته وأمانته تضيء بلمعانها في ذاتها. مشجعة إيانا بدرجة كبيرة. إن الأمم يجب أن يمجدوا الله من أجل أمانته ومحبته (رو ١٥: ٨ و٩). إن محبة الله هي ينبوع تعزياتنا، وأمانته هي أساس رجائنا، ومن أجلهما يجب أن نسبح الله.

المزمور المئة والثامن عشر

من المحتمل أن داود كتب هذا المزمور بعد أن تغلب على العواصف الكثيرة التي كانت تقابله، ووضع يده بالكامل على المملكة التي نُصب ملكا عليها. ثم يدعو أصدقاءه ليشاركوه توقعاته التي يؤمن بها عن المسيا الموعود به وبمملكته. ومن المؤكد أن النبي هنا يشهد بذلك في الجزء الأخير من المزمور. ويسوع المسيح نفسه يطبق الموضوع على نفسه (مت ٢١: ٤٢). أما الجزء الأول من المزمور فيمكن تطبيقه على داود وعمله. ويظن البعض أن هذا المزمور أُعد أولا بمناسبة الاحتفال بنقل تابوت العهد إلى مدينة داود. وبعد ذلك كان اليهود يتغنون به في عيد المظال.

وفي هذا المزمور:

أولا: يدعو داود كل الذين معه أن يقدموا لله مجدا من أجل صلاحه (ع ١ – ٤).

ثانيا: وهو يحث نفسه والآخرين معه، أن يثقوا في الله نتيجة خبرته ومعرفته بقوة الله وعطفه (ع ٥ – ١٨).

ثالثا: وهو يقدم شكره لله من أجل اعتلائه العرش، كصورة تمثل تمجيد المسيح فيما بعد (ع ١٩ – ٢٣).

رابعا: يفرح الشعب والكهنة وداود نفسه بانتصار مملكة الفادي (ع ٢٤ – ٢٩).

عدد ١ – ١٨

يبدو هنا كما في أماكن أخرى أن قلب داود مفعم بصلاح الله.

أولا: إن داود يحتفل برحمة الله على وجه العموم ويدعو الآخرين أن يعترفوا بها من واقع اختباراتهم الشخصية معها (ع ١). الكهنة والشعب، اليهود والأمم يجب أن يعترفوا جميعا بصلاح الله، ويشتركوا جميعا في نفس ترنيمة الشكر، وإذا لم يتمكنوا أن يقولوا أكثر من ذلك، فلتكن كلماتهم «إن إلى الأبد رحمته»، وأنهم مارسوا هذه الرحمة طوال أيامهم.

ثانيا: وداود يحتفظ بسجل من معاملات الله الرحيمة معه بالأخص وقد خاض داود في حياته كثيرا من الصعاب التي اختبر فيها صلاح الله وإحسانه نحوه. هناك الكثير من الناس عندما يصلون إلى مقام عال، لا يريدون التحدث عن حالة الذل والكآبة التي عانوا منها سابقا. ولكن داود في كل المناسبات يتذكر حالته البسيطة السابقة وأنه كان في ضيق (ع ٥). وكان لديه أعداء كثيرون (ع ٧)، وكان هذا سبب حزن إنسان تقي يجاهد ليكسب مودة الجميع «كل الأمم أحاطوا بي» (ع ١٠). إن كل الأمم المجاورة لإسرائيل أعدت نفسها لإزعاج داود حال اعتلائه العرش. وهم الفلسطينيون، والموآبيون، والأراميون، والعمونيون وغيرهم لقد تحالفوا ضده. كانوا قساة وفي وقت من الأوقات تغلبوا عليه. لقد أحاطوا به «مثل النحل». أحاطوا به في أسراب وهاجموه مثل النحل باللسعات المميتة. ولكن كان ذلك سببا لتدميرهم. لأن النحلة كما يقولون تفقد حياتها عندما تلدغ. لقد وقع داود في مشكلات:

(١) عن طريق الأضرار التي سببها الناس له (ع ١٣) «دحرتني دحورا لأسقط».

(٢) بسبب الكروب والمصائب التي سمح الله أن تقع عليه. (ع ١٨) «تأديبا أدبني الرب» لقد هاجموه بحقد الأعداء، أما الرب فقد أدبه لتعليمه وتدريبه، أدبه بحنو الأب ومحبته. لقد سمع الله صلاته (ع ٥) فأجابه من الرحب أكثر مما كان يتوقع. لقد أعطاه الله أكثر مما طلب. لقد جعل قلبي يوسع طلباته في الصلاة ومع ذلك أعطاني أكثر جدا من حاجتي. إن الله أحبط مؤامرات العدو ضده «انطفأوا كنار الشوك» (ع ١٢). الشوك يشتعل بشراسة لفترة قصيرة محدثا صوتا ووهجا كبيرا، ولكن سرعان ما تنطفئ ولا تحدث الأضرار التي تهدد بها.

حفظ الله حياة داود عندما كان على بعد خطوة

من الموت (ع ١٨) «تأديبا أدبني الرب، وإلى الموت لم يسلمني». لأنه لم يسلمني لمرام أعدائي. من تجربة داود الشخصية يمكن أن يقول: من الأصوب «الاحتماء بالرب خير من التوكل على إنسان» حتى لو كان من الرؤساء (ع ٨ و٩). ولكن هذا مكنه أن ينتصر باتكاله على الله «الرب لي بين معيني».

إذا كنا مع الله فسيكون معنا، إذا كنا له ومعه فسيكون لنا ومعنا (ع ٧) «الرب لي». ويقف بجواري. ومعين لي. إذا كان الله قوتنا، فيجب أن يكون ترنيمتنا. وإذا كان يعمل فينا في كل ما نعمله فله منا كل الحمد والتمجيد. إذا كان الله هو قوتنا وأغنيتنا فقد أصبح ليس فقط مخلصنا بل أصبح هو خلاصنا. إن انتصارات داود هي تأكيد لاستمرارية تعزيته، ونصرته، وبقائه في الحياة.

◄ تعزيته: (ع ١٥) «صوت ترنم وخلاص في خيام الصديقين»، وفي بيته على الأخص، وكذلك في خيام عائلته. إن مساكن الأبرار في هذا العالم ما هي إلا خيام متواضعة، ومتنقلة. «لأن ليس لنا هنا مدينة باقية»، ولكن هذه الخيام يشعرون بالراحة فيها عن قصور الأشرار. لأنه حيث يسود الدين وطاعة الله:

> يوجد خلاص.

> حيث يوجد خلاص يوجد السبب للهتاف، وللفرح الدائم في الرب.

> وحيث يسود الفرح، تتوفر هتافات التهليل، أي الحمد، والعطاء.

◄ نصرته: «يمين الرب صانعة ببأس». ومرتفعة (ع ١٥). أو يمين الرب ترفعُني.

◄ عن استمرارية حياته (ع ١٧) «لا أموت» بيد أعدائي الذين يطلبون نفسي ولكني «أحيا وأحدث بأعمال الرب». سأحيا كشاهد على رحمة الله وقدرته، وستظهر أعماله فيّ. وسأجعلها شغلي الشاغل في حياتي أن أسبح الله وأمجده واضعا ذلك كهدفي الأسمى.

عدد ١٩ – ٢٩

تحمل هذه الأعداد تصويرا نبويا عما سيلاقيه الرب يسوع المسيح من إذلال، والمجد الذي سيتبع ذلك. وقد طبق بولس هذه النبوة مباشرة على رؤساء الكهنة والكتبة ولم يستطع أحد منهم أن يتهمه بخطأ التطبيق (أع ٤: ١١).

أولا: المقدمة التي استهل بها داود هذه النبوة: (ع ١٩ – ٢١).

(١) يرغب كاتب المزمور أن يُسمح له بالدخول إلى أقداس الرب، حيث يحتفل هناك بمجد الآتي باسم الرب. «افتحوا لي أبواب البر» وهذه تسمية لأبواب الهيكل. وعندما تُفتح أبواب البر لنا يجب أن ندخل فيها، ويجب أن ندخل آخر جزء يُسمح لنا بالدخول فيه، ونحمد الرب.

(٢) يرى داود أنه قد سمح له أخيرا بالدخول «هذا الباب للرب. الصديقون يدخلون فيه». إن البعض عند هذا الباب يعرفون المسيح والذي به تكون لنا شركة مع الله وتُقبل تسبيحاتنا. إنه الطريق فليس أحد يأتي إلى الآب إلا به (يو ١٤: ٦). إن داود يفرح باكتشافه. إن باب البر والذي كان مغلقا من زمن بعيد والذي طالما قُرع عليه قد فُتح أخيرا على مصراعيه.

(٣) يتعهد داود أن يقدم الشكر لله من أجل هذا الإحسان «أحمدك لأنك استجبت لي» (ع ٢١). إن الذين رأوا يوم المسيح من زمن بعيد، وجدوا سببا لحمد الله من أجل هذا الرجاء. لأنه فيه رأوا أن الله قد استمع لهم، واستمع للصلوات التي رفعها قديسو العهد القديم من أجل مجيء المسيا الذي سيخلصهم.

ثانيا: النبوة نفسها (ع ٢٢ و٢٣). هذه الأعداد يمكن أن تشير إلى التقدم الذي أحرزه داود نفسه. فقد كان هو الصخرة التي رفضها شاول وأتباعه. ولكنه بعناية الله العجيبة تقدم ليصبح الحجر الأساسي للبناء . ولكن المرجع الأساسي هو المسيح. وهنا نلاحظ ما يلي:

(١) الإذلال والخزي الذي لحق بالمسيح. فهو الحجر الذي رفضه البناؤون، وهو الحجر الذي قُطع من الجبل بغير يدين (دا ٢: ٣٤) هذا الحجر رفضه البناؤون بواسطة حكام وشعب اليهود (أع ٤: ٨، ١٠ و١١) رفضوا أن يعترفوا به كالمسيا المنتظر. أنكروه أمام بيلاطس (أع ٣: ١٣) قائلين: «ليس لنا ملك إلا قيصر».

(٢) رفعته ومجده. أصبح يسوع رأس الزاوية. لقد تقدم إلى أسمى مقام في المجد. لكي يصبح فوق الكل، والكل في الكل. إنه حجر الزاوية الرئيسي

الذي اتخذ فيه اليهود والأمم حتى يصبحوا بناء مقدسا واحدا. إنه حجر الزاوية الرئيسي الذي يجب- في كل الأحوال- أن يكون لديه التفوق لأنه العامل والمكمل لإيماننا.

(٣) يد الله في كل هذا: كانت يد الله معه طوال مدة خدمته. ومن أولها حتى آخرها كان يعمل مشيئة أبيه السماوي «وهو عجيب في أعيننا». إن اسم يسوع «عجيب»، والفداء الذي عمله هو أعجب أعمال الله العجيبة.

ثالثا: التعبير عن الفرح والهتاف والتهليل الذي صاحب هذه النبوة:

(١) لنحتفل بهذا اليوم تكريما لله بفرح عظيم (ع ٢٤) «هذا هو اليوم الذي صنعه الرب» أو ربما يكون مناسبا جدا أن يُقصد به السبت المسيحي، والذي تقدسه في ذكرى قيامة المسيح حين تمجد هذا الحجر الذي كان مرفوضا. هذه هي عقيدة «السبت المسيحي»: إنه «اليوم الذي صنعه الرب» صنعه ليكون مُميزا، مقدسا، ومختلفا عن باقي الأيام. فقد صنعه من أجل الإنسان «نبتهج ونفرح فيه»، ليس فقط في تأسيس هذا اليوم ولكن من أجل المناسبة نفسها أن المسيح أصبح رأس الزاوية. لذلك فإن أيام الآحاد يجب أن تكون أيام فرح وسرور.

(٢) دعونا نستقبل الفادي الممجد بالتهليل والفرح (ع ٢٥ و٢٦) مرددين بكل فرح «أوصنا»، وهذا يعني يحيا الملك. إنه فرح القلب لاعتلائه العرش. وكلمة أوصنا تعني «نتوسل إليك أن تخلصنا الآن». يا رب خلصني.. أتضرع إليك. ليكن هذا المخلص مخلصي أنا. اجعلني تحت حمايتك، واقبلني كأحد رعاياك المخلصين. وأعطني الغلبة على الذين يشتهون أن يحاربوا نفسي. ولتملأ نعمتك الإلهية نفسي لأغلب وأكون غالبا. ليتبارك المخلِّص نفسه، وليتقدس اسمه، ويأتي ملكوته، ولتكن مشيئته حتى تصلي له كل الشعوب (مز ٧٢: ١٥). وحين نبتهج بملكوته في يوم الرب. يجب أن نصلي أكثر وأكثر من أجل هذا الملكوت، وليأخذ الكهنة خدام الرب دورهم في هذا الاحتفال العظيم. دعهم يباركون السيد بترانيمهم «مبارك الآتي باسم الرب» (ع ٢٦). لنرحب به في قلوبنا قائلين ادخل قلوبنا يا مبارك الآب. تعال بنعمتك وروحك القدوس وامتلكني بشخصك. علينا أن نصلي من أجل بناء الكنيسة وامتدادها. أن نعد كل شيء استعدادا لمجيئه الثاني. فهو الذي قال «أنا آتي سريعا». «آمين تعال». إن خُدام المسيح ليسوا فقط مفوضين من قبل الرب لكنهم مطالبون أن يعلنوا البركة باسم الرب لجميع عبيده الذين يحبونه. ويحبون ملكوته بإخلاص (أف ٦: ٢٤).

(٣) ولنقدم ذبائح شكر لمجد من قدم نفسه ذبيحة كفارة لأجلنا (ع ٢٧) «الرب هو الله وقد أنار لنا». لقد أعطانا أن نعرفه ونعرف مشيئته. لقد أشرق علينا. وأعطانا الفرصة للفرح والبهجة التي تنير النفس بإعطائنا لمحة من النور السماوي الدائم في السماء. والواجب الذي علينا «أوثقوا الذبيحة بربط». أما وقد ذُبحت فإن دمها يرش على قرون المذبح، طبقا للناموس. وفي هذا ربما نجد دلالة خاصة هنا. إن الذبيحة التي نقدمها لله هي أنفسنا كذبيحة شكر من أجل محبته المخلصة لا لكي تُذبح على المذبح. ولكن كذبائح «حية» (رو ١٢: ١) توثق إلى المذبح كذبائح روحية بالصلاة والشكر.

(٤) ويختم داود هذا المزمور بإشارته عن شكره الخاص للنعمة الإلهية ويدعو الآخرين أن يشاركوه فيها (ع ٢٨ و٢٩).

سيدعو داود كل الذين حوله أن يقدموا الشكر لله لأجل هذه الأنباء السارة، والفرح العظيم لكل الشعوب. لأنه يوجد مخلص هو المسيح الرب. وفيه نرى أن الرب صالح وأن إلى الأبد رحمته. ويختم داود هذا المزمور كما بدأه في آية ١ لأن مجد الله يجب أن يكون الأول والآخر. البداية والنهاية في كل صلواتنا وتوجهاتنا إليه.

المزمور المئة والتاسع عشر

أولا: يعتبر مزمور ١١٩ مزمورا قائما بذاته وليس كأي من المزامير الأخرى وهو يتفوق عليها جميعا. ويبدو لي أنه مجموعة من تأملات تقوية لداود وأشواق روحية مرفوعة لله كتبها في حينها. ونادرا ما نجد ترابطا بين أعداد المزمور. ولكنها تشبه أمثال سليمان، فهي عبارة عن خزانة بها خواتم ذهبية وليست سلسلة من الحلقات الذهبية. ولعلنا

نتعلم من هذا المرنم أن نُعوِّد أنفسنا على التعبير عن مشاعرنا التقوية والتي هي من أروع الوسائل لاستمرار الشركة مع الله. إن ما قاله البعض عن هذا المزمور حقيقي: «إن مَنْ يقرأه بعناية إما أن يملأه حرارة أو أن يشعره بالخجل" ونلاحظ في تركيب هذا المزمور أنه فريد ودقيق جدا. وهو ينقسم إلى اثنين وعشرين جزءا طبقا لعدد حروف الأبجدية العبرية. ويحتوي كل جزء على ثمانية أعداد. وكل أعداد الجزء الأول تبدأ بالحرف «أ». وكل أعداد الجزء التالي تبدأ بالحرب «ب». وهكذا دون أي تغيير طوال المزمور كله. والبعض يسميها «أبجدية القديسين». ومن ناحية أخرى فهذا مفيد للمتعلمين إذ يساعدهم على حفظها عن ظهر قلب، واسترجاعها في أذهانهم في أي مناسبة فإذ يتذكر الإنسان الحرف الأول يسهل عليه تذكر الأعداد كلها. وبذلك يمكن للشباب أن يحفظها عن ظهر قلب ويتذكرها بسهولة حتى عند التقدم في السن.

ثانيا: إن المجال العام لهذا المزمور هو تمجيد الشريعة وجعلها مهيبة، وإظهار تفوق الإعلان الإلهي وفوائده والتوصية باستخدامه لتقويم أنفسنا، وذلك بناء على اختبار صاحب المزامير نفسه، والذي يتحدث بخبرته عن فائدتها من أولها إلى آخرها لاستمرار نعمة الله معه. توجد عشرة كلمات مختلفة يطلقها المرنم على الإعلان الإلهي في هذا المزمور، كل منها يُعبر عن مدى ما تعنيه، وعن النظام الديني المبني عليه والمسترشد به. والأشياء المتضمنة في كلمة الله والمستنبطة منها. يطلق عليها هنا:

(١) شريعة الله: لأن الله هو الذي وضعها لأنه سيدنا.

(٢) سبيله: لأن الوصايا هي أساس عناية الله بنا وطاعتنا له.

(٣) شهاداته: لأنها معلنة بجلال للعالم.

(٤) وصاياه: لأنها أعطيت بسلطان وأودعت لنا كأمانة.

(٥) أوامره: لأنها مفروضة علينا.

(٦) كلمته، أو أقواله: لأنها الإعلان عن أفكاره، والمسيح الكلمة الأزلي، هو الشخص الذي تتحدث عنه أقوال الله، وهو المستعلن فيها كلها.

(٧) أحكامه: لأن بها يجب أن نُحكم ونحاكم.

(٨) بره: لأن الوصية مقدسة، وعادلة، وصالحة، وهي مقياس لكل بر.

(٩) فرائضه: لأنها ثابتة ولها التزام دائم.

(١٠) أمانته وحقه: لأن المبادئ التي تبنى عليها الشريعة الإلهية صادقة إلى الأبد. أنا أظن أنه لا يوجد إلا عدد واحد وهو ١٢٢ في كل هذا المزمور الطويل لا يوجد فيه كلمة أو أخرى من هذه الكلمات العشرة وفي ثلاث أو أربع منها تستخدم هذه الكلمات للدلالة على العناية الإلهية، أو اختبارات داود (مثل ع ٧٥، ٨٤، ١٢١، ١٣٢). والتقدير الكبير والحب العظيم الذي أظهره داود لكلمة الله، يستحق الإعجاب، على اعتبار القليل الذي كان لديه منها، ومقارنة بما لدينا الآن. ربما لم يزد ما كان عنده عن أسفار موسى المدونة كتابةً. وهذا ما يخجلنا نحن الذين نتمتع بالوحي الكامل لكننا نتعامل معه بكل برود.

إننا نجد هنا كثيرا من التعليمات التي تتعلق بالحياة الدينية، كما نجد أيضا كثيرا من الاختبارات الجميلة عمن عاشوا مثل هذه الحياة، ونرى فيها شيئا أو آخر مما يلائم حالة كل مسيحي.

« أ »

عدد ١ - ٣

يبين المرنم أن الأتقياء أناس سعداء ويوضح لنا ما يجب أن نفعله ونعيشه حتى تتحقق لنا هذه السعادة. والسعداء هم:

(١) الذين يجعلون إرادة الله دستورهم في كل أعمالهم (ع ١). إن كلمة الله هي شريعتهم، وهم يسلكون حسب هذا القانون «السالكين في شريعة الرب» في الطرق التي حددها الله لهم.

(٢) المستقيمون والأمناء في تدينهم «الكاملين طريقا» ليس فقط الذين يحفظون أنفسهم غير ملوثين من العالم. ولكن المخلصين بطبيعتهم في نواياهم، وليس في أرواحهم رياء، وباطنهم صالح كظاهرهم.

(٣) الأمناء بسبب الثقة الموضوعة فيهم كشعب الله المعترف باسمه. إن الذين يسلكون حسب شريعة الله يجب أن يحفظوا وصاياه أي حقه، وربما تعني عهده. فأولئك الذين لا يحفظون عهد الله هم الذين لا يحفظون وصاياه.

(٤) الذين لا ينظرون إلا إلى الله هدفهم الرئيسي الأسمى في كل ما يفعلون في حياتهم الروحية (ع ٢) «من كل قلوبهم يطلبونه».

(٥) الذين يتجنبون- بكل دقة- الخطية (ع

٣) «لا يرتكبون إثما» إنهم متنبهون إلى الكثير الذي يعطلهم في مسيرتهم في طرق الله. وليس إلى الإثم الذي يبعدهم عن هذه الطرق.

عدد ٤ – ٦

يجب أن نضع أنفسنا تحت أعلى الالتزامات، لكي نسير حسب شريعة الله. «أنت أوصيت بوصاياك أن تحفظ تماما» (ع ٤). أن نجعل عبادة الله أساس حياتنا وننظر إلى أعلى نحو الله لنوال الحكمة والنعمة، حتى نفعل ذلك (ع ٥). أنت تريدني يا رب أن أحفظ وصاياك. وأنا أرغب في ذلك «هذه هي إرادة الله قداستكم» وستكون إرادتنا أيضا. إن كل رجل صالح يحترم كل وصايا الله، تلك التي تخص داخل وخارج الإنسان، الرأس والقلب. إن كل مَنْ يقدرون وصايا الله بإخلاص لا يخزون. سيكون لديهم وضوح وشجاعة في نفوسهم.

عدد ٧ – ٨

أولا: كان داود يسعى بأن يكون كاملا في تدينه وكان يرجو أن يتعلم أحكام عدل الله. كان يعرف الكثير، ولكنه كان لا يزال يسعى لأن يعرف أكثر. وعلى امتداد حياتنا يجب أن نكون تلاميذ في مدرسة المسيح، ونجلس عند قدميه.

ثانيا: ماذا سيستفيد من تعاليمه السماوية «أحمدك... عند تعلمي أحكام عدلك» معلنا أنه لن يقدر أن يتعلم ما لم يعلمه الله. وأن التعاليم السماوية ما هي إلا بركات خاصة، وأولئك الذين تعلموا جيدا وصايا الرب هم الذين وصلوا إلى التصميم الكامل بفضل قوة نعمته، أن يحفظوها.

ثالثا: كانت صلاته لله بألا يتركه. إن الرجال الصالحين يرون أنفسهم بلا قيمة إذا تخلى الله عنهم، لأنه عندئذ سيكون المجرب قاسيا عليهم.

« ب »

عدد ٩

(١) يتردد هنا سؤال هام: كيف يمكن للجيل القادم أن يصبح أحسن من هذا الجيل. «بمَ يزكي الشاب طريقه؟».

(٢) وهنا نجد الإجابة الكافية على هذا السؤال. إن الشباب يمكن أن يحفظ طريقه نقيا بالعيش طبقا لكلمة الله. يجب أن يأخذ الشبان كلمة الله أساسا لهم، وهذا سيحفظهم أنقياء أكثر من الشرائع الأرضية، أو أخلاقيات الفلاسفة. ويجب أن يتخذوا من كلمة الله مقياسا لهم، ويوجهوا حياتهم طبقا لهذه الخريطة وهذه البوصلة.

عدد ١٠

اختبار داود: «بكل قلبي طلبتك». إن كنت لم أجدك بعد فإني أبحث عنك وأنت لم تقل أبدا ابحث دون فائدة؛ لأني أطلبك بكل قلبي. أنت يا مَنْ جعلتني أميل لوصاياك لا تجعلني أضل عنها.

عدد ١١

إن التطبيق العملي لكلمة الله في حياة داود أنه خبأها في قلبه. حتى تكون جاهزة متى حانت الفرصة لاستخدامها. إن كلمة الله هي كنز يستحق أن نحتفظ به، ولا يمكن أن نحفظها في أمان إلا في قلوبنا. إذا احتفظنا بكلمة الله في أذهاننا فقط فإن ذاكراتنا ربما تخوننا. أما إذا تشكلت بها قلوبنا وبقيّ تأثيرها في أفئدتنا فنحن في أمان.

عدد ١٢

يعطي داود هنا المجد لله «مبارك أنت يا رب». وهو يطلب نعمة من الله «علمني فرائضك». اجعلني أعرف وأعمل واجبي في كل شيء.

عدد ١٣ – ١٦

أولا: قام داود بتنوير الآخرين بما قد تعلمه من كلمة الله (ع ١٣) بشفتيَّ أعلنت جميع الأحكام. وقد فعل ذلك ليس باعتباره ملكا يصدر أوامر وأحكام طبقا لكلمة الله، ولا باعتباره نبيا بواسطة مزاميره. ولكن عن طريق أحاديثه العادية.

ثانيا: وهو ينظر إلى الأمام بتصميم مقدس ألا

تبرد عواطفه من جهة كلمة الله (ع ١٥) «بوصاياك ألهج». فهو لم يتحدث بكلام الله للآخرين فقط، بل تفكر فيه مليا في عقله. إن داود كان يشعر بالبهجة بوصايا الله أكثر من استمتاعه بالحكم كملك، وأكثر من تكريم توجه له، وأكثر من سيفه وقيثارته. عندما تُكتب الشريعة في القلب فإن الفرض والواجب يصبح سببا للسرور.

« ج »

عدد ١٧

يرفع داود صلاته إلى الله قائلا: «أحسن إلى عبدك فأحيا». إنه من إحسانات الله أنه أعطانا الحياة، وهو يعطينا الحياة وبنفس الإحسان يسمح باستمرارها لنا كما يعطينا معها كل المعونات والتعزيات. لذلك وجب أن نقضيها في خدمته.

عدد ١٨

هناك عجائب في شريعة الله. ليس فقط عجائب غير متوقعة ولكن أشياء ثمينة كانت مخفية طويلا عن الحكماء ولكنها أعلنت للأطفال. إذا كان هناك عجائب في الشريعة قديما فهناك عجائب أكثر في كتابات العهد الجديد. إننا بالطبيعة عميان عن أمور الله، حتى تعمل نعمة الله على إزالة القشور من أعيننا، وكلما فتح الله عيوننا أكثر رأينا عجائب أكثر في كلمة الله.

عدد ١٩

قدم داود اعترافا عن حالته بالقول «غريب أنا في الأرض». كل الناس الصالحين يعترفون أنهم كذلك، لأن السماء مسكنهم، أما الأرض فهي نُزُل يقيمون فيه، في أرض غربتهم.

كان داود رجلا يعرف الكثير عن العالم، كما كان هو شخصيا معروفا فيه جيدا كسائر المشاهير من الناس. كانت له شهرة الرجال العظام، ومع ذلك يقول عن نفسه إنه غريب. يا رب أرني وصاياك طالما كنت على قيد الحياة. اجعلني أنمو في معرفتها. إني غريب لذلك فإني في حاجة لمن يرشدني. وفي حاجة لمرشد، لحارس، لرفيق، لمعزٍ. اجعل وصاياك دائما أمامي. لأنها ستكون كل شيء بالنسبة لي. فهي كل ما يرغب فيه رجل فقير غريب مثلي.

عدد ٢٠

صلى داود أن يفتح الله عينيه (ع ١٨)، ليكشف له وصاياه (ع ١٩)، وهو يتضرع الآن بكل شوق عن رغبته للمعرفة والنعمة.

عدد ٢١

كم هي تعيسة شخصية الأشرار. إن استعداد عقولهم سيئ. إنهم متكبرون، يتعالون على الآخرين، وذلك ليس كل شيء. إنهم يتعالون على الله، وينفذون إرادتهم المتعارضة مع إرادة الله. هناك شيء من الكبرياء وراء كل خطية متعمدة منهم. إنهم ضالون «عن وصاياك». ويعتنقون مبادئ مضادة لوصاياك. ولا عجب في أنهم ضالون في ممارساتهم. إنهم حقا ملعونون لأن الله يقاوم المستكبرين وأولئك الذين يطرحون أحكام الناموس جانبا يضعون أنفسهم تحت لعنته (غلا ٣: ١٠).

عدد ٢٢

يصلي داود في مقابل تأنيب واحتقار الناس له حتى ينزاحوا عن طريقه أو كما يقول العدد «دحرج عني العار» هذا يعني أنهم جاثمون عليه.

وأنه لا عظمته ولا صلاحه يمكن أن يحمياه من التعرض للقذف والسخرية. يا رب أزل عني العار لأني حفظت شهاداتك، ومع ذلك فإذا كنا في وقت التجربة لانزال نحتفظ باستقامتنا فإننا نثق في أن النهاية خير.

عدد ٢٣

كانت تساء معاملة داود من رجال عظام المفروض أنهم كانوا يعرفونه جيدا ويعرفون مشكلته. وفي هذا كان داود يمثل المسيح. لأن أمراء هذا العالم هم الذين أساءوا إليه وحطوا من قدره، وصلبوا رب المجد (١كو ٢: ٨). وإزاء هذه الإهانات فإن عبدك يناجي بفرائضك، ويستمر في القيام بواجبه، ولم يهتم بهم.

وعندما تقاولوا عليه فإنه وجد في كلمة الله دفاعا عنه وعزاءً له. فلم تحرك أي من هذه الأمور له ساكنا.

عدد ٢٤

يشرح داود تأملاته في شهادات الله التي كان لها كل الفائدة عندما جلس الرؤساء وتقاولوا عليه. إن أحكام الله كانت مشورته، وأرشدته أن يتحمل بصبر، ويلقي همه على الله.

« د »

عدد ٢٥

أولا: إن شكوى داود هنا «لصقت بالتراب نفسي». وهذه الشكوى من:

(١) إما فساده وميله نحو العالم وعدم قيامه بواجباته الدينية. وشكوى داود هنا مثل شكوى الرسول بولس من جسد الموت الذي كان يحمله معه.

(٢) أو من آلامه: سواء كانت اضطرابا في التفكير أو مشكلات خارجية وكلا الاثنين أوصلاه إلى تراب الموت.

ثانيا: توسله لراحة نفسه «أحيني حسب كلمتك». بعنايتك الإلهية احيني في كل أموري، بنعمتك ضع الحياة في مشاعري. اشفني من موتي الروحي. ونشط فترات تأملي فيك.

عدد ٢٦ و٢٧

يعرض داود هنا قضيته ويفتح قلبه لله «قد صرَّحت بطرقي» واعترفت بوجودك في جميعها. لقد رافقتني في كل خططي ومشاريعي. إنه عزاء لا حد له للنفس أن تفكر في مقدار الحنان والعطف الذي تقابل به شكاوانا من إله رؤوف شفوق (١يو ٥: ١٤ و١٥). أعطني فهما جيدا لأتعلم وصاياك ثم أتأمل في عجائبك فازداد ثقة.

عدد ٢٨ و٢٩

(١) يشرح داود هنا أحزانه «قطرت نفسي من الحزن». والتي تتوافق مع العدد ٢٥ «لصقت بالتراب نفسي». إن الثقل في قلب الإنسان يجعله يذوب ويتساقط كشمعة تتلاشى.

(٢) ويطلب داود متشفعا بنعمة الله: امنحني قوة خاصة في روحي «حسب كلامك» «طريق الكذب أبعِد عني». إن داود- وهو في ضيق شديد- خدع أخيمالك (١صم ٢١: ٢) وأخيش ملك جت (١صم ٢٧: ١٠).

إن المصاعب الكبرى تسبب إغراءات كبرى حتى نبرر كذبة ما في صورة حيلة ظاهرها الورع، كضرورة للدفاع عن النفس. لذلك فإن داود يصلي إلى الله أن يمنعه الله من السقوط في هذه الخطية مرة أخرى. «بشريعتك ارحمني» دعني أبعد عن طريق الكذب. كان لدى داود الناموس مكتوبا بخط يده. لأنه كان يتحتم على الملك أن ينسخ صورة منه لاستخدامه الشخصي (تث ١٧: ١٨) ولكنه يصلي أن يجعله مكتوبا في قلبه «بشريعتك ارحمني»، وهو يتضرع لكي يكون هذا علامة خاصة على محبة الله له.

عدد ٣٠- ٣٢

إن الذين يرغبون في تحقيق الثبات في تدينهم يجب أولا أن يختاروا طريقهم بعد دراسة متأنية. هكذا فعل داود «اخترت طريق الحق جعلت أحكامك قدامي». كما أن مَنْ يريد أن يتعلم الكتابة يضع أمامه النسخة التي ينقل منها حتى يكتب طبقا لها. ومثلما يضع العامل النموذج أمامه حتى يمكنه أن يؤدي عمله بدقة. يجب أن نضع كلمة الله في قلوبنا باستمرار حتى نتغير طبقا لها، وحتى نسير حسب قوانينها. إن الذين يختارون دينهم بأنفسهم يتمسكون به غالبا بكل أمانة. فالمسيحي الذي يختار طريقه هو مَنْ ينتظر أن يكون المسيحي الثابت. بينما أولئك المدعوون مسيحيين بالاسم يتراجعون حينما تهب الرياح. «يا رب لا تخزني» لا ترفض خدماتي مما يضعني في ارتباك شديد. كلما منحنا الله عونا كثيرا انتظر منا واجبات أكثر (ع ٣٢). إن الله بروحه يوسع قلوب شعبه عندما يعطيهم حكمة، و«رحبة قلب» (١مل ٤: ٢٩)، وذلك عندما يسكب الله محبته في قلوبنا، ويضع الفرح فيها. إن فرح الرب يجب أن يكون قوة موجهة لطاعتنا له.

« هـ »

عدد ٣٣ و٣٤

أولا: يتوسل داود إلى الله أن يعلمه، لأنه يعلم أنه لا يوجد معلم مثله (أي ٣٦: ٢٢).

علمني واجبي بطريقة لا يمكن لأحد آخر أن يعلمني بها. يا رب أعطني فهما.

ثانيا: وهو يعد بأن يكون طالبا نابها، وإذا كان الله سيعلمه فإنه بالتأكيد سيتعلم لغرض صالح. «فألاحظ شريعتك». ولن أتمكن من ذلك إلا إذا تعلمت من الله.

عدد ٣٥ و٣٦

تضرع داود من قبل إلى الله لكي يضيء فكره، حتى يتمكن من معرفة واجبه، وهنا يتضرع إلى الله أن يخضع إرادته، وينشط قدرات نفسه الإيجابية حتى يقدر أن يقوم بواجبه، لأن الله الذي يعمل فينا أن نريد وأن نعمل وأن نعي ما هو صالح (في ٢: ١٣). اعطني الإرادة لأعمل، قوِّني لكل عمل صالح. «أمل قلبي إلى شهاداتك».. إلى الأشياء التي ترشدني إليها شهاداتك. فلا تجعلني أعمل واجبي باعتبار أني مضطر لعمله بل رغبني في عمل واجبي. إن الواجب يؤدى بسرور عندما يكون القلب ميالا إليه. إنها نعمة الله التي تجعلنا نرغب. قيِّد واكبح ميولي في داخلي نحو «المكسب» الذاتي. إنها الخطية التي تقف في مواجهة مع شهادات الله. إن هؤلاء الذين تتأصل محبة الله في داخلهم، يجب أن ينزعوا محبة العالم من حياتهم.

عدد ٣٧

يصلي داود هنا من أجل النعمة الحافظة «حَوِّل عينيَّ عن النظر إلى الباطل».

إن المجد العالمي والمباهج ومكاسب العالم كلها أشياء لا قيمة لها، وتبعد كثيرين بعيدا عن الدين والتقوى. وإذا ركزت العين عليها فإنها تصيب القلب بحب هذه الأشياء فيبتعد عن الله وعن كل الأمور الإلهية. لذلك فعلينا أن نصلي إلى الله أن يبعد- برعايته- عن ناظرينا الأشياء عديمة القيمة، وأن يحفظنا بنعمته من أن نفتن برؤيتها.

عدد ٣٨

إن الذي يتقي الله هو خادمه الخاضع لناموسه، الذي يُقوِّم نفسه لعمل الله، ويخاف الله، ويستسلم تماما لتوجيهه خاضعا لأوامره. وهو الشخص المحصور بالأفكار السامية التي تهدف لمجده.

إن خدام الله يمكن بالإيمان، وبثقة متواضعة أن يصلوا إلى الله أن يحقق مواعيده لهم في الوقت المناسب.

إننا يجب أن نصلي في حدود وعد الله لنا فلا نرتئي طالبين أكثر من ذلك، كما لا يجب أن نكون متواضعين حتى نطلب أقل من ذلك.

عدد ٣٩

صلى داود ليزول عنه العار كما سبق فذكر في ع ٢٢. لقد فعل ما قد يعطي فرصة لأعداء الله أن يجدفوا عليه. والآن يصلي لله الذي بيده كل قلوب الناس وألسنتهم في يديه، أن يمنعه من ذلك، وأن يخلصه من كل خطاياه حتى لا يكون «عارا عند الجاهل» (مز ٣٩: ٨).

يا رب، أنت جالس على العرش، وكل أحكامك طيبة وصالحة، وعادلة، ورحيمة للذين أسيء إليهم. ولذلك فإني أستغيث بك من الظالمين القساة الذين يحاكمون الناس.

عدد ٤٠

يعترف داود هنا بعواطفه الجياشة نحو كلمة الله. «هأنذا قد اشتهيت وصاياك». لا أحبها فقط ولكني برغبة صادقة أريد أن أعرفها أكثر. لقد وضعت في داخلي هذه الرغبة الشديدة. كما وضعت في داخلي حياة؛ حتى أتمكن من متابعتها فاحفظ حياتي في برك وفي طرقك الصالحة حسب مواعيدك الصالحة.

« و »

عدد ٤١- ٤٢

صلاة داود من أجل خلاص الله: يا رب أنت

مخلصي. أنا بائس في داخلي. وأنت الوحيد القادر أن تجعلني سعيدا. ليت خلاصك يأتي إليَّ. أسرع يا رب لتخلصني من أحزاني الحالية، وأسرع بي نحو الخلاص الأبدي بمنحي ما يؤهلني لذلك. وهو الاتكال على النعمة ووعد الله بهذا الخلاص، لأنهما الركيزتان اللتان نبني عليهما رجاءنا ولن يخذلاننا.

عدد ٤٣ – ٤٤

يتوسل داود هنا بتواضع من أجل اللسان الذي يحتاج أن يتعلم حتى يعرف كيف يتكلم في الوقت المناسب لمجد الله. «لا تنزع من فمي كلام الحق» وهو يعني: يا رب اجعل كلمة الحق دائما في فمي، اعطني الحكمة والشجاعة الضروريتين لأتمكن من استخدام معرفتي لتعليم الآخرين، وأن أعلن إيماني كلما دعت الحاجة لذلك. إنه يعلن تصميمه على أن يتمسك بواجبه بقوة نعمة الله. «فأحفظ شريعتك دائما، إلى الدهر والأبد». إذا حفظت كلامك لا في قلبي فقط، ولكن في فمي، فإني سأفعل كل ما يجب أن أفعله. فأكون كاملا حسب إرادتك الكلية.

عدد ٤٥ – ٤٨

ماذا كان اختبار داود بشأن مشاعره نحو شريعة الله: «لأني طلبت وصاياك» (ع ٤٥). سأعمل كل ما في وسعي لأفهم ما هي إرادة الله وأكتشف فكره. قد «طلبت وصاياك» لأني أحبها (ع ٤٧ و٤٨). وإني أوافق عليها ليس لأنها صالحة فقط بل لأنها صالحة لي شخصيا. وقد وعد داود نفسه بخمسة أمور بقوة نعمة الله:

(١) أن يكون حُرا وواثقا في أداء واجبه. «أتمشى في رحب». متحررا من أي شيء شرير، وحُرا لعمل كل ما هو صالح، مؤديا إياه ليس عن اضطرار بل عن اختيار.

(٢) أن يكون قويا وشجاعا في واجبه. «واتكلم بشهاداتك قدام ملوك». يجب ألا نخشى الاعتراف بعقيدتنا مهما عرضنا ذلك لغضب الملوك، بل نتكلم عنها باعتبار أننا نعيش بموجبها وسنموت ثابتين على مبادئها، مثل الفتية الثلاثة أمام نبوخذنصر (دا ٣: ١٦؛ أع ٤: ٢٠).

(٣) أن يؤدي الواجب الذي عليه بكل سرور وانشراح (ع ٤٧) «أتلذذ بوصاياك» متجاوبا معها عاملا بموجبها. لن أكون راضيا عن نفسي بالمرة إلا عندما أعمل ما يرضي الله.

(٤) أن يكون مثابرا في عمله متحمسا في أداء واجبه «أرفع يدي إلى وصاياك». ليس فقط لأمجدها بل لأمارسها. حقا سأرفع يدي لها. أي أنني سأضع كل القوة التي لدي لأتممها.

(٥) عند القيام بواجبه يفكر فيه ويهتم به (ع ٤٨) «وأناجي بفرائضك».

« ز »

عدد ٤٩

يتضرع داود هنا إلى الله من أجل الرحمة والنعمة اللذين يأمل أن ينالهما. إن الله قد أعطاه الوعد الذي تمناه: يا رب أنا لا أرغب أكثر من أن تذكر «الكلام الذي تكلمت به عن عبدك وعن بيته وافعل كما نطقت» (١أخ ١٧: ٢٣).

أنت أمين ولذلك ستفعل ما وعدت به ولا تسقط كلمتك. فإن الذي يُثبت فينا الإيمان بروحه سيعمل أيضا حسب إيماننا ولن يُخذلنا.

عدد ٥٠

خبرة داود في استفادته من كلمة الله تتلخص في الكلمات «لأن قولك أحياني». إن كلمة الله جعلتني حيا عندما كنت ميتا بالخطية. وكثيرا ما أنعشتني عندما كنت في حالة موت بالنسبة لواجباتي. ودفعتني لكل ما هو صالح عندما كنت متكاسلا وكارها لعملي وجعلتني مسرعا نحو ما هو صالح عندما كنت باردا وغير مبالٍ.

عدد ٥١

كان داود موضع هزء من أجل ديانته. ومع أنه قام بخدمات جليلة لأجل بلده، لكن لأنه رجل ذو ضمير مخلص، فإن المتكبرين استهزأوا به إلى الغاية. لقد سخروا منه لأجل صلاته وقالوا عنها أنها رياء، وسموها اكتئابا، وعن صرامته سموها تدقيقا لا مبرر

له. ومع ذلك فلم يتخل عن عقيدته. إن المسافر يستمر في طريقه برغم نباح الكلاب عليه. إن هؤلاء الذين لا يتحملون كلمات قاسية تصدر في حقهم لا يتحملون إلا القليل لأجل المسيح.

عدد ٥٢

عندما استهزأ الناس من داود بسبب تدينه فإنه لم يتمسك فقط بكماله بل كان يعزي نفسه. فهو لم يتحمل التعيير فقط ولكنه تحمله بسرور. كان عزاؤه في التفكير أنه يتحمل ذلك من أجل الله. إن الذين يقابلون بالسخرية من أجل تمسكهم بأحكام الله، لهم أن يعزوا أنفسهم بهذا. إن التعييرات بسبب السيد المسيح ستثبت في النهاية أنها «غنى أعظم من خزائن مصر» (عب ١١: ٢٦).

عدد ٥٣

إن هؤلاء الأشرار الذين يتميزون بكل جرأة وغلظة قلب هم الذين تركوا شريعتك. والانطباع الذي تركه الأشرار عن الشر الذي فعلوه لداود جعله يرتعب من الخوف. كان يقشعر عندما كان يفكر في الخزى الذي ألحقوه بالله والتكريم للشيطان. الأضرار التي سببوها لنفوس الناس، وكان يخشى نتائج ذلك على الخطاة أنفسهم، وعلى اهتمام الناس بملكوت الله.

عدد ٥٤

هذا العالم هو بيت غربتنا. يجب أن نعترف بأننا غرباء ونزلاء على الأرض. وأننا لسنا في بيتنا هنا وليس لنا أن نبقى فيه طويلا حتى قصر داود لم يكن إلا بيت غربته. «ترنيمات صارت لي فرائضك». والتي بها أهون على نفسي، كما يرغب المسافرون في نسيان فكرة مشاق رحلتهم، وذلك بالغناء بأغنية جميلة من وقت لآخر.

كان داود مرنم إسرائيل الحلو. وهنا يقال لنا من أين أتى داود بترانيمه هذه، لقد استعارها كلها من كلمة الله.

عدد ٥٥- ٥٦

بينما كان الآخرون نياما كان داود يتذكر اسم الله. وتكرار هذا الدرس والاعتياد عليه جعله يتذكره في ليل التجربة «ذكرت في الليل اسمك» ولذلك فأنا حريص أن أحفظ أحكامك كل النهار. صارت لي راحة لحفظي أحكامك. إن عمل الله فيه أجره الخاص. إن قلبا يطيع إرادة الله لهو أثمن مكافأة للطاعة.

« ح »

عدد ٥٧

ينادي داود الله بهذا بالقول: يا رب أنت تعرف أني اخترتك لي نصيبا. وأتكل عليك لكي تجعلني سعيدا. إنه يجعل أحكام الله قانون حياته. لقد وعدت بأن أحفظ كلامك، وما قلته سأحفظه بنعمتك وسأتمسك به للنهاية. إن الذين يأخذون الله نصيبهم لابد أن يأخذوه ملكا على حياتهم.

عدد ٥٨

كان داود في العدد السابق يتأمل في عهوده مع الله، وهو هنا يتأمل في صلواته إلى الله ويجدد توسله إليه. فهو يصلي «ارحمني حسب قولك» بمغفرتك لما اقترفته من خطايا وامنحني نعمة لعمل الصالح في المستقبل. إنه يصلي بكل قلبه.

عدد ٥٩- ٦٠

«تفكر» داود في طرقه. تشير هذه الكلمة إلى فكر ثابت ودائم. يرى البعض أنها إشارة إلى الذين يقومون بتطريز القماش، الذين يتسمون بالدقة والحرص لتغطية أي خطأ صغير. أو ربما يشار بها إلى المحاسب الذي يفحص حساباته محاسبا نفسه ما مقدار ديوني وما هو موقفي؟ «رددت قدمي إلى شهاداتك». لقد عزم أن يجعل من كلمة الله قانون حياته وأن يسير على هديها. لقد فعل هذا في الحال وبغير تردد. (ع ٦٠) «أسرعت ولم أتوان». هذا الحساب الذي قدمه داود عن نفسه ربما يشير إما إلى ممارساته اليومية الثابتة مع الله، أو إلى أول تعرف له بالله، وذلك عندما بدأ في التخلي عن أباطيل الطفولة والشباب وتذكّر خالقه.

عدد ٦١

كان أعداء داود أشرارا. وكانوا يكرهونه لتقواه

وحاولوا أن يجلبوا العار على اسمه الصالح. ولكننا نجد هنا أن شرائع ضمير داود هي التي جعلته يتمسك بعقيدته عندما يأخذ منه كل شيء، مثلما فعل أيوب عندما سلبه الكلدانيون والسبئيون «أما شريعتك فلم أنسها».

عدد ٦٢

بالرغم من أن داود في هذا المزمور يكثر من الصلاة، إلا أنه لم يهمل الشكر لأن أولئك الذين يصلون كثيرا سيكون لديهم الكثير الذي يشكرون من أجله. إنه لا يقول فقط «في منتصف الليل أقوم لأحمدك» على عطاياك، ولكنه يقول «على أحكام برك» وكل تدابير عنايتك بكل حكمة وعدل. كان قلب داود مركزا على الشكر. إنه يقوم في منتصف الليل ليقدم الشكر لله. إن العبادة مع الجماعة لا تعفينا من العبادة الفردية في الخفاء. إنه لم يقدم الشكر وهو راقد في فراشه. ولكنه قام من فراشه ربما في الجو البارد وفي الظلام ليفعل ذلك بكل خشوع.

عدد ٦٣

كان داود يُعبر كثيرا عن حبه الكبير لله، ولكنه هنا يعبر عن حبه الشديد لشعب الله. إنه يحبهم كثيرا ليس لأنهم كانوا أفضل أصدقائه، ولديهم الرغبة القوية لخدمته، ولكن لأنهم كانوا يتقون الله ويحفظون وصاياه.

لقد كان صديقا لهم يشترك معهم في أداء الفروض المقدسة في بيت الله حيث يتقابل الغني والفقير، الأمير والفلاح، وكان يتعاطف مع الجميع في أفراحهم وأحزانهم (انظر عبرانيين ١٠: ٣٣).

عدد ٦٤

ينادي داود هنا أن الله صالح لكل المخلوقات طبقا لاحتياجاتهم وطاقاتهم، وحيث أن السماء مليئة بمجد الله، فإن الأرض مليئة بمحبته. ليس فقط لبني الإنسان على الأرض ولكنه حتى المخلوقات الأدنى تتذوق صلاح الله. ولذلك فهو يصلي إلى الله أن يكون صالحا له طبقا لاحتياجاته وقدراته.

« ط »

عدد ٦٥- ٦٦

يعطي داود هنا اعترافا بالشكر لمعاملات الله الصالحة معه طوال الأيام. «خيرا صنعت مع عبدك». ومهما تعامل الله معنا فيجب أن نقر بأنه تعامل معنا بالخير أكثر مما نستحق، وكل ذلك في المحبة بقصد عمل كل ما هو لسعادتنا. وبسبب هذه الاختبارات فهو يطلب تعليما سماويا: علمني معرفة وحكما صائبا «ذوقا صالحا... علمني». قدرة على تمييز الأمور المتخالفة لأميز بين الحق والباطل، وبين الخير والشر لأن الأذن تختبر الكلمات كما يتذوق الفم الطعام. كثيرون لديهم المعرفة لكنهم غير قادرين على التمييز. عندما يعطي الله القلب الصالح فإننا نحتاج أن نطلب بالإيمان عقلا راجحا.

عدد ٦٧

(١) يتحدث داود عن الإغراءات عندما تكون الأحوال مزدهرة. «قبل أن أذلل» عندما كنت أعيش في سلام ووفرة ولا أعرف أي أسى، كنت بعيدا عن الله وعن واجبي. إن النجاح أو الازدهار هو الفرصة غير السعيدة لكثير من الإثم أو الخطية إذ يجعل الناس يعتزون بأنفسهم مسايرين لشهواتهم ناسين الله ومحبين للعالم، ويصمون آذانهم عن توبيخات الكلمة (انظر مزمور ٣٠: ٦).

(٢) وعن فائدة الألم يقول داود «أما الآن فحفظت قولك». وهكذا فقد رجعت من حالة الضياع. إن الله كثيرا ما يوظف حالات الحزن والأسى كوسائل ليجذب إليه أولئك الذين ضلوا بعيدا عنه. إن محنة الابن الضال أعادته لنفسه أولا ثم بعد ذلك لأبيه.

عدد ٦٨

يشيد داود بصلاح الله ويقدم له التمجيد: «صالح أنت ومحسن». يا رب أنت تفعل الصلاح للجميع. أنت المحسن الكريم لكل المخلوقات، وهذا هو الخير الذي أرجو أن تفعله لي. علمني واجبي واجعلني ميالا إليه. اجعلني قادرا على أن أفعله.

عدد ٦٩ و٧٠

حسد المتكبرون داود لسمعته التي حجبت شهرتهم. لذلك فقد فعلوا كل ما في وسعهم لكي يلطخوا سمعته. وهكذا أقنعوا أنفسهم أنه ليس خطأ أن يلفقوا كذبة بعناية ربما تعرضه للخزي والعار، وقد تحمل داود هذا بصبر. وظل متمسكا بالوصية التي منعته من أن يقاوم الشر بشر مماثل. كما إنه لم يحسد نجاحهم. إن قلوبهم متصلبة ولا تشعر. إن العالم وثروته ومباهجه تملأ قلوب المتكبرين. وهذا يجعلهم مطمئنين لكنهم أغبياء. إنهم ينغمسون في الملذات الجسدية لذا لا أتمنى أن أكون مثلهم. «أما أنا فبشريعتك أتلذذ». إني أبني أحلامي على مواعيد كلمة الله. إن أولاد الله الذين يعرفون المباهج الروحية لا يحتاجون أن يحسدوا أبناء هذا العالم لمباهجهم الدنيوية.

عدد ٧١

إن المتكبرين والأشرار عاشوا في أبهة واستمتاع بينما داود مع أنه كان ملتصقا بالله فإنه كان يعاني من الألم. يمكن لداود أن يتحدث عن اختبار؛ إنه «خير لي». كم من الدروس الثمينة التي تعلمها من آلامه. لقد ساهمت آلامه في التطبيق العملي للمعرفة والنعمة وصار مطارده هو معلمه.

عدد ٧٢

كانت شريعة الله التي تعرف عليها خلال آلامه أفضل له من كل الذهب والفضة التي فقدها بسبب هذه الآلام. كان المتاح لداود في وقته قدر يسير من كلمة الله بالمقارنة بما لدينا الآن، ولكن انظر كم كان تقديره لها كبيرا. فلدينا الآن كلام العهد القديم والعهد الجديد كله.

كان داود يقدِّر الشريعة لأنها كانت الشريعة التي نطق بها الله ووحي مشيئته. لقد ازدادت ثروته، ولكن لم يضع قلبه عليها بل على كلمة الله.

« ي »

عدد ٧٣

كان داود يمجد الله لأنه صانعه وخالقه (أي ١٠: ٨). إن كل إنسان هو في الحقيقة من صنع يدي الله مثلما صنع الإنسان الأول (مز ١٣٩: ١٥ و١٦). إن يديك لم تصنعاني فقط بل شكلتاني ومنحتاني هذا الوجود السامي الرائع مزودا بهذه القدرات والكفاءات. وهو يخاطب الله كإله النعمة ويتضرع أن يكون هو الخالق لحياته الجديدة: يا رب اجعلني جديرا بنعمتك حتى احقق الغرض من وجودي وأعيش لهدف معين. «فهمني فأتعلم وصاياك».

عدد ٧٤

ما أروع ثقة هذا الرجل الصالح في الرجاء بخلاص الله.. لقد وضعت كل رجائي في كلمتك وهو رجاء لا يخزى لكنه كفاية في الحاضر واستمتاع في النهاية. إن التعزيات التي يتعزى بها أولاد الله في الله والإحسانات التي تلقوها منه يجب أن تكون سبب فرح لآخرين أيضا.

عدد ٧٥

لا يزال داود يعاني من الألم ويعترف بخطيئته، وبأنه بالحق عوقب عليها «قد علمت يا رب أن أحكامك عدل». إنها العدل نفسه. نحن نعلم أن الله قدوس في طبيعته. وحكيم وعادل في كل أعماله. لذلك فلا يمكننا إلا أن نتأكد أن أحكامه عادلة. ومع ذلك فربما يكون هناك في بعض الأحوال الخاصة صعوبات لا يمكن حلها بسهولة. إن الآلام متضمنة في العهد، فليس المقصود منها أن نتألم لكنها لخيرنا.

عدد ٧٦ و٧٧

هذا التماس حار إلى الله لأجل رحمته. أولئك الذين يعترفون بعدالة الله في آلامهم كما فعل داود (ع ٧٥) يمكن بالإيمان وبكل ثقة وتواضع أن يشتاق لمحبة الله ولعلامات وثمار هذا الحب وسط آلامهم.

وهو يصلي من أجل محبة الله التي لا تسقط أبدا (ع ٧٦)، ورحمته (ع ٧٧)، «لتأتني مراحمك» أي لأرى برهانها وتأثيراتها. اجعلها تعمل لتعزيتي وخلاصي وهذا سيعزيني حيث لا شيء آخر يمكن أن يفعل ذلك. إنها ستعزيني مهما كانت أحزاني.

عدد ٧٨ و٧٩

كان هناك المفترون الذين حرفوا كل ما قاله أو فعله ولكن داود لم يهتم بذلك. كان يعلم أنهم يفعلون ذلك بلا سبب والتأنيب لغير سبب مثله مثل اللعن بلا سبب لا يؤذينا. لذلك يجب ألا نأبه به. وأمكنه أن يصلي بإيمان «ليخز المتكبرون» أي ليتهم يتوبون أو يهلكون. إنه يقدر النية الطيبة للقديسين «ليرجع إليَّ متقوك». إن الناس الصالحين يسعون للصداقة والعشرة مع الطيبين. يظن البعض أن هذا تلميح إلى إدانة داود في خطيته الشنيعة بقتل أوريا الحثي فكل مَنْ يخافون الله ابتعدوا عنه، لأنهم كانوا في خجل منه، مما جعله في اضطراب ولذلك فهو يصلي يا رب دعهم يرجعون إليَّ ثانية.

عدد ٨٠

يصلي داود من أجل الإخلاص. كان يفزع من عواقب النفاق «ليكن قلبي كاملا» حتى آتي بثقة نحو عرش النعمة وحتى أرفع رأسي عاليا بغير نقطة سوداء في اليوم العظيم.

« ك »

عدد ٨١ و٨٢

وداود هنا يتطلع نحو خلاص الله ونحو كلمته. أي الخلاص طبقا لكلمته. وهو شغوف لنتائج الإيمان، والخلاص من النكبات الحاضرة، والشكوك والمخاوف. ويمكن فهم هذه الكلمات في ضوء مجيء المسيح. إن نفوس المؤمنين تشتاق أن ترى الخلاص الذي شهد عنه الأنبياء (١ بط ١: ١٠)، وكلَّت عيونهم في انتظار رؤيته. لقد رآه إبراهيم من بعيد، كذلك فعل آخرون. ولكن من بُعد لا يُسمح برؤيته بوضوح. وقد صرخ داود «متى تعزيني». عندما تكل العيون فلا يجب أن يفشل الإيمان. «لأن الرؤيا بعد إلى الميعاد وفي النهاية تتكلم ولا تكذب» (حب ٢: ٣).

عدد ٨٣

تضرع داود إلى الله أن يسرع لتعزيته. «لأني قد صرت كزق في الدخان»، قِربة من الجلد، إذا ما علقت لمدة في الدخان لا تصبح سوداء فقط بغبار الدخان ولكنها تصبح جافة محمصة، ذابلة. وهكذا فإن داود أصبح منهكا بتقدمه في العمر ومرضه وحزنه.

كان داود ذا وجه جميل، ولكنه بدأ الآن يذبل، واختفى لونه وتجعد جلده كما تنكمش القِربة من الدخان وتلقى بعيدا ولا يرجى منها أي فائدة. هكذا كان داود في حالته المتدنية لا فائدة منه، يُنظر إليه كوعاء مكسور محتقر. ومع أن بلواه كانت كبيرة فإنها لم تثنه عن واجبه. ولذلك فإنه كان لايزال قريبا من وعد الله. «أما فرائضك فلم أنسها».

عدد ٨٤

يصلي داود ضد مضايقيه. لم يصلِ من أجل القوة لينتقم لنفسه (فلم يكن يحمل أي ضغينة لأحد)، بل أن يقوم الله بالانتقام لأجله. إن أيام آلامي كثيرة، انظر يا رب كم عددها. متى ستعود برحمتك إليَّ؛ لتقصر أيام اضطرابي.

عدد ٨٥- ٨٧

حالة داود هنا هي رمز لحالة كل من المسيح والمسيحيين المضطهدين. حزن وألم. مضطهدوه كانوا متعجرفين، وظالمين. لقد حفروا له حفرا مما يدل على أنهم كانوا يتعمدون ذلك في خططهم ضده. وفي هذا اظهروا عداءهم نحو الله نفسه. إن الحفر التي حفروها له كانت مضادة لشريعة الله. وهو يعني أنهم كانوا بدرجة كبيرة ضد شريعة الله التي تحرم صنع الشر للقريب.

وقد نصت الشريعة على أنه إذا حفر رجل حفرة سببت أي ضرر يجب أن يقدم تعويضا عن هذا الضرر (خر ٢١: ٣٣ و٣٤) ويكون التعويض أكبر إذا كان ذلك عن عمد. وداود يتضرع إلى الله أن يقف بجواره ويساعده. أعني لأنهم يضطهدوني، أعني في اضطراباتي حتى أحتملها في صبر. وفي الوقت المناسب ساعدني للخروج من متاعبي «أعني». إنها صلاة رائعة شاملة ومع الأسف يمكن أن تقال باستخفاف أو كمجرد كلمة.

عدد ٨٨

يصلي داود من أجل نعمة سماوية «حسب

رحمتك أحيني، فأحفظ شهادات فمك» وكان قد صلى قبل ذلك في آية ٤٠ «بعدلك أحيني». ولكن هنا يقول أحيني حسب محبتك. إن العلامة الأكيدة لرضا الله عنا هي عمله الصالح فينا.

« ل »

عدد ٨٩- ٩١

يعترف صاحب المزامير هنا بثبات كلمة الله وكل مشوراته. «إلى الأبد يا رب كلمتك مثبتة في السماوات». وكما في ترجمة أخرى «أنت هو هو إلى الأبد». أنت هو هو بلا أي تغيير وهذا هو الدليل. كلمتك والتي بها أسست السماوات فهي أبدية في كل مصنوعاتها الدائمة. «إلى دور فدور أمانتك»، وهو يعطي الدليل على ذلك بثبات قوانين الطبيعة. «أسست الأرض فثبتت». وذلك بفضل وعود الله لنوح كما جاء في تكوين ٨: ٢٢ «مدة كل أيام الأرض: زرع وحصاد، وبرد وحر، وصيف وشتاء، ونهار وليل، لا تزال». وهنا نلاحظ النهج الثابت. إن كل الخلائق موجودة في أماكنها، طبقا لقدراتها. نافعة لخالقها وتحقق الهدف من خلقها. وهل يكون الإنسان هو الوحيد المتمرد، والثائر على الله، بل والعبء غير المفيد على الأرض؟

عدد ٩٢

كان داود في محنة ومستعد أن يموت في حزنه. ربما لا يصل الأمر إلى الموت بقدر ما يحتمل أن يصل إلى اليأس. فهو لذلك يُقدر صلاح الله نحوه، أنه حفظ نفسه وممكن أن يبقى قريبا من إلهه ولم يبتعد عن تدينه. كانت شريعة الله لذته في محنته. وقد هيأت له ينبوع عزاء دائم. وكانت تأملاته فيها تعطيه تسلية مبهجة في وقت الحزن والوحدة. إن الكتاب المقدس هو الرفيق الحسن في أي وقت.

عدد ٩٣

أن أعظم دليل على محبتنا لكلمة الله هو ألا ننساها أبدا. ونجد هنا أفضل علاج للذكريات السيئة، إنها المشاعر الطيبة.

عدد ٩٤

يعلن داود عن علاقته بالله «لك أنا».. أي مكرس لك وأنت تمتلكني. أنا في عهد معك. وهو يثبت ما يقول: لأني طلبت وصاياك. هذا هو البرهان الحقيقي على أننا ملك لله.

عدد ٩٥

يشتكي داود من شر أعدائه ويعزي نفسه بكلمة الله التي فيها خمايته. بينما يتفكر الأشرار في إهلاكي أفكر أنا في شريعتك التي تضمن لي الخلاص.

عدد ٩٦

يشهد داود أنه «لكل كمال رأيت حدا» يا له من كمال ناقص ذاك الذي يرى له الإنسان حدا. ومع ذلك فهذا حال كل الأشياء التي في هذا العالم والتي تسعى نحو الكمال. فقد رأى داود في أيامه جليات الجبار يسقط. وعسائيل أسرع رجل يسبقه آخر، وأخيتوفل أحكم الحكماء ينظر إليه على أنه غبي. أبشالوم الجميل يتشوه. وبالاختصار فقد رأى حدا لكل كمال. إن مجد الإنسان مثل زهر الحقل. «أما وصيتك فواسعة جدا». إن كلمة الله تصل إلى كل الحالات وفي كل الأوقات.

« م »

عدد ٩٧

إن محبة داود لكلمة الله لا يعبر عنها «كم أحببت شريعتك» إنه لم يحب فقط المواعيد ولكنه أحب الشريعة. وكان يسر بها في الإنسان الباطن. إن ما نحبه نحب أن نفكر فيه. ولهذا فقد ظهر أن داود أحب كلمة الله حتى صارت موضع تأمله ولهجه اليوم كله.

عدد ٩٨- ١٠٠

هذا بيان عما تعلمه داود. في شبابه كان يدير أموره في الريف كراعي غنم، وبعد مرحلة الشباب عمل في بلاط الملك ومعسكر الجيش، ترى في أي طريق منها يحصل على هذا الكم الكبير من المعرفة؟

لقد أخذه من الله نفسه مصدر كل تعليم، «وصيتك جعلتني» حكيما. لقد تعلم من كلمة الله، ووصاياه وشريعته. إن الرجل الصالح أينما يذهب يحمل الكتاب المقدس معه إذا لم يكن بين يديه ففي رأسه وفي قلبه. إن أحسن طريقة لنتطور في المعرفة أن نتمسك في كل الأحوال بالتقوى الحقيقية، لأنه إن شاء أحد أن يعمل مشيئة الله فإنه سيعرف تعليم المسيح ويعرف الكثير والكثير منه (يو ٧: ١٧). إن معرفة الحق تهيئ الإنسان للاستنارة. وأنقياء القلب سيرون الله هنا. إنه يتفوق على أعدائه ويحبط مؤامراتهم. بل يتفوق على معلميه ولديه فطنة أكثر من جميعهم.

ربما يقصد هنا معلميه عندما كان شابا. فقد بنى نفسه جيدا على الأساس الذي وضعوه في ضوء كلمة الله. أصبح قادرا أن يعلمهم. هذا لا يعني تحقيرا لمعلِّميه، لكنه شرف لهم أن يتقدم ويتفوق عليهم. لقد تفوق علي الشيوخ سواء كانوا في أيامه أو أولئك الذين سبقوه. وبالاختصار فإن الكلمة المكتوبة هي المرشد الأمين إلى السماء أكثر من كل العلماء والمعلمين والقدماء في الكنائس. إن الكتابات المقدسة المحفوظة، والمدونة ستعلمنا حكمة أكثر من كل كتاباتهم.

عدد ١٠١

كان داود حريصا أن يتجنب طرق الشر والخطيئة. عن كل طريق شر كانوا على استعداد أن ينزلقوا فيه منعت رجلي. لقد راجعت نفسي، وانسحبت حال ما عرفت أني سأدخل في تجربة. إن امتناعه عن الخطية كان دليلا على أنه استهدف بضميره أن يحفظ كلمة الله، وعمل على أن تكون هي الدستور الذي يسير بمقتضاه.

عدد ١٠٢

استمر داود في التمسك بديانته. لم يحد عن أحكام الله. لم يختر أي دستور آخر غير كلمة الله، ولم يتعمد أن يحيد عن هذه القاعدة. إنها لنعمة سماوية في قلبي مكنتني من تقبل هذه الوصايا.

عدد ١٠٣ و١٠٤

لنتأمل ما شعر به داود من السرور والبهجة في كلمة الله. «ما أحلى قولك لحنكي أحلى من العسل لفمي». هناك ما نسميه التذوق الروحي. تذوق داخلي وخاص للأمور الإلهية. إن كلمة الله ساعدت على أن يكون فكره سليما «من وصاياك أتفطن» حتى يميز بين الحق والباطل، والخير والشر، حتى لا يخطئ، سواء في سلوكه في حياته الخاصة، أو في نصحه للآخرين. لأني قد فهمت الحق لذلك «أبغضت كل طريق كذب»، وقد قررت بقلب ثابت ألا أرجع إلى تلك الطرق.

« ن »

عدد ١٠٥

ما هي طبيعة كلمة الله، والقصد الكبير في إعطائها للعالم. إنها سراج ونور. إنها تكشف لنا أشياءً عن الله وعن أنفسنا لا نستطيع أن نعرفها من تلقاء ذواتنا. إن الوصية هي سراج يظل مشتعلا بزيت الروح. إنها تشبه المصابيح في القدس وعمود النار لإسرائيل.

لا يجب أن تكون فقط نورا تتمتع به عيوننا، ولكن سراج لأرجلنا، ونور لسبيلنا؛ لتوجيهنا في اختيار طريقنا عموما، وفي الخطوات المحددة التي نخطوها في هذا الطريق.

عدد ١٠٦

إن فكرة داود عن الدين أنه حفظ أحكام بر الله. إن وصايا الله هي أحكامه.. إنه حسن لنا أن نتقيد بعهد جاد لنكون متدينين. يجب أن نقسم لله كرعاياه. نقسم بالولاء لمليكنا واعدين بالإخلاص، ومعربين لله عن إخلاصنا لهذا الوعد.

عدد ١٠٧

كان داود يعمل تحت تأثير كثير من الأمور غير المشجعة. فهو يلجأ لله في هذه الحالة، ويصلي: «يا رب، أحيني». أبهجني.. اجعل المصاعب وسيلة تحفزني لمزيد من المثابرة في جهادي.

عدد ١٠٨

أن ما يصلي داود من أجله بحرارة هو قبول الله «مندوبات» فمه أي صلواته وتشكراته. إن صلواتنا وتشكراتنا يجب أن تفيض من قلوبنا بسرور وبوفرة. ولأننا نقدمها بإرادتنا فإنها مقبولة.

عدد ١٠٩ و١١٠

كان داود في خطر فقدان حياته. إنها خطوة واحدة بينه وبين الموت. لأن الأشرار وضعوا له فخا. لقد فعل شاول هذا عدة مرات لأنه كان يكره داود لتقواه. وما لم يستطيعوا عمله بالقوة المباشرة كانوا يأملوا أن يحققوه بالخداع مما جعل داود يقول «نفسي دائما في كفي». في خضم عنايته بسلامته الشخصية كان هناك مكان في رأسه وقلبه لكلمة الله. لقد ظلت حية جديدة دائما في فكره وعندما تسكن بغنى فإنها تصبح ينبوعا لماء حي.

عدد ١١١ و١١٢

إن صاحب المزامير يعزم أن يتمسك بكلمة الله وأن يعيش ويموت بحسبها.

شهاداتك (حقائق الكلمة ومواعيدها) هي ميراثي إلى الدهر؛ لأنها بهجة قلبي. لقد توقع سعادة أبدية في شهادات الله. إن العهد الذي قطعه الله معه كان عهدا أبديا ولذلك فقد اعتبره ميراثا أبديا. لقد عزم أن يجعل شهادات الرب تحكم تصرفاته «عطفت قلبي لأصنع فرائضك» إن الراغبين في الحصول على بركات وصايا الله يجب أن يضعوا أنفسهم تحت قيود أحكامها.

« س »

عدد ١١٣

كان داود يخشى ثورات الخطية وبدء ظهورها. «المتقلبين أبغضت»، أو في ترجمة أخرى «كرهت الأفكار الباطلة». ومع أن داود لا يقدر أن يقول إنه خال من الأفكار الباطلة إلا أنه يقول أنه يكرهها. إنه لم يشجعها ولم يعطها أي قبول. ولكنه فعل ما في وسعه لتبقى بعيدا. ولكن «شريعتك أحببت» والتي تمنع هذه الأفكار الباطلة، وتنتهرها. كلما أحببنا شريعة الله أكثر أمكننا السيطرة على أفكارنا الباطلة أكثر، وصرنا أكثر كراهية لها.

عدد ١١٤

عندما طارد شاول داود كان يذهب إلى أماكن آمنة ليحتمي بها. وفي الحرب كان يحمي نفسه بمجنه. والآن فقد أصبح الله مخبأ ومجنا له. يختبئ فيه فيحفظه من الخطر، ومجن يحفظ حياته من الموت، ونفسه من الخطية.

عدد ١١٥

«فأحفظ وصايا إلهي». لقد عزم على ذلك بشجاعة كقديس، وجندي، لأن الشجاعة الحقيقية عبارة عن قرار ثابت ضد كل خطية، واستعداد للقيام بكل الواجبات. إن أولئك الذين يعزمون على حفظ وصايا الله يجب ألا يكون لهم أي عشرة مع الأشرار. لأن المعاشرات الرديئة هي عقبة كبرى لحياة مقدسة. لا يجب أن نختار أناسا أشرارا لصحبتنا (مز ١: ١)، (انظر أفسس ٥: ١١)

عدد ١١٦ و١١٧

يصلي داود من أجل النعمة التي تسنده. وقد طلب هذه النعمة الكافية من الله مرتين: «اعضدني»، ثم مرة أخرى «أسندني». وهو يرى نفسه ليس فقط غير قادر أن يقوم بواجبه، ولكن في خطر من الوقوع في الخطية إلا إذا مُنع من ذلك بنعمة إلهية. إننا لا نقدر أن نقاوم دون سند من الله، ولا يمكن أن نتقدم إلا إذا سرنا معه.

إن الذين يضعون رجاءهم في كلمة الله يجب أن يثقوا أن الكلمة لن تخذلهم، ولذلك فرجاؤهم لن يجعلهم يخجلون.

عدد ١١٨ – ١٢٠

حكم الله على الأشرار، على أولئك «الضالين» من فرائضه. الذين لا يريدون الله أن يملك عليهم. والآن لننظر كيف يتعامل الله معهم حتى لا نخشاهم ولا نحسدهم. «كزغل عزلت كل أشرار الأرض». إن الأشرار يشبهون الزغل. الذي ربما يكون مخلوطا

بخامة جيدة لمعدن نفيس ويبدو أنه من نفس مادتها إلا أنه يجب أن يُفصل عنها. إن الله يعزلهم لأنهم ضالون عن أحكامه، ولأن خداعهم بلا جدوى. وذلك لأنهم يخدعون أنفسهم بوضع أحكام زائفة في تحد لأحكام الله. ولأنهم يسعون لخداع آخرين بمظاهر كاذبة. إن داود يخشى غضب الله، «قد اقشعر لحمي من رعبك». بدلا من تأنيب أولئك الذين تحت غضب الله فإنه جزع من أحكام الله.

« ع »

عدد ١٢١ و٢٢١

إن داود لم يخطئ. ويمكن أن يقول بحق، «أجريت حكما وعدلا». لقد عقدت عزمي أن أعطي كل ذي حق حقه، ولا أضيع حق أي إنسان سواء باستخدام القوة أو الخداع. إنه يعرف أنه لا يقدر أن يقوم بدوره جيدا من تلقاء نفسه، لذلك فهو يتضرع أن يظهر الله له. إن المسيح هو ضماننا عند الله. وإذا كان هو كذلك فإن العناية الإلهة ستكون ضماننا ضد كل العالم.

عدد ١٢٣

لأن داود كان مضهدا فهو هنا ينتظر ويرجو خلاص الله. وليس أمامه إلا أن يعتقد أنه سيأتي لكن ببطء. وفي بعض الأحيان كان على وشك أن ييأس وأن يعتقد ذلك. فمادام الخلاص لم يأتِ عندما طلبه فإنه لن يأتي على الإطلاق، حتى لو أعيننا كلَّت فإن كلام الله لا يسقط أبدا. لذلك فكل من يبني على هذا الكلام ولو كان يشعر بالإحباط، فسيرى خلاصه في الوقت المناسب.

عدد ١٢٤ و١٢٥

توسل داود ليحصل على التعليم الإلهي. «فرائضك علمني» اجعلني أعرف كل واجبي. في الأوقات الصعبة يجب أن نرغب أكثر في معرفة ماذا يجب علينا أن نفعل أكثر مما ننتظر حدوثه، كما يجب أن نصلي أكثر لكي نقاد إلى معرفة الوصايا الكتابية، ونفهم النبوات. وهو يطلب الله بناء على علاقته به «عبدك أنا» ولديَّ عمل أقوم به لك. لذلك هبني بصيرة لأعمله جيدا.

عدد ١٢٦

هذه شكوى عن جُرأة الأشرار عديمي التقوى، ورغبة في أن يظهر الله لإثبات مجده وجلاله. «إنه وقت عمل للرب». وقت لأن تعمل شيئا يا رب لأجل تقييد فعال للملحدين، وإسكات أولئك الذين يطلقون ألسنتهم ضد السماوات. يرى البعض أن الآية تعني (إنه وقت للعمل لك يا رب) إنه وقت لكل شخص في موقعه أن ينضم إلى جانب السيد الرب ضد انتشار التجديف والفجور.

عدد ١٢٧ و١٢٨

يعلن داود هنا كما في أجزاء كثيرة من هذا المزمور حبه العظيم لكلمة وشريعة الله. حيث يرى داود أن كلام الله فيه تسديد لكل الاحتياجات أكثر مما يفعل المال؛ لأنه يغذي النفس في علاقتها مع الله. لذلك فقد أحبه أكثر من الذهب، لأنه فعل معه ما لم يقدر الذهب أن يفعله، وأنه سيقف معه في ثبات عندما يخذله غنى العالم.

« ف »

عدد ١٢٩

إن كلمة الله تقدم لنا إعلانات رائعة عن الله والمسيح، وعن عالم آخر. كما تقدم لنا براهين رائعة عن محبة الله ونعمته. ونجد أن عظمة الأسلوب ونقاء الموضوع، وتوافق الأجزاء كلها أمور رائعة. وتأثيراتها عظيمة في ضمائر البشر لإقناعهم، ولراحتهم.

عدد ١٣٠

إن أكبر فائدة أُعطيت من أجلها كلمة الله، أنها تعطي نورا أي تعطي فهما، و«فتحُ كلامك (كلام الله) ينير». إذا بدأنا من البدء، سنجد أن كلمة الله في أول أعداد الكتاب المقدس تعطينا رؤى مدهشة ومقنعة عن أصل الكون، وسنجد أننا بدأنا نرى عندما بدأنا في دراسة كلمة الله. يرى البعض أن المقصود هو العهد

الجديد الذي هو كشف وشرح العهد القديم والذي يعطي ضوءًا عن الحياة والخلود. إن كلمة الله ترينا الطريق إلى السماء واضحا جدا حتى إن «مَنْ سلك في الطريق حتى الجهال لا يضل» (إش ٣٥: ٨).

عدد ١٣١

عندما يتصور المسيح في نفوسنا نشعر بالشوق إلى الكلمة. فغرت فمي ولهثت مثل إنسان منهك من الحرارة، يكاد يختنق. يلهث من أجل نسمة هواء نقي.

عدد ١٣٢

يترجى داود رحمة الله «التفت إليَّ وارحمني». ما أعظم تواضعه في هذا الطلب. فهو لا يطلب أعمال يد الله القوية، ولا يسأل امتيازات شخصية تعطيه استحقاقا لكنه يلتمس رحمة. يا رب أنا واحد من محبي اسمك، أحبك وأحب كلامك وأنت طيب لكل محبيك. إن معاملات الله مع الذين يحبونه رائعة حتى إنهم لا يرغبون في أفضل منها (١٠: ١٣)

عدد ١٣٣

في هذا العدد نجد داود متحمسا – كما في العدد السابق لعمل الله الصالح وإحساناته من نحوه. «ثبت خطواتي في كلمتك» أما وقد قدتني في الطريق الصحيح، اجعل كل خطوة أخطوها في هذا الطريق تكون تحت إرشاد نعمتك. «لا يتسلط عليَّ إثم» حتى لا أصبح عبدا له.

عدد ١٣٤

يصلي داود أن يعيش حياة هادئة مسالمة، وألا يتعرض لمضايقات أو إزعاج من أولئك الذين سعوا أن يكونوا مصدر إغاظة. دعني أتحرر من أيدي أعدائي حتى «أحفظ وصاياك» بسرور.

عدد ١٣٥

يلقب داود نفسه هنا بلقب عبد الله. وهو لقب يعتز به مع أنه كان ملكا. إنه يطمح في مزيد من محبة سيده باعتبارها سر سعادته «أضِئ بوجهك على عبدك». دعني أكون مقبولا لديك وأن أعلم أني كذلك؛ حتى وإن عبست الدنيا في وجهي فإنك تبتسم لي.

عدد ١٣٦

كان داود حزينا لدرجة أنه يبكي «جداول مياه جَرت من عيني» طالبا العزاء من وجه الله (ع ١٣٥). وهو يدَّعي الآن أنه كان أهلا لهذا العزاء وفي حاجة إليه. لأنه كان واحدا من الحزانى في صهيون (إش ٦١: ٣).

لقد بكى لا من أجل همومه، مع أنها كانت كثيرة، ولكن من أجل إهانة الله، «لأنهم لم يحفظوا شريعتك». إنهم أعدائي (ع ١٣٩).

« ص »

عدد ١٣٧ و١٣٨

بر الله: إن الله يُسير العالم بعنايته الإلهية طبقا لمبادئ العدل. ولم ولن يفعل، أي ضرر لأي من مخلوقاته. إنه يعمل بالعدل لأنه بار وكذلك تتطلب منا شرائعه أن نسلك بالبر مثله. حتى نكون عادلين مع أنفسنا ولكل مَنْ نتعامل معهم، صادقين في التزاماتنا التي نتعهد بها لله وللناس.

عدد ١٣٩

الازدراء الكبير الذي يظهره الأشرار للدين. «أعدائي نسوا كلامك» لقد اعتبر داود الذين تجاهلوا كلمة الله أعداءه؛ لأنهم كانوا أعداء الدين لذلك فإن غيرته أكلته عندما شاهد عدم تقواهم. إن الغيرة ضد الخطية تلزمنا أن نفعل ما نستطيع ضدها في أي مكان نوجد فيه، وعلى الأقل في عبادتنا.

عدد ١٤٠

إن كل رجل صالح –باعتباره عبدا لله– يحب كلمة الله؛ لأنها تجعله يعرف إرادة سيده، وتوجهه في خدمة سيده.

عدد ١٤١

اختار الله جهال العالم (١كو ١: ٢٧) بل المحتقرون. إن داود فقير لكنه تقي، ولن يتنازل عن تدينه، مع أنه قد عرضه للتحقير لأنه كان يعلم أن هذا التحقير كان يقصد به اختبار مدى ثباته على مبادئه.

عدد ١٤٢

إن كلمة الله هي الناموس، وهذا الناموس حق، نحن خلائق عاقلة وعليه يجب أن نُحكم بالحق. فإن كانت المبادئ الأساسية حق فإن التطبيق يجب أن يكون ملائما لها، وإلا فإننا لا نتصرف منطقيا. نحن خلائق ومن ثَم فنحن رعايا. وبالتالي فخالقنا هو الذي يحكمنا. ومهما يأمر فإننا يجب أن نطيع ونعتبر أوامره قانونا. والحق هو الذي يحكم كل تحركات البشر. ولكن لئلا تضعف السلطة بضعف الجسد لذا أُعطي القانون ليحد الإرادة ويخضعها.

عدد ١٤٣ و١٤٤

وجد داود نفسه ليس ذليلا فقط بل يائسا لأقصى صورة في هذا العالم. «ضيق وشدة أصاباني».. ضيق في الخارج وشدة في الداخل. «أما وصاياك فهي لذاتي».. توجد نوعيات من اللذات في كلمة الله والتي استمتع بها القديسون عندما كانوا في شدة وضيق. (٢كو ١: ٥). إنه لا يقول أعطني رؤية مستقبلية بل يقول أعطني فهما أعمق.

« ق »

عدد ١٤٥ و١٤٦

صلوات داود الصالحة: لقد صرخ من كل قلبه. يمكننا أن ننجح إذا صارعنا وجاهدنا في الصلاة. لقد صرخ إلى الله. وأين يجب أن يذهب الطفل إلا لأبيه إذا أصابه أي ألم؟ إن أعظم شيء صلى من أجله داود هو الخلاص: «خلصني» يجب ألا يرغب في أكثر من خلاص الله، والأمور المختصة به (عب ٦: ٩).

عدد ١٤٧ و١٤٨

إن رجاء داود في كلمة الله شجعه أن يستمر في صلاته بإلحاح بالرغم من أن الاستجابة لم تأتِ في الحال. «كلامك انتظرت» لقد وضعت رجائي في كلامك. الذي أعلم أنه لن يخذلني. كلما لهجنا في كلام الله بإخلاص، وكلما عاش في عقولنا وأفكارنا، كنا قادرين أكثر أن نتحدث إلى الله. إن قراءة الكلمة فقط لا تفيد لكن لابد أن نتأمل فيها. كان داود يبدأ يومه مع الله، كان أول ما يعمله في الصباح قبل البدء في عمله اليومي هو أن يصلي. إذا كانت أفكارنا في الصباح تنحصر في الله فإنها ستساعدنا أن نظل في مخافته اليوم كله. وحتى عندما كان يصحو في الليل. فإنه كان يلهج في كلمة الله ويصلي قبل أن يعود للنوم مرة أخرى.

عدد ١٤٩

يطلب داود من الله بكل جدية أن يمنحه النعمة والتعزية «يا رب... أحيني» حرك حياتي لكل ما هو صالح. واجعلني قويا ونشيطا ومبتهجا في حياتي. اجعل النعمة تتحول إلى فعل وعمل.

عدد ١٥٠ و١٥١

كان داود في خطر من أعدائه، كانوا يتبعونه عن قرب فكان على وشك الوقوع بين أيديهم. «اقترب التابعون».. كانوا في أعقابه. في بعض الأحيان يسمح الله للمضطهدين أن يقتربوا جدا من شعبه حتى قال داود «إنه كخطوة بيني وبين الموت» (١صم ٢٠: ٣). لكن ما يسعد القديسين أنه عندما تقترب منهم الشدائد يكون الله قريبا، ولا تستطيع الشدائد أن تفصل بينه وبينهم. الرب ليس ببعيد عمن يطلبونه لكنه قريب من أي نداء (انظر تثنية ٤: ٧).

عدد ١٥٢

هذا يصدق على ما جاء بالعدد السابق «كل وصاياك حق» وهو يعني أي الوعد الذي أعطاه الرب لآلاف الأجيال. إن المواعيد ثابتة إلى الدهر. حتى إذا فنيت السماء والأرض فإن كل همسة صغيرة من الوعد ستبقى ثابتة (٢كو ١: ٢٠). وقد تعلم داود «منذ زمان» من أيام شبابه بل منذ بدأ أن يتكل على الله، أن كلمة الله هي التي يضع فيها الإنسان كل ثقته.

« ر »

عدد ١٥٣ و١٥٤

كان داود يتطلع نحو عطف الله ويصلي «انظر إلى ذلي» كما كان يتطلع نحو قوة الله ويصلي «انقذني» وافدني، ويتطلع نحو بر الله ويصلي «أحسن دعواي». واجعلني من رعاياك. ثم يتوجه أيضا إلى نعمة الله ويصلي: «احيني» انهضني يا رب وامنحني تعزية إلى أن تأتيني بالنجاة.

عدد ١٥٥

كيف يتوقع هؤلاء الأشرار أن ينجحوا في طلب محبة الله عندما تحيق بهم المصائب، مع أنهم لم يلجأوا أبدا لوصاياه عندما كانوا يعيشون في يسر ورخاء؟ فالخلاص الأبدي بعيد عنهم. إنهم أبعدوه عنهم بإبعاد المخلص عنهم. إنه بعيد جدا عنهم حتى أنهم لا يقدرون أن يصلوا إليه. وكلما استمروا في الخطية أكثر كلما بعدوا عنه أكثر.

عدد ١٥٦

تكلم داود في آية ١٥٥ عن تعاسة الأشرار. ولكن مع ذلك فالله صالح. وكانت هناك مراحم صادقة في الله كان يمكن أن تخلصهم لو لم يحتقروا غنى هذه المراحم.

عدد ١٥٧

لما كان داود شخصية عامة فقد كان له أعداء كثيرون، وفي نفس الوقت كان لديه أصدقاء كثيرون يحبونه ويتمنون له الخير. وهو يشبه في هذا المسيح وكنيسته فأعداؤهما كثيرون. إن الإنسان المستقيم في علمه، مع أنه يمكن أن يكون له أعداء كثيرون فإنه لا يخاف أحدا.

عدد ١٥٨

ينظر داود إلى الخونة باشمئزاز. وكم أحزنه أن يراهم يهينون الله ويحترمون الشيطان. يدنسون العالم. ويحطمون أنفسهم.

عدد ١٥٩

لا يقول داود: انظر إني أتممت وصاياك إذ أنه كان يدرك أنه لم يمكنه ذلك في أشياء كثيرة. لكنه يقول «انظر أني أحببت وصاياك». إن طاعتنا ترضي الله وترضينا، فقط إذا كان أساسها المحبة.

عدد ١٦٠

يعزي داود نفسه هنا بأمانة كلمة الله «رأس كلامك حق، وإلى الدهر» أو كلامك كله حق. منذ بدأ الله يعلن نفسه إلى بني البشر فكل ما قاله حق ويجب أن نصدقه. وقد بُنيت الكنيسة منذ نشأتها على هذه الصخرة. إنها لم تكتسب شرعيتها بمرور الأيام، ولكن على أساس كلام الله الذي هو حق منذ البداية. لقد تأسست كنيسته على أساس ثابت وستظل أمينة إلى الأبد.

« ش »

عدد ١٦١

كان الاضطهاد من نصيب عدد كبير من أفضل الناس. وتكون الحالة أسوأ إذا كان الحكام هم الذين يضطهدون، لأنه لديهم ليس فقط السيف ولكن لديهم القانون إلى جانبهم. ويمكن أن يفعلوا ما يريدون مدَّعين العدل. وإنه مما يدعو للأسى أن السلطة التي يستمدها الحكام من الله، والتي يجب أن تستخدم لصالحه، تستخدم دائما ضده. لم يعمل داود أبدا على إثارتهم. لقد أرادوا أن يجعلوني أقف في خشية منهم ومن كلامهم، ولكن «من كلامك جزع قلبي». وقد عزمت أن أُرضي الله، واتفق معه مهما غضبوا مني أو لم يتفقوا معي.

عدد ١٦٢

لقد قال داود للتو أن قلبه يفزع من كلام الله، ولكنه يصرخ هنا أنه مبتهج به. كلما زاد احترامنا لكلمة الله ازداد فرحنا بها.

عدد ١٦٣

إن الحب والكراهية هما العاطفتان اللتان تواجهان

النفس. فإذا وضعتا في المكان الصحيح فإن البقية تسير بالتبعية. وهنا نجدهما في مكانهما الصحيح عند داود.

(١) كانت لديه كراهية متأصلة ضد الخطية. لم يكن يقدر أن يستمر في التفكير فيها «أبغضت الكذب وكرهته». وهذا ما يمكن تطبيقه على كل خطية. فالرياء كذب والعقائد الزائفة كذب. ونقض العهد كذب. والكذب في أعمال التجارة أو في الحديث هو خطية يكرهها كل رجل صالح.

(٢) كان لداود عاطفة متأصلة لكلام الله. «أما شريعتك فأحببتها». وسبب محبته لشريعة الله هو أنها صادقة.

عدد ١٦٤

كثيرون يظنون أن التسبيح مرة في الأسبوع يكفي، أو مرة أو مرتين في اليوم. ولكن داود يسبح الله سبع مرات في اليوم على الأقل. يجب أن نشكر الله عند كل وجبة نتناولها. كما نشكر على كل شيء. يجب أن نقدم الحمد لله من أجل وصاياه، ومواعيده. حتى في أحزاننا فإننا بالنعمة نحصل على تعزيات من خلالها.

عدد ١٦٥

إن الناس الأفاضل الذين يلتزمون بمبدأ محبة كلمة الله يعيشون في سلام، ولديهم صفاء روحي. ولا يوجد مَنْ يتمتع أكثر منهم. ربما يكونون في ضيقات خارجية كثيرة ولكنهم يتمتعون بسلام كبير في داخلهم. وفيض من نور أبدي، «وليس لهم معثرة».

عدد ١٦٦

نجد هنا كل ما هو مطلوب من الإنسان: مراعاة أن محبة الله هي أفضل ما نترجى. «رجوت خلاصك يا رب»، وأن نجعل نصب أعيننا كلمة الله كقانون لحياتنا. «ووصاياك عملت».. إن الله قد جمع الوصيتين معا في عدد واحد ولن يفرقهما إنسان، حيث إننا لن نقدر بالنوايا الطيبة أن نأمل في خلاص الله إلا إذا أعددنا أنفسنا لأن نعمل وصاياه (رؤ ٢٢: ١٤).

عدد ١٦٧ و١٦٨

إن محبتنا لله يجب أن تكون أعظم من أي محبة أخرى. ويجب أن تكون محبة منتصرة. لدرجة أنها تقهر وتكبح شهواتنا. إن الرياضة البدنية نافعة لقليل لحياتنا الروحية لكن نحتاج أن نحيا هذه الحياة من كل القلب وإلا فلن نفيد منها شيئا.

« ت »

عدد ١٦٩ و١٧٠

إن جل اهتمام داود أن تصل صلاته أمام الله، وأن يتمتع بالنعمة، وقوة الإيمان والحماس، لكي يرفع صلاته، وألا يقف أي إثم حاجزا يفصل بينه وبين الله، فلا تسمع صلاته أمام الله، وأن الله بنعمته يقبل صلواته ويهتم بها.

عدد ١٧١

يتوقع داود من الله معروفا كبيرا وهو أن يُعلمه وصاياه. وقد صلى داود من أجل ذلك كثيرا في هذا المزمور. والآن وهو يقترب من نهاية المزمور. فإنه يتكلم عن ذلك كأنه أمر مُسلَّم به «تُنبعُ شفتاي تسبيحا إذا علمتني فرائضك». عندئذ سيكون لديه سبب يسبح الله لأجله ثم سيعرف كيف يسبح الله بحماس وثقة.

عدد ١٧٢

كلما تعرفنا أكثر على وصايا الله ثابرنا أكثر على تعريف الناس بها. يجب أن نجعل كلمة الله دائما هي التي تحكم أحاديثنا حتى لا نخالفها بقول خاطئ، أو صمت آثم. ويجب أن نجعلها دائما الموضوع الرئيسي لأحاديثنا حتى يمكن أن نشبع الكثيرين، ونعطي نعمة لمن يسمعونها.

عدد ١٧٣ و١٧٤

يصلي داود أن تعمل النعمة الإلهية معه «لتكن يدك لمعونتي». وهو ينظر إلى أعلى نحو الله راجيا أن اليد التي صنعته تساعده، لأنه إذا لم يساعده الله، كيف يقدر أي مخلوق أن يساعده؟ وهو يلتمس

أشياء ثلاثة:

(١) أن تكون الحياة الروحية اختياره الجاد «اخترت وصاياك».

(٢) أن يتجه قلبه نحو السماء «اشتقت إلى خلاصك».

(٣) أنه يشعر باللذة في القيام بواجبه «شريعتك هي لذتي».

عدد ١٧٥

«لتحيَ نفسي» فإن هذا يمكنني من أن أسبح الله هنا في هذا العالم.. عالم الصراعات والمقاومات «لتحيَ نفسي» أي دعني أكون مقدسا متقويا ومتعزيا؛ لأن القداسة والعزاء هما حياة النفس، حتى يمكن أن أسبحك.

عدد ١٧٦

كما أن الخطاة غير المخلصين يشبهون الخراف الضالة (لو ١٥: ٤)، فإن القديسين الضعفاء وغير الثابتين يشبهون الخراف الضالة أيضا (مت ١٨: ١٢ و١٣).

نحن ميالون أن نضل مثل الخراف. ولكن إذا ما ضللنا لا نميل لأن نجد الطريق ثانية. يا رب ابحث عني كما كنت أبحث عن خرافي عندما كانت تضل. لأن داود كان هو نفسه راع رقيق القلب. يا رب اعترف بي كأحد رعاياك، لأنه ولو أني خروف ضال فإني على صورتك. وهكذا فإنه ينهي المزمور بالإحساس بالندم على خطيته الشخصية، وبإيمان يعتمد على نعمة الله.

المزمور المئة والعشرون

ترنيمة المصاعد

هذا المزمور هو الأول من مجموعة المزامير التي تحمل عنوان «ترنيمة المصاعد» والبعض يظن أنه كان يُسبح بها على الدرجات الخمس عشرة التي كانوا يصعدون عليها من الساحة الخارجية للهيكل إلى الداخل. والبعض الآخر يظن أنه كان يتغنى بها في مراحل متعددة أثناء رحلة الشعب في عودتهم من السبي. ويُفترض أن داود كتب هذا المزمور بمناسبة اتهام دواغ لداود والكهنة أمام شاول، لأن هذا المزمور يشبه المزمور ٥٢ والذي كتب في هذه المناسبة، ولأن صاحب المزامير يشكو من طرده من جماعة الله، وإرغامه للعيش مع البرابرة لذا:

أولا: يصلي إلى الله ليخلصه من الأذى المرسوم ضده بواسطة ألسنة كاذبة ومضللة (ع ١ و٢).

ثانيا: يهدد بأحكام الله ضد هؤلاء (ع ٣ و٤).

ثالثا: يشكو من جيرانه الأشرار الذين هم مصدر شجار وإغاظة له.

عدد ١ – ٤

وصل داود إلى حالة من الأسى بواسطة شفاه كاذبة، وألسنة غاشة فقد كان هناك مَنْ يسعى لتحطيمه، وكانوا على وشك النجاح في ذلك. كانوا يتملقونه حتى يتمكنوا أن ينفذوا مخططهم دون أن تحوم حولهم الشكوك.

كانوا يبتسمون في وجهه، ويقبلونه حتى عندما كانوا يقصدون أن يضربونه (في مقتل). وفي هذا فإن داود كان يشير إلى السيد المسيح الذي كان يتألم بسبب الشفاه الكاذبة والألسنة الغاشة. لقد تضرع إلى الله الذي يملك كل قلوب الناس بين يديه، ويقدر إذا أراد أن يلجم ألسنتهم. وكانت صلاته «يا رب نج نفسي من شفاه الكذب» وقد حصل على استجابة مجيدة لصلاته. دع الكاذبين يتأملون ماذا سيُعطى لهم.

إن الله سيعاقبهم بسهم، وفجأة سيصبحون جرحى. لقد وضعوا الله على مسافة بعيدة منهم، ولكن من بعيد ستصلهم سهامه التي ستضربهم بعمق في قلوبهم القاسية. إن غضبه يقارن بالفحم المحترق لشجرة «الرَّتم» والذي لا يشتعل بفرقعة مثل الأشواك تحت قدر، لكنه يعطي حرارة شديدة وتستمر نيرانه فترة طويلة، حتى ولو ظهر أنها انطفأت.

عدد ٥ – ٧

يشكو صاحب المزامير هنا من جيرانه الأردياء الذين أُقتيد إليهم، والبعض يربط العددين السابقين بما يليهما ماذا يفعل اللسان الغاش لأولئك الذين يكذبون علانية؟

ماذا سيعود على الإنسان بالسكن وسط هؤلاء

الخبثاء المضللين؟ لا شيء إلا سهام مسنونة وجمر الحطب. يقول داود: «ويلي لغربتي في ماشك، لسكني في خيام قيدار». ليس لأن داود أقام في دولة ماشك أو قيدار ولكن لأنه سكن بين أناس قساة مثل سكان ماشك وقيدار. وحينما كان مطرودا نظر إلى نفسه كغريب وليس في وطنه. إن الإنسان الطيب لا يمكن أن يعتبر نفسه في وطنه بينما هو بعيد عن تدبيرات الله. ما أشد حزن محبي الله أن يكونوا بعيدين عن وسائط النعمة والشركة مع الله. إنه يعيش في خيام قيدار، حيث السمعة السيئة للرعاة بسبب المنازعات، مثل رعاة إبراهيم ولوط. هؤلاء الذين عاش بينهم داود لم يكونوا يكرهونه فقط بل كانوا يكرهون السلام.

وربما كان بلاط شاول هو ماشك وقيدار الذي عاش فيه داود، وكان شاول هو الرجل الذي يعنيه شاول بكرهه للسلام. «أنا سلام».. أنا أحب السلام وأتبعه. أنا رجل السلام وأظهرت أني كذلك.

المزمور المئة والحادي والعشرون

ترنيمة المصاعد

يسمي البعض هذا المزمور بمزمور الجُندي. ويُظن أنه كتب في المحلة، عندما كان داود يخاطر بحياته في المرتفعات في الميدان. والبعض يسميه مزمور المسافر لأنه ليس فيه ما يشير إلى أخطار حربية. ويعتقد أن داود كتبه ليصف رفقة رجل صالح في سفر أو رحلة. أينما كنا مستقرين في بيوتنا أو مرتحلين فإننا معرضون للخطر أكثر مما نظن. وهذا المزمور يوجهنا ويشجعنا أن نشعر بالراحة والثقة في الله.

عدد ١ – ٨

يعلمنا هذا المزمور أن نجعل الله مصدر أماننا؛ لأن فيه كل الكفاية لنا. «هل أرفع عيني إلى الجبال؟» كما يفسرها البعض.. هل يأتي عوني من هناك؟ هل أتكل على قوة أرضية، أو على قوة الأمراء الذين يرفعون رؤوسهم نحو السماء في عجب وكبرياء؟ لا يمكن أن أتوقع معونة منهم. إن ثقتي في الله فقط! ويفسرها البعض الآخر على أنها: «علينا أن نرفع عيوننا فوق الجبال". يجب أن ننظر فيما وراء كل الوسائل والأدوات.. إلى الله نفسه صانع كل الأشياء. «معونتي من عند الرب» بالأسلوب الذي يراه، والوقت الذي يحدده. يجب أن نشدد ثقتنا في الله؛ لأنه هو خالق السماوات والأرض. ولما كان هو الذي خلقهما فله القدرة أن يفعل أي شيء. إن الله نفسه يحمينا «الرب حافظك» (ع ٥)، وأيضا يحفظ الكنيسة بشكل عام. فهو الملتزم أن يحفظ كل مؤمن. نفس الحكمة، ونفس القوة، ونفس المواعيد هي لك أيضا. فالله الذي يحفظ إسرائيل (ع ٤) هو الذي يحفظك (ع ٥). إن راعي القطيع هو الراعي لكل خروف في القطيع. وسيكون اهتمامه ألا يهلك أي خروف في القطيع حتى الخراف الصغيرة، إنه يحفظهما في يقظة وترقب. إنه حافظك، «إنه لا ينعس ولا ينام حافظ إسرائيل».

وهو لا يحفظ فقط الذين يرعاهم ولكنه ينعشهم. «الرب ظل» لهم: فهو دائما قريب من شعبه لحمايتهم وإنعاشهم، وهو ليس ببعيد عنهم أبدا. إنه ظل لهم، عن يمينهم، لذلك فهو ليس ببعيد عمن يبحث عنه. إن اليد اليمنى هي اليد التي تعمل. دعهم يؤدون واجبهم باتقان فسيجدون الله قريبا منهم ليساعدهم ويعطيهم النجاح (مز ١٦ : ٨). «لا تضربك الشمس في النهار، ولا القمر في الليل». إنه يحفظهم «ليلا ونهارا» (إش ٢٧ : ٣). وقد نفهم هذه الأعداد بصورتها هكذا:

لن يصيبك أذى سواء بهجوم أعدائك عليك بشكل ظاهر كأشعة الشمس، أو بمحاولاتهم السرية الغادرة مثل برودة الليل. «الرب يحفظك من كل شر».. من شر الخطية ومن شر أي اضطراب، وحتى الشيء الذي يقتل فلن يؤذي ولن يؤلم. المقصود هنا الحياة الروحية. خصوصا تلك التي يشملها بعنايته. «يحفظ نفسك».. إنه سيحفظنا في كل طرقنا. «الرب يحفظ خروجك ودخولك» ستكون تحت رعايته في كل رحلاتك وأسفارك، خارج الحدود أو في الداخل، سيحفظك في الحياة وفي الممات، في خروجك وانطلاقك في رحلة الحياة وإيابك عندما تحين الوفاة. في ذهابك لعملك في صباح أيامك، وعودتك للراحة في البيت في أمسيات عمرك المتقدم (مز ١٠٤ : ٢٣). إن عنايته ستدوم لنا من الآن وإلى الدهر.

المزمور المئة والثاني والعشرون

ترنيمة المصاعد. لداود

يبدو أن داود كتب هذا المزمور لخدمة شعب إسرائيل عند مجيئهم إلى أورشليم للعبادة في الأعياد الثلاثة المقدسة. كان ذلك في عهد داود عندما اختار الله أورشليم لتحمل اسم الرب.

أولا: الفرح الذي يبدو عليهم عند توجههم إلى أورشليم (ع ١ و٢).

ثانيا: التقدير الكبير الذي سينالونه من أورشليم (ع ٣، ٥).

ثالثا: الاهتمام الكبير الذي يكنُّونه لأورشليم، والصلوات التي سيرفعونها لأجل سعادة أورشليم (ع ٦ – ٩).

عدد ١ – ٥

إنه واجب علينا أن نعبد الله في بيوتنا. ولكن هذا لا يكفي، يجب أن نذهب إلى بيت الله لنعلن ولاءنا له هناك: «غير تاركين اجتماعنا» معا.

إن أولئك الذين يفرحون في الرب، يفرحون عند سماعهم الدعوة لخدمته.

إننا نتوقع من أصدقائنا عندما يكون في متناول أيديهم عمل صالح أن يدعونا معهم لمشاركتهم. أولئك الذين جاءوا من القرى، عندما شعروا أن الرحلة شاقة عزوا أنفسهم بأنهم قريبا سيصلون إلى أورشليم مما سيعوضهم عن كل التعب الذي لاقوه في رحلتهم.

إنها المدينة الجميلة ليس فقط بموقعها، ولكن بأبنيتها. فهي منسقة ومتصلة تساند بعضها بعضا. إنها تمثل كنيسة المسيح المترابطة معا في محبة مقدسة وشركة مسيحية في وحدة واحدة. إنها المدينة المقدسة (ع ٤) المكان الذي يجتمع فيه كل شعب إسرائيل، ويلتقون معا عندما تصعد الأسباط من كل أطراف المملكة إلى اجتماعهم العام، وقد حضروا معا ليسمعوا ما يقوله الله لهم (ع ٥). إنها المدينة الملكية. «لأنه هناك استوت الكراسي للقضاء». لأن هناك سار العدل برجل حسب قلب الله.

عدد ٦ – ٩

يدعو داود الآخرين ليسألوا سلامة أورشليم (ع ٦ و٧). «اسألوا سلامة أورشليم» لأجل سعادتها لأجل كل الخير لها. خصوصا من أجل اتحاد ساكنيها معا وأن يعم السلام والسعادة في كنيسة المسيح. وبالأخص في بلادنا. فإن هذه رغبة ينبغي أن يُصلي من أجلها كل واحد منا. إن الكلمات وضعت في أفواهنا (ع ٧) «ليكن سلام في أبراجك». لكل الساكنين عموما، وكل مَنْ بداخل أسوارك، من الوضيع إلى العظيم.

ليكن سلام في حصونك حتى لا يمكن مهاجمتها، ولكن إذا حدث فلا يمكن الاستيلاء عليها ولتكن حصون منيعة للمدينة. وليكن سلام في أبراج العظماء الذين يجلسون في مراكز القيادة وبيدهم توجيه الأمور. وهو يقرر أنه مهما يفعل الآخرون فإنه سيقول ليكن «سلام بك» دع الآخرين يُصلُّون للسلام العام، مثل الكهنة والأنبياء فهذا عملهم، وكذلك الشعب الذي ليس لديه أي عمل آخر ليعمله. لم يقل فقط أنا سأحارب لأجلها وسأحكم لأجلها، لا بل قال إني سأصلي لأجلها أيضا «من أجل إخوتي وأصحابي» أي من أجل كل الإسرائيليين ذوي القلوب الصادقة، الذين أنظر إليهم كإخوتي (كما تعود أن يدعوهم) (انظر ١أخبار ٢٨: ٢). والذين كثيرا ما كانوا رفقائي في عبادة الرب، وهذا الذي ربط قلبي بهم. إن اهتمامنا بالصالح العام يكون صحيحا إذا كان نابعا من حبنا الصادق لبيت الله والمتعبدين الأمناء فيه.

المزمور المئة والثالث والعشرون

ترنيمة المصاعد

كتب هذا المزمور في وقت كانت فيه جماعة الله في انحدار. يظن البعض أنه كتب عندما كان اليهود أسرى في بابل. ويبدأ صاحب المزامير كلامه كأنه يتكلم مع نفسه فقط (ع ١)، ولكنه يتكلم هنا باسم جماعة الله:

أولا: توقعهم الرحمة من الله (ع ١ و٢).

ثانيا: التضرع للحصول على الرحمة من الله (ع ٣ و٤).

عدد ١ – ٤

إن الصفة المذكورة هنا لله هي «يا ساكنا في السماوات». لقد علمنا الرب يسوع في الصلاة الربانية أن ننظر إلى الله باعتباره أبينا الذي في السماوات.

فإن السماء هي مكان التطلع إليه ومكان القوة، فإن مَنْ يسكن هناك يرى كل نكبات شعبه. ويمكن أن يرسل ليخلصهم. في كل صلاة نرفع أرواحنا، وعيوننا الروحية إلى الله خصوصا في وقت الشدة كما هو حادث هنا. إن أعيننا يجب أن تنتظر الرب؛ لأنه السيد، وهو إلهنا حتى يظهر لنا رحمته. وهذا يظهر هنا بطريقة مشابهة (ع ٢) أن أعيننا نحو الله، كعيون العبيد، وعيون الجواري نحو أيدي سادتهم. إن أعين الخادم تتجه مباشرة نحو يد سيده متوقعا أن يحدد له عمله. كما أن الخدم ينظرون إلى أسيادهم لأجل نصيبهم من الطعام في الوقت المناسب (أم ٣١: ١٥)، يجب أن نتطلع إلى الله من أجل خبزنا اليومي، للنعمة الكافية، فإذا فوجئ الخادم بمعارضة ما في عمله، أو سُئل عما يفعله، فمن الذي يتحمله ويوجهه نحو الصواب إلا سيده الذي كلفه بالعمل.

إن شعب الله عندما يتعرض للاضطهاد يجب أن يتضرعوا إلى السيد قائلين: إننا ملكُك خلصنا. تعرض الشعب للهوان فلمن يتوجهون إلا إلى الذي ضربهم (إش ٩: ١٣). إنهم يقدمون أنفسهم ويتضعون تحت يد الله القوية. فالخادم ينتظر أجرته مكافأة من سيده. إن المرائين يوجهون أنظارهم نحو أيدي العالم التي منها استوفوا أجرهم (مت ٦: ٢)، ولكن المسيحيين الحقيقيين يرفعون أعينهم نحو الله؛ لأنه هو الذي يكافئهم. إن الخطاب المتواضع الذي يتقدم به أبناء الله في المحن التي تصيبهم «ارحمنا يا رب إرحمنا» (ع ٣). إنهم يقدمون أحزانهم. لقد قاسينا كثيرا من السخرية. إن الهوان هو الجرح. البعض يفسرون الكلمات التي أمامنا هكذا: إن الذين امتلأوا هوانا واحتقارا هم المستريحون والمستكبرون. إن أنفسنا تضطرب عندما نرى كيف أن القديسين الأفاضل الذين يعيشون في سلام يُعنفون ويُحتقرون.

وإذا أخذنا الكلمات كما نقرؤها فإنهم مثل الأبيقوريين المستريحين، والمنغمسين في الشهوات الجسدية. إنهم يتعالون على أولاد الله ظانين أنهم يعظمون أنفسهم بالحط من قدر أولاد الله.

المزمور المئة والرابع والعشرون

ترنيمة المصاعد. لداود

نعتقد أن داود كتب هذا المزمور في إحدى مناسبات خلاص الله لداود وشعبه. وأيا كانت المناسبة فإن داود كان يبدو متأثرا بها، وله رغبة شديدة أن يجعل الآخرين يقدِّرون صلاح الله، الذي يصنع لهم طريقا للنجاة.

أولا: فهو هنا يضخم عظم الخطر الذي كانوا فيه (ع ١ – ٥).

ثانيا: ويمجد الله على نجاتهم (ع ٦ و٧) بالمقارنة (ع ١ و٢).

ثالثا: وهو يستلهم الشجاعة من ذلك ليضع ثقته في الله (ع ٨).

عدد ١ – ٥

كان شعب الله مقهورا حتى حافة الانهيار. وكلما بدا المرض بلا أمل في الشفاء تظهر بشدة مهارة الطبيب في العلاج والشفاء . «قام الناس علينا».. أناس مثلنا من جنسنا ومع ذلك صمموا على فنائنا. ليس هناك ما ينفع إلا تدمير أولئك الذين يحملون لنا الضغينة. إن الله كان في جانبنا. وضع نفسه في موقفنا، ناصر دعوانا، وأظهر نفسه لنا. ويؤكد المرنم على أن هذا الإله هو يهوه. ولولا يهوه الإله ذو القوة اللانهائية، والكمال المطلق الذي حررنا، لكان أعداؤنا قد تسلطوا علينا. يالسعادة الشعب الذي يكون الرب كفايته.

عدد ٦ – ٨

ثم يستطرد صاحب المزامير ويعلي الخلاص العظيم الذي صنعه الله أخيرا لهم. لقد حررهم مثل شاة أُخرجت من مخالب وحش مفترس. إنهم نجوا مثل عصفور صغير من فخ الصياد. إن شعب الله وقعوا في الفخ وهم لا يقدرون أن يساعدوا أنفسهم للخروج منه مثل أي طائر ضعيف، ثم يكسر الله الفخ ويحول مشورة الأعداء إلى حماقة.

«عوننا باسم الرب» إن داود قد وجهنا (مز ١٢١: ٢) أن نتكل على الله عندما نحتاج إلى عون حسب احتياجاتنا الخاصة (وهنا حسب احتياجات الشعب). إنه لمن المعزي أن إله إسرائيل هو نفسه الذي صنع

العالم، ولذلك ستكون له كنيسة في العالم. وهو يقدر أن يحفظ هذه الكنيسة في أوقات الخطر والألم.

المزمور المئة والخامس والعشرون

ترنيمة المصاعد

يمكن تلخيص هذا المزمور القصير في كلمات النبي إشعياء (إش ٣: ١٠ و١١) «قولوا للصديق خيرا! لأنهم يأكلون ثمر أفعالهم. ويل للشرير. شرا! لأن مجازاة يديه تُعمل به».

أولا: إنه بالتأكيد خير لأولاد الله لأن:

(١) لهم وعود الله الصالح بأنهم سيكونون ثابتين (ع ١) وآمنين (ع ٢) وغير مختبئين دائما طلبا للحماية (ع ٣).

(٢) لهم صلوات رجل صالح ترفع عنهم ليسمعها الله (ع ٤).

ثانيا: إنه شر شديد للأشرار. وخاصة المرتدين (ع ٥).

عدد ١ – ٣

هناك ثلاثة مواعيد ثمينة لأولاد الله:

أولا: شخصية أولاد الله والذين تخصهم هذه المواعيد:

(١) هم الصديقون: (ع ٣) الصديقون أمام الله، الصديقون لله.. الصديقون لكل الناس.

(٢) هم المتوكلون على الرب، وعلى عنايته. الذين يكرسون أنفسهم لتمجيده. عندما تكون توقعاتنا مرتبطة بالله يزداد ما نتوقعه منه.

ثانيا: المواعيد نفسها:

(١) أن تتثبت قلوبهم بالإيمان. هذه العقول تتثبت حقيقة عندما تتثبت في الله. سيكون إيمانهم سبب أمانهم. (إش٧: ٩). إنهم مثل جبل صهيون الثابت لأنه جبل مؤيد بالعناية الإلهية، كما أنه جبل مقدس مؤيد بالمواعيد.

(٢) وبتسليم أنفسهم لله سيصبحون في أمان تحت حمايته من كل مضايقات أعدائهم مثل أورشليم التي لها ثبات طبيعي وحصانة بالجبال المحيطة بها (ع ٢).

(٣) إن متاعبهم لن تستمر طويلا ولن تكون أزيد من قدرتهم على تحملها (ع ٣). وهناك وعد أنه بالرغم من أنها من نصيبهم، فإنها لن تستمر طويلا كما يقصد الأعداء– الشيء الذي يخشاه أولاد الله– بل سيقصر الله الصالح المدة حتى أنه يعطي مع التجربة المنفذ.

عدد ٤ – ٥

إن صلاة صاحب المزامير تطلب السعادة لأولئك المخلصين والثابتين (ع ٤) «أحسن يا رب إلى الصالحين». إنه لا يقول أحسن يا رب إلى الكاملين الذين لا يخطئون ولا يوجد لديهم أي نقائص، ولكن لهؤلاء المخلصين والأمناء.

إن مواعيد الله تشجعنا على الصلاة. وهو لا يصلي من أجل فناء المنافقين ولكنه يتنبأ به. ويمكن أن نعتبر قوله الأخير «سلام على إسرائيل» صلاة مجملها أن الله يحفظ إسرائيل في سلام عندما يقع قضاءه على فاعلي الإثم. كما نعتبرها وعدا ليكن سلام على إسرائيل.

المزمور المئة والسادس والعشرون

ترنيمة المصاعد

كتب هذا المزمور بشأن الخلاص العظيم والمفاجئ لشعب الله من الأسى والحزن، وغالبا كانت عودتهم من الأسر في عهد عزرا الكاتب. ولو أن بابل لم تذكر هنا (كما ذكرت في مزمور ١٣٧)، ومع ذلك فقد كان أسرهم علامة في ذاته أو في عودتهم التي تشير إلى الفداء الذي صنعه المسيح. ويحتمل أن عزرا هو الذي كتب هذا المزمور أو بعض الأنبياء الذين رجعوا أولا.

أولا: أولئك الذين عادوا من الأسر مدعوون هنا ليقدموا الشكر (ع ١، ٣).

ثانيا: والذين مازالوا في الأسر فإنه يُصلي من أجلهم هنا (ع ٤) ويشجعهم (ع ٥ و٦).

عدد ١ – ٣

عندما كان شعب إسرائيل في بابل كانوا يعلقون أعوادهم على أشجار الصفصاف، ولكن الآن قد انتهى

أسرهم. أنزلوا أعوادهم من على الشجر، وعزفت العناية الإلهية لحنها فأخذوا يرقصون. إن غياب المراحم لمدة طويلة جعلت لعودتهم حلاوة خاصة. طالب كورش- لأسباب تتعلق بالدولة- بتحرير الأسرى من شعب الله. ومع ذلك فقد كان ذلك عمل الرب حسب كلمته منذ عدة سنوات.

إن الله أرسلهم إلى الأسر، لا كما تُلقى النفاية في النار لحرقها، ولكن مثل الذهب لتنقيته. وقد جاء الإفراج عنهم فجائيا، حتى أنهم كانوا مضطربين لأول وهلة، ولا يعلمون ماذا سيفعلون لقد «صرنا مثل الحالمين». وكنا نظن أنها أخبار طيبة أبعد من أن تكون صحيحة. إن حدوث الأمر بصورة فجائية وضعهم في حالة من النشوة والفرح، حتى إنهم لم يتمكنوا من الاحتفاظ بوقارهم عند التعبير عن فرحهم «امتلأت أفواهنا ضحكا، وألسنتنا ترنما». ماذا كان موقف جيرانهم؟ قالوا: إن يهوه إله إسرائيل عظم العمل مع هذا الشعب بدرجة لا يمكن لآلهتنا أن تفعله معنا. صارت الأمم تراقب فقط. وتحدثوا عن الأمر على أنه نوع من الأخبار لم يكن لهم فيها دور أو نصيب. ولكن شعب الله تكلم عنه باعتباره شريكا فيه. كم هو مشجع أن نتحدث عن الفداء الذي وهبه لنا المسيح «الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي».

عدد ٤ - ٦

تتطلع هذه الأعداد إلى المراحم التي لا نزال في حاجة إليها. إن أولئك الذين خرجوا من الأسر لازالوا في حزن حتى في وطنهم (نح ١: ٣).

كما أن هناك كثيرون لازالوا في بابل «أردد يا رب سبينا». اجعل أولئك الذين عادوا لوطنهم الأصلي أن يشعروا بالراحة من الأحمال التي عانوا منها، والتي مازلوا يئنون من ثقلها. وحرك قلوب أولئك الباقين في بابل كما تحركت قلوبنا من قبل لكي يستفيدوا من الحرية الممنوحة لهم. إن بدايات الرحمة تعتبر مشجعا لنا حتى نصلي لكي تستكمل. إن كل القديسين يعزون أنفسهم بهذه الثقة أن دموعهم ستنتهي أخيرا بالتأكيد بحصاد من الفرح (ع ٥ و٦). إن البكاء لا يجب أن يعطل الحصاد، عندما نئن من الألم فلابد أننا نعمل الصالح. نعم مثلما تكون الأرض مهيأة بعد سقوط المطر لاستقبال البذور. فهناك الدموع التي هي نفسها البذور التي يجب أن نزرعها. دموع الندم على خطايانا وخطايا الآخرين، ودموع المشاركة مع آلام الكنيسة المتألمة ودموع الشفقة في الصلاة ومن خلال الكلمة. إن أيوب، ويوسف، وداود وغيرهم كثيرون حصدوا الفرح بعد الحزن، إن أولئك الذين يزرعون بالدموع في حزن إلهي سيحصدون في فرح لغفران مضمون وسلام مؤكد.

المزمور المئة والسابع والعشرون

ترنيمة المصاعد. لسليمان

هذا مزمور عائلي، كما كانت مزامير أخرى قبله عبارة عن قصائد عن المملكة أو الكنيسة. إنه معنون خصيصا لسليمان من أبيه. سليمان الذي كان عليه أن يبني بيتا ومدينة ليحفظها ويرعاها وأبناء ليربيهم امتدادا لأبيه داود.

أراد داود أن يوجه نظره إلى الأعالي.. إلى الله، وأن يتكل على العناية الإلهية، والتي بغيرها فإن كل حكمته وحرصه وعمله لن تفيده. إن البعض يذهب إلى أن هذا المزمور كتبه سليمان نفسه، ويقارنه بسفر الجامعة، فالغرض منهما واحد وهو أن نرى بطلان الاهتمام بالعالم، وضرورة أن نكون على علاقة طيبة مع الله ونتكل عليه.

أولا: من أجل خيرنا (ع ١ و٢).

ثانيا: لأجل الميراث الذي سنتركه بعدنا (ع ٣، ٥).

عدد ١ - ٥

ربما كان سليمان ميالا لأن يتكل على فهمه وفطنته، ولذلك كان أباه يعلمه أن ينظر إلى أعلى، وأن يأخذ الله معه في كل أعماله. يجب أن نتكل على بركة الله وليس على خططنا الشخصية.

(١) من أجل تنشئة عائلة. «إن لم يبن الرب البيت (بعنايته وبركته)، فباطل يتعب البناؤون» مهما كانوا مبدعين. قد نفهم أن المقصود بهذا هو مبنى البيت. فإن لم يبارك الرب المبنى، فإنه لا مجال للناس أن يبنوا، وإذا كان النموذج والتصميم مؤسسين على الكبرياء والبطل، أو أن البناء كان قائما على القهر والظلم (حب ٢: ١١ و١٢) فإن الله بالتأكيد لن

يشترك في هذا البناء. إذا لم يعرف الله بنوايانا فليس لنا أن نتوقع بركته. وبغير هذه البركة فكل شيء لا قيمة له. وقد يكون المقصود بالبيت هنا تكوين أسرة كريمة بعد أن كانت متواضعة المستوى. فإن الرجال يفعلون ذلك عن طريق زيجات تهدف إلى الربح أو الحصول على عمل، أو وظيفة أو عقد صفقة تجارية، ولكن كل هذا لا قيمة له ما لم يبن الرب العائلة. إذا كان حراس المدينة لا يقدرون أن يحموها بدون حماية الله، إلا أن الرجل الصالح يمكن أن يحمي بيته من الانهيار.

(٢) لكي تثرى عائلة فإن ذلك يستلزم وقتا وتفكيرا، ولكن ذلك لا يمكن إتمامه بغير العناية الإلهية. «باطل هو لكم أن تبكروا إلى القيام، مؤخرين الجلوس» وبذلك تهملون احتياجاتكم الجسدية في سعيكم نحو غنى العالم للحصول على المال. كلها أمور فانية ما لم يباركها الله. لأنه ليس الغنى دائما للفهماء (جا ٩: ١١). إن الذين يحبون الله ويحبهم تكون عقولهم في سلام ويعيشون في راحة تامة بغير هذه الضجة.

إن الله يعطينا نوما مثلما يعطيه لأحبائه، ومع النوم يعطينا نعمة حتى ننام في مخافته (تعود أرواحنا إليه وتجد راحتها عنده فهو مصدر راحتنا)، وعندما نستيقظ فإننا لانزال معه لنستخدم الراحة التي نلناها معه في خدمته. «لكنه يعطي حبيبه نوما»، أي يعطيه هدوءا وراحة في البال واستمتاعا مريحا في الحاضر وتوقعا مريحا لما سيجيء.

«هوذا البنون ميراث من عند الرب» (ع ٣). إن البنين هم عطايا من الله، وهم بالنسبة لنا إما مصدر للتعزية أو الألم وذلك بناءً على سلوكهم. إن البنين ميراث وكذلك مكافأة. وبهذا يمكن اعتبارهم بركات وليسوا أحمالا ثقيلة. ولأنه هو الذي يعطينا أبناء يحتاجون للطعام فهو أيضا الذي يرسل لهم طعاما إذا كنا نثق فيه. إن الأبناء هم ميراث من الله كما أنهم ميراث له. إن العائلة التي عندها عدد كبير من الأولاد تشبه جعبة ملآنة سهاما من مختلف الأحجام وكلها لها فائدة في وقت أو آخر. لأنهم أبناء يتمتعون بإمكانات وميول مختلفة.

المزمور المئة والثامن والعشرون

ترنيمة مصاعد

هذا المزمور كالمزمور السابق له هو مزمور للعائلات، ومنه نتعلم أن سعادة عائلاتنا إنما تتوقف على بركة الله، ومنه نتعلم أن الطريقة الوحيدة لنوال هذه البركة والتي ستجعل عائلاتنا تعيش في راحة، هي أن نعيش في مخافة الله وطاعته. كل الذين يفعلون ذلك ستلحق بهم البركة، (ع ١ و٢، ٤) على الأخص.

أولا: سيكونون سعداء وناجحين في أعمالهم (ع ٢).

ثانيا: ستكون علاقاتهم متوافقة (ع ٣).

ثالثا: سيعيشون ليروا عائلاتهم تنمو وتزدهر (ع ٦). سيشعرون بالرضا عندما يرون كنيسة الله مزدهرة (ع ٥ و٦).

عدد ١ – ٦

إن التقوى تتضمن الوعد بالحياة الآن والحياة الآتية. «في كل أمة الذي يتقيه ويصنع البر مقبول عنده»، ولذلك فهو إنسان مبارك سواء كانت مكانته عالية أو منخفضة، غني أو فقير في هذا العالم. إذا كان الدين يحكمه فإنه يحميه ويغنيه. طوباك إن كنت تخاف الله وتسلك في طرقه. سيكون النجاح نصيبك. مهما يحدث لك فسيأتيك الخير من ورائه، وسيرافقك في مشوار حياتك، حتى عند الوفاة، وبصورة أفضل في الأبدية. «لأنك تأكل تعب يديك». هنا وعدا مضاعفا.

(١) سيكون لديهم عملا يقومون به (لأن حياة الكسل ما هي إلا حياة يائسة وغير مريحة)، ولديهم كذلك الطاقة للقيام به، فلن يستدينوا لأحد بسبب الطعام الضروري.

(٢) سيكونون ناجحين في أعمالهم، وسيستمتعون هم وغيرهم بما يحصلون عليه من دخل. حيث أن النوم والطعام للرجل العامل لهما مذاق حلو. سيكون لهم سلام في علاقاتهم الأسرية، ولما كانت الزوجة والأولاد هم موضوع عناية الرجل، فإذا كانوا بفضل عناية الله كما يجب أن يكونوا، فإنهم سيكونون مصدر سعادة الرجل. «امرأتك مثل كرمة مثمرة في جوانب بيتك» ليس فقط مثل كرمة ممتدة كأنها جميلة للزينة،

ولكنها كرمة مثمرة. وبثمرها يفرح الله والناس (قض ٩: ١٣). إن الكرمة نبات ضعيف ورقيق. ويحتاج إلى العناية والرعاية. ولكنه نبات ذو قيمة عالية جدا. إن مكان المرأة هو بيت رجلها. حيث يكون قصرها وشغلها الشاغل.

«أين سارة امرأتك؟» «ها هي في الخيمة» وهل يجب أن تكون في أي مكان آخر؟ إن مكانها في المنزل وليس تحت القدم حتى تداس، ولا في مكان عال بالمنزل لتتسلط وتستبد. «بنوك مثل غروس الزيتون»، وعلى مدى الزمن سيصبحون أشجار زيتون، ومما يجلب الرضا للوالدين أن يكون لديهم مائدة ممتدة، ولو بطعام عادي. وأن يروا أولادهم من حولهم ليسوا متفرقين، أو أن يكون الوالدان بعيدين عنهم.

إن الوالدين يحبون أن يروا أبناءهم حول المائدة حتى يتمتعوا معهم بحديث المائدة، ويرونهم في صحة جيدة في حاجة للطعام وليس للدواء. أن يكونوا مثل غروس الزيتون قائمة وخضراء. ينهلون من عصارة التعليم الجيد. إن عائلتك ستنمو وتستمر ويصبح بنو البنين- إن كانوا صالحين- تاجا للشيوخ (أم ١٧: ٦)، الذين يفتخرون بأحفادهم «وتبصر خير أورشليم كل أيام حياتك» مهما طالت ولن تؤثر المشاكل العامة في هدوء حياتك أو تتسبب في مرارتها.

المزمور المئة والتاسع والعشرون

ترنيمة المصاعد

يتعلق هذا المزمور بالشئون العامة لإسرائيل الله، ويحتمل أن يكون قد كتب عندما كانوا أسرى في بابل أو قرب عودتهم.

أولا: إنهم ينظرون إلى الماضي بالشكر عندما كانوا أحرارا (ع ١ – ٤).

ثانيا: ثم يتطلعون إلى الأمام مصلين بإيمان لكي يهلك كل أعداء صهيون (ع ٥ – ٨).

عدد ١ – ٤

(١) إن كنيسة الله تتكلم هنا كشخص مفرد، أصبح الآن عجوزا وأشيب الشعر ولكنه يتذكر الأيام السابقة. إن الكنيسة كثيرا ما تضايقت بسبب أعدائها في الأرض. كان لشعب الله دائما أعداء كثيرون، كما كانت الكنيسة متألمة منذ بدء تكوينها. «على ظهري حرث الحراث» (ع ٣). إن اعداء شعب الله طالما عاملوهم بوحشية. لقد مزقوهم كما يحرث الفلاح الأرض بمحراثه. عندما سمح الله لهم أن يتألموا هكذا كان يقصد بذلك صلاح شعبه؛ حتى تصبح أرضهم البور صالحة لأن يبذر فيها بذور النعمة وتثمر أثمارا جيدة. ولو أن الأعداء لم يقصدوا ذلك. «طولوا أتلامهم». لم يعرفوا متى يتوقفون، كانوا يقصدون تدمير الكنيسة. كم من التجاعيد التي عملوها في ظهور أولاد الله والتي تدل على الضربات التي وجهوها لهم «على ظهري حرث الحراث». طالما قاسى القديسون من معذبين قساة. وهذا ما تحقق في السيد المسيح الذي بذل ظهره للضاربين (إش ٥٠: ٦).

(٢) ولكن الكنيسة كانت تُنقذ بنعمة من قبل صديقها في السماء، فكانت خطط الأعداء تفشل دائما. لقد بنى المسيح كنيسته على الصخر وأبواب الجحيم لم ولن تقوى عليها. لقد قطع الله «ربط الأشرار». ففشل حرثهم على ظهور المؤمنين كما قطع سياطهم فلم يتمكنوا من جلدهم. كما قطع سلاسل الأسر التي احتجزوا بها شعب الله.

عدد ٥ – ٨

يختم كاتب المزامير مزموره كما ختمت دبورة أغنيتها «هكذا يبيد جميع أعدائك يا رب» (قض ٥: ٣١). والتنبؤ بالارتباك يصوره الوحي بتشبيه: بينما شعب الله سيزدهر كالنخلة المحملة بالثمار، أو الزيتونة الخضراء المثمرة، فإن أعداءهم سيصيبهم الجفاف «ليكونوا كعشب السطوح الذي ييبس».

ولما كانوا أعداء لصهيون فإنه بالتأكيد ينظر إليهم كالعشب فوق السطوح قليل وقصير ومر المذاق، ولا يصلح لشيء، إنه ييبس قبل أن ينمو ليكتمل نضوجه، حيث أنه لا جذور له، ومهما كان مكانه مرتفعا (دليل على كبريائه) ازداد تعرضه إلى أشعة الشمس اللافحة والتي سريعا ما تجعله ييبس. وحصاد العشب الذي على السطوح موضع سخرية الناس، ولذلك فأولئك الذين يوقرون اسم الله لا يدنسوه بالتحيات المبتذلة التي تدَّعي إعطاء المجد.

المزمور المئة والثلاثون

ترنيمة المصاعد

يتعلق هذا المزمور كله بمسائل تتعلق بالنفس، وعرف بأنه أحد سبعة مزامير تتحدث عن التوبة والتي كان يرددها بعض التائبين عند طلب التوبة في الكنيسة. وعندما نرددها فإننا جميعا نقصد أن نطبقها على أنفسنا.

ويعبر كاتب المزامير هنا عن:

أولا: اشتياقه إلى الله (ع ١ و٢).

ثانيا: توبته أمام الله (ع ٣ و٤).

ثالثا: انتظاره للرب (ع ٥ و٦). توقعاته من الله (ع ٧ و٨).

عدد ١ – ٤

إن أحسن الرجال ربما يكونون في بعض الأحيان في الأعماق، في ضيقة عظيمة وبلاء. ولكننا في أعمق الأعماق يكون لدينا الفرصة أن نصرخ إلى الله وهو يسمعنا، والصراخ إلى الله هو الطريقة المثلى لكي نوقف انحدارنا إلى أسفل ولكي ننجو من جب الهلاك ومن طين الحمأة (مز ٤٠: ١ و٢).

«إن كنت تراقب الآثام يا رب، يا سيد، فمن يقف؟». وفي طلبه لله مرتين باسم (ياه، أدوناي) يقصد التوكيد، ويظهر خوفا عظيما من جلال الله العظيم، ورهبة من غضبه. لا يمكن أن نبرر أنفسنا أمام الله أو ندَّعي أننا غير مدانين. إذا عاملنا الله بعدالته الصارمة فإننا نهلك لا محالة. إنه من مراحمه أننا لم نفن. إن عزاءنا– حتى وإن لم ننطق به– عندما نتقدم لله أن عنده المغفرة وهذا ما نحتاجه. لقد وعد أن يغفر خطايا التائبين، إننا نجد الكفارة لديك، ويسوع المسيح هو أعظم كفارة لنا، وبه ننتظر أن ننال المغفرة. وهذا ما يشجعنا أن نكون في خدمته فلا نرجع للوراء عند أي تجربة أو أي إساءة إذا كنا قد تبنا فعلا.

عدد ٥ – ٨

«انتظرتك يا رب» إني انتظر المعونة والعزاء مؤمنا أنها ستأتي، أنتظرها بشوق حتى تأتي، وأحتمل صابرا تأخير وصولها، ولا أبحث عنها من أي مصدر آخر، «انتظرت نفسي (الرب)، وبكلامه رجوت». يجب أن يكون رجاؤنا فيما وعدنا الله به في كلامه فقط، لا فيما نصوره لأنفسنا ونتخيله.

إذا كنت متأكدا أن الصباح سيأتي فإني متأكد أن الله سيعود إليَّ برحمته لأن عهود الله أكثر ثباتا من قوانين تعاقب الليل والنهار التي ستنتهي يوما ما. أما عهود الله فهي أبدية. إن أولئك الساهرين على خدمة المرضى، والمسافرين على ظهر سفينة، يتطلعون بشوق أن يروا الفجر قبل طلوع النهار، ولكن هذا الرجل الصالح يتطلع بشوق أكثر لآثار فضل الله ونعمته عليه. إن محبة الله التي لا تسقط أبدا ترعاه في كل أعماله، وفي كل مشوراته. يسوع المسيح «يخلص شعبه من خطاياهم» (مت ١: ٢١) يفديهم من كل آثامهم (تي ٢: ١٤). «ويرد الفجور عن يعقوب» (رو ١١: ٢٦). إن الخلاص من الخطية يشمل الخلاص من كل الشرور الأخرى. ولذلك فهو خلاص شامل.

المزمور المئة والحادي والثلاثون

ترنيمة المصاعد. لداود

هذا المزمور عبارة عن اعتراف داود بالاتضاع مع شكر لله على نعمته. من المحتمل جدا أن داود أعلن هذا ردا على شاول الذي صور داود رجلا طموحا متطلعا، وأنه بادعائه أنه معيَّن للمُلك بتعيين إلهي كان يسعى نحو الملك في كبرياء قلبه، ولكن داود يتضرع إلى الله أنه على العكس من ذلك.

أولا: لم يقصد أن يشغل أي منصب عال أو عظيم (ع ١).

ثانيا: كان راضيا كل الرضا في كل حالة قسمها الله له (ع ٢).

ثالثا: ولذلك فهو يحث كل الناس الصالحين أن يتكلوا على الله كما يفعل هو (ع ٣).

عدد ١ – ٣

إن بهجة داود وفرحه هي شهادة قلبه أنه يسير متواضعا مع الله. لم يسع إلى منصب عالٍ. ولكن إذا كان هذا ما أمر به الله، فإنه بكل سرور كان يسعده أن يقضي باقي أيام حياته في حظائر الماشية. لقد اتهمه شقيقه بالكبرياء (١صم ١٧: ٢٨)، ولكن الاتهام كان ظالما ولا أساس له. لم يكن له أي نظرة احتقار أو تطلع. «لم تستعل عيناي». سواء بنظرة حسد إلى الذين

هم أعلى منه، أو بترفع إلى الذين هم دونه، وهو لم يسع بكبرياء نحو الملك، ولكن حيث أن الله قد عينه في هذا المنصب، فقد كان متواضعا مثل طفل صغير. ولقد علمنا فادينا التواضع بنفس المقارنة بالأطفال (مت ١٨: ٣). يجب أن نصبح مثل الأطفال الصغار. إن قلوبنا تشتاق إلى الأمور الدنيوية كما يشتاق الطفل إلى صدر أمه. ولكن بنعمة الله فإن النفس المكرسة قد فطمت عن هذه الأشياء. وهكذا فإن النفس التي نالت النعمة يمكن أن تهدئ نفسها بالنسبة لهذه الأشياء التي كانت تحبها، وتعيش في راحة وهدوء متكلة على الله وعلى عهد النعمة.

المزمور المئة والثاني والثلاثون

ترنيمة المصاعد

هناك احتمال أن يكون الملك سليمان هو الذي كتب هذا المزمور حتى يتغنى به عند تدشين الهيكل الذي بناه طبقا لتكليف أبيه له (١أخ ٢٨: ٢ وما بعده). أما وقد أتم مسئوليته فهو يرجو أن يعرف الله هذا الذي أنجزه.

أولا: لقد بنى هذا البيت لمجد وخدمة الله. وعندما يدخل فيه تابوت العهد علامة وجود الله، فهو يرجو من الله نفسه أن يحضر ويملك على المكان (ع ٨ – ١٠) بهذه الكلمات أنهى سليمان صلاته (٢أخ ٦: ٤١ و٤٢).

ثانيا: (١) وهو يذكر طاعة داود لله (ع ١ – ٧).

(٢) كما يلتمس تحقيق وعد الله لداود (ع ١١ – ١٨).

عدد ١ – ١٠

يخاطب سليمان الله ذاكرا معروفه له، وقبوله أن يبني له بيتا، والذي فعله كان تنفيذا لحلف داود أبيه ونذره أن يبني بيتا للرب. وسليمان هنا لا يدَّعي أي فضل لنفسه.. أنا لا استحق، ولكن يا رب اذكر داود الذي أقمت العهد معه.

وهو يذكر تحديدا النذر الذي نذره داود بعد أن تثبتت أقدامه في مملكته، وقبل أن يستقر في بيت خاص به. أنه سيبني بيتا لله. وقد لاحظ في الشريعة ما ذكر عدة مرات عن المكان الذي يختاره الله ليحمل اسمه، وتجتمع فيه كل العشائر. ولما تبوأ سليمان العرش لم يكن هذا المكان موجودا. كان شيلوه مهجورا ولم يتم اختيار مكان آخر. ولعدم وجوده لم يحتفل بأعياد الرب بالاحتفالات المناسبة اللائقة. يقول داود: حسنا سأجد هذا المكان لكي تجتمع فيه كل العشائر «مسكنا لعزيز يعقوب».. مسكنا للتابوت حيث يوجد مكان يحضر إليه الكهنة والشعب. كان هناك حديث قديم عن ذلك ولكن لم يتم شيء. ثم حدث أخيرا عندما ذهب داود ذات صباح لعمل ما أقسم أنه قبل حلول المساء سيحدد المكان الذي تنصب فيه الخيمة التي سيقيمها لاستقبال التابوت عند بداية حكمه، أو في المكان الذي سيبني فيه سليمان الهيكل، والذي لم يتحدد حتى نهاية مُلك داود. ثم قال داود هذا هو بيت الرب. من الأفضل أن نحدد في الصباح العمل الذي سننجزه خلال النهار ملتزمين بإنجازه قبل أن نخلد إلى النوم. إن كان متفقا مع التدبير الإلهي أن شعب إسرائيل كما جاء في عددي ٦ و٧ كان دائم البحث عن تابوت العهد، وكانوا يتساءلون أين هو التابوت، وحزنوا لعدم معرفة مكانه (١صم ٧: ٢). لقد سمعوا أنه في «أفراتة» (أي في شيلوه في سبط أفرايم)، كما قيل لهم إنه كان هناك ولكنه ذهب عنهم، وأخيرا وجدوه في حقول الوعر أي في قرية يعاريم ومعناها مدينة الغابات. ومن هناك استعادته كل إسرائيل في احتفال كبير في بدء حكم داود (١أخ ١٣: ٦)، ولذلك فإن سليمان قد أرضى كل إسرائيل عند بنائه للهيكل. كانوا عازمين على التعبد فيه «لندخل إلى مساكنه لنسجد عند موطئ قدميه».

دعنا نتعبد عند قدميه، كرعايا متوسلين ومتضرعين. الأمر الذي أهملناه لافتقارنا لهذا المكان في عهد الملك شاول (١أخ ١٣: ٣) ويصلي سليمان في الأعداد ٨ – ١٠ أن الله بجلاله سيوافق، ليس فقط أن يملك على هذا المكان بل أن يسكن أيضا في هذا الهيكل الذي بناه. ليت «كهنتك يلبسون البر» أنهم كهنتك ومن ثم سيفقدون ارتباطهم بك إذا لم يلبسوا البر. «لا ترد وجه مسيحك».. أي لا ترفض ما طلبته منك، ولا تدعني أخزى.

عدد ١١ – ١٨

ترتبط هذه المواعيد بالهيكل والمملكة، وبكرسي داود، وبشهادة إسرائيل من على جبل صهيون. إن

المواعيد المتعلقة بجبل صهيون يمكن أن تطبق بالنسبة لكنيسة المسيح في العهد الجديد، كما يطبق ما يتعلق بنسل داود على المسيح. فنحن نرجو كلا الأمرين ونتشجع بهما.

أولا: إن اختيار الله لبيت داود وجبل صهيون كان بناء على تعيين إلهي.

(١) لقد اختار الله عائلة داود لتكون العائلة الملكية، وأكد اختياره هذا بقسم (ع ١١ و١٢). سيتوارث الملك عدد كبير من نسله. أحد أبنائك يجلس على كرسيك، وهذا ما تحقق في الملك سليمان، وقد عاش داود ليرى تحقيق ذلك بكل الرضا (١مل ١: ٤٨). لقد كان توارث الملك للأبد مشروطا بشرط حفظ الأجيال القادمة «عهدي وشهاداتي التي أعلمهم إياها». وكان نتيجة أنهم لم يحفظوا عهود الله أن انقطعت تلك الوراثة وانسحبت السلطة منهم تدريجيا: ولكن سيأتي من نسله ملك ملكه للأبد، ليس لملكه نهاية. والرسول بطرس يطبق هذا على المسيح ويذكر في أعمال ٢: ٣٠ أن داود نفسه كان يعلم هذا.

(٢) لقد اختار الله جبل صهيون ليكون جبلا مقدسا وأكد اختياره بسرور بهذا الاختيار (ع ١٣ و١٤) وقال الله: هنا عرشي «هذه هي راحتي» وبالتالي قال داود هنا سأجلس على العرش. فقد تمسك بمبدئه. «الاقتراب إلى الله حسن لي». إن صهيون يجب أن ينظر إليها كرمز للكنيسة والتي تدعى جبل صهيون (عب ١٢: ٢٢)، وقد تم تحقيق كل ما قيل عن صهيون فيها. إن كنيسة المسيح هي «كنيسة الله الحي» (١تي ٣: ١٥). وهي مكان الراحة إلى أبد الآبدين وستكون مباركة دائما لوجود الله فيها حتى نهاية العالم.

ثانيا: البركات التي اختزنها الله لبيت داود وجبل صهيون، فمن يختاره الله يباركه.

(١) إننا نجد وعد الله بالبركات في الزمان الحاضر للتقوى التي «لها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة» (١تي ٤: ٨). وفي الآية ١٥ نجد أن الأرض ستعطي بركاتها المتزايدة. أينما توجد العبادة الحقيقية فهناك البركة. إن أبناء الله لديهم بركة خاصة، للتمتع معا. وهذه البركة تضع فيهم حلاوة خاصة. ثم يمتد الوعد أيضا «مساكينها أشبع خبزا»، وسيكون لهم الموارد الكافية. أما إذا كان هناك نقص ما فإن الفقراء هم أول مَنْ يشعرون بذلك- لذلك فالعلامة الأكيدة على الوفرة أن للفقراء ما يكفيهم. وهذا يمكن أن يفهم روحيا بالنسبة للعطايا التي تزود بها النفس في العالم. إن الله سيبارك بوفرة لإشباع الإنسان الجديد، وسيشبع المساكين بالروح بخبز الحياة. إن بركات الحياة العتيدة أمور تتعلق بالتقوى (ع ١٦) والتي هي إجابة للصلاة. وقد كان المطلوب أن يلبس الكهنة لباس البر (ع ٩). وهنا وعد الله أن الله سيلبسهم لباس الخلاص.. «تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضا» (١تي٤: ١٦). وسينضم «إلى الكنيسة الذين يخلصون» (أع ٢: ٤٧).

(٢) إن الله الذي اختار عائلة داود يعطي الوعد لهذه العائلة أيضا ببركات مناسبة، «هناك أنبت قرنا لداود» (ع ١٧) إن الكرامة الملكية ستزداد أكثر وأكثر، ونعمة ثابتة ستعمل على زيادة بريقها.

إن يسوع المسيح هو قرن الخلاص الذي أقامه الله وجعله من بيت عبده داود «رتبت سراجا لمسيحي».. «لأنك أنت تضيء سراجي» (مز ١٨: ٢٨). هذا السراج الذي أقامه الله سيتوهج لمعانه. إن كل سراج يكون تاليا لسراج يكاد ينطفئ. إنه تتابع يجعل داود لا يعدم إنسانا يقف أمام الله.

إن المسيح هو السراج ونور العالم. أما اعداؤه الذين تآمروا ضده فسألبسهم خزيا. عندما يرون خططهم قد أحبطت. «وعليه يزهر إكليله»، أي أن ملكه سيزداد كرامة ومجدا، إن تيجان أمراء الأرض ليست دائمة في كل العصور «لأن... ولا التاج لدور فدور» (أم ٢٧: ٢٤). ولكن تاج المسيح سيدوم إلى الأبد. كما أن التيجان المعدة لأتقيائه لا تزول أبدا.

المزمور المئة والثالث والثلاثون

ترنيمة المصاعد. لداود

هذا المزمور عبارة عن مديح مختصر للوحدة والمحبة الأخوية، ويظن البعض أن داود كتب هذا المزمور بمناسبة الاتحاد بين الأسباط عندما تقابلوا جميعا، لينصبوا داود ملكا بالإجماع.

أولا: والتعليم المقدم عن السعادة في المحبة الأخوية (ع ١).

ثانيا: وشرح هذا التعليم بتشبيهين (ع ٢ و٣).

ثالثا: وإثبات ذلك يظهر في سبب مناسب يوضحه (ع ٣).

عدد ١ – ٣

يقال أحيانا إن أفضل طريقة لحفظ السلام أن يسكن الإخوة متباعدين؛ حتى نمنع العداوة والخصام (تك ١٣: ٩) ولكن الأحسن والأفضل «أن يسكن الإخوة معا»، وبهذا يعيشون في وحدة. أو يعيشون كوحدة واحدة. حيث يكون لهم قلب واحد ونفس واحدة واهتمام واحد. كانت أسباط إسرائيل لزمن طويل لها اهتمامات مختلفة خلال حكم القضاة لكنهم اتحدوا تحت رياسة واحدة. وقد استقر الآن تابوت العهد وصار هو مركز عبادة الشعب ولقائهم. فليعيشوا في محبة. وهو شيء نادر لذا فإنه يستحق التقدير. ويعتبر رائحة عطرة كمسحة الزيت المقدسة التي كان لها رائحة طيبة نفاذة، ينتشر عبيرها عندما تُسكب على رأس هارون أو رئيس الكهنة الذي يخلفه. وكانت تُسكب بغزارة حتى أنها كانت تسيل على الوجه إلى الرقبة حتى تصل إلى طرف الثياب (ع ٢). وهكذا تكون محبة الإخوة بقلب نقي ومكرس لله. إن المحبة المقدسة لها قيمة عظيمة في نظر الله. إن محبة المسيح للبشرية كانت جزءا من هذا الدهن الطيب والذي مُسح به متميزا عن رفقائه. وكان هارون وأولاده لا يسمح لهم بالخدمة أمام الرب حتى يتطيبوا بهذا الدهن. ولا تكون خدمتنا مقبولة لدى الرب بغير هذه المحبة المقدسة، وإذا لم توجد لدينا فلسنا شيئا (١كو ١٣: ١ و٢). إن المحبة مفيدة كما أنها مقبولة فهي مثل الندى. الذي يجلب وفرة عديدة من البركات، عديدة كقطرات الندى. إنها تهدئ من قسوة آلام الإنسان الملتهبة، كما أنها ترطب القلب وتجعله رقيقا وصالحا لقبول البذرة الجيدة للكلمة.

إنها مثل ندى حرمون وجبل حرمون هو تل مشترك بين حدود أكثر من دولة (لأن المحبة الأخوية هي الجمال والعون للمجتمعات المدنية).

أيضا إذا ما سقط الندى فوق جبل صهيون (الجبل المقدس) فإنه يساهم بدرجة كبيرة في ازدهار الجماعات المقدسة، إن الناس الذين يحبون هم أناس مباركون. إنهم مباركون من الله، ولهذا إنهم مباركون حقا، فالبركة التي يعطيها الله لأولئك الذين يعيشون في المحبة هي حياة أبدية، وهذه هي أعظم كل البركات. والذين يعيشون في المحبة لا يعيشون في الله فقط ولكن يسكنون بالفعل في السماء.

المزمور المئة والرابع والثلاثون

ترنيمة المصاعد

هذا المزمور هو آخر مزامير المصاعد الخمسة عشر، وقد كان يمثل خاتمة لها عندما تُرنم أثناء خدمة الهيكل. وهو يرمي إلى حث الكهنة على مواصلة عملهم أثناء الليل بعد أن ينتهوا من خدمتهم النهارية. وينظر البعض إلى هذا المزمور كحوار:

أولا: فهو في العددين الأولين. يوجه دعوة للكهنة أو اللاويين الذين يقضون الليل بطوله في حراسة هيكل الرب، أن يصرفوا الوقت في العبادة، وليس في أحاديث بلا جدوى.

ثانيا: أما في العدد الأخير فيدعو أولئك القائمين على خدمة التسبيح لله، أن يرفعوا صلوات من أجل الذي أعطاهم الإرشاد والنصح، بدءا من رئيس الكهنة وحتى الحارس.

عدد ١ – ٣

أولا: «هوذا باركوا الرب»: أو مجدوه وتكلموا عنه باحترام، وهذا ما نتعلمه في عددي ١ و٢.

(١) إن هذا نداء لكي ينفذه اللاويون؛ فبعضهم يقوم بالخدمة ليلا في الهيكل لحراسة الأشياء المقدسة التي فيه من أن تتنجس. وكذلك الأشياء الثمينة من أن تكون عرضة للسرقة. وقد كان تابوت العهد محاطا بالستائر إلا أنه كان يحتاج في نفس الوقت إلى مزيد من الحراسة. كما كان وجود اللاويين لازما للتأكد من بقاء نار المذبح أو المصابيح مشتعلة. ويحتمل أن بعضا من شعب إسرائيل المكرسين والأتقياء كانوا يجلسون مع اللاويين؛ فنحن نقرأ عن شخص لم يغادر الهيكل ليلا ولا نهارا (لو ٢: ٣٧). ولذلك فهؤلاء كلهم مدعوون الآن لتقديم الحمد للرب.

(٢) إن هذا نداء لنا أيضا كمسيحيين فنحن نُعتبر كهنة ولاويين لله (إش ٦٦: ٢١). نحن خدام الرب، ولنا مكان كما أن لنا اسم في بيته وفي قدسه. ونحن نقف أمامه لكي نخدمه. دعونا إذًا نقدم الحمد للرب. دعونا نرفع أيدينا بالصلاة، بالشكر، وبالنذور. دعونا نقوم بعملنا باجتهاد وابتهاج وسمو في التفكير.

ثانيا: أننا لا نريد سعادة أكثر من أن نكون مباركين من الله. لأن الذين يباركهم الله هم الذين يختبرون البركة الحقيقية.

المزمور المئة والخامس والثلاثون

هذا هو أحد مزامير الـ «هللويا». أي أنه يبدأ وينتهي بكلمة «هللويا». وهي تمثل عنوانه وخاتمته.

أولا: فهو يبدأ بدعوة لتسبيح الله (ع ١ – ٣).

ثانيا: ثم يسترسل في إمدادنا بأسباب الحمد. إن الله يجب أن يُسبح ويُحمد

(١) بصفته إله يعقوب (ع ٤).

(٢) لأنه فوق جميع الآلهة (ع ٥).

(٣) لأنه إله كل الخليقة (ع ٦ و٧).

(٤) لأنه إله مرهب لأعداء شعبه (ع ٨ – ١١).

(٥) بصفته الإله الرحيم لإسرائيل (ع ١٢ – ١٤).

(٦) لأنه الإله الحي الوحيد، أما الآلهة الأخرى فباطلة وكاذبة (ع ١٥ – ١٨).

ثالثا: وهو ينتهي بتحريض كل مَنْ يهتم بذلك أن يسبح الرب (ع ١٩ – ٢١).

عدد ١ – ٤

أولا: إن الواجب الذي نحن مدعوون إليه هو أن نسبح الرب. أن نسبح اسمه. أن نسبحه على الدوام، ولا يجب علينا أن نشكره من أجل ما يصنعه معنا فقط، بل نسبحه لشخصه في ذاته، ولأفعاله مع الآخرين أيضا.

ثانيا: أما الأشخاص المدعوون لهذا التسبيح، فهم خدام الله، الكهنة واللاويون الذين يخدمون في بيته. وكل بني إسرائيل المتعبدين والأتقياء الواقفين في ديار بيته ليعبدوه هناك (ع ٢). مَنْ سيمجده إذا لم يفعلوا هم ذلك؟

ثالثا: الأسباب التي من أجلها يجب أن نسبح الله. لأنه صالح نحو الجميع، ولأن مجده يظهر في صلاحه لذلك يجب أن نذكر صلاحه لكي نمجده.

عدد ٥ – ١٤

كان صاحب المزامير قد طرح أمامنا سببا هاما يدعونا إلى التسبيح لله بفرح وهو «صلاح الله». إلا أنه هنا يلفت أنظارنا إلى «عظمة الله» كموضوع أساسي لتسبيحاتنا.

أولا: أنه يؤكد عظمة الله في آية ٥، فالله عظيم ومرتفع حقا!، لا يحده زمان أو مكان.

ثانيا: وهو يثبت عظمة الله من خلال قدرته في (ع ٦). إن لله قدرة مطلقة وهو يفعل ما يشاء. وهذه القدرة الفائقة المطلقة تمتد إلى جميع أطراف الكون؛ فهو يفعل ما يشاء في السماوات وفي الأرض و«في البحار وفي كل اللجج» في أعماق البحر أو الأرض.

ثالثا: وكاتب المزامير يعطي لنا أمثلة لقوة الله العظمى:

(١) في مملكة الطبيعة (ع ٧) كل قوى الطبيعة تثبت عظمة الله فهو خالقنا، وقد انبثقت منه وهي تعتمد عليه. إن دورة العوامل الطبيعية لم تتشكل فقط بواسطة الله منذ البدء، ولكنها محفوظة أيضا بواسطته عبر الزمن، نعم أنه بقوة الله تنبعث القوى الطبيعية من الكرة الأرضية؛ فأشعة الشمس تلعب دورا إلا أن الشمس تستمد قوتها من الله. فهو الذي يكوِّن الأمطار من خلال الأبخرة التي ترتفع إلى أعلى ثم ترجع ثانية بالخير على شكل أمطار مثمرة. وهو يرسل بروقا مع الأمطار. وبواسطة هذه البروق يُحرك السحب لكي تروي الأرض. وهنا يتواءم اللهب مع الماء بقدرة سماوية فائقة. «الريح تهب حيث تشاء»، ولكن من أي نقطة من حدود الأرض تهب؟ إنه ليس بمقدورنا أن نوجهها لأننا لا نعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب، ولكن الله يخرجها من خزائنه بدقة وتخطيط.

(٢) في ممالك البشر. نشاهد مُلك الله وسلطانه وقوته التي لا تقاوم.

أ. في إخراج بني إسرائيل من مصر. وإذلال فرعون عن طريق أوبئة كثيرة مما أرغمه على السماح

لهم بالخروج.

ب. في تحطيم ممالك كنعان أمام أعينهم (ع ١٠). ليس هناك قوة في الجحيم أو على الأرض يمكن أن تمنع تحقيق وعود الله عندما يحين وقت تحقيقها.

ج. في إسكانهم في أرض الموعد. فهو الذي يعطي الممالك لمن يشاء. أعطى كنعان «ميراثا لإسرائيل شعبه».

رابعا: إن كاتب المزمور يتكلم عن نصرته المرتبطة بمجد الله ونعمته الدائمين. وهذا يعود بنا إلى ما جاء في خروج ٣: ١٥. عندما أطلق الله على نفسه إله إبراهيم وإسحق ويعقوب ويضيف «هذا اسمي إلى الأبد، وهذا ذكري إلى دور فدور». وسيكون رحيما بشعبه وسيدافع عن قضيتهم ضد الذين يقاومونهم. «الرب يدين (يحاكم) شعبه» بعدل. «وعلى عبيده يشفق» أي سيدافع عنهم ويقضي لهم ولن يسمح بخذلانهم.

عدد ١٥ – ٢١

تنبر هذه الأعداد على ما يلي:

أولا: تسليح شعب الله ضد عبادة الأوثان، وكل العبادات الزائفة وذلك بإظهار أي نوع من الآلهة كان الحثيون يعبدونها، كما كنا نحن في الماضي (مز ١١٥: ٤)؛ لقد كانت آلهة من صنعهم، ولذلك لم يكن لديها أي قوة ذاتية إلا ما أضفى عليها صُناعها. كان لها أشكال الحيوانات، ولكنها لا تستطيع القيام حتى بما يقوم به الحيوان من أعمال.. وكان الذين يعبدون هذه الأصنام لا يقلون عنها حُمقا وفقدانا للحس؛ سواء الذين قاموا بصنعها لكي يعبدها الناس، أو الذين وضعوا ثقتهم فيها وعبدوها (ع ١٨).

ثانيا: حث شعب الله على التكريس الحقيقي في عبادة الإله الحقيقي. (ع ١٩ – ٢١). وبمقارنة (مز ١١٥: ٩ – ١١) وبعد الاستدلال على عجز هذه الأصنام، يتحتم علينا هنا أن نعتمد على الله، ونعظمه، لأننا إذ نضع ثقتنا في الله فنحن نعطي المجد له.

المزمور المئة والسادس والثلاثون

إن هدف هذا المزمور هو نفس هدف المزمور السابق، وتتكرر كلمات الجزء الأخير من كل آية تباعا حتى آخر المزمور «لأن إلى الأبد رحمته». وعادة ما يُسمح بمثل هذا التكرار الذي يضيف كثيرا إلى جمال الترنيمة ويساعد على جعلها مؤثرة. وتكرار هذه الجملة هنا ست وعشرون مرة تشير إلى ما يلي:

• إن محبة الله لشعبه تتكرر وتظل ثابتة كما كانت من البداية إلى النهاية.

• عندما نحصل على أية عطية يجب أن نربطها بمحبة الله.

• إن محبة الله الدائمة الأبدية تميز شخصه الجليل وتعلن عنه. ولعل هذه الكلمات المتميزة «لأن إلى الأبد رحمته» تتخطى في قوتها أي حقيقة أخرى، ليس فقط بسبب تكرارها هنا، بل لأنها تمثل علامة على قبول الله لها، إذ أنه أجاز ترديدها وتكرارها. (٢أخ ٥: ١٣؛ ٢٠: ٢١ و٢٢). فيجب علينا إذاً أن نسبح الله:

أولا: لأنه إله عظيم وصالح في ذاته (ع ١ – ٣).

ثانيا: لأنه خالق الكون (ع ٥ – ٩).

ثالثا: لأنه إله إسرائيل ومخلصه (ع ١٠ – ٢٢).

رابعا: لأنه فادينا (ع ٢٣ و٢٤).

خامسا: لأنه صاحب الإحسان لكل الخليقة.. والله فوق الجميع مبارك إلى الأبد (ع ٢٥ و٢٦).

عدد ١ – ٩

إننا مدعوون دائما إلى تقديم ذبيحة الحمد بلا توقف. ليس ذبيحة من نتاج أرضنا أو مواشينا، ولكن «ثمر شفاه معترفة باسمه» (عب ١٣: ١٥).

يجب أن نرفع الشكر لله، يهوه، إله إسرائيل (ع ١) «إله الآلهة»، الإله الذي تعبده الملائكة والذي فيه يستمد الحكام قوتهم (ع ٢) «رب الأرباب» وملك الملوك (ع ٣) يجب أن نرفع الشكر لله من أجل صلاحه ورحمته (ع ١) «احمدوا الرب» ليس فقط لأنه يعمل الصلاح بل لأنه هو صالح. ليس فقط من أجل تلك المحبة التي أعطيت لنا هنا على الأرض، ولكن من أجل تلك التي ستبقى إلى الأبد في أمجاد وأفراح السماء. يجب أن نحمد الله من أجل أعمال قوته وحكمته؛ إذ قد صنع وبسط السماوات. ونحن لا

نرى فيها حكمته وقوته فحسب، وإنما نتذوق محبته في تأثيرها العذب. وطالما بقيت السماوات فإن تأثير محبة الله سيبقى منبعثا منها (ع ٥). لقد أعطى الله الأرض لبني البشر بكل ما تنتجه كما وضع الشمس والقمر والنجوم في تلك السماء لكي تؤثر وتضيء على هذه الأرض (ع ٧ – ٩).

عدد ١٠ – ٢٢

تشير هذه الأعداد إلى الأعمال العظيمة التي عملها الله لإسرائيل إذ صنع منهم شعبا، وأقام مملكته في وسطهم. ولقد وردت عن ذلك إشارات كثيرة في مزامير أخرى كأمثلة حية لسلطان الله ولرعايته الخاصة لإسرائيل؛ إذ أخرجهم من مصر (ع ١٠ – ١٢)، وشق لهم طريقا في البحر الأحمر الذي كان يمثل عائقا لخروجهم. ولم يشق الله البحر إلى نصفين فقط، ولكنه أعطى شعبه الشجاعة لكي يعبروا خلاله بعد ذلك. وهذا يضرب لنا مثلا على سلطان الله على قلوب البشر. تماما مثل سلطانه على المياه.

لقد قاد الرب شعبه في برية عاصفة ومترامية الأطراف (ع ١٦)، وهناك كان يرشدهم ويطعمهم، كما كان يسحق ملوكا أمامهم لكي يفسح طريقا لهم (ع ١٧ و١٨).

ولعله من الجيد أن ننظر بعمق إلى إحسانات الله ولا نكتفي بنظرة عابرة. بل يجدر بنا في كل موقف، أن نقف لنتأمل، وأيضا نعترف أن «إلى الأبد رحمته».

فإن الله عندما وهب شعبه أن يمتلك أرضا جيدة (ع ٢١ و٢٢). قال للمصريين: شعبي يخرج، كما قال للكنعانيين: دعوا شعبي يدخل حتى يعبدوني. وفي ذلك تحققت الكلمات «إلى الأبد رحمته». وقد كانت هذه صورة لكنعان السماوية ومحبة الرب يسوع الأبدية لنا.

عدد ٢٣ – ٢٦

إن محبة الله ورحمته الأبدية معلنة الآن في افتداء كنيسته (ع ٢٣ و٢٤). وأيضا في تحريره لشعبه قديما من أيدي مضطهديه. ذلك أن الشعب في سنوات العبودية، كانوا قد وصلوا إلى حالة وضيعة مزرية، فأصعدهم الله وأقام أناسا لهم يأخذون بأيديهم، وكذلك القضاة، ثم داود. ولكن محبة الله تظهر في أحلى صورها في الفداء العظيم للكنيسة في كل العالم. والتي كان الشعب في القديم رمزا لها.

إن هناك ما يدعونا حقا لأن نقول «الذي في مذلتنا ذكرنا» في حالتنا المزرية– «لأن إلى الأبد رحمته». فلقد أرسل ابنه ليفتدينا من الخطية والموت والجحيم ومن كل أعدائنا الروحيين «لأن إلى الأبد رحمته». (ع ٢٥). وهوذا مثال لعناية الله؛ فحيثما يعطي حياة يوفر طعاما مناسبا وكافيا. إنه مدبر بيت صالح يهيئ طعاما لمثل هذه العائلة الكبيرة. وفي كل أمجاده وكل عطاياه (ع ٢٦): «احمدوا إله السماوات». فإن هذا أو ذاك من مواقف المحبة قد يستمر لفترة من الزمن، ولكن محبة الله تدوم للأبد. إنها ينبوع لا ينضب.

المزمور المئة والسابع والثلاثون

هناك بعض المزامير التي يعتقد أنها كتبت في العصور المتأخرة من تاريخ شعب الله عندما بدأت النبوات في الانحسار وقاربت أسفار العهد القديم على نهايتها. ولكن لا يظهر أي منها بوضوح أنه كتب في تاريخ متأخر كهذا المزمور الذي كتب عندما كان شعب الله مسبيا في بابل، بل وربما في أواخر أيام سبيهم لأنهم رأوا خراب بابل يقترب بسرعة (ع ٨)، مما سيؤدي إلى خلاصهم. إنه مزمور حزن ورثاء:

أولا: إن المسبيين المكتئبين لا يمكن أن يرفهوا عن أنفسهم (ع ١ و٢).

ثانيا: ولا يمكن أن يبهجوا آسريهم المتكبرين (ع ٣ و٤).

ثالثا: ولا يمكنهم أن ينسوا أورشليم (ع ٥ و٦).

رابعا: ولا يمكن أن يغفروا لأدوم وبابل (ع ٧ – ٩).

عدد ١ – ٦

أولا: إن شعب الله يبكي، بل ويغرق في البكاء. كانوا يجلسون على أنهار بابل في أرض غريبة على مسافة كبيرة من بلدهم التي أحضروهم منها كأسرى حرب. كانت بابل مكان عبودية بالنسبة لهم، كما كانت مصر في أيامهم السالفة. لقد ساقهم المنتصرون

إلى شواطئ الأنهار بغرض تشغيلهم هناك، فنجد بعضا منهم عند نهر خابور (حز ١ : ٣). لقد جلسوا هناك يطلقون العنان لأحزانهم، متفكرين في بؤسهم، وتنهمر دموعهم عندما يذكرون صهيون، ولكنها كانت دموع مَنْ يتدبرون أمورهم «جلسنا بكينا».. دموع يشغلها التفكير في محنتهم «بكينا أيضا عندما تذكرنا صهيون»، الجبل المقدس الذي بُني عليه الهيكل. إن عواطفهم نحو بيت الله تغلبت على اهتماماتهم نحو بيوتهم الخاصة. لقد وضعوا جانبا آلاتهم الموسيقية (ع ٢) هناك «على الصفصاف... علقنا أعوادنا» لم يُخبئوا أعوادهم بين الشجيرات، أو بين شقوق الصخور، ولكنهم علقوها على مرأى البصر حتى يتأثروا لرؤيتها، ويشعروا بالأسى الذي يحفزهم على التغيير، ومع هذا فربما أخطأوا في عملهم هذا، لأن تسبيح الله يتم في أي وقت.

ثانيا: الإساءة التي وجهها إليهم أعداؤهم عندما كانوا في هذه الحالة المؤلمة (ع ٣). لقد حملوهم أسرى من بلدهم ثم عذبوهم في أرض السبي. وليستكملوا هذا العذاب سألوهم أن يرنموا ترنيمة فرح. إنه اتجاه خبيث أن يلام قوم إما على أحزانهم الحالية أو على أفراحهم السابقة. أو أن نتحداهم أن يفرحوا بينما نعلم ما هم عليه من حزن. لا توجد ترنيمات تصلح لهم إلا ترنيمات صهيون التي كانوا يرنموها لتمجيد الله وكأنهم بهذا الطلب يذكرون الله بما فعله ببيلشاصر عندما شرب الخمر في آنية الهيكل.

ثالثا: الصبر الذي تحملوا به هذه الإهانات (ع ٤). لقد وضعوا أعوادهم جانبا ولم يشاءوا أن يمسكوها، لا يريدون الترفيه عن الدنسين المستهزئين. إن السبب الذي قدموه كان سببا ينم عن تقوى: «كيف نرنم ترنيمة الرب في أرض غريبة» إنها أغنية الرب. إنها شيء مقدس، إنها خاصة فقط بالخدمة في الهيكل، ولذلك فنحن لا نجرؤ أن نغنيها في أرض غريبة بين الوثنيين.

رابعا: لقد احتفظوا دائما بعواطفهم لأورشليم مدينة احتفالاتهم التي لا تزال في ذاكرتهم حتى وهم في بابل. لقد كانت دائما في ذاكرتهم. إنهم يتذكرونها ولو أن كثيرين منهم لم يروها. وفي صلواتهم اليومية يفتحون نوافذهم نحو أورشليم. إذن كيف يمكن أن ينسوها.. «إن نسيتك يا أورشليم تنسى يميني». (وهي اليد التي لا يمكن لأي موسيقي محترف أن ينساها إلا إذ شُلت). «ليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك». إذا لم يكن لديَّ كلمة طيبة لأورشليم أينما أكون.

عدد ٧– ٩

إن أتقياء اليهود في بابل وهم يشعرون بالحزن كلما فكروا في خرائب أورشليم نجدهم هنا مبتهجين بالأمل بخراب أعدائها الحاقدين غير التائبين، لم يكن ذلك ناشئا عن روح الانتقام بل عن غيرة روحية لمجد الله ورفعة مملكته.. وكل هذا كان ثمرة العداء القديم بين عيسو ويعقوب لأنه حصل على البكورية والبركة.

يقول المرنم: «أذكر يا رب لبني أدوم يوم أورشليم». وهو عبارة عن طلب تحقيق عدالة الله ضدهم. وإن كنا أبعد ما يمكن عن الانتقام لأنفسنا، حتى لو كان ذلك في إمكاننا، فإننا نترك ذلك له الذي قال «لي النقمة»، «يا بنت بابل» المتكبرة والآمنة الآن نحن نعلم جيدا أنه محكوم عليك بالخراب، ومن دمر سيُدمر «طوبى لمن يجازيك جزاءك الذي جازيتنا». ستعاملين بنفس الوحشية التي تعاملتِ بها معنا. لن يتوقعوا أي رحمة، أولئك الذين كانت لديهم القوة ولم يظهروا أي رحمة. ولن ينجو أحد من الدمار حتى الأطفال الصغار. إنهم الجيل القادم، ولذلك فإذا قُضي عليهم، فإن الخراب لن يكون شاملا فقط كما حدث في أورشليم بل سيكون نهائيا.

المزمور المئة والثامن والثلاثون

لداود

لا تتضح في أية مناسبة كتب داود هذا المزمور. ولكن يتبين منه:

أولا: أنه ينظر إلى الماضي بكل الشكر على الاختبارات التي اختبرها عن صلاح الله (ع ١ – ٣).

ثانيا: ثم يتطلع بكل ارتياح على الرجاء:

(١) أن يُسبح الآخرون الله كما يفعل هو الآن (ع ٤ و٥).

(٢) أن يستمر صلاح الله نحوه (ع ٦ – ٨).

عدد ١ – ٥

أولا: إنه يسبح بكل غيرة وإخلاص. «أحمدك من كل قلبي».. بما في داخلي، وبكل ما في داخلي. فإن انطباعاتي الداخلية تتوافق مع انطباعاتي الخارجية. «قدام الآلهة أرنم لك» أمام الأمراء والقضاة والعظماء. «أسجد في هيكل قدسك». كان الكهنة يدخلون الهيكل بمفردهم. وكان الشعب يقف خارجا يوجهون أنظارهم بكل احترام نحو الهيكل. إن المسيح هو هيكلنا، ويجب أن ننظر إليه على أنه الوسيط بيننا وبين الله. إن السماء هي هيكل الله ويجب أن نرفع أعيننا في كل صلواتنا لله قائلين: «أبانا الذي في السماوات».

ثانيا: إن داود يشكر الله لأجل ينبوع تعزياته لأجل «رحمتك وحقك لأنك قد عظمت كلمتك» واسمك فوق كل الأشياء (إنه وعدك الذي هو حق). إن الله قد أعلن نفسه لنا بطرق كثيرة: في الخليقة، وفي العناية الإلهية بها. وكان ذلك أكثر وضوحا في كلمته. إن بعض المفسرين يفهمون معنى «كلمتك» على أنه المسيح الكلمة أو أنه الكتاب المقدس، وقد عظم الله المسيح والكتاب أكثر من كل الإعلانات التي أعلنها الله عن نفسه للآباء. لقد كان داود يعاني من الضيق، وهو يتذكر «شجعتني قوة في نفسي». إذا أعطانا الله قوة في أنفسنا لكي نتحمل متاعبنا، ونقاوم تجاربنا، ونفعل واجباتنا رغم أحوالنا المؤلمة، وإذا كان الله يقوينا لكي نتمسك به بكل ثقة ولنحتفظ بسلام فكرنا، وننتظر النتائج في صبر، فيجب أن نعترف أنه قد استجاب لنا ونحن مدينون له بالشكر.

ثالثا: كان داود نفسه ملكا، ولذلك فكان يتمنى أن يتأثر الملوك باختباراته ومثاله ويعتنقوا ديانته. وهذا ما حدث مع جيرانه من الملوك. مثل حورام وآخرين. «يحمدك يا رب كل ملوك الأرض».. عندما زاروا داود وبعد موته زاروا سليمان (كما فعل جميع ملوك الأرض) (٢أخ ٩: ٢٣) الذين اشتركوا في العبادة لإله إسرائيل، وربما تشير إلى أبعد من ذلك لدعوة الأمم وتلمذة كل الأمم بواسطة إنجيل المسيح الذي قيل عنه «ويسجد له كل الملوك» (مز ٧٢: ١١)، «ويرنمون في طرق الرب» وطرق عنايته ونعمته عليهم.

عدد ٦ – ٨

داود هنا يعزي نفسه بثلاثة أمور:

(١) إحسانات الله نحو شعبه المتواضع (ع ٦): «لأن الرب عال ويرى المتواضع» يبتسم نحوهم كما يُسرُ بهم، وإن آجلا أو عاجلا سيكرمهم، وبينما يعرف المتكبر «من بعيد»، فهو يعرفهم ولكنه يتبرأ منهم.

(٢) عناية الله بشعبه المتألم المضطهد (ع ٧): بالرغم أن داود رجل عظيم وصالح ولكنه يتوقع أن يسلك في وسط الضيق، ولكنه يشجع نفسه بالأمل. عندما أجد نفسي تكاد تغرق وتسقط فإنك تحفظ حياتي وتجعلني آمنا، ومبتهجا بالرغم من مشاكلي. إنه سيحميه: «تمد يدك» ولو أنها ليست ضد أعدائي لتفنيهم، ولكن ضد غضب أعدائي ليوقفه ويضع قيودا عليه، كما أنه في الوقت المناسب سيخلصه «تخلصني يمينك». إن المسيح هو اليد اليمنى لله، وهو الذي سيخلص كل الذين يخدمونه.

(٣) مهما كان العمل الصالح الذي بدأه الله فإنه سيحامي عني (وفي ترجمات أخرى: يحقق هدفه لحياتي) وهذا ما أنا في حاجة إليه جدا. إن كل رجل صالح يهمه جدا آداء واجبه نحو الله ويجد سعادته في الله. على أن يتم عمل الواجب بأمانة وأن يتحقق الهدف بكفاءة. وإذا كانت هذه هي الأمور التي تتوجه إليها قلوبنا فقد بدأ الله عملا جيدا في حياتنا، والذي بدأ عملا صالحا سيكمله (في ١: ٦).

إن آمالنا التي سنثابر في الحصول عليها يجب أن تكون ثابتة ليس على أساس قوتنا الذاتية التي تخذلنا، ولكن على أساس محبة الله لأن محبته لن تسقط أبدا. وكم يحسن أن نتوسل لأجلها: «يا رب رحمتك إلى الأبد».. اجعلني دائما نموذجا لها. ثم يحول آماله لتصبح رجاء: «عن أعمال يديك لا تتخل». يا رب أنا عمل يديك وكذلك نفسي. فلا تتركني. أو تتخلى عني.

المزمور المئة والتاسع والثلاثون

لإمام المغنين. لداود. مزمور

يعتبر بعض الدارسين اليهود أن هذا المزمور هو أروع مزامير داود كلها وأنه مزمور التقوى والتكريس والتأمل وهو مبني

على عقيدة علم الله الكامل غير المحدود.

أولا: هذه النظرية تتأكد هنا في الأعداد ١ – ٦.

ثانيا: ويمكن تعزيزها بحجتين:

(١) الله موجود في كل مكان لذلك فهو يعرف كل شيء (ع ٧ – ١٢).

(٢) هو خالقنا لذلك فهو يعرفنا (ع ١٣ – ١٦).

ثالثا: هناك بعض النتائج تنبع من هذه النظرية:

(١) فهي تملأنا بالاحترام والإجلال لله (ع ١٧ و١٨).

(٢) البغض الروحي للخطية والخطاة (ع ١٩ – ٢٢).

(٣) إحساس بالرضا المقدس عن كمالنا (ع ٢٣ و٢٤).

عدد ١ – ٦

إن الله الذي نتعامل معه، لديه معرفة كاملة عنا، وعن كل تحركاتنا، وكل أفعالنا، فكل ما في الداخل والخارج مكشوف لديه.

أولا: يضع داود أمامه هذه العقيدة عند مخاطبة الله، معترفا بها أمامه ومقدما له التمجيد. عندما نتكلم عن الله نجد أنفسنا ملتزمين بأقصى درجة من الإخلاص والاحترام.

ثانيا: وداود يطبق هذه النظرية على نفسه فهو لا يقول «أنت تعرف كل شيء» بل يقول «عرفتني». كما جاء في آية ١. «يا رب اختبرتني وعرفتني». كان داود ملكا، «وقلوب الملوك لا تفحص» (أم ٢٥: ٣)، ولكنها ليست كذلك أمام ملك الملوك كلها.

ثالثا: ثم يتطرق داود إلى التفاصيل، أنت تعرفني أينما أكون، وماذا أفعل، تعرف كل ما يخصني، أنت تعرفني وتعرف كل تحركاتي، عندما أجلس للراحة، وعندما أقوم للعمل، تعرفني عندما أعود للمنزل، وكيف أسير لأصل إليه، وعند خروجي، ولأي مهام أذهب. أنت تعرف كل تصوراتي، وهي دائما غير ظاهرة لنا. ومع ذلك «فهمت فكري من بعيد»، حتى قبل أن أفكر فيه بل ربما نسيت أنا ما فكرت فيه. أو فهمت فكري من علياء السماوات. «من مكان سكناه تطلع إلى جميع سكان الأرض» (مز ٣٣: ١٤). أنت تعرفني في وقت راحتي. أنت تعرفني عندما أضطجع، وعندما أتأمل فيما تم من أفعال خلال النهار، فأنت تعرف ما في قلبي وما هي الأفكار التي تصاحبني عندما أذهب للنوم. «لأنه ليس كلمة في لساني، إلا وأنت يا رب عرفتها كلها»؛ لأن الأفكار يقرأها الله كالكلمات. «من خلف ومن قدام حاصرتني». أينما نكون فنحن تحت نظر ويد الله. إن الله يعرفنا كما نعرف نحن لا ما نراه فقط بل ما نشعر به.

رابعا: «عجيبة هذه المعرفة، فوقي ارتفعت، لا أستطيعها» (ع ٦). نحن لا يمكننا بالبحث أن نعرف كيف أن الله يفتش عنا ويجدنا، ولا نعلم كيف أننا معروفون لديه.

عدد ٧ – ١٦

كان داود متأكدا تماما أن الله يعرفه ويعرف كل طرقه:

أولا: لأنه تحت عين الله دائما. فإذا كان الله موجودا في كل مكان فهو بلا شك يرى كل العالم. إن الخليقة تشمل السماء والأرض والخالق يملأهما (إر ٢٣: ٢٤). فهو لا يعرفهما ويحكمهما فقط لكنه يملأهما أيضا. كل جزء من الخليقة يقع تحت سيطرته. فليس هناك أي مجال لهروبنا من حضرته.

«أين أذهب من روحك؟، ومن وجهك أين أهرب؟»، هذا يعني من حضورك الروحي.. من شخصك الذي هو روح، «الله روح»، ولذلك فإنه من السفه أن نظن أنه مادمنا لا نراه فهو لا يرانا. أين أهرب من حضورك، قال سنيكا: «أينما تتوجه فسترى الله في انتظارك». إن داود يحدد أكثر الأماكن بعدا وعزلة ليقابل الله فيها.

(١) في السماء: إذا صعدت هناك، وأرجو ذلك قريبا. فأنت هناك وسيكون هذا منتهى السعادة لي أن أكون معك هناك.

(٢) في الهاوية: والمعروف عنها أنها أعمق أعماق الأرض. وإذا ما حفرنا بقدر ما نستطيع داخل الأرض ظنا منا أننا نستطيع أن نختبئ هناك فنحن مخطئون. وربما يكون المقصود من كلمة الهاوية هو حالة الموت. عندما ننتقل من عالم الأحياء ونغيب عن نظر كل حي فلن نغيب عن نظر الإله الحي. وربما يكون

المقصود أيضا مكان العقوبة «إن فرشت في الهاوية (وهو مكان غير مريح لوضع فراش فيه) فها أنت» بقوتك وعدلك في أبعد أركان الأرض. «إن أخذت جناحي الصبح، وسكنت في أقاصي البحر» إن أشعة ضوء الصباح (تسمى أجنحة الشمس) (ملا ٤: ٢) وليس هناك أسرع منها للطيران عليها إلى الطرف الآخر من البحر أو الأرض. وإن هربت إلى أبعد الأماكن وأكثرها غموضا فسأجدك هناك. ومهما ذهبت بعيدا فهناك أيضا «تهديني يدك وتمسكني يمينك» بحيث لا أتمكن من الذهاب أبعد من أن تصل إليَّ.

ثانيا: ليس هناك حجاب يمكن أن يخبئنا عن عين الله (ع ١١ و١٢): «فقلت: إنما الظلمة تغشاني» أجد أني خدعت نفسي. فإن أستار الظلام مثلها مثل أجنحة الصبح. حتى «الظلمة أيضا لا تظلم لديك». لا يوجد أي قناع كاذب أو تنكري مهما كان دقيقا يقدر أن يعفي أي شخص أو عمل من الظهور في نور حقيقي أمام الله.

ثالثا: إننا عمل يديه: ومَنْ يصمم آلة يعرف كل دقائقها وحركاتها. والله صنعنا ولذلك فهو يعرفنا «لأنك أنت اقتنيت كليتيَّ. نسجتني في بطن أمي». أي أنك خلقتني (انظر أيضا أيوب ١٠: ١١). أنت عملتني في الخفاء. إن أمور النفس مخفية عن كل مَنْ حولها، لكن حيث أن الله نفسه هو الذي صنعنا فهو يقدر وقتما يشاء أن يعرف كل دواخلنا «أحمدك» لأنك أنت الذي أوجدتني. إن والدي كانا فقط واسطة هذا الوجود. نحن عمله طبقا للنموذج الإلهي. «وفي سفرك كلها كتبت» إن الحكمة الإلهية هي التي وضعت الخطة. فقد خلقنا بصورة عجيبة متميزة مما يجعلنا نقف بإعجاب أمام هذه الهياكل الحية نتعجب من تكوين كل جزء فيها ومن انسجامها كلها معا.

عدد ١٧ – ٢٤

يطبق المرنم هنا عقيدة علم الله اللامحدود:

أولا: فيدرك بكل إعجاب وشكر رعاية الله له كل هذه الأيام (ع ١٧ و١٨). إن الله الذي يعرف كل شيء عنه، يفكر فيه، وكل أفكار الله من نحوه هي أفكار محبة. إن علم الله يرعانا حتى يعمل كل ما هو صالح لنا (إر ٣١: ٢٨). إن العناية الإلهية قامت في تدبيراتها بأقصى عناية ورعاية لنا بأكثر مما تصورنا أو خططنا. لا يمكننا أن نتصور مقدار حنان الله علينا الذي يتجدد كل يوم. «استيقظت وأنا بعد معك». تحت رعايتك أشعر بالأمان والرضا.

ثانيا: وهو يستنتج من هذا المبدأ أن الهلاك سيكون آخرة الخطاة. إن الله يعرف كل شرور الأشرار وسيحاسبهم عليها وذلك لأنهم يتحدونه (ع ٢٠). «الذين يكلمونك بالمكر ناطقين بالكذب، هم أعداؤك». ويعلنون عداوتهم بإساءة استعمال اسم الله. ويرى البعض أنه يصف المرائين. «الذين يكلمونك بالمكر ناطقين بالكذب». إنهم يتحدثون عن الله متظاهرين بالتقوى. يتظاهرون بصداقة الله مع أنهم أعداؤه. إنهم يسيئون استخدام اسم الله فيحلفون كاذبين. إنه يتحداهم «ليتك تقتل الأشرار يا الله. فيا رجال الدماء، ابعدوا عني» لن تستطيعوا إفسادي. لن أسمح بصداقتكم ولن تجمعني أية علاقة بكم ولن تستطيعوا تدميري. إن داود يبغضهم (ع ٢١ و٢٢). يا رب أنت تعرف قلبي وتشهد لي أني أكره الذين يكرهونك لأنهم يكرهونك؟ أنا أكرههم لأني أحبك وأكره أن أرى الإهانات تلحق باسمك. إن الخطية هي الكراهية. والخطاة موضع رثاء جميع مَنْ يخافون الله «أبغضتهم». و«عمل الزيغان أبغضت» (مز ١٠١: ٣).

ثالثا: ثم يتضرع داود إلى الله بشأن إخلاصه (ع ٢٣ و٢٤). يا رب أرجو ألا أكون سائرا في طريق شرير. ولكن «انظر إن كان فيَّ طريق باطل»، أو أي ميل نحو الفساد باقيا فيَّ، فاظهره لي وانزعه مني لأني لا أسمح بوجوده «واهدني طريقا أبديا».

المزمور المئة والأربعون

لإمام المغنين. مزمور لداود

يتشابه هذا المزمور مع الأربعة مزامير التالية له في أن لهم نفس الفكرة الموجودة في الكثير من المزامير في هذا السفر. ومن المرجح أن كاتبه هو داود الملك عندما كان مضطهدا من شاول.

ونجد أربع أفكار رئيسية في هذا المزمور:

أولا: يشتكي داود من تعمد أعدائه لإيذائه ويتضرع إلى الله أن يحفظه (ع ١ – ٥).

ثانيا: يشجع نفسه في الرب وبالرب (ع ٦ – ٧).

ثالثا: يصلي ويتنبأ بنهاية وهلاك مضطهديه (ع ٨ – ١١).

رابعا: يؤكد لكل مَنْ هو مضطهد من شعب الله أن المتاعب ستنتهي نهاية سعيدة في وقت قصير (ع ١٢ – ١٣).

عدد ١ – ٧

يمثل داود بصورة نبوية شخص المسيح في هذا المزمور كما في مواضع أخرى في أنه يتألم قبل أن يملك– وكان متواضعا قبل أن يتمجد. وكذلك في أن هناك كثيرين أحبوه وعلوا من شأنه، وجدوا في إكرامه وتمجيده، وأيضا في أن كثيرين قد كرهوه وحسدوه وتفكروا في إيذائه بشتى الطرق.

أولا: يصف داود طبيعة أعدائه: فأحدهم يبدو أنه قائد لهم. يطلق عليه داود لقب «الشرير» و«رجل الظلم» (ع ١، ٤). ويحتمل أنه هو شاول، الملك. لكن هناك كثيرين بجانب هذا الشخص وهم متحدون معه ضد داود يتميزون بالمكر الشديد (ع ٢)، ويدبِّرون مكايد بكل دهاء. وكجبابرة صيد اخفوا فخا. «مدوا شبكة» ونصبوا أشراكا (ع ٥) وذلك للإيقاع به في أيديهم قبل أن يتنبه. وكثير من المضطهدين كانوا من كبار رجال المملكة وهذا يجعلهم شديدي الوطأة جدا. لكن الرب يحفظ البسطاء. «سنوا ألسنتهم كحية. حُمة الأفعوان تحت شفاههم» أي يطلقون لسانهم بالسموم فتحول كل كلامهم إلى خبث ومكيدة مما يجعل المرء يتأكد من أنه لا يوجد على شفاهم غير «حُمة الأفعوان» (ع ٣). «اليوم كله يجتمعون (عليَّ) للقتال» (ع ٢). فهؤلاء الذين لا يتفقون على شيء يمكن أن يتفقوا في اضطهاد البار. فقد اتحد هيرودس وبيلاطس قبلا عند محاكمة الرب يسوع. وأولئك يشابهون الشيطان الذي لا ينقسم على نفسه. فكل الشياطين متحدة في «بعلزبول». وتزداد غطرسة المُضطهدين بزيادة شجاعة المُضْطهد.. ولكن كلما زادوا كبرياء وخيلاء اقتربوا أكثر من حصاد الهلاك المحتوم.

ثانيا: يُصلي داود قائلا: «أنقذني... احفظني... أنقذني» (ع ١، ٤) لا تدعهم يفلحون في القضاء على حياتي، ولا صيتي الحسن، ولا اهتماماتي، ولا راحتي، ولا منعي من الجلوس على عرشي. احفظني من أن أفعل كما يفعلون أو كما ينون أن يفعلوا.

ثالثا: داود ينتصر بالله وهكذا انتصر على أعدائه (ع ٦ و٧). «قلت للرب: أنت إلهي». وإن كنت إلهي فأنت ترسي وحماي القدير. وباقترابه إلى الله يستريح ليس فقط لأنه في عهد مع الله، ولكن في وحدة معه أيضا، فهو يجد العون من الله والسعادة فيه. لأن الرب الإله في العبرية: «يهوه أدوناي» كلمة «يهوه» تعني القائم بذاته والمكتفي بذاته، شخص غير محدود الوجود. «وأدوناي» تعني أنت صخرتي ودعامتي، قائدي ورئيسي، ولذلك فأنت مخلصي القدير ومنقذي «ظللت رأسي في يوم القتال».

عدد ٨– ١٣

يصلي داود قائلا «لا تعطِ يا رب شهوات الشرير. لا تنجح مقاصده». «أصغ إلى صوت تضرعاتي» وأيضا «لا تنجح مقاصده» أي لا تعطِ انتصارا لمكيدتهم. ابطل مشورتهم– قيد عجلاتهم– امنعهم من الاستمرار في خططهم.. وكذلك يتنبأ بهلاك أعدائه «أما رؤوس المحيطين بي فشقاء شفاهم يغطيهم» (ع ٩). ليرتد عليهم الشر الذي تمنوه لي. لتنصب لعناتهم التي تمنوها لي على وجوههم وتتحول مكيدتهم التي دبروها لي إلى إهلاكهم (ع ٧، ١٢ و١٣). إن دينونة الله التي ستنصب عليهم مقترنة هنا بالجمر– تلميحا إلى سدوم– فإن المتكلمين بالإثم لابد أن يتوقعوا السقوط لأنهم لا يمكن أن يثبتوا في الأرض. فإن ما جُمع بالاحتيال والكذب والافتراء والاتهام الباطل لا يمكن أن يفلح. «قد علمت أن الرب يجري حكما للمساكين وحقا للبائسين» (ع ١٢). ولا يسمح الله للعاتي في الأرض أن ينتصر على البار لأن «الرب يجري... حقا للبائسين».

أما الكلمات الختامية «المستقيمون يجلسون في حضرتك» تشير إلى إحسان الله المتجه إليهم (سوف تسمح لهم بالحياة في حضرتك في نعمة هنا، وفي مجد هناك، وهذه هي ركيزة سلامتهم وسعادتهم)، وأيضا إلى واجبهم من نحو الله.

المزمور المئة والحادي والأربعون

مزمور لداود

كان داود في محنة عندما كتب هذا المزمور:

أولا: فهو يطلب قبول الله له (ع ١ و٢).

ثانيا: كما يطلب معونة الله القوية له (ع ٣ و٤).

ثالثا: أن يكون الآخرون سببا للخير لنفسه كما يتمنى أن يكون هو كذلك للآخرين (ع ٥ و٦).

رابعا: أما هو وأصدقاؤه وصلوا إلى أقصى معاناة ويطلب من الله أن يتدخل ببهائه لمعونتهم ونجدتهم (ع ٧ – ١٠).

عدد ١ – ٤

أولا: أحب داود الصلاة، وهو يتضرع إلى الله أن يستمع لصلاته ويستجيب لها (ع ١ و٢). كان داود يصلي إلى الله بحرارة «أصغ إلى صوتي». دعني أحظى برحمتك عندما تستمع لي. إن الذين يصرخون إلى الله يتمنون أن يسمع الله لهم، ليس لعلو أصواتهم ولكن لحرارتها. «أسرع إليَّ». إن مَنْ يؤمن ليس في عجلة من أمره. ولكن الذي يصلي يتشوق لأن يسرع إليه الله. إن صلاته ورفع يديه عاليا في الصلاة إنما يدلان على إصعاد رغباته وتوصيل توقعاته وآماله. إن رفع اليدين إنما يدل على رفع القلب نحو الله. وهي تستخدم بدلا من تقديم الذبائح التي كانت ترفع وتردد أمام الله. إن الصلاة ذبيحة روحية، أنها تقديم النفس لله بما تحمله من عواطف مباركة. إن الصلاة رائحة زكية لله وهي كبخور تنتشر رائحته. ولا يكون للصلاة فاعلية بدون نار المحبة المقدسة المشتعلة بحرارة.

ثانيا: توسل داود إلى الله أن يحفظه من الخطية عالما أن صلواته لن تستجاب إلا إذا حفظ نفسه من الخطية. يجب أن نكون متشوقين إلى نعمة الله فينا، وإلى رحمة الله علينا «اجعل يا رب حارسا لفمي. احفظ باب شفتيَّ» (ع ٣). وحيث أن شفتيَّ هما الباب لكلماتي لتحرس النعمة هذا الباب حتى لا تسمح بخروج أي كلمة منه تهين الله، أو تجرح الآخرين (ع ٤) «لا تمل قلبي إلى أمر رديء» مهما كان ميلي للخطية، ولا تكبح الخطية فقط بل أهزمها بالنعمة الإلهية. ولما كنا نعيش في عالم شرير كهذا وفي داخلنا قلوب شريرة. فإننا في حاجة للصلاة حتى لا ننساق بأي غواية أو نقاد إلى إغضاب الله. لا تدعني «آكل من نفائسهم». لا تدعني أنضم إليهم لئلا أتورط معهم في خطاياهم. إن الرجال الطيبين يصلون ليحفظهم الله حتى من ملذات الخطية.

عدد ٥ – ١٠

أولا: إن داود يرغب أن يُخبر عن زلاته «ليضربني الصديق فرحمة، وليوبخني فزيت للرأس». نحن نتعلم هنا كيف نتقبل التوبيخ من الأبرار والحكماء. إذا كان قلبي لا يضربني كما يجب، فليفعل ذلك صديقي. لا تدعني أقع تحت هذا الحكم الرهيب بأن أُترك وحيدا في الخطية. يجب أن نعرف أن هذا واجب الصداقة. ولا يجب أن نتحمل التوبيخ بصبر فقط، بل نأخذه على أنه فضل من الآخرين. وبالرغم من أن التوبيخ يجرح لكنه يشفي، ولذلك فإن هذه الجروح أفضل من «قبلات العدو» (أم ٢٧: ٦) أو من «غناء الجهال» (جا ٧: ٥). إنه زيت للجرح يُسكنه ويشفيه. «لا يأبى رأسي» أو في ترجمة أخرى لن «تتحطم رأسي» كما يتوقع البعض الذين يفضلون تحطيم رؤوسهم عن كشف أخطائهم. ولكن داود يقول أنا لست من هؤلاء. إن خطيتي هي التي تحطم رأسي وتحطم عظامي (مز ٥١: ٨). إن التوبيخ هو زيت ممتاز لشفاء الجروح التي سببتها ليَّ الخطية. لذلك فلن أرفضه إذا ساعد ذلك على شفاء قلبي.

ثانيا: وداود يأمل أن يتحمل مضطهدوه في وقت ما أن يعرفوا بخطاياهم مثل قبوله هو أن يعرف بها (ع ٦). يظن البعض أن هذا يشير إلى التغيير الذي حدث لشاول عندما قال بدموع «أهذا صوتك يا ابني داود» (١صم ٢٤: ١٦؛ ٢٦: ١٧).

ثالثا: يشكو داود من أقصى درجات الخطر التي انحدر إليها هو وأصدقاؤه «تبددت عظامنا عند فم الهاوية» (ع ٧)، ثم ألقى بها خارجا مادمنا قد أصبحنا أمواتا ينظر إلينا كشرائح صغيرة من الخشب ملقاة في أكوام وسط كتل كبيرة من الخشب، ولا يهتم بها أحد.

رابعا: داود يلقي بنفسه على الله، ويتكل عليه لكي

يحرره. «لأنه إليك يا سيد يا رب عيناي. بك احتميت. لا تفرغ نفسي» (ع ٨). منك أتوقع الخلاص. مهما كانت الأمور سيئة ففيك أجد الملجأ.

المزمور المئة والثاني والأربعون

قصيدة لداود لما كان في المغارة. صلاة

هذا المزمور عبارة عن صلاة رفعها داود إلى الله عندما أُرغم على اللجوء إلى مغارة بسبب مطاردة شاول له، وقد دونها بهذه الصورة بعد هذه الواقعة.

ونجد فيه:

أولا: الشكوى التي رفعها إلى الله (ع ١ و٢)، من احتيال وقوة وخبث أعدائه (ع ٣، ٦)، واللامبالاة من أصدقائه (ع ٤).

ثانيا: العزاء الذي يجده في الله لأنه يعلم بحالته (ع ٣) وأنه ملجأه (ع ٥).

ثالثا: أمله في أن الله سيسمع له وينجيه (ع ٦ و٧).

رابعا: توقعه من أن الصديقين سيشتركون معه في الحمد والتسبيح (ع ٧).

عدد ١ – ٣

سواء رفع داود صلاته من مغارة عدلام أم غيرها فليس هذا هو المهم، ولكن من الواضح أنه كان في محنة. فإنه عندما لم يجرؤ أن يمد يده إلى الملك فإنه رفعهما نحو الله. ليس هناك مغارة عميقة أو مظلمة لا يمكن أن نرفع منها صلاة لله. وهو يُسمي هذا المزمور قصيدة (مزمور تعليمي) بسبب الدروس الطيبة التي تعلمها بنفسه وهو راكع يصلي في المغارة.

أولا: كيف قدم داود شكواه إلى الله (ع ١ و٢)؟ عندما زال الخطر لم يخجل داود من أن يصرح بالخوف الذي شعر به (كما هو الحال مع بعض كبار الروحانيين). ليت الناس لا يفكرون في أنه احتقار لشأنهم إن كانوا في محنة وصرخوا إلى الله كما يصرخ الأطفال لوالديهم حين يشعرون بالخوف. «بصوتي إلى الرب أصرخ. بصوتي إلى الرب أتضرع». يظن البعض أن هذا الصراخ كان بفكره فقط لأنه كان مختبأ في المغارة فلم يكن يجرؤ أن يتكلم بصوت عال لئلا يفضحه صوته، ولكن حتى الصلاة بالذهن هي صلاة مسموعة لدى الله. وهو يسمع حتى الأنات التي لا ينطق بها (رو ٨: ٢٦)، «أسكب أمامه شكواي. بضيقي قدامه أخبر». نحن نميل أن نضخم مشاكلنا بدرجة كبيرة لأنفسنا فنعطيها أهمية كبرى بينما لو لجأنا بها إلى الله فإننا نلقي كل همنا عليه لأنه هو يعتني بنا.

ثانيا: مما كان يشكو داود؟ «في الطريق التي أسلك أخفوا لي فخا». وذلك للإيقاع بي بينما لم أكن أشك في أي خطر. لقد أعطى شاول ابنته ميكال لداود حتى تكون فخا له (١صم ١٨: ٢١).

ثالثا: ما الذي عزى داود في وسط هذه الشكاوى؟ (ع ٣) «عندما أعيت روحي فيّ». وكنت على وشك الغرق تحت وطأة الحزن والخوف، فأنت «عرفت مسلكي»، وقد كانت مسرتي أنك تعرفه. ولقد حفظت طريقي وأمنته (مز ٢١: ٧؛ تث ٢: ٧).

عدد ٤ – ٧

لقد أنكره وهجره أصدقاؤه (ع ٤). عندما كان مطاردا لم يهتم به أحد ولكن الجميع تركوه، لكنه نظر إلى اليمين فوجد مَنْ يسنده ويدافع عنه (مز ١٠٩: ٣١).

ولكن منذ ظهر له يوناثان معرضا إياه للخطر فإن أحدا لم يرغب بالمخاطرة للدفاع عن براءته. كم من الأناس الصالحين خُدعوا في مثل هؤلاء الأصدقاء السطحيين والذين يختفون عند الشدائد. وهو هنا يصور المسيح يسوع والذي أنكره جميع الناس حتى تلاميذه وداس المعصرة وحده. وداود يخبرنا بما قاله للرب في المغارة: (ع ٥) «قلت أنت ملجأي. نصيبي في أرض الأحياء». إن الكهف الذي أنا فيه ليس سوى ملجأ وضيع للرب. إن اسمك هو الحصن القوي الذي أركض إليه. أنت ملجأي، والذي فيه فقط أشعر بالأمان. إن الذين يلجأون للسيد لأنه إلههم يجدون فيه الكفاية، وبكل تواضع يقولون «يا رب قلت أنت ملجأي نصيبي في أرض الأحياء». سواء في هذا العالم أو في عالم أفضل. ثم يخاطب الله في عددي ٦ و٧، «نجني من مضطهدي لأنهم أشد مني».

يا رب أنقذني من أولئك الذين يطاردونني، إما أن تقيد أيديهم أو تحول قلوبهم. اكسر قوتهم وحطم مؤامراتهم. امسك بهم أو أنقذني لأنهم أكثر قوة مني.

يا رب أطلقني من سجني. ليس فقط أن تخرجني سالما من المغارة بل اخرجني من كل المشاكل التي تحيط بي.

المزمور المئة والثالث والأربعون

مزمور لداود

هذا المزمور مثل المزامير السابقة له عبارة عن صلاة لداود وهي مليئة بالشكوى عن المحن الكبرى والأخطار التي كانت تحيط به.

وفي هذا المزمور نجد المرنم:

أولا: يشكو من المشاكل (ع ٣)، ومن ضعف روحه المعنوية (ع ٤ و٥).

ثانيا: ويصلي بحرارة (ع ٦):

(١) حتى يسمعه الله (ع ١ – ٧).

(٢) ألا يتعامل الله معه بحسب خطاياه (ع ٢).

(٣) ألا يحجب الله وجهه عنه (ع ٧) بل يظهر رحمته له (ع ٨).

(٤) أن يرشده الله ويقوده في أثناء قيامه بمسئولياته (ع ٨، ١٠)، ويساعده على سرعة انجازها (ع ١١).

(٥) أن يتعامل الله مع مضايقيه في الوقت المناسب (ع ١٢).

عدد ١ – ٦

أولا: يتضرع داود إلى الله، ويستأنف دعواه ضد مضطهديه، ويرجو أن يعلن إدانته لأعمالهم باعتباره القاضي الأمين الذي يفصل بين الصواب والخطأ. إنه ليس لنا بر ذاتي من أنفسنا نتمسك به وندافع عن أنفسنا، ولذلك فنحن نلجأ لبر الله، وهذا البر هو الوعد الذي وعدنا به دون مقابل، وجعلنا نلقي عليه رجاءنا.

ثانيا: وبكل تواضع يتضرع داود ألا يحاكمه الله بعدالته الصارمة (ع ٢). وهو يحاول هنا أن يشرح التماسه (ع ١): «استجب لي بعدلك» وفي ترجمة أخرى «خلصني حسب برك»، وهو يعني خلصني بحسب بر مواعيد الكتاب المقدس، وليس تلك التي تحمل تهديدات الناموس. وتوسله بالقول «لا تدخل في المحاكمة مع عبدك». يعني لا تعاملني بعدالة صارمة كما استحق أن أعامل. وهنا يطلب داود أن تغفر خطاياه قبل طلب إزالة كل مشاكله متكلا على رحمة الله الواسعة نحوه.

ثالثا: يشتكي داود من أعدائه (ع ٣). إن شاول عدوي الكبير يلاحقني ويطلب حياتي بحقد لا هوادة فيه. لقد أرغمني أن أجلس «في الظلمات». ليس فقط في كهف مظلم ولكن في أفكار مظلمة ومخاوف مرتقبة، وفي غيوم من الكآبة بلا رجاء «مثل الموتى منذ الدهر». يا رب اجعلني أجد رحمة لديك حيث لا أجد أي رحمة من الإنسان.

رابعا: وهو يتحسر على قهر نفسه في نفس الوقت الذي يعاني فيه من مشاكله الخارجية. «أعيت فيَّ روحي تحير في داخلي قلبي» (ع ٤).

خامسا: وهو يعد نفسه لاستخدام الوسائل الصحيحة لإراحة نفسه المضطربة، فإذا كان لا يمكنه الاحتفاظ بأي شيء من ممتلكاته، فإنه سيعمل كل ما يمكن عمله ليحتفظ بسلامة نفسه وبسلامه الداخلي. وهو يتطلع إلى الماضي ويتذكر الأيام القديمة (ع ٥). «تذكرت أيام القدم».. ظهور الله قديما لشعبه المقهور وله شخصيا، وهو يتلفت حوله، ويتأمل أعمال الله في الخليقة المرئية وتدبيرات العناية الإلهية في العالم. «لهجت بكل أعمالك. بصنائع يديك أتأمل» كم هي عظيمة وصالحة. كلما ازددنا تقديرا لقوة الله، قل خوفنا من قوة الإنسان (إش ٥١: ١٢ و١٣). وهو ينظر إلى أعلى بأشواق حارة إلى الله وإلى رحمته (ع ٦). «بسطت إليك يدي، نفسي نحوك كأرض يابسة». نعم يا سيد إنه أنت فقط. إن نفسي كأرض يابسة جفت من تأثير حرارة شديدة وتتلهف انتظارا للمطر.

عدد ٧ – ١٢

إن داود هنا يصلي من أجل ثلاثة أمور:

أولا: إظهار رحمة الله له: إن داود يخشى غضب الله «يا رب لا تحجب وجهك عني». إن بعض القديسين اليائسين صرخوا في بعض الأوقات من غضب الله عليهم كما لو كانوا خطاة (أي ٦: ٤)، «وضعتني في الجب الأسفل، في ظلمات، في أعماق» (مز ٨٨: ٦). يقول داود «اسمعني رحمتك في الغداة» (ع ٨)، أي دع كل صباح يأتيني بمحبتك الدائمة. إن الله يكلمنا بطريقتين: بالكلمة، وبالعناية،

وفي كلتيهما يجب أن يكون لدينا الرغبة والسعي أن نتقبل محبته التي لا تسقط أبدا (مز ١٠٧: ٤٣).

ثانيا: عمل رحمة الله فيه: «عرفني الطريق التي أسلك فيها». إن الرجل الصالح لا يسأل عن الطريق الذي يجب أن يسلكه، أو الطريق الأكثر راحة للسير فيه، ولكن ما هو الطريق الصحيح الواجب اتباعه. وداود هنا يتوجه إلى الله: «إليك رفعت نفسي» حتى تتشكل طبقا لإرادتك. «علمني أن أعمل رضاك» ليس فقط أن تريني ما هي مشيئتك، ولكن علمني كيف أفعلها. اهدني «في أرض مستوية» في منهج ثابت لأحيا حياة مقدسة تؤدي إلى السماء. لا يمكن أن نجد الطريق الذي يصل بنا إلى هذه الأرض إلا بإرشاد الله، ولا أن نسير في هذا الطريق إن لم يمسكنا بيده ويقودنا كما نقود الضعفاء أو المعوقين أو ضعاف البصر. وداود يصلي أن يُحييه الله حتى يعمل مشيئته. (ع ١١) «يا رب تحييني» أحيني يا رب وانعش فضائلي. حتى تكون مثمرة، ونشط صلواتي حتى تكون حية.

ثالثا: ظهور عناية الله له: (ع ٩) «أنقذني من أعدائي يا رب». أنقذني يا رب من أعدائي حتى لا يكون لديهم أي توجه ضدي لأني «إليك التجأت». وهو يصلي: خلصني من أي اضطرابات خارجية. ومن ضيق نفسي الذي يكاد يبتلعني.

المزمور المئة والرابع والأربعون

لداود

يحتمل أن تكون الأربعة مزامير السابقة لهذا المزمور بقلم داود، وأنه كتبها قبل وصوله إلى العرش، عندما كان مطاردا من شاول. وهذا المزمور يبدو أنه كتب بعد ذلك.

وفي هذا المزمور:

أولا: يعترف داود بكل الشكر لإحسانات الله العظيمة له التي قادته للحكم (ع ١ – ٤).

ثانيا: وهو يصلي إلى الله أن يعينه على أعدائه الذين يهددونه (ع ٥ – ٨، ١١).

ثالثا: وهو يبتهج لتأكده من النصرة عليهم (ع ٩ و١٠).

رابعا: وهو يصلي لأجل رخاء مملكته (ع ١٢ – ١٥).

عدد ١ – ٨

أولا: أقر داود باعتماده على الله والتزامه نحوه (ع ١ و٢). «مبارك الرب صخرتي»: وداود هنا يكثر من الكلمات ليعبر عن كفايته في الله. هو صخرتي التي عليها أقف. إلهي المحب، منشئ كل الصلاح الذي فيَّ، والذي منه كل عطية صالحة وكاملة. إن داود كان قد احتمى في حصون عين جدي القوية (١صم ٢٣: ٢٩)، والتي كانت غالبا قلاعا طبيعية، ولكنه أخيرا جعل نفسه سيدا في حصن صهيون القوي والذي حصنه بمهارته، وجعل إقامته في هذا الحصن (٢صم ٥: ٧، ٩). ولكن داود لا يعتمد على هذه كلها ويقول يا رب أنت ملجأي وحصني، ترسي، ليس فقط ملجأي في الحصن، بل أنت ترسي في ميدان القتال. أينما يذهب المؤمن فالعناية الإلهية تتبعه. لقد تربى داود كراعي غنم، ولم يدربه والداه أو لم يدرب نفسه على شيء آخر، ولكن الله جعله مقاتلا. لقد اعتاد أن يستخدم يديه وأصابعه ليعزف على القيثارة. ولكن الله علَّم يديه القتال وأصابعه فنون الحرب؛ لأن الله قصد أن يكون بطل إسرائيل وملكها. لقد جعله أميرا وسيدا وعلمه أن يدبر أمور الملك بنفس كفاءة حمل السيف. وقد أخضع أمما كثيرة تحت ولايته.

ثانيا: وداود يُبدي تقديره العظيم لتنازل الله برحمته نحو الإنسان ونحوه هو شخصيا (ع ٣ و٤). «يا رب أي شيء هو الإنسان» ما أحقره ولكنك تهتم به حتى أنك تفكر فيه. إنه لا شيء وأنه للفناء رغم الكرامة المعطاة له (ع ٤). فإنه لا يعدو أن يكون «نفخة». إنه ضعيف، وعاجز، ومحاط بضعفات كثيرة وحياته على الأرض قصيرة جدا.

ثالثا: وهو يتضرع إلى الله أن ينصره على أعدائه الذين هاجموه (ع ٥ – ٨). وهو لم يحدد من هم الذين يخشاهم. لكنه يقول: «بددهم... وأزعجهم». ثم يعود ينصفهم بعد ذلك (ع ٧ و٨).. إنهم غرباء. كان الفلسطينيون جيران سوء لإسرائيل لا يوثق بكلامهم لأن أفواههم مليئة بالكذب، وحقيقة إذا مدوا أيديهم بالسلام لعمل اتفاقية، أو قدموها للمساعدة فلا يوثق بهم إطلاقا لأن «يمينهم يمين كذب». ثم يُصلي داود

طالبا ظهور الله «يا رب طأطئ سماواتك وانزل» وليكن واضحا أنهم ملك يديك وأنك سيدهم. «من حضرتك تتزلزل الجبال» (إش ٦٤ : ١) ويقصد بالجبال الأعداء الأقوياء.. اظهر قدرتك على جبل سيناء.

عدد ٩ – ١٥

في هذا الجزء الأخير من المزمور، كما جاء في المزمور السابق، يسبح داود الله ثم يترجى رحمته.

أولا: فهو يمجد الله على إحساناته له (ع ٩ و١٠). وذلك في وسط شكواه بشأن قوة وغدر أعدائه يرفع تمجيدا لله: «أرنم لك ترنيمة جديدة»، ترنيمة شكر لمراحمه الجديدة. وهو يذكر لنا ماهية هذه الترنيمة الجديدة «المعطي خلاصا للملوك» (ع ١٠) فالملوك هم حماة شعوبهم، ولكن الله هو الذي يحميهم وهم مدينون لله بقوتهم التي تعطيهم النصرة. إن الله قد تعهد أن يعطي انتصارات للملوك الذين اختارهم ليحكموا باسمه. فلتشهد الأعمال العظيمة التي صنعها الله لداود عبده، وربما يشير ذلك أيضا إلى المسيح ابن داود فهي إذن ترنيمة جديدة، ترنيمة العهد الجديد.

ثانيا: ثم يصلي داود من أجل استمرار محبة الله:

(١) أن يخلصه الله من أعدائه على وجه العموم (ع ١١) ثم يكرر داود صلواته وتضرعاته لله (ع ٧ و٨).

(٢) إنه يتمنى أن يرى السلام العام والرخاء. يا رب امنحنا النصرة حتى ننعم بالهدوء الذي لن نناله مادام أعداؤنا بما لديهم من قوة يجلبون لنا الأذى. يتمنى داود لشعبه في آية ١٢ «لكي يكون بنونا مثل الغروس النامية في شبيبتها. بناتنا كأعمدة الزوايا منحوتات حسب بناء هيكل». وأمنيته هذه أن أولادنا وبناتنا يصبحون بكل المقاييس كما نتمنى. إنه من المستحب أن نرى بناتنا كأعمدة منحوته تزين قصرا أو هيكلا. فالبنات يعملن على أن تتوحد العائلات وتتدعم كما تثبت الأعمدة أجزاء المبنى. وعندما تكون الفتيات رشيقات وجميلات في أجسامهن وعقولهن فإنهن يصبحن في جمال قصر جميل. وعندما نرى بناتنا وقد أحسن تربيتهن جيدا ومزودات بقوة الحكمة والبصيرة، وعندما نراهن بالإيمان متحدات بالمسيح، طاهرات ومكرسات لله كهياكل حية نجد أنفسنا سعداء. ثم يصلي داود أن تنمو الحالة الاجتماعية بنمو العائلة.

◄ أن تمتلئ مخازنهم من ثمار ومنتجات الأرض، وعندما نحصل على الكفاية فإننا نشكر الله، ونكرم أصدقاءنا ونحسن إلى الفقراء.

◄ أن تزداد بوفرة قطعان مواشيهم، يزداد أغنامهم بالآلاف وعشرات الآلاف في حظائرهم. إن معظم ثروة الشعب كانت عبارة عن قطعان ماشيتهم.

◄ أن تكون بهائمهم المخصصة لخدمتهم صالحة لهذا الغرض. أن تحمل أبقارهم أحمالا ثقيلة.

لا تجعل أعداءنا يهاجموننا، حتى لا تكون لنا فرصة لكي نخرج لنحاربهم. إن الحرب تجلب معها الكثير من الأذى سواء أكانت هجومية أو دفاعية. ولا تجعل أن يكون هناك اضطهاد أو تحزب.

«لا شكوى في شوارعنا» حتى لا تكون للناس أسباب للشكوى من قادتهم أو من بعضهم البعض. من المستحب إذن أن تعيش في ظل ظروف هادئة.

إن تفكير داود في وصف رخاء المملكة والذي رغب بقوة أن يتحقق جاء في آية ١٥. «طوبى للشعب الذي له كهذا»، ولكن ذلك نادرا ما يحدث ولا يستمر طويلا. ولكن الشيء الدائم هو «طوبى للشعب الذي الرب إلهه».

المزمور المئة والخامس والأربعون

تسبيحة لداود

تعتبر المزامير الخمسة السابقة لهذا المزمور متشابهة. كلها مليئة بالصلوات. وهذا المزمور والمزامير الخمسة التي تليه حتى آخر سفر المزامير كلها متشابهة أيضا ومليئة بالتسبيح.

والجدير بالملاحظة:

• بعد خمسة مزامير من الصلوات جاءت ستة مزامير من التسبيح؛ لأن الذين يداومون على الصلاة لن يجدوا صعوبة في إيجاد ما يستحق التسبيح. كما أن أولئك الذين شعروا بالشبع في الصلاة تمتلئ حياتهم بالتسبيح. إن

الشكر لأجل الرحمة التي تعمنا يجب أن يكون أكثر من تضرعاتنا التي قدمناها للحصول على الرحمة.

• إن سفر المزامير يُختتم بالتسبيح، لأن التسبيح هو خلاصة الأمر كله، فهو مركز كل المزامير. فأولاد الله- قُرب نهاية حياتهم يجب أن يتمسكوا أكثر بالحمد والتسبيح متشوقين أن ينتقلوا إلى عالم التسبيح الدائم. وكلما ازدادوا قربا من السماء يجب أن يعتادوا على عملهم في السماء- هذا هو أحد المزامير المدون حسب الأبجدية (مثل مز ٢٤ و٢٥... إلخ.) بحيث يسهل تذكره، ويمكن حفظه. إن كتّاب اليهود يمجدون هذا المزمور كأنه نجم في المجموعة الأولى من كوكبة النجوم الساطعة، وبعضهم يغالي كثيرا في مدح هذا المزمور فيدَّعي البعض أن مَنْ ينشد هذا المزمور ثلاث مرات يوميا سيكون سعيدا حقا في العالم الآتي. في هذا المزمور:

أولا: يوصي داود نفسه والآخرين أن يسبحوا الله (ع ١ و٢، ٤ - ٧، ١٠ - ١٢).

ثانيا: ثم يشدد على الأمور التي يجب أن نسبح الله من أجلها مثل عظمة الله (ع ٣)، صلاح الله (ع ٨ و٩)، البراهين الخاصة بسلطانه وملكه (ع ١٣)، مملكة رعايته (ع ١٤، ١٦) مملكة نعمته (ع ١٧، ٢٠)، ثم يختتم المزمور بالتحريض على مواصلة تسبيح الله (ع ٢١).

عدد ١ - ٩

يدل عنوان هذا المزمور «تسبيحة لداود» أنه كان يستمتع به وينشده دائما. كان رفيقه أينما ذهب. الجزء الأول من المزمور نجد التسبيح موجها إلى صفات الله العظيمة. أما الجزء الأخير منه فموجه إلى مملكة الله وإدارتها.

أولا: مَنْ يقوم بإعطاء المجد لله: مهما فعل الآخرون فصاحب المزامير سيسبح الله بكل قدرته. كان هذا واجبه ومسرته وسيفعل ذلك، وسيعطي مجدا لله ليس فقط في صلاته ولكن في حديثه العادي، وسيكون مواظبا على ذلك: «في كل يوم أباركك» ولا يمر يوم- مهما كان مشغولا أو حزينا- بغير تسبيح الله. إن الله يباركنا كل يوم ويعمل الصالح لنا، لذا فهناك سبب لكي نمجده كل يوم، ونذكر صلاحه. إنه لا يشك، أن هناك آخرين أيضا يقومون بهذا العمل. إن غيرة داود قد تحرك الكثيرين، وقد حدث ذلك فعلا. «دور إلى دور يسبح أعمالك، وبجبروتك يخبرون» (ع ٤).

ثانيا: على أي شيء نمجد الله: على عظمته وأعماله العجيبة. يجب أن نُعلن «عظيم هو الرب»، ولما كان الله عظيما فإنه يستحق الحمد والتسبيح بكل كياننا وبكل قوانا. إن عظمة الله لا يمكن إدراكها. وعندما لا نتمكن بعد البحث أن نصل إلى عمقها فيجب علينا أن نجلس عند الحافة ونمجد عمقها (رو ١١: ٣٣). يجب أن نرى الله مدبرا وعاملا في كل أمور هذا العالم السفلي. إن جود الله هو مجده (خر ٣٣: ١٩). «ذكر كثرة صلاحك يبدون، وبعدلك يرنمون» (ع ٧) إن صلاح الله لا ينتهي لأنه سيظل غنيا في الرحمة كما كان دائما. ولكن عندما نذكر جود الله فيجب ألا ننسى- في نفس الوقت- أن نشيد بصلاحه؛ لأنه كما أنه حنان في مكافأة كل مَنْ يخدمه بأمانة، فهو أيضا صالح في عقاب كل مَنْ يتمرد عليه. هناك ينبوع من الصلاح في طبيعة الله. «الرب حنان ورحيم» (ع ٨). الرب حنان لكل الذين يخدمونه ومتعاطف مع الذين يحتاجونه، بطيء الغضب مع الذين يسيئون إليه. وغني في المحبة لكل الذين يطلبونه ويترجونه. وهو مستعد أن يعطي وأن يغفر.

عدد ١٠ - ٢١

لقد احتفى المرنم بعظمة الله وصلاحه في الأعداد السابقة من المزمور، وفي هذه الأعداد نتعلم أن نمجد جلال ملكه. والذي يديره بكل عظمة وصلاح، وبكل وضوح وضياء . لذا نتوقع التسبيح.. «يحمدك يا رب كل أعمالك» (ع ١٠). نعم كل أعمال الله تؤكد حمده. كما يمجد المبنى الجميل مَنْ بناه، والصورة الجميلة مَنْ رسمها. ولكن القديسين يباركون الله كما يبكر الأبناء ويباركون والديهم الصالحين.

وعندما «بمجد ملكك ينطقون». لابد أنهم «بجبروتك يتكلمون» (ع ١١) ولكي يفعلوا هذا دعهم يعرفوا «قدرتك ومجد جلال ملكك» (ع ١٢)؛ «ليعرفوا بني آدم قدرتك ومجد جلال ملكك» لاحظ صفة الدوام لهذا الملك وهذا الجبروت (ع ١٣).

إن عروش الملوك تتداعى وزهور تيجانهم تذبل، كما ستنتهي الممالك نفسها. ولكن «مُلكك (يا الله) مُلك كل الدهور». إن اسم الله ولقبه هو السيد

الرب رؤوف ورحيم ومملكته تدل على هذا اللقب. إن صلاح الله يظهر فيما يفعله لكل المخلوقات عموما «تفتح يدك فتشبع كل حي رضى» (ع ١٥ و١٦). كل المخلوقات تعتمد على رعاية الله لها. وكما أنه خلقهم من البدء، فإنهم يعتمدون عليه في استمرارية حياتهم. إن الكائنات الدنيا لا تعرف الله، وليس لديها القدرة على ذلك، ومع ذلك فإنه يقال إنهم ينظرون إليه (يترجونه) لأنهم يبحثون عن طعامهم بالحاسة التي وضعها رب الطبيعة فيهم. «أنت تعطيهم طعامهم في حينه». أما بنو آدم بالذات فإن الله يحكمهم كمخلوقات عاقلة، وهو عادل في كل أحكامه لا يضر أحدا بل يحكم بالعدل بين الجميع. كل أعمال الله عادلة، بينما أعمالنا غير صالحة.

إنه يرفع الساقطين ومسرته مساعدة الضعيف. «الرب عاضد كل الساقطين» (ع ١٤). فبالرغم من أنهم سقطوا فإنهم لم يصيروا مبعدين. وإذا كان الذين سقطوا بسبب ضيق أو حزن ما قد قاموا من سقطتهم، فإن الله هو الذي أقامهم. وبالنسبة لأولئك المتعبين وثقيلي الأحمال تحت نير الخطية إذا أتوا إلى المسيح بإيمان فإنه سيريحهم ويرفعهم، وإنه مستعد أن يسمع ويستجيب لصلوات شعبه. في عددي ١٨ و١٩ تظهر نعمة ملكوت الله بالنسبة لأولاده أنه ليس لديهم الحرية في أن يطلبوا فقط، بل أن يطلبوا ذلك بشجاعة. في آية ١٦ يقول: «تفتح يدك فتشبع كل حي رضى». وأكثر من ذلك فهو يحقق رغبات أولئك الذين يخافونه لأن مَنْ يُطعم طيوره لا يترك أولاده جوعى. «يسمع تضرعهم، فيخلصهم» أي أنه يسمع لهم لغرض معين كما سمع لداود وخلصه من قرون بقر الوحش (مز ٢٢: ٢١). وهو سيسمع لنا ويساعدنا إذا عبدناه وخدمناه بخوف ورعدة. في حياتنا المكرسة لله يجب أن تتلاءم مشاعرنا الداخلية مع تصرفاتنا الخارجية، وإلا فلا تكون مشاعرنا حقيقية. إن الله يضع أولئك الذين يثقون فيه تحت عنايته الخاصة. «يحفظ الرب كل محبيه» (ع ٢٠) كما يضيف صاحب المزامير.. «بتسبيح الرب ينطق فمي» (ع ٢١). وإذا كنا قد قلنا كل ما لدينا في تسبيح الله، فلا يزال هناك الكثير لكي يقال فمراحم الله لا تنضب أبدا، وهكذا الحال بالنسبة لأي عطية شكر. وطالما توجد نسمة حياة عندي فإن فمي سيداوم على تسبيح الله. «ليبارك كل بشر اسمه القدوس إلى الدهر والأبد».

المزمور المئة والسادس والأربعون

هذا المزمور وباقي المزامير التي تليه تبدأ وتنتهي بكلمة «هللويا»، وهذه الكلمة تضع الكثير من حمد الله وشكره في كلمة واحدة. في هذه الكلمة نحن نحمده عندما ندعوه (ياه) وهي اختصار كلمة يهوه.

أولا: إن صاحب المزامير يحفز نفسه ليسبح الله (ع ١ و٢).

ثانيا: كما أنه يحفز الآخرين ليثقوا في الله، والثقة هي إحدى الطرق لحمده وشكره.

(١) وهو يوضح لنا لماذا لا يجب أن نثق في الإنسان «تخرج روحه فيعود إلى ترابه في ذلك اليوم نفسه تهلك أفكاره» (ع ٣ و٤).

(٢) لماذا يجب علينا أن نثق في الله (ع ٥) ذلك لقوته وقدرته على الطبيعة (ع ٦)، ولأنه متحكم في إدارة الكون (ع ٧)، ولنعمته العاملة في ملكوت المسيّا (ع ٨ و٩). هذه المملكة الأبدية التي لا نهاية لها (ع ١٠). ودائما يستشهد الكُتاب اليهود بهذا المزمور.

عدد ١ – ٤

إن داود باعتباره ملكا كان يمكن لكبريائه أن يمنعه من التسبيح، لكن على العكس من ذلك قاده مركزه المرموق لتسبيح الله. لذا فإنه يخاطب نفسه ويحثها قائلا: «سبحي يا نفسي الرب». ثم يصمم على الاستمرار في ذلك قائلا «اسبح الرب في حياتي» وسأغني بالتسبيح له، فهو إلهي المبارك إلى الأبد والممجد في ذاته، وإلهي الذي أقمت عهدا معه. وربما يُظن أن داود كان يُعتبر بركة كبرى لبلده يجب أن يُمجد حسب عادة الأمم الذين كانوا يمجدون أبطالهم، ولكن داود قال «لا»، (ع ٣) «لا تتكلوا على الرؤساء» ولا عليَّ ولا على أي شخص آخر. لا تضعوا ثقتكم فيهم، ولا تتكلوا على إخلاصهم أو استمرارهم في السلطة. فقد يغيرون فكرهم ويسحبون كلامهم. لنفرض أن لديه القوة لمساعدتنا أثناء حياته

لكنه قد يُقتل فجأة بينما نحن ننتظر منه الكثير (ع ٤). فالملوك يموتون كبقية الناس ولذلك فليس لدينا ثقة في مساعدتهم لنا كما نجدها في إلهنا السرمدي الذي لا يموت.

عدد ٥- ١٠

يشجعنا صاحب المزامير أن نضع ثقتنا في الله. «طوبى لمن إله يعقوب معينه، ورجاؤه على الرب إلهه».. وهم الذين يجعلون الرب عاضدهم ويتخذونه إلها لهم يخدمونه، ويعبدونه، ويضعون أملهم فيه، ويعيشون حياة الاتكال عليه. إن كل مؤمن ينظر إلى الله باعتباره إله يعقوب، وإله الكنيسة عموما، ولذلك فهو ينتظر الراحة عنده في وسط الظروف اليومية الصعبة. وينظر إليه باعتباره إلهه الخاص فيتكل عليه في كل احتياجاته الشخصية ومشكلاته. قال أحد الربيين: إن العدد ١٠ يشير إلى عصر «المسيّا» وذلك بمقارنة العددين ٧ و٨ بالوصف الذي قدمه السيد المسيح للمسيّا (مت ١١: ٥ و٦) «العمي يبصرون، والعرج يمشون، والبرص يطهرون، والصم يسمعون، والموتى يقومون، والمساكين يبشرون، وطوبى لمن لا يعثر فيَّ». وهذا الجزء الأخير فيه إشارة للعدد ٥. «الصانع السماوات والأرض، البحر وكل ما فيها» (ع ٦). لذا فهو كلي القدرة في ذاته كما أن له سلطان على كل القوات والمخلوقات. وهذا ينطبق على يسوع المسيح الذي به خلق الله العالم و«بغيره لم يكن شيء مما كان». إن ما يدعم الإيمان أن مخلص العالم هو نفسه الذي خلق العالم ومن ثم فهو يريد كل الخير لهذا العالم. إن ربنا يسوع هو «الآمين، الشاهد الأمين» وكذلك «الصادق، بداءة خليقه الله» (رؤ ٣: ١٤) وهو يرى معاناة المظلومين ويجري حكما لهم. «المجري حكما للمظلومين، المعطي خبزا للجياع. الرب يطلق الأسرى» (ع ٧). لقد جاء المسيح لينقذ أولاد الله من يد الشيطان أكبر المقاومين، وقد أعطيت للمسيح السلطة «ليصنع دينونة على الجميع، ويعاقب جميع فجارهم» (يه ١٥).

وهو الذي يعطي المحتاجين بسخاء: «المعطي خبزا للجياع» (ع ٧)، لأن الله يستجيب بصورة طبيعية احتياجات الإنسان الضرورية، وقد فعل ذلك في بعض الأحيان بصورة غير طبيعية مثلما أطعمت الغربان إيليا في البرية. وقد فعل الرب يسوع أكثر من ذلك عندما أطعم الآلاف بطريقة معجزية. وهذا يشجعنا أن نرجوه أن يغذي أرواحنا بخبز الحياة. وهو الذي يهب الحرية للذين في الأسر: «الرب يطلق الأسرى». لقد أطلق إسرائيل من بيت العبودية في مصر بعد ذلك من بابل. أما المعجزات التي عملها المسيح، عندما جعل الأخرس يتكلم والأصم يسمع بكلمة واحدة «إفثا. أي انفتح» (مر ٧: ٣٤)، وشفى البرص وحررهم من عزلتهم، وأقام الموتى من قبورهم. كل هذه المعجزات يمكن أن تأتي تحت بند «يجعل المأسورين أحرارا». ويجدر بنا أن نتشجع لننال فيه الحرية الروحية التي جاء ليعلنها (إش ٦١: ١ و٢).

وهو يمنح البصر: لأولئك الذين حُرموا منه من زمان طويل.. «الرب يفتح أعين العمي» وقد جعل شعبه المتألم يرى تعزيات فوق إدراكهم. مثال ذلك فتح عين هاجر (تك ٢١: ١٩)، وفتح عين غلام النبي (٢مل ٦: ١٧). لكن هذا الموضوع له دلالة خاصة بالنسبة للرب يسوع، «منذ الدهر لم يُسمع أن أحدا فتح عين مولود أعمى» (يو ٩: ٣٢) حتى فعل ذلك المسيح. وهذا يشجعنا أن نجد فيه الاستنارة الروحية. وهو «يقوِّم المنحنين» تحت ثقل أحمالهم وبأسرع وقت. وقد قام الرب يسوع بهذا العمل عندما شفى امرأة «كانت منحنية ولم تقدر أن تنتصب البتة» (لو ١٣: ١١). ومازال يفعل ذلك بنعمته معطيا راحة لأولئك المتعبين وثقيلي الأحمال. ويعزي المتواضعين والمنحنين- «الرب يحب الصديقين»، ويعطي اهتماما خاصا لأولئك المحتاجين لعناية خاصة منه، «الرب يحفظ الغرباء». إن مجد المسيح سيحطم كل أبواب الجحيم، وحكماء الأرض الذين يحاربون كنيسته، وستبقى مملكته إلى الأبد رغم كل الانقلابات والثورات في العالم (ع ١٠). ليكن هذا مشجعا لنا أن نثق في الله في كل الأوقات. «يملك الرب إلى الأبد» إلى الأبد بالرغم من شر قوى الظلام. إن «إلهك يا صهيون» هو إله كل الأجيال.

المزمور المئة والسابع والأربعون

هذا مزمور آخر للتسبيح. يظن البعض أنه نسخ بعد عودة

اليهود من السبي، ولكن ما جاء في عددي ٢، ١٣ يمكن أن ينطبق على بناء أورشليم وتحصينها، وإلى تجمع وعودة أولئك الذين كانوا في الشتات في أيام حكم الملك شاول. والترجمة السبعينية للتوراة تقسم المزمور إلى قسمين. وكل قسم يحمل نفس الأهمية:

أولا: نحن مدعوون لأن نسبح الله (ع ١، ٧، ١٢).

ثانيا: أننا مزودون بمادة نحمد الله عليها لأن الله يجب أن يمجد:

(١) لأنه إله الطبيعة (ع ٤ و٥، ٨ و٩، ١٥ – ١٨).

(٢) لأنه إله كل نعمة (ع ٣، ٦، ١٠ و١١).

(٣) لأنه إله إسرائيل، وأورشليم، وصهيون، الذي يثبت مملكتهم (ع ٢، ١٣ و١٤)، ويثبت بصفة خاصة النواحي الروحية فيما بينهم (ع ١٩ و٢٠).

عدد ١ – ١١

أولا: توصية بتسبيح الله المرة بعد المرة في آية ١ وفي آية ٧ «أجيبوا الرب بحمد. رنموا لإلهنا بعود» (لتكن تسبيحاتنا لله مباشرة ومركزة فقط عليه) لأنه حسن أن نفعل ذلك بل هو واجبنا؛ لأنه في تمجيدنا لله فإننا نكرم أنفسنا كثيرا.

ثانيا: إن الله هو موضوع تسبيحنا. هل يمكن لأورشليم أن تنهض وهي في خطواتها الأولى. وهل يمكن أن تستعيد مجدها من الدمار الذي حل بها؟ إن «الرب يبني أورشليم» في كلا الحالتين. إن كنيسة المسيح أورشليم النازلة من فوق سيبنيها الرب. هل هناك أحد من خاصته خارج حظيرته؟ هل فعلوا ذلك بحماقتهم الشخصية؟ إنه يجمعهم ويمنحهم التوبة ويأتي بهم ثانية إلى شركة القديسين. إنهم منكسرو القلوب ومرتبكون لأن الخطية تؤلم داخليا عند تذكرها. إن قلوبهم تتقطع تحت شعورهم بعصيان الله والألم الذي سببوه لأنفسهم بعمل الخطية. إن الله ينادي بالسلام إلى أولئك الذين يشفيهم بتعزيات روحه القدوس.

إن النجوم لا حصر لها، ولكن الله يدعو كل منها بأسمائها، وكلها في خدمته يجمعها ويحركها كلها بتوجيه منه. وهو يذكر ذلك لكي يرينا كم «عظيم هو ربنا، (وكم هو) عظيم القوة» كما شاء فعل، و«لفهمه لا إحصاء». إن علم الإنسان يتلاشى سريعا، أما الله «لفهمه لا إحصاء». «الرب يرفع الودعاء» الذين يتواضعون في حضرته، والذين يداسون من الناس، أما الأشرار الذين يتكبرون على الله، ويعاملون الناس باحتقار والذين يترفعون بكل كبرياء وحماقة فإن الله «يضع الأشرار إلى الأرض». ومع أن الله عظيم جدا حتى أنه يأمر النجوم والكواكب فإنه أيضا صالح ولا ينسى الدواجن والطيور. «الكاسي السماوات سحابا» (ع ٨) عندما تظهر السحب في السماء فإننا نشعر بشيء من الانقباض. ولكن بدون السحاب لا تنزل أمطار ومن ثَم لا تنتج أي ثمار. فالغمام الذي يحدث عند ظهور هذه السحب يسبب نوعا من الأسى اللحظي، ولكن هذه السحب تعطينا المطر الذي يجلب لنا الحصاد. تظهر ضيقات الزمن الحاضر معتمة سوداء وغير مرغوبة لكن من هذه السحب– سحب الضيق والألم– تأتي أمطار البركة التي تنتج «ثمر بر للسلام» (عب ١٢: ١١).

وعن طريق المطر الذي ينزل على الأرض تنبت «الجبال عشبا»، حتى على الجبال العالية التي لا يهتم بها الإنسان ولا يستفيد منها. لكن هذا العشب الذي انبته الله عليها يكون طعاما للبهائم، و للوحوش البرية التي تعيش على الجبال، والتي لا يستفيد منها الإنسان. أو فراخ الغربان التي تخلى عنها كبارها تصرخ فيسمع لها الله ويهيئ السبل لإطعامها. إن الله يسر أن يكرم القوة النابعة من النعمة وليس قوة الجيوش. «لا يسر بقوة الخيل» ولا في الجند المشاة وهو «لا يرضى بساقي الرَّجُل». إذا كان هناك ملك في حرب مع ملك آخر ويطلب من الله أن ينصره، فلم ينفعه أن يقول: «يا سيدي لدي جيش شجاع وعندي مشاة وراكبو خيل مدربون». ولكن الله يسر بالاعتراف بقوة النعمة «يرضى الرب بأتقيائه» ويسر بخائفيه الذين يضعون رجاءهم في محبته التي لا تسقط أبدا. إن خوفنا لابد أن يحفظ رجاءنا من التسليم للأمر الواقع كما أن رجاءنا يحفظنا من الخوف من السقوط في اليأس.

عدد ١٢ – ٢٠

إن أورشليم وصهيون المدينة المقدسة والجبل المقدس مدعوون هنا لتسبيح الرب (ع ١٢). إن أورشليم وصهيون يجب أن يسبحا الرب:

(١) لأجل سلامتهم: إن لديهم بوابات وهذه البوابات تغلق في أوقات الخطر، ولكن هذا لا يمكن أن يكون وسيلة أمن فعالة إذا لم يكن الله قد شدد عوارض أبوابها وقوى استحكاماتها.

(٢) لأجل زيادة عدد الشعب، فهذا يقوي عوارض الأبواب أيضا.

(٣) ثم من أجل السلام الشامل لأنهم تحرروا من أهوال الحروب «بارك أبناءك داخلك» بوضع نهاية للحروب التي كانت تهددهم وتسبب لهم الرعب.

(٤) لأجل الرخاء وهو النتيجة التلقائية للسلام. الذي «يشبعك من شحم الحنطة»: إن أثر السلام يظهر في الوفرة والرخاء. تميزت كنعان بوفرة الحنطة وجودتها (تث ٣٢: ١٤)، وكانت تصدر القمح للبلاد الأخرى كما جاء في حزقيال ٢٧: ١٧.

كانت أرض إسرائيل تفتقر إلى الأحجار النفيسة والتوابل، ولكنها كانت تمتاز بأجود أنواع القمح، والخبز الذي «يسند قلب الإنسان».

إن الله الذي يحمي صهيون وأورشليم هو الإله القوي الذي يسخر كل قوى الطبيعة والذي اعتمدوا عليه. وكما خلق الله العالم في البدء فلا يزال العالم قائما ومحكوما بكلمة قدرته العظيمة. و«يرسل كلمته في الأرض. سريعا جدا يجري قوله». بيده «خزائن الثلج والبَرَد» (أي ٣٨: ٢٢). التي يعطي منها كما يشاء. إنها تنزل بسكون ولا يُسمع لها أي صوت إلا صوت سقوط قطع من الصوف. وهذه الأمطار تغطي الأرض وتحفظها دافئة كفراء الصوف فتسبب الخصوبة. إن الله يمكن أن يعمل بشكل مغاير ويجلب الطعام من آكله. يقدر أن يدفئ الأرض بالثلج البارد كما يشاء. «يرسل كلمته فيذيبها» (ع ١٨).

إن البَرَد والجليد والثلج كلها تذوب سريعا. ولهذا السبب فهو «يهب بريحه»، ويأمر رياح الجنوب أن تهب، والمياه التي كانت مجمدة تتدفق ثانية كسابق عهدها. إن هذه الكلمة التي تذيب الثلج تمثل روح المسيح، فالروح والريح من أصل كلمة واحدة (يو ٣: ٨).

فكلاهما يرسلان لإذابة النفوس المتجمدة. إن النعمة المخلصة تشبه انصهار الثلج، فهي تلين القلب القاسي وتذيبه فتسيل دموع التوبة، وهي تدفئ العواطف الصالحة وتجعلها تتدفق، وهي التي كانت قبلا متجمدة. وهذا واضح جدا، ولكن كيف يتم ذلك؟ هذا لا يمكن معرفته. هذا ما يحدث عند تجديد القلب عندما تأتي كلمة الله وروحه لتذيب القلب وتعيده إلى نفسه. كان لدى يعقوب وإسرائيل الفرائض والأحكام.. كانوا تحت رعايته الخاصة.. كانت شرائعهم من صنع الله، وكان الله هو ملكهم. كان لهم امتياز الإعلان الإلهي، وكتب لهم أعظم الشرائع، لكنهم لم يكتشفوا وصايا الله وأحكامه بأنفسهم، ولكن الله «يخبر يعقوب بكلمته» وبهذه الكلمة أظهر الله لهم أحكامه وفرائضه. إن أمما (أخرى) كان لديها الكثير من الأشياء المادية الجيدة. وبعض الأمم كانت وافرة الثراء وأخرى كانت تتميز بأمراء وعظماء أقوياء، وأدب رفيع، ولكن أحدا منهم لم يشمله الله بوصاياه وأحكامه كما أعطى الله إسرائيل. فلهذا على الشعب أن يقدم الشكر لله على شريعته التي منحها لهم وخصهم بها.

المزمور المئة والثامن والأربعون

هذا المزمور هو دعوة جادة لجميع المخلوقات كل حسب قدراته وإمكاناته لتسبيح الخالق، وإعلان قوته السرمدية وألوهيته. ولتعلن الأشياء الغير مرئية في الأشياء التي ترى. وكاتب المزامير يهمه كثيرا أنه يسبح الله بهذه الطريقة. ولذلك فهو يفعل كل ما في وسعه لإشراك كل ما يحيط به، وكل مَنْ سيأتي بعده، وكل مَنْ كانت قلوبهم جامدة باردة ولم تقم بتسبيح الله بهذه الأبيات الشعرية السامية التي يحويها هذا المزمور.

أولا: وهو يدعو الكائنات الساكنة في أعالي السماوات لتسبح الله، سواء الكائنات العاقلة (ع ١ و٢)، والتي يمكنها التسبيح عمليا، أو الأخرى غير العاقلة والتي تسبحه موضوعيا (ع ٣ – ٦).

ثانيا: وهو يدعو المخلوقات من هذا العالم السفلي أيضا للتسبيح (ع ٧ – ١٠).

وكذلك أولئك الذين منحهم الله العقل والقادرون على تقديم ذبيحة التسبيح (ع ١١ – ١٣)، وخصوصا شعبه الذين لديهم أسبابا أكثر لكي يسبحوا الله أكثر من الآخرين (ع ١٤).

عدد ١ – ٦

إننا في هذا العالم المظلم والكئيب لا نعرف إلا القليل عن عالم النور والمجد ولكن هذا ما نعلمه:

أولا: أنه يوجد فوقنا عالم من عدد لا يحصى من ملائكة مباركين يسبحون الله، والمرنم له رؤية هنا (ع ١ و ٢) «من السماوات.. في الأعالي». إن السماوات هي الأعالي لذلك فإنه يجب أن نرفع نفوسنا فوق العالم إلى الله في السماوات وإليه نوجه مشاعرنا. إن مسرة المرنم أن يعرف الله ممجد في الأعالي. عندما نترنم بهذا المزمور وندعو الملائكة أن تسبح الله كما رنمنا في مزمور ١٠٣: ٢٠. فنحن نعني أن الله يجب أن يُمجد بأيادٍ مرفوعة وبأحسن صورة، حتى تكون لنا شركة روحية مع أولئك الساكنين في مسكنه في الأعالي، وأننا قد أتينا بإيمان، ورجاء ومحبة مقدسة إلى «ربوات هم محفل ملائكة» (عب ١٢: ٢٢).

ثانيا: وهناك في السماء ليس فقط جمهور من الأرواح المباركة، بل يوجد نظام من كواكب النور تسبح الله. هناك الشمس والقمر والكواكب والتي نراها باستمرار سواء بالليل أو بالنهار والتي تُظهر لنا كعدسات مكبرة ظلالا باهتة لمجد الله أبي الأنوار (ع ٣). «سبحيه يا أيتها الشمس والقمر سبحيه يا جميع كواكب النور». «السماوات سماوات للرب» (مز ١١٥: ١٦). ومع ذلك فهذه السماوات لا تسعه (١ مل ٨: ٢٧).

وفي الترجمة الآرامية نقرأ «سبحيه يا سماء السماوات ويا أيتها المياه» التي تعتمد على كلمة من الساكن «فوق السماوات لتسبح اسم الرب» ولهذا دعنا نسبح اسم الرب من أجلها، ولنلاحظ الخيرات الجديدة الدائمة التي نتعلمها منها لنسبح الله.

«أمر فخُلقت» من عدم بكلمة منه. وهو لا يزال يحفظها (ع ٦): «ثبتها إلى الدهر» أي حتى آخر الزمن مادام هناك حاجة إليها.

عدد ٧ – ١٤

حتى في هذا العالم أيضا اسم الله مسبح «سبحي الرب من الأرض» (ع ٧)

أولا: وحتى هذه الكائنات التي لم توهب عقل مدعوة لأن تسبح الله في هذا المحفل لأن الله يمكن أن يتمجد من خلالهم (ع ٧ – ١٠). «سبحي الرب من الأرض أيتها التنانين (أو الحيتان)» (ع ٧)، والتي تمرح في البحر وترقص أمام الرب لتمجيده (مز ١٠٤: ٢٦). كل أعماق المحيطات وساكنيها تسبح الله، من الأعماق اسم الله مسبح والنار هنا هي البرق. والظواهر الطبيعيه المائية مثل البَرَد، والثلج، والضباب، والرياح العاصفة مهما كانت قوتها وشدتها فهي جميعها تنفذ أوامره، وقد أظهر السيد المسيح أن له سلطانا إلهيا عندما أمر الرياح والأمواج العاتية والبحر أن تهدأ فأطاعت وهدأت ونفذت أوامره. وهناك الجبال والتلال والآكام التي نجد فيها مادة لتسبيح الله، وهناك النباتات أيضا، فالنباتات المثمرة تسبح الله. كذلك الأشجار الثابتة كأشجار الأرز تلك هي «أشجار الرب» (مز ١٠٤: ١٦). كما يتمجد الله في مملكة الحيوان أيضا حتى في الحيوانات المفترسة وكل الماشية التي تروض لخدمة الإنسان (ع ١٠). وحتى المخلوقات الصغيرة التي تعيش في الحضيض ليست في موضع لا يسمح لها بتمجيد الله، والطيور التي ترتفع إلى الأعالي ليست أعلى من تمجيد الله. إن الكثير من حكمة وقوة وصلاح الخالق تظهر في بعض المخلوقات ذات الإمكانات والغرائز المختلفة التي مُنحت لها لاستخدامها لفائدتها. لا يسعنا إلا أن نعلن شكرنا لله من أجل كل عجائب مخلوقاته.

ثانيا: هذه المخلوقات التي تتميز بالعقل يجب أن تستخدم عقلها في تسبيح الله. «ملوك الأرض وكل الشعوب» (ع ١١) ويجب أن يتمجد الله في نظم ودساتير الشعوب، وفي الحكام والمحكومين. كذلك في النظام العائلي يجب أن يُسبح الله لأنه هو الذي أسسه، وهو الذي يمنح العائلات العلاقات التي تعطي تعزيات بين الأبناء، والإخوة، والأخوات. ليسبح الله كل البشر، وكل من أنعم الله عليهم بالمجد والكرامة يجب أن يمجدوه بها والقدرات التي وكلهم الرب عليها تدعوهم لتمجيد الله وخدمته أكثر من الآخرين. كما أن تسبيح الناس لله مطلوب ومتوقع أيضا. فالمسيح لم يحتقر الجموع التي هتفت له «أوصنا». ليحول كل الفتيان والفتيات فرحهم في هذا الاتجاه. حتى كبار السن لا يجب أن يظنوا أن

شيخوختهم أو ضعفهم يعطيهم العذر لعدم التسبيح. والفتيان يجب أن يسبحوا الله منذ الصغر. إن عظمة الله هي فوق الأرض والسماوات، وليسبح الله كل ساكني الأرض والسماوات، وليعرفوا اسمه ويُعلُّوه فوق كل تسبيح وتمجيد.

ثالثا: إن أغلب أولاد الله الذين ميزهم ببركات خاصة يجب أن يسبحوا الله بطريقة خاصة (ع ١٤). إن الله قريب من كل مَنْ يدعوه وفي كل ما يسألوه هم «الشعب القريب إليه». هذه البركة أصبحت الآن من نصيب «الأمم» بالمسيح يسوع (أف ٢: ١٣). فليمجد الله كل أولئك الذين مجدهم.

المزمور المئة والتاسع والأربعون

يعتبر المزمور السابق ترنيمة تسبيح للخالق، أما هذا المزمور فهو ترنيمة تسبيح للفادي. هو مزمور النصرة بإله إسرائيل على أعدائه. يرجح البعض أن هذا المزمور كتب بعد أن ثبت داود أقدامه في صهيون وأقام ملكه هناك. ولكن المزمور يتطلع إلى أبعد من هذا- إلى مملكة المسيّا الذي «خرج غالبا ولكي يغلب».

أولا: فرح كبير لكل شعب الله (ع ١ – ٥).

ثانيا: رعب شديد لأعداء شعب الله المتكبرين (ع ٦ – ٩).

عدد ١ – ٥

أولا: تُوجه الدعوة لشعب الله في إسرائيل للتسبيح. وكل أعمال الله في المزمور السابق كانت موضوع تسبيحه. ولكن في هذا المزمور يطلب المرنم من أتقياء الرب على الأخص أن يباركوه، إسرائيل عموما، ثم مجتمع المؤمنين، شعب صهيون على الأرض (ع ٢) الساكنين في جبل قدسه الذين هم أقرب إلى الله من غيرهم من الإسرائيليين: وأولئك الذين يحفظون كلمة الله ووصاياه قريبة منهم، فإنه ينتظر منهم أن يسبحوا الله أكثر من غيرهم. كل المسيحيين الحقيقيين يمكن أن يسموا أنفسهم «بنو صهيون» لأننا بالإيمان والرجاء نأتي إلى جبل صهيون (عب ١٢: ٢٢). «ليفرح إسرائيل بخالقه. ليبتهج بنو صهيون بملكهم»، «تسبيحته في جماعة الأتقياء». إن سر قوة التقوى في القلب هي في جعل الله الموضوع الرئيسي لفرحنا وعزائنا. وإيماننا بالمسيح نعبر عنه بفرحنا به. يجب أن نرنم ترنيمة جديدة.. نرنم بعواطف جديدة مما يجعل ترنيمنا جديدا مهما كنا قد استعلمنا نفس الكلمات من قبل. إن التسبيح يجب أن يكون بالروح والذهن أيضا، يجب أن نسبح الله في العلن، في جماعة الأتقياء جماعة القديسين (ع ١). وبذلك نعلن اسم الله أمام كل العالم. كما يجب أن نسبح الله على انفراد (ع ٥). ليتحرك القديسون بفعل فرحهم في الرب حتى أنهم يرنمون «على مضاجعهم»، وعندما يستيقظون في الليل تمتلئ أفواههم بالتسبيح لله مثل داود (مز ١١٩: ٦٢).

ثانيا: ماذا يدعو شعب الله للتسبيح؟ إنه منحنا شخصياتنا لذا نسبحه لأنه خلقنا متميزين ومكرمين. ولأنه أعطى إسرائيل كيانه كشعب خاص، ولأنه صانعهم، فهو ملكهم، ولأنه صانعهم فإنه أعطاهم الناموس. إنه الملك الذي يحكم بالحب فله كل الحمد والتسبيح، لأن الله يجد مسرة في شعبه، وفي خدمتهم، وفي نجاحهم. في حياة الشركة معهم وفي الإعراب عن محبته لهم. وقد أعد مجدا لشعبه في المستقبل. وهو يتوج المتواضعين والودعاء والمنسحقي الروح، والواقعين تحت شدة الحزن والأسى، وهو يظهر حنانه لكل البشرية وسيظهرون بشكل لائق جميل أمام كل العالم؛ وذلك بالوداعة التي وضعها الله فيهم، وسيتوج الأبرار في ذلك اليوم حين يضيئون كالشمس. في ضوء هذه الآمال دعهم الآن في هذا اليوم المظلم يرنمون ترنيمة جديدة.

عدد ٦ – ٩

تُقدم هذه الأعداد شعب الله إسرائيل المنتصر على أعدائه. ذلك الانتصار هو موضوع الشكر لله «تنويهات الله في أفواههم» أي ليهتفوا مسبحين الرب بملء أفواههم، ثم مكافأتهم على ذلك التسبيح. فهؤلاء الذين يشكرون الله حقا بوداعة سيباركون منه بالنصر. بدأت الانتصارات العديدة على بلاد كنعان وعلى غيرها من الأمم التي أصابها الدمار منذ أيام موسى ويشوع، اللذين عندما علما الشعب كيف يمجد الله وضعوا

في يده أيضا سيفا ذي حدين، وقد فعل داود هذا أيضا لأنه كان قائدا لجيوشهم فقد علَّم أبناء يهوذا فائدة القوس (٢صم ١: ١٨) «ليصنعوا نقمة في الأمم» في الفلسطينيين، والمؤابيين، والعمونيين وفي غيرهم «وتأديبات في الشعوب» من كل الشر الذي صنعوه لشعب الرب (ع ٧). كما أن ملوكهم وأشرافهم أُخذوا أسرى (ع ٨). ويرى البعض أن المقصود بهذا الكلام ما حدث أيام المكابيين، عندما أحرز اليهود انتصارات ضد مضطهديهم. وإذا كان يبدو من الغريب أن يكون الحليم قاسيا، بالرغم من طبيعته، فإنهم لا يفعلون ذلك عن أي حقد أو انتقام، أو أي غرض سياسي يحكمهم، إنما كان ذلك بتفويض من الله وطبقا لتوجيهاته وطاعة لأوامره. ولكن حيث لا يوجد الآن أي تفويض خاص من الله يمكن الاستناد إليه، وعليه فليس هناك ما يبرر أي شكل من العنف سواء من الرعايا ضد رؤسائهم، أو من الرؤساء ضد رعاياهم، أو منهم جميعا لجيرانهم تحت ستار الدين، لأن المسيح لم يقصد أن ينتشر إنجيله بالنار والسيف، أو أن ينتشر عدله عن طريق عقاب البشر. عندما تشدو أفواهنا حمدا وشكرا لله فيجب أن تُحمل في نفس الوقت أغصان الزيتون في أيدينا. إن المسيح ينتصر على أعدائه الروحيين بإنجيله وبالنعمة وبذلك يكون المؤمنون أعظم من منتصرين. إن كلمة الله هي سيف ذو حدين (عب ٤: ١٢)، وكذلك هي سيف الروح (أف ٦: ١٧). وبهذا السيف ذي الحدين حقق المبشرون الأوائل بالإنجيل انتصارا عظيما على قوى الظلام. وحاق الانتقام على آلهة الأمم؛ وذلك بواسطة إيمان وتجديد أولئك الذين كانوا يتعبدون لها قبلا وقد تحطمت قبضة الشيطان القوية عليهم (٢كو ١٠: ٤ و٥).

إن رجالا عظماء ارتعبوا أمام الكلمة، مثل فيلكس الوالي، كما طُرح الشيطان رئيس هذا العالم بعد محاكمته وإدانته. وبهذا السيف ذي الحدين يحارب المؤمنون طبيعتهم الفاسدة وبواسطة نعمة الله يخضعونها وينتصرون عليها ويقيدونها بالسلاسل لتخضع لنير المسيح. «كرامة (فخر) هذا لجميع أتقيائه».

المزمور المئة والخمسون

يلاحظ أن كلا من المزمور الأول والأخير قصير ومن السهل حفظه. ولكن هدف الواحد مختلف جدا عن الآخر. فالمزمور الأول عبارة عن تعليمات محددة عن واجباتنا كما يعدنا للتعزيات التي ننالها عند تكريس أنفسنا. وهذا كله يؤدي إلى الفرح والسرور. أما هذا المزمور الأخير فقد كتب ليكون خلاصة لهذه المزامير المقدسة. إن صاحب المزامير كان ممتلئا بأغاني التسبيح لله، وكل مسرته أن يملأ العالم بها، فهو يكرر القول سبحوا الله، سبحوه، حوالي ثلاث عشرة مرة في هذه الأعداد الست القصيرة.

وهو يرينا:

أولا: ما يجب أن نسبح لأجله (ع ١ و٢).

ثانيا: كيف يتم التسبيح لله (ع ٣ – ٥).

ثالثا: مَنْ يجب أن يسبح الله، إنه واجب كل واحد منا (ع ٦).

عدد ١ – ٦

إذا كان هذا المزمور– كما يعتقد البعض– قد كُتب إلى اللاويين ليدفعهم إلى الغناء واللعب على الآلات الموسيقية في بيت الرب، لكن في نفس الوقت يجب أن نعتبره موجها إلينا نحن الذين نعتبر خدام روحيين للرب إلهنا.

أولا: هذا التكليف بالحمد يأتي:

(١) «في قدسه»: لنسبحه هناك، لتجتمع رعاته وشعبه هناك بكل تسبيحاتهم. وأين ينبغي تسبيحه إن لم يكن هناك حيث يعلن مجده ويرسل نعمته بشكل خاص؟

(٢) «في فلك قوته»: سبحوه من أجل قوته وجلاله اللذين يظهران في السماء باتساعها وضيائها. وبتأثيرها القوي على هذا الأرض.

ثانيا: على أي أساس تأتي تقدمة الحمد هذه:

(١) «على قواته» (ع ٢). وهي تعني كل حالات قوته، وقدرة العناية الإلهية، وقوة نعمته. ما قد فعل في الخليقة، في سلطانه، في فداء العالم، لكل بني الإنسان عامة ولكنيسته وأولاده على الخصوص.

(٢) المجد والجلال لشخصه: «سبحوه حسب كثرة عظمته» ليس لأن تسبيحنا له أي قيمة بالنسبة

لعظمته لأنها عظمة لانهائية. لا تخف من أن تقول الكثير في تسبيح الله لأن الخطورة هي عندما تذكر القليل جدا عن عظمته.

ثالثا: بأي وسيلة يجب أن تقدم هذا الواجب؟ بكل أنواع الآلات الموسيقية التي كانت تستخدم في خدمة الهيكل (ع ٣ – ٥). يجب ألا ندخر أي ثمن أو أي جهد في خدمة الله. إن أحسن موسيقي في أذن الله هي عواطف التقوى والورع، وليست بالآلات الوترية الرخيمة، ولكن بقلب مرنم شاكر. احمدوا الله بإيمان قوي، احمدوه بسرور ومحبة، احمدوه بثقة كاملة في المسيح يسوع. سبحوه بإيمان قوي بالانتصار على قوات الظلمة. احمدوه باحترام كلي لجميع وصاياه. سبحوه بتشجيع الآخرين بالاهتمام بمملكة نعمته. سبحوه برجاء حي متوقعين ملكوته المجيد. هناك وسائل كثيرة تستخدم في التسبيح لله. ويجب أن تعمل جميعها بانسجام تام. يساعد أحدها الآخر ولا يقاوم أحدها الآخر. إن العهد الجديد هو سيمفونية رائعة لتمجيد الله.

رابعا: مَنْ هم أولئك الذين يجب عليهم أن يسبحوا الله؟ (ع ٦) «كل نسمة فلتسبح الرب». كانت البداية بنداء إلى أولئك الذين يشغلون مكانا في قدسه ويخدمون في الهيكل، ولكن الدعوة شملت بعد ذلك كل الناس انتظارا لوقت دخول كل الأمم إلى الكنيسة «في كل مكان»، ويكون التسبيح مقبولا في كل مكان كما في أورشليم. «اسمي عظيم بين الأمم وفي كل مكان يُقرب لاسمي بخور وتقدمة طاهرة، لأن اسمي عظيم بين الأمم قال رب الجنود» (ملا ١ : ١١). إن تغريد الطيور هو نوع من التسبيح لله. كما أن الحيوانات تقول للإنسان ضمنا، إننا لابد أن نسبح الله لو كان ذلك ممكنا، فسبحوه نيابة عنا. ولما كان الأمر في الإنجيل بأن يبشر للخليقة كلها، فالمطلوب من كل إنسان أن يسبح الله. إن الصلوات تسمى زفرات كما جاء في مراثي إرميا ٣: ٥٦. لعل كل واحد منا حين يرفع صلاته لله أن يتقدم بالتسبيح له. ومادمنا نتنفس فيجب علينا أن نسبح الله، وعندما يأتي الموت وتتقطع الأنفاس فإننا سننتقل لحالة أفضل حيث نتنفس بتسبيحات الله في هواء طلق أكثر أمانًا. إن الأجزاء الثلاثة الأولى من المزامير من الأجزاء الخمسة (نسبة إلى التقسيم العبري) يختم بكلمة «آمين ثم آمين». أما الجزاء الرابع فينتهي بالكلمات «آمين. هللويا». أما الأخير فنهايته «هللويا» فقط. وذلك بسبب أن المزامير الستة الأخيرة كلها تسبيح لله. وليس فيها أي عبارة شكوى أو طلب. دعنا نفرح دائما عندما نفكر فيما يفعله القديسون الممجدون في السماء. أولئك الذين كانوا معنا على الأرض قبل انتقالهم إلى هناك. ولعل ذلك يحفزنا أن نعمل إرادة الله على الأرض كما يفعل هؤلاء الذين في السماء. إن هللويا هي الكلمة التي يرددونها في السماء. فلنعش في أصدائها الآن، «هللويا سبحوا الرب».